مجمع البيان
في
تفسير القرآن

تأليف العلامة المحقق وقدوة المفسرين وفاخر المحدثين

الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

صححه وعلق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي

بنفقة

السيد حاج آقا المحسن الحاج السيد محمود الكتابچي وأولاده

الناشر

مكتبة العلمية الإسلامية

طهران - سوق شهرياري

تلفون { بازار ٥٦٢٥٥٩
ناصرو ٣٩٤٥٢٩

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
JOHN M. OLIN LIBRARY
ITHACA, N.Y.

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 059 368 187

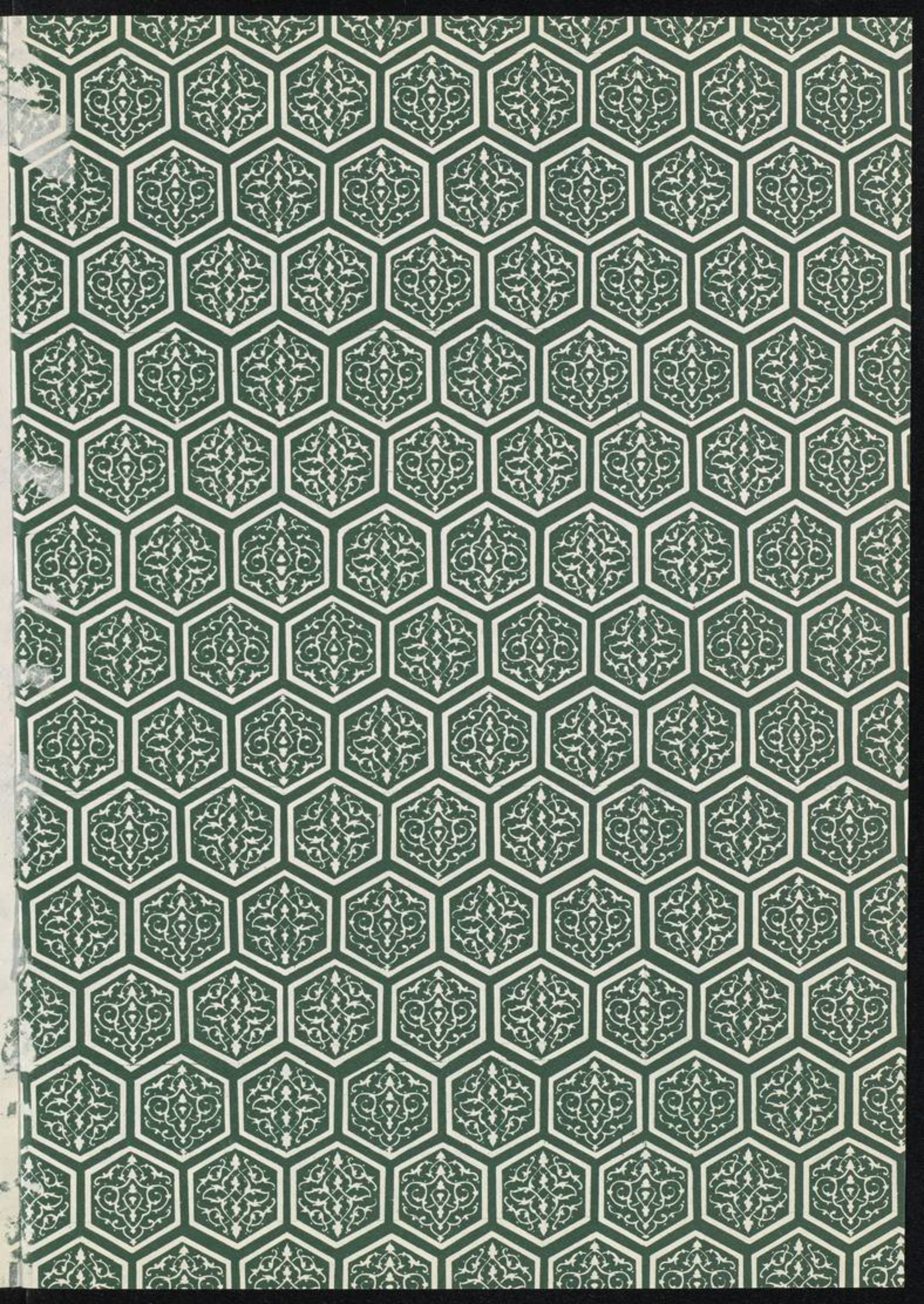

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

تأليف العلامة المحقق قدوة المفسرين وأفخر المالديين

الشيخ أبي علي الفضل الحسن الطبرسي

المتوفى سنة ٥٤٨

صححه وعلق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي

بنفقة

السيد حاج آقا المحسن الحاج السيد محمود الكتابچي وأولاده

الناشر

مكتبة العلمية الإسلامية

طهران - سوق الشهرباني

تلفون { بازار ٥٦٢٥٥٩
ناصرخسرو ٣٩٤٥٢٩

IR-AR-85-930750
OLIN
+
BP
130
.4
T14
1980
Juz'5
V.5,

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمتنا

الاصل فی نسختنا هذه هی النسخة المطبوعة بـ «صیداء» الا انها لمّا لم تکن خالیة عن الاغلاط حاولنا تصحیحها فراجعنا فیه الی عدة من النسخ

منها : نسخة مخطوطة مصححة عتیقة لخزانة کتب العلامة النسّابة الآیة الحجّة السید شهاب الدین المرعشی النجفی دامت برکاته العالیة .

منها : نسخة مخطوطة عتیقة اتحفنابها العالم الجلیل الحاجّ الشیخ حسن المصطفوی دام ظلّه العالی .

منها : النسخة المطبوعة بالطبع الحجری بطهران المعروفة بـ (طبع ملاحسن)

فما کان من تحریف او تصحیف او زیادة اصلحناه فی المتن واما ما کان من سقط یتعذر فاوردناه بالهامش بین المعقفتین مضافا الی بیان المشکلات ، وحلّ المعضلات

فجائت بحمد الله نسخة صحیحة لم یطبع مثلها ، والکتاب أقوی شاهد و برهان .

CORNELL UNIVERSITY LIBRARIES
ITHACA N.Y.

حقوق الطبع بهذه الصورة المزدانة

بالتعالیق و المقدمة و سایر الخصوصیات

محفوظة للناشر

﴿ الجزء التاسع ﴾

سورة حم السجدة ﴿مكية﴾

﴿ عدد آيها ﴾

اربع وخمسون آية كوفي ثلاث حجازي آيتان بصري شامي

﴿ اختلافها ﴾ آيتان حم كوفي عاد وثمود حجازي كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ حم السجدة أُعطي[1] بعدد كلّ حرف منها عشر حسنات وروى ذريح المحاربي عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ حم السجدة كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً وعاش في هذه الدنيا مغبوطاً محموداً

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سورة المؤمن بذكر المنكرين لآيات الله وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (٣) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٤) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٥) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ خمس آيات

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجّاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب فصّلت هذا مذهب البصريين وقال الفرّاء يجوز أن يكون تنزيل يرتفع بحم ويجوز ان يرتفع باضمار هذا والمعنى هذا تنزيل او هو تنزيل وقوله قرآناً عربياً نصب قرآناً على الحال بمعنى بيّنت آياته في حال جمعه وبشيراً ونذيراً من صفته

﴿ المعنى ﴾

حم قد تقدّم القول فيه وقيل في وجه الاشتراك في افتتاح هذه السور السبع بـ حم انّه للمشاكلة التي بينها بما يختصّ به وليس لغيرها وذلك انّ كل واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها في الطول ومع شدّة تشاكل الكلام في النظم (تنزيل من الرحمن الرحيم) نزل به جبرائيل على محمد ﷺ (كتاب فصّلت آياته) وصف الكتاب بالتفصيل دون الإجمال لأن التفصيل يأتي على وجوه البيان اي الذي بيّنت آياته بياناً تاماً والتبيين فيه على وجوه منها تبيين الواجب تما ليس بواجب وتبيين الأولى في الحكمة تما ليس بأولى وتبيين الجائز تما ليس بجائز وتبيين الحق من الباطل وتبيين الدليل على الحق مما ليس بدليل وتبيين ما يرغب فيه مما لا يرغب فيه وتبيين ما يحذر منه مما لا يحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه وقيل فصّلت آياته بالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحلال والحرام والمواعظ والأمثال وقيل فصّلت اي نظمت آياته على احسن نظام وأوضح بيان (قرآناً عربياً) وصفه بأنه قرآن لأنه جمع بعضه إلى بعض وبأنه عربيّ

(١) [من الاجر]

لأنه يخالف جميع اللغات التي ليست بعربية وكل ذلك يدل على حدوث القرآن (لقوم يعلمون) اللسان العربي ويعجزون عن مثله فيعرفون إعجازه وقيل يعلمون أنّ القرآن من عند الله نزل. عن الضحّاك (بشيراً ونذيراً) يبشّر المؤمن بما فيه من الوعد وينذر الكافر بما فيه من الوعيد (فأعرض اكثرهم) يعني أهل مكة عدلوا عن الإيمان بالله والتدبّر فيه (فهم لا يسمعون) اي لا يسمعونه سمعَ تفكّرٍ وقبول فكأنهم لا يسمعونه حقيقةً (وقالوا قلوبنا في أكِنّة) اي في اغطية عن مجاهد والسُّدّي (ممّا تدعونا اليه) فلا نفقه ما تقول وإنما قالوا ذلك ليوئسوا النبي ﷺ من قبولهم دينه فكأنهم شبّهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل اليه شيء ممّا وراءه (وفي آذاننا وقر) اي ثقل عن استماع القرآن وصمم (ومن بيننا وبينك حجاب) اي بيننا وبينك فرقة في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول عن الزجاج وقيل إنّه تمثيل بالحجاب ليوئسوه من الإجابة عن عليّ بن عيسى (فاعمل اننا عاملون) قيل انّ ابا جهل رفع ثوباً بينه وبين النبي ﷺ فقال يا محمد أنت من ذلك الجانب ونحن من هذا الجانب فاعمل أنت على دينك ومذهبك إننا عاملون على ديننا ومذهبنا عن مقاتل وقيل معناه فاعمل في هلاكنا إنّا عاملون في هلاكك عن الفرّاء وقيل فاعمل به في ابطال أمرنا إنّا عاملون في ابطال أمرك وهذا غاية في العناد.

قوله تعالى (٦) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٧) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٩) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (١٠) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ. خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر سواء بالرّفع وقرأ يعقوب سواء بالجرّ والباقون بالنّصب سواء

(الحجة)

من قرأ سواء بالرفع جعله خبر مبتدأ محذوف اي هي سواء. ومن قرأ سواء بالجرّ جعله صفة أيّام التقدير في اربعة أيام مستويات تامّات واما النصب فعلى المصدر على معنى استوت سَواءً واستواءً

المعنى

ثم قال لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (إنّما أنا بشر مثلكم) من ولد آدم لحم ودم وانّما خصّني الله تعالى بنبوّته وميّزني منكم بأن أوحى إليّ ولولا الوحي ما دعوتكم وهو قوله (يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد) لاشريك له في العبادة (فاستقيموا اليه) اي لا تميلوا عن سبيله وتوجّهوا اليه بالطاعة كما يقال استقم إلى منزلك اي لا تعدل عنه إلى غيره (واستغفروه) من الشرك واطلبوا المغفرة لذنوبكم من جهته ثم اوعدهم فقال (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة) اي لا يعطون الزكوة المفروضة وفيه دلالة على انّ الكفار مخاطبون بالشرائع وهذا هو الظاهر وقيل معناه لا يطهّرون أنفسهم من الشرك بقول لا إله إلا الله فإنها زكاة الأنفس عن عطاء عن ابن عباس وهذا كما يقال اعطى فلان من نفسه الطاعة اي الزمها نفسه

وقد وصف سبحانه الكفر بالنجاسة بقوله إنّما المشركون نجس وذكر الزكاة بمعنى التطهير في قوله خيراً منه زكاةً وقيل معناه لا يقرّون بالزكاة ولا يرون إيتاءها ولا يؤمنون بها عن الحسن وقتادة وعن الكلبي عابهم الله بها وقد كانوا يحجّون ويعتمرون وقيل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدّقون عن الضحاك ومقاتل وكان يقول الزكاة قنطرة الإسلام وقال الفرّاء الزكاة في هذا الموضع انّ قريشاً كانت تطعم الحاجّ وتسقيهم فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ (وهم بالآخرة هم كافرون) وهم مع ذلك يجحدون بما أخبر الله تعالى به من احوال الآخرة ثم عقّب سبحانه ما ذكره من وعيد الكافرين بذكر الوعد للمؤمنين فقال (إنّ الذين آمنوا) اي صدّقوا بأمر الآخرة من الثواب والعقاب (وعملوا الصالحات) اي الطاعات (لهم أجر غير ممنون) اي لهم جزاء على ذلك غير مقطوع بل هو متّصل دائم ويجوز ان يكون معناه انه لا أذى فيه من المنّ الذي يكدر الصنيعة ثم وبّخهم سبحانه على كفرهم فقال (قل) يا محمد لهم على وجه الانكار عليهم (أئنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض) وهذا استفهام تعجيب اي كيف تستجيزون ان تكفروا وتجحدوا نعمة من خلق الأرض (في يومين) اي في مقدار يومين (وتجعلون له انداداً) اي امثالا واشباهاً تعبدونهم وفي هذا دلالة على انّه سبحانه انّما يستدلّ على اثبات ذاته وصفاته بأفعاله فهي دالّة على اثبات صفاته إمّا بنفسها كما يدلّ صحّة الفعل على كونه قادراً واحكامه على كونه عالماً وإمّا بواسطة كما يدلّ كونه قادراً عالماً على كونه حيّاً موجوداً سميعاً بصيراً (ذلك رب العالمين) اي ذلك الذي خلق الأرض في يومين خالق العالمين ومالك التصرف فيهم (وجعل فيها) اي في الأرض (رواسي) اي جبالا راسيات ثابتات (من فوقها) اي من فوق الأرض (وبارك فيها) بما خلق فيها من المنافع وقيل بأن انبت شجرها من غير غرس واخرج نبتها من غير زرع وبذر واودعها مما ينتفع به العباد عن السدّي (وقدّر فيها اقواتها) اي قدّر في الأرض أرزاق اهلها على حسب الحاجة اليها في قوام ابدان الناس وسائر الحيوان وقيل قدّر في كل بلدة منها ما لم يجعله في اخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد (في اربعة أيام) اي في تتمّة اربعة أيام من حين ابتداء الخلق فاليومان الأولان داخلان فيها كما تقول خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً اي في تتمّة خمسة عشر يوما (سواء للسائلين) اي مستوية كاملة من غير زيادة ولا نقصان للسائلين عن مدّة خلق الأرض وقيل معناه للذين يسألون الله ارزاقهم ويطلبون اقواتهم فإنّ كلّاً يطلب القوت ويسأله عن قتادة والسدّي واختلف في علّة خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام فقيل إنّما خلق ذلك شيئاً بعد شيء في هذه الأيام الأربعة ليعلم الخلق انّ من الصواب التأنّي في الأمور وترك الاستعجال فيها فإنّه سبحانه كان قادراً على ان يخلق ذلك في لحظة واحدة عن الزجاج وقيل إنما خلق ذلك في هذه المدّة ليعلم بذلك انها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الأحكام إذ لو صدرت عن مطبوع او موجب لحصلت في حالة واحدة وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال انّ الله تعالى خلق الأرض في يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثا وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الاربعا فتلك اربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم

قوله تعالى (١١) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ (١٢) فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ

أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (١٣) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٤) إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (١٥) فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ خمس آيات

الإعراب

طوعاً وكرهاً مصدران وضعا موضع الحال التقدير إئتيا تطيعان اطاعة او تكرهان كرها وطائعين يدلّ على ذلك وهو منصوب على الحال. سبع سماوات ايضاً منصوب على الحال بعد الفراغ من الفعل.

المعنى

ثمّ ذكر سبحانه خلق السماوات فقال (ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان) اي ثمّ قصد إلى خلق السماء وكانت السماء دخاناً وقال ابن عباس كانت بخار الأرض وأصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له وقيل معناه ثم استوى أمره إلى السماء عن الحسن (فقال لها ولـلأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) قال ابن عباس أتت السماء بما فيهـا من الشمس والقمر والنجوم وأتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا جواب لذلك القول بل اخبر الله سبحانه عن اختراعه السماوات والأرض وانشائهما من غير تعذّر ولا كلفة ولا مشقّة بمنزلة ما يقال للمأمور إفعل فيفعل من غير تلبّث ولا توقّف فعبّر عن ذلك بالأمر والطاعة وهو كقوله إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وإنما قال أتينا طائعين ولم يقل أتينا طائعتين لأنّ المعنى اتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء عن قطرب وقيل انه لمّا خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال وكلّ في فلك يسبحون ومثله كثير في كلامهم قال:

فَأَجْهَشْتُ لِلْبَوْبَاةِ(١) حِينَ رَأَيْتُهُ ... وَكَبَّرَ لِلرَّحْمٰنِ حِينَ رَآنِي
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ رَأَيْتَهُمْ ... يُجَنِّبُكَ فِي خَفْضٍ وَطِيبِ زَمَانِ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ ... وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ

وقال آخر:

أَلَا أَنْعِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّسْمُ ... وَانْطِقِ وَحَدِّثْ حَدِيثَ الْحَيِّ إِنْ شِئْتَ وَاصْدُقِ

وقد ذكرنا فيما تقدّم من أمثال ذلك ما فيه كفاية وقوله سبحانه ثمّ استوى إلى السماء يفيد انّه خلق السماء بعد الأرض وخلق الأقوات فيها وقال سبحانه في موضع آخر والأرض بعد ذلك دحاها وعلى هذا فتكون الفائدة فيه انّ الأرض كانت مخلوقة غير مدحوّة فلمّا خلق الله السماء دحا بعـد ذلك الأرض وبسطها وإنّما جعل الله السماء أوّلاً دخاناً ثمّ سمٰوات أطباقاً ثم زيّنها بالمصابيح ليدلّ ذلك على انّه سبحانـه قادر لنفسه لا يعجزه شيء. عالم لذاته لا يخفى عليه شيء. غنيّ لا يحتاج وكلّما سواه محتاج اليه سبحانه وتعالى

(١) «وغير العقلاء» (٢) جهش واجهش اليه: فزع اليه هامّاً بالبكاء ومتهيئاً له كالطفل يفزع الى امّه و البوباة: الفلاة: والضمير في رأيته راجع الى المكان.

(فقضيهن) اي صنعهن وأحكمهن وفرغ من خلقهن (سبع سمٰوات في يومين) يوم الخميس والجمعة قال السُدّي إنما سمّي جمعة لأنّه جمع فيه خلق السماوات والأرض (وأوحى في كلّ سماء أمرها) اي خلق فيها ما أراده من ملك وغيره عن السُدّي وقتادة وقيل معناه وأمر في كلّ سماء بما أراد عن مقاتل وقيل وأوحى إلى أهل كلّ سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة عن عليّ بن عيسي (وزيّنّا السماء الدنيا بمصابيح) سمّى الكواكب مصابيح لأنّه يقع الاهتداء بها كقوله وبالنجم هم يهتدون (وحفظاً) اي وحفظناها من استماع الشياطين قيل(١) بالكواكب حفظاً (ذلك) الذي ذكر (تقدير العزيز) في ملكه لا يمتنع عليه شيء (العليم) بمصالح خلقه لا يخفى عليه شيء ثم عقّب سبحانه دلائل التوحيد بذكر الوعيد لأهل الشرك والجحود من العبيد فقال (فإن أعرضوا) عن الإيمان بك بعد هذا البيان (فقل) يا محمد لهم مخوّفاً إيّاهم (أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اي استعدّوا للعذاب فقد خوّفتكم عذاباً مثل عذاب عاد وثمود لما أعرضوا عن الإيمان والصاعقة المهلكة من كلّ شيء وهي في العرف اسم للنار التي تنزل من السماء فتحرق (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) اذ متعلّقة بقوله صاعقة والتقدير نزلت بهم حين أتتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم عن ابن عبّاس يعني به الرسل الذين جاؤا آباءهم والرسل الذين جاؤهم في أنفسهم لأنّهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرسل فيكون الهاء والميم في من خلفهم للرسل وقيل معناه انّ منهم من تقدّم زمانهم ومنهم من تأخّر قال البلخي ويجوز أن يكون المراد: أتاهم أخبار الرسل من هاهنا ومن هاهنا (الّا تعبدوا) اي ارسلناهم بأن لا تعبدوا (إلا الله) وحده ولا تشركوا بعبادته غيره (قالوا) اي فقال المشركون عند ذلك (لو شاء ربّنا) ان نؤمن به ونخلع الانداد (لأنزل ملائكة) تدعونا إلى ذلك ولم يبعث بشراً مثلنا وكأنّهم انفوا من الإنقياد لبشر مثلهم وجهلوا انّ الله تعالى يبعث الأنبياء على حسب ما يعلمه من مصالح عباده ويعلم من يصلح للقيام باعباء النبوة (فإنّا بما أرسلتم به كافرون) اي اظهروا الكفر بهم والجحود ثم فصّل سبحانه اخبارهم فقال (فأمّا عاد فاستكبروا) اي تجبّروا وعتوا (في الارض) وتكبّروا على أهلها (بغير الحق) اي بغير حقّ جعله الله لهم بل للكفر المحض والظلم الصراح (وقالوا من أشدّ منّا قوّة) اغترّوا بقوّتهم لمّا هدّدهم هود بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه بفضل قوّتنا إذ لا أحد أشدّ منّا قوّة فقال الله سبحانه ردّاً عليهم (اولم يروا انّ الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة) اي أو لم يعلموا انّ الله الذي خلقهم وخلق فيهم هذه القوّة اعظم اقتداراً منهم فلو شاء أهلكهم (وكانوا بآياتنا) اي بدلالاتنا (يجحدون) ينكرونها ولا يعترفون بها

قوله تعالى (١٦) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٧) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٨) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٩) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (٢٠) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة نحسات بكسر الحاء والباقون نحسات بسكونها وقرأ نافع ويعقوب

(١) ليس في بعض النسخ لفظة قيل وهو الصواب .

نحشر بالنون اعداء الله بالنصب والباقون يحشر بالياء على ما لم يسم فاعله اعداء الله بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي النحس كلمة يكون على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اسماً ﴿ والآخر ﴾ ان يكون وصفاً فمما جاء فيه اسماً مصدراً قوله في يوم نحس مستمر فالإضافة اليه يدل على انه اسم ليس بوصف(١) لا يضاف اليه الموصوف وقال المفسرون في نحسات قولين ﴿ احدهما ﴾ الشديدة البرد ﴿ والآخر ﴾ انها المشؤومة عليهم فتقدير قوله في يوم نحس في يوم مشؤوم وقالوا يوم نحس ويوم نحس فمن أضافه كان مثل ما في التنزيل ومن أجراه على الاول احتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون وصفاً مثل فَسْل(٢) ورَذْل ﴿ والآخر ﴾ ان يكون مصدراً وصف به نحو رجل عدل فمن قرأ في أيام نحسات فأسكن الحاء اسكنها لأنه صفة مثل عَبْلات(٣) وصعبات ويجوز أن يكون جمع المصدر وتركه على اسكانه في الجمع كما قالوا زورة وعدلة قال ابو الحسن لم اسمع في النحس إلا الاسكان وقال ابو عبيدة نحسات ذوات نحس فيمكن أن يكون من كسر العين جعله صفة من باب فرِق ونزِق وجمع(٤) على ذلك ومن قرأ نحسات اعداء الله فحجته انه معطوف على قوله ونجّينا ويقويه قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ومن قرأ يحشر فبنى الفعل للمفعول به يقويه قوله فهم يوزعون وكلا الأمرين حسن

(اللغة)

اشتقاق الصرصر من الصرير ضوعف اللفظ اشعاراً بمضاعفة المعنى يقال صرّ يصِرّ صريراً وصرصر يصرصر صرصرة وريح صرصر شديدة الصوت وأصله صرّر ثم قلبت الراء صاداً كما يقال قضّه ونهّه وكفكفه وكفّفه قال النابغة

أُكَفْكِفُ عَبْرَةً غَلَبَتْ عَزَائِي ... إذا نَهْنَهْتُها عادَتْ ذُبَاحاً(٥)

الخزي: الهوان الذي يستحيى من مثله خوفاً من الفضيحة والهون: الهوان والوزع: المنع والكف ومنه قول الحسن « لا بدّ للناس من وَزَعة »

﴿ الإعراب ﴾

قوله: ويوم يحشر انتصب الظرف بمدلول قوله فهم يوزعون لأنّ يوماً بمنزلة إذا ولا ينتصب بقوله ونجّينا الذين آمنوا لأنه ماضٍ وقوله ويوم يحشر مستقبل فلا يعمل فيه الماضي

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن اهلاكهم بقوله (فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً) اي عاصفاً شديدة الصوت من الصرّة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من الصرّ وهو البرد عن ابن عباس وقتادة وقال الفرّاء هي الباردة تحرق كما تحرق النار (في أيام نحسات) اي نكدات مشؤمات ذوات نحوس عن مجاهد وقتادة والسدّي والنحس سبب الشر والسعد سبب الخير وبذلك سمّيت سعود النجوم ونحوسها وقيل نحسات ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضاً عن الجبائي وقيل نحسات باردات والعرب تسمّي البرد نحساً عن ابي مسلم (لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا) اي فعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الهون والذلّ وهو العذاب الذي يجزون في الدنيا فيوقنوا بقوّة معذّبهم وبقدرته عليهم ويظهر ذلك لمن رأى حالهم (ولعذاب الآخرة أخزى) وافضح من ذلك (وهم لا ينصرون) اي لا يدفع عنهم العذاب الذي ينزل بهم ثم ذكر قصة ثمود فقال (وأمّا ثمود فهديناهم) اي بيّنا لهم سبيل الخير والشر عن قتادة وقيل دللناهم

(١) لان الوصف (٢) الفسل: الضعيف الرذل (٣) العبلة: الضخمة: وامرأة عبلة اى تامة الخلق (٤) فرق فرقاً: فزع فهو فرق وفرق وفرّق وفارق وفارق وفرّاق وفروق ما اشد فرقه عند الله: ليس بموصوف

نكفكف الدمع: مسحه مرة بعد مرة ليرده. والعبرة: الدمعة قبل ان تفيض وقيل تردد البكاء في الصدر. والعزاء: الصبر والذباح بالضم والكسر وجع في الحلق. مقصوده: أمنع عبرة غلبت صبري عن ظهورها ولكن اذا دفعتها صارت وجعاً وشجى في الحلق

وبيّنا لهم الحق عن ابن عباس والسدّي وابن زيد (فاستحبّوا العمى على الهدى) فاختاروا العمى في الدين على قبول الهدى وبئس الاختيار ذلك عن الحسن وقيل اختاروا الكفر على الايمان عن ابن زيد والفرّاء (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) اي ذي الهون وهو الذي يهينهم ويخزيهم وقد قيل انّ كلّ عذاب صاعقة لانّ كلّ من يسمعها يصعق لها (بما كانوا يكسبون) من تكذيبهم صالحاً وعقرهم الناقة (ونجّينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك اي ونجّينا صالحاً ومن آمن به من العذاب ثم اخبر سبحانه عن احوال الكفار يوم القيامة فقال (ويوم يحشر اعداء الله إلى النار فهم يوزعون) اي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولايتفرّقوا والمعنى إذا حشروا وقفوا (حتى إذا ما جاؤها) اي جاؤا النار التي حشروا اليها (شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) اي شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء الى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وابصارهم بما رأوا من الآيات الدالّة على وحدانيّة الله فلم يؤمنوا وسائر جلودهم بما باشروه من المعاصي والافعال القبيحة وقيل في شهادة الجوارح قولان ﴿احدهما﴾ انّ الله تعالى يبنيها بُنية الحيّ[1] ويلجؤها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله اصحابه ﴿والآخر﴾ انّ الله يفعل فيها الشهادة وإنّما أضاف الشهادة اليها مجازاً وقيل في ذلك ايضاً وجه ثالث وهو انّه يظهر فيها أمارات دالّة على كون اصحابها مستحقّين للنار فسمّى ذلك شهادة مجازاً كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقيل انّ المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكناية عن ابن عباس والمفسّرين

قوله تعالى (٢١) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٣) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٤) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٥) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ خمس آيات

القراءة

في الشواذّ قراءة الحسن وعمرو بن عبيد وان يستعتبوا بضمّ الياء وفتح التاء فما هم من المعتبين بكسر التاء.

الحجّة

قال ابن جنّي معناه لو استعطفوا لما عطفوا لأنّه لا غناء عندهم ولا خير فيهم فيجيبوا إلى جميل

اللغة

الإنطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالإلجاء الى النطق او الدعاء اليه والنطق إدارة اللسان في الفم بالكلام ولذلك لا يوصف سبحانه بانّه ناطق وان وصف بأنّه متكلّم والإرداء الإهلاك يقال أرداه فردي يردى فهو ردٍ قال الاعشى:

أَفِي الطَّوْفِ خِفْتَ عَلَيَّ الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلُهُ لَمْ يَرِمْ (٣)

والاستعتاب طلب العتبى وهي الرضا وهو الاسترضاء والاعتاب الارضاء وأصل الاعتاب عند العرب استصلاح الجلد بإعادته في الدباغ ثمّ استعير فيما يستعطف به البعض بعضاً لإعادته ما كان من الالفة وأصل التقييض التبديل

(١) وفي نسخة ينبّهها تنبيه الحي (٢) رام بالمكان : اقام وثبت يقول أتخاف عليّ الردى في الطوف وعدم القرار في مكان مع ان كثيراً ممن هلك اهله لم يقم بمكان واحد ولم يبرحه المنية ولم يمنعه عن الردى

ومنه المقايضة وهي مبادلة مال بمال قال الشاخ:

تَذَكَّرْتُ لَمَّا أَثْقَلَ الدَّيْنُ كَاهِلِي وَعَابَ بِزَيْدٍ مَا أَرَدْتُ تَعَذُّرَا
رِجَالاً مَضَوْا مِنِّي فَلَسْتُ مُقَايِضاً بِهِمْ أَبَداً مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَعْشَرَا (١)

الاعراب

وذلكم ظنكم ذلكم مبتدأ وظنكم خبره وأرداكم خبر بعد خبر وان اضمرت قد فجملته حالا جاز اي ذلكم ظنكم مردياً اياكم ويجوز ان يكون ذلكم مبتدأ وظنكم بدلا منه وارداكم خبر المبتدأ

المعنى

ثم حكى سبحانه عنهم بقوله (وقالوا) يعني الكفار (لجلودهم لم شهدتم علينا؟) اي يعاتبون اعضاءهم فيقولون لهالم شهدتم علينا (قالوا) اي فتقول جلودهم في جوابهم (انطقنا الله الذي انطق كل شيء) اي مما ينطق والمعنى اعطانا الله آلة النطق والقدرة على النطق وتم الكلام ثم قال سبحانه (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) في الآخرة أي الى حيث لا يملك أحد الأمر والنهي سواه تعالى وليس هذا من جواب الجلود (وما كنتم تستترون ان يشهد) اي من ان يشهد (عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) معناه وما كنتم تستخفون اي لم يكن يتهيأ لكم ان تستروا اعمالكم عن هذه الاعضاء لأنكم كنتم بها تعملون فجعلها الله شاهدة عليكم في القيامة وقيل معناه وما كنتم تتركون المعاصي حذراً ان تشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنون ذلك (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم ارتكاب المعاصي لذلك وروي عن ابن مسعود انها نزلت في ثلاثة نفر تسارّوا وقالوا أترى الله يسمع سرارنا. ويجوز ان يكون المعنى انكم عملتم عمل من ظن ان عمله يخفى على الله كما يقال أهلكت نفسي اي عملت عمل من اهلك النفس وقيل: ان الكفار كانوا يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر عن ابن عباس (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) ذلكم مبتدأ وظنكم خبره وأرداكم خبر ثان ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم ويكون المعنى وظنكم الذي ظننتم بربكم انه لا يعلم كثيراً مما تعملون اهلككم اذ هوّن عليكم أمر المعاصي وأدى بكم إلى الكفر (فأصبحتم من الخاسرين) اي فظللتم من جملة من خسرت تجارته لأنكم خسرتم الجنة وحصلتم في النار. قال الصادق (ع): ينبغي للمؤمن ان يخاف الله خوفاً كأنه يشرف على النار ويرجوه رجاء كأنه من أهل الجنة ان الله تعالى يقول وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم الآية ثم قال ان الله عند ظن عبده به ان خيراً فخير وان شراً فشر ثم أخبر سبحانه عن حالهم فقال (فإن يصبروا فالنار مثوىً لهم) اي فإن يصبروا هؤلاء على النار والآمها وليس المراد به الصبر المحمود ولكنه الإمساك عن اظهار الشكوى وعن الاستغاثة فالنار مسكن لهم (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) اي وان يطلبوا العتبى وسألوا الله تعالى ان يرضى عنهم فليس لهم طريق إلى الإعتاب فما هم ممن يقبل عذرهم ويرضى عنهم وتقدير الآية انهم إن صبروا وسكتوا وجزعوا فالنار مأواهم كما قال سبحانه: اصلوها فاصبروا اولا تصبروا سواء عليكم والمعتب هو الذي يقبل عتابه ويجاب إلى ما سأل وقيل معناه وان يستعتبوا فما هم من المعتبين (وقيضنا لهم قرناء) اي هيأنا لهم قرناء من الشياطين عن مقاتل ومعناه بدلنا لهم قرناء سوء من الجن والإنس مكان قرناء الصدق الذين أمروا بمقارنتهم فلم يفعلوا. بين الله سبحانه انه إنما فعل ذلك عقوبة لهم على مخالفتهم ونظيره ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وقيل: معناه خلينا بينهم وبين قرناء السوء بما استوجبوه من الخذلان عن الحسن فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم اي زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا حتى آثروه وعملوا له وما خلفهم من أمر الآخرة بدعائهم الى انه لا بعث ولا جزاء عن الحسن والسدي وقيل فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة

(١) رجالاً مفعول تذكرت ومعشراً مفعول مقايضاً. يتأسف على فوت رجال اجواد كان يرجوهم لرفع ثقل الدين عنه ويقول: لا ابادل بهم معشراً من سائر الناس.

فقالوا لا جنّة ولا نار ولا بعث ولا حساب وما خلفهم من أمر الدنيا من جمع الأموال وترك النفقة في وجوه البرّ من الفراء. وقيل: ما بين أيديهم ما قدّموه من أفعالهم السيّئة حتّى ارتكبوها وما خلفهم ما سنّوه لغيرهم ممّن يأتي بعدهم (وحقّ عليهم القول) اي وجب عليهم الوعيد والعذاب (في أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس) اي صاروا في أمم أمثالهم كذّبوا لتكذيبهم قد مضوا قبلهم وجب عليهم العذاب بعصيانهم ثمّ قال سبحانه (إنّهم كانوا خاسرين) خسروا الجنّة ونعيمها.

قوله تعالى (٢٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٧) فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٨) ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ (٣٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ خمس آيات

اللغة

اللغو الكلام الذي لا معنى له يستفاد والغاء الكلمة اسقاط عملها يقال لغيْ يَلغيْ ويلغو لغواً ولغِيَ يَلغَى لغاً قال عن اللغاء ورفث التكلم

(الإعراب)

ذلك مبتدأ وجزاء اعداء الله خبره والنار بدل من قوله جزاء اعداء الله ويجوز ان تكون النار تفسيراً كأنّه قيل ما هو فقيل يقول هو النار قال الزجّاج قوله لهم فيها دار الخلد اي لهم في النار دار الخلد والنار هي الدار كما تقول لك في هذه الدار دار سرور وأنت تعني الدار بعينها كما قال الشاعر:

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا ... يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ (٢)

فيكون ذلك من باب التجريد وموضع ان لا تخافوا نصب تقديره تتنزّل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا فلمّا حذف الباء وصل الفعل فنصبه

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الكفار فقال (وقال الذين كفروا) اي قال رؤساؤهم لأتباعهم او قال بعضهم لبعض يعني كفار قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن) الذي يقرؤه محمد ولا تصغوا اليه (والغوا فيه) اي عارضوه باللغو الباطل وبما لا يعتدّ به من الكلام (لعلّكم تغلبون) اي لتغلبوه باللغو والباطل ولا يتمكّن اصحابه من الاستماع وقيل الغوا فيه بالتخليط في القول والمكاء والصفير عن مجاهد وقيل: معناه ارفعوا اصواتكم في وجهه بالشعر والرجز عن ابن عباس والسدّي لمّا عجزوا عن معارضة القرآن احتالوا في اللبس على غيرهم وتواصوا بترك استماعه والالغاء عنه عند قراءته ثم اوعدهم الله سبحانه فقال (فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً شديداً) في الدنيا بالأسر والقتل يوم بدر وقيل في الآخرة (ولنجزينّهم اسوء الذي كانوا يعملون) اي نجازيهم بأقبح الجزاء على اقبح معاصيهم وهو الكفر والشرك وخصّ الاسوء بالذكر للمبالغة في الزجر وقيل: معناه لنجزينّهم بأسوء اعمالهم وهي المعاصي دون غيرها ممّا لا يستحق به العذاب (ذلك) يعني ما تقدّم الوعيد به (جزاء اعداء الله) الذين

(١) كذا في النسخ ولا حاجة الى لفظة يقول (٢) الرغائب : العطايا ويحتمل قوياً كون يسألها بضم الياء ليناسب المدح والظلامة ما تظلّمه الرجل كالظليمة والنوفل : الرجل المعطاء والزفر: السيد الذي يحمل الاثقال و منه للتجريد نحو لقيت منه اسداً والمراد التشبيه بالاسد وكذا هنا مقصوده ان السيد المعطاء ينشأ اباء الظلامة في

عادوه بالعصيان والكفر وعادوا اولياءه من الأنبياء والمؤمنين (النار) وهي النار والكون فيها (لهم فيها دار الخلد) اي منزل الدوام والتأبيد (جزاء لهم) وعقوبة (بما كانوا بآياتنا يجحدون) يعني القرآن يجحدون بأنه من عند الله عن مقاتل (وقال الذين كفروا) اي وسيقول الكفار في النار (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجنّ والإنس) يعنون إبليس الابالسة وقابيل بن آدم أوّل من ابدع المعصية روي ذلك عن علي (ع) وقيل المراد بذلك كلّ من ابدع الكفر والضلالة من الجنّ والإنس والمراد بالذين جنس الجنّ والإنس كما في قوله واللذان يأتيانها منكم (نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين) تمنّوا لشدّة عداوتهم لهم وبغضهم إيّاهم بما اضلّوهم وأغووهم ان يجعلوهم تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار وقيل: انّ المراد به ندوسهما ونطأهما باقدامنا اذلالا لهما ليكونا من الأسفلين الاذلّين قال ابن عباس ليكونا اشدّ عذاباً منّا ولمّا ذكر سبحانه وعيد الكفار عقّبه بذكر الوعد للمؤمنين الابرار فقال (إنّ الذين قالوا ربّنا الله) اي وحّدوا الله تعالى بلسانهم واعترفوا به وصدّقوا انبياءه (ثمّ استقاموا) اي استمرّوا على انّ الله ربّهم وحده لم يشركوا به شيئا عن مجاهد وقيل معناه ثمّ استقاموا على طاعته وأداء فرائضه عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد وقيل ثمّ استقاموا في افعالهم كما استقاموا في أقوالهم وقيل ثمّ استقاموا على ما توجبه الربوبية من عبادته عن ابن مسلم وروي عن انس قال قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية ثمّ قال قد قالها ناس ثمّ كفر اكثرهم فمن قالها حتّى يموت فهو ممّن استقام عليها وروى محمد بن الفضيل قال سألت ابا الحسن الرضا (ع) عن الاستقامة فقال هي والله ما انتم عليه (تتنزّل عليهم الملائكة) يعني عند الموت عن مجاهد والسدّي وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله عن الحسن وثابت وقتادة وقيل في القيامة عن الجبّائي وابي مسلم وقيل ان البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث عن وكيع بن الجراح (الا تخافوا ولا تحزنوا) اي يقولون لهم لاتخافوا عقاب الله ولا تحزنوا لفوات الثواب وقيل لاتخافوا ممّا امامكم من أمور الآخرة ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلفتم من اهل وولد عن عكرمة ومجاهد وقيل لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإنّي اغفرها لكم عن عطا ابن ابي رباح وقيل انّ الخوف يتناول المستقبل والحزن يتناول الماضي وكان المعنى لاتخافوا فيما يستقبل من الاوقات ولا تحزنوا على ما مضى وهذا نهاية المطلوب (وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون) بها في دار الدنيا على السنة الأنبياء.

قوله تعالى (٣١) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣٢) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٣) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٤) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٥) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ خمس آيات

﴿ الاعراب ﴾

نزلاً نصب على المصدر وتقديره أنزلكم ربّكم فيما تشتهون نزلاً ويجوز ان يكون نصباً على الحال وتقديره ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم منزلاً نزلاً كما يقال جاء زيد مشياً اي ماشياً والقولان جميعاً يرجعان إلى كونه مصدراً وقال ابو علي نزلاً يحتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون جمع نازل كقوله:

إِنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

افعاله من هذا الممدوح فكأنه جعله عين اباء الظلامة وجرّد منها اباء الظلامة الذي هو في النوفل الزفر وقدم البيت في ج ٢ ص ٤٨٣ بلفظ يسلبها بدل يسألها وقال في اللسان: « قوله ومنه مؤكدة للكلام كما قال تعالى يغفر لكم من ذنوبكم والمعنى يأبى الظلامة لانه النوفل الزفر ».

ويكون حالاً من الضمير في تدّعون اي ماتدّعون من غفور رحيم نازلين ﴿والآخر﴾ ان يراد به القوت الذي يقام للنازل او الضيف ويكون حالاً مما تدّعون اي لكم ماتدّعون نزلاً من غفور رحيم صفة نزل وفيه ضمير يعود اليه وقولاً نصب على التفسير وقوله ولا السيّئة لا هاهنا زائدة مؤكّدة لتبعيد المساواة.

﴿المعنى﴾

ثمّ حكى سبحانه انّ الملائكة تقول للمؤمنين الذين استقاموا بعد البشارة (نحن أولياؤكم) اي نحن معاشر الملائكة انصاركم واحبّاؤكم (في الحيوة الدنيا) نتولّى إيصال الخيرات اليكم من قبل الله تعالى (وفي الآخرة) فلا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة عن مجاهد وقيل كنّا نتولّى حفظكم في الدنيا بأنواع المعونة وفي الآخرة نتولّاكم بأنواع الإكرام والمثوبة وقيل نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا اي نحرسكم في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة عن ابي جعفر (ع) (ولكم فيها) اي في الآخرة (ما تشتهي أنفسكم) من الملاذّ وتتمنّونه من المنافع (ولكم فيها ما تدّعون) انه لكم فإنّ الله سبحانه يحكم لكم بذلك وقيل انّ المراد بقوله ما تشتهي أنفسكم البقاء لأنّهم كانوا يشتهون البقاء في الدنيا أي لكم فيها ماكنتم تشتهون من البقاء ولكم فيها ماكنتم تتمنّونه من النعيم عن ابن زيد (نزلاً من غفور رحيم) معناه انّ هذا الموعود به مع جلالته في نفسه له جلالة بجعليه إذ هو عطاء لكم ورزق يجري عليكم ممّن يغفر الذنوب ويستر العيوب رحمةً منه لعباده فهو أهنأ لكم وأكمل لسروركم قال الحسن أرادوا ان جميع ذلك من الله وليس منّا وفي هذه الآية بشارة للمؤمنين بموقّة الملائكة لهم وفيها بشارة بنيل مشتهياتهم في الجنة وفيها دلالة على انّ الملائكة تتردّد إلى من كان مستقيماً على الطاعات وعلى شرف الاستقامة أيضاً تتولى الملائكة صاحبها من أجلها (ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً) صورته صورة الاستفهام والمراد به النفي تقديره وليس أحد أحسن قولاً ممّن دعا إلى طاعة الله وأضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصالحة (وقال انّني من المسلمين) أي ويقول مع ذلك انّني من المستسلمين لأمر الله المنقادين إلى طاعته وقيل: معناه ويقول انّني من جملة المسلمين كما قال ابراهيم وأنا أول المسلمين وهذا الداعي هو رسول الله ﷺ عن الحسن وابن زيد والسدّي وقيل هو وجميع الأئمّة الدعاة الهداة إلى الحقّ عن مقاتل وجماعة من المفسّرين وقيل هم المؤذّنون عن عائشة وعكرمة وفي هذه الآية ردّ على من قال أنا مؤمن ان شاء الله لأنّه مدح من قال انّني من المسلمين من غير أن يقرنه بالمشيئة وفي هذه الآية دلالة على انّ الدعاء إلى الدين من اعظم الطاعات وأجلّ الواجبات وفيها دلالة على انّ الداعي يجب ان يكون عاملا بعلمه ليكون الناس إلى القبول منه أقرب واليه أسكن ثمّ قال سبحانه (ولا تستوي الحسنة ولا السيّئة) قيل معناه لا تستوي الملّة الحسنة التي هي الإسلام والملّة السيّئة التي هي الكفر وقيل معناه لا تستوي الأعمال الحسنة ولا الاعمال القبيحة وقيل: لا تستوي الخصلة الحسنة والسيّئة فلا يستوي الصبر والغضب والحلم والجهل والمداراة والغلظة والعفو والإساءة ثمّ بيّن سبحانه ما يلزم على الداعي من الرفق بالمدعوّ فقال (ادفع بالتي هي أحسن) [خاطب النبي ﷺ فقال للنبي ﷺ ادفع بالتي هي احسن(١) خاطب النبي ﷺ فقال ادفع بحقك باطلهم وبحلمك جهلهم وبصفوك اساءتهم (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم) معناه فإنك إذا دفعت خصومك بلين ورفق ومداراة صار عدوّك الذي يعاديك في الدين بصورة وليّك القريب فكأنّه وليّك في الدين وحميمك في النسب وروي عن ابي عبد الله (ع) انّ الحسنة التقية والسيّئة الإذاعة (وما يلقّيها) اي وما يلقّى هذه الفعلة وهذه الحالة التي هي دفع السيّئة بالحسنة (إلا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل إلا الذين صبروا في الدنيا على الأذى عن ابي عبد الله «ع» (وما يلقّيها) اي وما يلقّى هذه الخصلة المذكورة ولا يوتاها (إلا ذو حظ عظيم) اي ذو نصيب وافر من الرأي والعقل وقيل إلا ذو نصيب عظيم من الثواب والخير وقيل: الحظّ العظيم الجنة عن قتادة وما يلقاها إلا من وجبت له الجنة وروي من

(١) ما بين المعقفتين زائد.

ابي عبد الله «ع» وما يلقاها إلا كل ذي حظ عظيم

النظم

اتصل قوله ومن احسن قولاً ممن دعا إلى الله الآية بما قبله من قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية فكأنه قال الا تعجبون من اعراض الكفار عن استماع القرآن وتواصيهم فيما بينهم باللغو في قراءته ولا قائل احسن قولاً من محمد ﷺ يدعوكم إلى من تقرون انه خالقكم ثم انه قد عمل في دينه بما دعاكم اليه فانتفت عنه التهمة من جميع الوجوه.

قوله تعالى (٣٦) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٧) وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٨) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤٢) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (سبع آيات)

(اللغة)

النزغ النخس[1] مما يدعو إلى الفساد يقال نزغ ينزَغ وفلان ينزغ فلاناً كأنه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب والحد: مال عن الحق ويقال لحد يلحد ايضاً بمعناه ويسمى القرآن ذكراً لأنه ذكر فيه الدلائل والاحكام

الإعراب

واما ينزغنك هي إن التي للجزاء زيد عليها ما تأكيداً فأشبه لذلك القسم فلذلك دخل الفعل نون التأكيد ان الذين كفروا بالذكر لم يذكر لإنّ خبراً والتقدير ان الذين كفروا بالذكر مبتدأ الخبر معذبون فحذف الخبر ويجوز ان يكون الخبر أولئك ينادون من مكان بعيد

المعنى

ثم أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ بالله إذا صرفه الشيطان عن الاحتمال فقال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ)[2] ان ما يدعوك نزغ من الشيطان بالوسوسة (فاستعذ بالله) أي فاطلب الاعتصام من شره بالله (انه هو السميع العليم) الآية مفسرة في آخر سورة الاعراف ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال (ومن آياته) أي حججه الدالة على وحدانيته وادلته على صفاته التي باين بها جميع خلقه (الليل) بذهاب الشمس عن بسيط الارض (والنهار) بطلوعها على وجهها وتقديرهما على وجه مستقر وتدبيرهما على نظام مستمر (والشمس والقمر) وما اختصا به من النور وظهر فيهما من التدبير في المسير والتصريف في فلك التدوير (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) وان كان فيهما منافع كثيرة لأنهما ليسا بخالقين (واسجدوا لله الذي خلقهن) وأنشأهن وانما قال خلقهن لوجهين احدهما ان ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث تقول هذا كباشك[3] فسقها وان شئت قلت فسقهن والآخر ان الضمير يرجع إلى معنى

---

[1] نخس الدابة نخساً غرز مؤخرها او جنبها بعود ونحوه فهاجت ونخس بفلان : هيجه وازعجه (٢)
[2] معناه (٣) جمع كبش وهو الحمل اذا دخل في السنة الثانية .

الآيات لأنه قال ومن آياته هذه الأشياء واسجدوا لله الذي خلقهن (إن كنتم إياه تعبدون) ان كنتم تقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون الله فاسجدوا لله دون غيره ثم قال (فإن استكبروا) عن توجيه العبادة إلى الله وحده (فالذين عند ربك) وهم الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) اي لا يملون ولا يفترون وهو مفسّر في سورة الاعراف والمروي عن ابن عباس وقتادة وابن المسيب انّ موضع السجود عند قوله وهم لا يسأمون وعن ابن مسعود والحسن انه عند قوله ان كنتم إياه تعبدون وهو اختيار ابي عمرو بن العلا وهو المروي عن أئمتنا «ع» (ومن آياته) اي ومن ادلته الدالة على ربوبيته (انك ترى الأرض خاشعة) أي غبراء دارسة متهشمة عن قتادة والسدي أي كان حالها حال الخاضع المتواضع وقيل ميتة يابسة لا نبات فيها قال الازهري إذا يبست الأرض ولم تمطر قيل قد خشعت (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) اي تحركت بالنبات وربت أي انتفخت وارتفعت قبل ان تنبت وقيل اهتزت بالنبات (وربت) بكثرة ريعها عن الكلبي (انّ الذي أحياها) أي أحيا الأرض بما أنزله من المطر (لمحي الموتى) في الآخرة مثل ذلك (انه على كل شيء قدير) ظاهر المعنى (انّ الذين يلحدون) اي انّ الذين يميلون عن الإيمان بآياتنا (لا يخفون علينا) باشخاصهم وأقوالهم وافعالهم وهذا وعيد عن قتادة وابن زيد والسدي وقد قيل انّ معنى الإلحاد في آيات الله هو ما كانوا يفعلونه من المكاء والصفير عن مجاهد وقيل: هو تبديلهم ذلك ووضعه في غير موضعه عن ابن عباس وقال بعض المفسّرين انّ المراد بالآيات هنا دلالات التوحيد والإلحاد فيها الانحراف عنها وترك الاستدلال بها ثم قال سبحانه على وجه الانكار عليهم والتهجين لفعلهم والتهديد لهم (أفمن يلقى في النار خير) وهم الملحدون (أم من يأتي آمناً يوم القيامة) من عذاب الله وهم المؤمنون المطيعون وهذا استفهام تقرير معناه انهما لا يستويان وقيل انّ الذي يلقى في النار ابو جهل والذي يأتي آمناً يوم القيامة رسول الله ﷺ عن مقاتل وقيل: هو عمّار بن ياسر عن عكرمة والصحيح انّ الآية على العموم والمراد بها المؤمن والكافر ثم قال سبحانه (اعملوا ما شئتم) لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد والتهديد أي إذا علمتم انهما لا يستويان فليختر كلّ واحد منكم لنفسه ما شاء من الامرين فإنّ العاقل لا يختار الالقاء في النار فإذا لم يختر ذلك فلا بدّ ان يؤمن بالآيات فلا يلحد فيها (انه بما تعملون) أي بأعمالكم (بصير) عالم لا يخفى عليه شيء منها ثم اخبر سبحانه عنهم مهدّداً لهم فقال (انّ الذين كفروا بالذكر) الذي هو القرآن وجحدوه (لما جائهم) اي حين جاءهم ثم اخذ سبحانه في وصف الذكر وترك خبر انّ على تقدير انّ الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم ونحو ذلك وقيل انّ خبره «أولئك ينادون من مكان بعيد» عن ابي عمرو بن العلا وقيل ان قوله (وانه لكتاب عزيز) في موضع الخبر والتقدير الكتاب الذي جاءهم عزيز وأمّا قوله وانه فالهاء يعود إلى القرآن الذي هو الذكر والمعنى انّ الذكر لكتاب عزيز بأنه لا يقدر أحد من العباد على ان يأتي بمثله وقيل انه عزيز باعزاز الله عزّ وجلّ إياه إذ حفظه من التغيير والتبديل وقيل هو عزيز إذ جعله الله على اتمّ صفات الاحكام وقيل عزيز بأنه يجب ان يعزّ ويجلّ بالانتهاء إلى ما فيه وترك الاعراض عنه وقيل عزيز أي كريم على الله عزّ وجلّ عن ابن عباس (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ انّ الباطل الشيطان ومعناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقاً أو يزيد فيه باطلا عن قتادة والسدي ﴿ وثانيها ﴾ انه لا يأتيه ما يبطله من بين يديه أي من الكتب التي قبله ولا من خلفه أي لا يجيء من بعده كتاب يبطله اي ينسخه عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ﴿ وثالثها ﴾ معناه انه ليس في اخباره عمّا مضى باطل ولا في اخباره عمّا يكون في المستقبل باطل بل اخباره كلها موافقة لمخبراتها وهو المروي عن ابي جعفر «ع» وابي عبدالله «ع» ﴿ ورابعها ﴾ لا يأتيه الباطل من أوّل تنزيله ولا من آخره عن الحسن ﴿ وخامسها ﴾ لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات فلا تناقض في الفاظه ولا كذب في اخباره ولا يعارض ولا يزاد فيه ولا يغيّر بل هو محفوظ حجّة على المكلّفين إلى يوم القيامة ويؤيده

قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (تنزيل من حكيم) اي هو تنزيل من عالم بوجوه الحكمة (حميد) مستحق للحمد على خلقه بالانعام عليهم والقرآن هو من اعظم نعمه فاستحق به الحمد والشكر

قوله تعالى (٤٣) مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٤) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص أأعجمي بهمزتين وقرأ هشام عن ابن عامر بهمزة واحدة وقرأ الباقون بهمزة واحدة ممدودة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الأعجمي الذي لا يفصح العرب كان او من العجم قالوا زياد الأعجم لآفة كانت في لسانه وكان عربيًا وقالوا صلاة النهار عجماء أي يخفى فيها القراءة ولا تبين ويجمع الاعجم على عجم انشد ابو زيد:

يَقُولُ الْخَنَا وَابْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقًا إِلَى رَبِّنَا صَوْتُ الْحِمَارِ الْيُجَدَّعُ (١)

أي ابغض صوت العجم صوت الحمار وتسمي العرب من لم يبين كلامه من أي صنف كان من الناس اعجم ومنه قول ابن الاخزر:

سَلُومُ (٢) لَوْ أَصْبَحْتَ وَسْطَ الْأَعْجَمِ بِالرُّومِ أَوْ بِالتُّرْكِ أَوْ بِالدَّيْلَمِ

فقال لو كنت وسط الأعجم ولم يقل وسط العجم لأنه جعل كل من لم يبين كلامه أعجم فكأنه قال وسط القبيل الاعجم والعجم خلاف العرب والعجمي خلاف العربي منسوب إلى العجم وإنما قوبل الاعجمي بالعربي في الآية وخلاف العربي العجمي لأن الاعجمي في انه لا يبين مثل العجمي عندهم فمن حيث اجتمعا في انهما لا يبينان قوبل به العربي في قوله «أعجمي وعربي وينبغي ان يكون الاعجمي الياء فيه للنسب نسبت إلى الاعجم الذي لا يفصح وهو في المعنى كالعجمي وان كانا يختلفان في النسبة فيكون الاعجمي عربيًا ويجوز ان يقال للرجل اعجمي ويراد به ما يراد باعجم بغير ياء النسب كما يقال احمر واحمري و دوّار ودوّاري وقوله ولو نزّلناه على بعض الاعجمين مما جمع على ارادة ياء النسب فيه مثل قولهم النميرون ولولا ذلك لم يجز جمعه بالواو والنون ألا ترى انك لا تقول في الاحمر إذا كان صفةً أحمرون وانما جاز الاعجمون لما ذكرنا فأما الأعاجم فينبغي ان تكون تكسير اعجمي كما كان المسامعة تكسير مسمعي وقد استعمل هذا الوصف استعمال الاسماء فمن ذلك قوله (حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لِأَعْجَمَ طِمْطِمِ (٣) فينبغي ان يكون من باب الأجارع (٤) والاباطح وأما قوله تعالى اعجمي وعربي فالمعنى المنزل اعجمي والمنزل عليه عربي فقوله اعجمي وعربي يرتفع كل منهما على انه خبر مبتدأ محذوف وهذه الآية في المعنى كقوله ولو نزّلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين .

﴿ المعنى ﴾

ثم عزّى سبحانه نبيه ﷺ على تكذيبهم فقال (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) أي ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا ما قد قيل للأنبياء قبلك من التكذيب والجحد لنبوتهم عن قتادة والسدي

(١) الخنا : الفحش في الكلام وجدّعه : قطع انفه والمراد من قوله أبغض الخ تهجين المهجوّ بتشبيهه في قول الخنا بالحمار المجدّع وتوصيف الحمار بجدع الانف لانه اذا قطع انفه صار صوته انكر (٢) سلوم منادى حذف عنه حرف النداء (٣) هذا عجز بيت لعنترة صدره : تأوى له قلص النعام اذا أوت . وقلص النعام : اولادها و

والجبائي وقيل معناه ما يقول الله لك إلا ما قد قاله للرسل من قبلك وهو الأمر بالدعاء إلى الحق في عبادة الله ولزوم طاعته فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب وقيل معناه ما حكاه تعالى بعده من (انّ ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) فيكون على جهة الوعد والوعيد اي انه لذو مغفرة لمن آمن بك وذو عقاب أليم لمن كذّب بك (ولو جعلناه قرآناً اعجمياً) اي لو جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصّلت آياته) اي هلّا بيّنت بلسان العرب حتى نفهمه (أأعجمي وعربي) اي كتاب اعجمي ونبي عربي وهذا استفهام على وجه الانكار والمعنى انهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل اعجمي وكان ذلك أشدّ لتكذيبهم فبيّن الله سبحانه انه أنزل الكتاب بلغتهم وأرسل الرسول من عشيرتهم ليكون ابلغ في الحجة واقطع للمعذرة (قل) يا محمد لهم (هو) اي القرآن (للذين آمنوا هدىً) من الضلالة (وشفاء) من الاوجاع وقيل وشفاء للقلوب من كلّ شكّ وريب وشبهة وسمّى اليقين شفاءً كما سمّى الشك مرضاً في قوله في قلوبهم مرض (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) اي ثقل وصَمَم عن سماعه من حيث يثقل عليهم استماعه فلا ينتفعون به فكأنهم صُمّ عنه (وهو عليهم عمى) عميت قلوبهم عنه عن السدّي يعني انهم لما ضلّوا عنه وحاروا عن تدبّره فكأنه عمىً لهم (أولئك ينادون من مكان بعيد) اي انهم لا يسمعون ولا يفهمون كما انّ من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وإنما قال ذلك لبعد افهامهم وشدّة اعراضهم عنه وقيل لبعده عن قلوبهم عن مجاهد وقيل ينادى الرجل منهم في الآخرة بأشنع اسمه عن الضحاك (ولقد آتينا موسى الكتاب) اي التوراة (فاختلف فيه) لأنه آمن به قوم وكذّب به آخرون وهذه تسلية للنبي ﷺ ايضاً عن جحود قومه له وانكارهم لنبوّته (ولولا كلمة سبقت من ربّك) في تأخير العذاب عن قومك وانه لا يعذبهم وأنت فيهم (لقضي بينهم) اي لفرغ من عذابهم واستئصالهم وقيل: معناه لولا حكم سبق من ربك بتأخيرهم العذاب إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم فيظهر المحقّ من المبطل (وانهم لفي شكّ منه مريب) اي وانّ قومك لفي شك مما ذكرناه موقع لهم الريبة وهو افظع الشك.

(١) ليس في بعض النسخ لفظة العذاب.

قوله تعالى (٤٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٧) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٨) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٩) لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٥٠) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ خمس آيات

(القراءة)

قرأ اهل المدينة والشام وحفص من ثمرات على الجمع والباقون من ثمرة على التوحيد

الحِزَق جمع حزقة اى الجماعات وطِمْطِم من فى نطقه عُجمة اى تأوى افراخ النعام الى الظليم وهو الذكر من النعام كما تأوى الابل اليمانية الى راع اعجم عىّ لا يفصح وجه الشبه شدة سواد الظليم والراعى وشدة سواد القلوس و الابل اليمانية (٤) جمع الاجرع اى رملة مستوية لا تنبت شيئاً

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من ثمرة إذا افرد يدل على الكثرة واستغنى به عن الجمع ويقوّي الافراد قوله وما تحمل من أنثى وحجّة من جمع انّ الجمع صحيح وانّ المعنى على ذلك.

﴿ اللغة ﴾

الاكام جمع كِمّ وكِمّ جمع كمّة عن ابن خالويه وقيل هي جمع كمة عن ابي عبيدة وهي الكُفُرّي[1] وتكمّم الرجل في ثوبه إذا تلفّف به والإيذان الإعلام.

﴿ المعنى ﴾

ثمّ احتجّ سبحانه عليهم بأن قال (من عمل صالحاً فلنفسه) اي من عمل طاعة فلنفسه لأنّ ثواب ذلك واصل اليه ومنفعته تكون له دون غيره (ومن أساء فعليها) اي من عمل معصية فعلى نفسه وبال ذلك وعقابه يلحقه دون غيره (وما ربّك بظلّام للعبيد) وهذا على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه للعبيد وإنّما قال ذلك مع انّه لا يظلم مثقال ذرّة لأمرين ﴿ احدهما ﴾ انّ من فعل الظلم وان قلّ وهو عالم بقبحه وبأنّه غنيّ عنه لكان ظلّاما ﴿ والآخر ﴾ انّه على طريق الجواب لمن زعم انّه يظلم العباد فيأخذ احداً بذنب غيره ويثيبه بطاعة غيره ثم بيّن سبحانه انّه العالم بوقت القيامة فقال (اليه يردّ علم الساعة) التي يقع فيها الجزاء للمطيع والعاصي وهو يوم القيامة (وما تخرج من ثمرات من اكمامها) اى وما تخرج ثمرة من اوعيتها وغلفها (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) اي ولا تحمل انثى من حمل ذكراً كان او انثى ولا تضع انثى إلا في الوقت الذي علم سبحانه انّها تحمل فيه وتضع فيه فيعلم سبحانه قدر الثمار وكيفيتها واجزاءها وطعومها وروائحها ويعلم ما في بطون الحبالى وكيفية انتقالها حالاً بعد حال حتى يصير بشراً سويّاً (ويوم يناديهم) اي ينادي الله المشركين (أين شركائي) اي في قولكم وزعمكم كما قال اين شركائي الذين كنتم تزعمون (قالوا آذنّاك مامنّا من شهيد) اي يقولون اعلمناك ما منّا شاهد بأنّ لك شريكاً يتبرّؤن يومئذ من ان يكون مع الله شريك (وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل) اي بطل عنهم وذهب ما كانوا أملوه من اصنامهم (وظنّوا) اي ايقنوا (ما لهم من محيص) اي من مهرب وملجأ دخل الظنّ على ما التي للنفي كما تدخل على لام الابتداء وكلاهما له صدر الكلام والمعنى انّهم علموا ان لا مخلص لهم من عذاب الله وقد يعبّر بالظن عن اليقين فيما طريقه الخبر دون العيان ثم بيّن سبحانه طريقتهم في الدنيا فقال (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) قال الكلبي الإنسان هاهنا يراد به الكافر اي لا يملّ الكافر من دعائه الخير ولا يزال يسأل ربّه الخير الذي هو المال والغنى والصحة والولد (وإن مسّه الشرّ) اي البلاء والشدّة والفقر (فيؤوس) اي فهو يؤوس شديد اليأس من الخير (قنوط) من الرحمة وقيل يؤوس من إجابة الدعاء قنوط سيّء الظنّ بربّه (ولئن اذقناه رحمة منّا) اي خيراً وعافية وغنىً (من بعد ضرّاء مسّته ليقولنّ هذا لي) اي هذا بعملي وانا محقوق به عن مجاهد قال وكلّ هذا من اخلاق الكافر وقيل معناه هذا لي دائماً ابداً (وما اظنّ الساعة قائمة) اي كائنة على ما يقوله المسلمون (ولئن رجعت إلى ربي انّ لي عنده للحسنى) اي لست على يقين من البعث فإن كان الأمر على ذلك ورددت الى ربّي إنّ لي عنده الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الجنة سيعطيني في الآخرة مثل ما اعطاني في الدنيا ثم هدّد سبحانه من هذه صفته بأن قال (فلننبّئنّ الذين كفروا بما عملوا) اي لنقفنّهم يوم القيامة على

---

(١) بتثليث الكاف والفاء وعاء طلع النخل.

مساوى اعمالهم عن ابن عباس (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) اي شديد متراكم

قوله تعالى (٥١) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥٢) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٤) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ

اربع آيات

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن جهل الإنسان الذي تقدّم وصفه بمواقع نعم الله سبحانه فقال (وإذا انعمنا على الإنسان اعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) اي بعُد بجانبه تكبّراً وتجبّراً عن الاعتراف بنعم الله تعالى ومن قرأ ناء فإنه مقلوب من نأى كما في قول الشاعر:

أَقُولُ وَقَدْ نَاءَتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى ... نَوًى خَيْتَعُورٍ: لَا تَشُطِّ دِيَارُكِ(١)

(وإذا مسّه الشرّ) اي الضرّ او الفقر او المرض (فذو دعاء عريض) اي فهو ذو دعاء كثير عند ذلك عن السدّي وإنّما قال فذو دعاء عريض ولم يقل طويل لأنّه ابلغ فإنّ العرض يدلّ على الطول والطول لا يدلّ على العرض اذ قد يصحّ طويل ولا عرض له ولا يصحّ عريض ولا طول له فإنّ العرض الانبساط في خلاف جهة الطول والطول الامتداد في ايّ جهة كان وفي الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر القائلين بأنّه ليس لله على الكافر نعمة فإنّ الله سبحانه اخبر بأنّه ينعم على الكافر وأنّه يعرض عن موجبها من الشكر والمراد بالآية انّ الكافر يسأل ربّه بالتضرع والدعاء ان يكشف ما به من الضرّ والبلاء ويعرض عن الدعاء في الرخاء (قل) يا محمد (أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله) وقيل ان كان هذا الانعام من عند الله (ثمّ كفرتم به) وجحدتموه (من اضلّ ممّن هو في شقاق بعيد) اي في خلاف للحق بعيد عنه وهو انتم والشقاق والمشاقّة الميل الى شقّ العداوة اي فلا احد اضلّ منكم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم) اختلف في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ انّ المعنى سنريهم حججنا ودلائلنا على التوحيد في آفاق العالم واقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار والبحار والجبال وفي انفسهم وما فيها من لطائف الصنعة وبدائع الحكمة (حتى يتبيّن لهم) اي يظهر لهم (انّه الحقّ) اي أنّ الله الحق عن عطاء وابن زيد ﴿ وثانيها ﴾ انّ معناه سنريهم آياتنا ودلائلنا على صدق محمد ﷺ وصحّة نبوّته في الآفاق اي بما يفتح من القرى عليه وعلى المسلمين في اقطار الأرض وفي انفسهم يعني فتح مكة عن السدّي والحسن ومجاهد وقالوا هو ظهور محمد ﷺ على الآفاق وعلى مكّة حتى يعرفوا انّ ما أتى به من القرآن حقّ ومن عند الله لأنّهم بذلك يعرفون انّه مؤيّد من قبل الله تعالى بعد أن كان واحداً لا ناصر له ﴿ وثالثها ﴾ انّ المراد بقوله في الآفاق وقائع الله في الأمم وفي انفسهم وقعة يوم بدر عن قتادة ﴿ ورابعها ﴾ انّ معناه سنريهم آياتنا في الآفاق بصدق ما كان يخبرهم به النبي ﷺ من الحوادث فيها وفي انفسهم يعني ما كان بمكّة من انشقاق القمر حتى يعلموا انّ خبره حقّ من قبل الله سبحانه ﴿ وخامسها ﴾ انّ المراد سنريهم آثار من

(١) الخيتعور كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب وبمعنى الغول ... وشطّ يشطّ شطّاً وشطوطاً : بعُد ولا تشطّ ديارُك محكي اقول في صدر البيت ونوى خيتعور مفعول مطلق نوعي لقوله: ناءت وهو محل الاستشهاد .

مضى من قبلهم ممن كذب الرسل من الأمم وآثار خلق الله في كل البلاد وفي انفسهم من انهم كانوا نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ثم كسيت لحماً ثم نقلوا الى التمييز والعقل وذلك كله دليل على ان الذي فعله واحد ليس كمثله شيء عن الزجاج (او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) موضع قوله بربك رفع والمعنى اولم يكف ربك وانه على كل شيء شهيد في موضع رفع ايضاً على البدل وان حملته على اللفظ فهو في موضع جر والمفعول محذوف وتقديره اولم يكف شهادة ربك على كل شيء ومعنى الكفاية هنا انه سبحانه بين للناس ما فيه كفاية من الدلالة على توحيده وتصحيح نبوة رسله قال مقاتل معناه اولم يكف ربك شاهداً ان القرآن من عند الله وقيل معناه اولم يكف ربك لأنه على كل شيء شهيد اي عليم بالأشياء شاهد لجميعها لا يغيب عنه شيء (ألا انهم في مرية من لقاء ربهم) الا كلمة تنبيه وتأكيد ان الكفار في شك من لقاء ثواب ربهم وعقابه اي في شك من مجازاة ربهم وفي هذا تسفيه لهم في اضافة العبث إلى الله (ألا انه بكل شيء محيط) اي احاط علمه بكل شيء فلا يخفى عليه شيء

سورة حمعسق

وتسمى سورة الشورى ايضا وهي مكية عن الحسن إلا قوله والذين استجابوا والذين إذا اصابهم إلى قوله لا يحب الظالمين وعن ابن عباس وقتادة إلا اربع آيات منها نزلن بالمدينة قل لا اسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى قال ابن عباس ولما نزلت هذه الآية قال رجل والله ما انزل الله هذه الآية فأنزل الله ام يقولون افترى على الله كذباً ثم ان الرجل تاب وندم فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده إلى قوله لهم عذاب شديد

عدد آيها

ثلاث وخمسون آية كوفي وخمسون في الباقي

اختلافها

ثلاث آيات حمعسق كالاعلام ثلثهن كوفي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأ سورة حمعسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون وروى سيف بن عميرة عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ حم عسق بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقول عبدي أدمنت قراءة حم عسق ولم تدر ما ثوابها أما لو دريت ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها ولكن سأجزيك جزاءك أدخلوه الجنة وله فيها قصر من ياقوتة حمراء ابوابها وشرفها ودرجها منها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وله فيها حوراوان من الحور العين والف جارية والف غلام من الولدان المخلدين الذين وصفهم الله .

تفسيرها

ختم الله سورة حم السجدة بذكر القرآن وافتتح هذه السورة بذكره ايضا فقال.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) عسق (٣) كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن

قبلك الله العزيز الحكيم (٤) له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم (٥) تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير كذلك يوحى اليك بفتح الحاء والباقون يوحي بكسر الحاء وفي الشواذ رواية الأعمش عن ابن مسعود حم سق بغير عين

الحجة

قال ابو علي من قرأ يوحى فبنى الفعل للمفعول به احتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ انّ المعنى يوحى اليك السورة كما اوحى إلى الذين من قبلك زعموا انّ هذه السورة قد اوحى إلى الأنبياء قبل ﴿ والآخر ﴾ ان يكون الجارّ والمجرور يقومان مقام الفاعل ويجوز ان يكون قوله تعالى الله العزيز الحكيم تبيينا للفاعل كقوله يسبح له فيها ثم قال رجال كأنّه قيل من يسبح فقال رجال ومن قرأ يوحي اليك علي بناء الفعل للفاعل فإنّ اسم الله يرتفع بفعله وأمّا اختلاف القرّاء في يتفطرن وينفطرن والوجه في ذلك فقد مرّ ذكره في سورة مريم وقال ابن جنّي قراءة ابن مسعود حم سق مما يؤكد انّ الغرض في هذه الفواتح انّما هو لكونها فواصل بين السور ولو كان في اسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شيء منها بل كانت مؤدّاة بأعيانها وقد كان ابن عباس قد قرأها بلا عين ايضا وكان يقول السين كلّ فرقة تكون والقاف كلّ جماعة تكون

المعنى

(حم) قد مضى تفسيره (عسق) قيل انّما فضّلت هذه السورة من بين سائر الحواميم بعسق لأنّ جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه فذكر عسق ليكون دلالة على الكتاب دلالة التضمين وان لم يدل عليه دلالة التصريح وهو معنى قول قتادة فإنّه قال هو اسم من اسماء القرآن وقيل لأنّ هذه السورة انفردت بأنّ معانيها اوحيت إلى سائر الأنبياء فلذلك خصّت بهذه التسمية وقال عطا: هي حروف مقطعة من حوادث آتية فالحاء من حرب والميم من تحويل ملك والعين من عدوّ مقهور والسين من الاستئصال بسنين كسني يوسف والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض وسائر الأقوال في ذلك مذكورة في أوّل البقرة (كذلك يوحي اليك وإلى الذين من قبلك) أي كالوحي الذي تقدّم يوحي اليك اخبار الغيب وما يكون قبل ان يكون وإلى الذين من قبلك من الأنبياء عن عطا عن ابن عباس قال وما من نبيّ انزل الله عليه الكتاب إلا أنزل عليه معاني هذه السورة بلغاتهم وقيل معناه كهذا الوحي الذي يأتي في هذه السورة يوحي اليك لأنّ ما لم يكن حاضراً تراه صلح فيه هذا لقرب وقته وذلك لبعده في نفسه ومعنى التشبيه في كذلك انّ بعضه كبعض في انّه حكمة وصواب بما تضمّنه من الحجج والمواعظ والفوائد (الله) الذي تحق له العبادة (العزيز) القادر الذي لا يغالب (الحكيم) المحكم لأفعاله (له ما في السموات وما في الأرض وهو العليّ) المستعلي على كلّ قادر (العظيم) شأنه (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) اي تكاد كلّ واحدة من السماوات تنشقّ من فوق التي تليها من قول المشركين اتّخذ الله ولداً استعظاما

لذلك عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تكاد السماوات يتشققن فرقاً من عظمة الله وجلاله من فوقهن تقديره ممن فوقهن اي من عظمة من فوقهن عن الضحاك وقتادة والزجاج وقيل من فوقهن اي من فوق الأرضين وهذا على طريق التمثيل والمعنى لو كانت السماوات تنفطر لشيء لانفطرت لهذا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) اي ينزهونه عما لا يجوز عليه في صفاته ويعظمونه عما لا يليق به في ذاته وافعاله وروي عن ابي عبد الله (ع) والملائكة ومن حول العرش يسبحون بحمد ربهم لا يفترون (ويستغفرون لمن في الأرض) من المؤمنين (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) والمعنى ظاهر.

قوله تعالى (٦) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٧) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٨) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٩) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ خمس آيات

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن امهاله الكفار بعد تقديم الانذار فقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء) اي آلهة عبدوها من دون الله يعني كفار مكة (الله حفيظ عليهم) اي حافظ عليهم اعمالهم لا يعزب شيء منها عنه ليجازيهم على ذلك كله (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) اي وما أنت بمسلط عليهم لتدخلهم في الإيمان قهراً وقيل معناه إنك لم توكل بحفظ اعمالهم وإنما بعثت نذيراً لهم داعياً إلى الله مبيناً سبيل الرشد اي فلا يضيقن صدرك بتكذيبهم اياك وفيه تسلية للنبي ﷺ (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً) اي ومثل ما اوحينا إلى من تقدمك من الأنبياء بالكتب التي أنزلناها عليهم بلغة قومهم أوحينا اليك قرآناً بلغة العرب ليفقهوا ما فيه (لتنذر أم القرى ومن حولها) اي لتنذر أهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من سائر الناس وقرى الأرض كلها (وتنذر يوم الجمع) اي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السماوات والارضين فيوم الجمع مفعول ثان لتنذر وليس بظرف (لا ريب فيه) اي لا شك في كونه ثم قسم سبحانه أهل يوم الجمع فقال (فريق في الجنة وفريق في السعير) اي فريق منهم في الجنة بطاعتهم وفريق منهم في النار بمعصيتهم (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) اي ولو شاء الله ان يحملهم على دين واحد وهو الإسلام بأن يلجئهم اليه لفعله ولكنه لم يفعله لأنه يؤدي إلى ابطال التكليف والتكليف إنما يثبت مع الاختيار عن الجبائي وقيل ان معناه ولو شاء الله لسوى بين الناس في المنزلة بأن يخلقهم في الجنة ولكنه اختار لهم أعلى الدرجتين وهو استحقاق الثواب (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) وهم المؤمنون (والظالمون ما لهم من وليّ) يواليهم (ولا نصير) يمنع عنهم عذاب الله (أم اتخذوا من دونه أولياء) اي بل اتخذ الكافرون من دون الله اولياء من الأصنام والأوثان يوالونهم (فالله هو الوليّ) معناه ان المستحق للولاية في الحقيقة هو الله تعالى دون غيره لأنه المالك للنفع والضر (وهو يحيي الموتى) اي يبعثهم

للجزاء (وهو على كلّ شيء قدير) من الإحياء والإماتة وغير ذلك (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) معناه انّ الذي تختلفون فيه من أمور دينكم ودنياكم وتتنازعون فيه فحكمه إلى الله فإنّه الفاصل بين المحقّ والمبطل فيه فيحكم للمحقّ بالثواب والمدح وللمبطل بالعقاب والذمّ وقيل معناه فبيان الصواب إلى الله بنصب الأدلّة وقيل فحكمه إلى الله يوم القيامة فيجازي كلّ احد بما يستحقّه (ذلكم الله) الذي يحكم بين المختلفين (ربّي) اي هو ربّي (عليه توكّلت) في مهمّاتي (واليه أنيب) اي اليه ارجع في جميع أموري.

قوله تعالى (١١) فَاطِرُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٣) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصّٰى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٤) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٥) فَلِذٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الذرأ اظهار الخلق بإيجاده يقال ذرأ الله الخلق يذروهم ومنه ملح ذَرْآني لظهور بياضه ويقال أنمى الله ذراك وذروك اي ذرّيتك عن الأزهري وشرع الله الدين اي بيّن واظهر ومنه المشرعة والشريعة لأنّهما في مكان معلوم ظاهر من الانهار فالشريعة والشرعة الظاهر المستقيم من المذاهب التي شرعها الله.

﴿ الإعراب ﴾

ان أقيموا الدين يجوز ان يكون موضعه رفعاً ونصباً وجراً فالرفع على معنى هو أن أقيموا الدين والنصب على معنى شرع لكم أن أقيموا الدين والجر على البدل من الهاء في به وجائز ايضاً ان يكون أن أقيموا الدين تفسيراً لما وصّى به نوحاً ولقوله والذي أوحينا اليك ولقوله وما وصّينا به ابراهيم فيكون المعنى شرع لكم ولمن قبلكم إقامة الدين وترك الفرقة فيه.

(المعنى)

ثم وصف سبحانه نفسه بما يوجب ان لا يعبد غيره فقال: (فاطر السموات والأرض) اي خالقها ومبدعها ابتداء (جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) اي اشكالاً مع كلّ ذكر أنثى يسكن اليها ويألفها (ومن الأنعام أزواجا) اي ذكوراً وإناثا لتكمل منافعكم بها كما قال ثمانية أزواج من الضأن اثنين إلى آخره

: يذروكم فيه)اي يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعل الازواج فالهاء في فيه يعود إلى الجعل المراد بقوله جعل لكم وقيل معناه يذروكم في التزاوج لتكثروا به لدلالة الكلام عليه وهو ذكر الازواج ومثله قول ذي الرمة

وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيداً وَسَالِفَةً وَأَحْسَنُهُ قَذَالاً(١)

اي واحسن من ذكر يعني الثقلين وقال الزجاج والفراء معناه يذروكم به اي يكثركم بأن جعل من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام ازواجاً وأنشد الأزهري في ذلك:

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَأَهْلِهِ وَلَكِنَّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

اي ارغب بها عن لقيط (ليس كمثله شيء) اي ليس مثله شيء والكاف زائدة مؤكدة لمعنى النفي قال اوس بن حجر:

وَقَتْلَى كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلِ يَغْشَاهُمُ سَبَلٌ مُنْهَمِرُ(٢)

وقال آخر:

سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ إِذَا ابْصَرْتَ فَضْلَهُمُ مَا إِنْ كَمِثْلِهِمُ فِي النَّاسِ مِنْ أَحَدِ

وقيل معناه إنه لو قدر لله تعالى مثل لم يكن لذلك المثل مثل لما تقرر فالمعقول ان الله تعالى متفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فلو كان له مثل لتفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فكان هو الله وقد دل الدليل على انه ليس مع الله إله آخر وقيل: فيه حذف مضاف ومثل بمعنى الصفة تقديره ليس كصاحب صفته شيء وصاحب صفته هو اي ليس كهو شيء والوجه هو الأول (وهو السميع البصير) لما نفى ان يكون له نظير وشبيه على وجه من الوجوه بين انه مع ذلك سميع بصير فإنما المدحة في انه لا مثل له مع كونه سميعاً بصيراً لجميع المسموعات والمبصرات (له مقاليد السموات والأرض) اي مفاتيح أرزاق السماوات والأرض واسبابها فتمطر السماء بأمره وتنبت الارض بإذنه عن مجاهد وقيل معناه خزائن السماوات والأرض عن السدي (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء على ما يعلمه من المصالح للعباد (انه بكل شيء عليم) فيفعل ذلك بحسب المصالح ثم خاطب سبحانه خلقه فقال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً) اي بين لكم ونهج واوضح من الدين والتوحيد والبراءة من الشرك ما وصى به نوحاً (والذي أوحينا اليك) اي وهو الذي أوحينا اليك يا محمد(٣) وهو (ما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) ثم بين ذلك بقوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وإقامة الدين التمسك به والعمل بموجبه والدوام عليه والدعاء اليه ولا تتفرقوا اي ولا تختلفوا فيه وائتلفوا فيه واتفقوا وكونوا عباد الله اخواناً (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) من توحيد الله والإخلاص له ورفض الأوثان وترك دين الآباء لأنهم قالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً ومعناه ثقل عليهم وعظم اختيارنا لك بما تدعوهم اليه وتخصيصك بالوحي والنبوة دونهم (الله يجتبي اليه من يشاء) اي ليس اليهم الاختيار لأن الله يصطفي لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرسالة وتحمله لها فاجتباك الله لها كما اجتبى من قبلك من الانبياء وقيل معناه الله يصطفي من عباده لدينه من يشاء (ويهدي اليه من ينيب) اي ويرشد إلى دينه من يقبل إلى طاعته وهذا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل يهدي إلى جنته وثوابه من يرجع اليه بالنية والإخلاص ثم قال (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) معناه وإن هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك إلا بعد أن أتاهم طريق العلم بصحة نبوتك

(١) مية معشوقته . السالفة : صفحة العنق وقيل ناحية مقدمها من لدن معلق القرط الى فقرة الترقوة والقذال جماع مؤخر الرأس وقيل ما بين نقرة القفا الى الاذن (٢) السبل: المطر النازل من السحاب قبل ان يصل الى

فعدلوا عن النظر فيه (بغياً بينهم) أي فعلوا ذلك للظلم والحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا وقيل معناه وما تفرقوا عنه اي عن محمد ﷺ الا بعد أن علموا انه حق ولكنهم تفرقوا عنه حسداً له وخوفاً أن تذهب رئاستهم (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمّىً لقضي بينهم) معناه ولولا وعد الله تعالى واخباره بتبقيتهم الى وقت معلوم وتأخير العذاب عنهم في الحال لفصل بينهم الحكم وأنزل عليهم العذاب الذي استحقوه عاجلا وقيل معناه ولولا وعد الله بتأخير عذابهم الى يوم القيامة وهو الأجل المسمّى لقضي بينهم باهلاك المبطل واثابة المحق (وانّ الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) معناه وانّ اليهود والنصارى الذين اورثوا الكتاب من بعد قوم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومن بعد احبارهم لفي شك من القرآن او من محمد ﷺ مؤدٍ الى الريبة عن السدّي بيّن بذلك أنّ أحبارهم انكروا الحق عن معرفته وان عوامهم كانوا شاكين فيه يدلّ عليه قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه وقيل معناه وانّ الذين اورثوا الكتاب أي القرآن وهم العرب من بعدهم أي من بعد اليهود والنصارى لفي شكّ منه بليغ ولو استقصوا في النظر ادّى بهم الى اليقين والرشد (فلذلك فادع) اي فإلى ذلك فادع عن الفراء والزجاج يقال دعوت لفلان والى فلان وذلك اشارة الى ما وصى به الأنبياء من التوحيد ومعناه فإلى الدين الذي شرعه الله تعالى ووصّى به أنبياءه فادع الخلق يا محمد وقيل إن اللام للتعليل اي فلأجل الشك الذي هم فيه فادعهم الى الحق حتى تزيل شكّهم (واستقم كما أمرت) أي فاثبت على امر الله وتمسّك به واعمل بموجبه وقيل واستقم على تبليغ الرسالة (ولا تتبع اهوائهم) يعني اهواء المشركين في ترك التبليغ (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) اي آمنت بكتب الله التي أنزلها على الأنبياء قبلي كلها (وامرت لأعدل بينكم) اي كي اعدل بينكم اي اسوّي بينكم في الدين والدعاء الى الحقّ ولا احابي احداً وقيل معناه امرت بالعدل بينكم في جميع الاشياء وفي الحديث ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات العدل في الرضاء والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السرّ والعلانية والمهلكات شحّ مطاع وهوى متّبع واعجاب المرء بنفسه (الله ربنا وربكم) اي وقل لهم ايضاً الله مدبّرنا ومدبّركم ومصرّفنا ومصرّفكم والمنعم علينا وعليكم وإنّما قال ذلك لأنّ المشركين قد اعترفوا بأنّ الله هو الخالق (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) أي لا يضرّنا اصراركم على الكفر فإنّ جزاء اعمالنا لنا وجزاء اعمالكم لكم لا يؤاخذ احداً بذنب غيره (لا حجّة بيننا وبينكم) اي لا خصومة بيننا وبينكم عن مجاهد وابن زيد والمعنى انّ الحق قد ظهر فسقط الجدال والخصومة وكنّى بالحجّة عن الخصومة لاحتجاج أحد الخصمين على الآخر وهذا قبل أن يؤمر بالقتال واذا لم يؤمر بالقتال وامر بالدعوة لم تكن بينه وبين من لا يجيب خصومة وقيل معناه لا حجّة بيننا وبينكم لظهور امركم في البغي علينا والعداوة لنا والمعاندة لا على طريق الشبهة وليس ذلك تحريماً لإقامة الحجة لأنه لا يلزم قبول الدعوة الا بالحجة التي يظهر بها المحق من المبطل فإذا صار الإنسان الى البغي والعداوة سقط الحجاج بينه وبين أهل الحق (الله يجمع بيننا) يوم القيامة لفصل القضاء (واليه المصير) يحكم بيننا بالحقّ وفي هذا غاية التهديد.

قوله تعالى (١٦) وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٧) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ

الارض(٣) لايخفى ان قوله تعالى : الذى .. وماوصينا . مفعول لشرع كما فى سائر التفاسير وهو رحمه الله تبع التبيان وارجع ضمير هو الى المشروع المستفاد من ذيل الاية (ان اقيموا الدين ..) ولايخفى مافيه.

لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٨) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٩) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٢٠) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (خمس آيات)

المعنى

لما تقدم ظهور الحجة وانقطاع المحاجة عقبه بذكر من يحاج بالباطل فقال سبحانه (والذين يحاجون في الله) اي يخاصمون النبي ﷺ والمسلمين في دين الله وتوحيده وهم اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق عن مجاهد وقتادة وإنما قصدوا بما قالوا ليدفعوا ما أتى به محمد ﷺ (من بعد ما استجيب له) اي من بعد ما دخل الناس في الإسلام واجابوه الى ما دعاهم اليه (حجتهم داحضة عند ربهم) اي خصومتهم باطلة حيث زعموا أن دينهم افضل من الإسلام ولأن ما ذكروه لا يمنع من صحة نبوة نبينا بأن ينسخ الله كتابهم وشريعة نبيهم وقيل معناه والذين يجادلون في الله بنصرة مذهبهم من بعد ما استجيب للنبي ﷺ دعاؤه في كفار بدر حتى قتلهم الله بايدي المؤمنين واستجيب دعاؤه على أهل مكة وعلى مضر حتى قحطوا ودعاؤه للمستضعفين حتى خلصهم الله من ايدي قريش وغير ذلك مما يطول تعداده عن الجبائي وقيل من بعد ما استجيب لمحمد ﷺ دعاؤه في اظهار المعجزات واقامتها وقيل من بعد ما استجيب له بأن أقروا به قبل مبعثه فلما بعث جحدوه كما قال وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وانما سمى سبحانه شبهتهم حجة على اعتقادهم ولشبهها بالحجة اجرى عليها اسمها من غير اطلاق الصفة بها (وعليهم غضب) اي غضب الله عليهم لأجل كفرهم (ولهم عذاب شديد) دائم يوم القيامة (الله الذي انزل الكتاب) اي القرآن (بالحق) اي بالصدق فيما اخبر به من ماض ومستقبل وقيل بالحق اي بالأمر والنهي والفرائض والأحكام وكنه حق من الله (والميزان) اي وانزل الله العدل والميزان عبارة عن العدل كنى به عنه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ومقاتل وإنما سمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الانصاف والتسوية بين الخلق وقيل اراد به الميزان المعروف وأنزله الله من السماء وعرفهم كيف يعملون به بالحق وكيف يزنون به عن الجبائي وقيل الميزان محمد ﷺ يقضي بينهم بالكتاب عن علقمة ويكون على التوسع والتشبيه ولما ذكر العدل اتبعه بذكر الساعة فقال (وما يدريك لعل الساعة قريب) اي وما يدريك يا محمد ولا غيرك لعل مجيء الساعة قريب وإنما اخفى الله الساعة ووقت مجيئها على العباد ليكونوا على خوف وليبادروا الى التوبة ولو عرفهم مجيئها لكانوا مغرين بالقبائح قبل ذلك تعويلاً على التلافي بالتوبة (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) لجهلهم باحوالها واهوالها فلا يخافون ما فيها إذ لم يؤمنوا بها فهم يطلبون قيامها ابعاداً لكونها (والذين آمنوا مشفقون منها) اي خائفون من مجيئها وهم غير متأهبين لها (ويعلمون انها الحق) اي أن مجيئها الحق الذي لا خلف فيه (الا إن الذين يمارون) اي تدخلهم المرية والشك (في الساعة) فيخاصمون في مجيئها على وجه الانكار لها (لفي ضلال) عن الصواب (بعيد) حين لم يذكروا فيعلموا أن الذي خلقهم أولاً قادر على بعثهم ثم قال (الله لطيف بعباده) اي حفي بار بهم رفيق عن ابن عباس وعكرمة والسدي

وقيل اللطيف العالم بخفيات الامور والغيوب والمراد به هنا الموصل المنافع الى العباد من وجه يدق ادراكه وذلك في الأرزاق التي قسمها الله لعباده وصرف الآفات عنهم وايصال السرور والملاذ اليهم وتمكينهم بالقدر والآلات الى غير ذلك من الطافه التي لا يوقف على كنهها لغموضها ثم قال سبحانه (يرزق من يشاء) اي يوسّع الرزق على من يشاء يقال فلان مرزوق اذا وصف بسعة الرزق وقيل معناه يرزق من يشاء في خفض ودعة ومن يشاء في كدّ ومشقّة ومتعبة وكلّ من رزقه الله من ذي روح فهو ممّن شاء الله أن يرزقه (وهو القويّ) القادر الذي لا يعجز (العزيز) الغالب الذي لا يغالب (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) معنى الحرث في اللغة الكسب وفلان يحرث لعياله ويحترث اي يكتسب اي من كان يريد بعمله نفع الآخرة ويعمل لها نجازه بعمله ونضاعف له ثواب عمله فنعطيه على الواحد عشرة ونزيد على ذلك مانشاء (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) اي ومن كان يريد بعمله نفع الدنيا نعطه نصيباً من الدنيا لا جميع ما يريده بل على حسب ما تقتضيه الحكمة كما قال سبحانه عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وما له في الآخرة من نصيب وقيل معناه من قصد بالجهاد وجه الله فله سهم الغانمين والثواب في الآخرة ومن قصد به الغنيمة لم يحرم ذلك وحصل له سهمه من الغنيمة ولكن لا نصيب له من الثواب في الآخرة وروي عن النبي ﷺ انه قال من كانت نيّته الدنيا فرّق الله عليه امره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت نيّته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقيل من كان يعمل للآخرة نال الدنيا والآخرة ومن عمل للدنيا فلا حظّ له في ثواب الآخرة لأنّ الأعلى لا يجعل تبعاً للأدون عن الحسن.

قوله تعالى (٢١) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٣) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٥) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف يبشر الله بفتح الياء وسكون الباء وضمّ الشين والباقون يبشّر الله بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ويعلم ما تفعلون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء.

-(الإعراب)-

ذلك الذي يبشّر الله عباده تقديره الذي يبشّر الله به عباده فحذف الباء ثم حذف الهاء ويجوز أن يكون الذي حكمه حكم ما التي تكون مصدرية أي ذلك تبشير الله عباده ويمح الله الباطل ليس بمعطوف على يختم لأنّ محو الباطل واجب فلا يكون معلّقاً بالشرط

﴿ المعنى ﴾

لمّا اخبر الله سبحانه أنّ من يطلب الدنيا باعماله فلاحظّ له في الآخرة قال (ام لهم شركاء) اي بل لهؤلاء الكفار شركاء فيما كانوا يفعلونه (شرعوا لهم) اي بيّنوا لهم ونهجوا لهم (من الدين ما لم يأذن به الله) اي مالم يأمر به الله ولا أذن فيه اي شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام عن ابن عباس (ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم) اي لولا انّ الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب لهذه الأمة الى الآخرة لفرغ من عذاب الذين يكذّبونك في الدنيا (وانّ الظالمين) الذين يكذّبونك (لهم عذاب اليم) في الآخرة (ترى الظالمين مشفقين) اي خائفين (مما كسبوا) اي من جزاء ما كسبوا من المعاصي وهو العقاب الذي استحقّوه (وهو واقع بهم) لا محالة لا ينفعهم منه خوفهم من وقوعه والإشفاق الخوف من جهة الرقّة على المخوف عليه من وقوع الأمر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) فالروضة الارض الخضرة بحسن النبات والجنة الارض التي يحفّها الشجر (لهم فيها ما يشاؤون عند ربهم) اي لهم ما يتمنّون ويشتهون يوم القيامة الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غير ربهم ولا يريد بعند قرب المسافة لأنّ ذلك من صفات الاجسام وقيل عند ربهم اي في حكم ربهم (ذلك هو الفضل الكبير) اي ذلك الثواب هو الفضل العظيم من الله إذ نالوا نعيماً لا ينقطع بعمل قليل منقطع ثم قال (ذلك) الفضل الكبير (الذي يبشّر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ليستعجلوا بذلك السرور في الدنيا من شدّد الشين اراد به التكثير ومن خفّف فلأنّه يدلّ على القليل والكثير ثمّ قال سبحانه (قل) لهم يا محمد (لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى) اختلف في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً إلا التوادّ والتحابّ فيما يقرّب الى الله تعالى من العمل الصالح عن الحسن والجبائي وابي مسلم قالوا هو التقرّب الى الله تعالى والتودّد اليه بالطاعة ﴿ وثانيها ﴾ أنّ معناه إلا أن تودّوني في قرابتي منكم وتحفظوني لها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة قالوا وكل قريش كانت بينه وبين رسول الله ﷺ قرابة وهذا لقريش خاصة والمعنى ان لم تودّوني لأجل النبوّة فودّوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم ﴿ وثالثها ﴾ أنّ معناه الا ان تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم عن علي بن الحسين (ع) وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وجماعة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) واخبرنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثني القاضي ابو بكر الحميري قال اخبرنا ابو العباس الضبعي قال اخبرنا الحسن بن علي بن زياد السري قال اخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني[1] قال حدثنا حسين الأشتر قال اخبرنا قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لمّا نزلت قل لا أسألكم عليه أجراً الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله بمودّتهم قال علي وفاطمة وولدها واخبرنا السيد ابو الحمد قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم بالإسناد المذكور في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل مرفوعاً الى ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ انّ

(١) الحماني خ ل .

الله تعالى خلق الأنبياء من اشجار شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا اوراقها فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى ولو انّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة الف عام ثم الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا كبّه الله على منخريه في النار ثم تلا قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودّة في القربى وروى زاذان عن علي (ع) قال فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا كل مؤمن ثم قرأ هذه الآية والى هذا اشار الكميت في قوله

وَجَدْنا لَكُمْ فِي آلِ حَمَ آيَةً تَأَوَّلَهَا مِنّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ(١)

وعلى الأقوال الثلاثة فقد قيل في الا المودّة قولان: ﴿احدهما﴾ انه استثناء منقطع لأنّ هذا مما يجب بالإسلام فلا يكون اجراً للنبوّة ﴿والآخر﴾ انه استثناء متصل والمعنى لا أسألكم عليه اجراً الا هذا فقد رضيت به أجراً كما انك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك برّاً فتقول له اجعل برّي قضاء حاجتي وعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لا أسألكم عليه اجراً الا هذا ونفعه ايضاً عائد عليكم فكأني لم أسألكم اجراً كما مرّ بيانه في قوله قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس انّ رسول الله ﷺ حين قدم المدينة واستحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها نأتي رسول الله ﷺ فنقول له إن تعرُك امور فهذه اموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك فأتوه في ذلك فنزلت قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودّة في القربى فقرأها عليهم وقال تودّون قرابتي من بعدي فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله فقال المنافقون انّ هذا لشيء افتراه في مجلسه اراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت ام يقولون افترى على الله كذباً فارسل اليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم فأنزل الله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الآية فارسل في اثرهم فبشّرهم وقال ويستجيب الذين آمنوا وهم الذين سلّموا لقوله ثم قال سبحانه (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أي من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسناً بأن نوجب له الثواب وذكر ابو حمزة الثمالي عن السدي قال انّ اقتراف الحسنة المودّة لآل محمد ﷺ وصحّ عن الحسن بن علي (ع) انه خطب الناس فقال في خطبته انا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كل مسلم فقال قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً فاقتراف الحسنة مودّتنا اهل البيت وروى اسماعيل بن عبد الخالق عن ابي عبدالله (ع) انه قال انها نزلت فينا أهل البيت اصحاب الكساء (ان الله غفور شكور) اي غفور للسيئات شكور للطاعات يعامل عباده معاملة الشاكر في توفية الحق حتى كأنه ممتن وصل اليه النفع فشكره (ام يقولون افترى على الله كذبا) اي بل يقولون افترى محمد على الله كذبا في ادعائه الرسالة من الله (فإن يشأ الله يختم على قلبك) اي لو حدثت نفسك بأن تفتري على الله كذبا لطبع الله على قلبك ولأنساك القرآن فكيف تقدر أن تفتري على الله وهذا كقوله لئن اشركت ليحبطنّ عملك وقيل معناه فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشقّ عليك قولهم انه مفترٍ وساحر عن مجاهد(٢) ومقاتل فعلى هذا لا يحتاج الى اضمار وحذف ثم اخبر سبحانه انه يذهب ما يقولونه باطلا فقال (ويمح الله الباطل) اي يزيله ويرفعه بإقامة الدلائل على بطلانه وحذف الواو من يمحو في المصاحف كما حذف من قوله سندع الزبانية على اللفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين وليس بمعطوف على قوله يختم لأنه مرفوع يدلّ عليه قوله (ويحق الحق بكلماته) اي ويثبت الحق باقواله التي ينزلها على نبيه ﷺ وهو هذا القرآن المعجز (انه عليم بذات الصدور) اي بضمائر القلوب (وهو الذي يقبل التوبة

(١) تقي اي صاحب التقية والمعرب اي من يظهر مذهبه علانية (٢) وفي نسخة مجاهد وقتادة و مقاتل

عن عباده) وان جلّت معاصيهم فكأنّه قال من تاب قبلت توبته وإن جلّت معصيته (ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) من خير وشرّ فيجازيهم على ذلك.

قوله تعالى (٢٦) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٧) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٨) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٩) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٣٠) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (خمس آيات)

القراءة

قرأ أهل المدينة وابن عامر وما اصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم بغير فاء. والباقون بالفاء.

الحجة

قال ابو علي القول في ذلك انّ اصاب في قوله وما اصابكم يحتمل امرين يجوز أن يكون صلة ما ويجوز أن يكون شرطاً في موضع جزم فمن قدّره شرطاً لم يجز حذف الفاء منه على قول سيبويه وقد تأوّل ابو الحسن بعض الآي على حذف الفاء في جواب الشرط وقال بعض البغداديين حذف الفاء من الجواب جائز واستدلّ على ذلك بقوله وان اطعتموهم انكم لمشركون واذا كان صلة فالإثبات والحذف جائزان على معنيين مختلفين امّا اذا ثبت الفاء ففيه دليل على انّ الأمر الثاني وجب بالأول واذا لم يذكر الفاء جاز ان يكون الثاني وجب للأول وجاز ان يكون لغيره

المعنى

لمّا تقدّم وعيد أهل العصيان عقّبه سبحانه بالوعد لأهل الطاعة فقال (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي يجيبهم الى ما يسألونه وقيل معناه يجيبهم في دعاء بعضهم لبعض عن معاذ بن جبل وقيل معناه يقبل طاعاتهم وعباداتهم ويزيدهم من فضله على ما يستحقّونه من الثواب وقيل معناه ويستجيب الذين آمنوا بأن يشفّعهم في اخوانهم (ويزيدهم من فضله) ويشفّعهم في اخوان اخولنهم عن ابن عباس وروي عن ابي عبد الله (ع) قال قال رسول الله ﷺ في قوله ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممّن احسن اليهم في الدنيا (والكافرون لهم عذاب شديد) ظاهر المعنى ولمّا بيّن سبحانه انّه يزيد المؤمنين من فضله اخبر عقيبه انّ الزيادة في الارزاق في الدنيا تكون على حسب المصالح فقال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) اي لو وسّع الرزق على عباده على حسب ما يطلبونه لبطروا النعمة وتنافسوا وتغالبوا وظلموا في الارض وتغلّب بعضهم على بعض وخرجوا عن الطاعة قال ابن عباس بغيهم في الارض طلبهم منزلة بعد منزلة ودابّة بعد دابّة وملبساً بعد ملبس (ولكن ينزّل بقدر ما يشاء) اي ولكنّه ينزّل من الرزق قدر صلاحهم ما يشاء نظراً منه لهم عن قتادة والمعنى انه يوسّع الرزق على من تكون مصلحته فيه ويضيّق على من يكون مصلحته فيه ويؤيّده الحديث الذي رواه أنس عن النبي ﷺ عن جبرائيل (ع) عن الله انّ من عبادي من لا يصلحه الا السقم ولو صحّته لافسده وانّ من عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو أسقمته لأفسده وانّ من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده وانّ من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده وذلك انّي ادبّر عبادي لعلمي بقلوبهم والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة ومتى قيل نحن نرى كثيراً ممّن يوسّع عليه الرزق يبغي في الارض قلنا انّا اذا علمنا على الجملة انه سبحانه يدبر امور

عباده بحسب ما يعلم من مصالحهم فلعلّ هؤلاء كان يستوي حالهم في البغي وسّع عليهم اولم يوسّع اولعلّهم لولم يوسّع عليهم لكانوا أسوء حالا في البغي فلذلك وسّع عليهم والله اعلم بتفاصيل احوالهم (انّه بعباده خبير بصير) اي عليم باحوالهم بصير بما يصلحهم وما يفسدهم ثم بيّن سبحانه حسن نظره بعباده فقال (وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ماقنطوا) اي ينزله عليهم من بعد مايئسوا من نزوله والغيث ما كان نافعاً في وقته والمطر قد يكون نافعاً وقد يكون ضاراً في وقته وغير وقته ووجه انزاله بعد القنوط انّه ادعى الى شكر الآتي به وتعظيمه والمعرفة بموقع احسانه (وينشر رحمته) اي ويفرّق نعمته ويبسطها باخراج النبات والثمار التي يكون سببها المطر (وهو الوليّ) الذي يتولّى تدبير عباده وتقدير امورهم ومصالحهم المالك لهم (الحميد) المحمود على جميع افعاله لكون جميعها احساناً ومنافع (ومن آياته) الدالّة على وحدانيّته وصفاته التي باين بها خلقه (خلق السموات والارض) لأنه لا يقدر على ذلك غيره لما فيهما من العجائب والاجناس التي لايقدر عليها القادر بقدرته (وما بثّ فيهما من دابّة) والدابّة ما تدبّ فيدخل فيه جميع الحيوانات (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) اى وهو على حشرهم الى الموقف بعد اماتتهم قادر لا يتعذّر عليه ذلك ثم قال سبحانه (وما اصابكم) معاشر الخلق (من مصيبة) من بلوى في نفس او مال (فبما كسبت ايديكم) من المعاصي (ويعفو عن كثير) منها فلا يعاقب بها قال الحسن: الآية خاصّة بالحدود التي تستحقّ على وجه العقوبة وقال قتادة هي عامّة وروي عن علي (ع) انّه قال قال رسول الله ﷺ خير آية في كتاب الله هذه الآية يا علي ما من خدش عود ولا نكبة قدم الا بذنب وما عفا الله عنه في الدنيا فهو اكرم من ان يعود فيه وما عاقب عليه في الدنيا فهو اعدل من أن يثني على عبده وقال أهل التحقيق انّ ذلك خاصّ وان خرج مخرج العموم لما يلحق من مصائب الاطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين ولأنّ الأنبياء والأئمّة يمتحنون بالمصائب وان كانوا معصومين من الذنوب لما يحصل لهم على الصبر عليها من الثواب.

﴿ النظم ﴾

والوجه في اتّصال هذه الآية بما قبلها انّ الله تعالى لمّا بيّن عظيم انعامه على العباد بيّن بعده ان لا يعاقبهم إلا على معاصيهم

قوله تعالى (٣١) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣٢) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٣) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٤) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٥) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ

(خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة وابن عامر الجوار بحذف الياء في الوصل والوقف وقرأ الباقون الجواري باثبات الياء في الوصل وابن كثير ويعقوب في الوقف ايضا وقرأ أهل المدينة وابن عامر يعلم الذين يجادلون بالرفع والباقون ويعلم بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي القياس الجواري ومن حذف فلأنّ حذف هذه الياءات وان كانت لاماً قد كثر في كلامهم فصار كالقياس المستمرّ ومن قرأ يعلم بالرفع استأنف لأنّه موضع استئناف من حيث جاء من بعد الجزاء وان شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف ومن نصب فلأنّ قبله شرط وجزاء وكل واحد منهما غير واجب تقول في الشرط

إن تأتني وتعطيني اكرمك فتنصب تعطيني وتقديره ان يكن إتيان منك واعطاء اكرمك فالنصب بعد الشرط إذا عطفت عليه بالفاء امثل من النصب بالفاء بعد جزاء الشرط فأما قوله.

وَمَنْ لَا يُقَدِّمْ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً فَيُثْبِتَهَا فِي مُسْتَوَى الْأَرْضِ يَزْلَقِ

فالنصب فيه حسن لمكان النفي فامّا العطف على الشرط نحو إن تأتني وتكرمني فاكرمك فالذي يختار سيبويه النصب في العطف على جزاء الشرط[1] فيختار ويعلم الذين يجادلون اذا لم يقطعه من الاول فيرفعه ويزعم أن المعطوف على جزاء الشرط شبيه بقوله وألحقُ بالحجاز فأستريحا[2] قال الآ انّ من ينصب في العطف على جزاء الشرط امثل من ذلك لأنّه ليس يوقع فعلا الا بأن يكون من غيره فعل فصار بمنزلة غير الواجب وزعم سيبويه أنّ بعضهم قرأ يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالنصب وانشد للاعشى في نصب ما عطف بالفاء على الجزاء:

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ أَهْلِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرّاً وَمَسْحَباً

وَتُدْفَنَ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِئْ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا[3]

فهذا حجة لمن قرأ ويعلم

اللغة

الأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء:

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فيظللن اي يدمن ويقمن يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهاراً والرواكد الثوابت والإيباق الإهلاك والإتلاف ووبق الرجل يَبِق ووبق يوبَق اذا هلك والمحيص المعدل والملجأ.

المعنى

ثم قال سبحانه (وما انتم) يا معشر المشركين (بمعجزين في الأرض) اي لا تعجزونني حيث ما كنتم فلا تسبقونني هرباً في الارض وفي هذا استدعاء الى العبادة وترغيب فيما أمر به وترهيب عمّا نهى عنه (وما لكم من دون الله من ولي) يدفع عنكم عقابه (ولا نصير) ينصركم عليه (ومن آياته) اي ومن حججه الدالّة على اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره (الجوار) اي السفن الجارية (في البحر كالأعلام) اي كالجبال الطوال (ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) اي ان يشأ الله يسكن الريح فتبقى السفن راكدة واقفة على ظهر الماء لا يبرحن عن المكان لأنّ ماء البحر يكون راكداً فلو لم تجئ الريح لوقفت السفينة في البحر ولم تجر فالله سبحانه جعل الريح سبباً لجريها فيه وجعل هبوبها في الجهة التي تسير اليها السفينة (انّ في ذلك) الذي ذكر (لآيات) اي حججاً واضحات (لكلّ صبّار) على امر الله (شكور) على نعمته وقيل صبّار على ركوبها شكور على جريها والنجاة من البحر (او يوبقهن بما كسبوا) معناه ان يشأ اسكان الريح يسكن الريح أو ان يشأ يجعل الريح عاصفة فيهلك السفن اي اهلها بالغرق في الماء عقوبة لهم بما كسبوا من المعاصي (ويعف عن كثير) من أهلها فلا يغرقهم ولا يعاجلهم بعقوبة معاصيهم (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) اي في ابطال آياتنا ودفعها (ما لهم من محيص) اي ملجأ يلجأون اليه عن السدّي

قوله تعالى (٣٦) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا

(١) وفي نسخة : العطف على الشرط (٢) اوله: سأترك ناقتي لبني تميم. وهو لمغيرة بن حنين (٣) مجزأ ومسحباً بمعنى. وكبكب: جبل . مقصوده ان من بعد عن اهله يصير مظلوماً ولم يزل يرى مصارعه في كل مكان فان عمل

رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٩) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٤٠) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم هنا وفي سورة والنجم كبير الإثم على التوحيد والباقون كبائر الإثم على الجمع

(الحجة)

حجة الجمع قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ومن قال كبير فافرد جاز أن يريد به الجمع كقوله وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها.

الإعراب

واذا ما غضبوا هم يغفرون يجوز ان يكون هم تأكيداً للضمير في غضبوا ويغفرون جواب اذا ويجوز أن يكون هم ابتداء ويغفرون خبره وكذا هم ينتصرون وان شئت كان هم وصفاً للمنصوب قبله وان شئت كان مبتدأ وقياس قول سيبويه أن يرتفع هم بفعل مضمر دلّ عليه هم ينتصرون.

المعنى

ثم خاطب سبحانه من تقدّم وصفهم فقال (فما أوتيتم من شيء) اي الذي اعطيتموه من شيء من الأموال (فمتاع الحيوة الدنيا) اي فهو متاع الحياة الدنيا تتمتّعون بـه أياماً ثم تموتون فيبقى عنكم او يهلك المال قبل موتكم (وما عند الله) من الثواب والنعيم وما اعدّه للجزاء على الطاعة (خير وابقى) من هذه المنافع القليلة (للذين آمنوا) اي صدّقوا بتوحيد الله وبما يجب التصديق به (وعلى ربهم يتوكّلون) والتوكل على الله تفويض الامور اليه باعتقاد انها جارية من قبله على احسن التدبير مع الفزع اليه بالدعاء من كل ما ينوب (والذين يجتنبون كبائر الإثم) يجوز أن يكون موضع الذين جرّاً عطفاً على قوله للذين آمنوا فيكون المعنى وما عند الله خير وابقى للمؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كبائر الإثم (والفواحش) ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء ويكون الخبر محذوفاً فيكون المعنى والذين يجتنبون الكبائر والفواحش (واذا ماغضبوا) ممّا يفعل بهم من الظلم (هم يغفرون) ويتجاوزون عنه لهم مثل ذلك والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح القبيح والمغفرة في الآية المراد بها ما يتعلّق بالإساءة الى نفوسهم فمتى عفوا عنها كانوا ممدوحين فأمّا مايتعلّق بحقوق الله وواجبات حدوده فليس للإمام تركها ولا العفو عنها ولا يجوز له العفو عن المرتدّ وعمّن جرى مجراه ثم زاد سبحانه في صفاتهم فقال (والذين استجابوا لربّهم) أي اجابوه فيما دعاهم اليه من امور الدين (واقاموا الصلوة) اي اداموها في اوقاتها بشرائطها (وأمرهم شورى بينهم) يقال صار هذا الشيء شورى بين القوم اذا تشاوروا فيه وهو فعلى من المشاورة وهي المفاوضة في الكلام ليظهر الحقّ اي لا يتفرّدون بأمر حتى يشاوروا غيرهم فيه وقيل انّ المعنيّ بالآية الانصار كانوا اذا ارادوا امراً قبل الإسلام وقبل قدوم النبي ﷺ اجتمعوا وتشاوروا ثم عملوا عليه فأثنى الله عليهم بذلك وقيل هو تشاورهم حين سمعوا بظهور النبي ﷺ وورود النقباء عليه حتى اجتمعوا في دار ابي ايوب على الإيمان به والنصرة له عن الضحاك وفي هذا دلالة على فضل المشاورة في الامور وقد روي عن النبي ﷺ انّه قال ما من رجل يشاور احداً الا هدي الى الرشد (وممّا رزقناهم ينفقون) في طاعة الله تعالى وسبيل الخير (والذين اذا اصابهم البغي) من غيرهم (هم ينتصرون) ممّن بغى عليهم من غير ان يعتدوا عن السدّي وقيل ينتصرون اي يتناصرون ينصر بعضهم بعضاً نحو يختصمون ويتخاصمون عن ابي مسلم وقيل يعني به المؤمنين الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممّن ظلمهم عن عطاء وقيل

صالحاً دفنوه وان عمل شراً شهروه به كالنار على جبل كبكب وفي جميع النسخ «وتدفن» مع ان الغرض من الاستشهاد ان يكون فتدفن ليكون من العطف على الجزاء بالفاء . وقيل كوكبا بدل كبكباً .

جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عمّن ظلمهم وهم الذين ذكروا قبل هذه الآية وهو قوله واذا ماغضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون ممّن ظلمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية فمن انتصر وأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ماحدّالله فهو مطيع لله ومن اطاع الله فهو محمود عن ابن زيد ثم ذكر سبحانه حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) قيل هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله تقول اخزاك الله من غير أن تعتدي عن ابن نجيح والسدّي ومجاهد وقيل يعني القصاص في الجراحات والدماء عن مقاتل وسمّى الثانية سيئة لأنها في مقابلة الأولى كما قال فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم ذكر سبحانه العفو فقال (فمن عفى واصلح فأجره على الله) اي فمن عفا عمّا له المؤاخذة به واصلح امره فيما بينه وبين ربه فثوابه على الله (انه لا يحبّ الظالمين) ثم بيّن سبحانه انه لم يرغب المظلوم في العفو عن الظالم لميله الى الظالم او لحبّه إيّاه ولكن ليعرضه[1] بذلك لجزيل الثواب ولحبّه الاحسان والفضل وقيل انه لايحبّ الظالم في قصاص وغيره بتعدّيه عما هو له الى ما ليس له وقيل ان الآية الاولى عامّة في وجوب التناصر بين المسلمين وهذه الآية في خاصّة الرجل يجازي من ظلمه بمثل ما فعله او يعفو وقد روي عن النبي ﷺ انه قال اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من كان اجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي اجره على الله فيقال العافون عن الناس فيدخلون الجنة بغير حساب

قوله تعالى (٤١) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٣) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٤) وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٥) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ خمس آيات

الإعراب

انّ ذلك لمن عزم الامور جواب القسم الذي دلّ عليه قوله ولمن صبر وغفر كما قال سبحانه لئن اخرجوا لايخرجون معهم وقيل بل هي جملة في موضع خبر المبتدأ الذي هو من صبر وغفر والتقدير ان ذلك منه لمن عزم الامور وحسن الحذف لطول الكلام وقوله خاشعين منصوب على الحال من يُعْرَضون ويعرضون في موضع النصب على الحال من تراهم

المعنى

ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) معناه من انتصر لنفسه وانتصف من ظالمه بعد ظلمه اضاف الظلم الى المظلوم اي بعد ان ظلم وتعدي عليه فاخذ لنفسه بحقّه فالمنتصرون ما عليهم من اثم وعقوبة وذمّ ومثله في اضافة المصدر الى المفعول قوله من دعاء الخير (إنما السبيل) اي الاثم والعقاب (على الذين يظلمون الناس) ابتداء (ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم) اي موجع (ولمن صبر) اي تحمّل المشقّة في رضاء الله (وغفر) فلم ينتصر فـ (إنّ ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) اي من ثابت الامور التي امر الله تعالى بها فلم تنسخ وقيل عزم الامور هو الأخذ باعلاها في باب نيل الثواب والأجر (ومن يضلل الله) اي ومن يضلله الله عن رحمته وجنته (فماله من وليّ) اي معين (من بعده) اي سواه وقيل من عذّبه الله عقوبة له على عناده وجحوده فما له من وليّ يلي أمره ويدفع عذاب الله عنه (وترى الظالمين لمّا رأوا العذاب) اي ترى الظالمين يا محمد اذا شاهدوا عذاب النار (يقولون هل الى مردّ) اي

(١) من باب عرض المتاع للبيع والهاء يعود الى المظلوم اى ليجعل نفسه معرضاً لجزيل الثواب

رجوع وردّ الى دار الدنيا (من سبيل) تمنياً منهم لذلك (وتراهم) يا محمد (يعرضون عليها) اي على النار قبل دخولهم النار (خاشعين من الذل) اي ساكنين متواضعين في حال العرض (ينظرون من طرف خفيّ) اي خفيّ النظر لما عليهم من الهوان يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلّة في نفوسهم عن الحسن وقتادة وقيل خفيّ ذليل من ابن عباس ومجاهد وقيل من عين لا تفتح كلها وانما نظروا ببعضها الى النار[1] (وقال الذين آمنوا) لما رأوا عظيم ما نزل بالظالمين (انّ الخاسرين) في الحقيقة هم (الذين خسروا انفسهم) بأن فوّتوها الانتفاع بنعيم الجنة (واهليهم) اي واولادهم وازواجهم واقاربهم لا ينتفعون بهم (يوم القيامة) لما حيل بينهم وبينهم وقيل واهليهم من الحور العين في الجنة لو آمنوا (الا انّ الظالمين في عذاب مقيم) هذا من قول الله تعالى والمقيم الدائم الذي لا زوال له

قوله تعالى (٤٦) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٧) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٨) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا[2] وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٥٠) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ.

خمس آيات

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن الظالمين الذين ذكرهم فقال (وما كان لهم من اولياء) لا فيما عبدوه من دونه ولا فيمن اطاعوه في معصيته اي نُصّار (ينصرونهم من دون الله) ويدفعون عنهم عقابه (ومن يضلل الله فما له من سبيل) يوصله الى الجنة ثم قال سبحانه (استجيبوا لربكم) اي اجيبوا داعي ربكم يعني محمداً ﷺ فيما دعاكم اليه ورغبكم فيه من المصير الى طاعته والانقياد لامره (من قبل أن يأتي يوم لا مرّد له من الله) اي لا رجوع بعده الى الدنيا وقيل معناه لا يقدر احد على رده ودفعه وهو يوم القيامة عن الجبائي وقيل معناه لا يردّ ولا يؤخر عن وقته وهو يوم الموت عن ابي مسلم ، ما لكم من ملجأ يومئذ) اي معقل يعصمكم من العذاب (وما لكم من نكير) اى انكار وتغيير للعذاب وقيل من نصير منكر ما يحلّ بكم ثم قال لنبيه ﷺ (فإن اعرضوا) يعني الكفار اى عدلوا عما دعوتهم اليه (فما ارسلناك عليهم حفيظاً) اي مأموراً بحفظهم لئلا يخرجوا عما دعوتهم اليه كما يحفظ الراعي غنمه لئلا يتفرقوا اي فلا تحزن لإعراضهم (ان عليك الا البلاغ) اي ليس عليك الا ايصال المعنى الى افهامهم والبيان لما فيه رشدهم (وانّا اذا اذقنا الانسان منا رحمة) واوصلنا اليه نعمة (فرح بها) اى بطر لأن الفرح المراد هنا ما قارنه أشر او جحود او انكار لأنه خرج مخرج الذم وقيل انّ الرحمة هنا العافية (وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم) اي قحط او فقر او مرض او غير ذلك مما يسوءهم (فإن الانسان كفور) بعدّد المصيبة ويجحد النعم ثم بيّن سبحانه ان النعم كلها منه فقال (لله ملك السماوات والأرض) اي له التصرف فيهما وفيما بينهما وسيا ستهما بما تقتضيه الحكمة (يخلق ما يشاء) من انواع الخلق (يهب لمن يشاء) من خلقه (اناثا) فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) البنين فلا يولد له انثى (او يزوّجهم ذكراناً واناثاً) معناه او يجمع لهم بين البنين والبنات تقول العرب زوّجت إبلي اي جمعت بين صغارها وكبارها قال مجاهد هو ان تلد المرأة غلاماً ثم جارية ثم غلاماً ثم جارية وقيل: هو ان تلد توأماً ذكراً وانثى او ذكراً وذكراً او انثى وانثى

(١) في المخطوطة بزيادة وخوفاً منها (٢) [يهب لمن يشاء].

عن ابن زيد وقيل هو ان يجمع في الرحم الذكر والأنثى عن محمد بن الحنفية (ويجعل من يشاء) من الرجال والنساء (عقيماً) لا يلد ولا يولد له (انه عليم) بما خلق (قدير) على خلق من يشاء .

قوله تعالى (٥١) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥٢) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٣) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ثلاث آيات

القراءة

قرأ نافع او يرسل بالرفع فيوحي بسكون الياء والباقون او يرسلَ فيوحيَ بالنصب

الحجة

قال ابو علي من نصب او يرسل فلا يخلو من أن يكون محمولا على ان في قوله ان يكلمه الله او على غيره فلا يجوز أن يكون محمولا عليه لأنه يصير تقديره ما كان لبشر أن يكلمه الله او أن يرسل رسولا اليه ولم يخل قوله او يرسل رسولا من أن يكون المراد أو يرسله رسولا او يكون او يرسل اليه رسولا والتقدير ان جميعاً فاسدان الا ترى انّ كثيراً من البشر قد ارسل رسولا وكثيراً منهم قد ارسل اليه الرسل فإذا لم يخل من هذين التقديرين ولم يصحّ واحد منهما علمت انّ المعنى ليس عليه والتقدير على غيره فالذي عليه المعنى والتقدير الصحيح ما ذهب اليه الخليل من أن يحمل يرسل على ان يوحي الذي يدل عليه وحيا فصار التقدير ما كان لبشر ان يكلمه الله الا أن يوحي وحيا أو يرسل رسولا فيوحي ويجوز في قوله إلا وحياً امران ﴿ احدهما ﴾ أن يكون استثناء منقطعا ﴿ والآخر ﴾ أن يكون حالا فإن قدّرته استثناء منقطعا لم يكن في الكلام شيء يوصل بمن لأنّ ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما بعده لأنّ حرف الاستثناء في معنى حرف النفي الا ترى انّك اذا قلت قام القوم الا زيداً فالمعنى قام القوم لازيد فكما لا يعمل ما قبل حرف النفي فيما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء اذا كان كلاماً تاماً فيما بعده اذ كان بمعنى النفي وكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد الا فيما قبلها نحو ما انا الخبز الا آكل كما لم يعمل ما بعد حرف النفي فيما قبله فإذا كان كذلك لم يتّصل الجارّ بما قبل الا ويمتنع أن يتّصل به الجارّ من وجه آخر وهو انّ قوله أو من وراء حجاب في صلة وحي الذي هو بمعنى أن يوحي فإذا كان كذلك لم يجز ان يحمل الجارّ الذي هو من قوله او من وراء حجاب على او يرسل لأنّك تفصل بين الصلة والموصول بما ليس منهما الا ترى ان المعطوف على الصلة في الصلة فإذا حملت العطف على ما ليس في الصلة فصلت بين الصلة والموصول بالأجنبيّ الذي ليس منهما فإذا لم يجز حمله على يكلّمه من قوله ما كان لبشر أن يكلّمه الله ولم يكن بدّ من أن يعلّق الجارّ بشيء ولم يكن في اللفظ شيء تحمله عليه اضمرت يكلّم وجعلت الجارّ في قوله او من وراء حجاب متعلقا بفعل مراد في الصلة محذوف منها للدلالة عليه وقد يحذف من الصلة اشياء للدلالة عليها ويكون في المعنى معطوفا على الفعل المقدر صلة لأنّ الموصول وهي يوحي فيكون التقدير ما كان لبشر ان يكلّمه الله الا ان يوحي اليه او يكلّمه من وراء حجاب فحذف يكلّم من الصلة لأنّ ذكره قد جرى وان كان خارجا من الصلة فحسّن ذلك حذفه من الصلة وسوّغه الا ترى انّ ما قبل حرف الاستفهام مثل ما قبل الصلة في انّه لا يعمل في الصلة كما لا يعمل ما قبل الاستفهام فيما كان من حيّز الاستفهام وقد جاء الآن وقد عصيت قبل والمعنى الآن آمنت وقد عصيت قبل فلمّا

كان ذكر الفعل قد جرى في الكلام اضمر ولا يجوز ان يقدّر عطف او من وراء حجاب على الفعل الخارج من الصلة فيفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي منهما كما في قوله الا ان يكون ميتة أو دماً مسفوحاً او لحم خنزير فإنه رجس ثم قال او فسقا اهلّ لغير الله به فعطف بأو وعلى ما في الصلة بعد ما فصل بين الصلة والموصول بقوله فإنه رجس لأنّ قوله فإنّه رجس من الاعتراض الذي يسدّد ما في الصلة ويوضحه فصار بذلك بمنزلة الصفة لما في الصفة من التبيين والتخصيص ومثل هذا في الفصل في الصلة قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيّئة بمثلها وترهقهم ذلة وفصّل بقوله جزاء[1] بمثلها وعطف عليه قوله وترهقهم ذلة على الصلة مع هذا الفصل من حيث قوله جزاء سيّئة بمثلها يسدّد ما[2] الصلة واما من رفع فقال او يرسل رسولا فجعل يرسل حالا فإنّ الجارّ في قوله او من وراء حجاب متعلق بمحذوف ويكون في الظرف ذكر من ذي الحال فيكون قوله الا وحياً على هذا التقدير مصدراً وقع موقع الحال كقولك جئت ركضاً واتيت عدواً ويكون من في انّه مع ما انجرّ به في موضع الحال كقوله ومن الصالحين بعد قوله ويكلّم الناس في المهد وكهلا ومعنى او من وراء حجاب فيمن قدّر الكلام استئناف منقطعاً او حالاً يكلّمهم غير مجاهر لهم بكلامه يريد انّ كلامه يسمع ويحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين وليس انّ ثمّ حجابا يفصل موضعاً من موضع فيدلّ ذلك على تحديد المحجوب ومن رفع يرسل كان في موضع نصب على الحال والمعنى هذا كلامه اياهم كما يقول تحيّتك الضرب وعتابك السيف

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه اجلّ النعم وهي النبوّة فقال (وما كان لبشر ان يكلّمه الله) اي ليس لأحد من البشر أن يكلّمه الله (الا) ان يوحي اليه (وحيا) وهو داود اوحى في صدره فزبر الزبور (او من وراء حجاب) اي ويكلّمه من وراء حجاب وهو موسى (ع) (او يرسل رسولا) وهو جبرائيل ارسل الى محمد ﷺ عن مجاهد وقيل معناه ما كان لبشر ان يكلّمه الله الا بمثل ما يكلم به عباده من الامر بطاعته والنهي عن معاصيه وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر او المنام وما اشبه ذلك على سبيل الوحي وسمّاه وحياً لأن الوحي في اللغة ما جرى مجرى الايماء والتنبيه على الشيء من غير ان يفصح به او من وراء حجاب وهو ان يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلّمه به نحو كلامه لموسى (ع) لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى (ع) وحده وفي المرة الثانية حجبه عن جميع الخلق الا عن موسى والسبعين الذين كانوا معه وقد يقال انه حجب عنهم موضع الكلام الذي اقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من اين يسمعونه لأنّ الكلام عرض لا يقوم الا في جسم ولا يجوز ان يكون اراد بقوله أنّ الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لأنّ الحجاب لا يجوز الا على الاجسام المحدودة ومعنى بقوله (او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) ارساله ملائكته بكتبه وكلامه الى انبيائه ليبلغوا ذلك عنه عباده فهذا ايضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله به عباده ويأمرهم فيه وينهاهم من غير ان يكلّمهم على سبيل ما كلّم به موسى وهو خلاف الوحي الذي ذكر في اول الآية لأنه تنبيه خاطر وليس فيه افصاح عن ابي علي الجبائي وقال الزجاج معناه انّ كلام الله للبشر اما أن يكون بالهام يلهمهم او بكلام من وراء حجاب كما كلّم موسى او برسالة ملك اليهم فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء الله (انه علي) عن الادراك بالابصار (حكيم) في جميع افعاله (وكذلك اوحينا اليك) اي مثل ما اوحينا إلى الأنبياء قبلك اوحينا اليك (روحاً من امرنا) يعني الوحي بأمرنا ومعناه القرآن لأنه يهتدى به ففيه حياة من موت الكفر عن قتادة والجبائي وغيرهما وقيل هو روح القدس عن السدّي وقيل هو ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) قالا ولم يصعد إلى السماء وانه لفينا (ما كنت تدري) يا محمد قبل الوحي (ما الكتاب ولا الايمان) اي ما القرآن ولا الشرائع ومعالم الايمان وقيل معناه ولا اهل الايمان اي من الذي

(١) {سيئة} (٢) {في}

يؤمن ومن الذي لا يؤمن وهذا من باب حذف المضاف (ولكن جعلناه نوراً) أي جعلنا الروح الذي هو القرآن نوراً لأنّ فيه معالم الدين عن السدّي وقيل جعلنا الإيمان نوراً لأنه طريق النجاة عن ابن عباس (نهدي به من نشاء من عبادنا) أي نرشده إلى الجنة (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) أي ترشد وتدعو إلى طريق مفض إلى الحق وهو الإيمان ثم فسّر ذلك الصراط بقوله (صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) ملكاً وخلقاً (ألا إلى الله تصير الأمور) أي اليه ترجع الأمور والتدبير يوم القيامة فلا يملك ذلك غيره.

سورة الزّخرف

مكّية كلّها وقيل إلّا آية منها واسئل من أرسلنا الآية نزلت ببيت المقدس عن مقاتل

عدد آيها

ثمان وثمانون آية شامي تسع في الباقين

اختلافها

آيتان حم كوفي هو مهين حجازي بصري

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الزخرف كان ممّن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب وعن ابي بصير قال قال ابو جعفر (ع) من أدمن قراءة حم الزخرف آمنه الله في قبره من هوامّ الارض ومن ضمّة القبر حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ ثم جاءت حتى تكون هي التي تدخله الجنة بأمر الله عزّ وجلّ

تفسيرها

لمّا ختم الله سورة حمعسق بذكر القرآن والوحي افتتح هذه السورة بذلك أيضاً فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) حمٓ (٢) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٣) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٤) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥) أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ خمس آيات

(القراءة)

قرأ اهل المدينة والكوفة غير عاصم ان كنتم بكسر الهمزة والباقون بفتحها

الحجة

قال ابو علي من قال ان كنتم فالمعنى لأن كنتم فأمّا صفحاً فانتصابه من باب صنع الله لأنّ قوله أفنضرب عنكم الذكر يدلّ على ان نصفح عنكم صفحاً وكأنّ قولهم صفحت عنه أي أعرضت عنه وولّيته صفحة العنق فالمعنى أفنضرب عنكم ذكر الانتقام منكم والعقوبة لكم لأن كنتم قوما مسرفين وهذا يقرب من

قوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى والكسر على انه جزاء استغني عن جوابه بما تقدّمه مثل أنت ظالم ان فعلت كذا كأنه قال: ان كنتم مسرفين نضرب

اللغة

يقال ضربت عنه وأضربت عنه اي تركته وأمسكت عنه ويقال صفح عني بوجهه قال كثير وذكر امرأة:

صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بَخِيلَةً ... فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الوَصْلَ مَلَّتِ (١)

أي معرضة بوجهها والصَّفوح في صفات الله تعالى معناه العفوّ عن الذنب كأنه أعرض عن مجازاته تفضلا يقال صفح عن ذنبه إذا عفا والاسراف مجاوزة الحدّ في العصيان.

المعنى

(حم) مرّ معناه (والكتاب المبين) أقسم بالقرآن المبين للحلال والحرام المبين ما يحتاج اليه الأنام من شرائع الإسلام (انّا جعلناه) أي أنزلناه عن السدّي وقيل قلناه عن مجاهد ونظيره ويجعلون لله البنات اي يقولون. (قرآناً عربياً) أي بلسان العرب والمعنى جعلناه على طريقة العرب في مذاهبهم في الحروف والمفهوم ومع ذلك فإنه لا يتمكّن أحد منهم من انشاء مثله والابتداء بما يقاربه من علوّ طبقته في البلاغة والفصاحة امّا لعدم علمهم بذلك أو لأنهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلماء فيه (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا وتتفكروا فيه فتعلموا صدق من ظهر على يده وفي هذه الآية دلالة على حدوث القرآن لأنّ المجعول هو المحدث بينه (وانه) يعني القرآن (في امّ الكتاب) أي في اللوح المحفوظ وإنما سمّي أمّاً لأنّ سائر الكتب تنسخ منه وقيل لأنّ أصل كل شيء أمّه والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ عن الزجاج وهو الكتاب الذي كتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة لما رأى في ذلك من صلاح ملائكته بالنظر فيه وعلم فيه من لطف المكلفين بالاخبار عنه (لدينا) اي الذي عندنا عن ابن عباس (لعليّ) أي عالٍ في البلاغة مظهر ما بالعباد اليه من الحاجة وقيل: معناه يعلو كل كتاب بما اختصّ به من كونه معجزاً وناسخاً للكتب وبوجوب إدامة العمل به وبما تضمّنه من الفوائد وقيل عليّ أي عظيم الشأن رفيع الدرجة تعظّمه الملائكة والمؤمنون (حكيم) أي مظهر للحكمة البالغة وقيل حكيم دلالة على كل حقّ وصواب فهو بمنزلة الحكيم الذي لا ينطق إلا بالحق وصف الله تعالى القرآن بهاتين الصفتين على سبيل التوسع لأنهما من صفات الحيّ ثم خاطب سبحانه من لم يعتبر بالقرآن وجحد ما فيه من الحكمة والبيان فقال (أفنضرب عنكم الذكر صفحاً) والمراد بالذكر هنا القرآن أي أفنترك عنكم الوحي صفحاً فلا نأمركم ولا ننهاكم ولا نرسل اليكم رسولا (أن كنتم قوماً مسرفين) اي لأن كنتم والمعنى أفنمسك عن انزال القرآن ونهملكم فلا نعرّفكم ما يجب عليكم من أجل انكم أسرفتم في كفركم وهذا استفهام انكار ومعناه انّا لا نفعل ذلك وأصل ضربت عنه الذكر انّ الراكب إذا ركب دابّة فأراد ان يصرفه عن جهة ضربه بعصى أو سوط ليعدل به إلى جهة أخرى ثم وضع الضرب موضع الصرف والعدل وقيل ان الذكر بمعنى العذاب ومعناه أحسبتم انّا لا نعذّبكم أبداً عن السدّي.

قوله تعالى (٦) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٧) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٨) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٩) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ

(١) اى كثيرة الصفح عن عشاقها فما تلقاك الا بخيلة بالوصل وسريعة الملال فمن اظهر من وصلها الملال ملت سريعاً.

خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (١٠) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ خمس آيات

(المعنى)

ثم عزّى سبحانه نبيه ﷺ بقوله (وكم أرسلنا من نبيّ في الأولين) أي في الأمم الماضية (ومايأتيهم من نبيّ إلا كانوا به يستهزءون) يعني انّ الأمم الخالية التي ذكرناها كفرت بالأنبياء وسخرت منهم لفرط جهالتهم وغباوتهم واستهزأت بهم كما استهزأ قومك بك أي فلم نضرب عنهم صفحاً لاستهزائهم برسلهم بل كرّرنا الحجج وأعدنا الرسل (فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً) أي فأهلكنا من أولئك الأمم بأنواع العذاب من كان أشدّ قوة ومنعة من قومك فلا يغترّ هؤلاء المشركون بالقوة والنجدة (ومضى مثل الأولين) أي سبق فيما أنزلنا اليك شبه حال الكفار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب ولمّا اهلكوا أولئك بتكذيبهم رسلهم فعاقبة هؤلاء أيضاً الاهلاك (ولئن سألتهم) أي ان سألت قومك يا محمد (من خلق السموات والأرض) أي أنشأها واخترعها (ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم) أي لم يكن جوابهم في ذلك إلا أن يقولوا خلقهن يعني السموات والأرض العزيز القادر الذي لا يُقهر العليم بمصالح الخلق وهو الله تعالى لأنهم لا يمكنهم ان يحيلوا في ذلك على الأصنام والأوثان وهذا اخبار عن غاية جهلهم إذ اعترفوا بأنّ الله خلق السموات والأرض ثم عبدوا معه غيره وانكروا قدرته على البعث ثم وصف سبحانه نفسه فقال (الذي جعل لكم الارض مهداً) وقرئ مهاداً وقد مضى ذكره في طه (وجعل لكم فيها سبلاً) تسلكونها (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في اسفاركم وقيل معناه لتهتدوا إلى الحق في الدين بالاعتبار الذي حصل لكم بالنظر فيها.

قوله تعالى (١١) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٢) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٣) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٤) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٥) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ خمس آيات

اللغة

يقال أنشر الله الخلق فنشروا أي احياهم فحيوا قال الأعشى:

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلَى نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا ... يَا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ(١)

الإقران الإطاقة يقال اقرنت لهذا البعير أي اطقته

المعنى

ثم اكّد سبحانه ما قدّمه بقوله (والذي نزل من السماء ماء) أي غيثا ومطراً (بقدر) أي بقدر الحاجة

(١) يصف المرأة بأنها من فرط الجمال تحيي الاموات فلو اسندت ميتاً الى نحرها صار حيّاً ولم ينقل الى قابر يقبره ويدفنه فيتعجب الناس ويقولون: ياعجباً للميت الحيّ .

لا زائداً عليها فيفسد ولا ناقصاً عنها فيضر ولا ينفع وفي ذلك دلالة على انه واقع من قادر مختار قد قدره على ما تقتضيه الحكمة لعلمه بذلك (فأنشرنا) أي فأحيينا (به) أي بذلك المطر (بلدة ميتا) أي جافة يابسة بإخراج النبات والأشجار والزروع والثمار (كذلك) اي مثل ما اخرج النبات من الأرض اليابسة (تخرجون) من قبوركم يوم البعث (والذي خلق الأزواج كلها) يعني أزواج الحيوان من ذكر وانثى وقيل معناه خلق الأشكال جميعها من الحيوان والجماد فمن الحيوان الذكر والأنثى ومن غير الحيوان نحو هو كالمقابل كالحلو والمر والرطب واليابس وغير ذلك وقيل الأزواج الشتاء والصيف والليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض والجنة والنار عن الحسن (وجعل لكم من الفلك) أي السفن (والانعام) من الإبل والبقر عن سعيد بن جبير وقيل الابل (ما تركبون) في البحر والبر (لتستووا على ظهوره) بيّن سبحانه انّ الغرض في خلق ما ذكر لتستووا على ظهور ما جعل لكم فالضمير في ظهوره يعود إلى لفظ ما (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) فتشكروا على تلك النعمة التي هي تسخير ذلك المركب (وتقولوا) معترفين بنعمه منزّهين له عن شبه المخلوقين (سبحان الذي سخّر لنا هذا) المركب اي ذلّله لنا حتى ركبناه (وما كنا له مقرنين) اي مطيقين مقاومين في القوة (وانا إلى ربنا لمنقلبون) اي ولتقولوا ايضا ذلك ومعناه وانا إلى الله راجعون في آخر عمرنا على مركب آخر وهو الجنازة قال قتادة قد علّمكم كيف تقولون إذا ركبتم وروي عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً في سفر كبّر ثلاثاً وقال سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا إلى ربنا لمنقلبون اللهمّ إنا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى والعمل بما ترضى اللهمّ هوّن علينا سفرنا واطوِ عنّا بُعده اللهمّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال اللهمّ إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال وإذا رجع قال آئبون تائبون لربنا حامدون أورده مسلم في الصحيح وروى العياشي بإسناده عن ابي عبد الله «ع» قال ذكر النعمة ان تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلّمنا القرآن ومنّ علينا بمحمد ﷺ وتقول بعده سبحان الذي سخّر لنا هذا إلى آخره ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكفار الذين تقدّم ذكرهم فقال (وجعلوا له من عباده جزءاً) أي نصيباً يعني حكموا بأنّ بعض عباده وهم الملائكة له أولاد ومعنى الجعل هنا الحكم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد والحسن قالوا زعموا انّ الملائكة بنات الله قال الزجاج قد أنشد بعض أهل اللغة بيتاً يدلّ على انّ معنى جزء معنى الإناث وهو:

إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فَلَا عَجَبٌ ... قَدْ تُجْزِئُ الْحُرَّةُ الْمِذْكَارُ أَحْيَانَا (١)

اي انثت وقيل انّ معناه وجعلوا لله من مال عباده نصيبا فيكون كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فحذف المضاف (إنّ الإنسان لكفور مبين) اي جاحد لنعم الله مظهر لكفره غير مستتر به.

قوله تعالى (١٦) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٨) أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٩) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ

(١) المذكار : التي من عادتها ان تلد الذكور وكذلك الرجل . المراد انه ان كانت الحرة مؤنثاً بان خلقها الله انثى فلا عجب فان الحرة المذكار التي هي سبب الفخر تكون انثى قال في الكشاف : ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث

سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ينشّأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين والباقون ينشأ بفتح الياء وسكون النون والتخفيف وقرأ اهل الكوفة وابو عمر وعباد الرحمن والباقون عند الرحمن وقرأ اهل المدينة أأشهدوا على افعلوا بضم الهمزة وسكون الشين وقبلها همزة الاستفهام مفتوحة ثم تخفف الثانية من غير ان يدخل بينهما الف وبعضهم يدخل بينهما الفا وقرأ الباقون اشهدوا بفتح الالف والشين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يقال نشأت السحابة ونشأ الغلام فإذا نقل هذا الفعل بالهمزة كقوله ينشئ السحاب الثقال ثم أنشأناه خلقاً آخر تعدّى إلى مفعول ومن قرأ يُنشّأ كان مثل فرّح وافرح وغرّم واغرم وموضع من نصبٌ على تقدير اتخذوا له من ينشأ في الحلية على وجه التقريع لهم بما افتروه كما قال تعالى أم له البنات ولكم البنون وحجة من قرأ عباد الرحمن قوله بل عباد مكرمون وحجة من قرأ عند الرحمن قوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله انّ الذين عند ربك لا يستكبرون وفي هذا دلالة على رفع المنزلة والتقريب كما قال ولا الملائكة المقرّبون وليس من قرب المسافة وشهدت تستعمل على ضربين ﴿ احدهما ﴾ بمعنى الحضور ﴿ والآخر ﴾ بمعنى العلم والذي بمعنى الحضور يتعدّى إلى مفعول به يدلّك على ذلك قوله «ويوم شهدناه سليماً وعامراً» تقديره شهدنا فيه سليماً ومن ذلك قوله:

شَهِدْنَا فَمَا تَلْقَى لَنَا مِنْ كَتِيبَةٍ يَدُ الدَّهْرِ إِلَّا جَبْرَئِيلُ أَمَامَهَا

فهذا محذوف المفعول والتقدير فيه شهدنا المعركة فهذا الضرب إذا نقل بالهمزة تعدّى إلى مفعولين تقول شهد زيد المعركة وأشهدته إياها ومن ذلك قوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض واما شهدت الذي بمعنى علمت فيستعمل على ضربين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون قسماً ﴿ والآخر ﴾ ان يكون غير قسم فاستعمالهم إيّاه قسماً كاستعمالهم علم الله ويعلم الله قسمين تقول علم الله لأفعلن فيتلقاه ما يتلقى الأقسام وانشد سيبويه:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا(١)

وحكي انّ زفر كان يذهب إلى أنّه إذا قال أشهد بالله كان يميناً وان قال اشهد ولم يقل بالله لم يره يميناً وقال محمد الشيباني أشهد غير موصولة بقوله بالله مثل اشهد موصولة بقولك بالله في انه يمين واستشهد على ذلك بقوله قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فجعله يميناً ولم يوصل بقوله بالله وأما شهدت الذي يراد به علمت ولا يراد به حضرت فهو ضرب من العلم مخصوص فكل شهادة علم وليس كل علم شهادة ومما يدل على اختصاصه في العلم انّه لو قال عند الحاكم اعلم انّ لزيد على عمرو عشرة لم يحكم بها حتى يقول اشهد فالشهادة مثل التيقن في انه ضرب من العلم مخصوص وليس كلّ علم تيقناً وان كان كل تيقن علماً فكان معنى اشهد ايها الحاكم على كذا أعلمه علماً يحضرني وقد تذلّل لي فلا اتوقف فيه لوضوحه عندي

منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه واجزمت المرئة» . الخ

(١) طاش السهم عن الهدف: جاز عنه ولم يصبه وما في هذه الصفحة من البيت والمصراع مذكور في جامع الشواهد

وتبيّنه لي وليس كذلك سبيل المعلومات كلّها ألا ترى انّ منها ما يحتاج إلى توقف فيه واستدلال عليه وأما قوله أشهدوا خلقهم فمن الشهادة التي هي الحضور كأنّهم وبّخوا على ان قالوا ما لم يحضروه مما حكمه ان يعلم بالمشاهدة ومن قال أشهدوا خلقهم فالمعنى أحضروا ذلك وكان الفعل متعدياً إلى مفعولين فلما بني للمفعول به نقص مفعولا فتعدّى الفعل إلى مفعول واحد ويقوّي هذه القراءة ما أشهدتهم خلق السموات والأرض واما قوله اني اشهد الله واشهدوا اني بريء فحذف المفعول[1] الأول على حدّ ضربني وضربت وهذا منقول من شهد بكذا الا انّ حرف الجرّ يحذف مع ان وانّ

المعنى

ثم انكر سبحانه عليهم قولهم فقال (ام) وهذا استفهام انكار وتوبيخ ومعناه بل (اتخذ مما يخلق بنات) أي اتخذ ربكم لنفسه البنات (واصفاكم) اي اخلصكم (بالبنين) وهذا كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين الآية ثم زاد في الاحتجاج عليهم بأن قال (وإذا بشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) اي بما جعل لله شبهاً وذلك انّ ولد كل شيء شبهه وجنسه فالمعنى وإذا بشّر احدهم بولادة ابنة له (ظلّ وجهه مسوداً) بما يلحقه من الغمّ بذلك (وهو كظيم) اي مملوء كرباً وغيظاً ثم وبّخهم بما افتروه فقال (اومن ينشّؤا في الحلية) اي اوجعلوا من ينشّؤ في الحلية اي في زينة النساء لله عزّ وجلّ يعني البنات (وهو في الخصام) يعني المخاصمة (غير مبين) للحجة قال قتادة قلّما تتكلم امرأة بحجّتها الا تكلّمت بالحجة عليها اي لا يمكنها ان تبين الحجة عند الخصومة لضعفها وسفهها وقيل معناه او تعبدون من ينشأ في الحلية ولا يمكنه ان ينطق بحجته ويعجز عن الجواب وهم الأصنام فإنّهم كانوا يحلّونها بالحليّ عن ابن زيد وإنّما قال وهو في الخصام ولم يقل وهي لأنه حمله على لفظ من (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً) بأن زعموا انّهم بنات الله (أشهدوا خلقهم) هذا ردّ عليهم اي أحضروا خلقهم حتى علموا انهم إناث وهذا كقوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون (ستكتب شهادتهم) بذلك (ويسألون) عنها يوم القيامة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أي لو شاء الرحمن ان لا نعبدهم ما عبدناهم فإنّما عبدناهم بمشيئة الله (ما لهم بذلك من علم) اي لا يعلمون صحّة ما يقولون هذا اشارة إلى بطلان قولهم لما لم يصدر عن دليل وعلم (ان هم الا يخرصون) اي ما هم إلا كاذبون قال ابو حامد كذّبهم الله تعالى لأنهم انكروا التوحيد بإضافتهم الولد اليه سبحانه وفارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيئة الله تعالى.

قوله تعالى (٢١) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢٢) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٣) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٤) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وحفص قال أولو وقرأ الباقون قل أولو وقرأ ابو جعفر جئناكم والباقون جئتكم

(١) كذا في النسخ والصواب مفعول الاول اى مفعول الفعل الاول وهو اشهدا لله فان جملة اني بريء ليست مفعولا اولا على اى تقدير .

الحجة

قال ابو علي من قرأ قال فالمعنى قال لهم النذير اولو جئتكم ومن قرأ قل فإنّه يكون حكاية ما اوحي الى النذير كأنّه اوحينا اليه فقلنا له قل لهم اولو جئتكم بأهدى من ذلك.

المعنى

لمّا حكى الله سبحانه تخرّص من اضاف عبادة الاصنام والملائكة إلى مشيئة الله قال (ام آتيناهم كتاباً) وهو استفهام بمعنى التقرير لهم على خطئهم والتقدير أهذا الذي ذكروه شيء تخرّصوه وافتعلوه أم آتيناهم كتابا (من قبله فهم به مستمسكون) اي مستمسكون بذلك فإذا لم يمكنهم ادّعاء انّ الله تعالى أنزل بذلك كتاباً علم انّ ذلك من تخرّصهم ودلّ ام على حذف حرف الاستفهام لأنّه المعادلة له ثم اعلم انّهم اتّبعوا آباءهم في الضلالة فقال ليس الامر كذلك (بل قالوا انّا وجدنا آبائنا على أمّة) اي على ملّة وطريقة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدّي وقيل على جماعة اي كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه عن الجبائي (وانّا على آثارهم مهتدون) نهتدي بهداهم ثم قال سبحانه (و كذلك) اي ومثل ما قال هؤلاء في الحوالة على تقليد آبائهم في الكفر (ما ارسلنا من قبلك) يا محمد (في قرية) ومجمع من الناس (من نذير) اي نذيراً لأنّ من زائدة (إلا قال مترفوها) وهم المتنعمون الذين آثروا الترفّه على طلب الحجة يريد الروساء (إنّا وجدنا آبائنا على امّة وإنّا على آثارهم مقتدون) نقتدي بهم فلا نخالفهم واحال جميعهم على التقليد للآباء فحسب دون الحجة والتقليد قبيح في العقول إذ لو كان جائزاً لكان يلزم في ذلك ان يكون الحق في الشيء ونقيضه فكلّ فريق يقلّد اسلافه مع انّ كلّاً منهم يعتقد انّ من سواه على خطأ وضلال وهذا باطل لا شبهة في بطلانه فإذاً لا بدّ من الرجوع إلى حجة عقلية او سمعية ثم قال سبحانه للنذير (قل) لهم (اولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم ولا تقبلون ما جئتكم به وفي هذا احسن التلطف في الاستدعاء إلى الحق وهو انّه لو كان ما يدّعونه حقاً وهدى وكان ما جئتكم به من الحق اهدى منه كان اوجب ان يتّبع ويرجع اليه ثم اخبر انّهم ابوا ان يقبلوا ذلك (وقالوا إنّا بما ارسلتم به) ايها الرسل (كافرون) ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم فقال (فانتقمنا منهم) بأن اهلكناهم وعجّلنا عقوبتهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين) لأنبياء الله والجاحدين لهم وفي هذا إشارة إلى انّ العاقبة المحمودة تكون لأهل الحق والمصدّقين لرسل الله.

قوله تعالى (٢٦) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٧) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٨) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٩) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ خمس آيات

اللغة

تقول العرب انا براء منك ونحن براء منك الذكر والانثى والاثنان والجماعة فيه سواء والمعنى انا ذو براء منك كما قالوا رجل عدل وقوم عدل أي ذو عدل وذوو عدل

(١) [وامرأة عدل] (٢) [وذات عدل]

المعنى

(وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه) حين رآهم يعبدون الأصنام والكواكب (انني براء) أي بريء (مما تعبدون) ثم استثنى خالقه من جملة ما كانوا يعبدونه فقال (إلا الذي فطرني) اي سوى الله الذي خلقني وابتدأني وتقديره إلا من الذي فطرني قال قتادة: كانوا يقولون الله ربنا مع عبادتهم الأوثان (فإنه سيهدين) إلى طريق الجنة بلطف من الطافه وقيل سيهدين إلى الحق بما نصب لي من الأدلة وفيه بيان ثقته بالله تعالى ودعاء لقومه إلى ان يطلبوا الهداية من عنده (وجعلها كلمة باقية في عقبه) أي جعل كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله كلمة باقية في ذرّية ابراهيم ونسله فلم يزل فيهم من يقولها عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل جعل هذه الكلمة التي قالها ابراهيم وهو براءة من الشرك باقية في ولده من بعده وقيل الكلمة الباقية في عقبه هي الإمامة إلى يوم الدين عن ابي عبد الله (ع) واختلف في عقبه من هم فقيل ذرّيته وولده عن ابن عباس ومجاهد وقيل ولده إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل هم آل محمد عن السدي (لعلهم يرجعون) اي لعلهم يتوبون ويرجعون عما هم عليه إلى الاقتداء بأبيهم ابراهيم في توحيد الله تعالى كما اقتدى الكفار بآبائهم عن الفرّاء والحسن وقيل لعلهم يرجعون عما هم عليه إلى عبادة الله تعالى ثم ذكر سبحانه نعمه على قريش فقال (بل متّعت هؤلاء وآبائهم) المشركين بأنفسهم وأموالهم وأنواع النعم ولم أعاجلهم بالعقوبة لكفرهم (حتى جاءهم الحق) اي القرآن عن السدي وقيل الآيات الدالة على الصدق (ورسول مبين) يبين الحق ويظهره وهو محمد ﷺ (ولما جاءهم الحق) اي القرآن (قالوا هذا سحر) اي حيلة خفيّة وتمويه (وانا به كافرون) جاحدون لكونه من قبل الله تعالى.

النظم

وجه اتصال قصة ابراهيم (ع) بما قبلها انه سبحانه لما ذمّ التقليد وأوجب اتباع الحق والدليل اتبعه بذكر ابراهيم الخليل حيث اتبع الحجة واوضح المحجة وقيل انه سبحانه لما ذمّ التقليد وذكر أنّ الكفار ابوا إلا ذلك ذكر انّ تقليد ابراهيم اولى لأنهم من اولاده وذرّيته ويدّعون انهم على طريقته وإنما اتصل قوله بل متّعت هؤلاء وآباءهم بما تقدّمه من ذكر اعراضهم عن الحجة وتعويلهم على التقليد فبيّن سبحانه انهم اتوا من قبل نفوسهم فقد ازيحت علتهم بأن امهلوا ومتّعوا ثم جاءهم الحق فلم يؤمنوا.

قوله تعالى (٣١) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣٢) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٣) وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٤) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٥) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر سقفاً بفتح السين والباقون سقفاً بضم السين والقاف وقرأ عاصم وحمزة وان كلّ ذلك لمّا بتشديد الميم والباقون لما خفيفة الميم

الحجة

قال ابو علي سُقُف جمع سقف مثل رُهُن ورهن ويخفف فيقال رهن وفعل في الجمع يخفف وسقف واحد يدلّ على الجمع الا ترى انه علم بقوله لبيوتهم انّ لكل بيت سقفا ومن شدّد لمّا كانت ان عنده بمنزلة ما النافية فالمعنى ما كلّ ذلك إلا متاع الحياة الدنيا ولمّا في معنى إلا حكى سيبويه نشدتك الله لمّا فعلت وحمله على إلا وهذه الآية تدلّ على فساد قول من قال انّ قوله وان كل لمّا جميع لدينا محضرون انّ المعنى لمن هو جميع لدينا حاضرون وزعموا ان في حرف ابيّ وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا ومن قرأ لما بالتخفيف فإنّ ان في قوله وان كل هي المخففة من الثقيلة واللام فيها هي التي تدخل لتفصل بين النفي والإيجاب في قوله «هبلتك امك ان قتلت لفارسا» ومن نصب بها مخففة فقال ان زيداً لمنطلق استغنى عن هذه اللام لأن النافية لا ينتصب بعدها اسم فلا يقع اللبس وما فيه زيادة والمعنى وانّ كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا

اللغة

المعارج الدروج واحدها معرج والعروج الصعود وظهر عليه إذا علاه وصعده قال النابغة الجعدي:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا ... وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرَا (١)

والسُّرُر جمع سرير ويجمع على اسرّة ايضاً والزخرف كمال حسن الشيء ومنه قيل للذهب زخرف ويقال زخرفه زخرفة إذا حسّنه وزيّنه ومنه قيل للنقوش والتصاوير زخرف وفي الحديث انه ﷺ لم يدخل الكعبة حتى امر بالزخرف فنحّي.

المعنى

(وقالوا) اي وقال هؤلاء الكفار (لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعنون بالقريتين مكة والطائف وتقدير الآية على رجل عظيم من القريتين اي من احدى القريتين فحذف المضاف ويعنون بالرجل العظيم من احدى القريتين الوليد بن المغيرة من مكة وابا مسعود عروة بن مسعود الثقفي من الطائف عن قتادة وقيل عتبة ابن ابي ربيعة من مكة وابن عبد ياليل من الطائف عن مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة من مكة وحبيب بن عمر الثقفي من الطائف عن ابن عباس وإنما قالوا ذلك لأنّ الرجلين كانا عظيمي قومهما وذوي الأموال الجسيمة فيهما فدخلت الشبهة عليهم حتى اعتقدوا ان من كان كذلك كان اولى بالنبوّة فقال سبحانه ردّاً عليهم (أهم يقسمون رحمة ربّك) يعني النبوّة بين الخلق بيّن سبحانه انه هو الذي يقسم النبوّة لا غيره والمعنى ابأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا عن مقاتل ثم قال سبحانه (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا) اي نحن قسمنا الرزق في المعيشة على حسب ما علمناه من مصالح عبادنا فليس لأحد ان يتحكم في شيء من ذلك فكما فضّلنا بعضهم على بعض في الرزق فكذلك اصطفينا للرسالة من نشاء وقوله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) معناه افقرنا البعض واغنينا البعض فتلقى ضعيف الحيلة عيّ اللسان وهو مبسوط له وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه ولم نفوّض ذلك اليهم مع قلّة خطره بل جعلناه

(١) جدود جمع جد: وهو بمعنى الحظ والبخت والعظمة ومجدنا وجدودنا إمّا منصوبان مفعولان له لقوله: نبلغنا السماء فوعان بدلان من ضمير بلغنا.

على ما توجبه الحكمة والمصلحة فكيف نفوّض اختيار النبوة اليهم مع عظم محلّها وشرف قدرها وقوله (ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً) معناه انّ الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة انّ في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بإحواجهم اليهم يستخدم بعضهم بعضا فينتفع احدهم بعمل الآخر له فيتنظم بذلك قوام امر العالم وقيل معناه ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتّخذونهم عبيداً ومماليك عن قتادة والضحاك (ورحمة ربّك خير مما يجمعون) اي ورحمة الله سبحانه ونعمته من الثواب والجنة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا وقيل معناه والنبوة لك من ربك خير مما يجمعونه من الأموال عن ابن عباس ثم اخبر سبحانه عن هوان الدنيا عليه وقلّة مقدارها عنده فقال (ولولا أن يكون الناس امّة واحدة) اي لولا ان يجتمع الناس على الكفر فيكونوا كلّهم كفّاراً على دين واحد لميلهم إلى الدنيا وحرصهم عليها عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدّي وقيل معناه ولولا أن يجتمع الناس على اختيار الدنيا على الدين عن ابن زيد (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضّة) قوله لبيوتهم بدل من قوله لمن يكفر والمعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن سقفاً من فضّة فالسقف إذا كان من فضّة فالحيطان من فضّة وقيل انّ اللام الثانية بمعنى على فكأنّه قال لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم سقفاً من فضّة وقال مجاهد ما يكون من السماء فهو سقف بالفتح وما يكون من البيت فهو سقف بضمتين ومنه قوله وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً (ومعارج عليها يظهرون) أي وجعلنا درجاً وسلاليم من فضّة لتلك السقف عليها يعلون ويصعدون (ولبيوتهم أبواباً وسرراً) أي وجعلنا لبيوتهم أبواباً وسرراً من فضّة (عليها) اي على تلك السرر (يتكئون وزخرفاً) اي ذهباً عن ابن عباس والضحاك وقتادة وهو منصوب بفعل مضمر أي وجعلنا لهم مع ذلك ذهبا وقيل الزخرف النقوش عن الحسن وقيل هو الفرش ومتاع البيت عن ابن زيد والمعنى لأعطي الكافر في الدنيا غاية ما يتمنّاه فيها لقلّتها وحقارتها عنده ولكنّه سبحانه لم يفعل ذلك لما فيه من المفسدة ثم اخبر سبحانه انّ جميع ذلك إنما يتمتع به في الدنيا فقال (وان كلّ ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) وقد مرّ بيانه (والآخرة) اي الجنة الباقية (عند ربّك للمتقين) خاصّة ثم قال الحسن والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل سبحانه ذلك فكيف لو فعله وفي هذه الآية[1] دلالة على اللطف وانّه تعالى لا يفعل المفسدة وما يدعو إلى الكفر وإذا لم يفعل ما يؤدّي إلى الكفر فلأنّه لا يفعل الكفر ولا يريده أولى.

قوله تعالى (٣٦) وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٧) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٨) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٩) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٤٠) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ خمس آيات

القراءة

قرأ عاصم في رواية حمّاد ويعقوب يقيّض بالياء والباقون نقيّض بالنون وقرأ اهل العراق غير ابي بكر حتى إذا جاءنا على الواحد والباقون جاءانا على الاثنين

(١) وفي المخطوطة: هذه الايات .

الحجة

من قرأ يقيّض بالياء فالضمير يعود إلى الرحمن ومن قرأ بالنون فالمعنى على ذلك لكنه سبحانه اخبر عن نفسه بنون العظمة ومن قرأ جاءآنا على التثنية فهو الكافر وقرينه ومن قرأ جاءنا فهو الكافر لأنه افرد بالخطاب في الدنيا وأقيمت عليه الحجة بإنفاذ الرسول اليه فاجتزئ بالواحد عن الاثنين كما قال لينبذنّ في الحطمة والمراد لينبذنّ هو وماله.

اللغة

العشو أصله النظر ببصر ضعيف يقال عشى يعشو عشواً وعُشُوّاً إذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأنّ عليها غشاوة وقال الاعشى:

مَتى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عِنْدَها خَيْرُ مُوقِدِ

و إذا ذهب البصر قيل عشي يعشى عشاً والرجل أعشى وقرأ في الشواذ ومن يعش بفتح الشين ومعناه يَعْمَ ويقال عشى إلى النار إذا أتاها وقصد لها وعشى عنها إذا اعرض عنها قاصداً لغيرها كقولهم مال اليه ومال عنه والتقييض الإتاحة . الازهري قيّض الله فلاناً لفلان جاء به.

المعنى

لما تقدّم ذكر الوعد للمتقين عقبه بذكر الوعيد لمن هو على ضدّ صفتهم فقال (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أي يعرض عنه عن قتادة والسدّي وقيل معناه ومن يعم عنه عن ابن عباس وابن زيد قال الجبائي شبههم بالاعمى لما لم يبصروا الحق والذكر هو القرآن وقيل هو الآيات والأدلة (نقيّض له شيطانا فهو له قرين) أي نخلّي بينه وبين الشيطان الذي يغويه ويدعوه إلى الضلالة فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله عن الحسن وابي مسلم قال الحسن وهو الخذلان عقوبة له عن الإعراض حين علم انه لا يفلح وقيل معناه نقرن به شيطاناً في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار كما انّ المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة عن قتادة وقيل أراد به شياطين الانس نحو علماء السوء ورؤساء الضلالة يصدّونهم عن سبيل الله فيتبعونهم (وانهم) يعني وانّ الشياطين وإنما جمع لأن قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد (ليصدّونهم) أي يصرفون هؤلاء الكفار (عن السبيل) أي عن طريق الجنة (١) (ويحسبون انّهم مهتدون) أي ويحسب الكفار انّهم على الهدى فيتبعونهم (حتى إذا جائنا) من قرأ على التثنية فالمعنى جاءنا الشيطان ومن أغواه يوم القيامة الذي يتولّى سبحانه حساب الخلق فيه ومن قرأ على التوحيد فالمعنى حتى إذا جاءنا الكافر وعلم مايستحقّه من العقاب (قال) في ذلك الوقت لقرينه الذي اغواه (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) يعني المشرق والمغرب فغلب احدهما كما قال الشاعر:

أَخَذْنا بِآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ لَنا قَمَراها وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ

يعني الشمس والقمر وقيل يعني محمداً ﷺ وابراهيم (ع) وقيل أراد بالمشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف كما في قوله ربّ المشرقين والمراد يا ليت بيني وبينك هذا البعد مسافة فلم أرك ولا اغتررت بك (فبئس القرين) كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين انت لي اليوم فإنهما يكونان مشدودين في سلسلة واحدة زيادة عقوبة وغمّ عن ابن عباس ويقول الله سبحانه في ذلك اليوم للكفار (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون) أي لا يخفف الاشتراك عنكم شيئاً من العذاب لأنّ لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقيل معناه انّه لا تسلّي لهم عما هم فيه بما يرونه بغيرهم من العذاب لأنه قد يتسلّى الإنسان عن المحنة إذا رأى انّ عدوّه في مثلها ثم قال لنبيه ﷺ (أفأنت تسمع الصمّ او تهدي العمي) شبّه

(١) وفي نسخة طريق الحق .

الكفار في عدم انتفاعهم بما يسمعونه ويرونه بالصمّ والعمى (ومن كان في ضلال مبين) أي بيّن ظاهر مضاف[1] معناه لا يضيقنّ صدرك فإنك لا تقدر على اكراههم على الإيمان.

قوله تعالى (٤١) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤٢) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٣) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٤) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ (٤٥) وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ خمس آيات

الإعراب

لمّا دخل ما على حرف الشرط اشبه القسم في التأكيد والإيذان بطلب التصديق فدخلت النون في الكلام لذلك لأنّ النون يلزم في جواب القسم ولا يلزم في الجزاء لأنه مشبّه به

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال (فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون) اي فإمّا نتوفّينك فإنّا منهم منتقمون من أمّتك بعدك (او نرينّك الذي وعدناهم) معناه او نبقينّك ونرينّك في حياتك ما وعدناهم من العذاب (فإنّا عليهم مقتدرون) اي قادرون على الانتقام منهم وعقوبتهم في حياتك وبعد وفاتك قال الحسن وقتادة انّ الله اكرم نبيّه ﷺ بأن لم يُره تلك النقمة ولم ير في أمته إلا ما قرّت به عينه وقد كان بعده نقمة شديدة وقد روي انه ﷺ أري ما تلقى أمّته بعده فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتى لقي الله تعالى وروى جابر بن عبد الله الانصاري قال اني لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بمنى حتى قال لا ألفينّكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم ثم التفت إلى خلفه فقال او علي او علي ثلاث مرّات فرأينا أن جبرائيل غمزه فأنزل الله على اثر ذلك فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون بعلي بن ابي طالب (ع) وقيل انّ النبي ﷺ أري الانتقام منهم وهو ما كان من نقمة الله من المشركين يوم بدر بعد ان اخرجوه من مكة فقد اسر منهم وقتل مع قلة اصحابه وضعف مُنتهم[2] وكثرة الكفار وشدة شوكتهم ثم أمره سبحانه بالتمسك بالقرآن فقال (فاستمسك بالذي أوحي اليك) من القرآن بأن تتلوه حقّ تلاوته وتتبع أوامره وتنتهي عما نهي فيه عنه (انك على صراط مستقيم) اي على دين حقّ وصواب وهو دين الإسلام (وإنّه لذكر لك ولقومك) اي وان القرآن الذي أوحي اليك لشرف لك ولقومك من قريش عن ابن عباس والسُدّي وقيل لقومك اي للعرب لأنّ القرآن نزل بلغتهم ثم يختصّ بذلك الشرف الأخصّ فالأخصّ من العرب حتى يكون الشرف لقريش اكثر من غيرهم ثم لبني هاشم اكثر مما يكون لقريش (وسوف تسئلون) عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف عن الكلبي والزجّاج وغيرهما وقيل تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقّه (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا) معناه سل مؤمني اهل الكتاب الذين ارسلنا اليهم الرسل هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول اكثر المفسّرين والتقدير سل أمم من ارسلنا او اتباع من ارسلنا فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقيل انّ المراد سل أهل الكتابين التوراة والإنجيل وان كانوا كفاراً فإنّ الحجّة تقوم بتواتر خبرهم

(١) ليس في نسختين لفظة مضاف (٢) المنّة بالضم القوة وبمعنى الضعف ايضاً فهي من الاضداد .

والخطاب وان توجّه إلى النبي ﷺ فالمراد به الأمة اي سلوا من ذكرنا (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اي هل جعلنا فيما مضى معبوداً سوى الله يعبده قوم فإنهم يقولون انا لم نأمرهم بذلك ولا تعبّدناهم به وقيل معناه وسل الأنبياء وهم الذين جمعوا له ليلة الأسرى وكانوا تسعين نبيّاً منهم موسى وعيسى ولم يسألهم ﷺ لأنه كان اعلم بالله منهم عن الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد.

قوله تعالى (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٨) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٩) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٥٠) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥١) وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥٢) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٣) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٤) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ عشر آيات حجازي بصري تسع عند غيرهم

القراءة

قرأ حفص ويعقوب وسهل أسورة والباقون اساورة

الحجة

الاسورة جمع سوار مثل سقاء واسقية وخوان واخونة ومن قرأ اساورة جعله جمع اسوار فتكون الهاء عوضاً عن الياء التي كانت ينبغي أن تلحق في جمع اسوار على حدّ اعصار واعاصير ويجوز في اساورة ان يكون جمع اسورة فيكون مثل اسقية واساقٍ ولحق الهاء كما لحق في قشعم وقشاعمة (١)

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) اي بالحجج الباهرة والمعجزات القاهرة (إلى فرعون وملئه) اي اشراف قومه وخصّ الملأ بالذكر وان كان ايضاً مرسلا إلى غيرهم لأنّ من عداهم تبع لهم (فقال) موسى (اني رسول ربّ العالمين) أرسلني اليكم (فلما جاءهم بآياتنا) اي فلما أظهر المعجزات التي هي اليد البيضاء والعصا (إذا هم منها يضحكون) استهزاءً واستخفافاً وجهلا منهم بما عليهم من ترك النظر فيها وبما لهم من النفع بحصول العلم بها (وما نُريهم من آية إلّا هي اكبر من أختها) المراد بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم والطمس وكانت كل آية من هذه الآيات اكبر من التي قبلها وهي العذاب المذكور في قوله (وأخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون) لأنهم عذّبوا بهذه الآيات وكانت عذابا لهم ومعجزات لموسى (ع) فغلب عليهم الشقاء ولم يؤمنوا (وقالوا يا أيه الساحر) يعنون بذلك يا أيها العالم وكان الساحر عندهم عظيما يعظّمونه ولم يكن صفة ذمّ عن الكلبي والجبائي وقيل إنما قالوا استهزاء بموسى (ع) عن الحسن وقيل معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره تقول العرب

(١) القَشْعَم المُسن من الرجال والنسور ـ والضخم ـ والاسد.

خاصمته فخصمته وحاججته فحججته فكذلك ساحرته[1] وارادوا انه غالب السحرة فغلبهم بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) اي بما زعمت انه عهد عندك وهو انه ضمن لنا أنا إذا آمنا بك ان يكشف العذاب عنا (إنا لمهتدون) اي راجعون إلى الحق الذي تدعونا اليه متى كشف عنا العذاب وفي الكلام حذف لأن التقدير فدعا موسى وسأل ربه ان يكشف عنهم ذلك العذاب فكشف الله عنهم ذلك (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) اي يغدرون وينقضون العهد وفي هذا تسلية للنبي ﷺ والمعنى فاصبر يا محمد على اذى قومك فإن حالك معهم كحال موسى مع قومه فيؤول أمرك إلى الاستعلاء على قومك كما آل أمره إلى ذلك (ونادى فرعون في قومه) معناه انه لما رأى أمر موسى يزيد على الأيام ظهوراً واعتلاء خاف على مملكته فأظهر الخداع فخطب الناس بعد ما اجتمعوا (وقال يا قوم أليس لي ملك مصر) انصرف فيها كما أشاء أراد بذلك اظهار بسطته في الملك والمال (وهذه الانهار) مثل النيل وغيرها (تجري من تحتي) اي من تحت امري وقيل انها كانت تجري تحت قصره وهو مشرف عليها (أفلا تبصرون) هذا الملك العظيم وقوتي وضعف موسى (أم انا خير من هذا الذي هو مهين) اي ضعيف حقير يعني به موسى قال سيبويه والخليل عطف انا بأم على قوله أفلا تبصرون لأن معنى أم انا خير معنى ام تبصرون فكأنه قال أفلا تبصرون ام تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير منه فقد صاروا بصراء عنده وقيل المهين الفقير الذي يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج اليه ليس له من يكفيه أمره (ولا يكاد يبين) اي ولا يكاد يفصح بكلامه وحجته للعقدة التي في لسانه وقال الحسن كانت العقدة زالت عن لسانه حين أرسله الله كما قال مخبراً عن نفسه واحلل عقدة من لساني ثم قال قد أوتيت سؤلك يا موسى وإنما عيره بما كان في لسانه قبل وقيل كان في لسانه لثغة[2] فرفعه الله تعالى وبقي فيه ثقل عن الجبائي (فلولا القي عليه اسورة من ذهب) اي هلا طرح عليه اسورة من ذهب ان كان صادقاً في نبوته وكان إذا سوّدوا رجلا سوّروه بسوار من ذهب وطوّقوه بطوق من ذهب (او جاء معه الملائكة مقترنين) متتابعين يعينونه على أمره الذي بعث له ويشهدون له بصدقه وقيل متعاضدين متناصرين كل واحد منهم يمالئ صاحبه (فاستخف قومه) ومعناه ان فرعون استخف عقول قومه (فأطاعوه) فيما دعاهم اليه لأنه احتج عليهم بما ليس بدليل وهو قوله أليس لي ملك مصر الى آخره ولو عقلوا لقالوا ليس في ملك الإنسان دلالة على انه محق وليس يجب ان يأتي مع الرسل ملائكة لأن الذي يدل على صدق الرسل هو المعجز دون غيره (انهم كانوا قوما فاسقين) اي خارجين عن طاعة الله تعالى.

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قصة موسى (ع) بما قبلها انه لما تقدم السؤال عن احوال الرسل وما جاؤا به اتصل به حديث موسى وعيسى (ع) لأن اهل الكتابين اليهما ينتسبون وقيل انه لما تقدم ذكر محمد ﷺ وتكذيب قومه إياه ذكر حديث موسى تسلية له وتطييباً لقلبه ﷺ

قوله تعالى (٥٥) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٦) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٧) وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٨) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا

(١) [فسحرته] (٢) اللثغة : ثقل اللسان بالكلام تحوّل اللسان من السين الى الثاء ومن الراء الى

خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٩) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٦٠) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ

ست آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي سلفاً بضم السين واللام وقرأ الباقون بفتحهما وقرأ أهل المدينة وابن عامر والاعشى والبرجمي والكسائي وخلف يصدّون بضم الصاد والباقون بكسر الصاد .

الحجة

من قرأ سلفا جاز أن يكون جمعا لسلف مثل أسد وأُسُد ووثن ووُثُن ومن قرأ سلفاً فلأنّ فعلا قد جاء في حروف يراد بها الكثرة فكأنّه اسم من اسماء الجمع قالوا خادم وخدم وطالب وطلب وحارس وحرس و كذلك المثل واحد يراد به الجمع ولذلك عطف على سلف في قوله فجعلناهم سلفا ومثلا ومعنى يصدّون ويصدّون جميعا يضجّون عن ابي عبيدة قال والكسر اجود ويقال صدّ عن كذا فيوصل بعن كما قال الشاعر:

صَدَدْتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو ... وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا(١)

وصدّوا عن سبيل الله فمن ذهب في يصدّون إلى معنى يعدلون كان المعنى إذا قومك منه اي من أجل المثل يصدّون ولم يوصل يصدّون بعن ومن قال يصدّون يضجّون جعل من متصلة بيضجّ كما تقول يضجّ من كذا وقال بعض المفسّرين معنى يصدّون يضجّون والمعنى انه لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية لأنها اتخذت آلهة وعبدت فعيسى في حكمهم قال ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك في هذا الذي قالوه منه يضحكون لما أتوا به من عندهم من تسويتهم بين عيسى وبين آلهتهم وما ضربوه إلا إرادة للمجادلة لأنهم قد علموا ان المراد بحصب جهنم ما اتخذوا من الموات

اللغة

يقال آسفه فأسف بأسف اسفا اي اغضبه فغضب واحزنه فحزن ويقال الاسف الغيظ من المغتمّ إلا انه هاهنا بمعنى الغضب والسلف المتقدم على غيره قبل مجيء وقته ومنه السلف في البيع والسلف نقيض الخلف والجدل مقابلة الحجة بالحجة وقيل الجدل اللدد في الخصام واصله من جدل الحبل وهو شدة فتله ورجل مجدول الخلق اي شديده وقيل اصله من الجدالة وهي الارض كأنّ كل واحد من الخصمين يروم القاء صاحبه على الجدالة

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن انتقامه من فرعون وقومه فقال (فلما آسفونا) اي أغضبونا عن ابن عباس ومجاهد وغضب الله سبحانه على العصاة ارادة عقوبتهم ورضاه عن المطيعين ارادة ثوابهم الذي يستحقونه على طاعتهم وقيل معناه آسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله سبحانه (انتقمنا منهم) اي انتقمنا لاوليائنا منهم (فأغرقناهم اجمعين فما نجا منهم احد (فجعلناهم سلفا) اي متقدّمين إلى النار (ومثلا) اي عبرة وموعظة (للآخرين) اي لمن جاء بعدهم يتّعظون بهم والمعنى انّ حال غيرهم يشبه حالهم إذا اقاموا على العصيان (ولما ضرب ابن مريم مثلا) اختلف في المراد به على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه ولما وصف ابن مريم شبها

(١) اى عملت يا ام عمرو خلاف العادة ولم تجريها على العادة وكانت العادة فى الكأس ان تدار فى مجلس الشرب من جانب اليمين الى اليسار وفى اصل الديوان صيّرت وهو ايضاً بمعنى صرفت .

في العذاب بالآلهة اي فيما قالوه على زعمهم وذلك انه لما نزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون قد رضينا بأن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى وذلك قوله (إذا قومك منه يصدون) اي يضجّون ضجيج المجادلة حيث خاصموك وهو قوله (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) اي ليست آلهتنا خيراً من عيسى فإن كان عيسى في النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا عن ابن عباس ومقاتل ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه لما ضرب الله المسيح مثلا بآدم في قوله انّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب اي من قدر على ان ينشئ آدم من غير أب وأمّ قادر على انشاء المسيح من غير أب اعترض على النبي ﷺ بذلك قوم من كفار قريش فنزلت هذه الآية ﴿ وثالثها ﴾ انّ معناه انّ النبي ﷺ لما مدح المسيح وأمّه وانه كآدم في الخاصّية قالوا انّ محمداً يريد ان نعبده كما عبدت النصارى عيسى عن قتادة ﴿ ورابعها ﴾ مارواه سادة اهل البيت عن علي عليهم افضل الصلوات انه قال جئت إلى رسول الله ﷺ يوماً فوجدته في ملأ من قريش فنظر إليّ ثم قال ياعلي إنما مثلك في هذه الأمّة كمثل عيسى بن مريم احبّه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا وابغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا واقتصد فيه قوم فنجوا فعظم ذلك عليهم فضحكوا وقالوا يشبّهه بالانبياء والرسل فنزلت الآية وقالوا أآلهتنا خير أم هو اي آلهتنا أفضل ام المسيح فإذا كان المسيح في النار رضينا ان تكون آلهتنا معه عن السدّي وابن زيد وقيل معناه ان آلهتنا خير من المسيح فإذا عبد المسيح جاز ان تعبد آلهتنا عن الجبائي وقيل هو كناية عن محمد ﷺ والمعنى آلهتنا خير من محمد ﷺ وهو يأمرنا بأن نعبده كما عبد النصارى المسيح ونطيعه ونترك آلهتنا عن قتادة وقال علي بن عيسى معنى سؤالهم بقولهم أآلهتنا خير ام هو انهم الزموا ما لا يلزم على ظنّ منهم وتوهّم كأنّهم قالوا ومثلنا فيما نعبد مثل ما يعبد المسيح فأيّنا خير عبادة آلهتنا ام عبادة المسيح على انه ان قال عبادة المسيح أقرّ بعبادة غير الله وكذلك ان قال عبادة الاوثان وان قال ليس في عبادة المسيح خير قصر به عن المنزلة التي أبين لأجلها من سائر العباد وجوابهم عن ذلك انّ اختصاص المسيح بضرب من التشريف والانعام عليه لا يوجب العبادة له كما لا يوجب ان ينعم عليه بأعلى مراتب النعمة (ما ضربوه لك إلّا جدلاً) اي ما ضربوا هذا المثل لك إلا ليجادلوك به ويخاصموك ويدفعوك به عن الحقّ لأنّ المتجادلَين لا بدّ ان يكون احدهما مبطلا بخلاف المتناظرَين لأنّ المناظرة قد تكون بين المحقّين (بل هم قوم خصمون) اي جدلون في دفع الحقّ بالباطل ثم وصف سبحانه المسيح فقال (ان هو إلا عبد انعمنا عليه) اي ما هو إلا عبد انعمنا عليه بالخلق من غير اب وبالنبوّة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) اي آية لهم ودلالة يعرفون بها قدرة الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير أب فهو مثل لهم يشبّهون به ما يرون من اعاجيب صنع الله ثم قال سبحانه دالاً على كمال قدرته وعلى انه لا يفعل إلّا الاصلح (ولو نشاء لجعلنا منكم) اي بدلا منكم معاشر بني آدم (ملائكة في الارض يخلفون) بني آدم اي يكونون خلفاء منهم والمعنى لو نشاء اهلكناكم وجعلنا الملائكة بدلكم سكّان الأرض يعمرونها ويعبدون الله ومثل قوله منكم في الآية ما في قول الشاعر:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ(١)

وقيل معناه ولو نشاء لجعلناكم أيها البشر ملائكة فيكون من باب التجريد وفيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنية البشر الى بنية الملائكة يخلفون اي يخلف بعضهم بعضا.

(١) الطَّهْيان قُلّة الجبل . يتمنى ان يكون لهم بدلا من ماء زمزم شربة ماء وضعت على قلة الجبل فصارت باردة شديداً

قوله تعالى (٦١) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٢) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٣) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٤) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٥) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (خمس آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس وقتادة والضحاك وانه لعلم بفتح العين واللام اي امارة وعلامة

المعنى

ثم رجع سبحانه الى ذكر عيسى (ع) فقال (وانه لعلم للساعة) يعني انّ نزول عيسى (ع) من اشراط الساعة يعلم بها قربها (فلا تمترنّ بها) اي بالساعة فلا تكذبوا بها ولا تشكّوا فيها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والسدّي وقال ابن جريج اخبرني ابو الزبير انّه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي ﷺ يقول ينزل[1] عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صلّ بنا فيقول: لا انّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة من الله لهذه الأمة اورده مسلم في الصحيح وفي حديث آخر كيف انتم إذا نزل فيكم ابن مريم وامامكم منكم وقيل انّ الهاء في قوله وانّه يعود إلى القرآن ومعناه انّ القرآن لدلالة على قيام الساعة والبعث يعلم بذلك عن الحسن. وقيل معناه انّ القرآن لدليل الساعة لأنه آخر الكتب انزل على آخر الأنبياء عن ابي مسلم وقوله (واتّبعونِ هذا صراط مستقيم) معناه واتّبعوني فيما آمركم به هذا الذي أنا عليه طريق واضح قيّم (ولا يصدّنكم الشيطان) اي ولا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن دين الله (انه لكم عدوّ مبين) بيّن العداوة يدعوكم إلى الضلال الذي هو سبب هلاككم ثم اخبر سبحانه عن حال عيسى (ع) حين بعثه الله نبيّاً فقال (ولمّا جاء عيسى بالبينات) اي بالمعجزات الدالة على نبوّته وقيل بالانجيل عن قتادة (قال) لهم (قد جئتكم بالحكمة) اي بالنبوة عن عطاء وقيل بالعلم بالتوحيد والعدل والشرائع (ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه) قيل انّ المعنى كلّ الذي تختلفون فيه كقول لبيد « أَوْ يَخْتَرِمْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا[2] » اي كل النفوس وكقول القطامي:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

اي كلّ حاجته عن ابي عبيدة قال الزجّاج والصحيح ان البعض لا يكون في معنى الكل والذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبيّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا اليه وقول الشاعر «أو يخترم بعض النفوس حمامها » انما يعني نفسه وقيل معناه لأبيّن لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون أمور الدنيا (فاتقوا الله) بأن تجتنبوا معاصيه وتعملوا بالطاعات (واطيعون) فيما ادعوكم اليه (ان الله هو ربي وربكم الذي) تحقّ له العبادة (فاعبدوه) خالصاً ولا تشركوا به شيئاً[3] (هذا صراط مستقيم) يفضي بكم إلى الجنة وثواب الله (فاختلف الاحزاب من بينهم) يعني اليهود والنصارى اختلفوا في أمر عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم) قد مرّ تفسير الآية في سورة مريم.

(١) وفي الحجرى بدل ينزل : كيف بكم اذا نزل (٢) اوّله: ترّاك امكنة اذا لم أرضها . اى انى اترك امكنة اذا لم أرضها الا ان يأخذ الموت نفسى فلا يمكنها البراح (٣) وفي المخطوطة والحجرى : شيئاً معبوداً.

قوله تعالى (٦٦) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٧) الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٨) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٩) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٧٠) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧١) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧٢) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٣) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٤) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٥) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص ما تشتهيه الانفس بزيادة الهاء والباقون تشتهي الأنفس بحذف الهاء

الحجة

قال ابو علي حذف هذه الهاء من الصلة في الحسن كإثباتها إلا انّ الحذف يرجّح على الاثبات بأنّ عامّة هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى ويقوّي الحذف من جهة القياس انّه اسم قد طال والاسماء إذا طالت فقد يحذف منها كما يحذف في اشهيباب واحميرار وكما حذفوا من كينونة فكما الزموا الحذف لهذا كذلك حسن ان تحذف الهاء من الصلة

اللغة

الحبور السرور الذي يظهر في الوجه أثره وحبّرته اي حسّنته والحبار الأثر والصحاف جمع صحفة وهي الجام الذي يؤكل فيه الطعام والاكواب جمع كوب وهي اناء على صورة الابريق لا أذن له ولا خرطوم وقيل انّه كالكأس للشراب قال الاعشى:

صَرِيفِيَّةٌ[1] طَيِّبٌ طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنِّ

المعنى

قال سبحانه موبّخاً لهم (هل ينظرون) اي هل ينتظر هؤلاء الكفار بعد ورود الرسل والقرآن (الا الساعة) اي القيامة (ان تأتيهم بغتة) اي فجأة (وهم لا يشعرون) اي لا يدرون وقت مجيئها (الاخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ) معناه انّ الذين تخالّوا وتواصلوا في الدنيا يكون بعضهم اعداء لبعض ذلك اليوم يعني يوم القيامة وهم الذين تخالّوا على الكفر والمعصية ومخالفة النبي ﷺ لما يرى كل واحد منهم من العذاب بسبب تلك المصادقة ثم استثنى من جملة الاخلّاء المتقين فقال (إلا المتقين) من المؤمنين الموحّدين الذين خالّ بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فإن تلك الخلّة تأكد بينهم يوم القيامة ولا تنقلب عداوة (ياعباد لا خوف عليكم اليوم) اي يقال لهم وقت الخوف يا عباد لا خوف عليكم من العذاب اليوم (ولا أنتم تحزنون) من فوات الثواب ثم وصف سبحانه عباده وميّزهم من غيرهم فقال (الذين آمنوا بآياتنا) اي صدّقوا بحججنا ودلائلنا واتبعوها (وكانوا مسلمين) اي مستسلمين لأمرنا خاضعين منقادين والذين آمنوا في محلّ النصب على البدل

(١) الصريفية الخمر المنسوبة الى صريفون وهي قرية عند عكبراء اومنسوب الى صريفة قرية بواسط ـ كما قيل ـ اولانها اخذت من الدنّ ساعتئذ كاللبن الحار ساعة يصرف عن الضرع .

من عبادي او الصفة له ثم بيّن سبحانه ما يقال لهم بقوله (ادخلوا الجنّة انتم وأزواجكم) اللاتي كنّ مؤمنات مثلكم وقيل يعني أزواجهم من الحور العين في الجنة (تحبرون) اي تسرّون وتكرمون وقد مرّ تفسيره في سورة الروم (يطاف عليهم بصحاف) اي بقضاع (من ذهب) فيها الوان الاطعمة (واكواب) اي كيزان لا عرى لها وقيل بآنية مستديرة الرأس اكتفى سبحانه بذكر الصحاف والاكواب عن ذكر الطعام والشراب (وفيها) اي وفي الجنة (ما تشتهي الانفس) من أنواع النعيم المشروبة والمطعومة والملبوسة والمشمومة وغيرها (وتلذّ الاعين) اي وما تلذّه العيون بالنظر اليه وإنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين وإنما الملتذّ على الحقيقة هو الانسان لأنّ المناظر الحسنة سبب من أسباب اللذّة فاضافة اللذّة إلى الموضع الذي يلذّ الإنسان به احسن لما في ذلك من البيان مع الإيجاز وقد جمع الله سبحانه بقوله ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ما لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما في الجنة من انواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان (وأنتم فيها) اي في الجنة وانواع من الملاذّ (خالدون) اي دائمون مؤبّدون (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) اي اعطيتموها بأعمالكم قال ابن عباس الكافر يرث نار المؤمن والمؤمن يرث جنّة الكافر وهذا كقوله أولئك هم الوارثون (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) جمع لهم بين الطعام والشراب والفواكه وبين دوام ذلك فهذه غاية الأمنيّة ثم اخبر سبحانه عن احوال اهل النار فقال (انّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون) دائمون (لا يفتّر عنهم) العذاب اي لا يخفّف عنهم (وهم فيه مبلسون) آيسون من كلّ خير.

قوله تعالى (٧٦) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٧) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٨) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٩) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٨٠) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨١) قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨٢) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٣) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٤) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٥) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم الا يحيى وروح عن يعقوب واليه يرجعون بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والاعمش يامالِ وروي ذلك عن علي (ع) وقراءة ابي عبد الرحمن اليماني فأنا أول العبدين بغير الف والقراءة المشهورة العابدين

الحجة

قال ابو علي حجة الياء في يرجعون ان قبله غيبة وهو قوله فذرهم يخوضوا ويلعبوا وحجة التاء ان يراد

به مع الغيبة مخاطبون فغلب الخطاب على الغيبة او يكون على قل لهم واليه ترجعون وقوله يا مالِ على المذهب المألوف في الترخيم قال الشاعر:

فَأَبْلِغْ مَالِكاً عَنِّي رَسُولاً ... وَمَا يُغْنِي الرَّسولُ لَدَيْكَ مَالِ

اي يا مالك قال ابن جني وفي هذا الموضع سِرّ وهو انهم لعظم ما هم فيه خفيت[1] قواهم وصغر كلامهم فكان هذا في موضع الاختصار وقوله أنا أوّل العابدين من قولهم عَبِدْتُ من الامر اعبَد عَبَداً اي أنِفت منه قال الفرزدق:

أُولَئِكَ قَوْمِي إِنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ ... وَأَعْبُدُ أَنْ تُهْجَى كُلَيْبٌ بِدَارِمِ

وَلَكِنَّ نِصْفاً إِنْ سَبَبْتُ وَسَبَّنِي ... بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَهَاشِمِ (٢)

الإعراب

قوله وهو الذي في السماء إله ارتفع إله بكونه خبر مبتدأ محذوف من الصلة وتقديره وهو الذي هو في السماء إله وفي السماء يتعلق بقوله إله وموضعه نصب به وان كان مقدماً عليه وعنده علم الساعة اي علم وقوع الساعة فالمصدر مضاف إلى المفعول اي بعلم وقوع الساعة.

المعنى

لما بيّن سبحانه ما يفعله بالمجرمين بيّن انه لم يظلمهم بذلك فقال (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) نفوسهم بما جَنَوا عليها من العذاب (ونادوا يا مالك) اي ويدعون خازن جهنم فيقولون يا مالك (ليقض علينا ربك) اي ليمتنا ربك حتى نتخلص ونستريح من هذا العذاب (قال) اي فيقول مالك مجيباً لهم (انكم ماكثون) اي لابثون دائمون في العذاب قال ابن عباس والسدي إنما يجيبهم مالك بذلك بعد الف سنة وقال عبد الله بن عمر بعد اربعين عاما (لقد جئنا كم) اي يقول الله تعالى لقد أرسلنا اليكم الرسل (بالحق) اي جاءكم رسلنا بالحق وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره وقيل هو من قول مالك وإنما قال لقد جئناكم لأنه من الملائكة وهم من جنس الرسل عن الجبائي (ولكن أكثركم) معاشر الخلق (للحق كارهون) لأنكم ألفتم الباطل فكرهتم مفارقته (ام ابرموا أمراً فإنا مبرمون) اي بل احكموا أمراً في كيد محمد ﷺ والمكر به فإنا مبرمون اي محكمون أمراً في مجازاتهم (ام يحسبون) اي بل أيظن هؤلاء الكفار (انا لانسمع سرّهم ونجواهم) اي ما يسرّونه من غيرهم ويتناجون به بينهم والسرّ مايضمره الإنسان في نفسه ولا يظهره لغيره والنجوى ما يحدّث به المحدّث غيره في الخفية (بلى) نسمع[3] ذلك وندركه (ورسلنا لديهم يكتبون) ما يقولونه ويفعلونه يعني الحفظة وسبب نزول الآية مذكور في تفسير أهل البيت (ع) (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين) اختلف في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول العابدين اي أول من عبد الله وحده[5] فقد دفع ان يكون له ولد والمعنى فأنا أول الموحدين لله المنكرين لقولكم عن مجاهد ﴿ وثانيها ﴾ أنّ إن بمعنى ماالنفي والمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين لله المقرّين بذلك عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه لو كان له ولد لكنت انا أول الآنفين من عبادته لأنّ من كان له ولد لا يكون إلا جسماً محدثاً ومن كان كذلك لا يستحق العبادة لأنه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العبادة عن الجبائي وغيره ﴿ ورابعها ﴾ انه يقول كما انّي لست أول

(١) وفي المخطوطة خفت بدل خفيت (٢) النصف بالكسر الاسم من الانصاف مقصوده انى آنف ان تهجى قبيلة كليب فى قبال دارم لان دارماً امتنع حسباً من كليب فليسا بكفوء ولكن الانصاف ان يقع التساب والتهاجى بين قومى وبين بنى عبد شمس و بنى هاشم فانهما كفوان لقومى (٣) [اى بلى] (٤) فى المخطوطة والحجرى :

اسم الكتاب (٥) فى الحجرى زيادة وهى وحده وهو الصواب.

من عبد الله فكذلك ليس لله ولد وهذا كما تقول ان كنت كاتبا فأنا حاسب تريد لست كاتبا ولا انا حاسب عن سفيان بن عيينة ﴿ وخامسها ﴾ انّ معناه لو كان له ولد لكنت أول من يعبده بأنّ له ولداً ولكن لا ولد له عن السدّي وابي مسلم وهذا كما يقال لو دعت الحكمة إلى عبادة غيره لعبدته لكنّ الحكمة لا تدعو إلى عبادة غيره ولو دلّ الدليل على انّ له ولداً لقلت به ولكنّه لا يدلّ فهذا تحقيق لنفي الولد وتبعيد له لأنه تعليق محال بمحال ثم نزّه سبحانه نفسه عن ذلك فقال (سبحان ربّ السموات والأرض ربّ العرش عما يصفون) أي تنزيهاً لمالك السموات والأرض وخالقهن وخالق العرش ومدبّره عما يصفونه به من اتّخاذ الولد لأنّ من قدر على ذلك استغنى عن اتّخاذ الولد ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ على وجه التهديد للكفار فقال (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) فيه بعذاب الأبد وهو يوم القيامة (وهو الذي في السماء إله و في الأرض إله) أي هو الذي تحقّ له العبادة في السماء وتحقّ له العبادة في الارض وإنما كرّر لفظ إله لأمرين ﴿ أحدهما ﴾ التأكيد ليتمكن المعنى في النفس ﴿ والثاني ﴾ لأنّ المعنى هو إله في السماء يجب على الملائكة عبادته وإله في الأرض يجب على الإنس والجن عبادته (وهو الحكيم) في جميع أفعاله (العليم) بمصالح عباده (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) أي دامت بركته فمنه البركات وايصال السعادات وجلّ عن ان يكون له ولد اوشبيه من له التصرف في السموات والأرض وفيما بينهما بلا دافع ولا منازع (وعنده علم الساعة) أي علم يوم القيامة لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره (واليه ترجعون) يوم القيامة فيجازي كلاًّ على قدر عمله

قوله تعالى (٨٦) وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٨) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٩) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم وحمزة وقيله بالجر والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة الاعرج ومجاهد وقيله بالرفع وقرأ اهل المدينة والشام فسوف تعلمون بالتاء والباقون بالياء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي وجه الجر في وقيله انه معطوف على قوله وعنده علم الساعة وعلم قيله أي يعلم الساعة ومن يصدّق بها ويعلم قيله ومعنى يعلم قيله أي يعلم ان الدعاء مندوب اليه نحو قوله ادعوني أستجب لكم وادعوا ربكم تضرّعاً وخفية وأمّا من نصب حمله على موضع وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها وليست بظرف فالمصدر مضاف إلى المفعول به ومثل ذلك قوله:

قَدْ كُنْتُ دَايَنْتُ بِهَا حَسَّانَا ... مَخَافَةَ الإِفْلَاسِ وَاللَّيَّانَا (١)
يُحْسِنُ بَيْعَ الْأَصْلِ وَالْقِيَانَا

فكما انّ القيان واللّيان محمولان على ما اضيف اليه المصدر من المفعول به فكذلك قوله تعالى وعنده علم الساعة لما كان معناه يعلم الساعة حملت قيله على ذلك ويجوز ان تحمله على يقول قبله فيدلّ انتصاب المصدر

(١) داينت اى اقرضت والضمير فى بها راجع الى القنية وهى ما يكتسب من المال واللّيان المماطلة بالدين والأصل المال الاصيل مقابل القِيان وهو جمع القين والقينة وهما العبد والامة اى يحسن بيع انواع امواله من الاصل و القيان لقضاء د...

على فعله و كذلك قول كعب:

يَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا وَقِيلَهُمُ ... إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ(١)

أي ويقولون حقا ووجه ثالث ان يحمل على قوله يحسبون انا لا نسمع سرّهم ونجواهم وقيله ومن قرأ وقيله بالرفع احتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يجعل الخبر وقيله قيل يا ربّ فيحذف ﴿ والآخر ﴾ ان يجعل الخبر وقيله يا رب مسموع ومتقبل فيا ربّ منصوب الموضع بقيله المذكور وعلى القول الآخر بقيله المضمر وهو من صلته ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع ان يحذف بعض الموصول ويبقى بعضه لأنّ حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور وقد يحتمل بيت كعب الرفع على هذين الوجهين وقال ابن جني هو معطوف على علم اي وعلم قيله فحذف المضاف فالمصدر الذي قيل مضاف إلى الهاء الذي هو مفعول في المعنى والتقدير وعنده علم ان يقال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ومن قرأ فسوف تعلمون بالتاء فالوجه فيه انه على تقدير قل لهم فسوف تعلمون ووجه الياء ان يحمل على الغيبة التي هي فاصفح عنهم وقوله وقل سلام تقديره وقل أمرنا وأمركم سلام اي متاركة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه انه لا شفاعة لمعبوديهم فقال (ولا يملك الذين يدعون من دونه) اي الذي يدعوه الكفار إلها ويوجّهون عبادتهم اليه من الأصنام وغيرها (الشفاعة) لمن يعبدهم كما توهّمه الكفار وهي مسألة الطالب العفو عن غيره واسقاط العقاب عنه (إلا من شهد بالحق) وهم عيسى بن مريم وعزير والملائكة استثناهم سبحانه ممن عبد من دون الله فإنّ لهم عند الله منزلة الشفاعة عن قتادة وقيل معناه لا يملك أحد من الملائكة وغيرهم الشفاعة إلا لمن شهد بالحق أي شهد ان لا إله إلا الله وذلك ان النضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا ان كان ما يقوله محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة وهم احقّ بالشفاعة لنا منه فنزلت الآية فالمعنى انهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله (وهم يعلمون) اي يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وفي هذا دلالة على انّ حقيقة الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والمعرفة لأنّ الله شرط مع الشهادة العلم وهو ما اقتضى طمأنينة القلب إلى ما اعتقده بحيث لا يتشكك إذا شكّك ولا يضطرب إذا حرّك (ولئن سألتهم) يا محمد (من خلقهم) أي أخرجهم من العدم إلى الوجود (ليقولنّ الله) لأنّهم يعلمون ضرورة انّ اصنامهم لم تخلقهم (فأنّى يؤفكون) اي فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره (وقيله يا ربّ انّ هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربّه وينكر عليهم تخلفهم عن الإيمان وذكر ان قراءة عبد الله وقال الرسول يا ربّ انّ هؤلاء قوم لا يؤمنون وعلى هذا فالهاء في وقيله يعود إلى النبي ﷺ (فاصفح عنهم) اي فأعرض عنهم يا محمد بصفح وجهك كما قال واعرض عن الجاهلين (وقل سلام) اي مداراة ومتاركة وقيل هو سلام هجران ومجانبة لا سلام تحيّة و كرامة كقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقيل معناه قل ما تسلم به من شرّهم وأذاهم وهذا منسوخ بآية السيف عن قتادة وقيل معناه فاصفح عن سفههم ولا تقابلهم بمثله . ندبه سبحانه إلى الحلم فلا يكون منسوخا عن الحسن ثم هدّدهم سبحانه بقوله (فسوف يعلمون) يعني يوم القيامة إذا عاينوا ما يحل بهم من العذاب

(١) من البيت في ج ٩ ص ١٣٢ .

سورة الدّخان (مكّية)

﴿ عدد آيها ﴾

تسع وخمسون آية كوفي سبع بصري ستّ في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

اربع آيات حم وانّ هؤلاء ليقولون كوفي شجرة الزقوم عراقي شامي والمدني الأول في البطون عراقيّ مكّي والمدني الأخير

﴿ فضلها ﴾

ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ ومن قرأ الدخان في ليلة الجمعة غفر له. ابوهريرة عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الدّخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون الف ملك. وعنه عن النبي ﷺ قال ومن قرأها في ليلة الجمعة اصبح مغفوراً له. ابوامامة عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الدخان ليلة الجمعة ويوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة. وروى ابو حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة وأظلّه تحت ظلّ عرشه وحاسبه حسابا يسيراً واعطي كتابه بيمينه

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة الزخرف بالوعيد والتهديد وافتتح هذه السورة ايضا بمثل ذلك في الإنذار بالعذاب الشديد فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٣) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٤) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٥) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٦) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧) رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٨) لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٩) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (١٠) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١١) يَغْشَى النَّاسَ هٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ احدى عشرة آية كوفي(١) في غيرهم

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة ربّ السموات بالجرّ والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

الرفع فيه على احد امرين اما ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات واما ان يكون مبتدأ وخبره الجملة التي عاد الذكر منها اليه وهو قوله لا إله إلّا هو ويقويه قوله ربّ المشرق والمغرب لا إله إلّا هو ومن قرأ بالجرّ جعله بدلا من ربك المتقدم ذكره قال ابو الحسن الرفع احسن وبه يقرأ

(١) [عشرة].

الإعراب

انّا كنّا منذرين جواب القسم دون قوله انّا أنزلناه لأنك لا تقسم بالشيء على نفسه فإن القسم تأكيد خبر بخبر آخر فقوله إنّا أنزلناه في ليلة مباركة اعتراض بين القسم وجوابه. أمراً من عندنا في انتصابه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون نصبا على الحال وتقديره انا انزلناه آمرين امراً كما يقال جاء فلان مشياً وركضاً أي ماشيا وراكضا وعلى هذا فيكون مصدراً موضوعاً موضع الحال وهذا اختيار الأخفش ويجوز ان يكون تقديره ذا أمر فحذف المضاف كما قال ولكنّ البرّ بمعنى ذا البرّ ﴿ والثاني ﴾ ان يكون منصوباً على المصدر لأن معنى قوله فيها يفرق فيها يؤمر وقد دلّ يفرق على يؤمر وقوله رحمة منصوب على انه مفعول له اي انزلناه للرحمة وقال الاخفش هو منصوب على الحال اي راحمين رحمة.

المعنى

(حمّ) مرّ بيانه (والكتاب المبين) اقسم سبحانه بالقرآن الدالّ على صحّة نبوّة نبينا ﷺ وفيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام وجواب القسم (إنّا انزلناه في ليلة مباركة) اي إنا انزلنا القرآن والليلة المباركة هي ليلة القدر عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عكرمة والأصحّ الأول ويدلّ عليه قوله إنا انزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن واختلف في كيفيّة انزاله فقيل انزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم انزل نجوماً إلى النبي ﷺ وقيل انه كان ينزل جميع ما يحتاج في كل سنة في تلك الليلة ثم كان ينزل به جبرائيل (ع) شيئاً فشيئاً وقت وقوع الحاجة اليه وقيل كان بدء انزاله في ليلة القدر وروي عن ابن عباس انه قال قد كلم الله جبرائيل في ليلة واحدة وهي ليلة القدر فسمعه جبرائيل وحفظه بقلبه وجاء به إلى السماء الدنيا إلى الكتبة وكتبوه ثم نزل على محمد ﷺ بالنجوم في ثلاث وعشرين سنة وقيل في عشرين سنة وانما وصف الله سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة لأنّ فيها يقسم الله نعمه على عباده من السنة إلى السنة فدوم بركاتها والبركة نماء الخير وضدّها الشؤم وهو نماء الشر فالليلة التي انزل فيها كتاب الله مباركة ينمى الخير فيها على ما دبّر الله سبحانه لها من علوّ مرتبتها واستجابة الدعاء فيها (إنّا كنّا منذرين) اي مخوّفين بما انزلناه من تعذيب العصاة والانذار الاعلام بموضع الخوف ليتّقى وموضع الأمن ليجتبى فالله عزّ اسمه قد انذر عباده بأتمّ الانذار من طريق العقل والسمع (فيها يفرق كلّ امر حكيم) اي في هذه الليلة يفصل ويبيّن والمعنى يقضى كلّ امر محكم لا تلحقه الزيادة والنقصان وهو انه يقسم فيها الآجال والأرزاق وغيرها من امور السنة إلى مثلها من العام القابل عن ابن عباس والحسن وقتادة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انك لترى الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزيد فيهم احد ولا ينقص منهم احد (أمراً من عندنا) معناه إنّا نأمر بيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ (انّا كنّا مرسلين) محمداً ﷺ إلى عبادنا كمن كان قبله من الانبياء (رحمة من ربك) اي رأفة منا بخلقنا ونعمة منا عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل عن ابن عباس (انه هو السميع) لمن دعاه من عباده (العليم) بمصالحهم (ربّ السموات والأرض) اي خالقهما ومدبّرهما (وما بينهما ان كنتم موقنين) بهذا الخبر محققين له وهو انه (لا إله إلّا هو) لا يستحق

العبادة سواه (يحيي) الخلق بعد موتهم (ويميت) أي ويميتهم بعد احيائهم (ربكم) الذي خلقكم ودبّركم (ورب آبائكم الأولين) الذين سبقوكم ثمّ ذكر سبحانه الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه (بل هم في شك) مما اخبرناك به (يلعبون) مع ذلك ويستهزؤون بك وبالقرآن إذا قرئ عليهم عن الجبائي وقيل يلعبون اي يشتغلون بالدنيا ويترددون في احوالها ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (فارتقب) أي فانتظر يا محمد (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وذلك انّ رسول الله ﷺ دعا على قومه لما كذّبوه فقال اللهم سنيناً (١) كسني يوسف فأجدبت الأرض فأصابت قريشاً المجاعة وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان وأكلوا الميتة والعظام ثم جاؤوا إلى النبي ﷺ وقالوا يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وقومك قد هلكوا فسأل الله تعالى لهم بالخصب والسعة فكشف عنهم ثمّ عادوا إلى الكفر عن ابن مسعود والضحاك وقيل ان الدخان آية من اشراط الساعة تدخل في مسامع الكفار والمنافقين وهو لم يأت بعد وانه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل اسماعهم حتى انّ رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ ويصيب المؤمن منه مثل الزكمة وتكون الأرض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خَصاص (٢) ويمكث ذلك اربعين يوماً عن ابن عباس وابن عمر والحسن والجبائي (يغشى الناس) يعني انّ الدخان يعمّ جميع الناس وعلى القول الأول المراد بالناس أهل مكة وهم الذين يقولون (هذا عذاب اليم) اي موجع مؤلم.

قوله تعالى(١٢) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٣) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٤) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٥) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٦) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٧) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٨) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٩) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٠) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢١) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ عشر آيات

(الاعراب)

يوم نبطش منصوب بقوله انّا كاشفوا العذاب قليلا ويجوز ان ينتصب بمضمر دلّ عليه منتقمون ولا ينتصب بقوله منتقمون لأنّ ما بعد انّ لا يعمل فيما قبله

﴿ المعنى ﴾

لمّا اخبر سبحانه انّ الدخان يغشى الناس عذاباً لهم وانهم قالوا ويقولون على ما فيه من الخلاف هذا عذاب اليم حكى عنهم ايضا قولهم (ربنا اكشف عنّا العذاب انّا مؤمنون) بمحمد ﷺ والقرآن قال سبحانه (أنّى لهم الذكرى) اي من أين لهم التذكّر والاتّعاظ وكيف يتذكّرون ويتّعظون (وقد جاءهم رسول مبين) اي وحالهم انّهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والدلالة (ثم تولّوا عنه) اي اعرضوا عنه ولم يقبلوا قوله (وقالوا معلّم مجنون) اي هو معلّم يعلّمه بشر مجنون بادّعاء النبوة ثمّ قال سبحانه (انّا كاشفوا العذاب) اي عذاب الجوع والدخان (قليلا) اي زماناً قليلا يسيراً إلى يوم بدر حين مقاتل (انّكم عائدون)

(١) في نسخة سنين وهو الصواب فان علامة النصب فيه الياء من دون التنوين (٢) الخصاص كل خلل وخرق في باب ومنخل وبرقع ونحوه. والفُرَج في البناء بين الاثافي.

في كفركم وتكذيبكم فلما كشف الله سبحانه ذلك عنهم بدعاء النبي ﷺ واستسقائه لهم عادوا إلى تكذيبه هذا على تأويل من قال إن ذلك الدخان كان وقت النبي ﷺ فأما على القول الآخر فمعناه انكم عائدون إلى العذاب الأكبر وهو عذاب جهنم والقليل مدة ما بين العذابين (يوم نبطش البطشة الكبرى) اي واذكر لهم ذلك اليوم يعني يوم بدر على القول الأول قالوا لما كشف عنهم الجوع عادوا إلى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر وعلى القول الآخر البطشة الكبرى تكون يوم القيامة والبطش هو الأخذ بشدة وقع الألم (انا منتقمون) منهم ذلك اليوم ثم قال سبحانه (ولقد فتنا قبلهم) اقسم سبحانه انه فتن قبل كفار قوم النبي ﷺ (قوم فرعون)اي اختبرهم وشدد عليهم التكليف لأن الفتنة شدة التعبد واصلها الاحراق بالنار لخلاص الذهب من الغش وقيل إن الفتنة معاملة المختبر ليجازي بما يظهر دون ما يعلم مما لا يظهر (وجاءهم رسول كريم) اي كريم الاخلاق والافعال بالتجاوز والصفح والدعاء الى الصلاح والرشد وقيل كريم عند الله بما استحق بطاعته من الإكرام والإعظام وقيل كريم شريف في قومه من بني اسرائيل (ان ادوا الي عباد الله) هذا من قول موسى (ع) لفرعون وقومه والمعنى اطلقوا بني اسرائيل من العذاب والتسخير فإنهم احرار فهو كقوله فارسل معي بني اسرائيل فيكون عباد الله مفعول ادوا وقال الفراء معناه ادوا إلي ما أمركم به يا عباد الله (اني لكم رسول أمين) على ما اؤديه وادعوكم اليه (وان لا تعلوا على الله) اي لا تتجبروا على الله بترك طاعته عن الحسن وقيل لا تتكبروا على اولياء الله بالبغي عليهم وقيل لا تبغوا عليه بكفران نعمه وافتراء الكذب عليه عن ابن عباس وقتادة (إني آتيكم بسلطان مبين) اي بحجة واضحة يظهر الحق معها وقيل بمعجز ظاهر يبين صحة نبوتي وصدق مقالتي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل والرجم فقال (وإني عذت بربي وربكم) اي لذت بمالكي ومالككم والتجأت اليه (أن ترجمون) اي من ان ترموني بالحجارة عن قتادة وقيل إن الرجم الذي استعاذ منه موسى هو الشتم كقولهم هو ساحر كذاب ونحوه عن ابن عباس وابي صالح (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) اي إن لم تصدقوني فاتركوني لا معي ولا علي وقيل معناه فاعتزلوا أذاي عن ابن عباس .

قوله تعالى (٢٢) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٣) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٤) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٥) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٦) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٧) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٨) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٩) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ثماني آيات

اللغة

الرهو السهل الساكن يقال عيش راهٍ أي خافض وادع قال الشاعر:

يَمْشِينَ رَهْواً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ ... وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَّكِلُ (١)

وقيل الرهو الدمث (٢) ليس برمل ولا حزن عن الازهري يقال جاءت الخيل رَهْواً أي مسابقة قال ابن الاعرابي الرهو من الطير والخيل السراع قال الشاعر:

طَيْراً رَأَتْ بَازِياً نَضْخُ الدِّمَاءِ (٣) بِهِ ... وَأُمُّهُ خَرَجَتْ رَهْواً إِلَى عِيدِ

(١) مقصوده توصيف نساء موردمدحه بالاستواء في المشى فلا اعجازهن متخلفة عن سائر اعضاء البدن ولا الصدور متكلة على الاعجاز بأن يتأخر الصدر عن الاعضاء ويتكل على الاعجاز (٢) الدَّمْث والدَّمِث والدميث المكان اللين ذو الرمل وارض دَمْثاء : ليّنة سهلة (٣) وفي بعض النسخ بالحاء المهملة والنَّضْح الاثر من الطيب وغيره يقال في الثوب وبالحاء وغائث الماء ونحوه .

﴿ الإعراب ﴾

رهواً نصب على الحال من البحر ويكون حالا بعد الفراغ من الفعل كقولهم قطعت الثوب قباء وهذا يدلّ على انّ البحر كان قبل تركه وبعد تركه رهواً و كم في قوله كم تركوا في موضع نصب بأنه صفة موصوف محذوف وهو مفعول تركوا وتقديره شيئاً كثيراً تركوا. كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك.

﴿ المعنى ﴾

ثمّ ذكر سبحانه تمام قصّة موسى بأن قال (فدعا ربّه) أي فدعا موسى ربّه حين يئس من قومه أن يؤمنوا به فقال (إنّ هؤلاء قوم مجرمون) اي مشركون لا يؤمنون عن الكلبي ومقاتل فكأنّه قال اللهم عجّل لهم مما يستحقّونه بكفرهم ما يكونون به نكالاً لمن بعدهم وما دعا عليهم إلا بعد أن أذن له في ذلك وقوله (فأسر بعبادي ليلا) الفاء وقعت موقع الجواب والتقدير فأجيب بأن قيل له فأسر بعبادي امره سبحانه ان يسير بأهله وبالمؤمنين به ليلا حتى لا يردّهم فرعون إذا خرجوا نهاراً وأعلمه بأنّه سيتبعهم فرعون بجنوده بقوله (انكم متبعون واترك البحر رهواً) اي ساكنا على ما هو به إذا قطعته وعبرته وكان قد ضربه بالعصا فانفلق لبني اسرائيل فأمره الله سبحانه أن يتركه كما هو ليغرق فرعون وقومه عن ابن عباس ومجاهد وقيل رهواً أي منفتحاً منكشفاً حتى يطمع فرعون في دخوله عن ابي مسلم قال قتادة لمّا قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون وجنوده فقيل له واترك البحر رهواً أي كما هو طريقا يابساً (انّهم جند مغرقون) سيغرقهم الله تعالى ثم اخبر سبحانه عن حالهم بعد اهلاكهم فقال (كم تركوا من جنات) رائعة (وعيون) جارية (وزروع) كثيرة (ومقام كريم) أي مجالس شريفة ومنازل خطيرة وقيل هي المناظر الحسنة ومجالس الملوك عن مجاهد وقيل منابر الخطباء عن ابن عباس وقيل المقام الكريم الذي يعطي اللذة كما يعطي الرجل الكريم الصلة عن علي بن عيسى (ونعمة كانوا فيها فاكهين) اي وتنعم وسعة في العيش كانوا بها ناعمين متمتعين كما يتمتع الآكل بأنواع الفواكه (كذلك) قال الكلبي معناه كذلك أفعل بمن عصاني (وأورثناها قوما آخرين) ايراث النعمة تصييرها إلى الثاني بعد الأول بغير مشقّة كما يصير الميراث إلى اهله على تلك الصفة فلما كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم كان ذلك إيراثا من الله لهم واراد بقوم آخرين بني اسرائيل لأنّهم رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون (فما بكت عليهم السماء والارض) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ انّ معناه لم تبك عليهم اهل السماء والارض لكونهم مسخوطا عليهم عن الحسن فيكون مثل قوله حتى تضع الحرب اوزارها اي اصحاب الحرب ونحوه قول الحطيئة:

وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسْطَ أَهْلِهِ ... كَهُلْكِ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ (١)

اي وشر المنايا ميتة ميّت وقال ذو الرمة:

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ[٢] أَذِلَّةٌ ... سَوَاسِيَةٌ[٣] أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

أي لهم أهل مجلس ﴿ وثانيها ﴾ انه سبحانه أراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر فإنّ العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت بكاه السماء والارض وأظلم لفقده الشمس والقمر قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ ... تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا (٤)

(١) الحاضر : القوم . الحي اذا اجتمعوا في الدار التي بها مجتمعهم (٢) صهب جمع اصهب : الاحمر و السبال جمع سبلة : الدائرة في وسط الشفة العليا وقيل ما على الشارب من الشعر او طرفه او مجتمع الشاربين وصهب السبال وصف الرومیین ولانهم اعداء العرب يوصف به الاعداء (٣) سواسية : سواء وسواسية يقال للجمع و

اي ليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم المصيبة قد سلبها ضوءها وقال النابغة:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ ... لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامُ

(وثالثها) ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء وقد روي عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقيل وهل يبكيان على احد قال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروى انس عن النبي ﷺ قال ما من مؤمن إلا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه فعلى هذا يكون معنى البكاء الاخبار عن الاختلال بعده كما قال مزاحم العقيلي:

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ (١) ... دُمُوعِي فَأَيَّ الْجَازِعَيْنِ أَلُومُ

أَمُسْتَعْبِراً يَبْكِي مِنَ الْهَوْنِ وَالْبِلَى ... أَمْ آخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ (٢)

وقال السدي لما قتل الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة اطرافها. وروى زرارة بن اعين عن ابي عبد الله (ع) انه قال بكت السماء على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن علي عليهما السلام اربعين صباحا ولم تبك إلا عليهما قلت وما بكاؤها قال كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء (وما كانوا منظرين) اي عوجلوا بالعقوبة ولم يمهلوا.

قوله تعالى (٣٠) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣١) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣٢) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٤) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٥) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٦) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٧) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٨) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٩) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ احدى عشرة آية

﴿ الاعراب ﴾

من فرعون اي من عذاب فرعون فحذف المضاف ويجوز أن يكون حالا من العذاب المهين اي ثابتا من فرعون فلا يكون على حذف المضاف. اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم يجوز أن يكون الذين من قبلهم مبتدأ واهلكناهم خبره ويجوز ان يكون منتصبا بفعل مضمر دلّ عليه اهلكناهم ويجوز أن يكون رفعا بالعطف على قوم تبع فعلى هذا تقف على قبلهم ويكون اهلكناهم في تقدير واهلكناهم اي والمهلكون من قبلهم

﴿ المعنى ﴾

ثم اقسم سبحانه بقوله (ولقد نجينا بني اسرائيل) الذين آمنوا بموسى (من العذاب المهين) يعني قتل الابناء واستخدام النساء والاستعباد وتكليف المشاق (من فرعون انه كان عاليا) اي متجبرا متكبرا متغلبا (من المسرفين) اي المجاوزين الحدّ في الطغيان وصفه بأنه عالٍ وان جاز ان يكون عالٍ صفة مدح لأنه قيّده بأنه عالٍ في الإسراف لأنّ العالي في الإحسان ممدوح والعالي في الإساءة مذموم (ولقد اخترناهم)

---

(١) هام على وجهه: ذهب من العشق وغيره لا يدري اين يتوجه. سواء يقال للمفرد والمثنى والجمع وسواسية لا تقال الا في الشر كقولهم: هم سواسية في الشر وكذا هنا (٤) كسفت الشمس النجوم: غلب ضوئها على النجوم فلم يبد منها شيء ونجوم الليل والقمر ا مفعول كاسفة مقصوده ان موتك صار سببا لقلة ضوء الشمس بحيث لا يغلب نورها نور القمر والنجوم وهي تبكي عليك (١) تهلل العين: سالت بالدمع

اي اخترنا موسى وقومه بني اسرائيل وفضّلناهم بالتوراة و كثرة الأنبياء منهم (على علم) اي على بصيرة منّا باستحقاقهم التفضيل والاختيار (على العالمين) اي على عالمي زمانهم عن قتادة والحسن ومجاهد ويدلّ عليه قوله تعالى لأمّة نبينا ﷺ كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل فضّلناهم على جميع العالمين في امر كانوا مخصوصين بـه وهو كثرة الانبياء منهم (وآتيناهم) اي واعطيناهم (من الآيات) يعني الدلالات والمعجزات مثل فلق البحر و تظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى (ما فيه بلاء مبين) اي ما فيه النعمة الظاهرة عن الحسن وقيل ما فيه شدّة وامتحان مثل العصا واليد البيضاء فالبلاء يكون بالشدّة والرخاء عن ابن زيد فيكون في الآيات نعمة على الانبياء وقومهم وشدّة على الكفار المكذّبين بهم ثم اخبر سبحانه عن كفّار قوم نبينا ﷺ الذين ذكرهم في اول السورة فقال (إنّ هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الاولى) اي ما الموتة إلا موتة نموتها في الدنيا ثم لانبعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) اي بمبعوثين ولا معادين (فأتوا بآبائنا) الـذين ماتوا قبلنا وأعيدوهم (إن كنتم صادقين) في انّ الله تعالى يقدر على اعادة الاموات واحيائهم وقيل انّ قائل هذا ابو جهل بن هشام قال ان كنت صادقاً فابعث جدّك قُصَيّ بن كلاب فإنّه كان رجلا صادقاً لنسأله عمّا يكون بعـد الموت وهذا القول جهـل من ابي جهل من وجهين ﴿ احدهما ﴾ أنّ الاعادة انّما هي للجزاء لا للتكليف وليست هذه الدار بدار جزاء ولكنّها دار تكليف فكأنّه قال: ان كنت صادقاً في اعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف ﴿ والثاني ﴾ انّ الإحياء في دار الدنيا انما يكون للمصلحة فلا يقف ذلك على اقتراحهم لأنّه ربما تعلّق بذلك مفسدة ولمّا تركوا الحجة وعدلوا إلى الشبهـة جهلا عدل سبحانه في اجابتهم الى الوعيد والوعظ فقال (أهم خير ام قوم تبّع) اي أمشركو قريش أظهر نعمة واكثر أموالاً واعزّ في القوة والقدرة أم قوم تبّع الحميري الذي سار بالجيوش حتى حيّر[1] الحيرة ثم اتى سمرقند فهدمها ثم بناها وكان إذا كتب كتب باسم الذي ملك برّاً وبحراً وضحاً وريحا عن قتادة وسمي تبّعا لكثرة اتباعه من الناس وقيل سمّي تبّعاً لأنّه تبع مَن قبله من ملوك اليمن والتبابعة اسم ملوك اليمن فتبّع لقب له كما يقال خاقان لملك الترك وقيصر لملك الروم واسمه اسعد[2] أبو كرب وروى سهل بن سعد عن النبي ﷺ انه قال لا تسبّوا تبّعاً فإنه كان قد اسلم وقال كعب نعم الرجل الصالح ذمّ الله قومه ولم يذمّه وروى الوليد بن صبيح عن ابي عبد الله (ع) قال انّ تبّعاً قال للاوس والخزرج كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي أحسبُه انا لو ادركته لخدمته وخرجت معه (والذين من قبلهم) يعني من تقدّمهم من قوم نوح وعاد وثمود (اهلكناهم) معناه انّهم ليسوا بأفضل منهم وقد اهلكناهم بكفرهم وهؤلاء مثلهم بل أولئك كانوا اكثر قوّة وعـدداً فإهلاك هؤلاء يسر (إنّهم كانوا مجرمين) اي كافرين فليحذر هؤلاء ان ينالهم مثل ما نال أولئك (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) اي لم نخلق ذلك لا لغرض حكمي بل خلقناها لغرض حكمي وهو ان ننفع المكلّفين بذلك ونعرضهم للثواب وننفع سائر الحيوانات بضروب المنافع واللذات (ماخلقناهما الا بالحق) اي إلا بالعلم الداعي الى خلقهما والعلم لا يدعو الا إلى الصواب والحق وقيل معناه ما خلقناهما الا للحق وهـو الامتحان بالامر والنهي والتمييز بين المحسن والمسيء لقوله ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا الآية وقيل معناه ما خلقناهما إلا على الحق الذي يستحقّ به الحمد خلاف الباطل الذي يستحق به الذم (ولكنّ اكثرهم لا يعلمون) صحّة ما قلناه لعدولهم عن النظر فيه والاستدلال على صحته (انّ يوم الفصل ميقاتهم

(١) لم نجد له فيما بايدينا من كتب اللغة معنى يناسبه ولعله مما يشتق ويؤخذ الفعل من الاسم نحو خيّم القوم اى ضربوا خياماً وهذا ايضاً مأخوذ من الحيرة وفى نسخة: حيّز مأخوذ من الحيّز (٢) وفى المخطوطة سعد .

أجمعين) يعني اليوم الذي يفصل فيه بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة وقيل معناه يوم الحكم ميقات قوم فرعون وقوم تبع ومن قبلهم ومشركي قريش وموعدهم

قوله تعالى (٤١) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٢) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٣) إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٤) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٥) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٦) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٧) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٨) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٩) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٥٠) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ أهل مكة وحفص ورويس يغلي بالياء والباقون تغلي بالتاء وقرأ اهل الكوفة وابو جعفر وابو عمرو فاعتلوه بكسر التاء والباقون بضمها وقرأ الكسائي وحده ذق انك بفتح الهمزة والباقون انك بكسرها

الحجة

من قرأ تغلي بالتاء فعلى الشجرة كأن الشجرة تغلي ومن قرأ بالياء حمله على الطعام وهو الشجرة في المعنى ويَعتِل ويَعتُل مثل يعكِف ويعكُف ويفسِق ويفسُق في انهما لغتان ومعنى فاعتلوه قودوه بعنف ومن قرأ انك بالكسر فالمعنى انك انت العزيز الكريم في زعمك فأجرى ذلك على حسب ما كان يذكره او يذكر به ومن قرأ أنك بالفتح فالمعنى ذق بأنك

المعنى

لما ذكر سبحانه ان يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم فيه بيّن أيّ يوم هو فقال (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً) فالمولى الصاحب الذي من شأنه ان يتولى معونة صاحبه على أموره فيدخل في ذلك ابن العمّ والناصر والحليف وغيرهم ممن هذه صفته والمعنى ان ذلك اليوم يوم لا يغني فيه ولي عن ولي شيئاً ولا يدفع عنه عذاب الله تعالى (ولا هم ينصرون) وهذا لا ينافي ما يذهب اليه اكثر الأمة من اثبات الشفاعة للنبي ﷺ والأئمة (ع) والمؤمنين لأن الشفاعة لا تحصل إلا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالآية انه ليس هم من يدفع عنهم عذاب الله وينصرهم من غير ان يأذن الله له فيه وقد بيّن ما اشرنا اليه باستثنائه من رحمه منهم فقال (الا من رحم الله) اي إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين فإنه إما ان يسقط عقابهم ابتداء او يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له لشفاعته (انه هو العزيز) في انتقامه من أعدائه (الرحيم) بالمؤمنين ثم وصف سبحانه ما يفصل به بين الفريقين فقال (إن شجرت الزقوم) وقد مر تفسيره في سورة الصافات (طعام الأثيم) اي الآثم وهو ابو جهل وروي انّ ابا جهل اتى بتمر وزبد فجمع بينهما وأكل وقال هذا هو الزقوم الذي يخوّفنا محمد به نحن نتزقمه اي نملأ افواهنا به فقال سبحانه (كالمهل) وهو المذاب من النحاس او الرصاص او الذهب او الفضة وقيل هو دُردِيّ الزيت (يغلي في البطون كغلي الحميم) اي إذا حصلت في اجواف اهل النار تغلي كغلي الماء الحارّ الشديد الحرارة قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يكون المعنى يغلي المهل في البطون لأن المهل إنما ذكر للتشبيه به في الذوب

الا ترى انّ المهل لا يغلي في البطون وإنما يغلي ما شبّه به (خذوه) اي يقال للزبانية خذوا الاثيم (فاعتلوه) اي زعزعوه وادفعوه بعنف ومنه قول الشاعر:

فَيا ضَيْعَةَ الفِتْيانِ إذْ يَعْتِلُونَهُ ... بِبَطْنِ الثَّرى مِثْلَ الفَنِيقِ المُسَدَّمِ(١)

وقيل معناه جرّوه على وجهه عن مجاهد (إلى سواء الجحيم) اي الى وسط النار عن قتادة وسمّي وسط الشيء سواء لاستواء المسافة بينه وبين اطرافه المحيطة به والسواء العدل (ثم صبّوا فوق رأسه) قال مقاتل انّ خازن النار يمرّ به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه (من عذاب الحميم) وهو الماء الذي قد انتهى حرّه ويقول له (ذق انك انت العزيز الكريم) وذلك انه كان يقول انا اعزّ اهل الوادي واكرمهم فيقول له الملك ذق العذاب أيها المتعزّز المتكرم في زعمك وفيما كنت تقوله وقيل انه على معنى النقيض فكأنه قيل انك انت الذليل المهين الا انه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به وقيل معناه انك انت العزيز في قومك الكريم عليهم فما اغنى ذلك عنك (انّ هذا ما كنتم به تمترون) اي ثمّ يقال لهم انّ هذا العذاب ما كنتم تشكّون فيه في دار الدنيا.

قوله تعالى (٥١) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥٢) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٣) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٤) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٥) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٦) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٧) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٨) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٩) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ تسع آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر في مقام بالضم والباقون في مقام بالفتح

الحجة

من فتح المبهم أراد به المجلس والمشهد كما قال في مقعد صدق ووصفه بالأمن يقوّي انّ المراد به المكان ومن ضم فإنه يحتمل ان يريد به المكان من اقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحد أو يجوز ان يجعله مصدراً ويقدّر المضاف محذوفاً أي موضع إقامة

اللغة

السندس الحرير والاستبرق الديباج الغليظ الصفيق قال الزجّاج إنما قيل له استبرق لشدة بريقه والحور جمع حوراء من الحَوَر وهو شدّة البياض وهنّ البيض الوجوه وقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين

الاعراب

كذلك جارّ ومجرور في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ التقدير الأمر كذلك. متقابلين نصب على الحال من يلبسون ويلبسون يجوز ان يكون خبراً بعد خبر ويجوز ان يكون حالا من الظرف الذي هو قوله في

(١) وفي نسخة: الفتيق بالتاء وهو من الجمال ما ينفتق سمناً وبالنون: الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على اهله ولا يركب والمسدّم: البعير المهمل. الهائج

مقام لأن التقدير ان المتقين ثبتوا في مقام ومفعول يلبسون محذوف وتقديره يلبسون ثياباً من سندس فآمنين حال من يدعون. الموتة الأولى نصب على الاستثناء قال الزجاج معناه سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف المعنى سوى ما قد سلف واقول انّ سوى لا يكون إلا ظرفاً والا حرف فكيف يكون بمعناه فالأولى ان يكون الا هنا مع ما بعدها صفة او بدلا بمعنى غير تقديره لا يذوقون فيها الموت غير الموتة الاولى إذ الموتة الأولى قد انقضت فلا يمكن ان يستثنى من الموت الذي لا يذوقونه في الجنة إذ ليست بداخلة فيه وقوله فضلا من ربك مفعول له تقديره فعل الله ذلك بهم فضلا منه وتفضّلا منه ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره واعطاهم فضلا ويجوز ان يكون مصدراً مؤكداً لما قبله لأنّ ما ذكره قبله تفضّل منه سبحانه كقول امرء القيس « وَرُضْتُ[1] فَذَلَّتْ صَعْبَةٌ أَيَّ إِذْلَالِ » على معنى اذللته أيّ اذلال فاستغنى عن أذللته بذكر رضت.

﴿ المعنى ﴾

ثم عقّب سبحانه الوعيد بذكر الوعد فقال (انّ المتقين) الذين يجتنبون معاصي الله لكونها قبائح ويفعلون الطاعات لكونها طاعات (في مقام أمين) امنوا فيه الغِيَر من الموت والحوادث وقيل امنوا فيه من الشيطان والأحزان عن قتادة (في جنّات وعيون) أي بساتين وعيون ماء نابعة فيها (يلبسون من سندس واستبرق) خاطب العرب فوعدهم من الثياب بما عظم عندهم واشتهته أنفسهم وقيل السندس ما يلبسونه والاستبرق ما يفترشونه (متقابلين) في المجالس لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل يقابل بعضهم بعضاً وقيل معناه متقابلين بالمحبّة لا متدابرين بالبغضة (كذلك) حال اهل الجنة (وزوّجناهم بحور عين) قال الأخفش المراد به التزويج المعروف يقال زوّجته امرأة وبامرأة وقال غيره لا يكون في الجنة تزويج والمعنى وقرنّاهم بحور عين (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) اي يستدعون فيها أيّ ثمرة شاؤوا واشتهوا غير خائفين فوتها آمنين من نفادها ومضرّتها وقيل آمنين من التخم والأسقام والأوجاع (لا يذوقون فيها الموت) شبّه الموت بالطعام الذي يذاق ويتكره عند المذاق ثم نفى ان يكون ذلك في الجنة وإنما خصّهم بأنّهم لا يذوقون الموت مع انّ جميع اهل الآخرة لا يذوقون الموت لما في ذلك من البشارة لهم بالحياة الهنيئة في الجنة فأما من يكون فيها هو كالموت في الشدة فإنه لا يطلق له هذه الصفة لأنه يموت موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة (إلا الموتة الأولى) قيل معناه بعد الموتة الاولى وقيل معناه لكنّ الموتة الأولى قد ذاقوها وقيل سوى الموتة الأولى وقد بيّنا ما عندنا فيه (ووقيهم عذاب الجحيم) اي فصرف عنهم عذاب النار. استدلّت المعتزلة بهذا على انّ الفاسق الملّي لا يخرج من النار لأنه يكون قد وقي النار والجواب عن ذلك ان هذه الآية يجوز ان تكون مختصة بمن لا يستحقّ دخول النار فلا يدخلها او بمن استحق النار فتفضل عليه بالعفو فلم يدخلها ويجوز ان يكون المراد ووقاهم عذاب الجحيم على وجه التأبيد او على الوجه الذي يعذّب عليه الكفار (فضلا من ربك) أي فعل الله ذلك بهم تفضلا منه لأنه سبحانه خلقهم وأنعم عليهم وركّب فيهم العقل وكلّفهم وبيّن لهم من الآيات ما استدلّوا به على وحدانيّة الله تعالى وحسن الطاعات فاستحقوا به النعم العظيمة ثم جزاهم بالحسنة عشر أمثالها فكان ذلك فضلا منه عز اسمه وقيل انما سمّاه فضلا وان كان مستحقاً لأنّ سبب الاستحقاق هو التكليف والتمكين وهو فضل منه سبحانه (ذلك هو الفوز العظيم) اي الظفر بالمطلوب العظيم الشأن (فإنما يسّرناه بلسانك) اي سهّلنا

(١) راض المُهرَ ذلّله وسخّره وجعله مطيعاً و علّمه السير ويقال : رُض نفسك بالتقوى اي ذلّلها

القرآن فالهاء كناية عن غير مذكور والمعنى هوّنا القرآن على لسانك ويسّرنا قراءته عليك وقيل معناه جعلنا القرآن عربيا ليسهل عليك وعلى قومك تفهمه (لعلهم يتذكرون) أي ليتذكروا ما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد ويتفكروا فيه (فارتقب انهم مرتقبون) أي فإن اعرضوا ولم يقبلوا فانتظر مجيء ماوعدناك به انهم منتظرون لأنهم في حكم من ينتظر لأنّ المحسن يترقب عاقبة الإحسان والمسيء يترقب عاقبة الإساءة وقيل معناه انتظر بهم عذاب الله فإنهم ينتظرون بك الدوائر وقيل انتظر قهرهم ونصرك عليهم فإنهم منتظرون قهرك بزعمهم

سورة الجاثية

وتسمى ايضا سورة الشريعة لقوله فيها ثم جعلناك على شريعة من الأمر وهي مكية قال قتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة قل للذين آمنوا يغفروا الآية

﴿ عدد آيها ﴾

سبع وثلاثون آية كوفي ست في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية حم كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكّن روعته عند الحساب وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها ان لا يرى النار أبداً ولا يسمع زفير جهنم ولا شهيقها وهو مع محمد ﷺ

-(تفسيرها)-

لمّا ختم الله سبحانه سورة الدخان بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره ايضافقال سبحانه :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) حم (٢) تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٣) إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥) وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات في الموضعين على النصب والباقون آيات على الرفع فيهما

الحجة

قال ابو علي قوله وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات جاز الرفع في قوله آيات من وجهين احدهما العطف على موضع انّ وما عملت فيه فإنّه رفع بالابتداء فيحتمل الرفع فيه على الموضع والآخر ان يكون مستأنفاً ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة فيكون قوله آيات على هذا مرتفعاً بالظرف فهذا وجه قول من رفع آيات في الموضعين قال ابو الحسن من دابة آيات قراءة الناس بالرفع وهي أجود وبها نقرأ لأنّه قد صار على كلام آخر نحو إنّ في الدار زيداً وفي البيت عمرو لأنك انما تعطف الكلام كله على الكلام كله قال وقد قرئ بالنصب وهو عربيّ انتهت الحكاية عنه وأمّا قوله واختلاف الليل والنهار إلى آخره آيات فإنك ان تركت الكلام على ظاهره فإنّ فيه عطفاً على عاملين احد العاملين الجارّ الذي هو في من قوله وفي خلقكم وما يبث من دابة والعامل الآخر إن نصبت آيات وان رفعت فالعامل المعطوف عليه الابتداء او الظرف ووجه قراءة من قرأ آيات بالنصب انّه لم يحمل على موضع انّ كما حمل من رفع آيات في الموضعين او قطعه واستأنف ولكن حمل على لفظ انّ دون موضعها فحمل آيات في الموضعين على نصب إنّ في قوله انّ في السموات والأرض لآيات للمؤمنين فإن قلت انّه يعرض في هذه القراءة العطف على عاملين وذلك في قوله واختلاف الليل والنهار آيات وسيبويه وكثير من النحويين لا يجيزونه قيل يجوز ان يقدّر في قوله واختلاف الليل والنهار آيات وان كانت محذوفة من اللفظ وذلك انّ ذكره قد تقدّم في قوله انّ في السموات وقوله وفي خلقكم فلمّا تقدّم ذكر الجارّ في هذين قدّر فيه الإثبات في اللفظ وان كان محذوفاً منه كما قدّر سيبويه في قوله:

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً ... وَنَارٍ تَأَجَّجُ بِاللَّيْلِ نَاراً

انّ كل في حكم الملفوظ به واستغني عن اظهاره بتقدم ذكره ومما يؤكد هذه القراءة قولهم آنّ آيات محمولة على انّ ما ذكر عن ابيّ انّه قرأ في المواضع الثلاثة لآيات فدخول اللامات تدلّ على انّ الكلام محمول على انّ واذا كان محمولا عليها حسن النصب وصار كلّ موضع من ذلك كأنّ انّ مذكورة فيه بدلالة دخول اللام لأنّ هذه اللام انما تدخل على خبر إنّ اوعلى اسمها ومما يجوز ان يتأوّل على ماذكرنا قول الفرزدق:

وَبَاشَرَ رَاعِيهَا الصَّلَا بِلَبَانِهِ ... وَكَفَّيْهِ حَرَّ النَّارِ مَا يَتَحَرَّفُ (١)

فهذا ان حملت الكلام على ظاهره كان عطفاً على عاملين على الفعل والباء ان قدرت ان الباء ملفوظ بها لتقدّم ذكرها صارت في حكم الثبات في اللفظ وإذا صار كذلك كان العطف على عامل واحد وهو الفعل دون الجارّ وكذلك قول الآخر:

أُوصِيتُ مِنْ بَرَّةَ قَلْباً حُرّاً ... بِالْكَلْبِ خَيْراً وَالْحَمَاةِ شَرّاً (٢)

فإن قدّرت الجارّ في حكم المذكور لدلالة المتقدّم عليه لم يكن عطفا على عاملين كما لم يكن قوله واختلاف الليل والنهار لآيات كذلك وقد يخرج قوله واختلاف الليل والنهار آيات من ان يكون عطفا على عاملين من وجه آخر وهو ان تقدّر قوله واختلاف الليل والنهار على في المتقدّم ذكرها وتجعل آيات متكررة كرّرتها لما تراخى الكلام وطال كما قال بعض شيوخنا في قوله تعالى ألم يعلموا انّه من يحادد الله ورسوله فأنّ له نار جهنم ان أن هي الاولى كررت وكما جاء فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به لما تراخى عن قوله ولمّا جاءهم كتاب من عند

(١) الصّلا: وسط الظهر من الناس ومن كل ذي اربع - الوقود - النار - واللبان بالفتح الصدر وفي نسختين يتحرق بدل يتحرف وتحرق اي وقع في النار وتحرف اي مال الى حرف اي الى جانب (٢) برّة امرأة وهي جدة قريش ام النضر بن كنانة والحماة بالفتح: ام الزوجة وحماة المرئ ام زوجها اي اوصتني برة من قلب حرّ او بقلب حرّ بالكلب خيراً و بالحماة شراً

الله وهذا النحو في كلامهم غير ضيّق

المعنى

(حمٓ) قد بيّنا ما قيل فيه وأجود الأقوال انّه اسم للسورة قال علي بن عيسى وفي تسمية السورة بحمٓ دلالة على انّ هذا القرآن المعجز كلّه من حروف المعجم لأنه سمّي به ليدلّ عليه بأوصافه ومن أوصافه انه معجز وانّه مفصّل قد فصّلت كلّ سورة من اختها وانّه هدى ونور فكأنّه قيل هذا اسمه الدالّ عليه بأوصافه (تنزيل الكتاب من الله) أضاف التنزيل إلى نفسه في مواضع من السور استفتاحا بتعظيم شأنه وتفخيم قدره بإضافته إلى نفسه من اكرم الوجوه وأجلّها وما اقتضى هذا المعنى لم يكن تكريراً فقد يقول القائل اللّهم اغفر لي اللّهم ارحمني اللّهم عافني اللّهم وسّع عليّ في رزقي فيأتي بما يؤذن انّ تعظيمه لربّه منعقد بكل ما يدعو به وقوله من الله يدلّ على انّ ابتداءه من الله تعالى (العزيز) أي القادر الذي لا يغالب (الحكيم) العالم الذي أفعاله كلّها حكمة وصواب (انّ في السموات والأرض لآيات للمؤمنين) الذين يصدّقون بالله وبأنبيائه لأنّهم المنتفعون بالآيات وهي الدلالات والحجج الدالّة على انّ لها مدبّراً صانعاً قادراً عالماً (وفي خلقكم وما يبثّ من دابّة آيات) معناه وفي خلقه إيّاكم بما فيكم من بدائع الصنعة وعجائب الخلقة وما يتعاقب عليكم من الاحوال من مبتدأ خلقكم في بطون الأمّهات إلى انقضاء الآجال وفي خلق ما يفرّق على وجه الأرض من الحيوانات على اختلاف اجناسها ومنافعها والمقاصد المطلوبة منها دلالات واضحات على ما ذكرناه (لقوم يوقنون) اي يطلبون علم اليقين بالتدبّر والتفكّر (واختلاف الليل والنهار) اي وفي ذهاب الليل والنهار ومجيئها على وتيرة واحدة وقيل معناه وفي اختلاف حالها من الطول والقصر وقيل اختلافهما في انّ احدهما نور والآخر ظلمة (وما أنزل الله من السماء من رزق) أراد به المطر الذي ينبت به النبات الذي هو رزق الخلائق فسمّاه رزقا لأنّه سبب الرزق (فأحيا به الأرض بعد موتها) اي فأحيا بذلك المطر الأرض بعد يبسها وجفافها (وتصريف الرياح) اي وفي تصريف الرياح يجعلها مرّة جنوباً وأخرى شمالاً ومرّة صبا واخرى دبوراً من الحسن وقيل يجعلها تارة رحمة وتارة عذابا عن قتادة (آيات لقوم يعقلون) وجوه الأدلّة ويتدبّرونها فيعلمون انّ لهذه الأشياء مدبّراً حكيماً قادراً عليماً حيّاً غنيّاً قديماً لا يشبهه شيء.

قوله تعالى (٦) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٧) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٨) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٩) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٠) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير حفص والاعشى والبرجمي وابن عامر ويعقوب تؤمنون بالتاء. والباقون بالياء.

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ بالياء انّ قبله غيبة وهو قوله لقوم يؤمنون ومن قرأ بالتاء فالتقدير قل لهم فبأيّ حديث بعد ذلك تؤمنون .

المعنى

لما قدّم سبحانه ذكر الادلّة عقّب ذلك بالوعيد لمن اعرض عنها ولم يتفكر فيها فقال (تلك آيات الله) اي ما ذكرناه ادلّة الله التي نصبها لخلقه المكلّفين (نتلوها عليك) اي نقرأها عليك يا محمد لنقرأها عليهم (بالحقّ) دون الباطل والتلاوة الاتيان بالثاني في اثر الأول في القراءة والحقّ الذي تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به في جميع انواعه (فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون) معناه انّ هؤلاء الكفار إن لم يصدّقوا بما تلوناه عليك فبأيّ حديث بعد حديث الله وهو القرآن وآياته يصدّقون وبأيّ كلام يتفعون وهذا اشارة إلى انّ المعاند لا حيلة له والفرق بين الحديث الذي هو القرآن وبين الآيات انّ الحديث قصص يستخرج منه عِبَر تبيّن الحق من الباطل والآيات هي الأدلّة الفاصلة بين الصحيح والفاسد (ويل لكل أفّاك اثيم) الأفّاك الفعّال من الإفك وهو الكذب ويطلق ذلك على من يكثر كذبه او يعظم كذبه وان كان في خبر واحد ككذب مسيلمة في ادعاء النبوة والاثيم ذو الإثم وهو صاحب المعصية التي يستحقّ بها العقاب والويل كلمة وعيد يتلقى بها الكفار وقيل هو وادٍ سائل من صديد جهنم ثم وصف سبحانه الأفّاك الاثيم بقوله (يسمع آيات الله تتلى عليه) اي يسمع آيات القرآن التي فيها الحجة تقرأ عليه (ثم يصرّ مستكبراً) اي يقيم على كفره وباطله متعظّماً عند نفسه عن الانقياد للحق (كأن لم يسمعها) اصلا في عدم القبول لها والاعتبار بها (فبشّره بعذاب أليم) اي مؤلم (وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزواً) اي وإذا علم هذا الأفاك الأثيم من حججنا وادلّتنا شيئاً استهزأ بها ليري العوامّ انّه لا حقيقة لها كما فعله ابو جهل حين سمع قوله انّ شجرة الزقوم طعام الاثيم او كما فعله النضر بن الحارث حين كان يقابل القرآن بأحاديث الفرس (أولئك لهم عذاب مهين) اي مذلّ مخزٍ مع ما فيه من الألم (من ورائهم جهنم) اي من وراء ما هم فيه من التعزّز بالمال والدنيا جهنم ومعناه قدّامهم ومن بين أيديهم كقوله وكان وراءهم ملك ووراء اسم يقع على القدّام والخلف فما توارى عنك فهو وراءك خلفك كان او أمامك (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا) اي لا يغني عنهم ما حصّلوه وجمعوه من المال والولد شيئا من عذاب الله تعالى (ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) من الآلهة التي عبدوها لتكون شفعاءهم عند الله (ولهم) مع ذلك (عذاب عظيم)

قوله تعالى (١١) هٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (١٢) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٣) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٤) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٥) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ

خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وحفص من رجز اليم بالرفع والباقون أليم بالجر وقرأ ابو جعفر ليجز بضم الياء وفتح الزاي وقرأ

ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف لنجزي بالنون و كسر الزاي والنصب وقرأ الباقون ليجزي بفتح الياء وكسر الزاي .

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الرجز العذاب فمن جرّ فالتقدير من رجز اليم ومن رفع فالمعنى عذاب اليم من عذاب وفيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انّ الصفة تجيء على وجه التأكيد كما انّ الحال تجيء كذلك وذلك نحو قوله نفخة واحدة ومناة الثالثة الأخرى وقولهم أمس الدابر قال :

وَأَبِي الَّذِي تَرَكَ الْمُلُوكَ وَجَمْعَهُمْ ... بِفِعَالِ هَامِدَةً كَأَمْسِ الدَّابِرِ(١)

﴿ والآخر ﴾ انّه محمول على انّه بمعنى الرجس الذي هو النجاسة على البدل للمقاربة ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه فكأنّ المعنى لهم عذاب من تجرّع رجس أو شرب رجس فتكون من تبييناً للعذاب مِمَّ هو؟ ومن قرأ ليجزي بالياء فحجته انّ ذكر الله قد تقدّم في قوله لا يرجون أيام الله فيكون فاعل يجزي ومن قرأ بالنون فالنون في معنى الياء وان كانت الياء أشدّ مطابقةً لما في اللفظ ومن قرأ ليجزي قوماً فقال ابو عمرو انّه لحسن ظاهر وذكر انّ الكسائي قال انّ معناه ليجزي الجزاء قوماً قال الجامع البصير معناه ليُجزَى الخير قوماً فأضمر الخير لدلالة الكلام عليه وليس التقدير ليجزي الجزاء قوماً لأنّ المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح فإذا الخير مضمر كما اضمر الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب لأنّ قوله إذ عرض عليه بالعشي يدل على تواري الشمس .

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (هذا هدىً) أي هذا القرآن الذي تلوناه والحديث الذي ذكرناه هدىً أي دلالة موصلة إلى الفرق بين الحقّ والباطل من أمور الدين والدنيا (والذين كفروا بآيات ربهم) وجحدوها (لهم عذاب من رجز اليم) أي معناه ثم نبّه سبحانه خلقه على وجه الدلالة على توحيده فقال (الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) أي بإذنه على حيث تجري السفن فيه (ولتبتغوا من فضله) أي ولتطلبوا بركوبه في أسفاركم من الأرباح بالتجارات (ولعلّكم تشكرون) له هذه النعمة (وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض) أي وسخر لكم مع ذلك معاشرَ الخلق في السماوات من الشمس والقمر والنجوم والمطر والثلج والبَرَد وما في الأرض من الدوابّ والاشجار والنبات والاثمار والأنهار ومعنى تسخيرها لنا انّه تعالى خلقها جميعا لانتفاعنا بها فهي مسخّرة لنا من حيث انّا ننتفع بها على الوجه الذي نريده وقوله (جميعاً منه) قال ابن عباس أي كلّ ذلك رحمة منه لكم قال الزجاج كلّ ذلك منه تفضّل وإحسان ويحسن الوقف على قوله جميعاً ثم يقول منه أي ذلك التسخير منه لا من غيره فهو فضله واحسانه وروي عن ابن عباس وعبد الله بن عمر والجحدري انهم قرأوا منّةً منصوبة ومنوّنة وعلى هذا فيكون من باب تبسّمت وميض البرق فكأنّه قال منّ عليهم منّةً وروي عن سلمة انه قرأ منّة بالرفع وعلى هذا فيكون خبر مبتدأ محذوف أي ذلك منّة أو هو منّة أو يكون على معنى سخر لكم ذلك منّة (إن في ذلك لآيات) اي دلالات (لقوم يتفكرون) ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (قل) يا محمد (للذين آمنوا يغفروا) هذا جواب امر محذوف دل عليه الكلام وتقديره قل لهم اغفروا يغفروا فصار قل لهم على هذا الوجه يغني عنه عن عليّ بن عيسى وقيل معناه

(١) الهامدة : البالية المنقطعة . (٢) وفي نسخة على هيئة تجرى السفن فيه و في اخرى على هيئة لتجرى ... والاول هو الصواب .

قل للذين آمنوا اغفروا ولكنه شبه بالشرط والجزاء كقوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة عن الفراء وقيل يغفروا تقديره يا هؤلاء اغفروا فحذف المنادى كقوله ألا يا اسجدوا لله وقول الشاعر « ألا يا اسلمي ذات الدمالج والعِقد[1] » (للذين لا يرجون ايام الله) أي لا يخافون عذاب الله إذا نالوكم بالأذى والمكروه ولا يرجون ثوابه بالكف عنكم وقد مر تفسير أيام الله عند قوله وذكرهم بأيام الله ومعنى يغفروا هاهنا يتركوا مجازاتهم على أذاهم ولا يكافؤوهم ليتولى الله مجازاتهم (ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون) بيان هذا الجزاء في الآية التي تليها وهو قوله (من عمل صالحا) أي طاعة وخيراً وبراً (فلنفسه) لأن ثواب ذلك يعود عليه (ومن أساء فعليها) أي فوبال اساءته على نفسه (ثم إلى ربكم ترجعون) يوم القيامة أي إلى حيث لا يملك احد النفع والضر والنهي والأمر غيره سبحانه فيجازي كل إنسان على قدر عمله.

قوله تعالى (١٦) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٧) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٨) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٩) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (٢٠) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ خمس آيات.

المعنى

لما تقدم ذكر النعمة ومقابلتهم إياها بالكفر والطغيان بيّن عقيب ذلك ذكر ما كان من بني اسرائيل ايضاً في مقابلة النعم من الكفران فقال: (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) يعني التوراة (والحكم) يعني العلم بالدين وقيل العلم بالفصل بين الخصمين وبين المحق والمبطل (والنبوة) أي وجعلنا فيهم النبوة حتى روي انه كان فيهم الف نبي (ورزقناهم من الطيبات) أي واعطيناهم من أنواع الطيبات (وفضلناهم على العالمين) اي عالمي زمانهم وقيل فضلناهم في كثرة الأنبياء منهم على سائر الأمم وإن كانت أمة محمد ﷺ أفضل منهم في كثرة المطيعين لله وكثرة العلماء منهم كما يقال هذا افضل في علم النحو وذاك في علم الفقه فأمة محمد ﷺ أفضل في علو منزلة نبيها عند الله على سائر الأنبياء وكثرة المجتبين الاخيار من آله وامته والفضل الخير الزائد على غيره فأمة محمد ﷺ أفضل بفضل محمد وآله (وآتيناهم بينات من الأمر) اي أعطيناهم دلالات وبراهين واضحات من العلم بمبعث محمد ﷺ وما بيّن لهم من أمره وقيل يريد بالامر أحكام التوراة (فما اختلفوا إلا من بعد ما جائهم العلم) أي من بعد ما انزل الله الكتب على انبيائهم واعلمهم بما فيها (بغياً بينهم) أي طلباً للرئاسة وأنفة من الإذعان للحق وقيل بغياً على محمد ﷺ في جحودهم في كتابهم من نبوته وصفته (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ظاهر المعنى (ثم جعلناك على شريعة من الامر) اي ثم جعلناك يا محمد على دين ومنهاج وطريقة يعني بعد موسى وقومه والشريعة السنة التي من سلك طريقها أدّته إلى البُغية كالشريعة التي هي طريق إلى الماء فهي علامة منصوبة على

(١) جمع الدملوج: حلي يلبس في المعصم والعِقد: القلادة.

الطريق من الأمر والنهي يؤدّي إلى الجنّة كما يؤدّي ذلك إلى الوصول إلى الماء (فاتّبعها) اي اعمل بهذه الشريعة (ولا تتّبع اهواء الذين لا يعلمون) الحق ولا يفصلون بينهُ وبين الباطل من اهل الكتاب الذين غيّروا التوراة اتباعاً لهواهم وحبّاً للرئاسة واستتباعاً للعوامّ ولا المشركين الذين اتّبعوا اهواءهم في عبادة الأصنام (انّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً) اي لن يدفعوا عنك شيئاً من عذاب الله ان اتّبعت اهواءهم(١) (وانّ الظالمين بعضهم اولياء بعض) يعني انّ الكفار بأجمعهم متّفقون على معاداتك وبعضهم انصار بعض عليك (والله وليّ المتقين) اي ناصرهم وحافظهم فلا تشغل قلبك بتناصرهم وتعاونهم عليك فإن الله ينصرك عليهم ويحفظك (هذا بصائر للناس) اي هذا الذي انزلته عليك من القرآن بصائر اي معالم في الدين وعظات وعبَر للناس يبصرون بها من أمور دينهم (وهدىً) أي دلالة واضحة (ورحمة) أي ونعمة من الله (لقوم يوقنون) بثواب الله وعقابه لأنّهم هم المنتفعون به .

قوله تعالى: (٢١) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢٢) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٣) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٥) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ خمس آيات .

(القراءة)

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر وروح وزيد سواء بالنصب والباقون بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير عاصم غشوة بفتح الغين بغير الف والباقون غشاوة بالألف .

(الحجّة)

قال ابو علي ليس الوجه في الآية نصب سواء على ان تجريه على ما قبله على حدّ قولك مررت برجل ضارب ابوه وبزيد خارجاً اخوه لأنه ليس باسم فاعل ولا مشبّه به مثل حسن وشديد ونحو ذلك إنّما هو مصدر فلا ينبغي ان يجري على ما قبله كما يجري اسم الفاعل وما شبّه به لتعرّيه من المعاني التي اعمل لها فاعل وما شبّه به عمل الفعل ومن قال مررت برجل خير منه أبوه وسرج خزّ صفته وبرجل مأة ابله استجاز ان يجري سواء أيضا على ما قبله كما اجرى الضرب الأول فأما من قرأ سواءً بالنصب فإنّ انتصابه يحتمل ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يجعل المحيا والممات بدلا من الضمير المنصوب في نجعلهم فيصير التقدير ان نجعل محياهم ومماتهم سواء فينتصب سواء على انه مفعول ثانٍ لنجعل ويكون انتصاب سواء على هذا القول حسنا لأنه لم يرفع مظهراً ويجوز ايضا ان يجعل محياهم ومماتهم ظرفين من الزمان فيكون كذلك ايضا ويجوز ان يعمل في الظرفين احد شيئين « احدهما » ما في سواء من معنى الفعل كأنّه يستوون في المحيا والممات

(١) وفي نسخة: ان اتبعت اهوائهم في عبادة الاصنام.

« والآخر » ان يكون العامل الفعل ولم يُعلم الكوفيون الذين نصبوا سواء نصبوا الممات فإذا لم ينصبوه كان النصب في سواء على غير هذا الوجه وغير هذا الوجه لا يخلو من أن ينتصب على انه حال أو على انه المفعول الثاني لنجعل وعلى اي هذين الوجهين حملته فقد اعملته عمل الفعل فرفعت به المظهر فإن جعلته حالا أمكن ان يكون الحال من الضمير في نجعلهم ويكون المفعول الثاني قوله كالذين آمنوا فإذا جعلت قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني أمكن ان يكون سواء منتصباً على الحال مما في قوله كالذين آمنوا من معنى الفعل فيكون ذو الحال الضمير المرفوع في قوله كالذين آمنوا وهذا الضمير يعود إلى الضمير المنصوب في نجعلهم وانتصابه على الحال من هذين الوجهين ويجوز ان لا يجعل قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني ولكن يجعل المفعول الثاني قوله سواء محياهم ومماتهم فيكون جملة في موضع نصب بكونها في موضع المفعول الثاني لنجعل ويجوز فيمن قال مررت برجل مائة ابله فأعمل المائة عمل الفعل ان ينصب سواء على هذا الوجه ايضاً ويرتفع به المحيا كما جاز ان يرتفع به إذا قدّرت الجملة في موضع الحال والحال في الجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم يكون من جعل ويكون مما في قوله كالذين من معنى الفعل وقد قيل في الضمير في قوله محياهم ومماتهم قولان: ﴿ احدهما ﴾ انه ضمير الكفار دون الذين آمنوا فكان سواء على هذا القول مرتفعاً بأنه خبر مبتدأ مقدّم تقديره محياهم ومماتهم سواء اي محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء ولا يكون النصب على هذا في سواء لأنّه اثبات في الاخبار بأنّ محياهم ومماتهم يستويان في الذمّ والبعد من رحمة الله ﴿ والقول الآخر ﴾ انّ الضمير في محياهم ومماتهم للقبيلين فإذا كان كذلك جاز أن ينتصب سواء على انه المفعول الثاني من نجعل فيمن استجاز ان يعمله في الظاهر لأنه يلتبس بالقبيلين جميعا وليس في الوجه الأول كذلك لأنّه للكفّار دون المؤمنين ولا يلتبس للمؤمنين من حيث كان للكفّار من دونهم ولا يجوز ان ينتصب سواء ولم يكن فيه إلا الرفع ويكون على هذا الوجه قوله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات في موضع المفعول الثاني وسواء محياهم استئناف ولا يكون في موضع حال من قوله كالذين آمنوا لأنه لا يلتبس بهم والقول في غشوة وغشاوة مذكور في سورة البقرة.

اللغة

الاجتراح الاكتساب يقال جرح واجترح وكسب واكتسب وفلان جارحة قومه اي كاسبة قومه واصله من الجراح لأنّ لذلك تأثيراً كتأثير الجراح ومثله الاقتراف وهو مشتق من قرف[1] القرحة والسيئة الفعلة القبيحة التي تسوء صاحبها باستحقاق الذمّ عليها والحسنة هي التي تسرّ صاحبها باستحقاق المدح عليها قال علي بن عيسى: القبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله والحسن هو ما للقادر عليه ان يفعله وكل فعل وقع لا لأمر من الأمور فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة ولا إلى السفه

المعنى

ثم قال سبحانه للكفار على سبيل التوبيخ لهم (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) معناه بل أحسب وهذا استفهام انكار وقيل ان هذا معطوف على معنى مضمر تقديره هذا القرآن بصائر للناس مؤدّية إلى الجنة أفعلموا ذلك أم حسب الذين اكتسبوا الشرك والمعاصي ان نجعل منزلتهم منزلة الذين صدقوا الله ورسوله وحققوا أقوالهم بأعمالهم (سواء محياهم ومماتهم) اي يستوي

(١) قرف القرحة يقرفها : قشرها بعد يبسها

محيا القبيلين وماتهم يعني أحسبوا أنّ حياتهم وماتهم كحياة المؤمنين وموتهم (ساء ما يحكمون) أي ساء ما حكموا على الله تعالى فإنّه لا يسوّي بينهم ولا يستقيم ذلك في العقول بل ينصر المؤمنين في الدنيا ويمكّنهم من المشركين ولا ينصر الكافرين ولا يمكنهم من المسلمين وينزل الملائكة عند الموت على المؤمنين بالبشرى وعلى الكافرين يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل أراد محياهم بعد البعث وماتهم عند حضور الملائكة لقبض أرواحهم وقيل أراد انّ المؤمنين محياهم على الإيمان والطاعة وماتهم على الإيمان والطاعة ومحيا المشركين على الشرك والمعصية وماتهم كذلك فلا يستويان عن مجاهد وقيل انّ الضمير في ماتهم ومحياهم للكفار والمعنى انّهم يتساوون في حال كونهم أحياء وفي حال كونهم أمواتاً لأنّ الحي متى لم يفعل الطاعة فهو بمنزلة الميّت ثم قال سبحانه (وخلق الله السموات والارض بالحق) اي لم يخلقهما عبثا وانما خلقهما النفع خلقه بأن يكلّفهم ويعرضهم للثواب الجزيل (ولتجزى كلّ نفس بما كسبت) من ثواب على طاعة او عقاب على معصية (وهم لا يظلمون) اي لا يبخسون حقوقهم ثم قال (أفرأيت) يا محمد (من اتخذ إلهه هويه) اي اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيئاً إلا ركبه لأنّه لا يؤمن بالله ولا يخافهُ فاتّبع هواه في اموره ولا يحجزه تقوى عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلّت الدلالة على انّ العبادة تحقّ له فإذا استحسن شيئاً وهواه اتخذه إلهاً وكان احدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو احسن منه رمى به وعبد الآخر عن عكرمة وسعيد بن جبير وقيل معناه افرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده ويرتكب ما يدعوه اليهِ ولم يرد انهُ يعبد هواه و يعتقد انهُ تحق لهُ العبادة لأنّ ذلك لا يعتقده احد عن علي بن عيسى قد أيّس الله رسوله من إيمان هؤلاء بهذا (وأضلّه الله على علم) أي خذله الله وخلّاه وما اختاره جزاء له على كفره وعناده وترك تدبّره على علم منه باستحقاقه لذلك وقيل أضلّه الله أي وجده ضالا على حسب ما علمه فخرج معلومه على وفق ما علمه كما يقال احمدت فلانا أي وجدته حميداً و كقول عمرو بن معديكرب قاتلناهم فما أجبناهم وسألناهم فما ابخلناهم وقاولناهم فما أفحمناهم أي ما وجدناهم كذلك وقيل معناه انه ضلّ عن الله كما قال:

هَبُونِي امْرَءاً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرُهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَامَ كَبِيرُ

اي ضلّ عنه بعيره (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) فسّرناه في سورة البقرة (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد هداية الله إيّاه والمعنى إذا لم يهتدِ بهدى الله بعد ظهوره ووضوحه فلا طمع في اهتدائه (أفلا تذكرون) أي أفلا تتّعظون بهذه المواعظ وهذا استبطاء بالتذكر منهم أي تذكّروا واتّعظوا حتى تحصلوا على معرفة الله تعالى ثم أخبر سبحانه عن منكري البعث فقال (وقالوا ما هي إلا حيوتنا الدنيا) أي ليس الحياة إلا حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب (نموت ونحيا) قيل في معناه أقوال ﴿احدها﴾ انّ تقديره نحيا ونموت فقدّم وأخّر ﴿والثاني﴾ انّ معناه نموت ونحيي أولادنا ﴿والثالث﴾ يموت بعضنا ويحيا بعضنا كما قال فاقتلوا أنفسكم أي ليقتل بعضكم بعضا (وما يهلكنا إلا الدهر) أي وما يميتنا إلّا الأيام والليالي أي مرور الزمان وطول العمر انكاراً منهم للصانع (وما لهم بذلك من علم) نفى سبحانه عنهم العلم أي انما ينسبون ذلك إلى الدهر لجهلهم ولو علموا انّ الذي يميتهم هو الله وانّه قادر على احيائهم لما نسبوا الفعل إلى الدهر (إنهم إلا يظنون) أي ما هم فيما ذكروه إلا ظانّون وإنما الأمر بخلافه وقد روي في الحديث عن النبي ﷺ انّه قال لا تسبّوا الدّهر فإنّ الله هو

الدهر وتأويله انّ اهل الجاهلية كانوا ينسبون الحوادث المجحفة والبلايا النازلة إلى الدهر فيقولون فعل الدهر كذا وكانوا يسبّون الدهر فقال ﷺ انّ فاعل هذه الأمور هو الله تعالى فلا تسبّوا فاعلها وقيل معناه فإنّ الله مصرّف الدهر ومدبّره والوجه الأول أحسن فإنّ كلامهم مملوء من ذلك ينسبون أفعال الله إلى الدهر قال الاصمعي ذمّ اعرابيّ رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وقال كثير:

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ ... وَرِجْلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ

وقال آخر:

فَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرُ الْغَدَاةَ بِهِمْ ... وَالدَّهْرُ يَرْمِينِي وَمَا أَرْمِي

يَادَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجْعَتَنَا ... بِسَرَاتِنَا وَوَقَرْتَ فِي الْعَظْمِ (١)

ثم قال سبحانه (وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات) أي إذا قرأت عليهم حججنا ظاهرات (مَاكان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) أي لم يكن لهم في مقابلتها حجّة إلا مقالتهم ان كنتم صادقين في ان الله يعيد الأموات ويبعثهم يوم القيامة فأتوا بآبائنا وأحيوهم حتى نعلم انّ الله قادر على بعثنا وإنما لم يجبهم الله إلى ذلك لأنهم قالوا ذلك متعنّتين مقترحين لا طالبين الرشد.

قوله تعالى (٢٦) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٧) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٨) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٠) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب كلّ أمّة تدعى إلى كتابها بفتح اللام والباقون بالرفع.

﴿ الحجة ﴾

الوجه في نصبه انه بدل من الأول وفي الثاني من الايضاح ما ليس في الأول لأنّ فيه ذكر السبب الداعي إلى الجثوّ فلذلك جاز ابداله منه وتكون تدعى في موضع نصب على الحال أو على انه مفعول ثان على تفصيل معنى ترى.

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ رادّاً على الكفار قولهم فقال (قل) يا محمد (الله يحييكم) في دار الدنيا لأنه لا يقدر على الإحياء احد سواه لأنهُ القادر لنفسهِ (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يجمعكم إلى يوم القيمة) بأن يبعثكم ويعيدكم أحياء (لا ريب فيه) أي لا شكّ فيه لقيام الحجة عليه وإنما احتج بالإحياء في دار الدنيا لأنّ من قدر على فعل الحياة في وقت قدر على فعلها في كل وقت ومن عجز عن ذلك في

(١) السّراة بالفتح جمع السرى وهو السيد الشريف السخيّ وصاحب المروّة في شرف وهو جمع نادر ووقر العظم يقره اى صدعه.

وقت مع ارتفاع الموانع المعقولة وكونه حيا عجز عنه في كل وقت (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ذلك بعدولهم عن النظر الموجب للعلم بصحته (ولله ملك السموات والأرض) وهو قادر على البعث والإعادة (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) العادلون عن الحق الفاعلون للباطل انفسهم وحياتهم في الدنيا لا يحصلون من ذلك إلا على عذاب دائم (وترى كل أمة جاثية) أي وترى يوم القيامة اهل كل ملة باركة على ركبها عن ابن عباس وقيل باركة مستوفزة[1] على ركبها كهيئة قعود الخصوم بين يدي القضاة عن مجاهد والضحاك وابن زيد وقيل ان الجثو للكفار خاصة وقيل هو عام للكفار والمؤمنين ينتظرون الحساب (كل أمة تدعى إلى كتابها) أي كتاب أعمالها الذي كان يستنسخ لها وقيل إلى كتابها المنزل على رسولها ليسئلوا عما عملوا به (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك (هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق) اي يشهد عليكم بالحق والمعنى يبينه بياناً شافياً حتى كأنه ناطق (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نستكتب الحفظة ما كنتم تعملون في دار الدنيا والاستنساخ الأمر بالنسخ مثل الاستكتاب الأمر بالكتابة وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من خير وشر وعلى هذا فيكون معنى نستنسخ ان الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدوّن عندها من احوال العباد وهو قول ابن عباس (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي جنته وثوابه (ذلك هو الفوز المبين) أي الفلاح الظاهر.

قوله تعالى (٣١) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٣٢) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٣) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٥) ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٦) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (سبع آيات)

القراءة

قرأ حمزة وحده والساعة بالنصب والباقون بالرفع

الحجة

قال ابو علي الرفع على وجهين ﴿أحدهما﴾ ان يقطع من الأول فيعطف جملة على جملة ﴿والآخر﴾ ان يكون محمولا على موضع انّ وما عملت فيه وموضعها رفع واما النصب فمحمول على لفظ انّ وموضع لا ريب فيها رفع بأنه في موضع خبر انّ وقد عاد الذكر إلى الاسم فكأنه قال والساعة حق لأن قوله لا ريب فيها في معنى حق قال ابو الحسن والرفع اجود في المعنى واكثر في كلام العرب إذا جاء بعد خبر إنّ اسم معطوف ويقويه قوله انّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

(١) استوفز في قعدته قعد منتصباً غير مطمئنّ اووضع ركبتيه ورفع إليتيه اواستقل على رجليه ولمّا يستوِ جالساً للوثوب.

(المعنى)

ثم عقب سبحانه الوعد بالوعيد فقال (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) اي فيقال لهم افلم تكن حججي وبيناتي تقرأ عليكم من كتابي (فاستكبرتم) اي تعظمتم عن قبولها (وكنتم قوما مجرمين) اي كافرين كما قال افنجعل المسلمين كالمجرمين والفاء في قوله افلم تكن دالة على جواب أما المحذوف (وإذا قيل انّ وعد الله حق) اي انما وعد الله به من الثواب والعقاب كائن لا محالة (والساعة لاريب فيها) اي وانّ القيامة لا شك في حصولها (قلتم) معشر الكفار (ما ندري ما الساعة) وانكرتموها (ان نظنّ إلا ظنّا) ونشك فيه (وما نحن بمستيقنين) في ذلك (وبدا لهم سيئات ما عملوا) اي ظهر لهم جزاء معاصيهم التي عملوها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) اي جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم) اي نتركم في العقاب (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) اي تركتم التأهب للقاء يومكم هذا عن ابن عباس وقيل معناه نحطكم في العذاب محل المنسي كما أحللتم هذا اليوم عندكم محل المنسي (ومأواكم النار) اي مستقركم جهنم (وما لكم من ناصرين) يدفعون عنكم عذاب الله (ذلكم) الذي فعلنا بكم (بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) اي سخرية تسخرون منها (وغرتكم الحيوة الدنيا) اي خدعتكم بزينتها فاغتررتم بها (فاليوم لا يخرجون منها) اي من النار وقرأ اهل الكوفة غير عاصم يخرجون بفتح الياء كما في قوله يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها (ولا هم يستعتبون) اي لا يطلب منهم العتبى والاعتذار لأنّ التكليف قد زال وقيل معناه لا يقبل منهم العتبى ثم ذكر سبحانه عظمته فقال (فللّه الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اي الشكر التام والمدحة التي لا يوازيها مدحة لله الذي خلق السماوات والارض ودبّرها وخلق العالمين (وله الكبرياء) اي السلطان القاهر والعظمة القاهرة والعلوّ والرفعة (في السموات والارض) لا يستحقها احد سواه وفي الحديث يقول الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منها القيته في جهنم (وهو العزيز) في جلاله (الحكيم) في افعاله وقيل العزيز في انتقامه من الكفار والحكيم فيما يفعله بالمؤمنين والاخيار.

سورة الأحقاف

مكية قال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية نزلت في عبد الله بن سلام.

﴿ عدد آيها ﴾

خمس وثلاثون آية كوفي في اربع في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية حم كوفي

﴿ فضلها ﴾

أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الاحقاف أعطي من الاجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وعن عبد الله بن أبي يعفور عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ كل ليلة او كل جمعة سورة الاحقاف لم يصبه الله بروعة في الدنيا وآمنه من فزعه يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله تلك السورة بذكر التوحيد وذمّ اهل الشرك والوعيد افتتح هذه السورة ايضا بالتوحيد ثم بالتوبيخ

لاهل الكفر من العبيد فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) حم (٢) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٣) مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ (٤) قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٥) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ

خمس آيات

القراءة

قرأ علي (ع) وابو عبد الرحمن السلمي اواثرة بكون الثاء من غير الف وقرأ ابن عباس بخلاف وعكرمة وقتادة اواثرة بفتحتين والقراءة المشهورة اواثارة بالالف

الحجة

قال ابن جني الاثرة والاثارة البقية وهي مايوثر من قولهم اثر الحديث يأثره أثراً واثرة ويقولون هل عندك من هذا اثرة واثارة اي اثر ومنه سيف مأثور اي عليه أثر الصنعة وطريق العمل وأما الاثرة ساكنة الثاء فهي ابلغ معنى وذلك انها الفعلة الواحدة من هذا الاصل فهي كقولهم إئتوني بخبر واحد اوحكاية شاذة اي قنعت في الاحتجاج لكم بهذا الاصل على قلته

المعنى

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) مر تفسيره (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق) اي ما خلقناها عبثاً ولا باطلاً وإنما خلقناها للتعبد بسكانها بالامر والنهي ونعرضهم للثواب وضروب النعم فنجازيهم في الآخرة باعمالهم (واجل مسمى) يعني يوم القيامة فإنه اجل مسمى عنده مطوي عن العباد علمه اذا انتهى اليه تناهى وقامت القيامة وقيل هو مسمى للملائكة وفي اللوح المحفوظ (والذين كفروا عما انذروا معرضون) اي ان الكافرين عما انذروا من القيامة والجزاء معرضون عادلون عن التفكر فيه (قل) لهؤلاء الذين كفروا بالله (أرأيتم ما تدعون من دون الله) من الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض) فاستحقوا بخلق ذلك العبادة والشكر (ام لهم شرك في السموات) اي في خلقها وتقديره ام لهم شرك ونصيب في خلق السماوات ثم قال قل لهم (ائتوني بكتاب من قبل هذا) القرآن انزله الله يدل على صحة قولكم (او اثارة من علم) اي بقية من علم يوثر من كتب الأولين يطعون به انهم شركاء لله (إن كنتم صادقين) فيما تقولون عن مجاهد وقيل او اثارة من علم اي خبر من الانبياء عن عكرمة ومقاتل وقيل هو الخط اي بكتاب مكتوب عن ابن عباس وقيل خاصة من علم أوثرتم بها عن قتادة والمعنى فهاتوا احدى هذه الحجج الثلاث اولاها دليل العقل والثانية الكتاب والثالثة الخبر المتواتر فإذا لم يمكنهم شيء من ذلك فقد وضح بطلان دعواهم (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) اي من اضل عن طريق الصواب ممن يدعو من دون الله شيئاً لو دعاه الى يوم القيامة لم يجبه ولم يغثه والمراد انه لا يستجيب له ابداً (وهم عن دعائهم غافلون) اي ومن يدعونهم مع ذلك لا علم لهم بدعائهم ولا يسمعون دعاءهم وإنما كنّى عن الاصنام بالواو والنون لما أضاف اليها ما يكون من العقلاء كقوله رأيتهم لي ساجدين

قوله تعالى (٦) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٧) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٨) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٩) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ ٱلرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ خمس آيات

اللغة

الآية الدلالة التي تدل على مايتعجب منه قال:

بِآيَةٍ تَقْدُمُونَ الْخَيْلَ زُوراً كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَاماً (١)

أفاض القوم في الحديث اذا مضوا فيه وأصل الافاضة الدفع وافاضوا من عرفات اندفعوا منها وحديث مفاض ومستفاض ومستفيض اي جار شائع والبدع والبديع بمعنى وهو بدع من قوم ابداع قال عدي بن زيد:

فَلَا أَنَا بِدْعٌ مِنْ حَوَادِثَ تَعْتَرِي رِجَالاً عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسٍ وَأَسْعُدِ (٢)

النزول

قيل نزلت الآية الأخيرة في عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني اسرائيل فروي ان عبد الله بن سلام جاء الى النبي ﷺ فأسلم وقال يا رسول الله سل اليهود عني فإنهم يقولون هو اعلمنا فإذا قالوا ذلك قلت لهم ان التوراة دالة على نبوتك وانّ صفاتك فيها واضحة فلما سألهم قالوا ذلك فحينئذ اظهر عبد الله بن سلام ايمانه فكذبوه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه انه اذا قامت القيامة صارت آلهتهم التي عبدوها اعداء لهم فقال (وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) وكذلك قوله ويكونون عليهم ضدّا (وكانوا بعبادتهم كافرين) يعني انّ هذه الاوثان التي عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا ان يكونوا دعوا الى عبادتها ويكفروا بعبادة الكفار ويجحدوا ذلك ثم وصفهم الله سبحانه فقال (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم) اي القرآن والمعجزات التي ظهرت على يد النبي ﷺ (هذا سحر مبين) اي حيلة لطيفة ظاهرة وخداع بيّن (ام يقولون افتريه قل) يا محمد لهم (ان افتريته) اي ان كذبت على الله واختلقت القرآن كما زعمتم (فلا تملكون لي من الله شيئا) اي ان كان الامر على ما تقولون اني ساحر مفتر فلا يمكنكم ان تمنعوا الله مني إذا اراد اهلاكي على افترائي عليه والمراد كيف افتري على الله من اجلكم وأنتم لا تقدرون على دفع عقابه عني ان افتريت عليه (هو اعلم بما تفيضون فيه) اي ان الله اعلم بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب به والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بيني وبينكم) ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) في تأخير العقاب عنكم حين لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج هذا دعاء لهم الى التوبة اي من اتى من الكبائر مثل ما اتيتم به من الافتراء على الله وعليّ ثم تاب فإن الله غفور له رحيم به (قل) يا محمد (ما كنت بدعا من الرسل) اي لست بأول رسول بعث عن ابن عباس ومجاهد

(١) قدّم القومَ يقدّمهم قدوماً : سبقهم ؛ والزور ماارتفع من الصدر الى الكتفين. مقصوده ان تقدمهم على الخيل بتقدم صدورهم على صدورها حال كون سنابكها محمرّة من الدم كانها نصبت عليها الخمر وهي شديدة الحمرة وآية عجيبة وفي نسخة شمنا بدل زوراً (٢) عراه واعتراه بمعنى اصابه واسعد جمع سعد وهو اليمن وضد النحس

وقتادة والبدع الاول من الامر (وما ادري ما يفعل بي ولا بكم) اي لاادري أأموت ام اقتل ولا ادري أيها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء ام يخسف بكم ام ليس يفعل بكم ما فعل بالامم المكذبة وهذا انما هو في الدنيا وأما في الآخرة فإنه قد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار عن الحسن والسدي وقيل: معناه لست ادعي غير الرسالة ولا ادعي علم الغيب ولا معرفة ما يفعله الله تعالى بي ولا بكم في الإحياء والإماتة والمنافع والمضار إلا أن يوحى الي عن اني مسلم وقيل ما ادري ما اوْمر به ولا ماتؤمرون به عن الضحاك وقيل ما ادري أأترك بمكة ام اخرج منها بأن أومر بالتحول عنها الى بلد آخر وما ادري أأومر بقتالكم او بالكف عن قتالكم وهل ينزل بكم العذاب ام لا (ان اتبع الامايوحى إليّ) اي لست اتبع في أمركم من حرب اوسلم اوأمر اونهي إلامايوحي الله اليّ ومايأمرني به (وما انا إلا نذير مبين) اي مخوف لكم ظاهر (قل) يا محمد لهم (أرأيتم) معناه اخبروني ماذا تقولون (ان كان من عند الله) اي ان كان هذا القرآن من عند الله هو أنزله وهذا النبي رسوله (وكفرتم) انتم ايها المشركون به (وشهد شاهد من بني اسرائيل) يعني عبد الله بن سلام (على مثله) معناه عليه اي على انه من عند الله وقيل على مثله اي على التوراة عن مسروق وقيل الشاهد موسى شهد على التوراة كما شهد النبي ﷺ على القرآن لأن السورة مكية وابن سلام اسلم بالمدينة (فآمن) يعني الشاهد (واستكبرتم) انتم على الايمان به وجواب قوله ان كان من عند الله محذوف وتقديره ألستم من الظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) وقيل جوابه فمن أضل منكم عن الحسن وقيل جوابه أفتؤمنون عن .

قوله تعالى (١١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (١٢) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ (١٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٤) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ[1] أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ خمس آيات

« القراءة »

قرأ اهل الحجاز وابن عامر ويعقوب لتنذر بالتاء والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة احسانا والباقون حسنا وروي عن علي (ع) وابي عبد الرحمن السلمي حسنا بفتح الحاء والسين وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو والكسائي كرها بفتح الكاف والباقون بضمها وقرأ يعقوب وفصله وهو قراءة الحسن وابي رجاء وعاصم والجحدري والباقون وفصاله.

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ لتنذر بالتاء قوله انما انت منذر وقوله لتنذر به وذكرى وحجة الياء لينذر بأسا شديداً واسند الانذار الى الكتاب كما اسنده الى الرسول واما الباء في قوله بوالديه فيجوز ان يتعلق بوصينا

[1] يقول : لست انا باول من اصابته الحوادث مع انها تصيب رجالا قد اصابتهم في السعد من البخت والبؤس منه .

بدلالة قوله ذلكم وصاكم به ويجوز ان يتعلق بالإحسان ويدلّ عليه قوله وقد احسن بي اذ اخرجني ولا يجوز ان يتعلق في الآية بالإحسان لتقدمها على الموصول ولكن يجوز ان تعلقه بمضمر يفسّره الإحسان كما جاز في نحو قوله وكانوا فيه من الزاهدين وقوله «كان جزائي بالعصا ان اجلدا» في قول من لم يعلقه بالجزاء. والاحسان خلاف الإساءة والحسن خلاف القبح فمن قال احسانا كان انتصابه على المصدر وذلك ان معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا امرناه بالإحسان اي ليأتي الاحسان اليهما دون الإساءة ولا يجوز ان يكون انتصابه بوصّينا لأن وصّينا قد استوفى مفعوليه اللذين احدهما منصوب والآخر المتعلق بالباء. ومن قرأ حسنا فمعناه ليأت في امرهما امرا ذا حسن اي ليأت الحسن في امرهما دون القبيح ويؤيده قراءة عليّ صلوات الرحمن عليه حَسَنًا لأنّ معناه ليأت في امرهما فعلا حسنا واما الكره بالفتح فهو المصدر والكره بالضم الاسم كأنه الشيء المكروه قال كتب عليكم القتال وهو كره لكم وهذا بالضم وقال ان ترثوا النساء كُرهًا فهذا في موضع الحال والفتح فيه احسن وقد قيل انهما لغتان واما الفصل فهو بمعنى الفصال الا ان الأكثر بالالف وفي الحديث لا رضاع بعد الفصال يعني بعد الفطام

اللغة

القديم ما تقادم وجوده وفي عرف المتكلمين هو الموجود الذي لا اول لوجوده والايزاع اصله المنع واوزعني امنعني عن الانصراف عن ذلك باللطف ومنه قول الحسن لا بد للناس من وَزَعَةٍ(١) وقال ابو مسلم الايزاع ايصال الشيء الى القلب.

الإعراب

إماماً منصوب على الحال من الضمير في الظرف عند سيبويه ومن كتاب موسى عند الأخفش ومن رفع بالظرف ويجوز ان يرتفع قوله كتاب موسى بالعطف على قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل اي وشهد من قبل القرآن كتاب موسى ففصل بالظرف بين الواو والمعطوف به ورحمة معطوف على قوله اماما ولسانا عربيا منصوب على الحال ايضا من قوله هذا كتاب ويجوز ان يكون حالا مما في مصدق من الضمير وتقديره وهذا كتاب مصدق ملفوظا به على لسان العرب وبشرى عطف على قوله لينذر وهو مفعول له جزاء مصدر مؤكدا قبله وتقديره جُوزُوا جزاء فاستغنى عن ذكر جوزوا لدلالة الجملة قبلها عليها ويجوز ان يكون جزاء مفعولا له وكرها منصوب على الحال اي حملته كارهة.

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) بالله ورسوله (لو كان خيراً ما سبقونا اليه) اي لو كان هذا الذي يدعونا اليه محمد خيراً اي نفعا عاجلا او آجلا ما سبقنا هؤلاء الذين آمنوا به الى ذلك لأنّا كنّا بذلك اولى واختلف فيمن قال ذلك فقيل هم اليهود قالوا لو كان دين محمد ﷺ خيراً ما سبقنا اليه عبد الله بن سلام عن اكثر المفسرين وقيل: انّ اسلم وجهينة ومزينة وغفاراً لما اسلموا قال بنو عامر بن صعصعة وغطفان واسد واشجع هذا القول عن الكلبي ونظم الكلام يوجب ان يكون ما سبقتمونا اليه ولكنه على ترك المخاطبة (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) اي فلمّا لم يهتدوا بالقرآن من حيث لم يتدبروه فسيقولون هذا القرآن كذب متقادم اي اساطير الاولين ثم قال سبحانه (ومن قبله كتاب موسى) اي من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة (اماماً) يقتدى به (ورحمة) من الله للمؤمنين به قبل القرآن وتقدير الكلام وتقدمه كتاب موسى اماما وفي الكلام محذوف يتم به المعنى تقديره فلم يهتدوا به ودلّ عليه قوله في الآية الاولى واذ لم يهتدوا به وذلك انّ المشركين لم يهتدوا بالتوراة فيتركوا ما هم عليه من عبادة الاوثان ويعرفوا منها صفة محمد ﷺ ثم قال (وهذا كتاب) يعني القرآن (مصدق)

(١) جمع الوازع وهو المانع الزاجر اى لابد للناس من ولاة مانعين عن محارم الله تعالى.

للكتب التي قبله (لسانا عربيا) ذكر اللسان توكيدا كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا فتذكر رجلا توكيداً (لتنذر الذين ظلموا) اي لتخوفهم يخاطب النبي ﷺ ومن قرأ بالياء اسند الفعل الى الكتاب (وبشرى للمحسنين) وبشارة للمؤمنين وقيل معناه وبشر بشرى فيكون نصباً على المصدر ويجوز ان يكون في موضع رفع اي وهو بشرى للمحسنين الموحدين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) مر تفسيره (فلا خوف عليهم) من العقاب (ولا هم يحزنون) من اهوال يوم القيامة (اولئك اصحاب الجنة) الملازمون لها المنعمون فيها (خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) في الدنيا من الطاعات والاعمال الصالحات (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) مر تفسيره (حملته امه كرها) اي بكره ومشقة عن الحسن وقتادة ومجاهد يعني حين اثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد بمشقة الطلق عن ابن عباس (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يريد ان أقل مدة الحمل وكمال مدة الرضاع ثلاثون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر ارضعت احداً وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ اشده) وهو ثلاث وثلاثون سنة عن ابن عباس وقتادة وقيل بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل وقت قيام الحجة عليه عن الحسن وقيل هو اربعون سنة وذلك وقت انزال الوحي على الانبياء ولذلك فسر به فقال (وبلغ اربعين سنة) فيكون هذا بيانا لزمان الأشُدّ واراد بذلك انه يكمل له رأيه ويجتمع عليه عقله عند الاربعين سنة (قال رب اوزعني) اي الهمني (ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وان اعمل صالحا ترضيه) قدمر تفسيره في سورة النمل (واصلح لي في ذريتي) اي اجعل ذريتي صالحين عن الزجاج وقيل انه دعاء باصلاح ذريته لبره وطاعته لقوله اصلح لي وقيل انه الدعاء بإصلاحهم لطاعة الله عز وجل وهو عبادته وهو الاشبه لأنّ طاعتهم لله من برّه لأنّ اسم الذرية يقع على من يكون بعده وقيل معناه اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق عن سهل بن عبد الله (اني تبت اليك) من سيئاتي وذنوبي (واني من المسلمين) المنقادين لأمرك.

قوله تعالى (١٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٧) وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٨) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٩) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٠) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر نتقبل ونتجاوز بالنون؟ احسن بالنصب والباقون يتقبل ويتجاوز بضم الياء احسن بالرفع وقرأ ابن كثير وابو جعفر ويعقوب آذهبتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابن عامر ءاذهبتم بهمزتين والباقون اذهبتم بفتح الهمزة

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يتقبل فلأنّ الفعل وان كان مبنياً للمفعول به فمعلوم انه لله تعالى كما جاء في الاخرى انما يتقبل الله من المتقين فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل وحجة من قرأ نتقبل بالنون انه قد تقدّم الكلام ووصينا الانسان وكلاهما حسن وقد ذكرنا اختلافهم في افّ في بني اسرائيل وحجة الاستفهام في اذهبتم انه قد جاء هذا النحو بالاستفهام نحو أليس هذا بالحق وقوله أكفرتم بعد ايمانكم ووجه الخبر ان الاستفهام تقرير فهو مثل الخبر الا ترى ان التقرير لايجاب بالفاء كما يجاب بها اذا لم يكن تقريرا فكأنهم يوبّخون بهذا الذي يخبرون به ويبكّتون والمعنى في القراءتين يقال لهم هذا فحذف القول كما حذف في نحو قوله اكفرتم بعد ايمانكم؟.

﴿ الاعراب ﴾

وعد الصدق نصب على المصدر تقديره وعدهم الله ذلك وعداً واضافته الى الصدق غير حقيقية لأن الصدق في تقدير النصب بأنه صفة وعدو الذي كانوا يوعدون موصول وصلة في موضع النصب بكونه صفة الوعد وافّ لكما مبتدأ وخبر تقديره هذه الكلمة التي تقال عند الامور المكروهة كائنة لكما. ويلك منصوب لأنه مفعول فعل محذوف تقديره الزمك الله الويل وقيل تقديره وي لك فهو مبتدأ وخبر كما قلناه في افّ لكما وليوفّيهم معطوف على محذوف تقديره والله اعلم ليجزيهم بما عملوا وليوفّيهم اعمالهم

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه بما يستحقه هذا الانسان من الثواب فقال (اولئك) يعني اهل هذا القول (الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) اي يثابون على طاعاتهم والمعنى نقبل بايجاب الثواب لهم احسن اعمالهم وهو ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات فانّ المباح ايضا من قبيل الحسن ولا يوصف بأنه متقبل (ونتجاوز عن سيئاتهم) التي اقترفوها (في اصحاب الجنة) اي في جملة من يتجاوز عن سيئاتهم وهم اصحاب الجنة فيكون قوله في اصحاب الجنة في موضع نصب على الحال (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) اي وعدهم وعد الصدق وهو ما وعد اهل الايمان بأن يتقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اذا شاء ان يتفضل عليهم باسقاط عقابهم اواذا تابوا الوعد الذي كانوا يوعدونه في الدنيا على السنة الرسل (والذي قال لوالديه) اذا دعوه الى الايمان (افّ لكما) وهي كلمة تبرّم يقصد بها اظهار التسخّط ومعناه بعداً لكما وقيل معناه نتناً وقذراً لكما كما يقال عند شمّ الرائحة المكروهة (اتعدانني ان اخرج) من القبر واُحيا وابعث (وقد خلت القرون من قبلي) اي مضت الامم وماتوا قبلي فما اخرجوا ولا اعيدوا وقيل معناه خلت القرون على هذا المذهب ينكرون البعث (وهما) يعني والديه (يستغيثان الله) اي يستصرخان الله ويطلبان منه الغوث ليتلطف له بما يؤمن عنده ويقولان له (ويلك آمن) بالقيامة وبما يقوله محمد ﷺ (انّ وعد الله) بالبعث والنشور والثواب والعقاب (حقّ فيقول) هو في جوابهما (ما هذا) القرآن وما تزعمانه وتدعواني اليه (الا اساطير الاولين) اي اخبار الأوّلين واحاديثهم التي سطروها وليس لها حقيقة وقيل انّ الآية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قال له ابواه اسلم وألحّا عليه فقال احيوا لي عبد الله بن جدعان ومشايخ قريش حتى اسألهم عما تقولون عن ابن عباس وابي العالية والسدّي ومجاهد وقيل الآية عامّة في كل كافر عاقّ لوالديه عن الحسن وقتادة والزجاج قالوا ويدلّ عليه انه قال عقيبها (اولئك الذين حقّ عليهم القول في امم) اي حقت عليهم كلمة العذاب في امم اي مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) على مثل حالهم واعتقادهم قال قتادة قال الحسن الجن لا يموتون فقلت اولئك الذين حق عليهم القول في امم الآية تدل على خلافه ثم قال سبحانه مخبرا عن حالهم (انهم كانوا خاسرين) لأنفسهم إذ أهلكوها بالمعاصي (ولكل درجات مما عملوا) اي لكل واحد ممّن تقدم ذكره من المؤمنين

البررة والكافرين الفجرة درجات على مراتبهم ومقاديراعمالهم فدرجات الابرار في عليين ودرجات الفجار دركات في سجين عن ابن زيد وابي مسلم وقيل معناه ولكل مطيع درجات ثواب وان تفاضلوا في مقاديرها عن الجبائي وعلي بن عيسى (ولنوفيهم اعمالهم) اي جزاء اعمالهم وثوابها ومن قرأ بالياء فالمعنى وليوفيهم الله اعمالهم (وهم لا يظلمون) بعقاب لا يستحقونه او بمنع ثواب يستحقونه (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعني يوم القيامة اي يدخلون النار كما يقال عرض فلان على السوط وقيل معناه عرض عليهم النار قبل ان يدخلوها ليروا اهوالها (اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا) اي فيقال لهم آثرتم طيباتكم ولذاتكم في الدنيا على طيبات الجنة (واستمتعتم بها) اي انتفعتم بها منهمكين فيها وقيل هي الطيبات من الرزق يقول انفقتموها في شهواتكم وفي ملاذ الدنيا ولم تنفقوها في مرضاة الله ولما وبخ الله سبحانه الكفار بالتمتع بالطيبات واللذات في هذه الدار آثر النبي ﷺ وامير المؤمنين (ع) الزهد والتقشف واجتناب الترفه والنعمة وقد روي في الحديث ان عمر بن الخطاب قال استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة ام ابراهيم وانه لمضطجع على خصفة[1] وان بعضه على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً فسلمت عليه ثم جلست فقلت يا رسول الله انت نبي الله وصفوته وخيرته من خلقه وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال رسول الله ﷺ اولئك قوم عجلت طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وانما اخرت لنا طيباتنا وقال علي بن ابي طالب عليه افضل الصلوات في بعض خطبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها فقلت اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى وروى محمد بن قيس عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال والله ان كان علي (ع) ليأكل اكلة العبد ويجلس جلسة العبد وان كان يشتري القميصين فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فإذا جاز اصابعه قطعه واذا جاز كعبه حذفه ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا اورث بيضاء ولا حمراء وان كان ليطعم الناس على خبز البر واللحم وينصرف الى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخل وما ورد عليه امران كلاهما لله عز وجل فيه رضى الا اخذ باشدهما على بدنه ولقد اعتق الف مملوك من كد يمينه تربت منه يداه وعرق فيه وجهه وما اطاق عمله احد من الناس بعده وان كان ليصلي في اليوم والليلة الف ركعة وان كان اقرب الناس شبهاً به علي بن الحسين (ع) ما اطاق عمله احد من الناس بعده ثم انه قد اشتهر في الرواية انه (ع) لما دخل على العلاء بن زياد بالبصرة يعوده قال له العلاء يا امير المؤمنين اشكو اليك اخي عاصم بن زياد لبس العباءة وتخلى من الدنيا فقال (ع) علي به فلما جاء به قال يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث اما رحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تأخذها انت اهون على الله من ذلك قال يا امير المؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك قال ويحك اني لست كأنت ان الله تعالى فرض على ائمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ[2] بالفقير فقره (فاليوم تجزون عذاب الهون) اي العذاب الذي فيه الذل والخزي والهوان (بما كنتم تستكبرون في الارض) اي باستكباركم عن الانقياد للحق في الدنيا وتكبركم على انبياء الله واوليائه (بغير الحق وبما كنتم تفسقون) اي بخروجكم من طاعة الله الى معاصيه.

قوله تعالى (٢١) وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢٢) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٣) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٤) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ

(١) الخصفة : الجلة تعمل من الخوص للتمر (٢) باغ الدم بيغاً وتبيغ : هاج وثار .

أَوْ دِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ

خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير الكسائي ويعقوب وسهل لا يرى بضم الياء. الا مساكنهم بالرفع وقرأ الباقون لاترى بالتاء. الا مساكنهم بالنصب وفي الشواذ قراءة الحسن وابي رجاء وقتادة ومالك بن دينار والاعمش لاترى بضم التاء. إلا مساكنهم بالرفع وقرأ الأعمش مسكنهم

الحجة

قال ابو علي تذكير الفعل في قوله لا يرى إلا مساكنهم حسن وهو احسن من الحاق علامة التأنيث الفعل من اجل الجمع وذلك انهم حملوا الكلام في هذا الباب على المعنى فقالوا ما قام الا هند ولم يقولوا ما قامت لما كان المعنى ما قام احد ولا يجيء التأنيث فيه إلا في شذوذ وضرورة فمن ذلك قول الشاعر:

يَرَى النَّخْزُ وَالْإِجْرَازُ مَا فِي عُرُوضِهَا ... فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الصُّدُورُ الْجَرَاشِعُ (١)

وقول ذي الرمة:

كَأَنَّهَا جُمَلٌ وَهْمٌ وَمَا بَقِيَتْ ... إِلَّا النَّحِيزَةُ وَالْأَلْوَاحُ وَالْعَصَبُ (٢)

قال ابن جني قوله مساكنهم ان شئت جعلته مصدرا وقدرت حذف المضاف اي لا ترى إلا آثار مساكنهم كما قال ذو الرمة

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحاً ... عَلَىٰ بَابِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا (٣)

فالمدرج هنا مصدر الاتراه قد نصب الحال وإن شئت قلت مساكنهم واحد كفى من جماعة

اللغة

الاحقاف جمع حِقْف وهو الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ أن يكون جبلا قال المبرد الحقف هو الرمل الكثير المكتنز غير العظيم وفيه اعوجاج قال العجاج «بات على ارطاة حِقف احقفا» والعارض السحاب يأخذ في عرض السماء قال الاعشى:

يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً قَدْ بِتُّ أَرْمُقُهُ ... كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ (٤) شُعَلُ

والتدمير الإهلاك وإلقاء بعض الأشياء على بعض حتى يخرب ويهلك قال جرير:

وَكَانَ لَهُمْ كَبِكْرِ ثَمُودَ لَمَّا ... رَغَىٰ ظُهْراً فَدَمَّرَهُمْ دَمَاراً (٥)

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (واذكر) يا محمد لقومك اهل مكة (اخا عاد) يعني هوداً (إذ انذر قومه) أي خوفهم بالله تعالى ودعاهم إلى طاعته (بالاحقاف) وهو واد بين عُمان ومهرة عن ابن عباس وقيل رمال فيما بين عمان إلى حضرموت عن ابن اسحاق وقيل رمال مشرفة على البحر بالشحر (٦) من اليمن عن قتادة وقيل ارض خلالها رمال عن الحسن (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) اي وقد مضت الرسل من قبل هود (ع) ومن بعده (ألا تعبدوا إلا الله) اي بأن لا تعبدوا والمعنى اني لم ابعث قبل هود ولا بعده إلا بالأمر بعبادة الله وحده وهذا اعتراض كلام وقع بين انذار هود وكلامه لقومه ثم عاد إلى كلام هود لقومه فقال (إني اخاف عليكم عذاب يوم

(١) يرى السفر الانسان والحيوان هزله واذهب لحمه. و نخزه بحديدة اونحوها نخزا وجأه بها وبكلمة اوجعه بها وأجرز الناقة هزلت فهي مجرز والعرض: الناحية والعرض من الحديث معظمه ومن العنق جانبه والجرشع: العظيم الصدر المنتفخ الجنبين يقول: اذهب النخز والهزال ما في نواحي بدنها من اللحم والشحم فلم يبق منها الا عظام صدر منتفخ ليس عليها شحم ولا دم (٢) الجمل والجُمَّل حبل السفينة و الوهم الضخم

عظيم) وتقدير الكلام إذ انذر قومه بالاحقاف فقال اني اخاف عليكم الآية ثم حكى ما اجاب به قومه بقوله (قالوا اجئتنا) ياهود (لتأفكنا) اي لتلفتنا وتصرفنا (عن آلهتنا) اي عن عبادة آلهتنا (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) أن العذاب نازل بنا (قال) هود (إنما العلم عند الله) هو يعلم متى يأتيكم العذاب لا انا (وابلغكم ما أرسلت به) اليكم اي وانا ابلغكم ما امرت بتبليغه اليكم (ولكني اريكم قوما تجهلون) حيث لا تجيبون إلى مافيه صلاحكم ونجاتكم وتستعجلون العذاب الذي فيه هلاكم وهذا لا يفعله إلا الجاهل بالمنافع والمضار (فلما رأوه) اي فلما رأوا ما يوعدون والهاء تعود إلى ما تعدنا في قوله فأتنا بما تعدنا (عارضا) اي سحابا يعرض في ناحية من السماء ثم يطبق السماء (مستقبل اوديتهم) قالوا كانت عاد قد حبس عنهم المطر اياماً فساق الله اليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم استبشروا (وقالوا هذا عارض ممطرنا) اي سحاب ممطر ايانا هذا تقديره لأنه نكرة بدلالة انه صفة لعارض فقال هود «ع» (بل هو ما استعجلتم به) اي ليس هو كما توهمتم بل هو الذي وعدتكم به وطلبتم تعجيله ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب اليم) اي هو ريح فيها عذاب مؤلم وقيل بل هو قول الله تعالى (تدمر كل شيء بأمر ربها) اي تهلك كل شيء مرت به من الناس والدواب والاموال واعتزل هود ومن معه في حظيرة لم يصبهم من تلك الريح إلا ما تلين على الجلود وتلتذ به الأنفس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض حتى ترى الظعينة كأنها جرادة عن عمر بن ميمون (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) وما عداها قد هلك ومن قرأ بالتاء فهو على وجه الخطاب للنبي ﷺ (كذلك) اي مثل ما اهلكنا اهل الاحقاف وجازيناهم بالعذاب (نجزي القوم المجرمين) اي الكافرين الذين يسلكون مسالكهم

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٧) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٩) وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٣٠) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

القراءة — خمس آيات

في الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وابي عامر افكهم بفتح الألف والفاء والكاف وقراءة عبد الله ابن الزبير آفكهم وقراءة ابن عياض افكهم بالتشديد

الحجة

قوله افكهم معناه صرفهم وثناهم قال:

(١) والنحيزة من نُحِز البعير اذا اصابه النُحاز وهو داء في رئته تسعل به شديداً ولوح الجسد عظمه يصفها بانها صارت من الهزال بمنزلة الحبل فما بقي فيها شيء سوى النفس والعظم والعصب (٣) مذكور في جامع الشواهد (٤) حافات الشيء : جوانبه (٥) رغى البعير رُغاء صوّت وضجّ والبكر : الفتى من الابل (٦) الشَحْر ساحل اليمن و شَحْر عمان وشِحْر عمان وهو ساحل البحرين عمان وعدن .

إِنْ يَكُ عَنْ أَحْسَنِ الْمُرُوءَةِ مَأْفُو كَأَ فَفِي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا(١)

وآفكهم افعلهم منه اي اصارهم إلى الافك ويجوز ان يكون فاعلهم من ذلك مثل خادعهم واما افكهم ففعلهم وذلك لتكثيره ذلك الفعل بهم وروي عن قطرب ان ابن عباس قرأ آفكهم اي صارفهم

﴿ اللغة ﴾

التمكين اعطاء مايتمكن به من الفعل وتدخل فيه القدرة والآلة وسائر ما يحتاج اليه الفاعل وقيل التمكين ازالة الموانع وذلك داخل في الأول لأنه كما يحتاج الفاعل في الفعل إلى الآلات يحتاج إلى زوال الموانع فإذا ازيحت عنه العلل كلها فقد مُكّن والقربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة أو نسك والجمع قرابين

﴿ الاعراب ﴾

فيما إن مكناكم فيه إن هنا بمعنى ما وان في النفي مع ما الموصولة بمعنى الذي لحسنُ في اللفظ من ما ألا ترى انك لو قلت رغبت فيما ما رغبت فيه لكان احسن منه ان تقول رغبت فيما ان رغبت فيه لاختلاف اللفظين

﴿ المعنى ﴾

ثم خوّف سبحانه كفار مكة وذكر فضل عاد بالاجسام والقوة عليهم فقال (ولقد مكّناهم فيما إن مكّناكم) اي في الذي ما مكناكم (فيه) والمعنى في الشيء الذي لم نمكّنكم فيه من قوة الابدان وبسطة الاجسام وطول العمر و كثرة الاموال عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه فيما مكناكم فيه وان مزيدة والمعنى مكناهم من الطاعات وجعلناهم قادرين متمكّنين بنصب الادلة على التوحيد والتمكين من النظر فيها والترغيب والترهيب وازاحة العلل في جميع ذلك (وجعلنا لهم سمعاً وابصاراً وافئدة) ثم اخبر سبحانه عن اولئك انهم أعرضوا عن قبول الحجج والتفكر فيما يدلهم على التوحيد مع ما اعطاهم الله من الحواس الصحيحة التي بها تدرك الأدلة (فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء) اي لم ينفعهم جميع ذلك لأنهم لم يعتبروا ذلك ولا استعملوا ابصارهم وافئدتهم في النظر والتدبر (إذ كانوا يجحدون بآيات الله) وادلته (وحاق بهم) اي حل بهم جزاء (ما كانوا به يستهزؤون ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى) معناه ولقد اهلكنا يا أهل مكة ما حولكم وهم قوم هود وكانوا باليمن وقوم صالح بالحجر وقوم لوط على طريقهم إلى الشام (وصرّفنا الآيات) تصريف الآيات تصييرها تارة في الاعجاز وتارة في الاهلاك وتارة في التذكير بالنعم وتارة في التذكير بالنقم وتارة في وصف الابرار ليقتدى بهم وتارة في وصف الفجّار ليجتنب مثل فعلهم (لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا عن الكفر (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أي فهلّا نصرهؤلاء المهلكين الذين اتخذوهم آلهة وزعموا انهم يعبدونهم تقربا إلى الله تعالى ثم لم ينصروهم لأن هذا استفهام انكار (بل ضلّوا عنهم) أي ضلت الآلهة وقت الحاجة اليها فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) اي اتخاذهم الآلهة دون الله كذبهم وافتراؤهم وهو قوله (وما كانوا يفترون) اي يكذبون من انها آلهة ثم بين سبحانه ان في الجنّ مؤمنين وكافرين كما في الانس فقال (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) معناه واذكر يا محمد اذ وجّهنا اليك جماعة من الجن تستمع القرآن وقيل معناه صرفناهم اليك عن بلادهم بالتوفيق والالطاف حتى اتوك وقيل صرفناهم اليك عن استراق

(١) مر البيت في ج ٣ ص ٢٢٦ .

السمع من السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه فقالوا ما هذا الذي حدث في السماء إلا من اجل شيء قد حدث في الأرض فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبي ﷺ ببطن نخلة عامدا إلى عكاظ وهو يصلي الفجر فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا فيكون الرمي بالشهب لطفاً للجن (فلما حضروه) اي حضروا القرآن أو النبي ﷺ (قالوا انصتوا) اي قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا وبين القرآن[1] شيء (فلما قضى) اي فرغ من تلاوته (ولّوا إلى قومهم) اي انصرفوا إلى قومهم (منذرين) اي محذّرين اياهم عذاب الله ان لم يؤمنوا (قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى) يعنون القرآن (مصدّقا لما بين يديه) اي لما تقدمه من الكتب (يهدي إلى الحق) اي يرشد إلى دين الحق ويدل عليه ويدعو اليه (وإلى طريق مستقيم) يؤدي بسالكه إلى الجنة

القصة

عن الزهري قال لما توفي ابو طالب (ع) اشتد البلاء على رسول الله ﷺ فعمد ليقف بالطائف رجاء أن يؤووه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة وهم أخوة عبد يا ليل ومسعود وحبيب بنو عمرو فعرض عليهم نفسه فقال احدهم أنا اسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر أعجز على الله ان يرسل غيرك وقال الآخر والله لا أكلّمك بعد مجلسك هذا أبداً فلئن كنت رسولا كما تقول فأنت أعظم خطرا من أن يرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن اكلّمك بعد وتهزؤوا به وأفشوا في قومه ما راجعوه به فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله ﷺ بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعها إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه فخلص منهم وهما يسيلان دماً إلى حائط من حوائطهم واستظل في ظل نخلة منه وهو مكروب موجع تسيل رجلاه دما فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله فلما رآياه أرسلا اليه غلاما لهما يدعى عداس معه عنب وهو نصراني من أهل نينوى فلما جاءه قال له رسول الله ﷺ من أي أرض انت قال من أهل نينوى قال من مدينة العبد الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك من يونس بن متى قال أنا رسول الله والله تعالى اخبرني خبر يونس بن متى فلما اخبره بما اوحى الله اليه من شأن يونس خر عداس ساجداً لله ولرسول الله ﷺ وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا ما شأنك سجدت لمحمد وقبّلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله النبا يدعى يونس بن متى فضحكا وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين وقيل من اليمن فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له وهذا معنى قول سعيد بن جبير وجماعة وقال آخرون أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله اليه نفرا من الجن من نينوى فقال ﷺ إني امرت ان أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ودخل نبي الله شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك

(١) وفي نسختين : الاستماع بدل القرآن

ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حتى حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم انطلقوا رطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فبرز ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سوداً مستشفري(١) ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين وروى علقمة عن عبد الله قال لم اكن مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ووددت اني كنت معه وروي عن ابن عباس انهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم قال زر بن حبيش كانوا تسعة نفر منهم زوبعة وروى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال لما قرأ رسول الله ﷺ الرحمن على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئاً فقال رسول الله ﷺ الجن كانوا أحسن جوابا منكم لما قرأت عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب

قوله تعالى (٣١) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٣) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٤) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ يعقوب وحده يقدر بالياء وهو قراءة جده عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي وعاصم الجحدري ومالك بن دينار وقرأ جميع القراء بقادر وفي الشواذ قراءة الحسن وعيسى الثقفي بلاغاً بالنصب وقراءة ابن محيصن فهل يهلك بفتح الياء

الحجة

قال ابو علي قراءة القراء أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والأرض إلى قوله بقادر من الحمل على المعنى ادخل الباء لما كان في معنى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر ومثل ذلك في الحمل على المعنى قول الشاعر:

بَادَتْ وَغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ الْبِلَى ... إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ(٢)

ثم قال «وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَادُ قَذَالِهِ» لما كان غير آيهن مع البلى إلا رواكد بمعنى بها رواكد حمل مشجج على ذلك وكذلك قوله يطاف عليهم بكأس من معين ثم قال وحور عين لما كان يطاف عليهم بكذا معناه لهم فيها كذا وقالوا إن احدا لا يقول ذلك إلا زيد فادخل احدا في الموجب لما كان معنى الكلام النفي ومن قرأ بلاغا فهو على تقدير فعل مضمر اي بلغوا بلاغا كما أن الرفع على تقدير مضمر اي هو بلاغ او هذا بلاغ وقرأ ابو مجلز بلغ على الأمر

(١) الاستشفار هو ان يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذنبه (٢) الضمير في بادت راجع الى الديار وفي نسخة «من» بدل «مع» و الرواكد : الاثافي مشتقة من الركود لثباتها وعجز قوله ومشجج : قبداوغيب سأره المعزاء والمشجج : الوتد مأخوذ من الشجة وهو الجرح يكون في الوجه والرأس شدد لكثرة ذلك فيه وسواء بمعنى الوسط والقذال جماع مؤخر الرأس يقول بادت الديار وغيرت اعلامها

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه تمام خبر الجن فقال حاكيا عنهم (ياقومنا اجيبوا داعي الله) يعنون محمدا ﷺ اذ دعاهم إلى توحيده وخلع الانداد دونه (وآمنوا به) اي بالله (يغفر لكم من ذنوبكم) اي فإنكم ان آمنتم بالله ورسوله يغفر لكم ذنوبكم (ويجركم) اي ويخلصكم (من عذاب اليم) قال علي بن ابراهيم فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فآمنوا به وعلّمهم رسول الله ﷺ شرائع الاسلام وانزل الله سبحانه قل اوحي إليّ انه استمع نفر من الجن إلى آخر السورة وكانوا يفرّون إلى رسول الله ﷺ في كل وقت وفي هذا دلالة على انه كان مبعوثا إلى الجن كما كان مبعوثا إلى الانس ولم يبعث الله نبيا إلى الانس والجن قبله (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) اي لا يعجز الله فيسبقه ويفوته (وليس له من دونه اولياء) اي انصار يمنعونه من الله ويدفعون عنه العذاب إذا نزل بهم ويجوز ان يكون هذا من كلام الله تعالى ابتداء ثم قال (اولئك) يعني الذين لا يجيبون داعي الله (في ضلال مبين) اي عدول عن الحق ظاهر ثم قال سبحانه منبهاً على قدرته على البعث والإعادة فقال (أولم يروا) اي او لم يعلموا (ان الله الذي خلق السموات والأرض) وانشأها (ولم يعيَ بخلقهن) اي لم يصبه في خلق ذلك اعياء ولا تعب ولم يعجز عنه يقال عيي فلان بأمره إذا لم يهتدِ له ولم يقدر عليه (بقادر) الباء زائدة وموضعه رفع بأنه خبر إن (على ان يحيي الموتى) اي فخلق السموات والأرض اعجب من احياء الموتى ثم قال (بلى) هو قادر عليه (انه على كل شيء قدير) ثم عقّبه بذكر الوعيد فقال (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق) اي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذي جوزيتم به حق لا ظلم فيه (قالوا) اي فيقولون (بلى وربنا) اعترفوا بذلك وحلفوا عليه بعد ما كانوا منكرين (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اي اي بكفركم في الدنيا وانكاركم ثم قال لنبيه ﷺ (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) اي فاصبر يامحمد على اذى هؤلاء الكفار وعلى ترك اجابتهم لك كما صبر الرسل ومن هاهنا لتبيين الجنس كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان وعلى هذا القول فيكون جميع الانبياء هم اولوا العزم لأنهم عزموا على اداء الرسالة وتحمّل اعبائها عن ابن زيد والجبائي وجماعة وقيل ان من هاهنا للتبعيض وهو قول اكثر المفسرين والظاهر في روايات اصحابنا ثم اختلفوا فقيل اولوا العزم من الرسل من اتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه وهم خمسة اولهم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) قال وهم سادة النبيين وعليهم دارت رحا المرسلين وقيل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر في البئر والسجن وايوب صبر على الضر والبلوى عن مقاتل وقيل هم الذين امروا بالجهاد والقتال واظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين عن السدي والكلبي وقيل هم ابراهيم وهود ونوح ورابعهم محمد ﷺ عن ابي العالية والعزم هو الوجوب والحتم وأولوا العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرائع واوجبوا على الناس الأخذ بها والانقطاع عن غيرها (ولا تستعجل لهم) اي ولا تستعجل لهم العذاب فإنه كائن واقع بهم عن قريب وما هو كائن فكأن قد كان وقع (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) اي العذاب في الآخرة (لم يلبثوا) في الدنيا (إلّا ساعة من نهار) أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في

الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار لأن ما مضى كأن لم يكن وإن كان طويلا وتم الكلام ثم قال بلاغ اي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل معناه ذلك اللبث بلاغ (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أي لا يقع العذاب إلا بالعاصين الخارجين من امر الله تعالى وقيل معناه لا يهلك على الله تعالى إلا هالك مشرك ولي ظهره الاسلام او منافق صدق بلسانه وخالف بعمله عن قتادة وقيل معناه لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون عن الزجاج قال وما جاء في الرجاء لرحمة الله شيء اقوى من هذه الآية

سورة محمد وتسمى ايضا سورة القتال

وهي مدنية وقال ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت على النبي ﷺ وهو يريد التوجه إلى المدينة من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزلت وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك الآية

﴿ عدد آيها ﴾

اربعون آية بصري ثمان وثلاثون كوفي تسع في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آيتان اوزارها غير الكوفي للشاربين بصري

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال النبي ﷺ من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأها لم يدخله شك في دينه ابدا ولم يزل محفوظا من الشرك والكفر ابدا حتى يموت فإذا مات وكل الله به في قبره الف ملك يصلون في قبره ويكون ثواب صلوتهم له ويشيعونه حتى يوقفوه موقف الأمن عند الله ويكون في امان الله وأمان محمد ﷺ وقال (ع) من أراد ان يعرف حالنا وحال اعدائنا فليقرأ سورة محمد ﷺ فإنه يراها آية فينا وآية فيهم.

-(تفسيرها)-

ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد الكفار وافتتح هذه السورة بمثلها فقال جل ثناؤه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٤) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ

ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ (٥) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٦) وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (ست آيات)

(القراءة)

قرأ اهل البصرة وحفص والذين قتلوا على ما لم يسم فاعله والباقون قاتلوا بالألف

(الحجة)

قال ابو علي قاتلوا اعم من قتلوا الا ترى ان من قاتل ولم يقتل لن يضل عمله كما ان الذي قتل كذلك فهو لعمومه اولى

اللغة

البال الحال والشأن والبال القلب ايضا يقال خطر ببالي كذا والبال لا يجمع لأنه ابهم اخوانه من الحال والشأن . والإثخان اكثار القتل وغلبة العدو وقهرهم ومنه اثخنه المرض اشتد عليه واثخنه الجراح والوثاق اسم من الايثاق ويقال اوثقه ايثاقا ووثاقا اذا اشتد اسره كيلا يفك والاوزار السلاح واصل الوزر مايحمله الإنسان فسمى السلاح اوزاراً لأنه يحمل قال الأعشى:

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا رِمَاحاً طِوَالاً وَخَيْلاً ذُكُوراً
وَمِن نَسْجِ دَاوُدَ يَحْذُو بِهَا عَلَى أَثَرِ الْحَيِّ عِبْراً فَعِبْراً (١)

الاعراب

ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ذلك ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره ذلك كائن فضرب الرقاب مصدر فعل محذوف تقديره فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل واضيف المصدر الى المفعول وهذه الإضافة في تقدير الانفصال لأنّ تقديره فضرباً الرقاب قال الشاعر «فَنَدْلاً زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ» وكذلك قوله منّاً وفداء تقديره فإمّا تمنّون منّاً واما تفدون فداءً

المعنى

(الذين كفروا) بتوحيد الله وعبدوا معه غيره (وصدّوا) الناس (عن سبيل الله) اي عن سبيل الإيمان والإسلام باستدعائهم الى تكذيب النبي ﷺ يعني مشركي العرب (اضل اعمالهم) اي احبطها اعمالهم التي كان في زعمهم انها قربة وانها تنفعهم كالعتق والصدقة وقرى الضيف والمعنى اذهبها وابطلها حتى كأنها لم تكن اذ لم يروا لها في الآخرة ثوابا وقيل نزلت في المطعمين ببدر وكانوا عشرة انفس اطعم كل واحد منهم الجند يوما (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي صدّقوا بتوحيد الله وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة (وآمنوا بما نزّل على محمد) من القرآن والعبادات خصّ الإيمان بمحمد ﷺ بالذكر مع دخوله في الأول تشريفا له وتعظيما ولئلا يقول اهل الكتاب نحن آمنا بالله وبأنبيائنا وكتبنا (وهو الحق من ربهم) اي وما نزل على محمد ﷺ هو الحق من ربهم لأنه ناسخ للشرائع والناسخ هو الحق وقيل معناه ومحمد الحق من ربهم دون ما يزعمون من انه سيخرج في آخر الزمان نبي من العرب فليس هذا هو فردّ الله ذلك

(١) حدا الابل وبها سائقها وغنّى لها. حدا الليل النهار تبعه .

عليهم (كفر عنهم سيئاتهم) اي سترها عنهم بأن غفرها لهم يعني غفر سيئاتهم المتقدمة بإيمانهم وحكم بإسقاط المستحق عليها من العقاب (واصلح بالهم) اي اصلح حالهم في معاشهم وامر دنياهم عن قتادة وقيل اصلح امر دينهم ودنياهم بأن نصرهم على اعدائهم في الدنيا ويدخلهم الجنة في العقبى ثم بين سبحانه لم فعل ذلك ولم قسمهم هذين القسمين فقال (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أي ذلك الإضلال والإصلاح باتباع الكافرين الشرك وعبادة الشيطان واتباع المؤمنين التوحيد والقرآن وما امر الله سبحانه باتباعه (كذلك يضرب الله للناس امثالهم) أي كالبيان الذي ذكرنا يبين الله سبحانه للناس امثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين فإن معنى قول القائل ضربت لك مثلا بيّنت لك ضربا من الامثال عن الزجاج وقيل أراد به المثل المقرون به فجعل الكافر في اتباعه الباطل كمن دعاه الباطل إلى نفسه فأجابه والمؤمن كمن دعاه الحق إلى نفسه فأجابه وقيل معناه كما بيّنت عاقبة الكافر والمؤمن وجزاء كل واحد منهما أضرب للناس امثالا يستدلون بها فيزيدهم علما ووعظا واضاف المثل اليهم لأنه مجعول لهم ثم امر سبحانه بقتال الكفار فقال (فإذا لقيتم) معاشر المؤمنين (الذين كفروا) يعني اهل دار الحرب (فضرب الرقاب) اي فاضربوا رقابهم والمعنى اقتلوهم لأن اكثر مواضع القتل ضرب العنق وان كان يجوز الضرب في سائر المواضع فإن الغرض قتلهم (حتى إذا اثخنتموهم) اي اثقلتموهم بالجراح وظفرتم بهم وقيل حتى إذا بالغتم في قتلهم واكثرتم القتل حتى ضعفوا (فشدوا الوثاق) اي احكموا وثاقهم في الاسر امر سبحانه بقتلهم والإثخان فيهم ليذلوا فإذا ذلوا بالقتل اسروا فالأسر يكون بعد المبالغة في القتل كما قال سبحانه ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض (فإما منًّا بعد وإما فداء) اي فإما ان تمنوا عليهم منًّا بعد ان تأسروهم فتطلقوهم بغير عوض واما ان تفدوهم فداء واختلف في ذلك فقيل كان الأسر محرما بآية الانفال ثم انبع بهذه الآية لأن هذه السورة نزلت بعدها فإذا أسروا فالإمام مخير بين المن والفداء باسارى المسلمين وبالمال وبين القتل والاستعباد وهو قول الشافعي وابي يوسف ومحمد بن اسحاق وقيل ان الإمام مخير بين المن والفداء والاستعباد وليس له القتل بعد الاسر عن الحسن وكأنه جعل في الآية تقديما وتأخيرا تقديره فضرب الرقاب حتى تضع الحرب اوزارها ثم قال حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعد واما فداء وقيل ان حكم الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فإما تثقفنهم في الحرب عن قتادة والسدي وابن جريج وقال ابن عباس والضحاك الفداء منسوخ وقيل ان حكم الآية ثابت غير منسوخ عن ابن عمر والحسن وعطاء قالوا لأن النبي ﷺ منّ على ابي عزة وقتل عقبة بن ابي معيط وفادى اسارى بدر والمروي عن أئمة الهدى صلوات الرحمن عليهم ان الاسارى ضربان ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال والحرب قائمة فهؤلاء يكون الإمام مخيرا بين ان يقتلهم او يقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا ولا يجوز المن ولا الفداء والضرب الآخر الذين يؤخذون بعد ان وضعت الحرب أوزارها وانقضى القتال فالإمام مخير فيهم بين المن والفداء اما بالمال او بالنفس وبين الاسترقاق وضرب الرقاب فإذا اسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وكان حكمهم حكم المسلمين (حتى تضع الحرب اوزارها) أي حتى يضع اهل الحرب اسلحتهم فلا يقاتلون وقيل حتى لا يبقى احد من المشركين عن ابن عباس وقيل حتى لا يبقى دين غير دين الاسلام عن مجاهد والمعنى حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار

المشركين وقبائح اعمالهم بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الاديان ولا تعبد الاوثان وهذا كما جاء في الحديث والجهاد ماض مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر امتي الدجال وقال الفراء المعنى حتى لا يبقى إلا مسلم او مسالم وقال الزجاج اي اقتلوهم وأسروهم حتى يؤمنوا فما دام الكفر فالحرب قائمة ابداً (ذلك) اي الامر الذي ذكرنا (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي من الكفار بإهلاكهم وتعذيبهم بما شاء (ولكن) يأمركم بالحرب وبذل الأرواح في احياء الدين (ليبلو بعضكم ببعض) اي ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من العاصي والمعنى انه لو كان الغرض زوال الكفر فقط لاهلك الله سبحانه الكفار بما يشاء من انواع الهلاك ولكن أراد مع ذلك ان يستحقوا الثواب وذلك لا يحصل إلا بالتعبد وتحمل المشاق (والذين قتلوا في سبيل الله) اي في الجهاد في دين الله يوم احد عن قتادة ومن قرأ قاتلوا فالمعنى جاهدوا سواء قتلوا أو لم يقتلوا (فلن يضل اعمالهم) أي لن يضيع الله اعمالهم ولن يهلكها بل يقبلها ويجازيهم عليها ثوابا دائما (سيهديهم) إلى طريق الجنة والثواب (ويصلح بالهم) اي شأنهم وحالهم والوجه في تكرير قوله بالهم ان المراد بالأول انه اصلح بالهم في الدين والدنيا وبالثاني انه يصلح حالهم في نعيم العقبى فالأول سبب النعيم والثاني نفس النعيم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) اي بينها لهم حتى عرفوها اذا دخلوها وتفرقوا إلى منازلهم فكانوا اعرف بها من اهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم عن سعيد بن جبير وابي سعيد الخدري وقتادة ومجاهد وابن زيد وقيل معناه بيّنها لهم وأعلمهم بوصفها على ما يشوق اليها فيرغبون فيها ويسعون لها عن الجبائي وقيل معناه طيّبها لهم عن ابن عباس في رواية عطا من العرف وهو الرائحة الطيبة يقال طعم معرّف اي مطيّب

قوله تعالى (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٩) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (١٠) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا اربع آيات

﴿ اللغة ﴾

التعس الانحطاط والعثار والاتعاس والازلال والادحاض بمعنى وهو العثار الذي لا يستقل صاحبه فإذا سقط الساقط فأريد به الانتعاش والاستقامة قيل لعاله واذ لم يرد ذلك قيل تعسا قال الأعشى «فالتعس أولى لها من أن اقول لعا»[1]

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) اي ان تنصروا دين الله ونبي الله بالقتال والجهاد (ينصركم) على عدوكم (ويثبت اقدامكم) اي يشجعكم ويقوّ قلوبكم لتثبتوا وقيل ينصركم في الآخرة ويثبت اقدامكم عند الحساب وعلى الصراط وقيل ينصركم في الدنيا والآخرة ويثبت اقدامكم في الدارين وهو الوجه قال قتادة حق على الله أن ينصر من نصره لقوله ان تنصروا الله ينصركم وأن يزيد من شكره لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم وأن يذكر من ذكره لقوله فاذكروني اذكركم وان يوفي بعهد من أقام على عهده لقوله وأوفوا بعهدي اوفِ بعهدكم (والذين كفروا فتعساً لهم) أي عكروها

(١) مرّ البيت في ج ٣ ص ٢٥٩ .

لهم وسوءاً عن المبرد أي اتعسهم الله فتعسوا تعساً قال ابن عباس يريد في الدنيا العسرة وفي الآخرة التردي في النار (وأضل أعمالهم) مر معناه (ذلك) التعس والاضلال (بأنهم كرهوا ما انزل الله) على نبيه ﷺ من القرآن والأحكام وأمرهم بالانقياد فخالفوا ذلك وقال ابو جعفر «ع» كرهوا ما انزل الله في حق علي «ع» (فأحبط اعمالهم) لأنها لم تقع على الوجه المأمور به ثم نبههم سبحانه على الاستدلال على صحة ما دعاهم اليه من التوحيد واخلاص العبادة لله فقال (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) حين ارسل الله اليهم الرسل فدعوهم إلى توحيده واخلاص العبادة له فلم يقبلوا منهم وعصوهم اي فهلا ساروا ورأوا عواقب أولئك (دمر الله عليهم) اي اهلكهم ثم قال (وللكافرين) بك يا محمد (امثالها) من العذاب ان لم يؤمنوا ويقبلوا ما تدعوهم اليه والمعنى انهم يستحقون امثالها وانما يؤخر الله سبحانه عذابهم إلى الآخرة تفضلا منه

قوله تعالى (١١) ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١٢) إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٣) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٤) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٥) مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير اسن مقصوراً والباقون آسن بالمد وقرأ علي «ع» وابن عباس امثال الجنة على الجمع

الحجة

قال ابو زيد يقال أَسَنَ الماء يأسِنُ أُسُوناً إذا تغير وأسن الرجل ياسَن اَسَناً إذا غشي عليه من ريح خبيثة وربما مات منها قال:

اَلتَّارِكُ ٱلْقِرْنِ مُصْفَرّاً اَنَامِلُهُ ... تَمِيلُ فِي الرُّمْحِ مَيْلَ المائِحِ الْأَسِنِ(١)

قال ابو عبيدة الأَسِن المتغير(٢) فحجة ابن كثير ان اسم الفاعل من فَعَل يفعُل على فعِل وقال ابو الحسن اَسِن إنما هو للحال التي تكون عليها ومن قرأ آسن على فاعل فإنما يريد أن ذلك لا يصير اليه فيما يستقبل وقوله امثال الجنة فيه دليل على ان القراءة العامة التي هي مثل في معنى الكثرة لما فيه من معنى المصدرية

اللغة

المثوى المنزل من قولهم ثوى بالمكان ثواء إذا اقام به ويقال للمرأة أم المثوى اي ربة المنزل والمثل والمثل بمعنى مثل الشِبْه والشَبَه والبِدْل والبَدَل(٣) والأمعاء جمع مِعىً وفي الحديث المؤمن يأكل في معى واحد

(١) القرن كفؤك ومن يقاومك ونظيرك في الشجاعة واصفرار الانامل كناية عن الموت . ماح الرجل : دخل البئر فملا الدلو لقلة مائها ولا يمكن ان يستقى منها الا بالاغتراف باليد ومقابله المائح اى من يستقى وهو على رأس البئر سئل الاصمعي عن المتح والميح فقال « النوق للفوق والتحت للتحت» اى المتح ان يستقى وهو على رأس البئر والميح ان يملأ الدلو وهو في قعرها والاسن من دخل البئر فاصابته ريح منتنة ففشي عليه او دار رأسه (٢) [الريح] (٣) كلاهما بمعنى الشريف الكريم ومنهما الابدال

والكافر يأكل في سبعة امعاء وفيه وجوه من التأويل ﴿احدها﴾ انه قال علي «ع» في رجل معين ﴿والثاني﴾ ان المعنى يأكل المؤمن فيسمي الله تعالى فيبارك في اكله ﴿والثالث﴾ ان المؤمن يضيق عليه في الدنيا والكافر يصيب منها ﴿والرابع﴾ انه مَثَل لزهد المؤمن في الدنيا وحرص الكافر عليها وهذا احسن الوجوه

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج مثل الجنة مبتدأ وخبره محذوف تقديره مثل الجنة التي وعد المتقون مما قد عرفتموه من الدنيا جنة فيها انهار إلى آخره وقوله كمن هو خالد في النار تقديره أفمن كان على بيّنة من ربه واعطي هذه الاشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (ذلك) اي الذي فعلناه في الفريقين (بأن الله مولى الذين آمنوا) يتولى نصرهم وحفظهم ويدفع عنهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) ينصرهم ولا أحد يدفع عنهم لا عاجلا ولا آجلا ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) اي من تحت اشجارها وأبنيتها (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام) اي سيرتهم سيرة الانعام آثروا لذات الدنيا وشهواتها واعرضوا عن العبر يأكلون للشبع ويتمتعون لقضاء الوطر (والنار مثوى لهم) اي موضع مقامهم يقيمون فيها ثم خوفهم وهددهم سبحانه فقال (وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك) يا محمد يعني مكة (التي اخرجتك) اي اخرجك اهلها والمعنى كم من رجال هم اشد من اهل مكة ولهذا قال (اهلكناهم) فكنى عن الرجال عن ابن عباس (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم اهلاكنا اياهم والمعنى فمن الذي يؤمّن هؤلاء ان افعل بهم مثل ذلك ثم قال سبحانه على وجه التهجين والتوبيخ للكفار والمنافقين (أفمن كان على بيّنة من ربه) أي على يقين من دينه وعلى حجّة واضحة من اعتقاده في التوحيد والشرائع (كمن زين له سوء عمله) زيّن له الشيطان المعاصي واغواه (واتّبعوا اهواءهم) اي شهواتهم وما تدعوهم اليه طباعهم وهو وصف لمن زيّن له سوء عمله وهم المشركون وقيل هم المنافقون عن ابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر «ع» ثم وصف الجنات التي وعدها المؤمنين بقوله (مثل الجنة التي وعد المتقون) تقدم تفسيره في سورة الرعد (فيها انهار من ماء غير آسن) أي غير متغير لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) فهو غير حامض ولا قارص ولا يعتريه شيء من العوارض التي تصيب الالبان في الدنيا (وانهار من خمر لذة للشاربين) اي لذيذة يلتذون بشربها ولا يتأذّون بها ولا بعاقبتها بخلاف خمر الدنيا التي لا تخلو من المزازة[1] والسكر والصداع (وانهار من عسل مصفى) اي خالص من الشمع والرغوة والقذى ومن جميع الأذى والعيوب التي تكون لعسل الدنيا (ولهم فيها من كل الثمرات) اي مما يعرفون اسمها ومما لا يعرفون اسمها مبرّأة من كل مكروه يكون لثمرات الدنيا (ومغفرة من ربهم) اي ولهم مع هذا مغفرة من ربّهم وهو انه يستر ذنوبهم وينسيهم سيّئاتهم حتى لا يتنغص عليهم نعيم الجنة (كمن هو خالد في النار) اي من كان في هذه النعيم كمن هو خالد في النار (وسقوا ماء حميما) شديد الحر (فقطع امعاءهم) إذا دخل أجوافهم وقيل إن قوله كمن هو خالد في النار معطوف على قوله كمن زين له سوء عمله اي كمن زين له سوء عمله ومن هو خالد في النار فحذف الواو كما يقال قصدني فلان شتمني ظلمني

(١) وفي نسختين المرارة بدل المزازة والمزازة طعم بين الحموضة والحلاوة .

قوله تعالى (١٦) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٧) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٨) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٩) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (٢٠) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ خمس آيات

القراءة

روي في بعض الروايات عن ابن كثير انفا بالقصر والقراءة المشهورة آنفا بالمد

الحجة

قال ابو علي انشد ابو زيد:

وَجَدْنَا آلَ مُرَّةَ حِينَ خِفْنَا جَرِيرَتَنَا هُمُ الْأُنُفَ الْكِرَاما
وَيَسْرَحُ جَارُهُمْ مِنْ حَيْثُ يَمْشِي كَأَنَّ عَلَيْهِ مُؤْتَنَفًا حَرَاماً (١)

اي كأن عليه حرمة شهر مؤتنف حرام فحذف والانف الذين يأنفون من احتمال الضيم قال ابو علي فإذا كان كذلك فقد جمع فَعِل على فُعُل لأن واحد أُنُف أَنِف بدلالة قول الشاعر:

وَحَمَّالُ الْمِئِينَ إِذَا أَلَمَّتْ بِنَا الْحَدَثَانُ وَالْأَنِفُ النَّصُورُ (٢)

وليس الأُنُف والانِف في البيتين مما في الآية في شيء لأن ما في الشعر من الأَنَفَة وما في الآية من الابتداء ولم يسمع انف في معنى ابتداء ويجوز ان يكون توهمه ابن كثير مثل حاذر وحذِر وفاكه وفكِه والوجه المد والآنف الجاني من الإئتناف وهو الابتداء فقوله آنفا اي في اول وقت يقرب منا.

اللغة

الاهواء جمع الهوى وهو شهوة النفس يقال هَوِيَ يهوي هَوًى فهو هوٍ واستهواه هذا الأمر اي دعاه إلى الهوى والاشراط العلامات واشرط فلان نفسه للأمر إذا اعلمها بعلامة قال اوس بن حجر:

فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهْوَ مُعْصِمٌ وَأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلَا (٣)

وواحد الاشراط شرط والشرَط بالتحريك العلامة واشراط الساعة علاماتها والشَرَط ايضا رذال المال قال جرير

تَرَى شَرَطَ الْمِعْزَى مُهُورَ نِسَائِهِمْ وَفِي شَرَطِ الْمِعْزَى لَهُنَّ مُهُورُ (٤)

واصحاب الشُرَط سموا بذلك للبسهم لباسا يكون علامة لهم والشرط في البيع علامة بين المتبايعين

(المعنى)

ثم بين سبحانه حال المنافقين فقال: (ومنهم من يستمع اليك) أي ومن الكافرين الذين تقدم ذكرهم من يستمع إلى قراءتك ودعوتك وكلامك لأن المنافق كافر (حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين

(١) مرة بطن من قريش والجريرة الذنب وهي مفعول خفنا و الانف الكراما مفعول ثان لوجدنا والانف صفة من انف من الشيء اى ستنكف وتنزه عنه وفي المخطوطة يمسي بدل يمشي وهو الانسب للمقام والمؤتنف : المستأنف والمبتدأ (٢) الَمّت اى نزلت وحِدْثان الدهر وحَدَثانه نوائبه والنصور مبالغة من الناصر (٣) الضمير في فيها راجع الى الجبال واعصم يجوز ان يكون من قولهم اعصم الراكب اذا لم يثبت على

اوتوا العلم) يعني الذين آتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين قال ابن عباس انا ممن اوتوا العلم بالقرآن وعن الاصبغ بن نباتة عن علي (ع) قال انا كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي فأعيه انا ومن يعيه فإذا خرجنا قالوا (ماذا قال آنفا) وقولهم ماذا قال آنفا اي اي شيء قال الساعة وإنما قالوه استهزاء أو اظهار انا لم نشتغل ايضا بوعيه وفهمه وقيل إنما قالوا ذلك لأنهم لم يفهموا معناه ولم يعلموا ما سمعوه وقيل بل قالوا ذلك تحقيراً لقوله اي لم يقل شيئا فيه فائدة ويحتمل ايضا أن يكونوا سألوا رياء ونفاقا أي لم يذهب عني من قوله إلا هذا فاذا قال اعده علي لأحفظه وإنما قال يستمع اليك ثم قال خرجوا من عندك لأن في الأول رد الضمير إلى لفظة من وفي الثاني إلى معناه فإنه موحد اللفظ مجموع المعنى ثم قال (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) اي وسم قلوبهم بسمة الكفار أو خلى بينهم وبين اختيارهم (واتبعوا اهواءهم) اي شهوات نفوسهم وما مالت اليه طباعهم دون ما قامت عليه الحجة ثم وصف سبحانه المؤمنين فقال (والذين اهتدوا) بما سمعوا من النبي ﷺ (زادهم) الله او قراءة القرآن او النبي ﷺ (هدى) وقيل زادهم استهزاء المنافقين ايمانا وعلما وبصيرة وتصديقا لنبيهم ﷺ (وآتيهم تقويهم) اي وفقهم للتقوى وقيل معناه وآتاهم ثواب تقواهم عن سعيد بن جبير وابي علي الجبائي وقيل بين لهم ما يتقون وهو ترك الرخص والاخذ بالعزائم (فهل ينظرون إلا الساعة) أي فليس ينتظرون إلا القيامة (أن تأتيهم بغتة) أي فجأة فقوله ان تأتيهم بدل من الساعة وتقديره إلا الساعة إتيانها بغتة والمعنى إلا اتيان الساعة اياهم بغتة (فقد جاء اشراطها) اي علاماتها قال ابن عباس معالمها والنبي من اشراطها ولقد قال بعثت انا والساعة كهاتين وقيل هي اعلامها من انشقاق القمر والدخان وخروج النبي ﷺ ونزول آخر الكتب عن مقاتل (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) اي فمن اين لهم الذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة وموضع ذكراهم رفع مثله في قوله يوم يتذكر الانسان وأنى له الذكرى اي ليس تنفعه الذكرى والذكرى ما امر الله سبحانه ان يتذكروا به ومعناه وكيف لهم بالنجاة إذا جاءتهم الساعة فإنه لا ينفعهم في ذلك الوقت الإيمان والطاعات لزوال التكليف عنهم ثم قال لنبيه ﷺ والمراد به جميع المكلفين (فاعلم انه لا إله إلا الله) قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى اقم على هذا العلم واثبت عليه واعلم في مستقبل عمرك ما تعلمه الآن ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ انه قال من مات وهو يعلم انه لا إله إلا الله دخل الجنة أورده مسلم في الصحيح وقيل انه يتعلق بما قبله على معنى إذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا إله إلا الله اي يبطل الملك عند ذلك فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله وقيل ان هذا اخبار بموته ﷺ والمراد فاعلم أن الحي الذي لا يموت هو الله وحده وقيل انه كان ضيق الصدر من أذى قومه فقيل له فاعلم انه لا كاشف لذلك إلا الله (واستغفر لذنبك) الخطاب له والمراد به الامة وإنما خوطب بذلك لتستن امته بسنته وقيل إن المراد بذلك الانقطاع إلى الله تعالى فإن الاستغفار عبادة يستحق به الثواب وقد صح الحديث بالاسناد عن حذيفة بن اليمان قال كنت رجلا ذرب اللسان على اهلي فقلت يارسول الله اني لأخشى ان يدخلني لساني في النار فقال رسول الله ﷺ فأين انت من الاستغفار اني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (وللمؤمنين والمؤمنات) اكرمهم الله سبحانه بهذا إذ امر نبيهم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ثم اخبر سبحانه عن علمه واحوال الخلق ومآلهم فقال (والله يعلم متقلبكم ومثويكم) اي متصرفكم في أعمالكم في الدنيا ومصيركم في الآخرة

← الفرس وان يكون من اعسم به اذا تمسك به والاسباب الاحبال وتوكل عليه اى وثق يصف رجلا تدلى من رأس الجبل ليقطع النبعة لاتخاذ القوس منه (٤) يذمهم بانهم صاليك مهور نسائهم من رذال المعزى و معروف ان المعزى من اموال الصاليك فيذم على مالكيتها واشد الذم اذا كان مهر نساء قوم من رذال المعزى .

إلى الجنة أو إلى النار عن ابن عباس وقيل يعلم متقلبكم في اصلاب الآباء إلى ارحام الامهات ومثواكم اي مقامكم في الأرض عن عكرمة وقيل متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم في القبور عن ابن كيسان وقيل يعلم متقلبكم متصرفكم في النهار ومثواكم مضجعكم بالليل والمعنى انه عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه حكاية عن المؤمنين (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) اي هلا نزلت لأنهم كانوا يأنسون بنزول القرآن ويستوحشون لابطائه ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم وتعبده لهم (فإذا انزلت سورة محكمة) ليس فيها متشابه ولا تأويل وقيل سورة ناسخة لما قبلها من اباحة التخفيف في الجهاد قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل محكمة اي مقرونة بوعيد يؤكد الأمر كقوله الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما وقيل محكمة بوضوح الفاظها وعلى هذا فالقرآن كله محكم وقيل هي التي تتضمن نصا لم يختلف تأويله ولم يتعقبه نص وفي قراءة ابن مسعود سورة محدثة اي مجددة (وذكر فيها القتال) أي واوجب عليهم فيها القتال وامروا به (رأيت) يامحمد (الذين في قلوبهم مرض) اي شك ونفاق (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) قال الزجاج يريد انهم يشخصون نحوك بابصارهم وينظرون اليك نظراً شديداً كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت لثقل ذلك عليهم وعظمه في نفوسهم (فاولى لهم) هذا تهديد ووعيد قال الاصمعي معنى قولهم في التهديد اولى لك وليك وقارنك ما تكره وقال قتادة معناه العقاب لهم والوعيد لهم وعلى هذا يكون اولى اسما للتهديد والوعيد ويكون اولى لهم مبتدأ و خبرا ولا ينصرف اولى لأنه على وزن الفعل وصار اسما للوعيد وقول الاصمعي ان معناه وليك ما تكره لا يريد به ان اولى فعل وإنما فسره على المعنى وقيل معناه اولى لهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة اي لو اطاعوا فاجابوا كانت الطاعة والإجابة اولى لهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء واختيار الكسائي فيكون على هذا طاعة وقول معروف متصلا بما قبله وكذلك لو كانت صفة لسورة وتقديره فإذا انزلت سورة ذات طاعة وقول معروف على ما قاله الزجاج وعلى القول الاول يكون طاعة مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل او احسن او يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره امرنا طاعة ويكون الوقف حسنا عند قوله فاولى لهم.

قوله تعالى (٢١) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢٢) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٤) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٥) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ

خمس آيات

القراءة

قرأ يعقوب وسهل وتَقطَعوا بفتح التاء والطاء وسكون القاف والباقون وتُقَطِّعوا بالتشديد وضم التاء وكسر الطاء وقرأ اهل البصرة واملي لهم بضم الهمزة وفتح الياء وفي رواية رويس عن يعقوب بسكون الياء وقرأ الباقون وأملى لهم بفتح الهمزة واللام وروي عن النبي ﷺ فهل عسيتم ان وليتم وعن علي (ع) ان توليتم قال ابو حاتم معناه ان تولاكم الناس

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ وتقطعوا بالتخفيف قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل والتشديد للمبالغة وقوله وليتم من الولاية وفيه دلالة على ان القراءة المشهورة توليتم معناه توليتم الامر قال ابو علي قالوا انتظرته ملياً من الدهر اي متسعا مندوحة استعمل استعمال الاسماء وقالوا تمليت حبيبا اي عشت معه ملاوة من الدهر وقالوا الملوان يريدون بهما تكرر الليل والنهار وطول مدتهما قال:

نَهارٌ وَلَيْلٌ دائِمٌ مَلَواهُما ... عَلى كُلِّ حالِ المَرْءِ يَخْتَلِفانِ

فلو كان الليل والنهار لم يضافا الى ضميرهما من حيث لا يضاف الشيء الى نفسه ولكن كأنه يراد تكرر الدهر واتساعه بهما والصبير في املي لهم لاسم الله كما قال واملي لهم ان كيدي متين فمن قرأ واملي لهم فبني الفعل للمفعول به فإنه يحسن في هذا الموضع للعلم بأنه لا يؤخر احد مدة احد ولا يوسع له فيها الا الله سبحانه

﴿ المعنى ﴾

(طاعة وقول معروف) قد ذكرنا أن فيه مذهبين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون كلاما متصلا بما قبله وقد مر ذكره ﴿ والآخر ﴾ ان يكون كلاما مبتدأ ثم اختلف في تقديره على وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مبتدأ محذوف الخبر ثم قيل ان معناه طاعة وقول معروف امثل واليق من احوال هؤلاء المنافقين وقيل معناه طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد عن الحسن والوجه الآخر انه خبر مبتدأ محذوف تقديره قولوا امرنا طاعة وقول معروف اي حسن لا ينكره السامع وهذا امر أمر الله به المنافقين عن مجاهد وقيل هو حكاية عنهم انهم كانوا يقولون ذلك ويقتضيه قوله فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (فإذا عزم الأمر) معناه فإذا جدّ الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوما عليه والعزم العقد على الامر بالإرادة لأن يفعله فإذا عقد العازم العزم على ان يفعله قيل عزم الأمر على طريق البلاغة وجواب اذا محذوف ويدل عليه قوله (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) وتقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا من انفسهم فلو صدقوا الله فيما امرهم به من الجهاد وامتثلوا امره لكان خيرا لهم في دينهم ودنياهم من نفاقهم (فهل عسيتم) يا معشر المنافقين (ان توليتم) ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم) معناه ان توليتم الاحكام وليتم اي جعلتم ولاة ان تفسدوا في الارض بأخذ الرشاء وسفك الدم الحرام فيقتل بعضكم بعضا ويقطع بعضكم رحم بعض كما قتلت قريش بني هاشم وقتل بعضهم بعضا وقيل ان توليتم معناه ان اعرضتم عن كتاب الله والعمل بما فيه ان تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا بقتل بعضكم بعضا قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن القرآن ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ثم ذم الله سبحانه من يريد ذلك فقال (أولئك الذين لعنهم الله) اي ابعدهم من رحمته (فأصمهم واعمى ابصارهم) ومعناه انهم لا يَعُون الخبر ولا يبصرون ما به يعتبرون فكأنهم صمّ عمي عن ابي مسلم وقيل انهم في الآخرة لا يهتدون الى الجنة بمنزلة الاصم الاعمى في الدنيا عن ابي علي الجبائي ولا يجوز حمله على الصمم والعمى في الجارحة بلا خلاف لأنهم لو كانوا كذلك لما ذموا على انهم لا يسمعون ولا يبصرون وإنما اطلق الصمم لأنه لا يكون الا في الاذن وقرن العمي بالابصار لأنه قد يكون بالبصر وبالقلب (أفلا يتدبرون القرآن) بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به وقيل افلا يتدبرون القرآن فيقضوا ما عليهم من الحق عن ابي عبد الله(ع) وابي الحسن موسى (ع) (أم على قلوب اقفالها) معنى تنكير القلوب ارادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع وفيه تنبيه ايضا على فساد قول من يقول إن الحديث ينبغي ان يروى على ما جاء وإن كان مخالفا لاصول الديانات في المعنى لأنه سبحانه دعا إلى التدبر والتفكر وذلك مناف للتعامي والتجاهل ثم قال سبحانه (إن الذين ارتدوا على ادبارهم) اي رجعوا عن الحق والايمان (من بعد ما تبين لهم الهدى) اي

من بعد ما بان لهم طريق الحق وهم المنافقون عن ابن عباس والضحاك والسدي كانوا يؤمنون عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يظهرون الكفر فيما بينهم فتلك ردة منهم وقيل هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرفوه ووجدوا نعته مكتوبا عندهم عن قتادة وليس في هذا دلالة على أن المؤمن قد يكفر لأنه لا يمتنع ان يكون المراد من رجع في باطنه عن الايمان بعد ان اظهره وقامت الحجة عنده بصحته (الشيطان سول لهم) اي زين لهم خطاياهم عن الحسن وقيل اعطاهم سولهم وأمنيتهم إذ دعاهم إلى ما يوافق مرادهم وهواهم عن ابي مسلم (واملى لهم) اي طول لهم املهم فاغتروا به وقيل أوهمهم طول العمر مع الامن من المكاره وابعد لهم في الأمل والامنية

قوله تعالى (٢٦) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٧) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٨) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٩) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٣٠) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر اسرارهم بالكسر والباقون اسرارهم بالفتح

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ اسرارهم انه لما كان مصدراً افرد ولم يجمع ويقوي الافراد قوله الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم فكما افرد السر ولم يجمع كذلك قال اسرارهم ومن فتح الهمزة جعله جمع سر فكأنه جمع لاختلاف ضروب السر وجميع الاجناس يحسن جمعها مع الاختلاف وقد جاء سرهم في قوله يعلم سرهم على ما عليه معظم المصادر لانه يتناول جميع ضروبه فافرد مرة وجمع اخرى

اللغة

الاضغان جمع الضغن وهو الحقد واللحن اصله ازالة الكلام عن جهته ثم انه يستعمل على وجهين في الصواب والخطأ اما في الصواب فمعناه الكناية عن الشيء والعدول عن الافصاح عنه قال الشاعر:

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لِكَيْلَا تَفْطُنُوا ... وَلَحَنْتُ لَحْناً لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وقيل اللحن هي الفطنة وسرعة الفهم والفاعل منه لحن يلحن فهو لحن اذا فطن ومنه الحديث لعل احدكم يكون ألحن بحجته من بعض اي افطن لها وانفوص بها ومنه قول الشاعر

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَاناً ... وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

وإنما يسمى التعريض لحناً لانه ذهاب بالكلام الى خلاف جهته ومنه قول عمر تعلموا اللحن كما تتعلمون القرآن واما في الخطأ فإن اللحن ازالة الاعراب عن جهته والفعل منه لحن يلحن فهو لاحن:

(المعنى)

ثم بين سبحانه سبب استيلاء الشيطان عليهم فقال (ذلك) اي التسويل والاملاء (بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) من القرآن وما فيه من الامر والنهي والاحكام والمروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهم بنو امية كرهوا ما نزل الله في ولاية علي ابن ابي طالب (ع) (سنطيعكم في بعض الأمر) اي نفعل بعض ماتريدونه

(والله يعلم اسرارهم) اي ما اسره بعضهم الى بعض من القول وما اسروه في انفسهم من الاعتقاد (فكيف اذا توفتهم الملائكة) اي فكيف حالهم اذا قبضت الملائكة ارواحهم وإنما حذف تفخيما لشأن ما ينزل بهم في ذلك الوقت (يضربون وجوههم وادبارهم) على وجه العقوبة لهم ثم ذكر الله سبحانه سبب نزول ذلك الضرب فقال (ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله) من المعاصي التي يكرهها الله ويعاقب عليها (وكرهوا رضوانه) اي سبب رضوانه من الإيمان وطاعة الرسول (فأحبط الله اعمالهم) التي كانوا يعملونها من صلاة وصدقة وغير ذلك لأنها في غير ايمان ثم قال سبحانه (ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم) اي احقادهم على المؤمنين ولا يبدي عوراتهم للنبي ﷺ (ولو نشاء لأريناكهم) باعيانهم يا محمد حتى تعرفهم وهو قوله (فلعرفتهم بسيماهم) اي بعلاماتهم التي ننصبها لك لكي تعرفهم بها (ولتعرفنهم في لحن القول) اي وتعرفهم الآن في فحوى كلامهم ومعناه ومقصده ومغزاه لأن كلام الانسان يدل على ما في ضميره وعن ابي سعيد الخدري قال لحن القول ببغضهم علي بن ابي طالب (ع) قال وكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم علي بن ابي طالب (ع) وروي مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الانصاري وعن عبادة بن الصامت قال كنا نبور[1] اولادنا بحب علي (ع) فإذا رأينا احدهم لا يحبه علمنا انه لغير رَشْدَة[2] وقال انس ما خفي منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآية (والله يعلم اعمالكم) ظاهرها وباطنها

قوله تعالى (٣١) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣٢) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٥) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ خمس آيات

« القراءة »

قرأ ابو بكر وليبلونكم وما بعده بالياء وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) والباقون بالنون وقرأ يعقوب ونبلو ساكنة الواو

الحجة

قال ابو علي وجه الياء ان قبله والله يعلم اعمالكم واسم الغيبة اقرب اليه من لفظ الجمع فحمل على الاقرب ووجه النون قوله ولو نشاء لأريناكهم

اللغة

يقال وتره يتره وترا إذا نقصه ومنه الحديث فكأنه وتر اهله وماله واصله القطع ومنه الترة القطع بالقتل ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره

المعنى

ثم اقسم سبحانه فقال (ولنبلونكم) اي نعاملكم معاملة المختبر بما نكلفكم به من الامور الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) اي حتى يتميز المجاهدون في سبيل الله من جملتكم والصابرون على الجهاد

(١) باره : جرّبه واختبره (٢) الرشدة بالفتح وتكسر : ضد الزنية يقال هو لرَشْدة .

وقيل معناه حتى يعلم اولياؤنا المجاهدين منكم واضافه إلى نفسه تعظيما لهم وتشريفا كما قال إن الذين يؤذون الله ورسوله اي يؤذون اولياء الله وقيل معناه حتى نعلم جهادكم موجوداً لأن الغرض ان تفعلوا الجهاد فيثيبكم على ذلك (ونبلوا اخباركم) اي نختبر اسراركم بما تستقبلونه من افعالكم (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) اي امتنعوا عن اتباع دين الله ومنعوا غيرهم عن اتباعه بالمحاربة وبالاغواء اخرى (وشاقوا الرسول) أي عاندوه وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) اي من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا انه رسول الله ﷺ (لن يضروا الله بذلك (شيئا) و إنما ضرّوا انفسهم (وسيحبط) الله (اعمالهم) فلا يرون لها في الآخرة ثوابا وفي هذه الآية دلالة على ان هؤلاء الكفار كانوا قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه فلم يقبلوه عناداً وهم المنافقون وقيل انهم اهل الكتاب ظهر لهم امر النبي ﷺ فلم يقبلوه وقيل هم رؤساء الضلالة جحدوا الهدى طلبا للجاه والرياسة لأن العناد يضاف إلى الخواص (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله) بتوحيده (وأطيعوا الرسول) بتصديقه وقيل اطيعوا الله في حرمة الرسول واطيعوا الرسول في تعظيم امر الله (ولا تبطلوا اعمالكم) بالشك والنفاق عن عطاء. وقيل بالرياء. والسمعة عن الكلبي وقيل بالمعاصي والكبائر عن الحسن (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) مضى معناه (ثم ماتوا وهم كفار) أي أصروا على الكفر حتى ماتوا على كفرهم (فلن يغفر الله لهم) ابداً لان لفظ لن للتأبيد (فلا تهنوا) اي فلا تتوانوا ولا تضعفوا عن القتال (وتدعوا إلى السلم) اي ولا تدعوا الكفار إلى المسالمة والمصالحة (وانتم الأعلون) أي وأنتم القاهرون الغالبون عن مجاهد وقيل إن الواو للحال أي لا تدعوهم إلى الصلح في الحال التي تكون الغلبة لكم فيها وقيل انه ابتداء اخبار من الله عن حال المؤمنين انهم الاعلون بدأ ومنزلة آخر الامر وان غلبوا في بعض الاحوال (والله معكم) اي بالنصرة على عدوكم (ولن يتركم اعمالكم) اي لن ينقصكم شيئا من ثوابها بل يثيبكم عليها ويزيدكم من فضله عن مجاهد وقيل معناه لن يظلمكم عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

قوله تعالى (٣٦) إِنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٧) إِنْ يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٨) هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ

ثلاث آيات

القراءة

في بعض الروايات عن ابي عمرو ويخرج بالرفع والمشهور عنه وعن الجميع ويخرج بالجزم

الحجة

وهذا يكون على استئناف الكلام اي وهو يخرج اضغانكم على كل حال

اللغة

الإحفاء. الإلحاح في السؤال حتى ينتهي إلى مثل الحفاء والمشي بغير حذاء يقال احفاه بالمسألة يحفيه احفاء. وقيل الاحفاء بالمسألة الالطاف فيها عن ابي مسلم والبخل هو منع الواجب وقيل هو منع النفع الذي هو اولى في العقل عن علي بن عيسى

(الاعراب)

ان يسألكموها فيحفكم إنما قدم المخاطب على الغائب لأن الابتداء بالأقرب مع انه المفعول الأول اولى وتقول

(١) [بالقهر].

ان يسألها جماعتكم لأنه غائب مع غائب فالمتصل أولى بأن يلي الفعل من المنفصل وقال ها انتم هؤلاء كرر التنبيه في الموضعين للتأكيد وأنتم مبتدأ وهؤلاء بدل منه وتدعون خبر المبتدأ

المعنى

ثم حض الله سبحانه على طلب الآخرة فقال (إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو) اي سريعة الفناء والانقضاء ومن اختار الفاني على الباقي كان جاهلا ومنقوصا قال الحسن الذي خلقها هو اعلم بها (و إن تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) معاصيه (يؤتكم اجوركم) اي جزاء اعمالكم في الآخرة (ولا يسألكم اموالكم) كلها في الصدقة وان اوجب عليكم الزكاة في بعض اموالكم عن سفيان بن عيينة والجبائي وقيل لا يسألكم اموالكم لأن الأموال كلها لله فهو املك لها وهو المنعم باعطائها وقيل لا يسألكم الرسول على اداء الرسالة اموالكم ان تدفعوها اليه (ان يسئلكموها فيحفكم) اي يجهدكم بمسألة جميعها (تبخلوا) بها فلا تعطوها اي ان يسئلكم جميع ما في ايديكم تبخلوا وقيل فيحفكم اي فيلطف في السؤال بأن يعد عليه الثواب الجزيل عن ابي مسلم (ويخرج اضغانكم) اي ويظهر بغضكم وعداوتكم لله ورسوله ولكنه فرض عليكم ربع العشر قال قتادة علم الله أن في مسألة الاموال خروج الاضغان وهي الاحقاد التي في القلوب والعداوات الباطنة (ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) يعني ما فرض عليهم في اموالهم أي إنما تؤمرون باخراج ذلك وانفاقه في طاعة الله (فمنكم من يبخل) بما فرض عليه من الزكاة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) لأنه يحرمها مثوبة جسيمة ويلزمها عقوبة عظيمة وهذه اشارة إلى ان معطي المال احوج اليه من الفقير الآخذ فبخله بخل على نفسه وذلك اشد البخل قال مقاتل إنما يبخل بالخير والفضل في الآخرة عن نفسه وقيل معناه فإنما يبخل بداع عن نفسه يدعوه إلى البخل فإن الله تعالى نهى عن البخل وذمه فلا يكون البخل بداع من جهته (والله الغني) عما عندكم من الأموال (وانتم الفقراء) إلى ما عند الله من الخير والرحمة اي لا يأمركم بالانفاق لحاجته ولكن لتنتفعوا به في الآخرة (وان تتولوا) اي تعرضوا عن طاعته وعن امر رسوله (يستبدل قوما غيركم) امثل وأطوع لله منكم (ثم لا يكونوا امثالكم) بل يكونوا خيرا منكم واطوع لله وروى ابو هريرة ان ناسا من اصحاب رسول الله ﷺ قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه وكان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ فضرب يده على فخذ سلمان فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال إن تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوما غيركم يعني الموالي وعن ابي عبد الله (ع) قال قد والله ابدل بهم خيرا منهم الموالي

سورة الفتح (مدنية)

عدد آيها

تسع وعشرون آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فكأنما شهد مع محمد ﷺ فتح مكة وفي رواية اخرى فكأنما كان مع من بايع محمدا ﷺ تحت الشجرة . عمر بن الخطاب قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال نزلت علي البارحة سورة هي احب الي من الدنيا وما فيها انا فتحنا الى قوله وما تأخر اورده البخاري في الصحيح . قتادة عن انس قال لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة اذ أنزل

الله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رسول الله ﷺ لقد انزلت علي آية هي احب الي من الدنيا كلها · عبد الله بن مسعود قال اقبل رسول الله ﷺ من الحديبية فجعلت ناقته تثقل فتقدمنا فانزل الله عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا فادركنا رسول الله ﷺ وبه من السرور ما شاء الله فاخبر انها انزلت عليه · عبد الله بن بكير عن ابيه قال قال ابو عبد الله (ع) حصنوا اموالكم ونساءكم وما ملكت ايمانكم من التلف بقراءة انا فتحنا فانه اذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلائق انت من عبادي المخلصين الحقوه بالصالحين من عبادي فاسكنوه جنات النعيم واسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله تلك السورة بقوله والله الغني وانتم الفقراء ومن غناه انه فتح لنبيه ﷺ ما احتاج اليه في دينه ودنياه فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (٢) لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٣) وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٤) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٥) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذٰلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا

خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الفتح ضد الاغلاق وهو الاصل ثم استعمل في مواضع فمنها الحكم والقضاء ويسمى الحاكم فتاحا والفتاحة الحكومة ومنها النصر والاستفتاح الاستنصار ومنها فتح البلدان ومنها العلم وقوله وعنده مفاتح الغيب من ذلك

﴿ المعنى ﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) اي قضينا لك قضاء ظاهرا عن قتادة وقيل معناه يسرنا لك يسرا بينا عن مقاتل وقيل معناه اعلمناك علما ظاهرا فيما انزلناه عليك من القرآن واخبرناك به من الدين وقيل معناه ارشدناك الى الاسلام وفتحنا لك امر الدين عن الزجاج ثم اختلف في هذا الفتح على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد به فتح مكة وعدها الله ذلك عام الحديبية عند انكفائه منها عن انس وقتادة وجماعة من المفسرين قال قتادة نزلت هذه الآية عند مرجع النبي ﷺ من الحديبية بشر في ذلك الوقت بفتح مكة وتقديره انا فتحنا لك مكة اي قضينا لك بالنصر على اهلها وعن جابر قال ما كنا نعلم فتح مكة الا يوم الحديبية ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالفتح هنا صلح الحديبية وكان فتحا بغير قتال قال الفراء الفتح قد يكون صلحا ومعنى الفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير فكثر بهم سواد الإسلام وقال الشعبي بويع بالحديبية وذلك بيعة الرضوان واطعم نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بظهور اهل الكتاب وهم الروم على المجوس إذ كان فيه مصداق قول الله تعالى انهم سيغلبون وبلغ الهدي محله والحديبية بئر روي انه نفد ماؤها فظهر فيها من اعلام النبوة ما اشتهرت

به الروايات قال البراء بن عازب تعدّون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فما ترك منها قطرة فبلغ ذلك الى النبي ﷺ فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها وتركناها انها اصدرتنا نحن وركابنا وفي حديث سلمة بن الاكوع إما دعا واما بزق فيها فجاشت فسقينا واستقينا وعن محمد بن اسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة[1] أن رسول الله ﷺ خرج لزيارة البيت لا يريد حرباً فذكر الحديث الى ان قال[2] رسول الله ﷺ انزلوا فقالوا يا رسول الله مابالوادي ماء فاخرج رسول الله ﷺ من كنانته سهما فاعطاه رجلا من اصحابه فقال انزل في بعض هذه القلب فاغرزه في جوفه ففعل فجاش بالماء الرواء حتى ضرب الناس بعطن وعن عروة وذكر خروج النبي ﷺ قال وخرجت قريش من مكة فسبقوه إلى بلدح والى الماء فنزلوا عليه فلما رأى رسول الله ﷺ انه قد سبق نزل على الحديبية وذلك في حرّ شديد وليس فيها إلا بئر واحدة فاشفق القوم من الظماء والقوم كثير فنزل فيها رجال يمتحونها ودعا رسول الله ﷺ بدلو من ماء فتوضأ[3] ومضمض فاه ثم مجّ فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهما من كنانته والقاه في البئر فدعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها وروى سالم بن ابي الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يوم الشجرة قال كنا الفا وخمسمائة وذكر عطشا اصابهم قال فاتى رسول الله ﷺ بماء في تور فوضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين اصابعه كأنه العيون قال فشربنا وسقينا وكفانا قال قلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف كفانا كنا الفا وخمسمائة وثالثها أن المراد بالفتح هنا فتح خيبر عن مجاهد والعوفي وروي عن مجمع بن حارثة الانصاري كان احد القراء قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا أوحي إلى رسول الله ﷺ فخرجنا نوجف فوجدنا النبي ﷺ واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس اليه قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا السورة فقال عمر افتح هو يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل فيها احد إلا من شهدها ورابعها ان الفتح الظفر على الاعداء كلهم بالحجج والمعجزات الظاهرة واعلاء كلمة الاسلام (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قد قيل فيه اقوال كلها غير موافق لما يذهب اليه اصحابنا أن الأنبياء معصومون من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها فمنها انهم قالوا معناه ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها ومنها قولهم ما تقدم الفتح وما تأخر عنه ومنها قولهم ما وقع وما لم يقع على الوعد بأنه يغفره له إذا وقع ومنها قولهم ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب امتك بدعوتك والكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبينا ﷺ ومن حمل ذلك على الصغائر التي تقع محطة عندهم فالذي يبطل قولهم ان الصغائر إذا سقط عقابها وقعت مكفرة فكيف يجوز أن يمن الله سبحانه على نبيه ﷺ بأن يغفرها له وإنما يصح الامتنان والتفضل منه سبحانه بما يكون له المؤاخذة به لا بما لو عاقب به لكان ظالما عندهم فوضح فساد قولهم ولأصحابنا فيه وجهان من التأويل احدهما ان المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر بشفاعتك وأراد بذكر التقدم والتأخر ماتقدم زمانه وما تأخر كما يقول القائل لغيره صفحت عن السالف والآنف من ذنوبك وحسنت اضافة ذنوب امته اليه للاتصال والسبب بينه وبين امته ويؤيد هذا الجواب ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال سأله رجل عن هذه الآية فقال والله ما كان له ذنب ولكن الله سبحانه ضمن له ان يغفر ذنوب شيعة علي (ع) ما تقدم من ذنبهم وما تأخر وروى عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله (ع) عن قول الله سبحانه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ما كان له ذنب ولا همّ بذنب ولكن الله حمّل ذنوب شيعته ثم غفرها له والثاني ما ذكره المرتضى قدس الله روحه أن

(١) محرمة خ ل (٢) [قال] (٣) في بعض النسخ فتوضأ من الدلو.

الذنب مصدر والمصدر يجوز اضافته إلى الفاعل والمفعول معاً فيكون هنا مضافا إلى المفعول والمراد ما تقدم من ذنبهم اليك في منعهم اياك عن مكة وصدهم لك عن المسجد الحرام ويكون معنى المغفرة على هذا التأويل الازالة والنسخ لاحكام اعدائه من المشركين عليه اي يزيل الله تعالى ذلك عنك ويستر عليك تلك الوصمة بما يفتح الك من مكة فستدخلها فيما بعد ولذلك جعله جزاء على جهاده وغرضا في الفتح ووجها له قال ولو انه أراد مغفرة ذنوبه لم يكن لقوله إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله معنى معقول لأن المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح فلا يكون غرضا فيه وأما قوله ماتقدم وما تأخر فلا يمتنع أن يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك وقيل ايضا في ذلك وجوه أُخر ﴿منها﴾ ان معناه لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك ﴿ومنها﴾ أن المراد بالذنب هناك ترك المندوب وحسن ذلك لأن من المعلوم انه ممن لا يخالف الاوامر الواجبة فجاز ان يسمى ذنبا منه ما لو وقع من غيره لم يسم ذنباً لعلو قدره ورفعة شأنه ﴿ومنها﴾ ان القول خرج مخرج التعظيم وحسن الخطاب كما قيل في قوله عفا الله عنك وهذا ضعيف لأن العادة جرت في مثل هذا ان يكون على لفظ الدعاء وقوله (ويتم نعمته عليك) معناه ويتم نعمته عليك في الدنيا باظهارك على عدوك واعلاء امرك ونصرة دينك وبقاء شرعك وفي الآخرة برفع محلك فإن معنى اتمام النعمة فعل مايقتضيها وتبقيتها على صاحبها والزيادة فيها وقيل يتم نعمته عليك بفتح خيبر ومكة والطائف (ويهديك صراطا مستقيما) اي ويثبتك على صراط يؤدي بسالكه الى الجنة (وينصرك الله نصراً عزيزا) النصر العزيز هو ما يمتنع به من كل جبار عنيد وعات مريد وقد فعل ذلك بنبيه ﷺ اذ صير دينه اعز الاديان وسلطانه اعظم السلطان (هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين) وهي ان يفعل الله بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده من البصيرة بالحق مانسكن اليه نفوسهم وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الادلة الدالة عليه فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة واما غيرهم فتضطرب نفوسهم لاول عارض من شبهة ترد عليهم اذ لا يجدون برد اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم وقيل هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ويثبتوا في القتال وقيل هي ما اسكن قلوبهم من التعظيم لله ولرسوله (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) اي يقينا الى يقينهم بما يرون من الفتوح وعلو كلمة الإسلام على وفق ما وعدوا وقيل ليزدادوا تصديقا بشرائع الإسلام وهو انهم كلما امروا بشيء من الشرائع والفرائض كالصلاة والصيام والصدقات صدقوا به وذلك بالسكينة التي انزلها الله في قلوبهم عن ابن عباس والمعنى ليزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم (ولله جنود السموات والارض) يعني الملائكة والجن والانس والشياطين عن ابن عباس والمعنى انه لو شاء لأعانكم بهم وفيه بيان انه لو شاء لأهلك المشركين لكنه عالم بهم وبما يخرج من اصلابهم فامهلهم لعلمه وحكمته ولم يأمر بالقتال عن عجز واحتياج لكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب (وكان الله عليما حكيما) فكل افعاله حكمة وصواب (ليدخل المؤمنين والمؤمنات) تقديره انا فتحنا لك ليغفر لك الله انا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات (جنات) ولذلك لم يدخل واو العطف في ليدخل اعلاما بالتفصيل (تجري من تحتها الانهار) اي من تحت اشجارها الانهار (خالدين فيها) اي دائمين مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها (ويكفر عنهم سيئاتهم) اي عقاب معاصيهم التي فعلوها في دار الدنيا (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) اي ظفرا يعظم الله به قدره

قوله تعالى (٦) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً (٧) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٩) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً

(١٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا خمس آيات

القراءة

قد بينا اختلافهم في السوء في سورة التوبة وقرأ ابن كثير وابو عمرو ليؤمنوا بالله ومابعده بالياء وقرأ الباقون بالتاء وقرأ اهل العراق فسيؤتيه بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الجحدري وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي مخففا

الحجة

قال ابو علي حجة الياء انه لا يقال لتؤمنوا بالله ورسوله والله هو الرسول فإذا لم يسهل ذلك كانت القراءة بالياء ليؤمنوا ومن قرأ بالتاء فعلى قوله قل لهم انا ارسلناك اليهم شاهداً لتؤمنوا وحجة الياء في فسيؤتيه قوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيما على تقديم ذكر الغيبة وزعموا ان في حرف عبد الله فسوف يؤتيه الله والنون على الانصراف من الافراد الى لفظ الكثرة وقال ابن جني من قرأ تعزروه فالمعنى تمنعوه وتمنعوا دينه ونبيه فهو كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دينه فهو على حذف المضاف واما تعزوره بالتشديد فتمنعوا منه بالسيف عن الكلبي وعزّرت فلانا فخمت امره ومنه عزرة اسم رجل ومنه عندي التعزير للضرب دون الحدّ وذلك انه لم يبلغ به ذل الحد الكامل فكأنه محاسنة فيه قال ابو حاتم وقرأ بعضهم تعزروه اي تجعلوه عزيزا

المعنى

لما تقدم الوعد للمؤمنين عقبه سبحانه بالوعيد للكافرين فقال (ويعذب) الله (المنافقين والمنافقات) وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الشرك فالنفاق اسرار الكفر واظهار الايمان اخذ من نافقاء اليربوع وهو ان يجعل لسربه بابين يظهر احدهما ويخفي الآخر فإذا اتى من الظاهر خرج من الآخر (والمشركين والمشركات) وهم الذين يعبدون مع الله غيره (الظانين بالله ظن السوء) اي يتوهمون ان الله ينصرهم على رسوله وذلك سَوء اي قبيح والسَوء المصدر والسُوء الاسم وقيل هو ظنهم ان النبي ﷺ لا يعود الى موضع ولادته ابدا وقيل هو ظنهم ان لن يبعث الله احدا ومثله وظننتم ظن السوء (عليهم دائرة السوء) اي يقع عليهم العذاب والهلاك والدائرة هي الراجعة بخير او شر. قال حميد بن ثور «ودائرات الدهر ان تدورا» وقيل ان من قرأ بالضم فالمراد دائرة العذاب ومن قرأ بالفتح فالمراد ما جعله للمؤمنين من قتلهم وغنيمة اموالهم (وغضب الله عليهم ولعنهم) اي ابعدهم من رحمته (واعد لهم جهنم) يجعلهم فيها (وساءت مصيرا) اي مآلاً ومرجعاً (ولله جنود السموات والارض) إنما كرر لأن الاول متصل بذكر المؤمنين اي فله الجنود التي يقدر ان يعينكم بها والثاني متصل بذكر الكافرين اي فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها (وكان الله عزيزا) في قهره وانتقامه (حكيما) في فعله وقضائه ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (انا ارسلناك) يا محمد (شاهدا) على امتك بما عملوه من طاعة ومعصية وقبول وردّ او شاهدا عليهم بتبليغ الرسالة (ومبشراً) بالجنة لمن اطاع (ونذيرا) من النار لمن عصى ثم بيّن سبحانه الغرض بالإرسال فقال (لتؤمنوا بالله) من قرأ ليؤمنوا بالياء فالمعنى ليؤمن هؤلاء الكفار بالله (ورسوله وتعزروه) اي تنصروه بالسيف واللسان والهاء تعود الى النبي ﷺ (وتوقروه) اي تعظموه وتبجّلوه (وتسبحوه بكرة واصيلا) اي وتصلوا[٢] بالغداة والعشي وقيل معناه وتنزهوه عما لا يليق به وكثير من القراء اختاروا الوقف على وتوقروه لاختلاف الضمير فيه وفيما بعده وقيل وتعزروه اي وتنصروا الله وتوقروه اي وتعظموه وتطيعوه كقوله لا ترجون لله وقارا وعلى هذا فتكون الكنايات متفقة وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر ان الله سبحانه يريد من الكفار الكفر لأنه صرح هنا انه يريد من جميع المكلفين الايمان والطاعة (ان الذين يبايعونك) المراد بالبيعة

(١) [المخاطب] (٢) [لله].

هنا بيعة الحديبية وهي بيعة الرضوان بايعوا رسول الله ﷺ على الموت (إنما يبايعون الله) يعني أن المبايعة معك تكون مبايعة مع الله لأن طاعتك طاعة الله وإنما سميت بيعة لأنها عقدت على بيع انفسهم بالجنة لازومهم في الحرب النصرة (يد الله فوق ايديهم) اي عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه ﷺ فكأنهم بايعوه من غير واسطة عن السدي وقيل معناه قوة الله في نصرة نبيه ﷺ فوق نصرتهم اياه اي ثق بنصرة الله لك لا بنصرتهم وان بايعوك عن ابن كيسان وقيل نعمة الله عليهم بنبيه ﷺ فوق ايديهم بالطاعة والمبايعة عن الكلبي وقيل يد الله بالثواب وما وعدهم على بيعتهم من الجزاء فوق ايديهم بالصدق والوفاء عن ابن عباس (فمن نكث) اي نقض ما عقد من البيعة (فإنما ينكث على نفسه) اي يرجع ضرر ذلك النقض عليه وليس له الجنة ولا كرامة عن ابن عباس (ومن أوفى) اي ثبت على الوفاء (بما عاهد عليه الله) من البيعة (فسيؤتيه اجرا عظيما) اي ثوابا جزيلا

قوله تعالى (١١) سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٣) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٤) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥) سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم ضرًا بضم الضاد يبدلوا كلم الله بغير الف والباقون ضرا بالفتح كلام الله بالالف

الحجة

قال ابو علي الضر خلاف النفع وفي التنزيل ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا والضر سوء الحال وفي التنزيل فكشفنا ما به من ضر هذا الأبين في هذا الحرف عندي ويجوز ان يكونا لغتين في معنى كالفقر والفُقر والضَعف والضُعف ومن قرأ كلام الله فوجهه انه قيل فيهم لن تخرجوا معي ابدا فخص الكلام بما كان مفيدا وحديثا فقال كلام الله ومن قرأ كلم الله قال الكلم قد يقع على ما يقع عليه الكلام وعلى غيره وان كان الكلام بما ذكرنا اخص الا ترى انه قال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل فإنما هو والله اعلم ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض وما يتصل به

اللغة

المخلّف هو المتروك في المكان خلف الخارجين من البلد وهو مشتق من الخلف وضده المقدم والاعراب

الجماعة من عرب البادية وعرب الحاضرة ليسوا باعراب فرقوا بينهما وان كان اللسان واحداً والبور الفاسد الهالك وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع يقال رجل بور ورجال بور قال:

يَارَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ

وقال حسان:

لَا يَنْفَعُ الطَّوْلُ مِنْ نُوكِ الْقُلُوبِ وَقَدْ ... يَهْدِي الْإِلَهُ سَبِيلَ الْمُعْشَرِ الْبُورِ

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عمن تخلف عن نبيه ﷺ فقال (سيقول لك المخلفون من الاعراب) اي الذين تخلفوا عن صحبتك في وجهتك وعمرتك وذلك انه لما اراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا وكان في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة استنفر مَن حول المدينة الى الخروج معه وهم غفار واسلم ومزينة وجهينة واشجع والدئل حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او بصدّ واحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب فقالوا نذهب معه إلى قوم قد جاؤه فقتلوا اصحابه فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل فقال سبحانه انهم يقولون لك إذا انصرفت اليهم فعاتبتهم على التخلف عنك (شغلتنا اموالنا واهلونا) عن الخروج معك (فاستغفر لنا) في قعودنا عنك فكذّبهم الله تعالى فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) كذبهم في اعتذارهم بما اخبر عن ضمائرهم واسرارهم اي لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ ام لا (قل) يا محمد (فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا) اي فمن يمنعكم من عذاب الله إن أراد بكم سوءاً ونفعا اي غنيمة عن ابن عباس وذلك انهم ظنوا انّ تخلّفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر أو يعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فأخبرهم سبحانه انه ان اراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه عنهم (بل كان الله بما تعملون خبيرا) اي عالما بما كنتم تعملون في تخلفكم (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى اهليهم ابدا) اي ظننتم انهم لا يرجعون إلى من خلفوا بالمدينة من الأهل والأولاد لأن العدو يستأصلهم ويصطلمهم[1] (وزين ذلك في قلوبكم) اي زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم وسوله لكم (وظننتم ظن السوء) في هلاك النبي ﷺ والمؤمنين وكل هذا من الغيب الذي لا يطلع عليه احد إلا الله فصار معجزاً لنبينا ﷺ (وكنتم قوما بورا) اي هلكى لا تصلحون لخير عن مجاهد وقيل قوماً فاسدين عن قتادة (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا) اي نارا تسعرهم وتحرقهم (ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء) ذنوبه (ويعذب من يشاء) إذا استحق العقاب (وكان الله غفورا رحيما) ظاهر المعنى ثم قال (سيقول لك المخلفون) يعني هؤلاء (إذا انطلقتم) ايها المؤمنون (إلى مغانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر (ذرونا نتبعكم) اي اتركونا نجئ معكم وذلك انهم لما انصرفوا من عام الحديبية بالصلح وعدهم الله سبحانه فتح خيبر وخص بغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه (يريدون أن يبدلوا كلام الله) اي مواعيد الله لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة أرادوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها عن ابن عباس وقيل يريد امر الله لنبيه ان لا يسير معه منهم احد عن مقاتل (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) اي قال الله بالحديبية قبل خيبر وقبل مرجعنا اليكم إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية لا يشركهم فيها غيرهم هذا

(١) وفي بعض النسخ يصطلمهم .

قول ابن عباس ومجاهد وابن اسحاق وغيرهم من المفسرين وقال الجبائي أراد بقوله يريدون ان يبدلوا كلام الله قوله سبحانه قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدواً وهذا غلط فاحش لأن هذه السورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية في سنة ست من الهجرة وتلك الآية نزلت في الذين تخلفوا عن تبوك وكانت غزوة تبوك بعد فتح مكة وبعد غزوة حنين والطائف ورجوع النبي ﷺ منها إلى المدينة ومقامه ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم تهيأ في رجب للخروج إلى تبوك وكان منصرفه من تبوك في بقية رمضان من سنة تسع من الهجرة ولم يخرج ﷺ بعد ذلك لقتال ولا غزو إلى أن قبضه الله تعالى فكيف تكون هذه الآية مرادة بقوله كلام الله وقد نزلت بعده بأربع سنين لولا ان العصبية ترين على القلوب ثم قال (فسيقولون بل تحسدوننا) اي فسيقول المخلفون عن الحديبية لكم إذا قلتم هذا لم يأمركم الله تعالى به بل انتم تحسدوننا ان نشارككم في الغنيمة فقال سبحانه ليس الأمر على ما قالوه (بل كانوا لا يفقهون) الحق وما تدعونهم اليه (إلا قليلا) اي إلا فقهاً قليلا او شيئاً قليلا وقيل معناه إلا القليل منهم وهم المعاندون

قوله تعالى (١٦) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٩) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٢٠) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

خمس آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون والباقون بالياء وهما في المعنى سواء

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يامحمد (للمخلفين) الذين تخلفوا عنك في الخروج إلى الحديبية (من الاعراب ستدعون) فيما بعد (إلى قوم اولي بأس شديد) وهم هوازن وحنين عن سعيد بن جبير وعكرمة وقيل هم هوازن وثقيف عن قتادة وقيل هم ثقيف عن الضحاك وقيل هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب عن الزهري وقيل هم اهل فارس عن ابن عباس وقيل هم الروم عن الحسن وكعب وقيل هم اهل صفين اصحاب معاوية والصحيح أن المراد بالداعي في قوله ستدعون هو النبي ﷺ لأنه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة وقتال اقوام ذوي بجدة وشدة مثل اهل حنين والطائف ومؤتة إلى تبوك

وغيرها فلا معنى لحمل ذلك على ما بعد وفاته (تقاتلونهم أو يسلمون) معناه ان احد الأمرين لا بد ان يقع لا محالة وتقديره أو هم يسلمون اي يقرّون بالإسلام ويقبلونه وقيل ينقادون لكم وفي حرف ابي او يسلموا وتقديره إلى أن يسلموا وفي النصب دلالة على ان ترك القتال من اجل الاسلام إذا وقع (فإن تطيعوا)اي فإن تجيبوا إلى قتالهم (يؤتكم الله اجرا حسنا) اي جزاءا صالحا (وإن تتولوا) عن القتال وتقعدوا عنه (كما توليتم من قبل)عن الخروج إلى الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) في الآخرة (ليس على الأعمى حرج) اي ضيق في ترك الخروج مع المؤمنين في الجهاد والأعمى الذي لا يبصر بجارحة العين (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) في ترك الجهاد ايضا قال مقاتل عذر الله اهل الزمانة والآفات الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) معناه في الامر بالقتال (ومن يتول) عن امر الله وامر رسوله فيقعد عن القتال (يعذبه عذابا أليما . لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) يعني بيعة الحديبية وتسمى بيعة الرضوان لهذه الآية ورضاء الله سبحانه عنهم هو ارادته تعظيمهم واثابتهم وهذا اخبار منه سبحانه انه رضي عن المؤمنين اذ بايعوا النبي ﷺ في الحديبية تحت الشجرة المعروفة وهي شجرة السمرة (فعلم ما في قلوبهم) من صدق النية في القتال والكراهة له لأنه بايعهم على القتال عن مقاتل وقيل ما في قلوبهم من اليقين والصبر والوفاء (فأنزل السكينة عليهم)وهي اللطف القوي لقلوبهم والطمأنينة (وأثابهم فتحا قريبا) يعني فتح خيبر عن قتادة واكثر المفسرين وقيل فتح مكة عن الجبائي (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني غنائم خيبر فإنها كانت مشهورة بكثرة الاموال والعقار وقيل يعني غنائم هوازن بعد فتح مكة عن الجبائي (وكان الله عزيزا) اي غالبا على امره (حكيما) في افعاله ولذلك امر بالصلح وحكم للمسلمين بالغنيمة ولأهل الخيبر بالهزيمة ثم ذكر سبحانه سائر الغنائم التي يأخذونها فيما يأتي من الزمان فقال (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) مع النبي ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني غنيمة خيبر (وكف ايدي الناس عنكم) وذلك انّ النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر اهلها همّت قبائل من اسد وغطفان ان يغيروا على اموال المسلمين وعيالهم بالمدينة فكف الله ايديهم عنهم بإلقاء الرعب في قلوبهم وقيل ان مالك بن عوف وعيينة بن حصين مع بني اسد وغطفان جاءوا لنصرة اليهود من خيبر فقذف الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا (ولتكون)الغنيمة التي عجلها لهم (آية للمؤمنين) على صدقك حيث وعدهم أن يصيبوها فوقع المخبر على وفق الخبر (ويهديكم صراطا مستقيما) اي ويزيدكم هدى بالتصديق بمحمد ﷺ وما جاء به مما ترون من عدة الله في القرآن بالفتح والغنيمة

قصة فتح الحديبية

قال ابن عباس ان رسول الله ﷺ خرج يريد مكة فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته وزجرها فلم تنزجر وبركت الناقة فقال اصحابه خلأت الناقة فقال ﷺ ماهذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل ودعا عمر بن الخطاب ليرسله إلى اهل مكة ليأذنوا له بأن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه فقال يارسول الله مالي بها حميم واني اخاف قريشا لشدة عداوتي اياها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فقال صدقت فدعا رسول الله ﷺ عثمان فأرسله إلى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب

وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فقام رسول الله ﷺ إلى الشجرة فاستند اليها وبايع الناس على ان يقاتلوا المشركين ولا يفرّوا قال عبد الله بن معقل كنت قائما على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم وبيدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس فلم يبايعهم على الموت وإنما بايعهم على ان لا يفروا وروى الزهري وعروة بن الزبير والمسور بن مخرمة(١) قالوا خرج رسول الله ﷺ من الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله ﷺ الهدي واشعره واحرم بالعمرة وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله ﷺ حتى إذ كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عينه الخزاعي فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الاحابيش(٢) وجمعوا جموعا وهم قاتلوك او مقاتلوك وصادّوك عن البيت فقال ﷺ روحوا فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين وسار ﷺ حتى إذا كان بالثنية بركت راحلته فقال ﷺ ما خلأت القصواء ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت به قال فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء انما يتبرضه الناس تبرّضا(٣) فشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه في الماء فوالله ما زال يجيش لهم بالريّ حتى صدروا عنه فبيناهم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجئ لقتال احد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فإن شاءوا ما دونهم مدة ويخلّوا بيني وبين الناس وان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا(٤) وان ابوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي اولينفذن الله تعالى امره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وانه يقول كذا وكذا فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال انه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته فقالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ نحواً من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله اني لأرى وجوها واري اشابا من الناس خلقاء ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قال ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل ان لا ترجع اليك فقال من هذا قال المغيرة بن شعبة قال اي غدر ولست اسعى في غدرتك قال وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ أما الإسلام فقد قبلنا واما المال فإنه مال غدر لا حاجة لنا فيه ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي ﷺ إذا امرهم

(١) وفى بعض النسخ محزمة (٢) جمع الاحبوش و الاحبوشة اى الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة (٣) تبرض الماء : اخذه قليلا قليلا من ههنا وههنا (٤) فى بعض النسخ : جمّوا وفى المخطوطة حمّوا .

رسول الله ﷺ ابتدروا امره واذا توضأ ثاروا يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يحدّون اليه النظر تعظيما له قال فرجع عروة إلى اصحابه وقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد اذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه و إذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يحدّون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال رسول الله ﷺ لاصحابه هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله القوم يلبّون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينا هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ﷺ قد سهل عليكم امركم فقال اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب فقال رسول الله اكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم فقال المسلمون والله لانكتب إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ اني لرسول الله وان كذبتموني ثم قال لعلي (ع) امح رسول الله فقال يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة فأخذه رسول الله فمحاه ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى انه من قدم مكة من اصحاب محمد حاجّاً أو معتمرا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه وماله وان بيننا عيبة مكفوفة[1] وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من احب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم فقال رسول الله ﷺ على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فقال سهيل والله ما تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك إلا رددته الينا ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فقال رسول الله ﷺ من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجا فقال سهيل وعلى انك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثا ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القراب وسلاح الراكب وعلى ان هذا الهدي حيث ما حبسناه محله لا تقدمه علينا فقال نحن نسوق وانتم تردون فبيناهم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف[2] في قيوده قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما اقاضيك عليه ان ترده فقال النبي ﷺ انا لم نقض بالكتاب بعد قال والله اذاً لا أصالحك على شيء ابدا فقال النبي ﷺ فأجره لي فقال ما أنا بمجيره

(١) وفي بعض النسخ مكفوفة (٢) رسف يرسف رسفاً مشى مشيَ المقيد

لك قال بلى فافعل قال ماانا بفاعل قال مكرز بلى قد اجرناه قال ابو جندل بن سهيل معاشر المسلمين أأردّ إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديداً فقال عمر بن الخطاب والله ما شككت مذ اسلمت الا يومئذ فأتيت النبي ﷺ فقلت ألست نبي الله فقال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلِمَ نعطي الدنية في ديننا اذاً قال إني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اولست كنت تحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف حقا قال بلى أفاخبرتك ان نأتيه العام قلت لا قال فإنك تأتيه وتطوف به فنحر رسول الله ﷺ بدنة فدعا بحالقه فحلق شعره ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الآية قال محمد بن اسحاق بن يسار وحدثني بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب ان كاتب رسول الله ﷺ في هذا الصلح كان علي بن ابي طالب (ع) فقال له رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو فجعل علي (ع) يتلكأ ويأبى ان يكتب إلا محمد رسول الله فقال رسول الله فإن لك مثلها تعطيها وانت مضطهد فكتب ما قالوا ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلا يأكلان من تمر لهم قال ابو بصير لأحد الرجلين واني لأرى سيفك هذا جيداً جدا فاستله وقال اجل انه لجيد وجربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارني انظر اليه فامكنه منه فضربه به حتى برد وفرّ الآخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي ﷺ قال قتل والله صاحبي واني لمقتول قال فجاء ابو بصير فقال يا رسول قد اوفى الله ذمتك ورددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي ﷺ ويل امه مسعر حرب لو كان له احد فلما سمع ذلك عرف انه سيردّه اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وانفلت منهم ابو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير فلا يخرج من قريش رجل قد اسلم الا لحق بابي بصير حتى اجتمعت عليه عصابة قال فوالله لا يسمعون بعير لقريش قد خرجت الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه منهم فهو آمن فارسل ﷺ اليهم فأتوه

[قصة فتح خيبر]

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ثم خرج منها غاديا الى خيبر ذكر ابن اسحاق باسناده عن ابي مروان الاسلمي عن ابيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر حتى اذا كنا قريبا منها واشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن انا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله وعن سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فجعل يقول

لاهم لولا انت ما حججنا (١) ولا تصدقنا ولا صلينا

(١) وفي نسخة : ما اهتدينا .

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقْتَنَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا
وَبِالصِّيَاحِ[1] عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السابق[2] قالوا عامر قال يرحمه الله قال عمر وهو على جمل له وجيب يا رسول الله لولا امتعتنا به وذلك ان رسول الله ﷺ ما استغفر لرجل قط يخصه الا استشهد قالوا فلما جد الحرب وتصاف القوم خرج يهودي وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فبرز اليه عامر وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

فاختلفا ضربتين فوقع سيف اليهودي في ترس عامر وكان سيف عامر فيه قصر فتناول به ساق اليهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه قال سلمة فإذا نفر من اصحاب رسول الله ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فاتيت النبي ﷺ وانا ابكي فقلت قالوا ان عامراً بطل عمله فقال من قال ذلك قلت نفر من اصحابك فقال كذب أولئك بل أوتي من الأجر مرتين قال فحاصرناهم حتى اصابتنا مخمصة شديدة ثم ان الله فتحها علينا وذلك ان النبي ﷺ اعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر واصحابه فرجعوا الى رسول الله ﷺ يجبنه اصحابه ويجبنهم كان رسول الله ﷺ اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فقال حين افاق من وجعه ما فعل الناس بخيبر فأخبر فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه وروى البخاري ومسلم عن قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب عن عبد الرحمن الاسكندراني عن ابي حازم قال اخبرني سعد بن سهل ان رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون[3] ليلتهم ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون ان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي (ع) يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم قال سلمة فبرز مرحب وهو يقول قد علمت خيبر اني مرحب الابيات فبرز له علي (ع) وهو يقول:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَة كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَة أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَة[4]

فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله وكان الفتح على يده اورده مسلم في الصحيح وروى ابو عبد الله الحافظ باسناده عن رافع[5] مولى رسول الله ﷺ قال خرجنا مع علي (ع) حين بعثه رسول الله ﷺ فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باب الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده فلقد رأيتني في نفر مع سبعة انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه وباسناده عن ليث بن ابي سليم عن ابي جعفر

(١) وفي بعضها: وبالصياح (٢) وفي بعضها السائق (٣) اي يخوضون ويموجون ويختلفون (٤) ضرب من الكيل جراف والمعنى اقتلكم قتلا واسعا كبيرا (٥) [ابي رافع] بدل رافع وهو الصحيح.

محمد بن علي (ع) قال حدثني جابر بن عبد الله أن عليا (ع) حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فاقتحموها وانه حُرك بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا قال وروي من وجه آخر عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكان جهدهم أن اعادوا الباب وباسناده عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان علي (ع) يلبس في الحر والشتاء القباء المحشو الثخين وما يبالي الحر فأتاني اصحابي فقالوا إنا رأينا من امير المؤمنين (ع) شيئا فهل رأيت فقلت وما هو قالوا رأيناه يخرج علينا في الحر الشديد في القباء المحشو الثخين وما يبالي الحر ويخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وما يبالي البرد فهل سمعت في ذاك شيئا فقلت لا فقالوا فسل لنا أباك عن ذلك فإنه يسر معه فسألته فقال ما سمعت في ذلك شيئا فدخل على علي (ع) فسر معه ثم سأله عن ذلك فقال أوما شهدت[1] خيبر قلت بلى قال افما رأيت رسول الله ﷺ حين دعا ابا بكر فعقد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم ثم جاء بالناس وقد هزم فقال بلى قال ثم بعث إلى عمر فعقد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم فقاتلهم ثم رجع وقد هزم فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه كراراً غير فرار فدعاني فأعطاني الراية ثم قال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت بعد ذلك حرا ولا بردا وهذا كله منقول من كتاب دلائل النبوة للإمام ابي بكر البيهقي ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون حصنا حصنا ويحوز الأموال حتى انتهوا إلى حصن الوطيح والسلالم وكان آخر حصون خيبر افتتح وحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة قال ابن اسحاق ولما افتتح القموص حصن ابن ابي الحُقيق أتي رسول الله ﷺ بصفية بنت حيّ ابن اخطب وبأخرى معها فمر بهما بلال وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي معها صفية صاحت وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت[2] خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون انه قد اصطفاها لنفسه وقال ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالها وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمراً وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا انك تتمنين ملك الحجاز محمداً ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فأتي بها رسول الله ﷺ وبها اثر منها فسألها رسول الله ﷺ ما هو فاخبرته وارسل ابن ابي الحقيق إلى رسول الله ﷺ انزل فأكلمك قال نعم فنزل وصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من مال وأرض على الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة[3] وعلى البز إلا ثوبا على ظهر انسان وقال رسول الله ﷺ فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتموني شيئا فصالحوه على ذلك فلما سمع بهم اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله يسألونه ان يسيّرهم ويحقن دماءهم ويخلون بينه وبين الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أحد بني حارثة فلما نزل اهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ ان يعاملهم الاموال على النصف وقالوا نحن اعلم بها منكم واعمر لها فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا إذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم وصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت اموال خيبر فيئاً بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله

(١) وفي المخطوطة اوماشهدت معنا خيبر (٢) في المخطوطة : فجرت (٣) وفي بعض النسخ الخلقة .

لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ولما اطمأن رسول الله ﷺ اهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم وهي ابنة اخي مرحب شاة مصلية وقد سألت أي عضو من الشاة احب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمّت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة وانتهش منها ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظما فانتهش منه فقال رسول الله ﷺ ارفعوا ايديكم فإن كتف هذه الشاة تخبرني انها مسمومة ثم دعاها فاعترفت فقال ماحملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخفَ عليك فقلت ان كان نبيا فسيخبر وان كان ملكا استرحت منه فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من اكلته التي اكل قال ودخلت ام بشر بن البراء على رسول الله تعوده في مرضه الذي توفي فيه فقال ﷺ يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت بخيبر مع ابنك تعاودني(١) فهذا اوان قطعت ابهري(٢) وكان المسلمون يرون ان رسول الله ﷺ مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة.

قوله تعالى (٢١) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٢) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٣) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٤) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٥) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو بما يعملون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي وجه قول ابي عمرو وكان الله بما عمل الكفار من كفرهم وصدكم عن المسجد الحرام ومنعكم من دخوله بصيرا فيجازي عليه ووجه التاء ان الخطاب قد جرى للقبيلتين في قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم فالخطاب لتقدم هذا الخطاب

اللغة

التبديل رفع احد الشيئين وجعل الآخر مكانه فيما حكم ان يستمر على ما هو به ولو رفع الله حكما إلى خلافه لم يكن تبديلا لحكمه لأنه لا يرفع شيئا إلا في الوقت الذي تقتضي الحكمة رفعه فيه والمعكوف الممنوع من الذهاب في جهة بالإقامة في مكانه ومنه الاعتكاف وهو الإقامة في المسجد للعبادة وعكف على هذا الامر

(١) وفي الحجري تعاودني (٢) الابهر: عرق مستبطن الصلب اذا انقطع لم يبق صاحبه.

يعكف عكوفا إذا قام عليه والمعرّة الأمر القبيح المكروه يقال عرّ فلان فلانا إذا شانه وألحق به عيباً وبه سمّي الجرب عرّاً والعذرة عرّة

﴿ الاعراب ﴾

سنة الله منصوب على المصدر والمعنى سن الله خذلانهم سنة وموضع ان تطؤهم رفع بدل من رجال والمعنى لولا ان تطأوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ثم قال لو تزيلوا لعذبنا الآية والتقدير(١) وطء رجال ونساء اي قتلهم وهو بدل الاشتمال مثل نفعني عبد الله علمه واعجبتني الجارية حسنها ويجوز أن يكون موضع ان تطؤهم نصبا على البدل من الهاء والميم في تعلموهم والتقدير ولولا رجال ونساء لم تعلموا أن تطؤهم اي لم تعلموا وطأهم وهو بدل الاشتمال ايضا وقوله لم تعلموهم ان تطؤهم في موضع رفع صفة لرجال ونساء وجواب لولا يغني عنه جواب لو في قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا وقوله والهدي معكوفا عطف على الكاف والميم في وصدوكم اي صدّوكم وصدّوا الهدي ومعكوفا حال وقوله ان يبلغ محله تقديره كراهة أن يبلغ فحذف المضاف وقيل معكوفا من ان يبلغ فحذف من

(النزول)

سبب نزول قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية ان المشركين بعثوا اربعين رجلا عام الحديبية ليصيبوا من المسلمين فأتي بهم إلى النبي ﷺ اسرى فخلى سبيلهم عن ابن عباس وقيل انهم كانوا ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم عن انس وقيل كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل شجرة وبين يديه علي صلوات الله عليه يكتب كتاب الصلح فخرج ثلاثون شابا عليهم السلاح فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا فأخذناهم فخلى سبيلهم فنزلت هذه الآية عن عبد الله بن المغفل

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بعد النبي ﷺ والمؤمنين فتوحا أخر فقال (واخرى لم تقدروا عليها) معناه ووعدكم الله مغانم اخرى لم تقدروا عليها بعد فتكون اخرى في محل النصب وقيل معناه وقرية اخرى لم تقدروا عليها قد اعدّها الله لكم وهي مكة عن قتادة وقيل هي ما فتح الله على المسلمين بعد ذلك إلى اليوم عن مجاهد وقيل ان المراد بها فارس والروم عن ابن عباس والحسن والجبائي قال كما ان النبي ﷺ بشرهم كنوز كسرى وقيصر وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنهم بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالإسلام (قد احاط الله بها) أي قدر الله عليها واحاط علما بها فجعلهم بمنزلة قوم قد ادير حولهم فما يقدر احد منهم ان يفلت قال الفراء احاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم فكأنه قال حفظها عليكم ومنعها من غيركم حتى تفتحوها وتأخذوها (وكان الله على كل شيء) من فتح القرى وغير ذلك (قديراً ولو قاتلكم الذين كفروا) من قريش يوم الحديبية يا معشر المؤمنين (لولوا الادبار) منهزمين بنصرة الله اياكم وخذلان الله اياهم عن قتادة والجبائي وقيل الذين كفروا من اسد وغطفان الذين أرادوا نهب ذراري المسلمين (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يواليهم وينصرهم ويدافع عنهم وهذا من علم الغيب وفي الآية دلالة على انه يعلم ما لم يكن ان لو كان كيف يكون وفي ذلك اشارة إلى ان المعدوم معلوم

(١) وفي نسختين : لولاوطء .

(سنت الله التي قد خلت من قبل) اي هذه سنتي في اهل طاعتي واهل معصيتي انصر أوليائي واخذل اعدائي عن ابن عباس وقيل معناه: هذه طريقة الله وعادته السالفة ان كل قوم إذا قاتلوا انبياءهم انهزموا وقتلوا (ولن تجد لسنة الله) في نصرة رسله (تبديلا) اي تغييرا (وهو الذي كف ايديهم عنكم) بالرعب (وأيديكم عنهم) بالنهي (ببطن مكة) يعني الحديبية (من بعد ان اظفركم عليهم) ذكر الله منته على المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح (وكان الله بما تعملون بصيرا) مر تفسيره ثم ذكر سبحانه سبب منعه رسول الله ﷺ ذلك العام دخول مكة فقال (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) ان تطوفوا وتحلوا من عمرتكم يعني قريشا (والهدي معكوفا أن يبلغ محله) اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ معه وكانت سبعين بدنة حتى بلغ ذي الحليفة قلد البدن التي ساقها وأشعرها واحرم بالعمرة حتى نزل بالحديبية ومنعه المشركون وكان الصلح فلما تم الصلح نحروا البدن فذلك قوله معكوفا اي محبوسا عن ان يبلغ محله اي منحره وهو حيث يحل نحره يعني مكة لأن هدي العمرة لا يذبح إلا بمكة كما ان هدي الحج لا يذبح إلا بمنى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين الذين كانوا بمكة بين الكفار من اهل الايمان (لم تعلموهم) باعيانهم لاختلاطهم بغيرهم (ان تطؤهم) بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة) اي اثم وجناية عن ابن زيد وقيل فيلحقكم بذلك عيب يعيبكم المشركون بأنهم قتلوا اهل دينهم وقيل هو غرم الدية والكفارة في قتل الخطأ عن ابن عباس وذلك انهم لو كسوا مكة وفيها قوم مؤمنون لم يتميزوا من الكفار لم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفارة وتلحقهم السبة بقتل من على دينهم فهذه المعرة التي صان الله المؤمنين عنها وجواب لولا محذوف وتقديره لولا المؤمنون الذين لم تعلموهم لوطأتم رقاب المشركين بنصرنا اياكم وقوله (بغير علم) موضعه التقديم لأن التقدير لولا ان تطؤهم بغير علم وقوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) اللام متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام تقديره فحال بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني من اسلم من الكفار بعد الصلح وقيل ليدخل الله في رحمته أهل تلك بسلامتهم من القتل ويدخل هؤلاء في رحمته بسلامتهم من الطعن والعيب (لو تزيلوا) أي لو تميز المؤمنون من الكافرين (لعذبنا الذين كفروا منهم) اي من اهل مكة (عذابا اليما) بالسيف والقتل بأيديكم ولكن الله تعالى يدفع (١) المؤمنين عن الكفار فلحرمة اختلاطهم بهم لم يعذبهم

قوله تعالى (٢٦) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٧) لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٩) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا

(١) وفي نسختين يدفع بالمؤمنين .

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

أربع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير عن ابن فليح وابن ذكوان شطأه بفتح الطاء والباقون بسكونها وقرأ ابن عامر فآزره بقصر الهمزة والباقون فآزره بالمد وفي الشواذ قراءة الحسن اشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب فيهما وقراءة عيسى الهمداني شطاءه بالمد والهمزة وشطاه ايضا

الحجة

قال ابو علي يشبه أن يكون شطأ لغة في شطء فيكون كالشمع والشمع والنهر والنهر ومن خفف الهمزة في شطاه حذفها والقى حركتها على الطاء فقال شطاه قال ابو زيد اشطأت الشجرة بغصونها إذا اخرجت غصونها. ابو عبيدة اخرج شطاه فراخه واشطأ الزرع فهو مشطئ اي مفرخ وآزره على فاعله معناه ساواه اي صار مثل الأم وفاعله الشطء أي آزرا لشطء الزرع فصار في طوله قال امرؤ القيس

بِمَحْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا ... مَضَمُّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ(١)

اي ساوى نبته الضال فصار في قامته لأنه لا يرعى ويجوز أن يكون فاعل آزر الزرع أي آزر الزرع الشطء ومن الناس من يفسر آزره اعانه وقواه فعلى هذا يكون آزر الزراع الشطء قال ابو الحسن آزره افعله وهو الاشبه ليكون قول ابن عامر ازره فعله فيكون فيه لغتان فعل وأفعل لأنهما كثيرا ما يتعاقبان على الكلمة ومن قرأ اشداء بالنصب فهو نصب على الحال من معه اي هم معه على هذا الحال

اللغة

الحمية الأنفة والإنكار يقال فلان ذو حمية منكرة إذا كان ذا غضب وانفة والكفار الزراع هنا لأن الزارع يغطي البذر وكل شيء قد غطيته فقد كفرته ومنه يقال للّيل كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء قال «أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ» وقال ايضا «فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا»

الإعراب

محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على محمد واشداء خبر محمد وما عطف عليه وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والذين معه مبتدأ وما بعده خبره يبتغون فضلا من الله إن شئت كان في موضع الحال وان شئت كان خبرا بعد خبر وان شئت كان هو الخبر فيمن نصب اشداء ويكون تراهم ايضا في موضع النصب مثل اشداء. ذلك مثلهم في التوراة ابتداء وخبر والكلام تام ثم ابتدأ فقال ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فلهم مثلان احدهما في التوراة والثاني في الانجيل وقال مجاهد بل قوله اشداء على الكفار مع ما بعده جميعا في التوراة والانجيل و كذلك قوله كزرع اخرج شطأه في التوراة والانجيل فيكون قوله كزرع خبر مبتدأ مضمر اي هم كزرع اخرج شطأه

(١) الضال من السدر ما كان عذيا اي لا يسقيه الا المطر والمحنية معطف الوادي اي في معطف واد فد ساوى نبته شجر الضال وهو جيوش بعضها غانم وبعضها خائب من الغنيمة.

المعنى

ثم قال سبحانه (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) اذ يتعلق بقوله لعذبنا اي لعذبنا الذين كفروا واذكر لك في قتالهم حين جعلوا في قلوبهم الانفة التي تحمي الانسان اي حميت قلوبهم بالغضب ثم فسر تلك الحمية فقال (حمية الجاهلية) اي عادة آبائهم في الجاهلية أن لا يذعنوا لأحد ولا ينقادوا له وذلك أن كفار مكة قالوا قد قتل محمد واصحابه آباءنا واخواننا ويدخلون علينا في منازلنا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه الحمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم وقيل هي انفتهم من الاقرار لمحمد ﷺ بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم حيث أراد ان يكتب كتاب العهد بينهم عن الزهري (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى) وهي قول لا إله إلا الله عن ابن عباس وقتادة ومجاهد (وكانوا احق بها واهلها) قيل ان فيه تقديما وتأخيرا والتقدير كانوا اهلها واحق بها اي كان المؤمنون اهل تلك الكلمة واحق بها من المشركين وقيل معناه وكانوا احق بنزول السكينة عليهم واهلها وقيل وكانوا احق بمكة ان يدخلوها واهلها وقد يكون حق احق من غيره ألا ترى أن الحق الذي هو طاعة يستحق بها المدح احق من الحق الذي هو مباح لا يستحق به ذلك (وكان الله بكل شيء عليما) لما ذم الكفار بالحمية ومدح المؤمنين بلزوم الكلمة والسكينة بين علمه ببواطن سرائرهم وما ينطوي عليه عقد ضمائرهم (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) قالوا إن الله تعالى اري نبيه ﷺ في المنام بالمدينة قبل ان يخرج إلى الحديبية أن المسلمين دخلوا المسجد الحرام فأخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلو مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فانزل الله هذه الآية واخبر انه أرى رسوله ﷺ الصدق في منامه لا الباطل وانهم يدخلونه واقسم على ذلك فقال (لتدخلن المسجد الحرام) يعني العام المقبل (إن شاء الله آمنين) قال ابو العباس ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثني الناس فيما لا يعلمون وقيل ان الاستثناء من الدخول وكان بين نزول الآية والدخول مدة سنة وقد مات منهم اناس في السنة فيكون تقديره لتدخلن كلكم ان شاء الله إذ علم الله ان منهم من يموت قبل السنة أو يمرض فلا يدخلها فأدخل الاستثناء لأن لا يقع في الخبر خلف عن الجبائي وقيل ان الاستثناء داخل على الخوف والامن فأما الدخول فلا شك فيه وتقديره لتدخلن المسجد الحرام آمنين من العدو إن شاء الله فهذه الأقوال الثلاثة للبصريين وقيل إن ان هنا بمعنى إذ أي إذ شاء الله حين ارى رسوله ذلك عن ابي عبيدة ومثله قوله وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين قال معناه اذ كنتم وهذا القول لا يرتضيه البصريون (محلقين رؤوسكم ومقصرين) اي محرمين يحلق بعضكم رأسه ويقصر بعض وهو ان يأخذ بعض الشعر وفي هذا دلالة على ان المحرم بالخيار عند التحلل من الاحرام ان شاء حلق وان شاء قصر (لا تخافون) مشركا (فعلم) من الصلاح في صلح الحديبية (ما لم تعلموا) وقيل علم في تأخير دخول المسجد الحرام من الخير والصلاح ما لم تعلموه انتم وهو خروج المؤمنين من بينهم والصلح المبارك موقعه (فجعل من دون ذلك) اي من قبل الدخول (فتحا قريبا) يعني فتح خيبر عن عطا ومقاتل وقيل يعني صلح الحديبية

عمرة القضاء

وكذلك جرى الامر في عمرة القضاء في السنة التالية للحديبية وهي سنة سبع من الهجرة في ذي القعدة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام فخرج النبي ﷺ ودخل مكة مع اصحابه معتمرين وأقاموا بمكة ثلاثة ايام ثم رجعوا إلى المدينة وعن الزهري قال بعث رسول الله ﷺ جعفر بن ابي طالب (ع) بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث العامرية فخطبها عليه فجعلت امرها إلى العباس بن عبد المطلب وكان تحته اختها ام الفضل بنت الحرث فزوجها العباس رسول الله فلما قدم رسول الله ﷺ امر اصحابه فقال أكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدهم وقوتهم فاستكف[1] اهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ واصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحا بالسيف يقول:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ فِي تَنْزِيلِهِ
فِي صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِهِ ... اَلْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ... ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ ... يَا رَبِّ اِنِّي مُؤْمِنٌ لِقِيلِهِ
اِنِّي رَأَيْتُ الحَقَّ فِي قَبُولِهِ

ويشير بيده إلى رسول الله ﷺ وانزل الله في تلك العمرة الشهر الحرام بالشهر الحرام وهو ان رسول الله ﷺ اعتمر في الشهر الحرام الذي صد فيه ثم قال سبحانه (هو الذي ارسل رسوله) يعني محمداً (بالهدى) اي بالدليل الواضح والحجة الساطعة وقيل بالقرآن (ودين الحق) اي الاسلام (ليظهره على الدين كله) اي ليظهر دين الاسلام بالحجج والبراهين على جميع الاديان وقيل بالغلبة والقهر والانتشار في البلدان وقيل ان تمام ذلك عند خروج المهدي (ع) فلا يبقى في الارض دين سوى دين الاسلام (وكفى بالله شهيدا) بذلك ثم قال سبحانه (محمد رسول الله) نص سبحانه على اسمه ليزيل كل شبهة. ثم الكلام هنا تم اثنى على المؤمنين فقال (والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) قال الحسن بلغ من تشددهم على الكفار ان كانوا يتحرزون من ثياب المشركين حتى لا تلتزق بثيابهم وعن ابدانهم حتى لا تمس ابدانهم وبلغ تراحمهم فيما بينهم أن كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه ومثله قوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تريهم ركعا سجدا) هذا اخبار عن كثرة صلوتهم ومداومتهم عليها (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) اي يلتمسون بذلك زيادة نعمهم من الله ويطلبون مرضاته (سيماهم في وجوههم من اثر السجود) اي علامتهم يوم القيامة ان تكون مواضع سجودهم اشد بياضا عن ابن عباس وعطية قال شهر بن حوشب يكون مواضع سجودهم كالقمر ليلة البدر وقيل هو التراب على الجباه لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب عن عكرمة وسعيد بن جبير وابي العالية وقيل هو الصفرة والنحول عن الضحاك قال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من صلى الخمس (ذلك مثلهم في التورية) يعني أن ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به في التوراة ايضا ثم ذكر نعتهم في الانجيل فقال (ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه) أي فراخه عن الضحاك وقيل ليس بينهما وقف والمعنى

(١) استكف الناس حوله: احاطوا به ينظرون اليه

ذلك مثلهم في التوراة والانجيل جميعا عن مجاهد والمعنى كمثل زرع اخرج شطأه اي فراخه (فآزره) اي شده وأعانه وقواه وقال المبرد يعني أن هذه الافراخ لحقت الامهات حتى صارت مثلها (فاستغلظ) اي غلظ ذلك الزرع (فاستوى على سوقه) أي قام على قصبه واصوله فاستوى الصغار مع الكبار والسوق جمع الساق والمعنى انه تناهى وبلغ الغاية (يعجب الزراع) اي يروع ذلك الزرع الزراع اي الاكرة الذين زرعوه قال الواحدي هذا مثل ضربه الله تعالى بمحمد واصحابه فالزرع محمد ﷺ والشطأ اصحابه والمؤمنون حوله وكانوا في ضعف وقلة كما يكون اول الزرع دقيقا ثم غلظ وقوي وتلاحق فكذلك المؤمنون قوى بعضهم بعضا حتى استغلظوا واستووا على امرهم (ليغيظ بهم الكفار) اي إنما كثرهم الله وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين بتوافرهم وتظاهرهم واتفاقهم على الطاعة ثم قال سبحانه (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي وعد من أقام على الايمان والطاعة (منهم مغفرة) اي ستراً على ذنوبهم الماضية (وأجراً عظيما) اي ثوابا جزيلا دائما.

(سورة الحجرات) مدنية

عن الحسن وقتادة وعكرمة وعن ابن عباس إلا آية قوله يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى

﴿ عدد آيها ﴾

ثماني عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اطاع الله ومن عصاه. الحسين بن ابي العلا عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الحجرات في كل ليلة أو في كل يوم كان من زوار محمد ﷺ

=(تفسيرها)=

لما ختم الله سبحانه سورة الفتح بذكر نبيه ﷺ افتتح هذه السورة ايضا بذكره وما يختص به من الاجلال والاعظام فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

خمس آيات

القراءة

قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والدال والباقون لا تقدموا بضم التاء وكسر الدال وقرأ ابو جعفر الحجرات بفتح الجيم والباقون بضمها

الحجة

قال ابن جني معناه لا تفعلوا ما تؤثرونه وتتركوا ما امركم الله ورسوله به وهذا معنى القراءة المشهورة لا تقدموا اي لا تقدموا امرا على ما امركم الله به فالمفعول هنا محذوف كما ترى ومن قرأ الحجرات ابدل من الضمة فتحة استثقالا لتوالي الضمتين ومنهم من اسكن فقال الحجرات مثل عضد وعضد وقال ابو عبيدة حجرات جمع حجر فهو جمع الجمع

اللغة

قدم تقديما واقدم اقداما واستقدم وقدم كل ذلك بمعنى تقدم والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد ومنه الجهارة في المنطق وجاهر بالأمر مجاهرة ويقال جهارا ونقيض الجهر الهمس والحروف المجهورة تسعة عشر حرفا يجمعها قولك «اطلقن ضرغم عجز ظبي ذواد» وما عداها من الحروف مهموس يجمعها قولك «حث فسكت شخصه» والغض الحط من منزلة على وجه التصغير يقال غض فلان من فلان إذا صغر حالة من هو ارفع منه وغض بصره إذا ضعفه عن حدة النظر قال جرير

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابا

(الاعراب)

أن تحبط اعمالكم في محل النصب لأنه مفعول له ويجوز أن يكون في محل جر باللام المقدرة أي لأن تحبط اعمالكم وقيل تقديره كراهة ان تحبط أو حذار أن تحبط

(النزول)

نزل قوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم إلى قوله غفور رحيم في وفد تميم وهم عطارد بن حاجب بن زرارة في اشراف من بني تميم منهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وقيس بن عاصم في وفد عظيم فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج الينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله ﷺ فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا فقال قد اذنت فقام عطارد بن حاجب وقال الحمد لله الذي جعلنا ملوكا الذي له الفضل علينا والذي وهب علينا أموالا عظاما نفعل بها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثر عددا وعدة فمن مثلنا في الناس فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ولكنا نستحي من الاكثار ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس قم فأجبه فقام فقال الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن امره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط إلا من فضله ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا اكرمهم نسبا واصدقهم حديثا وأفضلهم حسبا فانزل الله عليه كتابا وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله على العالمين ثم دعا الناس إلى الايمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا

وأحسنهم وجوها فكان أول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن فنحن انصار رسول الله ﷺ وردوه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن نكث[1] جاهدناه في الله ابدا وكان قتله علينا يسيرا اقول هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام الزبرقان بن بدر ينشد واجابه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره اشعر من شاعرنا واصواتهم اعلى من اصواتنا فلما فرغوا اجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم واسلموا عن ابن اسحاق وقيل إنهم اناس من بني العنبر كان النبي ﷺ اصاب من ذراريهم فأقبلوا في فدائهم فقدموا المدينة ودخلوا المسجد وعجلوا أن يخرج اليهم النبي ﷺ فجعلوا يقولون يا محمد اخرج الينا عن ابي حمزة الثمالي عن عكرمة عن ابن عباس.

(المعنى)

(يا أيها الذين آمنوا) روى زرارة عن ابي جعفر (ع) انه قال ما سلت السيوف ولا اقيمت الصفوف في صلاة ولا زحوف ولا جمعة بأذان ولا انزل الله يا أيها الذين آمنوا حتى اسلم ابناء قبيلة الأوس والخزرج (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) بين اليدين عبارة عن الامام لأن ما بين يدي الانسان أمامه ومعناه لا تقطعوا امرا دون الله ورسوله ولا تعجلوا به قال ابو عبيدة العرب تقول لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب أي لا تعجل بالأمر دونه والنهي وقدم هنا بمعنى تقدم وهو لازم وقيل معناه لاتقدموا اعمال الطاعة قبل الوقت الذي امر الله ورسوله به حتى انه قيل لا يجوز تقديم الزكاة قبل وقتها عن الزجاج وقيل[2] لا تمكنوا احدا يمشي أمام رسول الله ﷺ بل كونوا تبعا له وأخروا أقوالكم وافعالكم عن قوله وفعله وقال الحسن نزل في قوم ذبحوا الاضحية قبل صلاة العيد فأمرهم رسول الله ﷺ بالإعادة وقال ابن عباس نهوا أن يتكلموا قبل كلامه أي إذا كنتم جالسين في مجلس رسول الله ﷺ فسئل عن مسألة فلا تسبقوه بالجواب حتى يجيب النبي ﷺ أولا وقيل معناه لا تسبقوه بقول ولا فعل حتى يأمركم به عن الكلبي والسدي والأولى حمل الآية على الجميع فإن كل شئ كان خلافا لله ورسوله إذا فعل فهو تقديم بين يدي الله ورسوله وذلك ممنوع (واتقوا الله) أي اجتنبوا معاصيه (إن الله سميع) لأقوالكم (عليم) بأعمالكم فيجازيكم بها (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) لأن فيه احد الشيئين إما نوع استخفاف به فهو الكفر وإما سوء الأدب فهو خلاف التعظيم المأمور به (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي غضوا اصواتكم عند مخاطبتكم اياه وفي مجلسه فإنه ليس مثلكم اذ يجب تعظيمه وتوقيره من كل وجه وقيل معناه لا تقولوا له يا محمد كما يخاطب بعضكم بعضا بل خاطبوه بالتعظيم والتبجيل وقولوا يا رسول الله (أن تحبط اعمالكم) أي كراهة أن تحبط أو لئلا تحبط اعمالكم وقيل إنه في حرف عبد الله فتحبط اعمالكم (وأنتم لا تشعرون) أي وأنتم لا تعلمون انكم احبطتم أعمالكم بجهر صوتكم على صوته وترك تعظيمه قال انس لما نزلت هذه الآية قال ثابت بن قيس أنا الذي كنت ارفع صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ واجهر له بالقول حبط عملي وأنا من اهل النار وكان ثابت رفيع الصوت فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال هو من اهل الجنة وقال اصحابنا ان المعنى في قوله أن تحبط اعمالكم انه ينحبط ثواب ذلك العمل لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي ﷺ وتوقيره لاستحقوا الثواب فلما فعلوه على

(١) وفى نسخة : مكث بدل نكث (٢) [معناه] .

خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب وفاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم فلا تعلق لأهل الوعيد بهذه الآية ولأنه تعالى علق الإحباط في هذه الآية بنفس العمل وهم يطلقونه بالمستحق على العمل وذلك خلاف الظاهر ثم مدح سبحانه من يعظم رسوله ويوقره فقال (إن الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله) اي يخفضون اصواتهم في مجلسه اجلالا (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اي اختبرها فأخلصها للتقوى عن قتادة ومجاهد اخذ من امتحان الذهب بالنار إذا اذيب حتى يذهب غشه ويبقى خالصه وقيل معناه أنه علم خلوص نياتهم لأن الإنسان يمتحن الشيء ليعلم حقيقته وقيل معناه عاملهم معاملة المختبر بما تعبدهم به من هذه العبادة فخلصوا على الاختبار كما يخلص جيد الذهب بالنار (لهم مغفرة) من الله لذنوبهم (وأجر عظيم) على طاعتهم ثم خاطب النبي ﷺ فقال (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) وهم الجفاة من بني تميم لم يعلموا في أي حجرة هو فكانوا يطوفون على الحجرات وينادونه (اكثرهم لا يعقلون) وصفهم الله سبحانه بالجهل وقلة الفهم والعقل إذ لم يعرفوا مقدار النبي ﷺ ولا ما استحقه من التوقير فهم بمنزلة البهائم (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) من أن ينادوك من وراء الحجرات في دينهم بما يحرزونه من الثواب وفي دنياهم باستمالهم حسن الادب في مخاطبة الانبياء ليعدّوا بذلك في زمرة العقلاء وقيل معناه لأطلقت اسراهم بغير فداء فإن رسول الله ﷺ كان سبى قوما من بني العنبر فجاءوا في فدائهم فاعتق نصفهم وفادى النصف فيقول ولو انهم صبروا لكنت تعتق كلهم (والله غفور رحيم) لمن تاب منهم

قوله تعالى (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٧) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٨) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (١٠) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

خمس آيات

القراءة

قرأ يعقوب فأصلحوا بين اخوتكم بالتاء على الجمع وهو قراءة ابن سيرين والباقون بين اخويكم على التثنية لقوله طائفتان وفي الشواذ قراءة زيد بن ثابت والحسن اخوانكم بالالف والنون على الجمع وقد ذكرنا في سورة النساء اختلافهم في قوله فتبينوا والوجه في القراءتين والمروي عن الباقر (ع) فتثبتوا بالثاء والتاء

اللغة

العنت المشقة يقال عنِت الدابة تعنت عنتا إذا حدث في قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري قال ابن الانباري اصل العنت التشديد يقال فلان يعنت فلانا اي يشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه ثم نقل إلى

معنى الهلاك والقسط العدل ونحوه الإقساط والقسوط والقسط بالفتح الجور والعدول عن الحق فأصل الباب العدول فمن عدل إلى الحق فقد اقسط ومن عدل عن الحق فقد قسط

الإعراب

ان فيكم رسول الله خبر ان في الظرف الذي هو فيكم عند النحويين وفيه نظر لأن من حق الخبر ان يكون الخبر مفيدا فلا يقال النار حارة لعدم الفائدة والوجه عندي أن يكون لو مع ما في حيزه خبر ان والمعنى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ويجوز على الوجه الأول أن يكون المراد التنبيه لهم على مكان رسول الله ﷺ كما يقول القائل للرجل يريد ان ينبهه على شيء فلان حاضر والمخاطب يعلم حضوره ولو قال أن رسول الله ﷺ فيكم احتمل أن يكون غير رسول الله فيهم ممن هو بمنزلته فإذا قال إن فيكم رسول الله لا يحتمل ذلك على هذا فقوله لو يطيعكم لو مع ما في حيزه في محل رفع بأنه خبر أنّ خبر بعد خبر فضلا من الله مفعول له والتقدير فعل الله ذلك لكم فضلا منه ونعمة ويجوز أن يكون العامل فيه الراشدون وما فيه من الفعل أي رشداً وفضلا من الله وقوله بجهالة وبالعدل كلاهما في موضع نصب على الحال والعامل في الأول فتصيبوا وفي الثاني فأصلحوا.

النزول

قوله ان جاءكم فاسق نزل في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله ﷺ في صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فرحابه وكانت بينهم عداوة في الجاهلية فظن أنهم هموا بقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال إنهم منعوا صدقاتهم وكان الامر بخلافه فغضب النبي ﷺ وهمّ أن يغزوهم فنزلت الآية عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل انها نزلت فيمن قال للنبي ﷺ إن مارية ام ابراهيم يأتيها ابن عمّ لها قبطي فدعا رسول الله ﷺ عليا (ع) وقال يا أخي خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاقتله فقال يا رسول الله اكون في امرك إذا ارسلتني كالسكة المحماة امضي لما امرتني ام الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال ﷺ بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال علي (ع) فأقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما عرف اني اريده اتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فإذا انه أجبّ امسح ما له ما للرجال قليل ولا كثير فرجعت فأخبرت النبي ﷺ فقال الحمد لله الذي يصرف عنا السوء اهل البيت وقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا نزل في الأوس والخزرج وقع بينهما قتال بالسعف والنعال عن سعيد بن جبير وقيل نزل في رهط عبد الله بن ابي بن سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحة من الأوس وسببه ان النبي ﷺ وقف على عبد الله بن ابيّ فراث حمار رسول الله ﷺ فامسك عبد الله انفه وقال اليك عنّي فقال عبد الله بن رواحة لحمار رسول الله ﷺ اطيب ريحا منك ومن ابيك فغضب قومه واعان ابن رواحة قومه وكان بينهما ضرب بالحديد والايدي والنعال

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) اي بخبر عظيم الشأن والفاسق الخارج عن طاعة الله إلى معصيته (فتبينوا) صدقه من كذبه ولا تبادروا إلى العمل بخبره ومن قال فتثبتوا فمعناه توقفوا فيه وتأنوا حتى يثبت عندكم حقيقته (أن تصيبوا قوما بجهالة) اي حذرا من ان تصيبوا قوما

في انفسهم واموالهم بغير علم بحالهم وما هم عليه من الطاعة والإسلام (فتصبحوا على ما فعلتم) من اصابتهم بالخطأ (نادمين) لا يمكنكم تدار كه وفي هذا دلالة على ان خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل لأن المعنى إن جاءكم من لا تأمنون ان يكون خبره كذبا فتوقفوا فيه وهذا التعليل موجود في خبر من يجوز كونه كاذبا في خبره وقد استدل بعضهم بالآية على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلا من حيث ان الله سبحانه اوجب التوقف في خبر الفاسق فدل على ان خبر العدل لا يجب التوقف فيه وهذا لا يصح لأن دليل الخطاب لا يعول عليه عندنا وعند اكثر المحققين (واعلموا ان فيكم رسول الله) اي فاتقوا الله ان تكذبوه او تقولوا باطلا عنده فإن الله تعالى يخبره بذلك فتفضحوا وقيل معناه واعلموا بما اخبره الله تعالى من كذب الوليد أن فيكم رسول الله ﷺ فهذه احدى معجزاته (لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) أي لو فعل ما تريدونه في كثير من الامر لوقعتم في عنت وهو الإثم والهلاك فسمى موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازا ألا ترى أن الطاعة تراعى فيها الرتبة فلا يكون الإنسان مطيعا لمن دونه وإنما يكون مطيعا لمن فوقه إذا فعل ما امره به ثم خاطب المؤمنين الذين لا يكذبون فقال (ولكن الله حبب اليكم الإيمان) اي جعله احب الاديان اليكم بأن اقام الأدلة على صحته وبما وعد من الثواب عليه (وزينه في قلوبكم) بالالطاف الداعية اليه (وكره اليكم الكفر) بما وصف من العقاب عليه بوجوه الالطاف الصارفة عنه (والفسوق) أي الخروج عن الطاعة إلى المعاصي (والعصيان) اي جميع المعاصي وقيل الفسوق الكذب عن ابن عباس وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ثم عاد سبحانه إلى الخبر عنهم فقال (أولئك هم الراشدون) يعني الذين وصفهم بالإيمان وزينه في قلوبهم هم المهتدون إلى محاسن الامور وقيل هم الذين اصابوا الرشد واهتدوا إلى الجنة (فضلا من الله ونعمة) أي تفضلا مني عليهم ورحمة مني لهم عن ابن عباس (والله عليم) بالأشياء كلها (حكيم) في جميع افعاله وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر من وجوه ﴿ منها ﴾ انه إذا حبب في قلوبهم الإيمان و كره الكفر فمن المعلوم انه لا يحبب ما لا يحبه ولا يكره ما لا يكرهه ﴿ ومنها ﴾ أنه إذ الطف في تحبيب الإيمان بألطافه دل ذلك على ما نقوله في اللطف ثم قال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) اي فريقان من المؤمنين قاتل احدهما صاحبه (فاصلحوا بينهما) حتى يصطلحا ولا دلالة في هذا على انهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان ويطلق عليهما هذا الاسم ولا يمتنع أن يفسق احدى الطائفتين أو تفسقا جميعا (فإن بغت احداهما على الاخرى) بأن تطلب ما لا يجوز لها وتقاتل الاخرى ظالمة لها متعدية عليها (فقاتلوا التي تبغي) لأنها هي الظالمة المتعدية دون الاخرى (حتى تفيء إلى امر الله) أي حتى ترجع إلى طاعة الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة (فإن فاءت) اي رجعت وتابت واقلعت وأنابت إلى طاعة الله (فأصلحوا بينهما) اي بينها وبين الطائفة التي هي على الإيمان (بالعدل) اي بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من احديهما على الاخرى جور ولا شطط فيما يتعلق بالضمانات من الارواش (واقسطوا) اي اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولا وفعلا (إنما المؤمنون اخوة) في الدين يلزم نصرة بعضهم بعضاً (فأصلحوا بين اخويكم) اي بين كل رجلين تقاتلا وتخاصما ومعنى الاثنين يأتي على الجمع لأن تأويله بين كل اخوين يعني فأنتم اخوة للمتقاتلين فأصلحوا بين الفريقين اي كفوا الظالم عن المظلوم واعينوا المظلوم (واتقوا الله) في ترك العدل والاصلاح او في منع

الحقوق (لعلكم ترحمون) اي لكي ترحموا قال الزجاج سمى المؤمنين اذا كانوا متفقين في دينهم اخوة لاتفاقهم في الدين ورجوعهم الى اصل النسب لأنهم لأم واحدة وهي حواء وروى الزهري عن سالم عن ابيه أن رسول الله ﷺ قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كروب يوم القيامة ومن ستر مسلما يستره الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما وفي وصية النبي ﷺ لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر أخاً في الله سر خمسة اميال اجب دعوة الملهوف سر ستة اميال انصر المظلوم وعليك بالاستغفار

النظم

وجه اتصال قوله إن جاءكم فاسق بنبأ بما قبله انه لما امر بطاعة الله ورسوله بيّن عقيبه ان الرسول لا يجوز ان يتبع اهواءهم بل ينبغي أن يعمل بما عنده ووجه اتصال قوله ولكن الله حبب اليكم الإيمان[1] لئلا تقعوا في العنت وإنما قلنا ذلك لأن لكن لا بد أن يتقدمه نفي إذا كان ما بعده اثباتا وقوله لو يطيعكم لعنتم معناه انه لم يطعكم فما عنتم

قوله تعالى (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٤) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اربع آيات

القراءة

قرأ اهل البصرة لا يألتكم بالالف والباقون لا يلتكم بغير الألف

الحجة

قال ابو زيد التّه حقه بالتّه ألتا اذا نقصه وقوم يقولون لات يليت ليتا ويقال لِتُّ الرجل ألِتّه لَيْتا إذا عثيت عليه الخبر فأخبرته بغير ما يسألك عنه قال رؤبة:

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ نَدًى سَرَيْتُ ... وَلَمْ يَلِتْنِي عَنْ سُرَاهَا لَيْتُ

وقوم يقولون الاتني عن حقي والائني عن حاجتي اي صرفني عنها وحجة من قرأ لا يألتكم قوله تعالى وما

(١) [بما قبله ان قوله لعنتم بمنزلة ان يقول ما عنتم اى ما عنتم بطاعة كثير من الامر ولكن الله حبب اليكم الايمان]

التناهم ومن قرأ يلتكم جعله من لات يليت.

اللغة

الهمز واللمز العيب والغض من الناس فاللمز هو الرمي بالعيب لمن لا يجوز ان يؤذى بذكره وهو المنهي عنه فأما ذكر عيب الفاسق فليس بلمز وقد ورد في الحديث قولوا في الفاسق مافيه كي يحذره الناس والنبز القذف باللقب يقال نبزته انبزه والغيبة ان تذكر الانسان من ورائه بسوء هو فيه فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان والشعوب الذي يصغر شأن العرب ولا يري لهم فضلا على غيرهم سموا بذلك لأنهم تأولوا وجعلنا كم شعوبا على ان الشعوب من العجم كالقبائل من العرب وقال أبو عبيدة الشعوب العجم واصله من التشعب وهو كثرة تفرقهم في النسب ويقال شعبته جمعته وشعبته فرقته وهو من الاضداد.

النزول

نزل قوله لا يسخر قوم من قوم في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان اذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي فسمع ما يقول فدخل المسجد يوما والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى الى رجل فقال له اصبت مجلسا فاجلس فجلس خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة قال من هذا قال الرجل انا فلان فقال ثابت ابن فلانة ذكر امّاً له كان يعيّر بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء فنزلت الآية عن ابن عباس وقوله ولا نساء من نساء نزل في نساء النبي ﷺ سخرن من أم سلمة عن انس وذلك انها ربطت حقويها بسبيبة وهي ثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة أنظري ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب فهذا كانت سخريتها وقيل انها عيرتها بالقصر وأشارت بيدها انها قصيرة عن الحسن وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا نزل في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما وهو سلمان بعثاه الى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام فبعثه الى أسامة بن زيد وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله فقال ما عندي شيء فعاد اليهما فقالا بخل اسامة وقالا لسلمان لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان عند أسامة ما امرلهما به رسول الله فقال لهما رسول الله ﷺ مالي أرى خضرة اللحم في افواهكما قالا يارسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تأكلون لحم سلمان واسامة فنزلت الآية وعن ابي قلابة قال ان عمر بن الخطاب حُدّث ان ابا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو واصحابه فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل فقال ابو محجن يا امير المؤمنين ان هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا قال زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم صدق يا امير المؤمنين قال فخرج عمر وتركه وخرج عمر بن الخطاب ايضا ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسّان فتبينت لهما نار فأتيا واستأذنا ففتح الباب فدخلا فإذا رجل وامرأة تغنّي وعلى يد الرجل قدح فقال عمر من هذه منك قال امرأتي قال وما في هذا القدح قال ماء فقال للمرأة ما الذي تغنين قالت اقول:

تَطاوَلَ هٰذَا اللَّيْلُ وَاسْوَدَّ جانِبُهُ ... وَأَرَّقَنِي أَلّا حَبِيبٌ أُلاعِبُهُ
فَوَاللهِ لَوْلا خَشْيَةُ اللهِ وَالتُّقى ... لَزَعْزَعَ مِنْ هٰذَا السَّرِيرِ جَوانِبُهُ
وَلٰكِنَّ عَقْلِي وَالْحَياءَ يَكُفُّنِي ... وَأُكْرِمُ بَعْلِي أَنْ تُنالَ مَرَاكِبُهُ

ثم قال الرجل ما بهذا أمرنا يا امير المؤمنين قال الله تعالى ولا تجسسوا فقال عمر صدقت وانصرف

وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال ﷺ من الذاكر فلانة فقام ثابت فقال انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر اليهم فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت ابيض واسود واحمر قال فإنك لا تفضلهم الا بالتقوى والدين فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية عن ابن عباس وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالا حتى علا ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره لغيره وقال ابو سفيان اني لا أقول شيئا أخاف أن يخبره به رب السماوات فأتى جبرائيل (ع) رسول الله ﷺ فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول الله ﷺ وسألهم عما قالوا فأقروا به ونزلت الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والازدراء بالفقر والتكاثر بالأموال عن مقاتل

﴿ المعنى ﴾

لما امر سبحانه بإصلاح ذات البين ونهى عن التفرق عقب ذلك بالنهي عن اسباب الفرقة من السخرية والازدراء بأهل الفقر والمسكنة ونحو ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) قال الخليل القوم يقع على الرجال دون النساء لقيام بعضهم مع بعض في الامور قال زهير:

وما ادري ولست اخال ادري أقوم آل حصن أم نساء

فالمعنى لا يسخر رجال من رجال والسخرية الاستهزاء قال مجاهد معناه لا يسخر غني من فقير لفقره وربما يكون الفقير المهين في ظاهر الحال خيرا وأجل منزلة عند الله من الغني الحسن الحال ولو سخر مؤمن من كافر احتقارا له لم يكن مأثوما وقال ابن زيد هذا نهي عن استهزاء المسلمين بمن اعلن بفسقه عسى أن يكون المسخور عند الله خيرا من الساخر معتقدا أو اسلم باطنا (ولا نساء من نساء) على المعنى الذي تقدم (عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم) أي لا يطعن بعضكم على بعض كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم لأن المؤمنين كنفس واحدة فكأنه إذا قتل اخاه قتل نفسه عن ابن عباس وقتادة واللمز العيب في المشهد والهمز العيب في المغيب وقيل ان اللمز يكون باللسان وبالعين وبالاشارة والهمز لا يكون إلا باللسان وقيل معناه ولا يلمز بعضكم بعضا عن الضحاك (ولا تنابزوا بالالقاب) جمع اللقب وهو اسم غير الذي سمي به الانسان وقيل هو كل اسم لم يوضع له واذا دعي به يكرهه فأما إذا كان لا يسوءه ولا يكرهه فلا بأس فيه مثل الفقيه والقاضي وقيل هو قول الرجل للرجل يا كافر يا فاسق يا منافق عن قتادة وعكرمة وقيل كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد ذلك يا يهودي أو يا نصراني فنهوا عن ذلك عن الحسن وقيل هو أن يعمل انسان شيئا من القبيح ثم يتوب منه فيعير بما سلف منه عن ابن عباس وروي ان صفية بنت حيي بن اخطب جاءت إلى النبي ﷺ تبكي فقال لها ما يبكيك فقالت إن عائشة تعيرني وتقول يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ فنزلت الآية عن ابن عباس (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اي بئس الاسم ان يقول له يا يهودي يا نصراني وقد آمن عن الحسن وغيره والمعنى بئس الشيء تسميته باسم الفسوق يعني الكفر بعد الايمان وقيل معناه بئس الشيء اكتساب اسم الفسوق باغتياب المسلمين ولمزهم وهذا لا يدل على ان اسم(١) الايمان والفسق لا يجتمعان لأن هذا كما يقال بئس الحال الفسوق بعد الشيب والمعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب وبئس الاسم الفسوق مع الايمان على ان الظاهر ان المعنى أن الفسوق الذي يتعقب الايمان بئس الاسم وذلك هو الكفر (ومن لم يتب) من التنابز والمعاصي ويرجع إلى طاعة الله تعالى (فأولئك هم الظالمون) نفوسهم بفعل ما يستحقون به العقاب (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير

(١) وفي نسخة ليس لفظة « اسم » .

سوء فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل ما ظهر منهم وقيل هو أن يظن بأخيه المسلم سوءا ولا بأس به ما لم يتكلم به فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم وهو قوله (إن بعض الظن اثم) يعني ما اعلنه مما ظن بأخيه عن المقاتلين[1] وقيل انما قال كثيرا من الظن لأن من جملته ما يجب العمل به ولا يجوز مخالفته وإنما يكون إثما اذا فعله صاحبه وله الطريق الى العلم بدلا منه فهذا ظن محرم لا يجوز فعله فأما ما لا سبيل الى دفعه بالعلم بدلا منه فليس بإثم ولذلك قال بعض الظن إثم دون جميعه والظن المحمود قد بينه الله تعالى ودل عليه بقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقيل معناه يجب على المؤمن ان يحسن الظن ولا يسيئه في شيء يجد له تأويلا جميلا وإن كان ظاهرا قبيحا (ولا تجسسوا) اي ولا تتبعوا عثرات المؤمنين عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقال ابو عبيدة التجسس والتحسس واحد وروي في الشواذ عن ابن عباس ولا تحسسوا بالحاء قال الأخفش وليس يبعد احدهما عن الآخر إلا ان التجسس عما يكتم ومنه الجاسوس والتحسس بالحاء البحث عما تعرفه وقيل ان التجسس بالجيم في الشر والجاسوس صاحب سر الشر والناموس صاحب سر الخير[2] وقيل معناه لا تتبعوا عيوب المسلمين لتهتكوا العيوب التي سترها اهلها وقيل معناه ولا تبحثوا عما خفي حتى يظهر عن الاوزاعي وفي الحديث اياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تنابزوا[3] وكونوا عباد الله اخوانا وقوله (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه وفي الحديث اذا ذكرت الرجل بما فيه مما يكرهه الله فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته وعن جابر قال قال رسول الله ﷺ اياكم والغيبة فإن الغيبة اشد من الزنا ثم قال ان الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ثم ضرب سبحانه للغيبة مثلا فقال (أيحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا) وتأويله ان ذكرك بالسوء من لم يحضرك بمنزلة أن تأكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك عن الزجاج ولما قيل لهم ايحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا فقيل (فكرهتموه) اي فكما كرهتم ذلك فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا عن مجاهد وقيل فكما كرهتم لحمه ميتا فاكرهوا غيبته حيا عن الحسن فهذا هو تقدير الكلام وقوله (واتقوا الله) معطوف على هذا الفعل المقدر ومثله الم نشرح لك صدرك ووضعنا اي وقد شرحنا ووضعنا ويقال للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس قال:

وَلَيْسَ الذِّئْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذِئْبٍ ... وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانًا

وقال آخر:

فَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرَتُ لُحُومَهُمْ ... وَإِنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا

وقال قتادة كما يمتنع احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا لكراهية الطبع كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته لكراهية العقل والشرع لأن دواعي العقل والشرع أحق بالاتباع من دواعي الطبع فإن داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير وعن ميمون بن شاة[4] وكان يفضل على الحسن لأنه قد لقي من لم يلقه الحسن قال بينا انا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول لكل يا عبد الله قلت ولم آكل قال بما اغتيب عندك فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك استمعت فرضيت وكان ميمون بعد ذلك لا يدع أن يغتاب عنده واحد وقال رجل لابن سيرين إني قد اغتبتك فاجعلني في حل قال إني اكره أن احل ما حرم الله (ان الله تواب) قابل التوبة (رحيم) بالمؤمنين (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) اي من آدم وحواء والمعنى انكم متساوون

(١) وفي نسخة: يعني مقاتل بن حسان ومقاتل بن سليمان (٢) وفي نسخة: ان التجسس بالجيم في الشر والجاسوس صاحب سر الشر التحسس في الخير والحاسوس صاحب سر الخير (٣) وفي النسخ: ولا تدابروا بدل «ولا تنابزوا» (٤) وفي نسخة: شاه.

في النسب لأن كلكم يرجع في النسب الى آدم وحواء زجر الله سبحانه عن التفاخر بالأنساب وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال إنما انتم من رجل وامرأة كجام الصاغ ليس لأحد على احد فضل الا بالتقوى ثم ذكر سبحانه انه انما فرق انساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال (وجعلناكم شعوبا وقبائل) وهي جمع شعب وهو الحي العظيم مثل مضر وربيعة وقبائل هي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر هذا قول أكثر المفسرين وقيل الشعوب دون القبائل وإنما سميت بذلك لتشعبها وتفرقها عن الحسن وقيل اراد بالشعوب الموالي وبالقبائل العرب في رواية عطا عن ابن عباس والى هذا ذهب قوم فقالوا الشعوب من العجم والقبائل من العرب والاسباط من بني اسرائيل وروي ذلك عن الصادق (ع) (لتعارفوا) اي جعلناكم كذلك لتعارفوا فيعرف بعضكم بعضا بنسبه وابيه وقومه ولولا ذلك لفسدت المعاملات وخربت الدنيا ولما امكن نقل حديث (ان اكرمكم عند الله اتقيكم) اي ان اكثركم ثوابا وارفعكم منزلة عند الله اتقاكم لمعاصيه واعملكم بطاعته وروي عن النبي ﷺ انه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ما عهدت اليكم فيه ورفعتم انسابكم فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم اين المتقون ان اكرمكم عند الله اتقاكم وروي أن رجلا سأل عيسى بن مريم اي الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال اي هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم اتقاهم ابو بكر البيهقي بالإسناد عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل جعل الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما وذلك قوله واصحاب اليمين واصحاب الشمال فأنا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فإني أتقى ولد آدم ولا فخر واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وذلك قوله عز وجل إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب (ان الله عليم) بأعمالكم (خبير) باحوالكم لا يخفى عليه شيء من ذلك (قالت الاعراب آمنا) وهم قوم من بني أسد أتوا النبي ﷺ في سنة جدبة وأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر إنما كانوا يطلبون الصدقة والمعنى انهم قالوا صدقنا بما جئت به فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون آية معجزة له فقال (قل لم تؤمنوا) اي لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن (ولكن قولوا أسلمنا) اي انقدنا واستسلمنا مخافة السبي والقتل عن سعيد بن جبير وابن زيد ثم بين سبحانه ان الإيمان محله القلب دون اللسان فقال (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) قال الزجاج الإسلام اظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول وبذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن المسلم حقا فأما من اظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق وقد اخرج هؤلاء من الإيمان بقوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم اي لم تصدقوا بعد بما اسلمتم تعوذاً من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر والمسلم التام الإسلام مظهر للطاعة وهو مع ذلك مؤمن بها والذي اظهر الإسلام تعوذاً من القتل غير مؤمن في الحقيقة الا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين وروى انس عن النبي ﷺ قال الإسلام علانية والإيمان في القلب واشار الى صدره (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا) اي لا ينقصكم من ثواب

اعمالكم شيئا عن ابن عباس ومقاتل (ان الله غفور رحيم)

قوله تعالى (١٥) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٦) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير يعملون بالياء والباقون بالتاء

﴿ الحجة ﴾

وجه التاء أن قبله خطابا وهو قوله لا تمنوا ووجه الياء ان قبله غيبة وهو قوله إنما المؤمنون الذين آمنوا

= (الإعراب) =

خبر المبتدأ الذي هو المؤمنون قوله أولئك هم الصادقون وقوله الذين آمنوا صفة لهم

(المعنى)

ثم نعت سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) اي لم يشكوا في دينهم بعد الإيمان (وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون) في اقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس في قلبه قالوا فلما نزلت الآيتان أتوا رسول ﷺ يحلفون انهم مؤمنون صادقون في دعواهم الإيمان فأنزل الله سبحانه (قل أتعلمون الله بدينكم) اي اتخبرون الله بالدين الذي انتم عليه والمعنى انه سبحانه عالم بذلك فلا يحتاج الى اخباركم به وهذا استفهام انكار وتوبيخ اي كيف تعلمون الله بدينكم (والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم)لأن العالم لنفسه يعلم المعلومات كلها بنفسه فلا يحتاج الى علم يعلم به ولا الى من يعلمه كما انه اذا كان قديما موجوداً في الأزل لنفسه استغنى عن موجد اوجده وكانوا (١) يقولون آمنا بك من غير قتال وقاتلك بنو فلان فقال سبحانه(يمنون عليك ان أسلموا) أي بأن اسلموا والمعنى انهم يمنون عليك بالإسلام (قل لا تمنوا علي اسلامكم) أي بإسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) اي بأن هداكم للإيمان وارشدكم اليه بأن نصب لكم من الأدلة عليه وازاح عللكم ووفقكم له (إن كنتم صادقين) في ادعائكم الإيمان (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) من طاعة ومعصية وإيمان وكفر

(١) وفي بعض النسخ : كان هؤلاء .

(سورة ق مكية)

قال الحسن غير قوله ولقد خلقنا السماوات والأرض الى قوله وقبل الغروب والمعدل عن ابن عباس ولقد خلقنا السماوات والارض الآية وهي خمس واربعون آية بالإجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته. ابو حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال ومن ادمن في فرائضه ونوافله سورة ق وسع الله في رزقه واعطاه كتابه بيمينه وحاسبه حسابا يسيراً

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله تلك السورة بذكر الإيمان وشرائطه للعبيد افتتح هذه السورة بذكر ما يجب الإيمان به من القرآن وأدلة التوحيد فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (٢) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٣) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٤) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٥) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ خمس آيات

ولم يعد ق آية ولا نظيرُ له من نون وصاد لأنه مفرد وكل مفرد فإنه لا يعد لبعده من شبه الجملة فأما المركب ما اشبه الجملة ووافق رؤوس الآي فإنه يعد مثل طه وحم والم وما أشبه ذلك

﴿ اللغة ﴾

المجيد الكريم المعظم والعظيم المكرم والمجد في كلامهم الشرف الواسع يقال مجُد الرجل ومجَد مجدا إذا عظم وكرم وأصله من قولهم مجدت الإبل مجودا إذا عظمت بطونها من كثرة أكلها من كلاء الربيع وامجد فلان القوم قرى قال:

أَتَيْنَاهُ زُوَّاراً فَأَمْجَدْنَا قِرًى مِنَ الْبَثِّ وَالدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَامِرِ(١)

والعجيب والعجب هو كل ما لا يعرف علته ولا سببه والمريج المختلط الملتبس وأصله ارسال الشيء مع غيره من المرج قال الشاعر:

فَجَالَتْ فَالْتَمَسْتُ بِهِ حَشَاهَا فَخَرَّ كَأَنَّهُ غُصْنٌ مَرِيجُ

أي التبس بكثرة شعبه ومرجت عهودهم وأمرجوها أي خلطوها ولم يفوا بها

﴿ الإعراب ﴾

جواب القسم في ق والقرآن المجيد محذوف يدل عليه أإذا متنا وكنا ترابا وتقديره انكم مبعوثون قالوا أنبعث إذا متنا وكنا ترابا ويجوز أن يكون الجواب قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وحذفت اللام

(١) امجدنا قِرىً اى آتانا ما كفى وفضل وخامر الداء فلانا : خالط جوفه اى وفدنا عليه فآتانا من بث الشكوى وما به من الداء الدفين ما كفانا وفضل .

لأن ما قبلها عوض منها كما قال والشمس وضحاها إلى قوله قد أفلح من زكاها والمعنى لقد أفلح والعامل في أءذا مثنا مضمر والتقدير أءذا متنا بعثنا.

المعنى

(ق) قد مر تفسيره وقيل انه اسم من اسماء الله تعالى عن ابن عباس وقيل هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منها عن الضحاك وعكرمة وقيل معناه قضي الأمر أو قضي ماهو كائن كما قيل في حم حُمَّ الأمرُ[1] (والقرآن المجيد) أي الكريم على الله العظيم في نفسه الكثير الخير والنفع لتبعثن يوم القيامة وقيل تقديره والقرآن المجيد ان محمداً رسول الله ﷺ بدلالة قوله (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) أي ما كذبك قومك لأنك كاذب بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وحسبوا أنه لا يوحى إلا إلى ملك (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) أي معجب عجبوا من كون محمد ﷺ رسولا اليهم فأنكروا رسالته وأنكروا البعث بعد الموت وهو قوله (أءذا متنا وكنا تراباً) أنبعث ونرد أحياء (ذلك) أي ذلك الرد الذي يقولون (رجع بعيد) أي رد بعيد عن الأوهام واعادة بعيدة عن الكون والمعنى انه لايكون ذلك لأنه غير ممكن ثم قال سبحانه (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أي ما تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم وتبليه من عظامهم فلا يتعذر علينا ردهم (وعندنا كتاب حفيظ) أي حافظ لعدتهم وأسمائهم وهو اللوح المحفوظ لا يشذ عنه شيء وقيل حفيظ أي محفوظ عن البلى والدروس وهو كتاب الحفظة الذين يكتبون أعمالهم ثم اخبر سبحانه بتكذيبهم فقال (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) والحق القرآن وقيل هو الرسول (فهم في امر مريج) أي مختلط فمرة قالوا مجنون وتارة قالوا ساحر وتارة قالوا شاعر فتحيروا في أمرهم[2] لجهلهم بحاله ولم يثبتوا على شيء واحد وقالوا للقرآن انه سحر مرة وزجر[3] مرة ومفترى مرة فكان امرهم ملتبسا عليهم قال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم.

قوله تعالى (٦) أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٧) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (٨) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (١٠) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١١) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ

ست آيات

اللغة

الفروج الشقوق والصدوع وفي الحائط فرجة بضم الفاء فإذا قيل فرجة بفتح الفاء فهو التفصي من الهم قال

رُبَّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـــــرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ[4]

أي رب شيء تكرهه النفوس وما هاهنا نكرة موصوفة والفرج موضع المخافة وفي عهد الحجاج اني وليتك الفرجين يعني خراسان وسجستان والحصيد ما حصد من انواع النبات والباسقات الطوال وبسق النخل بسوقا والطلع طلع النخلة سمي بذلك لطلوعه والنضيد ما نضد بعضه على بعض.

(١) حُمّ الامر بالبناء للمجهول اى قضى (٢) وفى بعضها : أمره (٣) وفى المخطوطة . رجز (٤) مر البيت فى ج٦ ص٣٢٧ .

الاعراب

كيف يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون مصدرا وما لها من فروج في موضع نصب على الحال تقديره غير مفروجة والارض منصوبة بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر وتقديره ومددنا الأرض مددناها . تبصرة مفعول له وكذلك ذكرى وحب الحصيد تقديره وحب النبات الحصيد والحصيد صفة لموصوف محذوف وباسقات نصب على الحال وكذلك الجملة التي هي لها طلع نضيد حال بعد حال ورزقا للعباد مفعول له أي انبتنا هذه الأشياء لرزق العباد ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا أعني المصدر وتقديره رزقناهم رزقا

المعنى

ثم أقام سبحانه الدلالة على كونه قادرا على البعث فقال (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم) أي ألم يتفكروا في بناء السماء مع عظمها وحسن ترتيبها وانتظامها (كيف بنيناها) بغير علاقة ولا عماد (وزيناها) بالكواكب السيارة والنجوم الثوابت (وما لها من فروج) أي شقوق وفتوق وقيل معناه ليس فيها تفاوت واختلاف عن الكسائي وإنما قال فوقهم بنيناها على انهم يرونها ويشاهدونها ثم لا يتفكرون فيها (والأرض مددناها) أي بسطناها (والقينا فيها رواسي) أي جبالا رواسخ تمسكها عن الميدان (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن المنظر عن ابن زيد والبهجة الحسن الذي له روعة عند الرؤية كالزهرة والأشجار النضرة والرياض الخضرة وقال الأخفش البهيج الذي من رآه بهج به أي سر به فهو بمعنى المبهوج به (تبصرة وذكرى) أي فعلنا ذلك تبصيرا لبصر به أمر الدين وتذكيراً وتذكرا لكل عبد منيب) راجع إلى الله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) اي مطرا وغيثا يعظم النفع به (فأنبتنا به) أي بالماء (جنات) أي بساتين فيها أشجار تشتمل على انواع الفواكه المستلذة (وحب الحصيد) أي حب البر والشعير وكل ما يحصد عن قتادة لأن من شأنه أن يحصد إذا تكامل واستحصد والحب هو الحصيد فهو مثل حق اليقين ومسجد الجامع ونحوهما (والنخل باسقات) أي وأنبتنا به النخل طويلات عاليات (لها طلع نضيد) أي لهذه النخل الموصوفة بالعلو طلع نضد بعضه على بعض عن مجاهد وقتادة والطلع الكفرى وهو أول ما يظهر من ثمر النخل قبل ان ينشق وهو نضيد في اكمامه فإذا خرج من اكمامه فليس بنضيد (رزقا للعباد) أي أنبتنا هذه الأشياء للرزق وكل رزق فهو من الله تعالى بأن يكون قد فعله أو فعل سببه لأنه مما يريده وقد يرزق الواحد منا غيره كما يقال رزق السلطان جنده (واحيينا به) أي بذلك الماء الذي أنزلناه من السماء (بلدة ميتا) اي جدبا وقحطا لا تنبت شيئا فنبتت وعاشت ثم قال (كذلك الخروج) من القبور أي مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء نحيي الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم فإن من قدر على احدهما قدر على الآخر وانما دخلت الشبهة على هؤلاء من حيث انهم رأوا العادة مستمرة في احياء الموات من الأرض بنزول المطر ولم تجر العادة بإحياء الموتى من البشر ولو انعموا الفكر وأمعنوا النظر لعلموا أن من قدر على احد الأمرين قدر على الآخر

قوله تعالى (١٢) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٣) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٤) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ

وَعِيدِ (١٥) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٧) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٨) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٩) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (٢٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ تسع آيات

القراءة

في الشواذ قراءة ابي بكر عند خروج نفسه وجاءت سكرة الحق بالموت وهي قراءة سعيد بن جبير وطلحة ورواها اصحابنا عن ائمة الهدى (ع)

الحجة

قال ابن جني لك في الباء ضربان من التقدير ان شئت علقتها بنفس جاءت كقولك جئت بزيد اي احضرته وان شئت علقتها بمحذوف وجعلتها حالا اي وجاءت سكرة الحق ومعها الموت كقولك خرج بثيابه اي وثيابه عليه ومثله قوله فخرج على قومه في زينته اي وزينته عليه وكقول ابي ذويب:

يَعْثُرْنَ فِي حَدِّ الظُّبَاةِ كَأَنَّمَا كُسِيَتْ بُرُودَ بَنِي يَزِيدَ الْأَذْرُعُ (١)

اي يعثرن وهن في حد الظباة وكقول الآخر:

وَمُسْتَنَّةٍ كَاسْتِنَانِ الْخَرُوفِ وَقَدْ قَطَعَ الْحَبْلَ بِالْمِرْوَدِ (٢)

اي قطعه وفيه مروده وكذلك قراءة العامة وجاءت سكرة الموت بالحق ان شئت علقت الباء بنفس جاءت وان شئت علقتها بمحذوف (٣) وجاءت سكرة الموت ومعها الحق

اللغة

يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وتعذر ذلك عليك واعييت اذا تعبت وكل ذلك من التعب الا ان احدهما في الطلب والآخر فيما وقع الفراغ عنه والوريد عرق في الحلق وهما وريدان في العنق عن يمين وشمال وكأنه العرق الذي يرد اليه ماينصب من الرأس وحبل الوريد حبل العاتق وهو منفصل من الحلق الى العاتق والرقيب الحافظ والعتيد المعد للزوم الامر.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الامم المكذبة تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتهديداً للكفار فقال (كذبت قبلهم) من الامم الماضية (قوم نوح) فاغرقهم الله (واصحاب الرس) وهم اصحاب البئر التي رسّوا نبيّهم فيها بعد ان قتلوه عن عكرمة وقيل الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين عن الضحاك وقيل هم قوم كانوا باليمامة على آبار لهم عن قتادة وقيل هم اصحاب الاخدود وقيل كان سحق النساء في اصحاب الرس وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) (وثمود) وهم قوم صالح (وعاد) وهم قوم هود (وفرعون واخوان لوط) أي كذب فرعون موسى وقوم لوط لوطا وسماهم اخوانه لكونهم من نسبه (واصحاب الايكة) وهم قوم شعيب (وقوم تبع) وهو تبع الحميري الذي ذكرناه عند قوله اهم خير ام قوم تبع (كل) من هؤلاء المذكورين

(١) الظُبة : حدّ السيف او السنان ونحوه والمراد بحد الظبات المضارب بأسرها يقول: ان بقر الوحش ايضا لاتنجو من المور وهن في حد الظبات من السيف يجرح الصيادايا هن فتحمر اذرعهن من الدم كبرود بني يزيد (وهي برود فيها خطوط حمر) وقدمرا في ج٢ ص ٢٥٠ (٢) الاستنان و السن : المرعلى الوجه والخروف : هوولدالفرس اذا بلغ ستة اشهر اوسبعة عن الاصمعي .

لذب الرسل) المبعوثة اليهم وجحدوا نبوتهم (فحق وعيد) اي وجب عليهم عذابي الذي اوعدتهم به فإذا كان مآل الامم الخالية إذا كذبوا الرسل الهلاك والدمار وانكم معاشر العرب قد سلكتم مسالكهم في التكذيب والإنكار فحالكم كحالهم في التباب والخسار ثم قال سبحانه جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد (افعيينا بالخلق الأول) اي افعجزنا حين خلقناهم اولا ولم يكونوا شيئا فكيف نعجز عن بعثهم واعادتهم وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بأن الله هو الخالق ثم انكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شيء عيي به ثم ذكر انهم في شك من البعث بعد الموت فقال (بل هم في لبس من خلق جديد) اي بل هم في ضلال وشك من اعادة الخلق جديدا واللبس منع من ادراك المعنى بما هو كالستر له والجديد القريب الانشاء (ولقد خلقنا الانسان) أراد به الجنس يعني ابن آدم (ونعلم ما توسوس به نفسه) اي ما يحدث به قلبه ومايخفي ويكن في نفسه ولا يظهره لأحد من المخلوقين (ونحن اقرب اليه) بالعلم (من حبل الوريد) وهو عرق يتفرق في البدن يخالط الانسان في جميع اعضائه وقيل هو عرق الحلق عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو عرق متعلق بالقلب يعني نحن اقرب اليه من قلبه عن الحسن وقيل معناه نحن اعلم به ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب وقيل معناه نحن املك له من حبل وريده مع استيلائه عليه وقربه منه وقيل معناه نحن اقرب اليه بالإدراك من حبل الوريد لو كان مدركا ثم ذكر سبحانه انه مع علمه به وكل به ملكين يحفظان عليه عمله الزاما للحجة فقال (اذ يتلقى المتلقيان) فإذ متعلقة بقوله ونحن اقرب اليه اي ونحن اعلم به واملك له حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب الملي عليه (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى باحدهما عن الآخر والمراد بالقعيد هنا الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم وقيل عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات عن الحسن ومجاهد وقيل الحفظة اربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل عن الحسن (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) اي ما يتكلم بكلام فيلفظه اي يرميه من فيه إلا لديه حافظ حاضر معه يعني الملك الموكل به إما صاحب اليمين واما صاحب الشمال يحفظ عمله لا يغيب عنه والهاء في لديه تعود إلى القول اوإلى القائل وعن ابي امامة عن النبي ﷺ قال إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ او المسيئ فإن ندم واستغفر الله منها القاها والا كتب واحدة وفي رواية اخرى قال صاحب اليمين امير على صاحب الشمال فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر امثالها واذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء وإن لم يستغفر الله كتب له سيئة واحدة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا يارب قد قبضت عبدك فلانا فإلى اين قال سمائي مملوءة بملائكتي يعبدونني وارضي مملوءة من خلقي يطيعونني اذهبا إلى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني فاكتبا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة (وجاءت سكرة الموت بالحق) اي جاءت غمرة الموت وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق أي امر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر اليه وقيل معناه جاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت قال مقاتل يعني انه حق كائن والمراد أن هذه السكرة قد قربت منكم فاستعدوا لها فهي لقربها كالحاصلة مثل قوله تعالى اتى امر الله وروي أن عائشة قالت عند وفاة ابي بكر:

← حديدة توقد في الارض يشد فيها حبل الدابة وقدم البيت في ج ٣ ص ٢١٧ (٣) [بمعنى]

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ[1] يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فقال ابو بكر لا تقولي ذلك ولكنه كما قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويقال لمن جاءته سكرة الموت (ذلك) اي ذلك الموت (ما كنت منه تحيد) اي تهرب وتميل (ونفخ في الصور) قد مر تفسيره (ذلك يوم الوعيد) اي ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذي خوّف الله به عباده ليستعدّوا ويقدموا العمل الصالح له

قوله تعالى (٢١) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢٢) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٣) وَقَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٤) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٥) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٦) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٧) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٨) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٩) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٣٠) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ

عشر آيات

«القراءة»

قرأ نافع وابو بكر يوم يقول بالياء والباقون بالنون

الحجة

الياء على معنى يقول الله تعالى والنون اشبه بقوله قد قدمت اليكم بالوعيد وقوله وما انا بظلام للعبيد

اللغة

السوق الحث على السير والحديد الحاد مثل الحفيظ والحافظ والعنيد الجائر عن القصد وهو العنود والعاند وناقة عنود لا تستقيم في سيرها والعنيد المتحير[2] منه

الإعراب

هذا ما لدي عتيد ما ها هنا نكرة موصوفة وتقديره هذا شيء ثابت لدي عتيد فالظرف صفة لما وكذلك عتيد. جهنم لا ينصرف للتعريف والتأنيث واصله من قولهم بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر وقيل هو اعجمي فلا ينصرف للتعريف والعجمة وقوله القيا في جهنم قيل فيه اقوال احدها أن العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان يقول للرجل الواحد قوما واخرجا ويحكى عن الحجاج انه كان يقول ياحرسي اضربا عنقه يريد اضرب قال الفراء سمعت من العرب من يقول ويلك ارحلاها وانشدني بعضهم:

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَحْبِسَانَا بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحاً[3]

وانشدني ابو ثروان:

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعاً[4]

قال وترى أن ذلك منهم لاجل ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه اثنان وكذلك الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة فجرى كلام الواحد على صاحبيه ألا ترى أن الشعراء اكثر شيء قيلا ياصاحبي وياخليلي قال امرؤ القيس

(٢) وفي نسخة: المتجبر (٣) الشيح: نبات كثير الانواع طيب الرائحة يقو- عشرح حسن. عرعر عند العرب ربرد نفسه طبخ اللحم سريعاً ولا تحبسنا بقلع اصول الاشجار للشي حتى يطول المكث بل اجتز الشيح واشوبه (٤) الممنع: الممنوع شدد للمبالغة

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ لِنَقْضِيَ حَاجَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ
فَإِنَّكُمَا إِنْ تَنْظُرَانِيَ لَيْلَةً مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ

ثم قال:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تُطَيَّبِ

فرجع إلى الواحد لأن اول الكلام واحد في لفظ الاثنين وانشد ايضا:

خَلِيلَيَّ قُومَا فِي عَطَالَةَ فَانْظُرَا أَنَارًا تَرَى مِنْ نَحْوِ مَا بَيْنَ أَمْ بَرْقًا(١)

ولم يقل تريا ﴿ والثاني ﴾ انه إنما ثني ليدل على التكثير كأنه قال الق الق فثني الضمير ليدل على تكرير الفعل وهذا لشدة ارتباط الفاعل بالفعل حتى اذا كرر احدهما فكأن الثاني كرر وهذا قول المازني ومثله عنده قال رب ارجعون إنما جمع ليدل على التكرير كأنه قال ارجعني ارجعني ارجعني وحمل عليه قول امرئ القيس «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» ونحو ذلك أي كأنه قال قف قف ﴿ والثالث ﴾ أن الامر تناول السائق والشهيد فكأنه قال يا أيها السائق ويا أيها الشهيد القيا ﴿ والرابع ﴾ انه يريد النون الخفيفة فكان أَلْقِيَنْ فأجرى الوصل مجرى الوقف فأبدل من النون الفا كما قال الاعشى:

وَذَا النُّسُكِ الْمَنْصُوبَ لَا تَنْسُكَنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاعْبُدَا(٢)

ويؤيد هذا القول ما روي عن الحسن انه قرأ أَلْقِيَا بالتنوين. الذي جعل مع الله إلها آخر إن كان مبتدأ فخبره قوله فالقياه ويجوز أن يكون نصبا بمضمر يفسره فالقياه ويجوز أن يكون نصبا بدلا من قوله كل كفار ولا يجوز أن يكون جرا صفة لكفار لأن النكرة لا توصف بالموصول إنما الموصول وصلة إلى وصف المعارف بالجمل.

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن حال الناس بعد البعث فقال (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) اي وتجيء كل نفس من المكلفين في يوم الوعيد ومعها سائق من الملائكة يسوقها اي يحثها على السير إلى الحساب وشهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها وشاهده منها وكتبه عليها فلا يجد إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلا وقيل السائق من الملائكة والشهيد الجوارح تشهد عليها عن الضحاك (لقد كنت في غفلة) اي يقال له لقد كنت في سهو ونسيان (من هذا) اليوم في الدنيا والغفلة ذهاب المعنى عن النفس (فكشفنا عنك غطاءك) الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك حتى ظهر لك الامر وانما تظهر الامور في الآخرة بما يخلق الله تعالى من العلوم الضرورية فيهم فيصير بمنزلة كشف الغطاء لما يرى وانما يراد به جميع المكلفين برهم وفاجرهم لأن معارف الجميع ضرورية (فبصرك اليوم حديد) اي فعينك اليوم حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة وقيل معناه فعلمك بما كنت فيه من احوال الدنيا نافذ ولا يراد به بصر العين كما يقال فلان بصير بالنحو والفقه وقيل هو خاص في الكافر اي فأنت اليوم عالم بما كنت تنكره في الدنيا عن ابن عباس (وقال قرينه) يعني الملك الشهيد عليه عن الحسن وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» وقيل قرينه الذي قيض له من الشياطين عن مجاهد وقيل قرينه من الانس (هذا ما لدي عتيد) إن كان المراد به الملك الشهيد فمعناه هذا حسابه حاضر لدي في هذا الكتاب اي يقول لربه كنت

(١) عطالة: جبل منيف بالسودة من ديارات بني سعد وفي اللسان انار أترى من ذى انا نين ام برقا وما بين اسم موضع (٢) تقدم البيت في ج ١ ص ٢٠٩

وكلتني به فما كتبت من عمله حاضر عندي وان كان المراد به الشيطان أو القرين من الانس فالمعنى هذا العذاب حاضر عندي معدّ لي بسبب سيئاتي (القيا في جهنم كل كفار عنيد) هذا خطاب لخازن النار وقيل خطاب للملكين الموكلين به وهما السائق والشهيد عن الزجاج وقد ذكرنا ما قيل فيه وروى ابو القاسم الحسكاني بالاسناد عن الأعمش انه قال حدثنا ابو المتوكل الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لي ولعليّ القيا في النار من ابغضكما وادخلا الجنة من احبكما وذلك قوله القيا في جهنم كل كفار عنيد والعنيد الذاهب عن الحق وسبيل الرشد (مناع للخير) الذي امر الله به من بذل المال في وجوهه (معتد) ظالم متجاوز يتعدّى حدود الله (مريب) اي شاكّ في الله وفيما جاء من عند الله وقيل متهم يفعل ما يرتاب بفعله ويظن به غير الجميل مثل المليم الذي يفعل ما يلام عليه وقيل انها نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو اخيه في الإسلام فمنعهم فيكون المراد بالخير الإسلام (الذي جعل مع الله إلهاً آخر) من الاصنام والأوثان (فالقياه في العذاب الشديد) هذا تأكيد للأول فكأنه قال افعلا ما امرتكما به فإنه مستحق لذلك (قال قرينه) اي شيطانه الذي اغواه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وانما سمي قرينه لأنه يقرن به في العذاب وقيل قرينه من الإنس وهم علماء السوء والمتبوعون (ربنا ما اطغيته) اي ما اضللته وما أوقعته في الطغيان باستكراه أي لم اجعله طاغيا (ولكن كان في ضلال) من الإيمان (بعيد) اي ولكنه طغى باختياره السوء ومثل هذا قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي (قال) الله تعالى لهم (لا تختصموا لديّ) أي لا يخاصم بعضكم بعضا عندي (وقد قدمت اليكم بالوعيد) في دار التكليف ولم تنزجروا وخالفتم امري (ما يبدل القول لديّ) المعنى ان الذي قدمته لكم في دار الدنيا من اني اعاقب من جحدني وكذب رسلي وخالفني في امري لا يبدل بغيره ولا يكون خلافه (وما انا بظلام للعبيد) اي لست بظالم احدا في عقابي لمن استحقه بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي التي استحق بها ذلك وإنما قال بظلام على وجه المبالغة ردا على من اضاف الظلم اليه تعالى وتقدس عن ذلك (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) يتعلق يوم بقوله ما يبدل القول لديّ الآية وقيل يتعلق بتقدير اذكر يا محمد ذلك اليوم الذي يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت من كثرة ما القي فيك من العصاة (وتقول) جهنم (هل من مزيد) قال انس طلبت الزيادة وقال مجاهد المعنى معنى الكفاية اي لم يبق مزيد لامتلائها ويدل على هذا القول قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل في الوجه الاول إن هذا القول كان منها قبل دخول جميع اهل النار فيها ويجوز ان تكون تطلب الزيادة على ان يزاد في سعتها كما جاء عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم فتح مكة الا تنزل دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار لانه كان قد باع دور بني هاشم لما خرجوا إلى المدينة فعلى هذا يكون المعنى وهل بقي زيادة فأما الوجه في كلام جهنم فقيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ انه خرج مخرج المثل اي ان جهنم من سعتها وعظمتها بمنزلة الناطقة التي اذا قيل لها هل امتلأت تقول لم امتلئ وبقي فيّ سعة كثيرة ومثله قول عنترة:

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ ... وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ (١)

وقال آخر:

اِمْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي ... مَهْلاً رُوَيْداً قَدْ مَلَأْتُ بَطْنِي (٢)

(١) مرّ البيت في ج ٦ ص ٤٥٥ (٢) مر البيت ايضا في ج ١ ص ١٩٤.

﴿ وثانيها ﴾ انه سبحانه يخلق لجهنم آلة الكلام فتتكلم وهذا غير منكر لأن من انطق الايدي والجوارح والجلود قادر على ان ينطق جهنم ﴿ وثالثها ﴾ انه خطاب لخزنة جهنم على وجه التقرير لهم هل امتلأت جهنم فيقولون بلى لم يبق موضع لمزيد ليعلم الخلق صدق وعده عن الحسن قال ومعناه ما من مزيد اي لا مزيد كقوله هل من خالق غير الله وهو قول واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد:

قوله تعالى (٣١) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٣) مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٤) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ (٣٥) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٨) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٩) فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ (٤٠) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الحجاز وحمزة وخلف وادبار بكسر الهمزة والباقون وادبار السجود بالفتح وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابي العالية ويحيى بن يعمر فنقبوا في البلاد بكسر القاف وقراءة السدي اوالقي السمع وقراءة ابي عبد الرحمن السلمي وطلحة وما مسنا من لغوب بفتح اللام

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي إدبار مصدر والمصادر تجعل ظروفا على ارادة اضافة اسماء الزمان اليها وحذفها كقولك جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم وخلافة فلان تريد في ذلك كله وقت كذا فكذلك يقدر هنا وقت ادبار السجود الا ان المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر ولا يستعمل فهذا ادخل في باب الظروف من قول من فتح فكأنه أمر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلاة ومن فتح جعله جمع دبر أو دبر مثل قفل واقفال وطُنُب واطناب وقد استعمل ذلك ظرفا نحو جئتك في دبر الصلاة وفي ادبار الصلاة قال أوس بن حجر:

عَلَىٰ دُبُرِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ بِأَرْضِنَا ... وَمَا حَوْلَهَا جَدْبٌ سِنُونَ تَلَمَّعُ (١)

وأما من قرأ فنقبوا فقد قال ابن جني انه فعلوا من النقب أي ادخلوا وغوروا في الأرض فإنكم لا تجدون لكم محيصا وقوله او القى السمع معناه أو القى السمع منه وقوله وما مسنا من لغوب فيمكن ان يكون من المصادر التي جاءت على فعول بفتح الفاء كالوضوء والولوغ والوزوع والقبول وهي صفات مصادر محذوفة أي توضأت وضوءاً أي وضوءاً حسنا (٢) و كذلك هذا أي وما مسنا من لغوب لغوب أي تعب متعب

﴿ اللغة ﴾

الإزلاف التقريب إلى الخير ومنه الزلفة والزلفى وازدلف اليه أي اقترب والمزدلفة منزلة قريبة من الموقف وهو المشعر وجمع ومنه قول الراجز:

(١) تلمعت السنة كما قيل عام ابقع اى فيه خصب وجدب (٢) في بعض النسخ وضوءوضوءاً حسناً .

ناجٍ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا أَوْجَفَا طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفاً فَزُلَفَا
سَمَاوَةَ الْهِلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا(١)

والتنقيب التفتيش بما يصلح للسلوك وهو من النقب الذي هو الفتح قال امرؤ القيس:

لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

أي طوّفت في طرقها وسرت في نقوبها واللغوب الإعياء.

الاعراب

غير بعيد صفة مصدر محذوف تقديره ازلافا غير بعيد ويجوز ان يكون منصوبا على الحال من الجنة ولم يقل غير بعيدة لأنه في تقدير النسب أي غير ذات بعد وقوله لكل اوّاب يجوز أن يكون في موضع رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي هو لكل أواب ولا يجوز ان يكون خبرا بعد خبر تقديره هذا الموعود هذا لكل أواب حفيظ ولا يجوز أن تتعلق اللام بتوعدون لأن الأوابين هم الموعودون لا الموعود لهم . من خشي الرحمن يجوز ان يكون في محل جر على البدل من أواب فيتم الكلام عند قوله وجاء بقلب منيب ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف على تقدير يقال لهم ادخلوها فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله لكل أواب حفيظ ويقتضي ان يكون ادخلوها خطابا للمتقين وتقديره وتزلف الجنة للمتقين ويقال لهم ادخلوها بسلام

المعنى

لما اخبر سبحانه عما اعده للكافرين والعصاة عقبه بذكر ما اعده للمتقين فقال (وأزلفت الجنة للمتقين) أي قربت الجنة وأدنيت للذين اتقوا الشرك والمعاصي حتى يروا ما فيها من النعيم والجنة هي البستان الذي يجمع كل لذة من الأنهار والاشجار وطيب الثمار ومن الأزواج الكرام والحور الحسان والخدم من الولدان ومن الأبنية الفاخرة المزينة بالياقوت والزمرد والعقيان نسأل الله التوفيق لما يقرب من رضاه (غير بعيد) أي هي قريبة منهم لا يلحقهم ضرر ولا مشقة في الوصول اليها وقيل معناه ليس ببعيد مجيء ذلك لأن كل آت قريب ومثله قول الحسن كأنك بالدنيا كأن لم تكن وبالآخرة كأن لم تزل (هذا ما توعدون) أيها هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب على السنة الرسل (لكل أواب) اي تواب رجّاع إلى الطاعة عن الضحاك وابن زيد وقيل لكل مسبح عن ابن عباس وعطاء (حفيظ) لما امر الله به متحفظ من الخروج إلى ما لا يجوز من سيئة تدنسه او خطيئة تحط منه وتشينه (من خشي الرحمن بالغيب) اي هو من خاف الله واطاعه وآمن بثوابه وعقابه ولم يره وقيل بالغيب اي في الخلوة بحيث لا يراه احد عن الضحاك والسدي (وجاء بقلب منيب) اي ودام على ذلك حتى وافى الآخرة بقلب مقبل على طاعة الله راجع الى الله بضمائره (ادخلوها بسلام) اي يقال لهم ادخلوا الجنة بأمان من كل مكروه وسلامة من كل آفة وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم (ذلك يوم الخلود) الوقت الذي يبقون فيه في النعيم مؤبدين لا إلى غاية (لهم ما يشاؤون فيها) اي لهم في الجنة ما تشتهيه انفسهم ويريدونه من انواع النعم (ولدينا مزيد) اي وعندنا زيادة على ما يشاؤونه مما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم وقيل هو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) اي كثيراً اهلكنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم اشد منهم بطشا) اي الذين اهلكناهم كانوا اشد قوة من هؤلاء وا كثر

(١) ناجٍ : البعير السريع ينجو بمن ركبها والأين : الاعياء وما في مما اوجفا مصدرية اى من ايجافه وهو اعداؤه وسماوة الشخصه واحقوقف الهلال : اعوجّ وكل ماطال واعوجّ فقد احقوقف كظهر البعير وشخص القمر وقدم البيت في ج ٥ ص ١٩٩ .

عدّة وعدّة(١) ولم يتعذر علينا ذلك فما الذي يؤمّن هؤلاء من مثله (فنقبوا في البلاد) اي فتحوا المسالك في البلاد بشدة بطشهم اصله من النقب وهو الطريق وقيل معناه ساروا في البلاد وطوّفوا فيها بقوتهم وسلكوا كل طريق وسافروا في اعمار طويلة (هل من محيص) اي هل من محيد عن الموت ومنجى من الهلاك يعني لم يجدوا في جميع ذلك من الموت والهلاك منجى ومهربا (ان في ذلك) اي فيما اخبرته وقصصته (لذكرى) اي ما يعتبر به ويتفكر فيه (لمن كان له قلب) معنى القلب هنا العقل عن ابن عباس من قولهم ابن ذهب قلبك وفلان قلبه معه وانما قال ذلك لأن من لا يعي الذكر لا يعتد بماله من القلب وقيل لمن كان له قلب حيّ عن قتادة (او القى السمع وهو شهيد) اي استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يستمع وهو شهيد لما يسمع فيفقهه غير غافل عنه ولا ساهٍ عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يقال الق إليّ سمعك اي اسمع قال ابن عباس كان المنافقون يجلسون عند رسول الله ﷺ ثم يخرجون فيقولون ماذا قال آنفا(٢) ليس قلوبهم معهم وقيل هو شهيد على صفة النبي في الكتب السالفة يريد اهل الكتاب عن قتادة (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب) اي نصب وتعب أكذب الله تعالى بهذا اليهود فإنهم قالوا استراح الله يوم السبت فلذلك لا نعمل(٣) فيه شيئا (فاصبر على ما يقولون) يا محمد من بهتهم و كذبهم وقولهم انك ساحر او مجنون واحتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج وهذا قبل ان امر الله بالقتال (وسبح بحمد ربك) أي وصلّ واحمد الله تعالى سمى الصلاة تسبيحا لأن الصلاة تشتمل على التسبيح والتحميد عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل أراد به التسبيح بالقول تنزيهاً لله تعالى عما لا يليق به (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعني صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر عن قتادة وابن زيد (ومن الليل فسبحه) يعني المغرب والعشاء الآخرة وقيل ومن الليل يعني صلاة الليل ويدخل فيه صلاة المغرب والعشاء عن مجاهد وروي عن ابي عبد الله (ع) انه سئل عن قوله وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فقال تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (وأدبار السجود) فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد به الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر عن علي بن ابي طالب (ع) والحسن بن علي (ع) والحسن والشعبي وعن ابن عباس مرفوعا إلى النبي ﷺ ﴿ وثانيها ﴾ انه التسبيح بعد كل صلاة عن ابن عباس ومجاهد ﴿ وثالثها ﴾ انه النوافل بعد المفروضات عن ابن زيد والجبائي ﴿ ورابعها ﴾ انه الوتر من آخر الليل روي ذلك عن ابي عبد الله (ع).

قوله تعالى (٤١) وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤٢) يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ (٤٣) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ (٤٤) يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٥) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ خمس آيات

﴿ الاعراب ﴾

واستمع يوم ينادي المنادي تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي فحذف المضاف وهو مفعول به وليس بالظرف ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي المنادي وكذلك يوم تشقق الأرض ويجوز أن ينتصب يوم تشقق بقوله والينا المصير أي يصيرون الينا في ذلك اليوم.

(١) في المخطوطة : مدة بدل عدة (٢) فيما ايضاً [اى] (٣) وفي بعض النسخ : لانعمل.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به جميع المكلفين (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب) أي اصغ إلى النداء. وتوقعه يعني صيحة القيامة والبعث والنشور ينادي بها المنادي وهي النفخة الثانية ويجوزان يكون المراد واستمع ذكر حالهم يوم ينادي المنادي وقيل انه ينادي منادٍ من صخرة بيت المقدس ايتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة قومي لفصل القضاء وما اعد الله لكم من الجزاء عن قتادة وقيل ان المنادي هو اسرافيل يقول يا معشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل وانما قال من مكان قريب لأنه يسمعه الخلائق كلهم على حد واحد فلا يخفى على احد قريب ولا بعيد فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم (يوم يسمعون الصيحة بالحق) والصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد وهذه الصيحة[1] هي النفخة الثانية وقوله بالحق اي بالبعث عن الكلبي وقيل يعني انها كائنة حقا عن مقاتل (ذلك يوم الخروج) من القبور إلى أرض الموقف وقيل هو اسم من اسماء القيامة عن ابي عبيدة واستشهد بقول الشاعر:

أَلَيْسَ يَوْمٌ سُمِّيَ الْخُرُوجَا ... أَعْظَمَ يَوْمٍ رَجَّةً رُجُوجَا

(انا نحن نحيي ونميت) أخبر سبحانه عن نفسه انه هو الذي يحيي الخلق بعد ان كانوا جمادا امواتا ثم يميتهم بعد ان كانوا احياء ثم يحييهم يوم القيامة وهو قوله (والينا المصير يوم تشقق) أي تتشقق (الأرض عنهم) تتصدع فيخرجون منها (سراعا) يسرعون إلى الداعي بلا تأخير (ذلك حشر) والحشر الجمع بالسوق من كل جهة (علينا يسير) أي سهل علينا غير شاق هين غير متعذر مع تباعد ديارهم وقبورهم ثم عزى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (نحن اعلم بما يقولون) أي بما يقوله هؤلاء الكفار في تكذيبك وجحود نبوتك وانكار البعث لا يخفى علينا من امرهم شيء (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط قادر على قلوبهم فتجبرهم على الإيمان وانما بعثت منذراً داعيا مرغبا وهذا معنى قول ابن عباس وقال تغلب جاءت احرف على فعال بمعنى مفعل مثل دراك بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع وسيف سقاط بمعنى مسقط وبكاء بمعنى مبكى قال علي بن عيسى لم يسمع من ذلك الا دراك من ادركت وقيل جبار من جبرته على الامر بمعنى أجبرته وهي لغة كنانة وقيل معناه ما أنت عليهم بفظ غليظ لا تحلم عنهم فاحتمل أذاهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) انما خص بالذكر من يخاف وعيد الله لأنه الذي ينتفع به.

سورة الذاريات (مكية)

عدد آيها

ستون آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الذاريات[2] أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا وروى داود بن فرقد عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الذاريات في يومه أو ليلته أصلح الله له معيشته وأتاه برزق واسع ونور له في قبره[3] بسراج يزهر إلى يوم القيامة

تفسيرها

لما ختم الله تعالى سورة ق بالوعيد افتتح هذه السورة بتحقيق الوعيد فقال:

(١) وفي نسخة : من النفخة الثانية (٢) وفي بعض النسخ : في يومه وليلته (٣) وفي المخطوطة: ونور له قبره .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا (٢) فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا (٣) فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا (٤) فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا (٥) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٦) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ (٧) وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ (٨) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٩) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (١٠) قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ (١١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١٢) يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٣) يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ (١٤) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ اربع عشرة آية

اللغة

ذرت الريح التراب تذروه ذروا إذا طيرته واذرته تذريه بمعناه والحبك الطرايق التي تجري على الشيء كالطرائق التي ترى في السماء وفي الصافي من الماء إذا مرت عليه الريح وهو تكسر جارفيه ويقال للشعر الجعد حبك والواحد حباك وحبيكة والحبك حسن اثر الصنعة في الشيء واستواؤه يقال حبكه يحبكه ويحبكه قال زهير في الحبك

مُكَلَّلٌ بِأُصُولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ ريحٌ خَرِيقٌ لِضَاحِي مَائِهِ حُبُكُ(١)

والحراص الكذاب والحرص الظن والحدس وسمي الحزر(٢) حرصا منه ويقال كم حرص ارضك بكسر الحاء. واصل الحرص القطع من قولهم حرص فلان كلاما واختصه إذا اقتطعه من غير اصل والغمرة من غمره الماء يغمره وغمره الدين إذا غطاه بكثرته والغمر السيد الكثير العطاء لأنه يغمر بعطائه

الاعراب

قال الزجاج يوم نصب على وجهين احدهما ان يكون على معنى يقع الجزاء يومهم على النار يفتنون والآخر ان يكون لفظه لفظ نصب ومعناه معنى رفع لأنه مضاف الى جملة كلام تقول يعجبني يوم أنت قائم ويوم أنت تقوم ان شئت فتحته وان شئت رفعته كما قال الشاعر:

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ حَمَامَةٌ فِي غُصُونٍ ذَاتِ أَوْقَالِ(٣)

وروي غيرَ ان نطقت بالرفع لما اضاف غير الى ان وليست بمتمكنة فتح وكذلك لما اضاف يوم الى الجملة فتح وكما قرئ من خزي يومئذ ففتح يوم وهو في موضع خفض لأنك اضفته الى غير متمكن وقيل انه لما جرى في كلامهم ظرفا بقي في موضع الرفع على ذلك الاستعمال وجاء مفتوحا كما جاء في قوله ومنا دون ذلك وقوله لقد تقطع بينكم.

المعنى

(والذاريات ذروا) روي ان ابن الكوا سأل أمير المؤمنين عليا(ع) وهو يخطب على المنبر فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال السفن قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد فالذاريات الرياح تذرو التراب وهشيم النبت أي تفرقه (فالحاملات وقرا) السحاب تحمل ثقلا من الماء من بلد الى بلد فتصير موقرة به والوقر بالكسر ثقل الحمل على ظهر أو في بطن(٤) والوقر ثقل الأذن (فالجاريات يسرا) السفن تجري ميسرة على الماء جريا سهلا الى حيث سيرت وقيل هي السحاب تجري يسرا الى حيث سيرها الله من البقاع وقيل هي النجوم السبعة السيارة الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد (فالمقسمات أمرا) الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما امروا به أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لكثرة ما فيها من المنافع للعباد ولما تضمنه من الدلالة على وحدانية الله تعالى وبدائع صنعه وقيل ان

(١) كلل فلانا: البسه الاكليل والنجم النبات والخريق: الريح الباردة الشديدة الهبابة والضاحي: البارز الظاهر يصف روضه.
(٢) حزره اى قدره بظن (٣) الوقل: اصول السعف التي لم تستقص فبقيت بارزة في الجذع فامكن المرتقي ان يرتقي فيها (٤) وفي المخطوطة: او بطن

التقدير فيها القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم الا بالله عز اسمه وقال ابو جعفر وابو عبد الله (ع) انه لا يجوز لأحد أن يقسم الا بالله تعالى والله سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال (انما توعدون) أي من الثواب والعقاب والجنة والنار (لصادق) اي صدق لا بد من كونه فهو اسم وضع موضع المصدر وقيل معناه ذو صدق كقوله عيشة راضية (وان الدين لواقع) اي ان الجزاء وقيل ان الحساب لكائن يوم القيامة ثم انشأ قسما آخر فقال (والسماء ذات الحبك) أي ذات الطرائق الحسنة لكنا لا نرى تلك الحبك لبعدها عنا عن الحسن والضحاك وقيل ذات الخلق الحسن المستوي عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والربيع وقيل ذات الحسن والزينة عن علي (ع) وروى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضا (ع) قال قلت له اخبرني عن قول الله تعالى والسماء ذات الحبك فقال محبوكة الى الارض وشبك بين اصابعه فقلت كيف تكون محبوكة الى الارض والله تعالى يقول رفع السماء بغير عمد فقال سبحان الله اليس يقول بغير عمد ترونها قلت بلى قال فثم عمد ولكن لا ترى فقلت فكيف ذلك جعلني الله فداك قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه ارض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ثم هكذا الى الأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن وصاحب الأمر و النبي ﷺ والوصي (١) الذي يعمل بعده وهو على وجه الارض وانما يتنزل الامر اليه من فوق من بين السموات والارضين قلت فما تحتنا الا ارض واحدة قال وما تحتنا الا أرض واحدة وان الست فوقنا (انكم لفي قول مختلف) هذا جواب القسم أي انكم يا أهل مكة في قول مختلف في قول محمد ﷺ فبعضكم يقول شاعر وبعضكم يقول مجنون وفي القرآن يقولون انه سحر وكهانة ورجز وما سطره الأولون وقيل معناه منكم مكذب بمحمد ﷺ ومنكم مصدق به ومنكم شاك فيه وفائدته ان دليل الحق ظاهر فاطلبوا الحق بدليله والا هلكتم (يؤفك عنه من افك) أي يصرف عن الايمان به من صرف عن الخير اي المصروف عن الخيرات كلها من صرف عن هذا الدين وقيل معناه يؤفك عن الحق والصواب من افك فدل ذكر القول المختلف على ذكر الحق فجازت الكناية عنه وقيل معناه يصرف عن هذا القول أي بسببه ومن اجله عن الايمان من صرف فالهاء في عنه تعود الى القول المختلف من مجاهد فيكون الصارف لهم أنفسهم كما يقال فلان معجب بنفسه واعجب بنفسه وكما يقال ابن يذهب بك لمن يذهب في شغله وقيل ان الصارف لهم رؤساء البدع وائمة الضلال لأن العامة تبع لهم (قتل الخراصون) اي لعن الكذابون يعني الذين يكذبون على الله وعلى رسوله وقيل معناه لعن المرتابون عن ابن عباس قال ابن الانباري وانما كان القتل بمعنى اللعنة هنا لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك ثم وصف سبحانه هؤلاء الكفار فقال (الذين هم في غمرة) اي في شبهة وغفلة غمرهم الجهل (ساهون) اي لاهون عما يجب عليهم وقيل هم في ضلالتهم متمادون عن ابن عباس وقيل في عمى مترددون عن قتادة وقيل ان اول مراتب الجهل السهو ثم الغفلة ثم الغمرة فتكون الغمرة عبارة عن المبالغة في الجهل اي هم في غاية الجهل ساهون عن الحق وعما يراد بهم (يسئلون ايان يوم الدين) اي متى وقت الجزاء انكارا واستهزاءً لا على وجه الاستفادة لمعرفته فأجيبوا بما يسوؤهم من الحق الذي لا محالة انه نازل بهم فقيل (يوم هم على النار يفتنون) أي يكون هذا الجزاء في يوم يعذبون فيها ويحرقون بالنار وقال عكرمة ألم تر أن الذهب اذا أدخل النار قيل فتن اي فهؤلاء يفتنون بالاحراق كما يفتن الذهب باحراق الغش الذي فيه ويقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) اي عذابكم وحريقكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا تكذيبا به واستبعادا له فقد حصلتم الآن فيه وعرفتم صحته

(١) وفي نسخة : والولي من بعده وفي نسخة : والوصي من بعده

قوله تعالى (١٥) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٦) آخِذِينَ مَا آتَيٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٧) كَانُوا قَلِيلاً مِنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٨) وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٩) وَفِي أَمْوٰلِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (٢٠) وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢١) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢٢) وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٣) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ تسع آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير حفص مثل ما بالرفع والباقون بالنصب

الحجة

قال ابو علي من رفع مثلا جعله وصفا لحق وجاز أن يكون مثل وان كان مضافا إلى معرفة صفة للنكرة لأن مثلا لا يختص بالإضافة لكثرة الاشياء التي يقع التماثل بها بين المتماثلين فلما لم تخصه الاضافة ولم يزل عنه الابهام والشياع الذي كان فيه قبل الاضافة بقي على تنكره فقالوا مررت برجل مثلك فلذلك في الآية لم يتعرف بالاضافة إلى انكم تنطقون وان كان قوله انكم تنطقون بمنزلة نطقكم وما في قوله مثل ما انكم تنطقون زائدة واما من نصب فقال مثل ما انكم فيحتمل ثلاثة اضرب احدها أنه لما اضاف مثل إلى مبني وهو قوله انكم بناه كما بنى يومئذ في نحو قوله من عذاب يومئذ و «على حين عاتبت المشيب على الصبى» وقوله

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ حَمَامَةٌ فِي غُصُونٍ ذَاتِ أَوْ قَالِ

فغير في موضع رفع بأنه فاعل يمنع وانما بنيت هذه الاسماء المبهمة نحو مثل ويوم وحين وغير إذا اضيفت إلى المبني لانها تكتسي منه البناء لأن المضاف يكتسي من المضاف اليه ما فيه من التعريف والتنكير والجزاء والاستفهام تقول هذا غلام زيد وصاحب القاضي فيتعرف الاسم بالاضافة إلى المعرفة وتقول غلام من يضرب فيكون استفهاما وتقول صاحب من يضرب اضرب فيكون جزاء. فمن بنى هذه المبهمة إذا اضافها إلى مبني جعل البناء احد ما يكتسيه من المضاف اليه ولا يجوز على هذا جاءني صاحب الخمسة عشر ولا غلام هذا لأن هذين من الاسماء غير المبهمة والمبهمة في ابهامها وبعدها من الاختصاص كالحروف التي تدل على امور مبهمة فلما اضيفت إلى المبنية جاز ذلك فيها والبناء على الفتح في مثل قول سيبويه والقول الثاني ان تجعل ما مع مثل بمنزلة شيء واحد وبنيته على الفتح وإن كانت ما زائدة وهذا قول ابي عثمان وانشد في ذلك قول الشاعر:

وَتَدَاعَى مِنْخَرَاهُ بِدَمٍ مِثْلَ مَا أَثْمَرَ حُمَّاضُ الْجَبَلِ(١)

فذهب إلى ان مثل مع ما بمنزلة شيء واحد وينبغي أن يكون اثمر صفة لمثل ما لأنه لا يخلو من أن يكون صفة له او يكون مثلا مضافا إلى الفعل فلا تجوز الأضافة لانا لم نعلم مثلا اضيف إلى الفعل في موضع فكذلك لا نضيفه في هذا الموضع إلى الفعل فإذا لم تجز الاضافة كان وصفا وإذا كان وصفا وجب أن يعود منه إلى الموصوف ذكر فيحذف كما يحذف الذكر العائد من الصفة إلى الموصوف وقد يجوز أن لا يقدر مثل مع ما كشيء واحد ولكن تجعله مضافا إلى ما فيكون التقدير مثل شيء اثمره حماض الجبل فبني مثل على الفتح لاضافتها إلى ما وهو غير متمكن ولا يكون لابي عثمان حينئذ في البيت حجة على كون مثل مع ما بمنزلة شيء واحد ويجوز أن يكون ما والفعل بمنزلة المصدر فيكون مثل اثمار الحماض فيكون كقوله وما كانوا بآياتنا يجحدون و قوله بما كانوا يكذبون والقول الثالث هو أن ينصب على الحال من النكرة في النطق وهو قول ابي عمرو الجرمي وذو الحال

(١) الحُمّاض : بقلة برّيّة تنبت ايام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء وهي من ذكور البقول .

الذكر المرفوع في قوله لحق والعامل في الحال هو الحق لأنه من المصادر التي وصف بها ويجوز أن يكون الحال عن النكرة الذي هو حق في قوله انه لحق و إلى هذا ذهب ابو عمرو ولم يعلم انه جعله حالا من الذكر الذي في حق وهذا لا خلاف في جوازه وقد حمل ابو الحسن قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم امراً من عندنا على الحال وذو الحال كل امر حكيم وهو نكرة فهذه وجوه النصب في مثل ما.

﴿ الاعراب ﴾

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون يجوز ان يكون قليلا خبر كان وفاعله ما يهجعون والتقدير كانوا قليلا هجوعهم ويجوز أن يكون قليلا صفة مصدر محذوف على تقدير كانوا يهجعون هجوعا قليلا فتكون ما زائدة ويهجعون خبر كان . ومن في قوله من الليل يجوز أن يكون بمعنى الباء كما يكون الباء بمعنى من في قوله عينا يشرب بها عباد الله اي منها فيكون التقدير كانوا يهجعون بالليل قليلا وقيل ان قوله ما يهجعون بمنزلة هجوعهم وهو بدل من الواو في كانوا وقوله من الليل في موضع الصفة لقليل والتقدير كان هجوعهم قليلا من الليل وقوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي انفسكم ان رفعت آيات بالابتداء وجعلت في الارض خبرا كان الضمير في قوله وفي انفسكم كالضمير في خبر المبتدأ وان قدرت آيات مرتفعة بالظرف كان الضمير في قوله وفي انفسكم كالضمير في الفعل كقولهم قام زيد وقعد والتقدير وفي انفسكم آيات وكذا قوله فيما بعد وفي موسى أي وفي موسى آيات وفي هود آيات وفي ثمود آيات وفي قوم نوح آيات وفي عاد آيات.

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ما اعده لأهل الجنة فقال (إن المتقين في جنات وعيون) مر تفسيره (آخذين ما آتيهم ربهم) أي ما اعطاهم من الخير والكرامة (إنهم كانوا قبل ذلك) يعني في دار التكليف (محسنين) يفعلون الطاعات ويحسنون إلى غيرهم بضروب الاحسان ثم ذكر احسانهم في اعمالهم فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) اي كانوا يهجعون قليلا من الليل يصلون اكثر الليل عن الزهري وابراهيم والهجوع النوم بالليل دون النهار وقيل معناه كانوا قلّ ليلتهم بهم إلا صلّوا فيها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) والمعنى كان الذي ينامون فيه كله قليلا ويكون الليل اسما للجنس وقال مجاهد لا ينامون كل الليل وقيل إن الوقف على قوله قليلا على معنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ فقال من الليل ما يهجعون فيكون ما بمعنى النفي عن الضحاك ومقاتل وهذا على نفي النوم عنهم البتة اي كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن واقول ان ما اذا كان نفيا لا يتقدم عليه ما كان في حيزه إلا أن يتعلق قوله من الليل بفعل محذوف يدل عليه قوله يهجعون كما تقوله في قوله إني لكما لمن الناصحين وكانوا فيه من الزاهدين (وبالاسحار هم يستغفرون) قال الحسن مدّوا الصلاة إلى الاسحار ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار وقال ابو عبد الله (ع) كانوا يستغفرون الله في الوتر سبعين مرة في السحر وقيل ان معناه وبالاسحار هم يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار طلب منهم للمغفرة عن مجاهد ومقاتل والكلبي ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال (وفي اموالهم حق للسائل والمحروم) والسائل هو الذي يسأل الناس والمحروم هو المحارَف[1] عن ابن عباس ومجاهد وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل عن قتادة والزهري وقيل هو الذي لا سهم له في الغنيمة عن ابراهيم النخعي والأصل ان المحروم هو الممنوع الرزق بترك السؤال او ذهاب المال أو خراب الضيعة أو سقوط السهم من الغنيمة لأن الانسان يصير فقيراً بهذه الوجوه و يريد سبحانه بقوله حق ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات وغير ذلك اوما الزموه انفسهم من مكارم الاخلاق قال الشعبي اعياني أن اعلم ما المحروم وفرق قوم بين الفقير والمحروم بأنه قد يحرمه الناس بترك الاعطاء وقد يحرم نفسه بترك السؤال فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترك السؤال و إنما حرمه الغير و إذا لم يسأل فقد حرم نفسه ولم يحرمه الناس (وفي

(١) المحارف : المحروم المحدود اذا طلب فلا تُرزق ، خلاف مبارك .

اتى بما يلام عليه والملوم الذي وقع به اللوم وفي المثل رب لائم مليم ورب ملوم لا ذنب له والعتو والتجبر والتكبر واحد وجمع الريح ارواح ورياح ومنه راح الرجل إلى منزله أي رجع كالربع والرميم الذي انتفى رمه بانتفاء ملائمة بعضه لبعض وأما رمّه يَرِمّه رمّاً والشيء مرموم اي مصلح بملائمة بعضه لبعض واصل الرميم السحيق البالي من العظم

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه ما نزل بالامم فقال (وفي موسى) أي وفي موسى ايضا آية (إذ ارسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة وهي العصا (فتولى بركنه) أي فأعرض فرعون عن قبول الحق بما كان يتقوى به من جنده وقومه كالركن الذي يقوى به البنيان والباء في قوله بركنه للتعدية اي جعلهم يتولون (وقال) لموسى (ساحر أو مجنون) اي هو ساحر أو مجنون وفي ذلك دلالة على جهل فرعون لأن الساحر هو اللطيف الحيلة وذلك ينافي صفة المجنون المختلط العقل فكيف يوصف شخص واحد بهاتين الصفتين (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فطرحناهم في البحر كما يلقى الشيء في البر (وهو مليم) أتى بما يلام عليه من الكفر والجحود والعتو (وفي عاد) عطف على ما تقدم أي وفي عاد ايضا آية اي دلالة فيها عظة وعبرة (إذ أرسلنا عليهم) أي حين اطلقنا عليهم (الريح العقيم) وهي التي عقمت عن أن تأتي بخير من تنشئة سحاب أو تلقيح شجر أو تذرية طعام أو نفع حيوان فهي كالمرأة الممنوعة عن الولادة إذ هي ريح الاهلاك ثم وصفها فقال (ما تذر من شيء اتت عليه) اي لم تترك هذه الريح شيئاً تمر عليه (إلا جعلته كالرميم) أي كالشيء الهالك البالي وهو نبات الأرض إذا يبس وديس وقيل الرميم العظم البالي السحيق (وفي ثمود) ايضا آية (إذ قيل لهم تمتعوا) وذلك انهم لما عقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا ثلاثة ايام وهو قوله (تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم) اي فخرجوا عن امر ربهم ترفعا عنه واستكبارا (فأخذتهم الصاعقة) بعد مضيّ الأيام الثلاثة وهو الموت عن ابن عباس وقيل هو العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك عن مقاتل (وهم ينظرون) اليها جهارا لا يقدرون على دفعها (فما استطاعوا من قيام) أي من نهوض والمعنى انهم لم ينهضوا من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) أي ممتنعين من العذاب وقيل معناه ما كانوا طالبين ناصرا يمنعهم من عذاب الله (وقوم نوح) أي وأهلكنا قوم نوح من (قبل) اي من قبل عاد وثمود (إنهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله إلى معاصيه وعن الايمان إلى الكفر فاستحقوا لذلك الاهلاك .

قوله تعالى (٤٧) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٨) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٩) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٠) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٢) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٣) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٤) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٥) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٦) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٧) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٨) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٩) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٦٠) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ

اربع عشرة آية

فَالْحَقَنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ (١)

والصك الضرب بامتاد شديد وهو ان تصتك ركبتا الرجل والعقيم العاقر واصل العقم الشدّ وجاء في الحديث تعقم اصلاب المشركين فلا يستطيعون السجود اي تشد وداء عقام إذا اشتد حتى إذا يأس منه ان يبرء ومعاقم الفرس مفاصله يشد بعضها ببعض والعقيم والعقمة ثياب معلمة أي شدت بها الأعلام وعقمت المرأة فهي معقومة وعقيم من نساء عقم وعقمت ايضا ورجل عقيم من قوم عقمى قال الشاعر:

عَقَمُ النِّسَاءُ فَأَيْ يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

والريح العقيم التي لا تنشئ السحاب للمطر والملك عقيم يقطع الولادة لأن الاب يقتل الابن على الملك والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة لأنها كلام بليغ لعقد امر جليل يستفتح بالتحميد والتمجيد والخطاب اجل من الإبلاغ

المعنى

لما قدم سبحانه الوعد والوعيد عقب ذلك بذكر بشارة ابراهيم ومهلك قوم لوط تخويفاً للكفار أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك فقال (هل اتيك) يا محمد وهذا اللفظ يستعمل إذا اخبر الانسان بخبر ماض فيقال هل اتاك خبر كذا و إن علم انه لم يأته (حديث ضيف ابراهيم المكرمين) عند الله وذلك انهم كانوا ملائكة كراما ونظيره قوله بل عباد مكرمون وقيل اكرمهم ابراهيم فرفع مجالسهم وخدمهم بنفسه عن مجاهد[٢] لأن اضياف الكرام مكرمون وكان ابراهيم اكرم الناس واظهرهم فتوة وسماهم ضيفا من غير أن اكلوا من طعامه لأنهم دخلوا مدخل الاضياف واختلف في عددهم فقيل كانوا اثني عشر ملكا عن ابن عباس ومقاتل وقيل كان جبرائيل ومعه سبعة املاك عن محمد بن كعب وقيل كانوا ثلاثة جبرائيل وميكائيل وملك آخر (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي حين دخلوا على ابراهيم فقالوا له على وجه التحية سلاما اي اسلم سلاما فقال لهم جوابا عن ذلك سلام وقرئ سلم وهذا مفسر في سورة هود (قوم منكرون) أي قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وذلك انه ظنهم من الانس ولم يعرفهم عن ابن عباس والانكار نفي صحة الأمر ونقيضه الاقرار والاعتراف (فراغ إلى أهله) اي ذهب اليهم خفيا و إنما راغ مخافة ان يمنعوه من تكلف مأكول كعادة الظرفاء (فجاء بعجل سمين) وكان مشويا لقوله في آية اخرى حنيذ قال قتادة و كان عامة مال ابراهيم (ع) البقر (فقربه اليهم) ليأكلوا فلم يأكلوا فلما رآهم لا يأكلون عرض عليهم (فقال ألا تأكلون) وفي الكلام حذف كما ترى (فأوجس منهم خيفة) اي فلما امتنعوا من الاكل اوجس منهم خيفة والمعنى خاف منهم وظن انهم يريدون به سوءاً (قالوا) اي قالت الملائكة (لا تخف) يا ابراهيم (وبشروه بغلام عليم) اي يكون عالما إذا كبر وبلغ والغلام المبشر به هو اسماعيل عن مجاهد وقيل هو اسحاق لأنه من سارة وهذه القصة لها عن اكثر المفسرين وهذا كله مفسر فيما مضى (فأقبلت امرأته في صرة) اي فلما سمعت البشارة امرأته سارة اقبلت في ضجة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل في جماعة عن الصادق «ع» وقيل في رفقة عن[٣] سفيان والمعنى اخذت تصيح وتولول كما قال قالت ياويلتى (فصكت وجهها) اي جمعت اصابعها فضربت جبينها تعجبا عن مقاتل والكلبي وقيل لطمت وجهها عن ابن عباس والصك ضرب الشيء بالشيء العريض (وقالت عجوز عقيم) اي انا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك قال ربك) اي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما فلا تشكي فيه (إنه هو الحكيم العليم) بخفايا الامور (قال) ابراهيم «ع» لهم (فما خطبكم) اي فما شأنكم ولأي امر جئتم (ايها المرسلون) وكأنه قال قد جئتم لأمر عظيم فما هو (قالوا انا ارسلنا إلى قوم مجرمين) اي عاصين لله كافرين لنعمه استحقوا العذاب والهلاك واصل الجرم القطع فالمجرم القاطع للواجب بالباطل فهؤلاء اجرموا بأن قطعوا الايمان بالكفر (لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك) هذا مفسر في سورة هود (للمسرفين) اي المكثرين من المعاصي المتجاوزين الحد فيها وقيل ارسلت الحجارة

(١) الهاديات: المتقدمات والجواحر: المتخلفات ولم تزيل: لم تتفرق (٢) [وقيل] (٣) وفي نسختين: في رفقة

على الغائبين وقلبت القرية بالحاضرين (فأخرجنا من كان فيها) اي في قرى قوم لوط (من المؤمنين) وذلك قوله فاسر باهلك الآية وذلك أن الله تعالى أمر لوطا بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين لئلا يصيبهم العذاب (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أي غير اهل بيت من المسلمين يعني لوطا وبنيه وصفهم الله بالإيمان والاسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم والإيمان هو التصديق بجميع ما أوجب الله التصديق به والإسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذي أوجبه الله والزمه ووجدان الضالة هو ادراكها بعد طلبها (وتركنا فيها) أي وأبقينا في مدينة قوم لوط (آية) أي علامة (للذين يخافون العذاب الأليم) أي تدلهم على أن الله اهلكهم فيخافون مثل عذابهم والترك في الأصل ضد الفعل ينافي الاخذ في محل القدرة عليه والقدرة عليه قدرة على الأخذ وعلى هذا فالترك غير داخل في افعال الله تعالى فالمعنى هنا أنا ابقينا فيها عبرة ومثله قوله وتركهم في ظلمات وقيل انه الانقلاب لان اقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

قوله تعالى (٣٨) وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٩) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٤٠) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤١) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤٢) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٣) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٤) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٥) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٦) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ تسع آيات.

القراءة

قرأ الكسائي الصعقة والباقون الصاعقة بالالف وقرأ ابو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم وقوم نوح بالجر والباقون قوم نوح بالنصب.

الحجة

قال ابو علي قال ابو زيد الصاعقة التي تقع من السماء والصاقعة التي تصقع الرؤوس وقال الاصمعي الصاعقة والصاقعة سواء وانشد الاصمعي:

يَحْكُونَ بِالْمَصْقُولَةِ الْقَوَاطِعِ تَشَقُّقَ الْبَرْقِ مِنَ الصَّوَاقِعِ

وأما الصعقة فقيل انها مثل الزجرة وهو الصوت الذي يكون عن الصاعقة قال بعض الرجاز

لَاحَ سَحَابٌ فَرَأَيْنَا بَرْقَهُ ثُمَّ تَدَانَى فَسَمِعْنَا صَعْقَهُ

ومن جر قوم نوح حمله على قوله وفي موسى اي أي وفي قوم نوح وقوله وفي موسى إذ أرسلناه عطف على احد شيئين اما ان يكون على وتركنا فيها آية وفي موسى أو على قوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي موسى اي وفي ارسال موسى آيات واضحة وفي قوم نوح آية ومن نصب فقال وقوم نوح جاز في نصبه أيضا امران كلاهما حمل على المعنى احدهما ان قوله اخذتهم الصاعقة يدل على اهلكناهم فكأنه قال واهلكنا قوم نوح والآخر ان قوله فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم يدل على اغرقناهم فكأنه قال اغرقناهم وأغرقنا قوم نوح.

اللغة

الركن الجانب الذي يعتمد عليه يقال ركن يركن وركن يركن ايضا مثل نصر ينصر. والمليم الذي

الأرض آيات) أي دلالات بينات وحجج نيرات (للموقنين) الذين يتحققون توحيد الله و إنما خص الموقنين لأنهم ينظرون فيها فيحصل لهم العلم بموجبها وآيات الأرض ما فيها من انواع المخلوقات من الجبال والبحار والنبات والاشجار كل ذلك دال على كمال قدرته وحكمته

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

(وفي انفسكم) أي وفي انفسكم ايضا آيات دالات على وحدانيته (أفلا تبصرون) أي افلا ترون انها مصرفة من حال إلى حال ومنتقلة من صفة إلى اخرى إذ كنتم نطفا فصرتم احياء ثم كنتم اطفالا فصرتم شبابا ثم كهولا فهلا دلكم ذلك على ان لها صانعا صنعها ومدبرا دبرها ومصرفا صرفها على مقتضى الحكمة وقيل إن المراد بذلك اختلاف الألسنة والصور والالوان والطبائع عن ابن عباس في رواية عطا وقيل يريد سبيل الخلاء والبول والأكل والشرب من مدخل واحد والمخرج من سبيلين وتم الكلام عند قوله وفي انفسكم ثم منعهم فقال افلا تبصرون وقيل يعني انه خلقك سميعا بصيرا تغضب وترضى وتجوع وتشبع وذلك كله من آيات الله تعالى عن الصادق (ع) وقيل إن المعنى أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه (وفي السماء رزقكم) ينزله الله اليكم بأن يرسل الغيث والمطر عليكم فيخرج به من الأرض انواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به (وما توعدون) من الثواب والعقاب عن عطاء. وقيل من الجنة والنار عن مجاهد والضحاك وقيل معناه وفي السماء تقدير رزقكم أي ما قسمه لكم مكتوب في ام الكتاب وجميع ما توعدون في السماء ايضا لأن الملائكة تنزل من السماء لقبض الأرواح ولاستنساخ الاعمال ولإنزال العذاب ويوم القيامة للجزاء. والحساب كما قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ثم قال سبحانه (فورب السماء والأرض انه لحق) اقسم سبحانه بنفسه ان ما ذكر من امر الرزق والآيات حق لا شك فيه عن الزجاج وقيل يعني أن ما قضى في الكتاب كائن عن الكلبي (مثل ما انكم تنطقون) أي مثل نطقكم الذي تنطقون به فكما لا تشكون فيما تنطقون فكذلك لا تشكوا في حصول ما وعدتم به شبه الله تعالى تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق الآدمي ووجوده فأراد انه لحق كما ان الآدمي ناطق وهذا كما تقول انه لحق كما انك هاهنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه وتحقق وجوده كالذي تعرفه ضرورة.

قوله تعالى (٢٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٥) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٦) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٧) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٨) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٩) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٣٠) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣١) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣٢) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٣) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٤) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٥) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٦) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٧) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. اربع عشرة آية.

اللغة

الروغ الذهاب إلى الشيء في خفية يقال راغ يروغ روغا وروغانا وهو اروغ من ثعلب والصرة شدة الصياح وهو من صرير الباب ويقال للجماعة صرة ايضا قال امرؤ القيس:

القراءة

في الشواذ قراءة يحيى والاعمش ذو القوة المتين بالخفض

الحجة

قال ابن جني هذا يحتمل امرين احدهما أن يكون وصفا للقوة وذكره على معنى الحبل يريد قوى الحبل كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى والآخر أن يكون المراد الرفع وصفا للرزاق إلا انه جاء على لفظ القوة لجوارها اياه على قولهم هذا جحر ضبٍّ خربٍ فهذا ضعيف.

اللغة

الايد القوة يقال آد الرجل يأيد ايداً إذا اشتد وقوي والمؤيّد الامر العظيم والايساع الاكثار من اذهاب الشيء في الجهات والماهد هو الموطئ للشيء وهو المهيئ لما يصلح الاستقرار عليه يقال مهد يمهد مهدا ومهد تمهيدا مثل وطئ توطئة والتواصي أن يوصي القوم بعضهم إلى بعض والوصية التقدمة في الامر بالأشياء المهمة مع النهي عن المخالفة واصل الذنوب الدلو الممتلئ ماءً يؤنث ويذكر قال:

لَنَا ذَنُوبٌ وَلَكُمْ ذَنُوبُ ... فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ (١)

وقال علقمة:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ ... فَحَقَّ لِشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ (٢)

المعنى

(والسماء بنيناها بأيد) تقديره وبنينا السماء بنيناها بقوة عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة أي خلقناها ورفعناها على حسن نظامها (وانا لموسعون) أي قادرون على خلق ما هو اعظم منها عن ابن عباس وقيل معناه وانا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر عن الحسن وقيل معناه وإنا لذو سعة لخلقنا أي قادرون على رزقهم لا نعجز عنه فالموسع ذو الوسع والسعة أي الغنى والجدة (والأرض فرشناها) أي وفرشنا الارض فرشناها اي بسطناها (فنعم الماهدون) نحن إذ فعلنا ذلك للمنافع ومصالح العباد لا لجر نفع ولا لدفع ضرر (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أي وخلقنا من كل شيء صنفين مثل الليل والنهار والأرض والسماء والشمس والقمر والجن والانس والبر والبحر والنور والظلمة عن الحسن ومجاهد وقيل الزوجين الذكر والانثى عن ابن زيد (لعلكم تذكرون) أي لكي تعلموا أن خالق الأزواج واحد فرد لا يشبهه شيء (ففروا إلى الله) أي فاهربوا من عقاب الله إلى رحمته وثوابه بإخلاص العبادة له وقيل ففروا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما امركم به وقيل معناه حجوا عن الصادق «ع» (اني لكم منه) اي من الله (نذير) مخوف من عقابه (مبين) لكم ما ارسلت به (ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) أي لا تعبدوا معه معبودا آخر من الاصنام والأوثان (اني لكم منه نذير مبين) والوجه في تكريره أن الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول اذ تقديره اني لكم منه نذير في الامتناع من جعل إله آخر معه وتقدير الأول إني لكم منه نذير في ترك الفرار اليه بطاعته فهو كقولك انذرك أن تكفر بالله انذرك ان تتعرض لسخط الله والنذير المخبر بما يحذر منه وهو يقتضي المبالغة والمنذر صفة جارية على الفعل والمبين الذي يأتي ببيان الحق من الباطل ثم قال (كذلك) اي الأمر كذلك وهو انه (ما اتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) أي لم يأت الذين من قبلهم يعني كفار مكة من الامم رسول إلا قالوا ساحر محتال بالحيل اللطيفة أو مجنون به جنون فهو مغطى على عقله بما لا يتوجه للادراك به ثم قال سبحانه (اتواصوا به) اي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب والاستفهام للتوبيخ (بل هم قوم طاغون) معناه لم يتواصوا بذلك لكنهم طاغون

(١) يقسم الماء ويقول: لنا دلو منه ولكم دلو فان لم ترضوا بالقسمة فنقهركم ونملك الماء نحن فقط (٢) خبط زيد عمرا بخير: اعطاه. خير معرفة بينهما وشاس اخو الشاعر.

طغوا في معصية الله وحملهم الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيب أنبيائي ثم قال للنبي ﷺ (فتول عنهم) أي فأعرض عنهم يا محمد فقد بلّغت وأنذرت وهو قوله (فما أنت بملوم) أي في كفرهم وجحودهم بل اللائمة والذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم اليه قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ والمؤمنون وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حل حتى نزلت الآية الثانية وروي بالإسناد عن مجاهد قال خرج علي بن ابي طالب (ع) مغتما مشتملا في قميصه فقال لما نزلت فتول عنهم فما انت بملوم لم يبق أحد منا إلا أيقن بالهلكة حين قيل للنبي ﷺ فتول عنهم فلما نزل (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) طابت نفوسنا ومعناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم عن الكلبي (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي لم أخلق الجن والإنس إلا لعبادتي والمعنى لعبادتهم اياي عن الربيع فإذا عبدوني استحقوا الثواب وقيل إلا لآمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة عن مجاهد واللام لام الغرض والمراد ان الغرض في خلقهم تعريضهم للثواب وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات فصار كأنه سبحانه خلقهم للعبادة ثم انه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض ويكون كمن هيأ طعاما لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم فإنه لا ينسب إلى السفه ويصح غرضه فإن الأكل موقوف على اختيار الغير وكذلك المسألة فإن الله إذا أزاح علل المكلفين من القدرة والآلة والالطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتي من قبل نفسه لا من قبله سبحانه وقيل معناه إلا ليقروا بالعبودية طوعا وكرها عن ابن عباس (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) هذا نفي الإيهام عن خلقهم لعبادته ان يكون ذلك لعائدة نفع يعود عليه تعالى فبين انه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لاستحالة النفع عليه لأنه غني لنفسه فلا يحتاج إلى غيره وكل الخلق يحتاج اليه وقيل معناه ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم وما أريد ان يطعموا أحدا من خلقي وانما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال احد فقد أطعمه (ان الله هو الرزاق) لعباده وللخلائق كلهم فلا يحتاج إلى معين (ذو القوة) اي ذو القدرة (المتين) أي القوي الذي يستحيل عليه العجز والضعف إذ هو القادر لنفسه يقال متن متانة فهو متين إذا قوي (فإن للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر والمعاصي (ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم) اي نصيبا من العذاب مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا نحو قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) بإنزال العذاب عليهم فإنهم لا يفوتون (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) هذا يدل على انهم اخروا إلى يوم القيامة والويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في الهلكة

النظم

وجه اتصال قوله والسماء بنيناها بأيد بما قبله هو انه في قوم نوح آية وفي السماء ايضا آية فهو متصل به في المعنى

سورة والطور (مكية)

﴿ عدد آيها ﴾

تسع واربعون آية كوفي شامي وثمان بصري وسبع حجازي

﴿ اختلافها ﴾

آيتان والطور عراقي شامي دعاً كوفي شامي

﴿ فضلها ﴾

ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ انه قال ومن قرأ سورة والطور[1] كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب وروى محمد ابن هشام عن ابي جعفر «ع» قال من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والآخرة.

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الذاريات بالوعيد افتتح هذه السورة بوقوع الوعيد فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالطُّورِ (٢) وكِتٰبٍ مَسْطُورٍ (٣) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٤) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٥) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٦) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٨) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٩) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً (١٠) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً (١١) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٢) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٣) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً (١٤) هٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٥) أَفَسِحْرٌ هٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ (١٦) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

ست عشرة آية

﴿ اللغة ﴾

قال المبرد يقال لكل جبل طور فإذا دخلت الألف واللام للمعرفة فهو لشيء بعينه والرق جلد يكتب فيه واصله من اللمعان يقال ترقرق الشيء إذا لمع والرقراق ترقرق السراب والمسجور المملوء يقال سجرت التنور اي ملأتها ناراً وعين سجراء ممتلئة فيها حمرة كأنها احمرت مما هو حولها كالسجار للتنور قال لبيد:

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعَا ... مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلاَّمُهَا[2]

والمور تردد الشيء بالذهاب والمجيء كما يتردد الدخان ثم يضمحل مار يمور موراً فهو ماثر وروى بيت الأعشى:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَوْرُ السَّحَابَةِ لاَ رَيْثٌ وَلاَ عَجَلُ

وقيل مر السحابة والخوض الدخول في الماء بالقدم وشبه به الدخول في القول والدع الدفع يقال دعه

(١) في بعض النسخ: سورة الطور (٢) مر البيت في ج ٦ ص ٥١٠.

يدعّه دعّاً وصكّه يصكّه صكّاً مثله

الإعراب

والطور الواو للقسم وما بعده عطف عليه والعامل في قوله يوم تمور السماء موراً قوله واقع اي يقع في ذلك اليوم ويجوز ان يكون يوم هاهنا على تقدير إذا ويكون العامل فيه جوابه وهو الفاء وما بعده من قوله فويل يومئذ للمكذبين كما جاء ويوم يحشر اعداء الله إلى النار فهم يوزعون وقوله ويوم يدعّون بدل من قوله يوم تمور السماء وان شئت كان التقدير فيه يوم يدعّون إلى نار جهنم دعّاً يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون فيعمل فيه يقال . أفسحر هذا مبتدأ وخبر أم أنتم أي بل أنتم لا تبصرون .

المعنى

(والطور) أقسم الله سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى (ع) بالأرض المقدسة عن الجبائي وجماعة من المفسرين وقيل هو الجبل أقسم به لما اودع فيه من أنواع نعمه عن مجاهد والكلبي (و كتاب مسطور) اي مكتوب وهو الكتاب الذي كتبه الله للملائكته في السماء يقرؤون فيه ماكان وما يكون وقيل هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وهو الرق المنشور وقيل هو صحائف الأعمال التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة فمنهم آخذ كتابه بيمينه وآخذ بشماله وهذا كقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا عن الفراء وقيل هو التوراة كتبها الله لموسى فخص الطور بالذكر لبركتها و كثرة منافعها في الدنيا وذكر الكتاب لعظم موقعها من الدين عن الكلبي وقيل انه القرآن يكتبه المؤمنون (في رق منشور) أي وينشرونه لقراءته والرق ما يكتب فيه وقيل الرق هو الورق عن ابي عبيدة وقيل انما ذكر الرق لأنه من أحسن مايكتب فيه وإذا كتبت الحكمة فيما هو على هذه الصفة كان أبهى والمنشور المبسوط (والبيت المعمور) وهو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة عن ابن عباس ومجاهد وروي أيضا عن امير المؤمنين (ع) قال ويدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه أبداً وروي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال البيت المعمور في السماء الدنيا وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل كل يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه[1] سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه فيفعلون ثم لا يعودون اليه أبداً وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ البيت الذي في السماء الدنيا يقال له الضراح وهو بفناء البيت الحرام لو سقط سقط عليه يدخله كل يوم الف[2] ملك لا يعودون اليه[3] أبداً وقيل البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام معمور بالحج والعمرة عن الحسن وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض (والسقف المرفوع) هو السماء عن علي (ع) ومجاهد وقتادة وابن زيد قالوا هي كالسقف للأرض رفعها الله (والبحر المسجور) أي المملوء عن قتادة وقيل هو الموقد المحمى بمنزلة التنور عن مجاهد والضحاك والاخفش وابن زيد ثم قيل انه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيرانا ثم تفجر بعضها في بعض ثم تفجر إلى النار وورد به الحديث (ان عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم أقسم الله بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم القدرة على ان تعذيب المشركين حق واقع لا محالة (ما له من دافع) يدفع عنهم ذلك العذاب ثم بين سبحانه انه متى يقع فقال (يوم تمور السماء موراً) أي تدور دورانا وتضطرب وتموج وتتحرك وتستدير كل هذه من عبارات

(١) في المخطوطة : عنه (٢) في نسخة : سبعون الف ملك (٣) في بعض النسخ : فيه

المفسرين (وتسير الجبال سيراً) أي تسير الجبال وتزول من أماكنها حتى تستوي الأرض (فويل يومئذ للمكذبين) دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة والتقدير إذا كان هذا فويل لمن يكذب الله ورسوله (الذين هم في خوض) أي في حديث باطل يخوضون وهو الحديث الذي كان يخوض فيه الكفار من انكار البعث وتكذيب النبي ﷺ (يلعبون) يلهون بذكره (يوم يدعون) أي يدفعون (إلى نار جهنم دعا) أي دفعا بعنف وجفوة قال مقاتل هو ان تغل ايديهم إلى اعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعا على وجوههم حتى إذا دنوا قال لهم خزنتها (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا ثم يخوم[1] لما عاينوا بما كانوا يكذبون به وهو قوله (افسحر هذا) الذي ترون انتم (ام انتم لا تبصرون) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا ﷺ إلى السحر وإلى انه يغطي على الابصار بالسحر فلما شاهدوا ماوعدوا به من العذاب وبخوا بهذا ثم يقال لهم (اصلوها) اي قاسوا شدتها (فاصبروا) على العذاب (او لا تصبروا) عليه (سواء عليكم) الصبر والجزع (إنما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا من المعاصي بكفركم وتكذيبكم الرسول.

قوله تعالى (١٧) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٨) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٩) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٠) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢٢) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٣) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٤) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٥) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٦) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٧) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٨) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ اثنتا عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو واتبعناهم بالنون والألف وقطع الهمزة ذرياتهم بالألف وكسر التاء الحقنا بهم ذرياتهم كذلك وقرأ اهل المدينة واتبعتهم بالتاء ووصل الهمزة ذريتهم بالرفع الحقنابهم ذرياتهم على الجمع وقرأ ابن كثير واهل الكوفة واتبعتهم ذريتهم الحقنابهم ذريتهم كذلك وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل اتبعتهم ذرياتهم جمع الحقنا بهم ذرياتهم ايضا وقرأ ابن كثير وما التناهم بكسر اللام والباقون التناهم بفتح اللام وقرأ اهل المدينة والكسائي أنه هو البر الرحيم بالفتح والباقون انه بالكسر وفي الشواذ قراءة عبد الله وابراهيم وزوجناهم بعيس عين وقراءة الاعرج وما آتناهم على افعلناهم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الذرية تقع على الصغير والكبير فالأول نحو قوله ذرية طيبة والثاني نحو قوله ومن ذريته داود وسليمان فإن حملت الذرية في الآية على الصغار كان قوله بإيمان في موضع نصب على الحال من

(١) وفي بعض النسخ : ويخم (٢) ليس في بعضها لفظة جمع .

المفعولين اي اتبعتهم بايمان من الآباء ذريتهم الحقنا الذرية بهم في احكام الاسلام فجعلناهم في حكمهم في انهم يرثون ويورثون ويدفنون في مقابر المسلمين وحكمهم حكم الآباء في احكامهم إلا فيما كان موضوعا عن الصغير لصغره وان جعلت الذرية للكبار كان قوله بايمان حالا من الفاعلين الذين هم ذريتهم اي الحقنا بهم ذريتهم في احكام الدنيا والثواب في الآخرة وما التناهم من عملهم أي من جزاء عملهم من شيء كما قال فلا تظلم نفس شيئا وكما قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن قرأ ذريتهم فأفرد فلأن الذرية تقع على الكثرة فاستغنى بذلك عن جمعه وكذا القول في بهم ذريتهم في انه افرد ذريتهم والحق التاء في اتبعتهم لتأنيث الاسم ومن جمعه فلأن المجموع قد يجمع نحو اقوام وطرقات وفي الحديث انكن صواحبات يوسف ومن قرأ التناهم بكسر اللام فيشبه أن يكون فعلنا لغة كما قالوا تقم ينقم ونقيم ينقم ومن قرأ ندعوه انه بالفتح فالمعنى لأنه هو البر الرحيم ومن كسر قطع الكلام عما قبله واستأنف قال ابن جني المرأة العيساء البيضاء ومثله جمل اعيس وناقة عيساء قال كأنها البكرة العيساء ويقال ألته يألته الته وآلته يولته ايلاتا ولاته يليته ليتا وولته يلته ولتا اي نقصه قال الحطيئة:

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي سَعْدٍ مُغَلْغَلَةً ... جُهْدَ الرِّسَالَةِ لَا أَلْتًا وَلَا كَذِبَا

المعنى

لما تقدم وعيد الكفار عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال (إن المتقين) الذين يجتنبون معاصي الله خوفا من عقابه (في جنات) اي في بساتين تجنها الاشجار (ونعيم) أي وفي نعيم (فاكهين بما آتيهم ربهم) اي متنعمين بما اعطاهم ربهم من انواع النعيم وقيل فاكهين معجبين بما آتيهم ربهم عن الزجاج والفراء (ووقيهم) اي وصرف عنهم (ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا) اي يقال لهم كلوا واشربوا (هنيئا بما كنتم تعملون) اكلا وشربا هنيئا مأمون العاقبة من التخمة والسقم ثم ذكر حالهم في الأكل والشرب فقال (متكئين على سرر مصفوفة) والسرر جمع سرير والمصفوفة المصطفة الموصول بعضها ببعض وقيل إن في الكلام حذفا تقديره متكئين على نمارق موضوعة على سرر لكنه حذف لأن اللفظ يدل عليه من حيث إن الاتكاء جلسة راحة ودعة ولا يكون ذلك إلا على الوسائد والنمارق (وزوجناهم بحور عين) فالحور البيض النقيات في حسن وكمال والعين الواسعات الاعين في صفاء وبهاء ومعناه قرنا هؤلاء المتقين بحور عين على وجه التمتيع لهم والتنعيم وعن زيد بن ارقم قال جاء رجل من اهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال يا أبا القاسم تزعم أن اهل الجنة يأكلون ويشربون فقال والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليؤتى قوة مائة رجل على الأكل والشرب والجماع قال فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عرق يفيض مثل ريح المسك فإذا كان ذلك ضمر بطنه (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم) يعني بالذرية اولادهم الصغار والكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء فالولد يحكم له بالإسلام تبعا لوالده واتبع بمعنى تبع ومن قرأ وأتبعناهم فهو منقول من تبع ويتعدى إلى المفعولين وقيل الإتباع الحاق الثاني بالأول في معنى يكون الأول عليه لأنه لو الحق به من غير أن يكون في معنى هو عليه لم يكن إتباعا وكان إلحاقا والمعنى أنا نلحق الأولاد بالآباء في الجنة والدرجة من اجل إيمان الآباء لتقر أعين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة كما كانت تقر بهم في الدنيا عن ابن عباس والضحاك

وابن زيد وفي رواية اخرى عن ابن عباس انهم البالغون الحقوا بدرجات آبائهم وان قصرت اعمالهم تكرمة لآبائهم فإن قيل كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقوه فالجواب انهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة وروى زاذان عن علي (ع) قال قال رسول الله ﷺ إن المؤمنين واولادهم في الجنة ثم قرأ هذه الآية وروي عن الصادق قال اطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة (وما التناهم من عملهم من شيء) اي لم ننقص الآباء من الثواب حين الحقنا بهم ذرياتهم عن ابن عباس ومجاهد وتم الكلام ثم ذكر سبحانه اهل النار فقال (كل امرئ بما كسب رهين) أي كل امرئ كافر مرتهن في النار بما كسب أي بما عمل من الشرك عن مقاتل والمؤمن من لا يكون[1] مرتهنا لقوله كل نفس بما كسبت رهينة إلا اصحاب اليمين فاستثنى المؤمنين وقيل معناه كل انسان يعامَل بما يستحقه ويجازى بحسب ما عمله ان عمل طاعة اثيب وإن عمل معصية عوقب ولا يؤاخذ احد بذنب غيره ثم ذكر سبحانه ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال (وامددناهم بفاكهة) اي اعطيناهم حالا بعد حال فإن الإمداد هو الاتيان بالشيء بعد الشيء والفاكهة جنس الثمار (ولحم مما يشتهون) أي وأعطيناهم وامددناهم بلحم من الجنس الذي يشتهونه (يتنازعون فيها كأسا) اي يتعاطون كأس الخمر ثم وصف الكأس فقال (لا لغو فيها ولا تأثيم) أي لا يجري بينهم باطل لأن اللغو ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا بين شرب الخمر والتأثيم تفعيل من الإثم يقال اثمه إذا جعله ذا اثم يعني أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين وقيل معناه لا يتسابّون عليها ولا يؤثم بعضهم بعضا عن مجاهد (ويطوف عليهم) للخدمة (غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) في الحسن والصباحة والصفاء والبياض والمكنون المصون المخزون وقيل انه ليس على الغلمان مشقة في خدمة أهل الجنة بل لهم في ذلك اللذة والسرور اذ ليست تلك الدار دار محنة وذكر عن الحسن انه قال قيل يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم فقال والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) اي يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا عن ابن عباس وهو قوله (قالوا إنا كنا قبل في اهلنا مشفقين) أي خائفين في دار الدنيا من العذاب (فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم) اي عذاب جهنم والسموم من اسماء جهنم عن الحسن وقيل ان المعنى يسأل بعضهم بعضا عما فعلوه في الدنيا فاستحقوا به المصير إلى الثواب والكون في الجنان فيقولون انا كنا في دار التكليف مشفقين اي خائفين رقيقي القلب فإن الاشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشيء والشفقة نقيض الغلظة واصله الضعف من قولهم ثوب شفق اي ضعيف النسج ومنه الشفق للحمرة عند غروب الشمس لأنها حمرة ضعيفة وقوله في اهلنا مشفقين يريد فيمن يختص به ممن هو اولى بنا والأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو اولى به والسموم الحر الذي يدخل في مسام البدن يتألم به واصله من السم الذي هو مخرج النفس فكل خرق سم او من السم الذي يقتل قال الزجاج يريد عذاب سموم جهنم وهو ما يوجد من لفحها وحرها (انا كنا من قبل) اي في الدنيا (ندعوه) اي ندعو الله تعالى ونوحّده ونعبده (انه هو البر) اي اللطيف واصله اللطف مع عظم الشأن ومنه البرة للطفها مع عظم النفع بها وقيل البر الصادق فيما وعده (الرحيم) بعباده.

قوله تعالى (٢٩) فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٣٠) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣١) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣٢) أَمْ

(١) وبعض النسخ : والمؤمن لايكون .

تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٣) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٤) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَٰلِقُونَ (٣٦) أَمْ خَلَقُوا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٧) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٨) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٩) أَمْ لَهُ الْبَنَٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٤٠) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ

اثنتا عشرة آية

القراءة

قرأ ابن كثير المسيطرون بالسين و في الغاشية بمصيطر بالصاد وقرأ ابن عامر كليهما بالسين وقرأ بإشمام الزاء[1] فيهما حمزة إلا العجلي فإنه قرأ بالصاد فيهما وقرأ الباقون بالصاد فيهما.

الحجة

قال ابو عبيدة المسيطرون الأرباب يقال تسيطرت علي اتخذتني خولا والاصل السين و كل سين بعده طاء يجوز أن تقلب صاداً تقول صطر وسطر وقد مر بيانه في سورة الفاتحة.

اللغة

الكاهن الذي يذكر انه يخبر عن الحق على طريق العرائم والكهانة صنعة الكاهن والمنون المنية وريبها الحوادث التي تريب عند مجيئها قال:

تَرَبَّصْ بِهَا رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّهَا ... سَيَهْلِكُ عَنْهَا بَعْلُهَا أَوْ سَيَجْنَحُ[2]

والتربص الانتظار بالشيء من انقلاب حال له إلى خلافها والاحلام جمع الحلم وهو الإمهال الذي يدعو اليه العقل والحكمة والمسيطر الملزم غيره أمراً من الأمور قهرا مأخوذ من السطر والمثقل المحمول عليه ما يشق حمله

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (فذكر) يا محمد أي فعظ هؤلاء المكلفين ولا تترك دعوتهم وان اساءوا قولهم فيك (فما أنت بنعمت ربك) أي بإنعام ربك عليك بالنبوة وهذا قسم (بكاهن) وهو الذي يوهم انه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن (ولا مجنون) وهو المؤوف بما يغطي على عقله وقد علم الكفار انه ﷺ ليس بكاهن ولا مجنون لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذيب على اعدائهم (ام يقولون) أي بل يقولون (هو شاعر نتربص به ريب المنون) اي ننتظر به حدثان الموت وحوادث الدهر فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى المنية وام هذه[3] المنقطعة بمعنى الترك والتحول كقول علقمة[4]

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومُ ... أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومُ

فكأنه قال[5] حبلها مصروم لأن بعده قوله:

(١) وفي نسخة : الزاء (٢) اى انتظر بها حوادث الدهر فاما يهلك بعلها او ينصرف عنها ويتركها فتزوجها (٣) وفي المخطوطة : ذهبي المنقطعة (٤) وفي نسختين :علقمة بن عبدة (٥) وفيهما بل أحبلها

أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ ... إِثْرَ الْأَحِبَّةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُومُ (١)

ثم قال سبحانه (قل) لهم يا محمد (تربصوا فإني معكم من المتربصين) أي انكم ان تربصتم في حوادث الدهر فإني منتظر مثل ذلك بكم وتربص الكفار بالنبي ﷺ والمؤمنين قبيح وتربص النبي ﷺ والمؤمنين بالكفار وتوقعهم لهلاكهم حسن وقوله فتربصوا وان كان بصيغة الأمر فالمراد به التهديد (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) أي بل أتأمرهم عقولهم بما يقولونه لك ويتربصونه بك قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالأحلام والعقول فأزرى الله سبحانه بعقولهم حيث لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ثم اخبر سبحانه عن طغيانهم فقال (أم هم قوم طاغون) وقرأ مجاهد بل هم قوم طاغون وبل في المعنى قريبة من ام هنا إلا ان ما بعد بل متيقن وما بعد ام مشكوك فيه والمعنى ان عقولهم لم تأمرهم بهذا ولم تدعهم اليه بل حملهم الطغيان على تكذيبك (ام يقولون تقوله) أي افتعل القرآن وتكذبه من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يقال ذلك إلا في الكذب (بل لا يؤمنون) أي ليس الأمر كما زعموا بل ثبت انه من عند الله ولكنهم لا يصدقون بذلك عنادا وحسدا واستكبارا ثم الزمهم سبحانه الحجة وتحداهم فقال (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن وما يقاربه في نظمه وفصاحته وحسن بيانه وبراعته (ان كانوا صادقين) في انه تقوله محمد ﷺ فإذا لم يقدروا على الإتيان بمثله فليعلموا ان محمدا ﷺ لم يتقوله من تلقاء نفسه بل هو من عند الله تعالى ثم احتج عليهم بابتداء الخلق فقال (أم خلقوا من غير شيء) أي ام خلقوا لغير شيء أي أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ونحو هذا عن الزجاج وقيل معناه أم خلقوا عبثا وتركوا سدى عن ابن كيسان وهذا في المعنى مثل الأول وقيل معناه أخلقوا من غير خالق ومدبر دبرهم (أم هم الخالقون) أنفسهم فلا يجب عليهم لله امر عن ابن عباس (ام خلقوا السموات والارض) واخترعوهما فلذلك لا يقرون بالله وبأنه خالقهم (بل لا يوقنون) بأن لهم إلها يستحق العبادة وحده وانك نبي من جهة الله (ام عندهم خزائن ربك) أي بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا عن مقاتل وعكرمة وقيل أراد خزائن المطر والرزق عن الكلبي وابن عباس وقيل خزائنه مقدوراته فلا يأتيهم إلا ما يجبون عن الجبائي (٢) (أم هم المسيطرون) أي الأرباب المسلطون على الناس فليس عليهم مسيطر ولا لهم ملزم ومقوم وقيل معناه أم هم المالكون الناس القاهرون لهم عن الجبائي (ام لهم سلم) أي مرقى ومصعد إلى السماء (يستمعون فيه) الوحي من السماء فقد وثقوا بما هم عليه وردوا ما سواه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة واضحة ان ادعى ذلك والتقدير يستمعون عليه فهو كقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل وانما قيل لهم ذلك لأن كل من يدعي مالا يعلم ببداية (٣) العقول فعليه اقامة البينة والحجة (أم له البنات ولكم البنون) وهذا تسفيه لأحلامهم إذ أضافوا إلى الله سبحانه ما أنفوا منه وهذا غاية في جهلهم إذ جوزوا عليه سبحانه الولد ثم ادعوا انه اختار الأدون على الأعلى (ام تسئلهم أجرا) اي ثوابا على اداء الرسالة وعلى ما جئتهم به من الدين والشريعة (فهم من مغرم مثقلون) أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم فمنعهم ذلك عن الإيمان بك.

قوله تعالى (٤١) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٢) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٣) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٤) وَإِنْ

(١) قوله: لم يقض عبرته حال من الضمير في بكى الراجع الى الكبير وبكى وصف لكبير وإثر الاحبة متعلق ببكى والبين الفراق ومشكوم مأخوذ من الشكيمة وهي حديدة معترضة في فم الفرس اى مسدود فوه (٢) وفي نسخة: بدل الجبائي: ابن عباس (٣) وفي نسخة ببداهة العقول

يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٥) فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٦) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٧) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٨) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ

تسع آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء والباقون بفتحها وقرأ زيد عن يعقوب وادبار النجوم بفتح الألف والباقون بكسرها

الحجة

يقال صعق الرجل يصعق ومن قرأ يصعقون بضم الياء فإنه على نقل الفعل بالهمزة صعقهم[1] واصعقهم غيرهم وحكى ابو الحسن صعق فعلى هذا يجوز أن يكون يصعقون منه ومن قرأ وأدبار النجوم فإنه يكون كقولهم اعقاب النجوم قال:

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ كَنَاظِرٍ ... مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ[2]

اللغة

الكيد هو المكر وقيل هو فعل ما يوجب الغيظ في خفية والكسف جمع كسفة فهو مثل سدرة وسدر والكسفة القطعة من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس والمركوم هو الموضوع بعضه على بعض

المعنى

ثم قال سبحانه (ام عندهم الغيب فهم يكتبون) أي اعندهم الغيب حتى علموا أنّ محمدا ﷺ يموت قبلهم وهذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون عن قتادة وقيل أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ويخبرون به الناس من ابن عباس وقيل هو جواب لقولهم ان كان أمر الآخرة حقا كما تدّعون فلنا الجنة ومثله ولئن رجعت الى ربي إن لي عنده للحسنى عن الحسن والغيب الذي لا يعلمه إلا الله هو ما لا يعلمه العاقل ضرورة ولا عليه دلالة فالله عالم به لأنه يعلمه لنفسه والعالم لنفسه يعلم جميع المعلومات فلا يخفى عليه شيء منها (أم يريدون كيدا) اي مكرا بك وتدبير سوء في بابك ـ ـ على ما دبّروه في دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) اي هم المجزيون بكيدهم فإن ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق بهم مكرهم كما جزى الله سبحانه أهل دار الندوة بكيدهم أن قتلهم ببدر (ام لهم إله غير الله) يرزقهم ويحفظهم وينصرهم يعني ان الذين أتخذوهم آلهة لا تنفعهم ولا تدفع عنهم ثم نزّه سبحانه نفسه فقال (سبحان الله عما يشركون) به من الآلهة ثم ذكر سبحانه عنادهم وقسوة قلوبهم فقال (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) يعني ان عذّبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لن ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب وهو قوله (يقولوا سحاب مركوم) بعضه على بعض وكل هذه الامور المذكورة بعد ام في هذه السورة الزامات لعبدة الأوثان على مخالفة القرآن ثم قال سبحانه يخاطب النبي ﷺ (فذرهم) يا محمد اي اتركهم (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) اي يهلكون بوقوع الصاعقة عليهم وقيل الصعقة النفخة الاولى التي يهلك عندها جميع الخلائق ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا) اي لا تنفعهم حيلتهم ولا تدفع عنهم شيئا (ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) يعني

(١) في سائر النسخ: صعقوهم (٢) يشبّه حاله في وصال الليلى وهجرانها ويأسه من الوصال بمن ينظر في اعقاب النجم عند الصباح هو آيس منه لانه في حال الغروب.

كفار مكة (عذابا دون ذلك) اي دون عذاب الآخرة يعني القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل يريد عذاب القبر عن ابن عباس ايضا والبراء بن عازب وقيل هو الجوع في الدنيا والقحط سبع سنين عن مجاهد وقيل هو مصائب الدنيا عن ابن زيد وقيل هو عام جميع ذلك (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ما هو نازل بهم (واصبر) يا محمد (لحكم ربك) الذي حكم به والزمك التسليم له الى ان يقع عليهم العذاب الذي حكمنا عليهم وقيل واصبر على أذاهم حتى يرد امر الله عليك بتخليصك (فإنك بأعيننا) اي بمرأى منا ندركك ولا يخفى علينا شيء من أمرك ونحفظك لئلا يصلوا الى شيء من امرك ونحفظك لئلا يصلوا الى شيء من مكروهك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من نومك عن ابي الاحوص وقيل حين تقوم الى الصلاة المفروضة فقل سبحانك اللهم وبحمدك عن الضحاك وقيل معناه وصل بأمر ربك حين تقوم من مقامك عن ابن زيد وقيل الركعتان قبل صلاة الفجر عن ابن عباس والحسن وقيل حين تقوم من نوم القائلة وهي صلاة الظهر عن زيد بن اسلم وقيل حين تقوم من المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك لا إله الا انت اغفر لي وتب عليّ عن عطا وسعيد بن جبير وقد روي مرفوعا انه كفارة المجلس وقيل معناه اذكر الله بلسانك حين تقوم الى الصلاة الى ان تدخل في الصلاة عن الكلبي فهذه سبعة اقوال (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة الليل وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) في هذه الآية قالا ان رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل ثلاث مرات فينظر في آفاق السماء ويقرأ الخمس من آل عمران التي آخرها انك لا تخلف الميعاد ثم يفتتح صلاة الليل الخبر بتمامه وقيل معناه صل المغرب والعشاء الآخرة عن مقاتل وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح وقيل يعني صلاة الفجر المفروضة عن الضحاك وقيل إن المعنى لا تغفل عن ذكر ربك صباحا ومساء ونزّهه في جميع احوالك ليلا نهارا فإنه لا يغفل عنك وعن حفظك وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه قد ضمن حفظه وكلاءته حتى يبلّغ رسالته.

(سورة النجم مكّية)

المعذل عن ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت بالمدينة الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش الآية وعن الحسن قال هي مدنية

(عدد آيها)

اثنتان وستون آية كوفي وآية في الباقين

(اختلافها)

ثلاث آيات من الحق شيئاً كوفي ممن تولى شامي الحياة الدنيا غير شامي

(فضلها)

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة النجم اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ﷺ ومن جحد به. يزيد بن خليفة عن ابي عبد الله (ع) قال من كان يدمن قراءة والنجم في كل يوم او في كل ليلة عاش محمودا بين الناس وكان مفقوداً وكان محبّباً بين الناس

تفسيرها

افتتح الله سبحانه هذه السورة بذكر النبي ﷺ كما ختم بذكر سورة الطور حتى اتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (٢) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٣) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٥) عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ (٦) ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ (٧) وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ (٨) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٩) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (١٠) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ عشر آيات

« القراءة »

امال حمزة والكسائي وخلف اواخر آيات هذه السورة كلها وجميع اشباهها وقرأ اهل المدينة وابو عمرو بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وكذلك كل سورة آياتها على الياء مثل سورة طه و والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والضحى وأشباهها وكل ما كان على وزن فعلى أو فُعلى أو فِعلى في جميع القرآن فإن أبا عمرو يقرؤها بين الفتح والكسر أيضا في رواية شجاع وأكثر الروايات عن اليزيدي والباقون يفتحون ويفخمون وابن كثير وعاصم أشد تفخيماً في ذلك كله.

الحجة

اما ترك الامالة والتفخيم للألف فهو قول كثير من الناس والامالة أيضا قول كثير منهم فمن ترك كان مصيبا ومن أخذ بها كان مصيباً.

اللغة

الهُوِيّ والنزول والسقوط نظائر هوى يهوى هَويا أو هُوِيّاً قال الهذلي:

وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ الْأَجْدَلِ (١)

ومنه سميت الهاوية لأنها تهوي بأهلها من أعلاها إلى أسفلها والغي الخيبة ومنه الغواية والوحي القاء المعنى إلى النفس في خفية إلا انه صار كالعلم فيما يلقيه الملك إلى النبي من البشر(٢) عن الله تعالى ومنه قوله وأوحى ربك إلى النحل أي ألهمها مراشدها والقوة القدرة وأصله الشدة وأصل المرة شدة الفتل ثم تجري المرة على القدرة فالمرة والقوة والشدة نظائر والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق وقد سمى نواحي الأرض آفاقا على التشبيه قال الشاعر في المعنى الأول:

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

وقال امرؤ القيس في المعنى الثاني.

لَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّىٰ رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

والتدلي الامتداد إلى جهة السفل يقال دلاه صاحبه فتدلى والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن مقدار الشيء

الإعراب

وهو بالأفق الأعلى مبتدأ وخبر في موضع الحال وقال الفراء هو معطوف على الضمير في استوى أي استوى جبرائيل والنبي ﷺ بالأفق الأعلى والتقدير استوي هو وهو قال وحسن ذلك لئلا يتكرر هو وأنشد:

(١) المخارم : افواه الفجاج والفجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين والاجدل: الصقر. يشبه فرسا بالصقر اى اذا سرت به فى فجاج الارض رأيته يهوى من افواه الفجاج هُوِيّ الصقر (٢) وفى نسخة : السر .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّبْعَ يَصْلُبُ عُودُهُ وَلَا يَسْتَوِي وَالْخِرُوعُ الْمُتَقَصِّفُ(١)

قال الزجاج وهذا لا يجوز إلا في الشعر لأنهم يستقبحون استويت وزيد وانما المعنى فاستوى جبرائيل وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل فأحب رسول الله ﷺ ان يراه على صورته الحقيقية فاستوى في افق المشرق فملأ الأفق:

﴿ المعنى ﴾

(والنجم إذا هوى) قيل في معناه أقوال ﴿ أحدها ﴾ ان الله أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوما متفرقة على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة عن الضحاك ومجاهد والكلبي فسمي القرآن نجما لتفرقه في النزول والعرب تسمي التفريق تنجيما والمفرق منجما ﴿ وثانيها ﴾ انه أراد بالنجم الثريا أقسم بها إذا سقطت وغابت مع الفجر عن ابن عباس ومجاهد والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة قال ابو ذؤيب:

فَوَرَدْنَ وَالْعَيُّوقُ مَقْعَدَ رَابِئٍ الضَّرْبَاءِ فَوْقَ النَّجْمِ لَا يَتَتَلَّعُ(٢)

قال ابن دريد والثريا سبعة انجم ستة ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد به جماعة النجوم إذا هوت أي سقطت وغابت وخفيت عن الحس وأراد به الجنس كما قال الراعي:

وَبَاتَ يَعُدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعٍ بِأَيْدِي الْآكِلِينَ جُمُودُهَا(٣)

ثم قيل أشار بأفول النجم إلى طلوعه لأن ما يأفل يطلع فاستدل بأفوله وطلوعه على وحدانية الله تعالى وحركات النجم توصف بالهوي عن الجبائي وقيل ان هويه سقوطه يوم القيامة فيكون كقوله وإذا الكواكب انتثرت من الحس ﴿ ورابعها ﴾ انه يعني به الرجوم من النجوم وهو ما يرمى به الشياطين عند استراق السمع عن ابن عباس وروت العامة عن جعفر الصادق (ع) انه قال محمد رسول الله ﷺ نزل من السماء السابعة ليلة المعراج ولما نزلت السورة أخبر بذلك عتبة بن ابي لهب فجاء إلى النبي ﷺ وطلق ابنته وتفل في وجهه وقال كفرت بالنجم وبرب النجم فدعا ﷺ عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتبة إلى الشام فنزل في بعض الطريق والقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه انيموني بينكم ليلا ففعلوا فجاء أسد فافترسه من بين الناس وفي ذلك يقول حسان:

سَائِلْ بَنِي الْأَصْفَرِ إِنْ جِئْتَهُمْ مَا كَانَ آبَاءُ بَنِي وَاسِعِ
لَا وَسَّعَ اللهُ لَهُ قَبْرَهُ بَلْ ضَيَّقَ اللهُ عَلَى الْقَاطِعِ
رَمَى رَسُولَ اللهِ مِنْ بَيْنِهِمْ دُونَ قُرَيْشٍ رَمْيَةَ الْقَاذِعِ(٧)
وَاسْتَوْجَبَ الدَّعْوَةَ مِنْهُ بِمَا بُيِّنَ لِلنَّاظِرِ وَالسَّامِعِ
فَسَلَّطَ اللهُ بِهِ كَلْبَهُ يَمْشِي الْهُوَيْنَا مِشْيَةَ الْخَادِعِ(٨)
وَالْتَقَمَ الرَّأْسَ بِيَافُوخِهِ وَالنَّحْرَ مِنْهُ قَعْرَةَ الْجَائِعِ
مَنْ يَرْجِعِ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ فَمَا أَكِيلُ السَّبُعِ بِالرَّاجِعِ
قَدْ كَانَ هَذَا لَكُمْ عِبْرَةً لِلسَّيِّدِ الْمَتْبُوعِ وَالتَّابِعِ

(ما ضل صاحبكم وما غوى) يعني النبي أي ما عدل عن الحق وما فارق الهدى إلى الضلال وما غوى فيما يؤديه اليكم ومعنى غوى ضل وانما اعاده تأكيدا وقيل معناه ما خاب عن اصابة الرشد وقيل ما خاب سعيه بل

(١) النبع شجر ينبت في قلة الجبل تتخذ منه القسي ومن اغصانه السهام والخروع نبت يعظم قرب المياه ومن ثمره السهل المعروف بزيت الخروع والمتقصف المزدحم بعضه على بعض مقصوده عدم تساويهما في الشدة واللين (٢) ربأهم وربأ لهم اي صار ربيئة لهم اي راقبهم والضرباء جمع الضريبة بمعنى الضارب ولا يتتلع اي لا يشخص للامر ولا يرفع رأسه للنهوض وعن ابن برى صوابه: خلف النجم وكذا في رواية سيبويه

ينال ثواب الله وكرامته (وما ينطق عن الهوى) أي وليس ينطق بالهوى وهكذا كما يقال رميت بالقوس وعن القوس وقيل معناه ولا يتكلم بالقرآن وما يؤديه اليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع (ان هو إلا وحي يوحى) أي ما القرآن وما ينطق به من الأحكام إلا وحي من الله يوحى اليه أي يأتيه به جبرائيل وهو قوله (علمه شديد القوى) يعني جبرائيل «ع» أي القوي في نفسه وخلقته عن ابن عباس والربيع وقتادة والقوى جمع القوة (ذو مرة) اي ذو قوة وشدة في خلقه عن الكلبي قال ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء ثم قلبها ومن شدته صيحته لقوم ثمود حتى هلكوا وقيل معناه ذو صحة وخلق حسن عن ابن عباس وقتادة وقيل شديد القوى في ذات الله ذو مرة أي صحة في الجسم سليم من الآفات والعيوب وقيل ذو مرة اي ذو مرور في الهواء ذاهبا وجائيا ونازلا وصاعدا عن الجبائي (فاستوى) جبرائيل على صورته التي خلق عليها بعد انحداره إلى محمد ﷺ (وهو) كناية عن جبرائيل «ع» أيضاً (بالأفق الأعلى) يعني افق المشرق والمراد بالأعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب في صعيد الارض لا في الهواء قالوا ان جبرائيل كان يأتي النبي ﷺ في صورة الآدميين فسأله النبي ﷺ ان يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء لما في الأرض ففي الأفق الأعلى وذلك ان محمدا ﷺ كان بحراء فطلع له جبرائيل «ع» من المشرق فسد الافق إلى المغرب فخر النبي ﷺ مغشيا عليه فنزل جبرائيل «ع» في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وهو قوله (ثم دنا فتدلى) وتقديره ثم تدلى أي قرب بعد بعده وعلوه في الافق الأعلى فدنا من محمد ﷺ قال الحسن وقتادة ثم دنا جبرائيل «ع» بعد استوائه بالافق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد ﷺ وقال الزجاج معنى دنا وتدلى واحد لأن معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب كما تقول قد دنا مني فلان وقرب ولو قلت قرب مني ودنا جاز وقيل ان المعنى استوى جبرائيل (ع) أي ارتفع وعلا إلى السماء بعد ان علم محمدا ﷺ عن سعيد بن المسيب وقيل استوى أي اعتدل واقفا في الهواء بعد ان كان ينزل بسرعة ليراه النبي ﷺ عن الجبائي وقيل معناه استوى جبرائيل (ع) ومحمد ﷺ بالافق الأعلى يعني السماء الدنيا ليلة المعراج عن الفراء (فكان قاب قوسين) اي كان ما بين جبرائيل ورسول الله قاب قوسين والقوس ما يرمى به عن مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس وخصت بالذكر على عادتهم يقال قاب قوس وقيب قوس وقيد قوس وقاد قوس وهو اختيار الزجاج وقيل معناه وكان قدر ذراعين عن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وشقيق[1] بن سلمة وروي مرفوعا عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ في قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال قدر ذراعين أو ادنى من ذراعين فعلى هذا يكون معنى القوس ما يقاس به الشيء والذراع يقاس[2] به قال ابن السكيت قاس الشيء يقوسه قوسا لغة في قاسه يقيسه إذا قدره وقوله (أو أدنى) قال الزجاج ان العباد قد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحدد فالمعنى فكان على ما تقدرونه انتم قدر قوسين أو أقل من ذلك وهو كقوله او يزيدون وقد مر القول فيه وقال عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ رأى جبرائيل (ع) وله ستمائة جناح اورده البخاري ومسلم في الصحيح[3] (فأوحى إلى عبده ما اوحى) اي فأوحى الله على لسان جبرائيل إلى محمد ﷺ ما اوحى وما يحتمل ان تكون مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي وقيل معناه فأوحى جبرائيل (ع) إلى عبد الله محمد ﷺ ما اوحى الله تعالى اليه عن الحسن والربيع وابن زيد وهو رواية عطا عن ابن عباس قال سعيد ابن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى إلى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الأمم حتى تدخلها امتك وقيل اوحى الله اليه سراً بسر وفي ذلك يقول القائل:

بَيْنَ الْمُحِبِّينَ سِرٌّ لَيْسَ يُفْشِيهِ ... قَوْلٌ وَلَا قَلَمٌ لِلْخَلْقِ يَحْكِيهِ

سِرٌّ يُمَازِجُهُ أُنْسٌ يُقَابِلُهُ ... نُورٌ تَحَيَّرَ فِي بَحْرٍ مِنَ التِّيهِ

(٤) المستحيرة : الجنة الدسمة : الكبيرة . (٤) وفي نسخة : وقيل (٥) وفي المخطوطة ليس لفظة رسول الله . (٦) وليس فيها ايضا (٧) قذعه : رماه بالفحش وسوء القول (٨) وفي المخطوطة بعد هذا : حتى اتاه وسط اصحابه وقد علاهم سنة الهاجع

(٢) وفيهما : شفيق (٣) وفي نسخة : ما يقاس به (٤) وفي نسخة : في الصحيحين

قوله تعالى (١١) مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَى (١٢) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٣) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (٤) عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى (١٥) عِنْدَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَى (١٦) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٧) مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٨) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَى (١٩) أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّى (٢٠) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَى عشر آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وهشام ما كذب بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب افتمرونه بغير الف والباقون افتمارونه وقرأ ابن كثير والشموني عن الاعمش وابي بكر ومناءة بالمد والهمزة والباقون ومناة بغير همزة ولا مد وروي عن علي (ع) وابي هريرة وابي الدرداء وزر بن حبيش جنه المأوى بالهاء. وعن ابن عباس ومجاهد واللات بتشديد التاء.

الحجة

من قرأ كذب بتشديد الذال فمعناه ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه ومن قرأ بالتخفيف فمعناه ما كذب فؤاده فيما رأى وقال ابو علي كذب فعل يتعدى إلى مفعول بدلالة قوله:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالَا

ومعنى كذبتك عينك ارتك ما لا حقيقة له فعلى هذا يكون المعنى لم يكذب فؤاده ما ادركه بصره اي كانت رؤيته صحيحة غير كاذبة وادراكا على الحقيقة ويشبه ان يكون الذي شدد اراد هذا المعنى واكده. افتمارونه على ما يرى اي اترومون إزالته عن حقيقة ما ادركه وعلمه بمجادلتكم او اتجحدونه ما قد علمه ولم يعترض عليه فيه شك فان معنى قوله افتمارونه اتجادلونه جدالا تريدون به دفعه عما علمه وشاهده من الآيات الكبرى ومن قرأ افتمرونه فمعناه افتجحدونه ومناة صنم من حجارة واللات والعزى كانتا من حجارة ايضا ولعل مناءة بالمد لغة ومن قرأ جنه المأوى يعني فعله يريد جن عليه فأجنه الله والمأوى هو الفاعل والمعنى ستره وقال الاخفش ادركه وعن ابن عباس قال كان رجل يسوق عكاظ يلت السويق والسمن عند صخرة فإذا باع السويق والسمن صب على الصخرة ثم يلت فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لذلك الرجل.

المعنى

ثم بين سبحانه ما رآه النبي ﷺ ليلة الأسرى وحقق رؤيته فقال (ما كذب الفؤاد ما رأى) اي لم يكذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه بعينه فقوله ما رأى مصدر في موضع نصب لأنه مفعول كذب والمعنى انه ما اوهمه الفؤاد انه رأى ولم ير بل صدقه الفؤاد رؤيته قال المبرد معنى الآية انه رأى شيئا فصدق فيه قال ابن عباس رأى محمد ﷺ ربه بفؤاده وروي ذلك عن محمد بن الحنفية عن ابيه علي (ع) وهذا يكون بمعنى العلم اي علمه علما يقينا بما رآه من الآيات الباهرات كقول ابراهيم (ع) ولكن ليطمئن قلبي وان كان عالما قبل ذلك وقيل ان الذي رآه هو جبرائيل على صورته التي خلقه الله عليها عن ابن مسعود وعائشة وقتادة وقيل ان الذي رآه هو ما رآه من ملكوت الله تعالى واجناس مقدوراته عن الحسن قال وعرج بروح محمد ﷺ الى السماء وجسده في الارض وقال الأكثرون وهو الظاهر من مذهب اصحابنا والمشهور في اخبارهم ان الله تعالى صعد بجسمه الى السماء حيا سليما حتى رأى ما رأى من ملكوت السماوات بعينه ولم يكن ذلك في المنام وهذا المعنى ذكرناه في سورة بني اسرائيل والفرق بين الرؤية في اليقظة وبين الرؤية في المنام ان رؤية الشيء في اليقظة هو ادراكه

بالبصر على الحقيقة ورؤيته في المنام تصوره بالقلب على توهم الادراك بحاسة البصر من غير أن يكون كذلك وعن ابي العالية قال سئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ليلة المعراج قال رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك وروي عن ابي ذر وابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ سئل عن قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأيت نورا وروي ذلك عن مجاهد وعكرمة وذكر الشعبي عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس انه قال إن محمدا ﷺ رأى ربه قال الشعبي واخبرني مسروق قال سألت عائشة عن ذلك فقالت انك لتقول قولا انه ليقف شعري منه قال مسروق قلت رويدا يا أم المؤمنين وقرأت عليها والنجم اذا هوى حتى انتهيت الى قوله قاب قوسين او ادنى فقالت رويداً انّى يذهب بك إنما رأى جبرائيل في صورته من حدثك ان محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب والله تعالى يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ومن حدثك ان محمدا ﷺ يعلم الخمس من الغيب فقد كذب والله تعالى يقول ان الله عنده علم الساعة الى آخره ومن حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول بلغ ما انزل اليك من ربك ولقد بين الله سبحانه ما رآه النبي ﷺ بيانا شافيا فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى (افتمارونه) اي افتجادلونه (على ما يرى) وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا له صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في طريق الشام وغير ذلك مما جادلوه به ومن قرأ افتسرونه فالمعنى افتجحدونه يقال مريت الرجل حقه اذا جحدته وقيل معناه افتدفعونه عما يرى وعلى في موضع عن عن المبرد والمعنيان متقاربان لأن كلّ مجادل جاحد (ولقد راه نزلة اخرى) اي رأى جبرائيل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه راه مرتين في صورته على ما مرّ ذكره (عند سدرة المنتهى) اي راه محمد ﷺ وهو عند سدرة المنتهى وهي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة انتهى اليها علم كل ملك عن الكلبي ومقاتل وقيل اليها ينتهي ما يعرج الى السماء وما يهبط من فوقها من امر الله عن ابن مسعود والضحاك وقيل اليها تنتهي ارواح الشهداء وقيل اليها ينتهي ما يهبط به من فوقها ويقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الأرواح ويقبض(٢) منها والمنتهى موضع الانتهاء وهذه الشجرة حيث انتهى اليه الملائكة فاضيفت اليه وقيل هي شجرة طوبى عن مقاتل والسدرة هي شجرة النبوة (عندها جنة المأوى) اي عند سدرة المنتهى جنة المقام وهي جنة الخلد وهي في السماء السابعة وقيل في السماء السادسة وقيل هي الجنة التي كان اوى اليها آدم وتصير اليها ارواح الشهداء عن الجبائي وقتادة وقيل هي التي يصير اليها اهل الجنة عن الحسن وقيل هي التي يأوي اليها جبرائيل والملائكة عن عطا عن ابن عباس (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قيل يغشاها الملائكة امثال الغربان حين يقعن على الشجر عن الحسن ومقاتل وروي أن النبي ﷺ قال رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى وقيل يغشاها من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن وقيل يغشاها فراش من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وكأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى انه رأى جبرائيل (ع) على ما صورته في الحال التي يغشى فيها السدرة من امر الله ومن العجائب المنبهة على كمال قدرة الله تعالى ما يغشاها وإنما ابهم الأمر فيما يغشى لتعظيم ذلك وتفخيمه كما قال (فأوحى الى عبده ما اوحى) وقوله ما يغشى ابلغ لفظ في هذا المعنى (ما زاغ البصر وما طغى) اي ما زاغ بصر محمد ﷺ ولم يمل يمينا ولا شمالا وما طغى اي ما جاوز القصد ولا الحد الذي حد له وهذا وصف ادبه صلوات الله عليه وآله في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا ولم يمل بصره ولم يمده امامه الى حيث ينتهي (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وهي الآيات العظام التي رآها تلك الليلة مثل سدرة المنتهى وصورة جبرائيل (ع) ورؤيته وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق بأجنحته عن مقاتل وابن زيد والجبائي ومن للتبعيض اي رأى بعض آيات ربه وقيل انه رأى رفرفا اخضر من رفارف الجنة قد سد الأفق

عن ابن مسعود وقيل انه قد رأى ربه بقلبه عن ابن عباس فعلى هذا فيمكن أن يكون المراد انه رأى من الآيات ما ازداد به يقينا الى يقينه والكبرى تأنيث الأكبر وهو الذي يصغر مقدار غيره عنده في معنى صفته والقص الله سبحانه هذه الأقاصيص عقبها سبحانه بأن خاطب المشركين فقال (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) اي اخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله وتعبدون معها الملائكة وتزعمون ان الملائكة بنات الله وقيل معناه افرأيتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله لأنه كان منهم من يقول إنما نعبد هؤلاء لأنهم بنات الله عن الجبائي وقيل انهم زعموا ان الملائكة بنات الله وصوروا اصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقوا لها اسماء من اسماء الله فقالوا اللات من الله والعزى من العزيز وكان الكسائي يختار الوقف على اللات بالتاء لإتباع المصحف لأنها كتبت بالتاء والعزى تأنيث الأعز وهي بمعنى العزيزة وقيل ان اللات صنم كانت ثقيف تعبده والعزى صنم ايضا عن الحسن وقتادة وقيل انها كانت شجرة سمرة عظيمة لغطفان يعبدونها فبعث اليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها وقال:

يَا عُزَّ كُفْرَانَكِ لَا سُبْحَانَكِ إِنِّي رَأَيْتُ اللهَ قَدْ أَهَانَكِ

عن مجاهد وقال قتادة كانت مناة صنما بقديد بين مكة والمدينة وقال الضحاك والكلبي كانت لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة وقيل ان اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها والثالثة نعت لمناة والاخرى نعت لها ايضا ومعنى الآية اخبروني عن هذه الاصنام هل ضرت او نفعت اوفعلت مايوجب ان تعدل بالله فحذف لدلالة الكلام عليه.

قوله تعالى (٢١) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢٢) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٣) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٤) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٥) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (٢٦) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٧) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (٢٨) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٠) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى عشر آيات

القراءة

قرأ ابن كثير غير ابن فليح[1] ضئزى بالهمز والباقون بغير همز

الحجة

قال ابو علي قوله تلك اذا قسمة ضيزى اي ما نسبتموه الى الله سبحانه من اتخاذ البنات قسمة جائرة وقولهم قسمة ضيزى ومشية حيكى حمله النحويون على انه في الأصل فعلى بالضم وان كان اللفظ على فعلى كما ان البيوت والعصى في الأصل فعول وان كانت الفاء مكسورة وإنما حملوها على انها فعلى لأنهم لم يجدوا شيئا

(١) وفي المخطوطة : الخمس (٢) وفيها ايضاً في الموضعين : فيقبض

من الصفات على فعلى كما وجدوا الفُعلى والفَعلى وقال ابو عبيدة ضزته حقه وضزته اضوزه اي نقصته ومنعته فمن جعل العين منه واوا فالقياس ان يقول ضوزى وقد حكي ذلك فأما من جعله ياء من قولك ضزته فكان القياس ايضا ان يقول ضوزى ولا يحتفل بانقلاب الياء إلى الواو لأن ذلك انما ذكره في بيض وعين جمع بيضاء وعيناء لقربه من الطرف وقد بعد من الطرف هاهنا بحرف التأنيث وليست هذه العلامة في تقدير الانفصال كالتاء فكان القياس ان لا يحفل بانقلابها إلى الواو.

المعنى

ثم قال سبحانه منكرا على كفار قريش قولهم الملائكة بنات الله والأصنام كذلك (الكم الذكر وله الأنثى) اي كيف يكون ذلك كذلك وانتم لو خيرتم لاخترتم الذكر على الأنثى فكيف اضفتم اليه تعالى ما لا ترضونه لأنفسكم (تلك إذاً قسمة ضيزى) اي جائرة غير معتدلة بمعنى ان القسمة التي قسمتم من نسبة الاناث إلى الله تعالى وايثاركم بالبنين قسمة غير عادلة (ان هي إلا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم) اي ليس تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهة وانها بنات الله إلا أسامي لا معاني تحتها لأنه لا ضر عندها ولا نفع فهي تسميات القيت على جمادات (ما أنزل الله بها من سلطان) أي لم ينزل الله كتابا لكم فيه حجة بما تقولونه عن مقاتل ثم رجع إلى الاخبار عنهم بعد المخاطبة فقال (إن يتبعون إلا الظن) الذي ليس بعلم (وما تهوى الأنفس) أي وما تميل اليه نفوسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان والرشاد بالكتاب والرسول عجب سبحانه من حالهم حيث لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان ثم انكر عليهم تمنيهم شفاعة الاوثان فقال لهم (أم للانسان) اي للكافر (ما تمنى) من شفاعة الاصنام (فلله الآخرة والأولى) فلا يملك فيهما أحد شيئا إلا بإذنه وقيل معناه بل للانسان ما تمنى من غير جزاء لا ليس الأمر كذلك لأن لله الآخرة والأولى يعطي منها من يشاء ويمنع من يشاء وقيل معناه ليس للانسان ما تمنى من نعيم الدنيا والآخرة بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحة ويعطي الآخرة للمؤمنين دون الكافرين عن الجبائي وهذا هو الوجه الأوجه لأنه أعم فيدخل تحته الجميع ثم أكد ذلك بقوله (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا) جمع الكناية لأن المراد بقوله وكم من ملك الكثرة (إلا من بعد أن يأذن الله) لهم في الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) لهم ان يشفعوا فيه أي من أهل الإيمان والتوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه كما قال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ثم ذم سبحانه مقالتهم فقال (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي لا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) حين زعموا انهم بنات الله (وما لهم به) أي بذلك التسمية (من علم) أي ما يستيقنون انهم اناث وليسوا عالمين[1] (ان يتبعون إلا الظن) الذي يجوز أن يخطئ ويصيب في قولهم ذلك (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) الحق هنا معناه العلم أي الظن لا يغني عن العلم شيئا ولا يقوم مقام العلم ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (فأعرض) يا محمد (عن من تولى عن ذكرنا) ولم يقر بتوحيدنا (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) فمال إلى الدنيا ومنافعها أي لا تقابلهم على افعالهم واحتملهم ولا تدع مع هذا وعظهم ودعاءهم إلى الحق (ذلك مبلغهم من العلم) اي الاعراض عن التدبر في أمور الآخرة وصرف الهمة إلى التمتع باللذات العاجلة منتهى علمهم وهو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل لأنه من طباع البهائم ان يأكل في الحال ولا ينتظر العواقب وفي الدعاء اللهم

(١) وفي نسخة : عالمين بذلك .

لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا (ان ربك) يا محمد (هو أعلم) منك ومن جميع الخلق (بمن ضل عن سبيله) اي بمن جار وعدل عن سبيل الحق الذي هو سبيله (وهو أعلم بمن اهتدى) اليها فيجازي كلا منهم على حسب أعمالهم .

قوله تعالى (٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِٱلْحُسْنَىٰ (٣٢) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ (٣٣) أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٤) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ (٣٥) أَعِندَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٦) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٧) وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ (٣٨) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٩) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٤٠) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤١) ثُمَّ يُجْزَاهُ ٱلْجَزَاءَ ٱلْأَوْفَىٰ احدى عشرة آية

اللغة

قال الفراء اللمم ان يفعل الإنسان الشيء في الحين ولا يكون له عادة ومنه المام الخيال والالمام الزيادة التي لا تمتد و كذلك اللام قال امية :

إِنْ تَغْفِرِ ٱللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

وقد روي ان النبي ﷺ كان ينشدها ويقولها اي لم يلم بمعصية وقال أعشى باهلة :

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذَانٍ أَلَمَّ بِهَا مِنَ الشَّوَاءِ وَيَرْوِي شُرْبَهُ ٱلْغُمُرُ (١)

اجنة جمع جنين قال رؤبة « أَجِنَّةٌ فِي مُسْتَكِنَّاتِ الْحَلَقِ (٢) » وقال عمرو بن كلثوم :

وَلَا شَمْطَاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينًا (٣)

اي دفينا في قبره واكدى أي قطع العطاء كما تقطع البئر الماء واشتقاقه من كُدية الركية وهي صلابة تمنع الماء إذا بلغ الحافر اليها يئس من الماء فيقال اكدى إذا بلغ الكُدية ويقال كديت أصابعه إذا كلت فلم تعمل شيئا و كديت أظفاره إذا غلظت و كدى النبت إذا قل ريعه والاصل واحد فيها :

الاعراب

إلا اللمم منصوب على الاستثناء من الاثم والفواحش لأن اللمم دونها الا انه منها . إذ أنشأكم العامل في إذ قوله اعلم بكم في بطون امهاتكم يجوز ان يتعلق بنفس اجنة وتقديره إذ انتم مستترون في بطون امهاتكم ويجوز ان يتعلق بمحذوف فيكون صفة لأجنة وقوله الا تزر وازرة وزر أخرى تقديره انه لا تزر وهو في موضع جر بدلا من قوله ما في صحف موسى وما اسم موصول .

النزول

نزلت الآيات السبع أفرأيت الذي تولى في عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق ماله فقال له أخوه من

(١) الحُزَّة : القطعة من اللحم والفلذان جمع الفِلذة وهي قطعة الكبد . والغمر : القدح الصغير (٢) مستكنات الحلق اى بواطن الرحم
(٣) الشمطاء : التي خالط بياض رأسها سواد .

الرضاعة عبد الله بن سعد بن ابي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وإني أطلب بما اصنع رضى الله وارجو عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وأنا اتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه واشهد عليه وامسك عن الصدقة فنزلت أفرأيت الذي تولى اي يوم احد حين ترك المركز واعطى قليلا ثم قطع نفقته إلى قوله وان سعيه سوف يرى فعاد عثمان إلى ما كان عليه عن ابن عباس والسدي والكلبي وجماعة من المفسرين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان هو اعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن له فنزلت أفرأيت الذي تولى عن الإيمان واعطى صاحبه الضامن قليلا واكدى اي بخل بالباقي عن مجاهد وابن زيد وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه ربما كان يوافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور عن السدي وقيل نزلت في رجل قال لأهله جهزوني حتى انطلق إلى هذا الرجل يريد النبي ﷺ فتجهز وخرج فلقيه رجل من الكفار فقال له اين تريد فقال محمدا لعلي اصيب من خيره قال له الرجل اعطني جهازك واحمل عنك اثمك عن عطاء بن يسار وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله اعطى قليلا واكدى اي لم يؤمن به عن محمد بن كعب القرظي .

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته وسعة ملكه فقال (ولله ما في السموات وما في الأرض) وهذا اعتراض بين الآية الاولى وبين قوله (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) واللام في ليجزي تتعلق بمعنى الآية الأولى لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلا منهم بما يستحقه وذلك لام العاقبة وذلك ان علمه بالفريقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك ولذلك اخبر به في قوله ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي في الآخرة الذين أساؤا اي اشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزي الذين احسنوا) اي وحدوا ربهم (بالحسنى) اي بالجنة وقيل ان اللام في ليجزي يتعلق بما في قوله ولله ما في السموات وما في الارض لأن المعنى في ذلك انه خلقهم ليتعبدهم[1] فمنهم المحسن ومنهم المسيء وانما كلفهم ليجزي كلا منهم بعلمه[2] وعمله فتكون اللام للغرض ثم وصف سبحانه الذين احسنوا فقال (الذين يجتنبون كبائر الاثم) اي عظائم الذنوب (والفواحش) جمع فاحشة وهي اقبح الذنوب وافحشها وقد بينا اختلاف الناس في الكبائر في سورة النساء وقد قيل ان الكبيرة كل ذنب ختم بالنار والفاحشة كل ذنب فيه الحد ومن قرأ كبير الاثم فلأنه يضاف إلى واحد في اللفظ وإن كان يراد به الكثرة (الا اللمم) اختلف في معناه فقيل هو صغار الذنوب كالنظر والقبلة وما كان دون الزنا عن ابن مسعود وابي هريرة والشعبي وقيل هو ما ألموا به في الجاهلية من الاثم فهو معفو عنه في الإسلام عن زيد بن ثابت وعلى هذا فيكون الاستثناء منقطعا وقيل هو ان يلم بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود عن الحسن والسدي وهو اختيار الزجاج لأنه قال اللمم هو ان يكون الإنسان قد ألم بالمعصية ولم يقم على ذلك ويدل على ذلك قوله (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب ومعناه ان رحمته تسع[3] جميع الذنوب لا تضيق عنه وتم الكلام هنا ثم

(١) وفي نسخة : ليستعبدهم (٢) ليس في النسخ لفظة بعلمه (٢) في المخطوطة : واسعة تسع .

قال (هو اعلم بكم) يعني قبل ان خلقكم (إذ أنشأكم من الأرض) اي انشأ اباكم آدم من اديم الأرض وقال البلخي يجوز ان يكون المراد به جميع الخلق أي خلقكم من الأرض عند تناول الأغذية المخصوصة التي خلقها من الأرض واجرى العادة بخلق الاشياء عند ضرب من تركيبها فكأنه سبحانه انشأهم منها (وإذ انتم اجنة في بطون امهاتكم) اي في وقت كونكم اجنة في الأرحام اي علم من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة عن الحسن وقيل معناه انه سبحانه علم ضعفكم وميل طباعكم إلى اللمم وعلم حيث كنتم في الأرحام ما تفعلون إذا خرجتم وإذا علم ذلك منكم قبل وجوده فكيف لا يعلم ما حصل منكم (فلا تزكوا انفسكم) اي لا تعظموها ولا تمدحوها بما ليس لها فاني اعلم بها وقيل معناه لا تزكوها بما فيها من الخير ليكون اقرب إلى النسك والخشوع وابعد من الرياء (هو اعلم بمن اتقى) اي اتقى الشرك والكبائر وقيل هو اعلم بمن بر واطاع واخلص العمل (أفرأيت الذي تولى) اي ادبر عن الحق (واعطى قليلا وا كدى) اي امسك عن العطية وقطع عن الفراء وقيل منع منعا شديدا عن المبرد (اعنده علم الغيب) اي ماغاب عنه من امر العذاب (فهو يرى) اي يعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه (ام لم ينبأ بما في صحف موسى) اي بل ألم يخبر ولم يحدث بما في اسفار التوراة (وابراهيم) اي وفي صحف ابراهيم (الذي وفى) اي تمم واكمل ما امر به وقيل بلغ قومه وادى ما امر به اليهم وقيل اكمل ما اوجب الله عليه من كل ما امر وامتحن به ثم بين ما في صحفها فقال (الا تزر وازرة وزر اخرى) اي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها (وان ليس للانسان إلا ما سعى) عطف على قوله الا تزر وهذا ايضا ما في صحف ابراهيم وموسى اي ليس له من الجزاء الا جزاء ما عمله دون ما عمله غيره ومتى دعا غيره إلى الإيمان فأجابه اليه فهو محمود على ذلك على طريق التبع وكأنه من اجل عمله صار له الحمد على هذا ولو لم يعمل شيئا لما استحق جزاء لا ثوابا ولا عقابا(١) عن ابن عباس في رواية الوالبي قال ان هذا منسوخ الحكم في شريعتنا لأنه سبحانه يقول الحقنا بهم ذرياتهم رفع درجة الذرية وان لم يستحقوها بأعمالهم ونحو هذا قال عكرمة ان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلهم ما سعى غيرهم نيابة عنهم ومن قال انه غير منسوخ الحكم قال الآية تدل على منع النيابة في الطاعات إلا ما قام عليه الدليل كالحج وهو ان امرأة قالت يا رسول الله ان ابي لم يحج قال فحجي عنه (وان سعيه سوف يرى) يعني ان ما يفعله الإنسان ويسعى فيه لا بد ان يرى فيما بعد بمعنى انه يجازى عليه وبين ذلك بقوله (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) اي يجازى على الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم والهاء في يجزاه عائدة إلى السعي والمعنى انه يرى العبد سعيه يوم القيامة ثم يجزى سعيه اوفى الجزاء

قوله تعالى (٤٢) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٤) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٥) وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٦) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٧) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٥٠) وَأَنَّهُۥ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥١) وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ (٥٢) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٣) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٤) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٥) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ

(١) وفي نسخة : ومن ابن عباس .

تَتَمَارَى (٥٦) هٰذَا نَذِيرٌ مِنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ (٥٧) أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ (٥٨) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ
ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٩) أَفَمِنْ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٦٠) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦١) وَأَنتُمْ
سَامِدُونَ (٦٢) فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا احدى وعشرون آية

القراءة

قرأ اهل المدينة والبصرة غير سهل عادًا لُّولَىٰ مدغمة غير منونة ولا مهموزة إلا في رواية قالون عن نافع فانه روي عنه عادلُوْلَى مهموزة ساكنة وقرأ الباقون عاداً الاولى منونة مهموزة غير مدغمة وقرأ عاصم وحمزة ويعقوب وثمود فما ابقى بغير تنوين والباقون وثمودا بالتنوين

الحجة

قال ابو علي قال ابو عثمان أساء عندي ابو عمرو في قراءته لأنه أدغم النون في لام المعرفة واللام انما تحركت بحركة الهمزة وليست بحركة لازمة والدليل على ذلك انك تقول ٱلحمر فإذا طرحت حركة الهمزة على اللام لم يحذف الف الوصل لأنها ليست بحركة لازمة قال ابو عثمان ولكن كان ابو الحسن روى عن بعض العرب انه كان يقول هذا لحمر قد جاء فيحذف الف الوصل لحركة اللام وقال ابو علي القول في عادا الاولى ان من حقق الهمزة في الأولى سكن لام المعرفة وإذا سكنت لام المعرفة والتنوين من قولك عاداً المنصوب ساكن التقى ساكنان النون في عاداً ولام المعرفة فحركت التنوين بالكسر لالتقاء الساكنين وهذا وجه قول من لم يدغم وقياس قول من قال أحد الله فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ان يحذفه هنا ايضا كما حذفه في احد الله وكما حذفه في قوله ولا ذاكرا الله الا ان ذا لا يدخل في القراءة وان كان قياسا وجاء في الشعر كثيرا وجاء في بعض القراءة ويجوز في قول من خفف الهمزة من الاولى على قول من قال ٱلحمر فلم يحذف الهمزة التي للوصل ان يحرك التنوين فيقول عادنِ الولى كما يقول ذلك إذا حقق الهمزة لأن اللام على هذا في تقدير السكون فكما تكسر التنوين لالتقاء الساكنين كذا تكسره في هذا القول لأن التنوين في تقدير الالتقاء مع الساكن ومن حرك لام المعرفة وحذف همزة الوصل فقياسه ان يسكن النون من عادن فيقول عادن لولى لأن اللام ليس في تقدير السكون كما كان في الوجه الأول كذلك ألا ترى انه حذف همزة الوصل فإذا كان كذلك ترك النون على سكونها كما تتركه في نحو عاد ذاهب فأما قول ابي عمرو عاد لّولى فانه لما خفف الهمزة التي هي منقلبة عن الفاء لاجتماع الواوين أولا القى حركتها على اللام الساكنة وقبل اللام نون ساكنة فأدغمها في اللام كما يدغمها في الراء في نحو من راشد وذلك بعد أن يقلبها لاما أو راءاً فإذا ادغمها فيها صار عادلّولى وخرج عن الاساءة التي نسبها اليه ابو عثمان من وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون تخفيف الهمزة من قوله الاولى على قول من قال لحمر كأنه يقول في التخفيف للهمزة قبل الادغام لولى فخرجت اللام من حكم السكون بدلالة حذف همزة الوصل معه فحسن الادغام فيه ﴿والوجه الآخر﴾ ان يكون ادغم على قول من قال ٱلُولى ٱلحمر فلم يحذف الهمزة التي للوصل مع القاء الحركة على لام المعرفة لأنه في تقدير السكون فلا يمتنع ان يدغم فيه كما لا يمتنع أن يدغم في نحو ردوفروعض وان كانت لامانهن سواكن وتحركها للادغام كما تحركت السواكن التي ذكرنا للادغام واما ما روي عن نافع من انه همز فقال

(١) وفي نسختين : عادن لولى (٢) وفيهما : لان اللام الان

عاد لوْلى فانه كما روي عن ابن كثير من قوله على سوْقه فوجهه ان الضمة لقربها من الواو وانه لم يحجز بينها شيء صارت كأنها عليها فهمزها كما تهمز الواوات إذا كانت مضمومة نحو ادوْر والغووْر وهذه لغة قد رويت وحكيت وان لم تكن بتلك الفاشية

اللغة

المنى التقدير يقال منى يمني فهو مان قال الشاعر « حتى تبين ما يمني لك الماني » ومنه المنية لأنها المقدرة والنشأة الصنعة المخترعة خلاف المشيئة واقنى من القنية وهي أصل المال وما يقتنى والاقتناء جعل الشيء للنفس على الدوام ومنه القناة لأنها ما تقتنى والشعرى النجم الذي خلف الجوزاء وهو احد كوكبي ذراع الاسد وقسم(١) المرزم وكانوا يعبدونها في الجاهلية والمؤتفكة المنقلبة وهي التي صار اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ائتفكت بهم تأتفك ائتفاكا ومنه الافك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهته واهوى اي انزل بها في الهواء ومنه اهوى بيده ليأخذ كذا وهوى يهوي نزل في الهوى(٢) فأما إذا نزل في سلم او درج فلا يقال أهوى ولا هوى وأزفت الآزفة أي دنت الدانية قال النابغة:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ

وقال كعب بن زهير

بَانَ الشَّبَابُ وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزِفَا وَلَا أَرَى لِشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلَفَاً

والسمود اللهو والسامد اللاهي يقال سمد يسمُد قال:

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُوداً
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُوداً

المعنى

ثم عطف سبحانه على ماتقدم فقال (وان إلى ربك المنتهى) يعني وان إلى ثواب ربك وعقابه آخر الأمر والمنتهى والآخر واحد وهو المصير إلى حيث ينقطع العمل عنده (وانه هو اضحك وابكى) أي فعل سبب الضحك والبكاء من السرور والحزن كما يقال اضحكني فلان وابكاني عن عطاء والجبائي وقيل اضحك أهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار عن مجاهد والضحك والبكاء من فعل الإنسان قال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً وقال تعجبون وتضحكون فنسب الضحك اليهم وقال الحسن ان الله سبحانه هو الخالق للضحك والبكاء والضحك تفتح أسرار الوجه عن سرور وعجب في القلب فإذا هجم على الإنسان منه ما لا يمكنه دفعه فهو من فعل الله والبكاء جريان الدمع على الخد عن غمّ في القلب وربما كان عن فرح يمازجه تذكر حزن فكأنه عن رقة في القلب وقيل معنى الآية أضحك الاشجار بالانوار وابكى السحاب بالأمطار وقيل اضحك المطيع بالرحمة وابكى العاصي بالسخطة (وانه هو أمات وأحيا) اي خلق الموت فأمات به الأحياء لا يقدر على ذلك غيره لأنه لو قدر على الموت لقدر على الحياة فان القادر على الشيء قادر على ضده ولا يقدر احد على الحياة إلا الله تعالى وخلق الحياة التي يحيا بها الحيوان فأمات الخلق في الدنيا واحياهم في العقبى للجزاء (وانه خلق الزوجين) أي الصنفين (الذكر والانثى) من كل حيوان (من نطفة إذا تمنى) اي إذا خرجت منها وتنصب في الرحم والنطفة ماء الرجل والمرأة التي يخلق منها الولد

(١) في سائر النسخ: فم المرزم (٢) وفي نسختين الهواء:

عن عطاء والضحاك والجبائي وقيل تمنى اي تقدر وهو اصله فالمعنى تلقى على تقدير في رحم الانثى (وان عليه النشأة الأخرى) اي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة يعني عليه ان يبعث الناس احياء للجزاء فان قيل ان لفظة على كلمة ايجاب فكيف يجب على الله سبحانه ذلك فالجواب انه سبحانه إذا كلف الخلق فقد ضمن الثواب فإذا فعل فيهم الآلام فقد ضمن العوض فإذا لم يعوض في الدنيا وخلى بين المظلوم والظالم فلا بد من دار أخرى يقع فيها الجزاء والانصاف والانتصاف وقد وعد سبحانه بذلك فيجب الوفاء به (وانه هو اغنى واقنى) اي اغنى الناس بالأموال واعطاء القنية وأصول المال وما يدخرونه بعد الكفاية عن ابي صالح وقيل اقنى أي اخدم عن الحسن ومجاهد وقتادة وقيل اغنى موّل واقنى ارضى بما اعطى عن ابن عباس وقيل اغنى بالقناعة واقنى بالرضا عن سفيان وقيل اغنى بالكفاية واقنى بالزيادة وقيل اغنى من شاء واقنى اي افقر وحرم من شاء عن ابن زيد (وانه هو رب الشعرى) اي خالق الشعرى ومخترعها ومالكها اي فلا تتخذوا المربوب المملوك إلها وقيل ان خزاعة كانت تعبدها وأول من عبدها أبو كبشة أحد اجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته وكان المشركون يسمونه ﷺ ابن ابي كبشة لمخالفته إياهم في الدين كما خالف ابو كبشة غيره في عبادة الشعرى (وانه اهلك عاداً الاولى) وهو عاد بن ارم وهم قوم هود أهلكهم الله بريح صرصر عاتية وكان لهم عقب فكانوا عاداً الاخرى قال ابن اسحاق اهلكوا بيني بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل (وثمود) أي واهلك ثمود (فما ابقى) ولا يجوز أن يكون منصوبا بأبقى لأن ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا يقال زيدا ما ضربت لأنها تجري مجرى الاستفهام في ان لها صدر الكلام وانما فتحت ان في هذه المواضع كلها لأن جميعها في صحف ابراهيم وموسى فكأنه قال أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى وبأنه كذا و كذا (وقوم نوح من قبل) أي وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من غيرهم لطول دعوة نوح وعتوهم على الله في الكفر والتكذيب (والمؤتفكة) يعني قرى قوم لوط المخسوفة (اهوى) أي اسقط اهواها جبرائيل بعد ان رفعها واتبعهم الله بالحجارة وذلك قوله (فغشيها ما غشى) أي البسها من العذاب ما البس يعني الحجارة المسومة التي رموا بها من السماء عن قتادة وابن زيد وقيل انه تفخيم لشأن العذاب الذي نالها من جهة ابهامه في قوله ما غشى فكأنه قال قد حل بهم من العذاب والتنكيل ما يجل عن البيان والتفصيل (فبأي آلاء ربك تتمارى) اي بأي نعم ربك ترتاب وتشك ايها الإنسان فيما أولاك أو فيما كفاك عن قتادة وقيل لما عد الله سبحانه ما فعله مما يدل على وحدانيته قال فبأي نعم ربك التي تدل على وحدانيته تتشكك وانما ذكره بالنعم بعد تعديد النقم لأن النقم التي عددت هي نعم علينا لما لنا فيها من اللطف في الانزجار عن القبيح إذ نالهم تلك النقم بكفرانهم النعم (هذا نذير من النذر الأولى) أشار إلى رسول الله ﷺ عن قتادة والنذر الاولى الرسل قبله وقيل هو اشارة إلى القرآن والنذر الاولى صحف ابراهيم وموسى عن ابي مالك وقيل معناه هذه الأخبار التي اخبر بها عن اهلاك الأمم الاولى نذير لكم عن الجبائي (ازفت الآزفة) اي دنت القيامة واقتربت الساعة وانما سميت القيامة ازفة اي دانية لأن كل ما هو آت قريب (ليس لها من دون الله كاشفة) اي إذا غشيت الخلق شدائدها واهوالها لم يكشف عنهم احد ولم يردّها عن عطاء والضحاك وقتادة وتأنيث كاشفة على تقدير نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويجوز ان يكون مصدراً كالعافية والعاقبة والواقية والخائنة فيكون المعنى ليس لها من دون

الله كشف اي لا يكشف عنها غيره ولا يظهرها سواه كقوله لا يجليها لوقتها إلا هو (افمن هذا الحديث) يعني بالحديث ما قدم من الاخبار عن الصادق «ع» وقيل معناه افمن هذا القرآن ونزوله من عند الله على محمد ﷺ وكونه معجزا (تعجبون) ايها المشركون (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) انزجارا لما فيه من الوعيد (وانتم سامدون) اي غافلون لاهون معرضون عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه عن عكرمة (فاسجدوا لله واعبدوا) أمرهم سبحانه بالسجود له والعبادة خالصا مخلصا وفي الآية دلالة على ان السجود هاهنا واجب على ما ذهب اليه اصحابنا لأن ظاهر الامر يقتضي الوجوب.

سورة القمر (مكية)

وهي خمس وخمسون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة اقتربت الساعة في كل غب بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قرأها كل ليلة كان أفضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق وروى يزيد بن خليفة عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة اقتربت الساعة اخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنة.

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر ازوف الآزفة وافتتح هذه السورة بمثله فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (٢) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٣) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٤) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٥) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٦) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٧) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٨) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٩) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (١٠) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ

عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وكل امر مستقر بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير ونافع يوم يدع الداع بغير ياء ومهطعين إلى الداع بياء في الوصل وروي عن ورش يوم يدع الداعي بياء في الوصل وقرأهما أبو جعفر وأبو عمرو باثبات الياء في الوصل والباقون بغير ياء في وصل ولا وقف وقد تقدم القول في هذا النحو وقرأ ابن كثير إلى شيء نكر بالتخفيف والباقون نكر بضمتين وقرأ أهل العراق غير عاصم خاشعا ابصارهم والباقون

خشعا وفي الشواذ قراءة حذيفة وقد انشق القمر وقراءة مجاهد والجحدري وابي قلابة الى شيء نكر

الحجة

من قرأ مستقر بالجر جعله صفة لأمر ومن قرأه بالرفع جعله خبراً لكل امر واما قراءة نكر فإنه على فُعُل وهو احد الحروف التي جاءت صفة على هذه الزنة ومثله ناقة أُجد ومشية سجُح صفة قال:

دَعُوا التَّحاجُزَ وَامْشُوا مَشْيَةً سُجُحًا ... إِنَّ الرِّجالَ ذَوُو عَضْبٍ وَتَذْكِيرِ(١)

ومن قرأ نكر خففه مثل رسل وكتب والضمة في تقدير الثبات ومن قرأ خاشعا ابصارهم فإنه كما لم يلحق علامة التأنيث لم يجمع وحسن أن لا يؤنث لأن التأنيث ليس بحقيقي ومن قال خشعا فقد اثبت ما يدل على الجمع وهو على لفظ الافراد ودل لفظ الجمع على لفظ ما يدل عليه التأنيث الذي ثبت في نحو قوله في الآية الأخرى خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن قال الزجاج ولك في اسماء الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو قوله خاشعا ابصارهم ولك التوحيد والتأنيث نحو خاشعة ابصارهم ولك الجمع نحو خشعا ابصارهم تقول مررت بشباب حسن اوجههم وحسان وجوههم وحسنة اوجههم قال:

وَشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ ... مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدّ

قال ابن جني قراءة حذيفة وقد انشق القمر يجري مجرى الموافقة على اسقاط العذر ورفع التشكك اي قد كان انشقاق القمر متوقعا دلالة على قرب الساعة فإذا كان قد انشق وانشقاقه من اشراطها وقد يؤكد الأمر في قرب وقوعها وذلك انّ قد إنما هو جواب وقوع أمر كان متوقعاً.

اللغة

في اقتربت زيادة مبالغة على قرب كما ان في اقتدر زيادة مبالغة على قدر لأن اصل افتعل اعداد المعنى بالمبالغة نحو اشتوى اذا اتخذ شواء بالمبالغة في اعداده والاهواء جمع الهوى وهو رقة القلب بميل الطباع كرقة هواء الجو يقال هوي يهوى هوىً فهو هوٍ اذا مال طبعه الى الشيء والمزدجر المنتظر مفتعل من الزجر الا أن التاء ابدلت دالا لتوافق الزاي بالجهر ويقال انكرت الشيء فهو منكر ونكرته فهو منكور وقد جمع الأعشى بين اللغتين فقال:

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ ... مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا(٢)

والنكر والمنكر الشيء الذي تأباه النفس ولا تقبله من جهة نفور الطبع عنه واصله من الانكار الذي هو نقيض الإقرار والاجداث القبور جمع جدث والجدف بالفاء لغة فيه والاهطاع الاسراع في المشي.

الإعراب

فما تغن النذر يجوز أن يكون ما للجحد فيكون حرفا ويجوز ان يكون استفهاما فيكون اسما والتقدير في الأول فلا تغني النذر وفي الثاني فأي شيء تغني النذر قال الزجاج قوله فتولَّ عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر وقف التمام فتول عنهم ويوم منصوب بقوله يخرجون من الاجداث واما حذف الواو من يدعو في الكتاب فلأنها تحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين فأجريت في الكتاب على ما يلفظ بها واما الداعي فإثبات الياء فيه اجود ويجوز حذفها لأن الكسرة تدل عليها وقوله خشعا ابصارهم منصوب على الحال من الواو في يخرجون وفيه تقديم وتأخير تقديره يخرجون خشعا ابصارهم من الاجداث وان شئت كان حالا من الضمير المجرور في قوله فتول عنهم ومهطعين أيضا منصوب على الحال واني مغلوب تقديره دعا ربه بأني مغلوب

(١) التحاجز: التمانع والسُّجح: اللين السهل والعضب: السيف القاطع وذكّر الفاس وغيره جعل على رأسه القطعة من الفولاذ و

(٢) الصَّلَع انحسار شعر مقدّم الرأس.

وقرأ عيسى بن عمر إني بالكسر على ارادة القول اي فدعا ربه قال اني مغلوب ومثله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا التقدير قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا

المعنى

(اقتربت الساعة) اي قربت الساعة التي تموت فيها الخلائق وتكون القيامة والمراد فاستعدوا لها قبل هجومها (وانشق القمر) قال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله ﷺ فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ﷺ ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وقال ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لنا رسول الله ﷺ اشهدوا اشهدوا وروي ايضا عن ابن مسعود انه قال والذي نفسي بيده لقد رأيت حراء بين فلقي القمر وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقال ناس سحرنا محمد فقال رجل ان كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وجبير بن مطعم وعبد الله بن عمر وعليه جماعة المفسرين الا ما روي عن عثمان بن عطاء عن ابيه انه قال معناه وسينشق القمر وروي ذلك عن الحسن وانكره ايضا البلخي وهذا لا يصح لأن المسلمين اجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه ولأن اشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافه ومن طعن في ذلك بأنه لو وقع انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ لما كان يخفى على احد من أهل الاقطار فقوله باطل لأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجبه عن اكثرهم بغيم وما يجري مجراه ولأنه قد وقع ذلك ليلا فيجوز أن يكون الناس كانوا نياما فلم يعلموا بذلك على ان الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث في السماء وفي الجو من آية وعلامة فيكون مثل انقضاض الكواكب وغيره مما يغفل الناس عنه وإنما ذكر سبحانه اقتراب الساعة مع انشقاق القمر لأن انشقاقه من علامة نبوة نبينا ﷺ ونبوته وزمانه من اشراط اقتراب الساعة (وان يروا آية يعرضوا) هذا اخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش وانهم اذا رأوا آية معجزة اعرضوا عن تأملها والإنقياد لصحتها عنادا وحسداً (ويقولوا سحر مستمر) أي قوي شديد يعلو كل سحر عن الضحاك وابي العالية وقتادة وهو من امرار الحبل وهو شدة فتله واستمر الشيء اذا قوي واستحكم وقيل معناه سحر ذاهب مضمحل لا يبقى عن مجاهد وهو من المرور وقال المفسرون لما انشق القمر قال مشركو قريش سحرنا محمد فقال الله سبحانه وان يروا آية يعرضوا عن التصديق والإيمان بها قال الزجاج وفي هذا دلالة على ان ذلك قد كان ووقع واقول ولأنه تعالى قد بين انه يكون آية على وجه الأعجاز وإنما يحتاج الى الآية المعجزة في الدنيا ليستدل الناس بها على صحة النبوة ويعرف صدق الصادق لا في حال انقطاع التكليف والوقت الذي يكون الناس فيه ملجئين الى المعرفة ولأنه سبحانه قال ويقولوا سحر مستمر وفي وقت الالجاء لا يقولون للمعجز انه سحر (وكذبوا) اي بالآية التي شاهدوها (واتبعوا اهواءهم) في التكذيب ومازين لهم الشيطان من الباطل الذي هم عليه (وكل امر مستقر) فالخير يستقر بأهل الخير والشر يستقر بأهل الشر عن قتادة والمعنى ان كل امر من خير وشر مستقر ثابت حتى يجازى به صاحبه اما في الجنة او في النار وقيل

معناه لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف عن الكلبي (ولقد جاءهم) اي ولقد جاء هؤلاء الكفار (من الانباء) يعني الاخبار العظيمة في القرآن بكفر من تقدم من الأمم واهلاكنا اياهم (ما فيه مزدجر) اي متعظ وهو بمعنى المصدر اي وازدجار عن الكفر وتكذيب الرسل (حكمة بالغة) يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية والنهاية (فما تغن النذر) اي اي شيء تنفع النذر مع تكذيب هؤلاء واعراضهم وهو جمع النذير وقيل معناه فلا تغني النذر شيئا اي ان الأنبياء الذين بعثوا اليهم لا يغنون عنهم شيئا من عذاب الله الذي استحقوه بكفرهم لأنهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم عن الجبائي وقيل النذر هي الزواجر المخوفة وآيات الوعيد ثم امره سبحانه بالإعراض عنهم فقال (فتول عنهم) اي اعرض عنهم ولا تقابلهم على سفههم وهاهنا وقف تام (يوم يدع الداع الى شيء نكر) اي منكر غير معتاد ولا معروف بل امر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما واختلف في الداعي فقيل هو اسرافيل يدعو الناس الى الحشر قائما على صخرة بيت المقدس عن مقاتل وقيل بل الداعي يدعوهم الى النار ويوم ظرف ليخرجون اي في هذا اليوم يخرجون من الاجداث ويجوز ان يكون التقدير في هذا اليوم يقول الكافرون وقوله (خشعا ابصارهم) يعني خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب وإنما وصف الابصار بالخشوع لأن ذلة الذليل او عزة العزيز تتبين في نظره وتظهر في عينه (يخرجون من الاجداث) اي من القبور (كأنهم جراد منتشر) والمعنى انهم يخرجون فزعين يدخل بعضهم في بعض ويختلط بعضهم ببعض لاجهة لأحد منهم فيقصدها كما ان الجراد لا جهة لها فتكون ابداً متفرقة في كل جهة قال الحسن الجراد يتلبد حتى اذا طلعت عليها الشمس انتشرت فالمعنى انهم يكونون ساكنين في قبورهم فإذا دعوا خرجوا وانتشروا وقيل انما شبههم بالجراد لكثرتهم وفي هذه الآية دلالة على ان البعث انما يكون لهذه البنية لأنها الكائنة في الأجداث خلافا لمن زعم ان البعث يكون للارواح (مهطعين إلى الداع) أي مقبلين إلى صوت الداعي عن قتادة وقيل مسرعين إلى اجابة الداعي عن ابي عبيدة وقيل ناظرين قبل الداعي قائلين هذا يوم عسر عن الفراء وابي علي الجبائي وهو قوله (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي صعب شديد وقد قيل ايضا في قوله فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر أقوال اخر ﴿أحدها﴾ ان المعنى فأعرض عنهم إذا تعرضوا لشفاعتك يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فلا تشفع لهم ذلك اليوم كما لم يقبلوا منك اليوم ﴿وثانيها﴾ ان معناه فتول عنهم فانهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فحذف الفاء من جواب الأمر ﴿وثالثها﴾ ان معناه فتول عنهم فانهم يوم يدعو الداعي صفتهم كذا وكذا وهي ما بينه إلى قوله يوم عسر ﴿ورابعها﴾ فتول عنهم واذكر يوم يدع الداعي الى آخره عن الحسن (كذبت قبلهم) اي قبل كفار مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا كما كذبك يا محمد هؤلاء الكفار وجحدوا نبوتك (وقالوا مجنون) اي هو مجنون قد غطي على عقله (وازدجر) اي زجر بالشتم والرمي بالقبيح عن ابن زيد وقيل معناه زجر بالوعيد وتوعد بالقتل فهو مثل قوله لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين (فدعا ربه اني مغلوب فانتصر) اي فقال يا رب قد غلبني هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجة فانتصر اي فانتقم لي منهم بالإهلاك والدمار نصرة لدينك ونبيك وفي هذا دلالة على وجوب الانقطاع الى الله تعالى عند سماع الكلام القبيح من أهل الباطل

(١) [بالغة].

قوله تعالى (١١) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١٢) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٣) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٤) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٥) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٦) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٧) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٨) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٩١) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (٢٠) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٣١) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ احدى عشرة آية

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد والباقون بالتخفيف.

الحجة

وجه التخفيف ان فعلنا بالتخفيف يدل على القليل والكثير ووجه التثقيل انه يخص الكثير[1] ويقويه قوله مفتحة لهم الابواب.

اللغة

الهمر صب الدمع والماء بشدة والانهمار الانصباب قال امرؤ القيس:

راحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرْ[2]

والتفجير تشقيق الأرض عن الماء والعيون جمع عين الماء وهو ما يفور من الارض مستديراً كاستدارة عين الحيوان فالعين مشتركة بين عين الحيوان وعين الماء وعين الذهب[3] وعين السحاب وعين الركبة والدسر المسامير التي تشد بها السفينة واحدها دسار ودسير ودسرت السفينة ادسرها دسراً اذا شددتها وقيل ان أصل الباب الدفع يقال دسره بالرمح اذا دفعه بشدة والدسر صدر السفينة لانه يدسر به الماء اي يدفع ومنه الحديث في العنبر هو شيء دسره البحر ومذكر اصله مذتكر فقلبت التاء دالا لتواخي الذال بالجهر ثم ادغمت الذال فيها والنذر اسم من الانذار يقوم مقام المصدر يقال انذره نذرا بمعنى انذاراً ومثله انزله نزلا بمعنى انزالا ويجوز ان يكون جمع نذير والصرصر الريح الشديدة الهبوب حتى يسمع صوتها وهو مضاعف صر يقال صرّ وصرصر وكبّ وكبكب ونة ونهنه والمستمر الجاري على طريقة واحدة واعجاز النخل اسافله والنخل يذكر ويؤنث والمنقعر المنقلع عن اصله لأن قعر الشيء قراره وتقعّر في كلامه تعمقاً اذا تعمّق.

الاعراب

عيونا نصب على التمييز او الحال والأصل وفجرنا عيون الارض والمعنى وفجرنا جميع الارض عيونا ويجوز أن يكون تقديره بعيون فحذف الجار ويجوز ان يكون التقدير وفجرنا من الارض عيونا وقوله على امر[4] في موضع نصب على الحال وقوله بأعيننا في موضع نصب بأنه ظرف مكان. جزاء منصوب بانه مفعول له ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال والمعنى فعلنا ذلك مجازين جزاء وآية منصوبة على الحال من الهاء في تركناها

(١) في نسختين : الكثير بالكثير . وفي نسخة الكثير بالتكثير . (٢) مرت الريح السحاب : استدرته واستخرج ما فيها من الماء وانتحى البعير: اعتمد في سيره على ايسره و الشؤبوب : الدفعة من المطر وشدة دفع الشيء والجنوب يحتمل ريح الجنوب او نقطة الجنوب

(٣) في نسخة : عين الذهب وعين الميزان وفي نسخة : الميزاب (٤) في المخطوطة : على امر قد قدر .

المعنى

ثم بين سبحانه اجابته لدعاء نوح (ع) فقال (ففتحنا ابواب السماء) هاهنا حذف معناه فاستجبنا لنوح دعاءه ففتحنا ابواب السماء اي اجرينا الماء من السماء كجريانه اذا فتح عنه باب كان مانعاً له وذلك من صنع الله الذي لا يقدر عليه سواه وجاز ذلك على طريق البلاغة (بماء منهمر) اي منصب انصبابا شديداً لا ينقطع (وفجرنا الارض عيونا) اي شققنا الارض بالماء عيوناً حتى جرى الماء على وجه الارض (فالتقى الماء) يعني فالتقى الماءان: ماء السماء وماء الارض وإنما لم يثن لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير (على امر قد قدر) فيه هلاك القوم اي على امر قد قدره الله تعالى وهو هلاكهم وقيل على امر قد قدره الله تعالى وعرف مقداره فلا زيادة فيه ولا نقصان وقيل معناه انه كان قدر ماء السماء مثل ما قدر ماء الارض عن مقاتل وقيل معناه على امر قدر عليهم في اللوح المحفوظ (وحملناه على ذات الواح) اي وحملنا نوحا على سفينة ذات الواح مركبة بعضها الى بعض والواحها خشباتها التي منها جمعت (ودسر) اي مسامير شدّت بها السفينة عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل هو صدر السفينة يدسر بها الماء عن الحسن وجماعة وقيل هي اضلاع السفينة عن مجاهد وقيل الدسر طرفاها واصلها والألواح جانباها عن الضحاك (تجري) السفينة في الماء (بأعيننا) اي بحفظنا وحراستنا وبمرأىً منا ومنه قولهم عين الله عليك وقيل معناه بأعين اولياؤنا ومن وكلناهم بها من الملائكة وقيل معناه تجري بأعين الماء التي انبعناها (جزاء لمن كان كفر) اي فعلنا به وبهم ما فعلنا من انجائه واغراقهم ثوابا لمن كان قد كفر به وجحد امره وهو نوح (ع) والتقدير لمن جحد نبوته وانكر حقه وكفر بالله فيه (ولقد تركناها) اي تركنا هذه الفعلة التي فعلناها (آية) اي علامة يعتبر بها وقيل معناه تركنا السفينة ونجاة من فيها واهلاك الباقين دلالة باهرة على وحدانية الله تعالى وعبرة لمن اتعظ بها وكانت السفينة باقية حتى رآها اوائل هذه الامة عن قتادة وقيل في كونها آية انها كانت تجري بين ماء السماء وماء الأرض وقد كان غطاها على ما أمر الله تعالى (فهل من مدّكر) اي متذكر يعلم ان ذلك حق فيعتبر به ويخاف وقيل معناه فهل من طالب علم فيعان عليه عن قتادة (فكيف كان عذابي ونذر) هذا استفهام عن تلك الحالة ومعناه التعظيم لذلك العذاب اي كيف رأيتم انتقامي منهم وانذاري اياهم وقال الحسن النذر جمع نذير وإنما كرر سبحانه هذا القول في هذه السورة لأنه سبحانه لما ذكر انواع الانذار والعذاب عقد التذكير بشيء شيء منه على التفصيل (ولقد يسرنا القرآن للذكر) اي سهلناه للحفظ والقراءة حتى يقرأ كله ظاهرا وليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله ظاهرا الا القرآن عن سعيد بن جبير والتيسير للشيء هو تسهيله بما ليس فيه كثير مشقة على النفس فمن سهل له طريق العلم فهو حقيق بأخذ الحظ الجزيل منه لأن التسهيل اكبر داع اليه وتسهيل القرآن للذكر هو خفة ذلك على النفس بحسن البيان وظهور البرهان في الحِكَم السنية والمعاني الصحيحة الموثوق بها لمجيئها من قبل الله تعالى وانما صار الذكر من اجل ما يدعى اليه ويحث عليه لأنه طريق العلم لأن الساهي عن الشيء او عن دليله لا يجوز أن يعلمه في حال سهوه فإذا تذكر الدلائل عليه والطرق المؤدية اليه تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له (فهل من مدّكر) اي متعظ معتبر به ناظر فيه ثم قال سبحانه (كذبت عاد) اي بالرسول الذي بعثه الله اليهم وهو هود (ع) فاستحقوا الهلاك فأهلكهم (فكيف كان عذابي) لهم (ونذر) اي وانذاري اياهم ثم بين كيفية اهلاكهم فقال (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) اي شديدة الهبوب عن ابن زيد

(١) ليس في سائر النسخ لفظة «ما» (٢) في سائر النسخ: جمع بعضها.

وقيل باردة عن ابن عباس وقتادة من الصر وهو البرد (في يوم نحس) اي في يوم شؤم (مستمر) اي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته سبع ليال وثمانية ايام حتى أتت عليهم ومستمر من صفة اليوم اي يوم مستمر ضرره عام هلاكه وقيل هو نعت للنحس اي استمر بهم العذاب والنحس في الدنيا حتى اتصل بالعقبى قال[1] الزجاج وقيل انه كان في يوم الاربعاء في آخر الشهر لا تدور رواه العياشي بالاسناد عن ابي جعفر (ع) (تنزع الناس) اي تقتلع هذه الريح الناس ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فيصيرون (كأنهم اعجاز نخل منقعر) اي اسافل نخل منقلع لأن رؤوسهم سقطت عن ابدانهم عن مجاهد وقيل معناه تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها عن الريح وقيل معناه تنزع ارواح الناس عن الحسن (فكيف كان عذابي ونذر) وهو تعظيم للعذاب النازل بهم وتخويف لكفار مكة.

قوله تعالى (٢٢) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٤) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٥) أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٦) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٧) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٨) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٩) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٣٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣١) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ عشر آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون بالتاء والباقون بالياء. وفي الشواذ قراءة ابي السماك ابشر منا بالرفع واحدا نتبعه بالنصب وقراءة ابي قلابة الكذاب الأشر بالتشديد وقراءة مجاهد الأشر بضم الشين خفيفة وقراءة الحسن كهشيم المحتظر بفتح الظاء.

الحجة

قال ابو علي وجه الياء ان قبله غيبة وهو قوله فقالوا ابشرا منا[2] سيعلمون ووجه التاء على انه قيل لهم ستعلمون وقال ابن جني قوله ابشر عندي مرفوع بفعل يدل عليه قوله ءالقي الذكر عليه فكأنه قال ايبعث بشر منا فاما انتصاب واحدا فإن شئت جعلته حالا من الضمير في قوله منا اي ينبأ بشر كائن منا والناصب لهذه الحال الظرف كقولك زيد في الدار جالسا وان شئت جعلته حالا من الضمير في قوله نتبعه اي نتبعه واحدا اي منفردا لا ناصر له وقوله الأشر بتشديد الراء هو الاصل المرفوض لأن اصل قولهم هذا خير منه وأشر[3] منه هذا اخير منه وهذا اشر منه فكثر استعمال هاتين الكلمتين فحذفت الهمزة منهما واما الأشر فإنه مما جاء على فعل وفعل من الصفات كحذر وحذُر ويقِظ ويقُظ ووطِف ووطُف وعجِز وعجُز واما المحتظر فإنه مصدر اي كهشيم الاحتظار كقولك كآجر البناء وخشب النجارة ويجوز ان يكون المحتظر الشجر اي كهشيم الشجر المتخذة منه الحظيرة اي كما تتهافت من الشجر المجعول حظيرة والهشيم ما تهشم منه وانتشر.

اللغة

السعر جمع سعير وهو النار المسعرة والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت كأن بها جنونا وسُعر[4] فلان جنونا واصله التهاب الشيء والتعاطي التناول والمحتظر الذي يعمل الحظيرة على بستانه او غنمه وهو[5] المنع من الفعل

(١) في نسخة : قاله (٢) في نسخة : فقيل(٣) [هذا] (٤) وفي نسختين : واستعر. (٥) [وهو من الحظر] .

الاعراب

ابشرا منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره وتقديره اتتبع بشرا منا وقوله منا صفة اي ابشرا كائناً منا وواحدا صفة بعد صفة والبشر يقع على الواحد والجمع وقوله من بيننا في محل النصب على الظرف وفتنة منصوب بانه مفعول له ويجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال اي فاتنين لهم

المعنى

ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) قد فسرناه وقيل انه سبحانه إنما اعاد ذكر التيسير لينبئ انه يسّره على كل حال وكل وجه من وجوه التيسير فمن الوجوه التي يسر الله تعالى بها القرآن هو ان ابان عن الحكم الذي يعمل عليه والمواعظ التي يرتدع بها والمعاني التي تحتاج الى التنبيه عليها والحجج التي يميز بها بين الحق والباطل عن علي بن عيسى (كذبت ثمود بالنذر) اي بالانذار الذي جاءهم به صالح ومن قال ان النذر جمع نذير قال معناه انهم كذبوا الرسل بتكذيبهم صالحا لأن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الجميع لأنهم متفقون في الدعاء الى التوحيد وان اختلفوا في الشرائع (فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه) اي انتبع آدميا مثلنا وهو واحد (انا اذا لفي ضلال) اي نحن ان فعلنا ذلك في خطأ وذهاب عن الحق (وسعر) اي وفي عناء وشدة عذاب فيما يلزمنا من طاعته عن قتادة وقيل في جنون عن ابن عباس في رواية عطاء والفائدة في الآية بيان شبهتهم الركيكة التي حملوا انفسهم على تكذيب الانبياء من اجلها وهي ان الانبياء ينبغي ان يكونوا جماعة وذهب عليهم ان الواحد من الخلق يصلح لتحمل اعباء الرسالة وان لم يصلح له غيره من جهة معرفته بربه وسلامة ظاهره وباطنه وقيامه بما كلف من الرسالة (أألقى الذكر عليه من بيننا) هذا استفهام انكار وجحود اي كيف القي الوحي عليه وخص بالنبوة من بيننا وهو واحد منا (بل هو كذاب) فيما يقول (أشر) اي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بالنبوة ثم قال سبحانه (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) وهذا وعيد لهم اي سيعلمون يوم القيامة اذا نزل بهم العذاب اهو الكذاب ام هم في تكذيبه وهو الأشر البطر ام هم فذكر مثل لفظهم مبالغة في توبيخهم وتهديدهم وإنما قال غدا على وجه التقريب على عادة الناس في ذكرهم الغد والمراد به العاقبة قالوا ان مع اليوم غداً (انا مرسلوا الناقة فتنة لهم) اي نحن باعثو الناقة بانشائها على ما طلبوها معجزة لصالح وقطعا لعذرهم وامتحانا واختبارا لهم وهاهنا حذف وهو انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء تضع ثم ترد ماءهم فتشرب ثم تعود عليهم بمثله لبنا فقال سبحانه انا باعثوها كما سألوها فتنة لهم عن ابن عباس (فارتقبهم) اي انتظر امر الله فيهم وقيل فارتقبهم اي انتظر ما يصنعون (واصطبر) على ما يصيبك من الأذى حتى يأتي أمر الله فيهم (ونبئهم) اي اخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) يوم للناقة ويوم لهم (كل شرب محتضر) اي كل نصيب من الماء يحضره اهله لا يحضر آخر معه ففي يوم الناقة تحضره الناقة وفي يومهم يحضرونه هم وحضر واحتضر بمعنى واحد وانما قال قسمة بينهم تغليبا لمن يعقل والمعنى يوم لهم ويوم لها وقيل انهم كانوا يحضرون الماء اذا غابت الناقة ويشربونه واذا حضرت حضروا اللبن وتركوا الماء لها عن مجاهد (فنادوا صاحبهم) اي دبّروا في أمر الناقة بالقتل فدعوا رجلا من اشرارهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة (فتعاطى فعقر) اي تناول الناقة بالعقر فعقرها وقيل انه كمن لها في اصل صخرة فرماها بسهم فانتظم[1] به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها وكان يقال له احمر ثمود واحيمر ثمود قال الزجاج والعرب تغلط فتجعله احمر عاد فتضرب به المثل في الشؤم قال زهير:

وَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ اَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعَ فَتَفْطِمِ

(فكيف كان عذابي ونذر) اي فانظر كيف اهلكتهم وكيف كان عذابي لهم وانذاري اياهم (انا ارسلنا عليهم

(١) انتظم الصيد: طعنه او رماه حتى ينفذه.

صيحة واحدة) يريد صيحة جبرائيل (ع) عن عطاء وقيل الصيحة العذاب (فكانوا كهشيم المحتظر) اي فصاروا كهشيم وهو حطام الشجر المنقطع بالكسر والرض الذي يجمعه صاحب الحظيرة الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها من برد الريح والمعنى انهم بادوا وهلكوا فصاروا كيبيس الشجر المفتت[1] اذا تحطم عن ابن عباس وقيل معناه صاروا كالتراب الذي يتناثر من الحائط فتصيبه الرياح فيتحظر مستديراً عن سعيد بن جبير.

قوله تعالى (٣٢) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٣) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٥) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٦) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٨) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٩) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٤٠) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤١) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤٢) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ

﴿ الإعراب ﴾ عشر آيات

سحر اذا كان نكرة يراد به سحر من الاسحار يقال رأيت زيدا سحراً من الاسحار فإذا اردت سحر يومك قلت أتيته بسحرَ وأتيته سحرَ وقوله نعمة مفعول له وقوله بكرة ظرف زمان فإذا كان معرفة بأن تريد بكرة يومك تقول أتيته بكرةَ وغدوةَ لم تصرفهما فبكرة هنا نكرة.

﴿ المعنى ﴾

ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) قال قتادة اي فهل من طالب علم يتعلم (كذبت قوم لوط بالنذر) اي بالانذار وقيل بالرسل على ما فسّرناه (انا ارسلنا عليهم حاصبا) اي ريحا حصبتهم اي رمتهم بالحجارة والحصباء قال ابن عباس يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة في الريح قال الفرزدق

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَنْثُورِ[2]

ثم استثنى آل لوط فقال (إلا آل لوط نجيناهم) اي خلصناهم (بسحر) من ذلك العذاب الذي اصاب قومه (نعمة من عندنا) اي انعاما فيكون مفعولا له ويجوز ان يكون مصدرا وتقديره انعمنا عليهم بذلك نعمة (كذلك) اي كما انعمنا عليهم (نجزي من شكر) قال مقاتل يريد من وحد الله تعالى لم يعذب مع المشركين (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) اي اخذنا اياهم بالعذاب (فتماروا بالنذر) اي تدافعوا بالانذار على وجه الجدال بالباطل وقيل معناه فشكوا ولم يصدقوه وقالوا كيف يهلكنا وهو واحد منا وهو تفاعلوا من المرية (ولقد راودوه عن ضيفه) اي طلبوا منه ان يسلّم اليهم اضيافه (فطمسنا اعينهم) اي محوناها والمعنى عميت ابصارهم عن الحسن وقتادة وقيل معناه ازلنا تخطيط وجوههم حتى صارت ممسوحة لا يرى اثر عين وذلك ان جبرائيل (ع) صفق اعينهم بجناحه صفقة فاذهبها والقصة مذكورة فيما مضى وتم الكلام ثم قال (فذوقوا عذابي ونذر) اي فقلنا لقوم لوط لما ارسلنا عليهم العذاب ذوقوا عذابي ونذري (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) اي اتاهم صباحا عذاب نازل بهم حتى هلكوا جميعاً (فذوقوا عذابي ونذر) ووجه التكرار ان الأول عند الطمس والثاني عند الالتفاك[3] فكلما تجدد العذاب تجدد التقريع (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر معناه (ولقد جاء آل فرعون) النذر أي متابعي فرعون بالقرابة والدين (النذر) اي الانذار وقيل هو جمع نذير يعني الآيات التي

(١) وفي نسخة : المنفتت (٢) الضمير في تضربنا راجع الى الشمال والمراد ريح الشمال اى كانت تضربنا بالحر منثورة فيها كالقطن المندوف ومر البيت في ج ٦ ص ٤٢٧ (٣) ائتفكت البلدة باهلها : انقلبت .

انذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) وهي الآيات التسع التي جاءهم بها موسى وقيل بجميع الآيات لأن التكذيب بالبعض تكذيب بالكل (فأخذناهم) بالعذاب (اخذ عزيز) اي قادر لا يمتنع عليه شيء فيما يريد (مقتدر) على ما يشاء.

قوله تعالى (٤٣) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٤) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٥) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٦) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٧) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٨) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٩) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٥٠) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥١) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥٢) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٣) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٥) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ.

اربع عشرة آية.

القراءة

قرأ يعقوب عن[1] رويس سنهزم الجمع والباقون سيهزم الجمع وفي الشواذ قراءة أبي السماك انا كل شيء بالرفع وقراءة زهير والقرقني[2] والأعمش ونهر بضمتين.

الحجة

قال ابن جني الرفع في قوله انا كل شيء خلقناه أقوى من النصب وان كانت الجماعة على النصب وذلك انه من مواضع الابتداء فهو كقولك زيد ضربته وهو مذهب صاحب الكتاب لأنها جملة وقعت في الأصل خبرا عن المبتدأ في قولك نحن كل شيء خلقناه بقدر فهو كقولك زيد هند ضربها ثم دخلت انّ فنصبت الإسم وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه واختيار محمد بن يزيد النصب لأن تقديره انا فعلنا كذا قال والفعل منتظر بعد انا فلما دل عليه ما قبله حسن اضماره قال ابن جني وهذا ليس بشيء لأن الأصل في خبر المبتدأ أن يكون اسما لا فعلا جزاء[3] منفردا فما معنى توقع الفعل هنا وخبر إن واخواتها كأخبار المبتدأ وقوله نُهُر جمع نَهَر فيكون كأُسُد وأَسَد ووُثُن ووَثَن ويجوز أن يكون جمع نَهْر كسُقُف وسَقْف ورُهُن ورَهْن.

المعنى

ثم خوّف سبحانه كفار مكة فقال (اكفاركم خير) وأشد وأقوى (من أولئكم) الذين ذكرناهم وقد اهلكناهم وهذا استفهام انكار أي لستم أفضل من قوم نوح وعاد وثمود لا في القوة ولا في الثروة ولا في كثرة العدد والعدة والمراد بالخير ما يتعلق بأسباب الدنيا لا أسباب الدين والمعنى انه إذا هلك أولئك الكفار فما الذي يؤمنكم أن ينزل بكم ما نزل بهم (أم لكم براءة في الزبر) اى ألكم براءة من العذاب في الكتب السالفة انه لن يصيبكم ما اصاب الأمم الخالية (أم يقولون نحن جميع منتصر) اي أم يقول هؤلاء الكفار نحن جميع أمرنا ننتصر من اعدائنا عن الكلبي والمعنى انهم يقولون نحن يد واحدة على من خالفنا ننتصر ممن عادانا فيدلون بقوتهم واجتماعهم ووحد منتصر للفظ الجميع فانه واحد في اللفظ وان كان اسما للجماعة كالرهط

(١) وفي نسختين : غير رويس بدل عن رويس (٢) وفي نسختين : زهير الفرقني وفي نسخة : والقرقبي . (٣) وفي نسخة : خبراً منفرداً وفي اخرى لاخبراً منفرداً .

والجيش أي كما انهم ليسوا بخير من أولئك ولا لهم براءة فكذلك لا جمع لهم يمنع عنهم عذاب الله وينصرهم وان قالوا نحن مجتمعون متناصرون فلا نرام ولا نقصد ولا يطمع احد في غلبتنا ثم قال سبحانه (سيهزم الجمع) أي جمع كفار مكة (ويولون الدبر) أي ينهزمون فيولونكم أدبارهم في الهزيمة ثم اخبر سبحانه نبيه ﷺ انه سيظهره عليهم ويهزمهم فكانت هذه الهزيمة يوم بدر فكان موافقة الخبر للمخبر من معجزاته ثم قال سبحانه (بل الساعة موعدهم) أي ان موعد الجميع للعذاب يوم القيامة (والساعة أدهى وأمر) فالأدهى الأعظم في الدهاء والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس وهو من الداهية أي البلية التي ليس في ازالتها حيلة والمعنى ان ما يجري عليهم من القتل والأسر يوم بدر وغيره لا يخلصهم من عقاب الآخرة بل عذاب الآخرة أعظم في الضرر وأقطع وأمر أي أشد مرارة من القتل والأسر في الدنيا وقيل الأمر الأشد في استمرار البلاء لأن أصل المر النفوذ ثم بيّن سبحانه حال القيامة فقال (ان المجرمين في ضلال وسعر) أي في ذهاب عن وجه النجاة وطريق الجنة في نار مسعرة عن الجبائي وقيل في ضلال أي في هلاك وذهاب عن الحق وسعر أي عناء وعذاب (يوم يسحبون) أي يجرون (في النار على وجوههم) يعني ان هذا العذاب يكون لهم في يوم يجرهم الملائكة فيه على وجوههم في النار ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) يعني اصابتها اياهم بعذابها وحرّها وهو كقولهم وجدت مس الحمى وسقر جهنم وقيل هي باب من أبوابها واصل السقر التلويح يقال سقرته الشمس وصقرته إذا لوحته وإنما لم ينصرف للتعريف والتأنيث (انا كل شيء خلقناه بقدر) اي خلقنا كل شيء خلقناه مقدرا بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافا ولا تخبيتا[1] فخلقنا العذاب ايضا على قدر الاستحقاق وكذلك كل شيء في الدنيا والآخرة خلقناه مقدراً بمقدار معلوم عن الجبائي وقيل معناه خلقنا كل شيء على قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام واليد للبطش والرجل للمشي والعين للنظر والاذن للسماع والمعدة للطعام ولو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الغرض عن الحسن وقيل معناه جعلنا لكل شيء شكلا يوافقه ويصلح له كالمرأة للرجل والأتان للحمار وثياب الرجال للرجال وثياب النساء للنساء عن ابن عباس وقيل خلقنا كل شيء بقدر مقدر وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أي وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر عن ابن عباس والكلبي ومعنى اللمح النظر بالعجلة وهو خطف البصر والمعنى إذا أردنا قيام الساعة اعدنا الخلق وجميع المخلوقات[2] في قدر لمح البصر في السرعة وقيل معناه وما امرنا إذا أردنا أن نكوّن شيئا إلا مرة واحدة لم نحتج فيه إلى ثانية وانما نقول له كن فيكون كلمح البصر في سرعته من غير ابطاء ولا تأخير عن الجبائي (ولقد اهلكنا أشياعكم) أي اشباهكم ونظائركم في الكفر من الأمم الماضية عن الحسن وسماهم اشياعهم لما وافقوهم في الكفر وتكذيب الأنبياء (فهل من مدكر) اي فهل من متذكر لما يوجبه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من اعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الاهلاك (وكل شيء فعلوه في الزبر) اي في الكتب التي كتبها الحفظة وهذه اشارة إلى انهم غير مغفول عنهم عن الجبائي وقيل معناه ان جميع ذلك مكتوب عليهم في الكتاب المحفوظ لأنه من اعظم العبرة في علم ما يكون قبل ان يكون على التفصيل (وكل صغير وكبير مستطر) أي وما قدموه من اعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل معناه كل صغير وكبير من الأرزاق والآجال والموت والحياة ونحوها مكتوب في اللوح المحفوظ (ان المتقين في جنات ونهر) أي

(١) وفي نسخة : تنحيتاً ولامعنى مناسب لهما وفي نسخة : تعبثاً ولعله يناسب المورد . (٢) وفي المخطوطة : الحيوانات

أنهار يعني أنهار الجنة من الماء والخمر والعسل[1] وضع نهر في موضع انهار لأنه اسم جنس يقع على الكثير والقليل والاولى ان يكون انما وحد لوفاق الفواصل والنهر هو المجرى الواسع من مجاري الماء (في مقعد صدق) أي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل وصفه بالصدق لكونه رفيعا مرضيا وقيل لدوام النعيم به وقيل لأن الله صدق وعد أوليائه فيه (عند مليك مقتدر) أي عند الله سبحانه فهو المالك القادر الذي لا يعجزه شيء وليس المراد قرب المكان تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا بل المراد انهم في كنفه وجواره و كفايته حيث تنالهم غواشي رحمته وفضله

سورة الرحمن (مكية)

وقيل مكية غير آية نزلت بالمدينة يسأله من في السموات والأرض عن عطاء وقتادة وعكرمة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل مدنية عن الحسن وهمام عن قتادة وابي حاتم

عدد آيها

ثمان وسبعون آية كوفي شامي سبع حجازي ست بصري

اختلافها

خمس آيات الرحمن كوفي شامي خلق الإنسان الاول غير المدني وضعها للأنام غير المكي المجرمون غير البصري شواظ من نار حجازي

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما أنعم الله عليه وروي عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﷺ قال لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لا تدعوا قراءة الرحمن والقيام بها فإنها لا تقر في قلوب المنافقين وتأتي ربها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح حتى تقف من الله موقفا لا يكون احد أقرب إلى الله سبحانه منها فيقول لها من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك فتقول يا رب فلان وفلان وفلان فتبيض وجوههم فيقول لهم اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا احد يشفعون له فيقول لهم ادخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم . حماد بن عثمان قال قال الصادق (ع) يجب ان يقرأ الرجل سورة الرحمن يوم الجمعة فكلما قرأ فبأي آلاء ربكما تكذبان قال لا بشيء من آلائك يا رب[2] اكذب وعنه (ع) قال من قرأ سورة الرحمن ليلا يقول عند كل فبأي آلاء ربكما تكذبان لا بشيء من آلائك يا رب اكذب وكل الله به ملكا ان قرأها في أول الليل يحفظه حتى يصبح وان قرأها حين يصبح وكل الله به ملكا يحفظه حتى يمسي

(١) في المخطوطة : الخمر واللبن والعسل (٢) وفي نسختين : ربنا نكذب .

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة القمر باسمه وافتتح هذه السورة ايضا باسمه فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلرَّحْمَٰنُ (٢) عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ (٣) خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ (٤) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٥) ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٦) وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٧) وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ (٨) أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ (٩) وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ (١٠) وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١١) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ (١٢) وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ (١٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ثلاث عشرة آية

القراءة

قرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بالنصب فيهما جميعا وقرأ حمزة والكسائي وخلف والحب ذو العصف بالرفع والريحان بالجر والباقون بالرفع في الجميع وفي الشواذ قراءة ابي السماك والسماء رفعها بالرفع وقرأ بلال بن ابي بردة ولا تخسروا بفتح التاء والسين وبكسر السين أيضا.

الحجة

قال ابو علي قال ابو عبيدة العصف الذي يعصف فيؤكل من الزرع وهي العصيفة قال علقمة بن عبدة

تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْمَالَتْ عَصِيفَتُهَا حُدُودُهَا مِنْ أَتِيِّ الْمَاءِ مَطْمُومُ(١)

والريحان الحب الذي يؤكل يقال سبحانك وريحانك أي ورزقك قال النمر بن تغلب (٢)

سَلَامُ الْإِلَهِ وَرَيْحَانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءٌ دَرِرُ

وقيل العصف والعصيفة ورق الزرع وعن قتادة العصف التبن ومن قرأ والحب ذا العصف حمله على وخلق الحب وخلق الريحان وهو الرزق ويقوي ذلك قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ومن رفع الريحان فالتقدير فيها فاكهة والريحان والحب ذو العصف ومن جر فالتقدير فالحب ذو العصف وذو الريحان أي من الحب الرزق فإن قلت فإن العصف والعصيفة رزق ايضا فكأنه قال ذو الرزق وذو الرزق قيل هذا لا يمتنع لأن العصيفة رزق غير الرزق الذي أوقع الريحان عليه وكأن الريحان اريد به الحب إذا خلص من لفائفه فاوقع عليه الرزق لعموم المنفعة به وانه رزق للناس وغيرهم ويبعد ان يكون الريحان المشموم في هذا الموضع انما هو قوت الناس والأنعام كما قال فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم وقوله والسماء رفعها قال ابن جني الرفع هنا اظهر من قراءة الجماعة وذلك انه صرفه إلى الابتداء لأنه عطفه على الجملة المركبة من المبتدأ والخبر وهي قوله والنجم والشجر يسجدان فأما قراءة العامة بالنصب فإنها معطوفة على يسجدان وحدها وهي جملة من فعل وفاعل والعطف يقتضي التماثل في تركيب الجمل فيصير تقديره يسجدان ورفع السماء فلما اضمر رفع فسره بقوله رفعها كقولك قام زيد وعمراً ضربته أي وضربت عمراً لتعطف جملة من فعل وفاعل على أخرى مثلها وأما قوله تخسروا بفتح التاء فإنه على حذف حرف الجر اي لا تخسروا في الميزان فلما حذف حرف الجر أفضى اليه الفعل فنصبه كقوله واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل مرصد أو على

(١) المذنب: مسيل الماء الى الارض ومسيل في الحضيض اذا لم يكن واسما وطم الماء غمر وطم فلان الاناء: ملاءه والاتي: السهل القريب وبضم الالف مصدر اتى يصف عبرته وكثرة بكائه. (٢) وفي نسخة: التولب.

كل مرصدواما تخسروا بفتح التاء و كسر السين فعلى خسرت الميزان وإنما المشهور اخسرته تقول خسر الميزان واخسرته ويشبه ان يكون خسرته لغة في اخسرته نحو اجبرت الرجل وجبرته واهلكته وهلكته

اللغة

الرحمن هو الذي وسعت رحمته كل شيء فلذلك لا يوصف به إلا الله تعالى واما راحم ورحيم فيجوز ان يوصف بهما العباد والبيان هو الأدلة الموصلة إلى العلم وقيل البيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس ومعنى قادر من معنى عاجز ومعنى عام من معنى خاص والحسبان مصدر حسبته احسبه حسابا وحسبانا نحو السكران والكفران وقيل هو جمع حساب كشهاب وشهبان والنجم من النبات ما لم يقم على ساق نحو العشب والبقل والشجر ما قام على ساق واصله الطلوع يقال نجم القرن والنبات إذا طلعا وبه سمي نجم السماء لطلوعه والاكمام جمع كم وهو وعاء ثمرة النخل تكمم في وعائه إذا اشتمل عليه والآلاء النعم واحدها إلى على وزن معى وألى على وزن قفا عن ابي عبيدة.

الاعراب

الرحمن آية مع انه ليس بجملة لأنه في تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصلة فهو خبر مبتدأ محذوف نحو قوله سورة أنزلناها أي هذه سورة. ألا تطغوا تقديره لأن لا تطغوا فهو في محل نصب بأنه مفعول له ولفظه نفي ومعناه نهي ولذلك عطف عليه بقوله واقيموا الوزن وقوله فيها فاكهة مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال

المعنى

(الرحمن) افتتح سبحانه هذه السورة بهذا الاسم ليعلم العباد ان جميع ما وصفه يعد من افعاله الحسنى إنما صدرت من الرحمة التي تشمل جميع خلقه وكأنه جواب لقولهم وما الرحمن في قوله وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وقد روي انه لما نزل قوله قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن قالوا ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة فقيل لهم الرحمن (علم القرآن) أي علم محمدا ﷺ القرآن وعلمه محمد ﷺ أمته عن الكلبي وقيل هو جواب لأهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فبين سبحانه ان الذي علمه القرآن هو الرحمن والتعليم هو تبيين ما به يصير من لم يعلم عالما والاعلام ايجاد ما به يصير عالما ذكر سبحانه النعمة فيما علم من الحكمة بالقرآن الذي احتاج اليه الناس في دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم ويستوجبوا الثواب بطاعة ربهم قال الزجاج معنى علم القرآن يسر لأن يذكر (خلق الإنسان) أي اخرجه من العدم إلى الوجود والمراد بالإنسان هنا آدم (ع) عن ابن عباس وقتادة (علمه البيان) اي اسماء كل شيء واللغات كلها قال الصادق «ع» البيان الاسم الاعظم الذي به علم كل شيء وقيل الإنسان اسم الجنس وقيل[1] معناه الناس جميعا. علمه البيان اي النطق والكتابة والخط والفهم والافهام حتى يعرف ما يقول وما يقال له عن الحسن وابي العالية وابن زيد والسدي وهذا هو الأظهر الأعم وقيل البيان هو الكلام الذي يبين به عن مراده وبه يتميز من سائر الحيوانات عن الجبائي وقيل خلق الإنسان يعني محمدا ﷺ علمه البيان يعني ما كان وما يكون عن ابن كيسان (الشمس والقمر بحسبان) اي يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها وهما يدلان على عدد الشهور والسنين والاوقات عن ابن عباس وقتادة فأضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه وتحقيق معناه انهما يجريان على وتيرة واحدة وحساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت فالشمس تقطع بروج الفلك

(١) ليس في المخطوطة لفظة قيل.

فى ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وشيء والقمر في ثمانية وعشرين يوما فيجريان ابدا على هذا الوجه وانما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونضج الثمار إلى غير ذلك فذكرهما لبيان النعمة بهما على الخلق (والنجم والشجر يسجدان) يعني بالنجم نبت الارض الذي ليس له ساق وبالشجر ماكان له ساق يبقى في الشتاء عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وقيل اراد بالنجم نجم السماء وهو موحد والمراد به جميع النجوم والشجر يسجدان لله بكرة وعشيا كما قال في موضع آخر والشجر والدواب عن مجاهد وقتادة وقال اهل التحقيق ان المعنى في سجودهما هو ما فيهما من الآية الدالة على حدوثها وعلى أن لها صانعاً انشأها وما فيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود وقيل سجودهما سجود ظلالهما كقوله يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشائل سجّداً لله وهم داخرون عن الضحاك وسعيد بن جبير والمعنى فيه ان كل جسم له ظل فهو يقتضي الخضوع بما فيه من دليل الحدوث واثبات المحدث المدبر وقيل معنى سجودهما انه سبحانه يصرفهما على ما يريده من غير امتناع فجعل ذلك خضوعا ومعنى السجود الخضوع كما في قوله « ترى الاكم فيها سجدا للحوافر » عن الجبائي (والسماء رفعها) أي ورفع السماء رفعها فوق الارض دل سبحانه بذلك على كمال قدرته (ووضع الميزان) يعني آلة الوزن للتوصل إلى الانصاف والانتصاف عن الحسن وقتادة قال قتادة هو الميزان المعهود ذو اللسانين وقيل المراد بالميزان العدل والمعنى انه امرنا بالعدل عن الزجاج ويدل عليه قوله (الا تطغوا في الميزان) أي لا تتجاوزوا فيه العدل والحق إلى البخس والباطل وتقديره فعلت ذلك لئلا تطغوا ويحتمل ايضا ان يكون لا تطغوا نهيا منفردا وتكون ان مفسرة بمعنى اي وقيل ان المراد بالميزان القرآن الذي هو أصل الدين فكأنه تعالى بين أدلة العقل وأدلة السمع وانما اعاد سبحانه ذكر الميزان من غير اضمار ليكون الثاني قائما بنفسه في النهي عنه إذا قيل لهم لا تطغوا في الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) أي أقيموا لسان الميزان بالعدل إذا أردتم الأخذ والاعطاء (ولا تخسروا الميزان) اي لا تنقصوه بالبخس والجور بل سوّوه بالانصاف والعدل قال سفيان بن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب (والأرض وضعها للأنام) لما ذكر السماء ذكر الارض في مقابلتها أي وبسط الأرض ووطأها للناس وقيل الأنام كل شيء فيه روح عن ابن عباس وقيل الأنام الجن والانس عن الحسن وقيل جميع الخلق من كل ذي روح عن مجاهد وعبر عن الأرض بالوضع لما عبر عن السماء بالرفع وفي ذلك بيان النعمة على الخلق وبيان وحدانية الله تعالى كما في رفع السماء (فيها فاكهة) أي في الأرض ما يتفكه به من الوان الثمار المأخوذة من الاشجار (والنخل ذات الاكمام) اي الأوعية والغلف وثمر النخل يكون في غلف ما لم ينشق وقيل الاكمام ليف النخل الذي تكم فيه عن الحسن وقيل معناه ذات الطلع لأنه الذي يتغطى بالاكمام عن ابن زيد (والحب) يريد جميع الحبوب مما يحرث في الأرض من الحنطة والشعير وغيرهما (ذو العصف) اي ذو الورق فإذا يبس ودبس صار تبنا عن مجاهد والجبائي وقيل العصف التبن لأن الريح تعصفه أي تطيره عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل هو بقل الزرع وهو أول ما ينبت منه عن السدي والفراء (والريحان) يعني الوزق في قول الاكثرين وقال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم وقال الضحاك الريحان الحب المأكول والعصف الورق الذي لا يؤكل فهو رزق الدواب والريحان رزق الناس فذكر سبحانه قوت الناس والانعام ثم خاطب الانس والجن بقوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي فبأي نعم ربكما من هذه.

الأشياء المذكورة تكذبان لأنها كلها منعم عليكم بها والمعنى انه لا يمكن جحد شيء من هذه النعم فأما الوجه لتكرار هذه الآية في هذه السورة فإنما هو التقرير بالنعم المعدودة والتأكيد في التذكير بها كلها فكلما ذكر سبحانه نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره اما أحسنت اليك حين أطلقت لك مالا أما أحسنت اليك حين ملكتك عقارا أما احسنت اليك حين بنيت لك داراً فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به ومثله كثير في كلام العرب وأشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليبا:

عَلَىٰ اَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ
عَلَىٰ اَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا مَا ضِيمَ جِيرَانُ الْمُجِيرِ
عَلَىٰ اَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا رُجِفَ الفِضَاءُ مِنَ الدَّبُورِ
عَلَىٰ اَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا خَرَجَتْ مُخَبَّأَةُ الْخُدُورِ
عَلَىٰ اَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا مَا أُعْلِنَتْ نَجْوَى الصُّدُورِ

وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير:

لَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ وَلَمْ تَكُنْ ... لِتُسْبَقَ يَوْماً كُنْتَ فِيهِ تُجَاوِلُ
وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ إِذَا الْتَقَتْ ... صُدُورُ الْعَوَالِي وَاسْتَثَالَ(١) الأَسَافِلُ
وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ لِخَائِفٍ ... أَتَاكَ لِكَيْ تَحْمِي وَنِعْمَ الْمُجَامِلُ
وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ جَاراً وَصَاحِباً ... وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ حِينَ تُنَاضِلُ
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ ... وَلَوْلَا فِيهِ نَاقِصُ الرَّأْيِ جَاهِلُ
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ ... إِذَا كَثُرَتْ بِالْمُلْجِمِينَ التَّلَاتِلُ(٢)
أَبَىٰ لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا ... ذُكِرَتْ أُمُورٌ مُحْكَمَاتٌ كَوَامِلُ
أَبَىٰ لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا ... ذُكِرَتْ سَمَاحٌ حِينَ تَأْوِي الأَرَامِلُ
فَلَا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا ... كَذَاكَ الْمَنَايَا عَاجِلَاتٌ وَآجِلُ
وَلَا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا ... لَقِيتَ حِمَامَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ عَاجِلُ

فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددتها وقال الحارث بن عباد:

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي ... لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ(٣)

وكرر هذه اللفظة قربا مربط النعامة مني في أبيات كثيرة وفي امثال هذا كثرة وهذا هو الجواب بعينه عن التكرار لقوله ويل يومئذ للمكذبين في المرسلات.

قوله تعالى (١٤) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٥) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٧) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٩) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (٢٠) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ

(١) لستثال : ارتفع (٢) التلاتل : الشدائد . (٣) النعامة اسم فرسه ولقحت الناقة عن حيال اى بعد ان لم تكن تلقح .

(٢١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٢) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٤) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٦) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٧) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٩) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٣٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. سبع عشرة آية

القراءة

قرأ اهل المدينة والبصرة يخرج منهما بضم الياء وفتح الراء والباقون يخرج بفتح الياء وضم الراء وقرأ حمزة ويحيى عن ابي بكر المنشئات بكسر الشين والباقون بفتح الشين.

الحجة

قال ابو علي من قرأ يُخرج كان قوله بيّناً لأن ذلك إنما يُخرج ولا يخرج بنفسه ومن قرأ يخرج جعل الفعل للؤلؤ والمرجان وهو اتساع لأنه إذا أُخرج ذلك فقد خرج وقال يخرج منهما اللؤلؤ ولم يقل من احدهما على حذف المضاف كما قال على رجل من القريتين عظيم على ذلك وقال ابو الحسن زعم قوم انه يخرج من العذاب(١) ايضا والمرجان صغار اللؤلؤ واحدها مرجانة قال ذو الرمة:

كَأَنَّ عُرَى الْمَرْجَانِ مِنْهَا تَعَلَّقَتْ عَلَى أُمِّ خَشْفٍ مِنْ ظِبَاءِ الْمَشَاقِرِ(٢)

والمنشآت المجردات المرفوعات فمن فتح الشين فلأنها أنشئت واجريت ولم تفعل ذلك انفسها ومن قرأ المنشئات نسب الفعل اليها على الاتساع كما يقال مات زيد ومرض عمرو ونحو ذلك مما يضاف الفعل اليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة لغيره وكان المعنى المنشئات السير فحذف المفعول للعلم به وإضافة السير اليها اتساع ايضا لأن سيرها انما يكون في الحقيقة بهبوب الريح او دفع الصراري(٣).

اللغة

الصلصال الطين اليابس الذي يسمع منه صلصلة والفخار الطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفا والمارج المضطرب المتحرك وقيل المختلط يقال مرج الأمر(٤) اختلط ومرجت عهود القوم وامانتهم قال الشاعر

مَرَجَ الدِّينُ فَأَعْدَدْتُ لَهُ شُرُفَ الْحَارِكِ مَحْبُوكَ الْكَتَدْ(٤)

ومرج الدابة في المرعى إذا خلاها لترعى والبرزخ الحاجز بين الشيئين والجواري السفن لأنها تجري في الماء واحدتها جارية ومنه الجارية للمرأة الشابة لأنها يجري فيها ماء الشباب والأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء:

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وقال جرير «إذا قطعن علما بدا(٥) علما» والفناء انتفاء الأجسام والصحيح انه معنى يضاد الجواهر(٦) باق لا ينتفي إلا بضد او ما يجري مجرى الضد وضده الفناء.

(١) وفي نسخة: العذب. (٢) يصف امرأة وعُرى المرجان اى اطواقها والخشف ولد الظباء. المشاقر من الرمل: المتصوب في الارض. واسم موضع. (٣) الصراري الملاح (٤) الحارك: اعلى الكاهل والمحبوك: المحكم الخلق والصنعة و الكَتِد مجتمع الكتفين من الانسان والفرس. (٥) وفي المخطوطة: ابداعلم وفي اخرى: علم بداعلم (٦) [لان الجوهر].

المعنى

ثم قال سبحانه عاطفا على ما تقدم من الأدلة على وحدانيته والإبانة عن نعمه على خلقه فقال (خلق الإنسان) يعني به آدم وقيل جميع البشر لأن اصلهم آدم (ع) (من صلصال) اي طين يابس وقيل حمأ منتن ويحتمل الوجهين جميعاً لأنه كان حمأ مسنونا ثم صار يابسا (كالفخار) اي كالأجر والخزف (وخلق الجان) اي ابا الجن قال الحسن هو ابليس ابو الجن وهو مخلوق من لهب النار كما ان آدم «ع» مخلوق من طين (من مارج من نار) اي من نار مختلط احمر واسود وأبيض عن مجاهد وقيل المارج الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فبأي نعمه تكذبان أيها الثقلان أي أبأن خلقكما من نفس واحدة وخلقكما من التراب والنار إلى الصورة التي أنتم عليها تكذبان (رب المشرقين ورب المغربين) يعني مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل المراد بالمشرقين مشرق الشمس والقمر وبالمغربين مغرب الشمس والقمر بين سبحانه قدرته على تصريف الشمس والقمر ومن قدر على ذلك قدر على كل شئ (فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) ذكر سبحانه عظيم قدرته حيث خلق البحرين العذب والمالح يلتقيان ثم لا يختلط احدهما بالآخر وهو قوله بينهما برزخ أي حاجز من قدرة الله فلا يبغي الملح على العذب فيفسده ولا العذب على الملح فيفسده ويختلط به ومعنى مرج ارسل عن ابن عباس وقيل المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض فإن في السماء بحرا يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول وبحر الأرض من الصعود عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وقيل انهما بحر فارس وبحر الروم عن الحسن وقتادة فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذلك والبرزخ بينهما الجزائر وقيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما لا يبغيان أي لا يطلبان أن لا يختلطا[1] (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وقيل المرجان خرز أحمر كالقضبان يخرج من البحر وهو المسد عن عطاء الخراساني وابي مالك وبه قال ابن مسعود لأنه قال حجر وانما قال منهما وانما يخرج من الملح دون العذب لأن الله سبحانه ذكرهما وجمعهما وهما بحر واحد فإذا خرج من احدهما فقد خرج منهما عن الزجاج قال الكلبي وهو مثل قوله وجعل القمر فيهن نوراً وإنما هو في واحدة منهن وقوله يا معشر الجن والإنس الم يأتكم رسل منكم والرسل من الانس دون الجن وقيل يخرج منهما اي من ماء السماء ومن ماء البحر فإن القطر إذا جاء من السماء تفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ عن ابن عباس ولذلك حمل البحرين على بحر السماء وبحر الأرض وقيل ان العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كالقاح للملح ولا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه الملح والعذب وذلك معروف عند الغواصين وقد روي عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري ان البحرين علي وفاطمة عليهما السلام بينهما برزخ محمد ﷺ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام ولا غرو ان يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما فإن البحر انما يسمى بحراً لسعته وقد قال النبي ﷺ لفرس ركبه وأجراه فأحمده وجدته بحرا اي كثير المعاني الحميدة (وله الجوار) أي السفن الجارية في الماء تجري بأمر الله (المنشئات في البحر) أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت وقيل هي المبتدآت للسير مرفعة

(١) وفي نسختين : ان يختلطا .

القلاع قال مجاهد ما رفع له القلاع فهو منشأ وما لم ترفع قلاعه فليس بمنشأ والقلاع جمع قلع وهو شراع السفينة (كالأعلام) أي كالجبال قال مقاتل شبه السفن في البحر بالجبال في البر وقيل المنشئات بكسر الشين وهي أن ينشئ الموج بصدرها حيث تجري فيكون الأمواج كالأعلام من الله سبحانه على عباده بأن علمهم اتخاذ السفن لبركبوها وان جعل الماء على صفة تجري السفن عليه لأجلها (كل من عليها فان) اي كل من على الأرض من حيوان فهو هالك يفنون ويخرجون من الوجود إلى العدم كنى عن الأرض وان لم يجر لها ذكر كقول اهل المدينة ما بين لابتيها أي لابتي المدينة وانما جاز ذلك لكونه معلوما (ويبقى وجه ربك) أي ويبقى ربك الظاهر بأدلته ظهور الإنسان بوجهه (ذو الجلال) أي العظمة والكبرياء واستحقاق الحمد والمدح بإحسانه الذي هو في أعلى مراتب الإحسان وانعامه الذي هو أصل كل انعام (والإكرام) يكرم أنبياءه وأولياءه بألطافه وأفضاله مع عظمته وجلاله وقيل معناه انه أهل أن يعظم وينزه عما لا يليق بصفاته كما يقول الإنسان لغيره انا اكرمك عن كذا واجلك عنه كقوله أهل التقوى أي اهل ان يتقى وتقول العرب هذا وجه الرأي وهذا وجه التدبير بمعنى انه الرأي والتدبير قال الاعشى :

وَأَوِّلِ الْحُكْمَ عَلَى وَجْهِهِ لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوَى الْجَائِرِ

أي قرر الحكم كما هو وقيل ان المراد بالوجه ما يتقرب به إلى الله تعالى وانشد :

اَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

ومتى قيل واي نعمه في الفناء فالجواب ان النعمة فيه التسوية بين الخلق فيه وايضا فإنه وصلة إلى الثواب وتنبيه على ان الدنيا لا تدوم وايضا فإنه لطف للمكلف لأنه لو عجل الثواب لصار ملجأ إلى العمل ولم يستحق الثواب ففصل بين الثواب والعمل ليفعل الطاعة لحسنها فيستحق الثواب (يسئله من في السموات والأرض) أي لا يستغني عنه أهل السموات والأرض فيسألونه حوائجهم عن قتادة وقيل يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة وتسأل الملائكة لهم ايضا الرزق والمغفرة عن مقاتل (كل يوم هو في شأن) اختلف في معناه فقيل إن شأنه سبحانه إحياء قوم وإماتة آخرين وعافية قوم ومرض آخرين وغير ذلك من الإهلاك والإنجاء والحرمان والإعطاء والأمور الأخر التي لا تحصى وعن ابي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوماً ويضع آخرين وعن ابن عباس انه قال إن مما خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دواته ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم هو في شأن وقال مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وقيل ان الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب عن سفيان بن عيينة وقيل شأنه جل ذكره ان يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء إلى الارحام وعسكرا من الارحام إلى الدنيا وعسكرا من الدنيا إلى القبر ثم يرتحلون جميعا إلى الله تعالى وقيل شأنه إيصال المنافع اليك ودفع المضار عنك فلا تغفل عن طاعة من لا يغفل عن برك عن ابي سليمان الداراني.

قوله تعالى (٣١) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣٢) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٣) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٤) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٥) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٦) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٧) فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٨) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٩) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٤٠) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤١) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤٢) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٣) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٤) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٥) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

خمس عشرة آية.

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم سيفرغ بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وقرأ ابن كثير واهل البصرة غير يعقوب ونحاس بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة قتادة والاعمش سنفرغ بفتح النون والراء وقراءة الاعرج سيفرغ بفتح الياء والراء ورواية ابي حاتم عن الاعمش سيفرغ وقراءة عيسى الثقفي سنفرغ بكسر النون وفتح الراء وروي عن ابي عبد الله «ع» هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان اصلياها فلا تموتان فيها ولا تحييان.

الحجة

قال ابو علي وجه الياء في سيفرغ ان الغيبة قد تقدم في قوله وله الجوار وقوله هو في شأن ويقال فرغ يفرغ وفرغ يفرغ وليس الفراغ هنا فراغا عن شغل ولكن تأويله التصد كما قال جرير :

الآنَ فَقَدْ فَرَغْتُ إِلَى نُمَيْرٍ ... فَهَذَا حِينَ صِرْتُ لَهُمْ عَذَابَا

وقرأ ابن عامر ايه الثقلان بضم الهاء وقد مضى الوجه فيه والشواظ والشواظ فيه لغتان . ابو عبيدة هو اللهب لا دخان فيه قال رؤبة :

إِنَّ لَهُمْ مِنْ حَرْبِنَا أَيْقَاظَا[1] ... وَنَارِ حَرْبٍ تَسْعَرُ الشُّوَاظَا

والنحاس الدخان قال الجعدي:

تُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيطِ[2] ... لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسَا

قال ابو علي إذا كان الشواظ اللهب لا دخان فيه ضعفت قراءة من قرأ ونحاس بالجر ولا يكون على تفسير ابي عبيدة إلا الرفع في نحاس على تقدير يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس أي يرسل هذا مرة وهذا اخرى وقد يجوز من وجه آخر على ان تقديره يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فتحذف الموصوف وتقيم الصفة مقامه. كقوله ومن آياته يريكم البرق ومن الذين هادوا يحرفون الكلم وان من اهل الكتاب

(١) وفي بعض النسخ : اقياظاً (٢) السليط: الزيت وكل دهن عصر من حب جيد .

الاليؤمنن به ومن اهل المدينة مردوا على النفاق فحذف الموصوف في ذلك كله فكذلك في الآية فإن قلت هذا فاعل والفاعل لا يحذف فقد جاء:

فَمَا رَاعَنَا إِلَّا يَسِيرُ بِشُرْطَةٍ وَعَهْدِي بِهِ قِيناً يَفُشُّ بِكِيرِ(١)

على ان هذا الحذف قد جاء في المبتدأ في الآيي التي تلوناها او بعضها وقد قالوا تسمع بالمعيدي لا أن تراه فإذا حذف الموصوف بقي بعده من نحاس الذي هو صفة لشيء محذوف وحذف من لأن ذكره قد تقدم في قوله من نار فحسن لذلك حذفها كما حسن حذف الجار من قولهم على من تنزل انزل وكما انشده ابو زيد من قول الشاعر:

وَاَصْبَحَ مِنْ اَسْمَاءَ قَيْسٌ كَقَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ لَا يَدْرِي بِمَا هُوَ قَابِضُ

اي بما هو قابض عليه فحذف لدلالة الكلام المتقدم عليه وكما حذف الجار عند الخليل في قوله« ان لم يجد يوما على من يتكل» يريد عنده من يتكل عليه فحذف الجار لأنه جرى ذكره قبل فيكون انجرار نحاس على هذا بمن المضمرة لا بالاشراك في من التي جرت في قوله من نار فإذا انجر بمن لم يكن للشواظ الذي هو اللهب قسط من الدخان.

﴿ اللغة ﴾

الثقلان اصله من الثقل وكل شيء له وزن وقدر فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعامة ثقل قال:

فَتَذَكَّرَا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَ مَا اَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرِ(٣)

وانما سميت الانس والجن ثقلين لعظم خطرهما وجلالة شأنهما بالإضافة إلى مافي الأرض من الحيوانات ولثقل وزنهما بالعقل والتمييز ومنه قول النبي ﷺ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سماهما ثقلين لعظم خطرهما وجلالة قدرهما وقيل ان الجن والانس سميا ثقلين لثقلهما على الأرض أحياء واموانا ومنه قوله واخرجت الأرض أثقالها أي اخرجت ما فيها من الموتى والعرب تجعل السيد الشجاع ثقلا على الارض قالت الخنساء:

أَبَعْدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَلْتِ بِهِ الْأَرْضَ أَثْقَالَهَا

والمعنى انه لما مات حل عنها ثقل بموته لسؤدده ومجده وقيل ان المعنى زينت موتاها به من التحلية والأقطار جمع القطر وهو الناحية يقال طعنه فقطره إذا القاه على احد قطريه وهما جانباه والسيما مشتق من السوم وهو رفع الثمن عن مقداره والعلامة ترفع باظهارها لتقع المعرفة بها والناصية شعر مقدم الرأس واصله الاتصال من قول الشاعر «في تناصيها بلاذ قِيّ» أي تتصل بها فالناصية متصلة بالرأس والاقدام جمع قدم وهو العضو الذي يقدم صاحبه للوطء به على الأرض والآني الذي بلغ نهاية حرّه انى يأني انيا

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الفناء والإعادة عقب ذلك بذكر الوعيد والتهديد فقال (سنفرغ لكم ايه الثقلان)اي سنقصد لحسابكم ايها الجن والانس عن الزجاج قال والفراغ في اللغة على ضربين ﴿ احدهما ﴾ القصد للشيء يقال سأفرغ لفلان اي سأجعله قصدي ﴿ والآخر ﴾ الفراغ من شغل والله عزوجل لا يشغله شأن عن شأن وقيل معناه سنعمل عمل من يفرغ للعمل فيجوده من غير تضجيع فيه وقيل سنفرغ لكم من الوعيد

(١) فتّ الوطب اخرج مافيه من الريح وذلك بان يحل وكائه ويفتح فاه فتخرج منه الريح التى كان قد نفخها فيه . (٢) فى نسخة
(٣) فتذكرا اى الظليم والنعامة والرثيد مارتداى نضد ووضع بعضه فوق بعض (٤) القِيّ بالكسر : قفر الارض .

بتقضي أيامكم المتوعد فيها فشبه ذلك بمن فرغ من شيء واخذ في آخر والشغل والفراغ من صفات الاجسام التي تحلها الأعراض تشغلها عن الاضداد في تلك الحال ولذلك وجب ان يكون في صفة القديم تعالى مجازا ويدل على ان الثقلين المراد بهما الجن والانس قوله (يا معشر الجن والانس إن استطعتم ان تنفذوا) اي تخرجوا هاربين من الموت يقال نفذ الشيء من الشيء إذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية (من اقطار السموات والأرض) اي جوانبها ونواحيها والمعنى حيث ما كنتم ادرككم الموت (فانفذوا) اي فاخرجوا فلن تستطيعوا ان تهربوا منه (لاتنفذون إلا بسلطان) اي حيث توجهتم فثم ملكي ولاتخرجون من سلطاني فأنا آخذكم بالموت عن عطاء ومعنى السلطان القوة التي سلط[1] بها على الامر ثم الملك والقدرة والحجة كلها سلطان وقيل لا تنفذون إلا بسلطان اي لا تخرجون إلا بقدرة من الله وقوة يعطيكموها بأن يخلق لكم مكانا آخر سوى السموات والارض ويجعل لكم قوة تخرجون بها اليه فبين سبحانه بذلك انهم في حبسه وانه مقتدر عليهم لا يفوتونه وجعل ذلك دلالة على توحيده وقدرته وزجراً لهم عن معصيته ومخالفته وقيل ان المعنى في الآية ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا فإنه لا يمكنكم ذلك لا تنفذون إلا بسلطان اي لا تعلمونه إلا بحجة وبيان عن ابن عباس وقيل لا تنفذون إلا بسلطان معناه حيث ما شاهدتم حجة الله وسلطانه الذي يدل على توحيده عن الزجاج (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي بأي نعمة تكذبان أيها إخباره عن تحيركم لتحتالوا له بعمل الطاعة واجتناب المعصية او باخباره عنكم انكم لا تنفذون إلا بحجة لتستعدوا لذلك اليوم (يرسل عليكما شواظ من نار) وهو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) وهو الصفر المذاب للعذاب عن مجاهد وابن عباس وسفيان وقتادة وقيل النحاس الدخان عن ابن عباس في رواية أخرى وسعيد ابن جبير وقيل النحاس المهل عن ابن مسعود والضحاك والمعنى لا تنفذون ولو جاز ان تنفذوا وقدرتم عليه لأرسل عليكم العذاب من النار المحرقة وقيل معناه انه يقال لهم ذلك يوم القيامة (يرسل عليكما) اي يرسل على من اشرك منكما وقد جاء في الخبر يحاط على الخلق بالملائكة[2] بلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والإنس ان استطعتم ان تنفذوا من إلى قوله يرسل عليكما شواظ من نار وروى مسعدة بن صدقة عن كليب قال كنا عند ابي عبد الله (ع) فأنشأ يحدثنا فقال إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد وذلك انه يوحي إلى السماء الدنيا ان اهبطي بمن[3] فيك فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس والملائكة ثم يهبط اهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين فلا يزالون كذلك حتى يهبط اهل سبع سموات فيصير الجن والانس في سبع سرادقات من الملائكة ثم ينادي منادٍ يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية فينظرون فإذا قد احاط بهم سبعة اطواق من الملائكة وقوله (فلا تنتصران) اي فلا تقدران على دفع ذلك عنكما وعن غيركما وعلى هذا فيكون فائدة الآية ان عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الأقطار وفي ذلك اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي بإخباره اياكم عن هذه الحالة لتتحرزوا عنها أم بغيره من النعم فان وجه النعمة في ارسال الشواظ من النار والنحاس على الثقلين هو ما في ذلك لهم من الزجر في دار التكليف عن مواقعة القبيح وذلك نعمة جزيلة (فإذا انشقت السماء) يعني يوم القيامة إذا تصدعت السماء وانفك بعضها من بعض (فكانت وردة) أي فصارت حمراء كلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب إلى الحمرة او الصفرة فيكون في الشتاء احمر

(١) في المخطوطة: يتسلط (٢) في نسختين: وبلسان . (٣) في نسخة : «بما»

وفي الربيع اصفرو في اشتداد البرد اغبر سبحان خالقها والمصرف لها كيف يشاء والوردة واحدة الورد فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف الوانها بذلك وقيل اراد به وردة النبات وهي حمراء. وقد تختلف الوانها ولكن الاغلب في الوانها الحمرة فتصير السماء كالوردة في الاحمرار ثم تجري (كالدهان) وهو جمع الدهن عند انقضاء الأمر وتناهي المدة قال الحسن هي كالدهان التي يصب بعضها على بعض بألوان مختلفة قال الفراء شبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف الوانه وهو قول مجاهد والضحاك وقتادة وقيل الدهان الاديم الاحمر وجمعه ادهنة عن الكلبي وقيل هو عكر الزيت يتلون الوانا عن عطاء بن ابي رباح (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وجه النعمة في انشقاق السماء حتى وقع التقرير بها هو ما في الاخبار به من الزجر والتخويف في دار الدنيا (فيومئذ) يعني يوم القيامة (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) اي لا يسأل المجرم عن جرمه في ذلك الموطن لما يلحقه من الذهول الذي تحار له العقول وان وقعت المسألة في غير ذلك الوقت بدلالة قوله وقفوهم انهم مسؤولون وتقدير الآية فيومئذ لا يسأل انس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه وقيل معناه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان سؤال استفهام ليعرف ذلك بالمسألة من جهته لأن الله تعالى قد احصى الأعمال وحفظها على العباد وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ للمحاسبة وقيل ان أهل الجنة حسان الوجوه وأهل النار سود الوجوه فلا يسألون من اي الحزبين هم ولكن يسألون عن اعمالهم سؤال تقريع وروي عن الرضا «ع» انه قال فيومئذ لا يسأل منكم عن ذنبه انس ولا جان والمعنى ان من اعتقد الحق ثم أذنب ولم يتب في الدنيا عذب عليه في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه (يعرف المجرمون بسيماهم) أي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون عن الحسن وقتادة وقيل بإمارات الخزي (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) فتأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم واقدامهم بالغل ثم يسحبون في النار ويقذفون فيها عن الحسن وقتادة وقيل تأخذهم الزبانية بنواصيهم وبأقدامهم فتسوقهم إلى النار والله اعلم (هذه جهنم) أي ويقال لهم هذه جهنم (التي يكذب بها المجرمون) الكافرون في الدنيا قد اظهرها الله تعالى حتى زالت الشكوك فادخلوها ويمكن انه لما اخبر الله سبحانه انهم يؤخذون بالنواصي والاقدام قال للنبي ﷺ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون من قومك فسيردونها فليهن عليك أمرهم (يطوفون بينها وبين حميم آن) أي يطوفون مرة بين الجحيم ومرة بين الحميم فالجحيم النار والحميم الشراب عن قتادة وقيل معناه انهم يعذبون بالنار مرة ويتبرعون من الحميم يصب عليهم ليس لهم من العذاب ابدا فرج عن ابن عباس والآني الذي انتهت حرارته وقيل الآني الحاضر (فبأي آلاء ربكما تكذبان) الوجه في ذلك ان التذكير بفعل العقاب والإنذار به من اكبر النعم لأن في ذلك زجراً عما يستحق به العذاب وحثا وبعثا على فعل ما يستحق به الثواب.

قوله تعالى (٤٦) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٨) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٠) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٢) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٤) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ

(٥٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٦) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَانٌّ (٥٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٨) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ
(٥٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٠) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ
(٦١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ست عشرة آية

« القراءة »

قرأ الكسائي وحده لم يطمثهن بكسر الميم في احداهما وضمها في الاخرى والباقون بكسر الميم في الحرفين معا

الحجة

قال ابو علي يطمث ويطمث لغتان وقال ابو عبيدة لم يطمثهن اي لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير حبل قط اي ما مسه قال رؤبة « كالبيض لم يطمث بهن طامث »

اللغة

الافنان جمع فنن وهو الغصن الغضّ الورق ومنه قولهم هذا فن آخر اي نوع آخر ويجوز أن يكون جمع فن والاتكاء الاستناد للتكرمة والإمتاع والتكأة تطرح للانسان في مجالس الملوك للإكرام والإجلال وهو من وكأت السقاء اذا شددته ومنه قولهم المين وكأ السته والفرش جمع فراش وهو الموطأ الممهد للنوم عليه والبطائن جمع بطانة وهو باطن الظهارة والجنى الثمرة التي قد ادركت على الشجرة وهو صلح أن يجنى ومنه قول عمرو بن عدي

هٰذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

وتمثل به علي (ع) واصل الطمث الدم يقال طمثت المرأة اذا حاضت وطمثت اذا دميت بالاقتضاض وبعير لم يطمث إذا لم يمسه حبل ولا رحل قال الفرزدق:

دُفِعْنَ إِلَيَّ لَمْ يُطْمَثْنَ قَبْلِي وَهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ

الاعراب

متكئين حال من المجرورة باللام اي لهم جنتان في هذه الحالة وما بين قوله جنتان الى قوله متكئين صفات لجنتين بطائنها من استبرق ابتداء وخبر في موضع الجر وصف لفرش وقوله وجنى الجنتين دانٍ اعتراض وقوله فيهن قاصرات الطرف صفة اخرى لفرش وقوله كأنهن الياقوت والمرجان حال لقاصرات الطرف اي مشابهات للياقوت والمرجان وقوله هل جزاء الإحسان الا الإحسان اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ولهم من دونهما جنتان.

المعنى

ثم عقب سبحانه الوعيد بالوعد فقال (ولمن خاف مقام ربه) اي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة قال مجاهد وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها وقيل هذا لمن راقب الله تعالى في السر والعلانية جملة فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عرض له من خير عمله وافضى به الى الله تعالى لا يطلع عليه احد قال الصادق (ع) من علم ان الله يراه ويسمع مايقول من خير وشر فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال فله (جنتان) اي جنة عدن وجنة النعيم عن مقاتل وقيل بستانان من بساتين الجنة احداهما داخل القصر والاخرى خارج القصر كما يشتهي الإنسان في الدنيا وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل ازواجه وخدمه عن الجبائي وقيل جنة من ذهب وجنة من فضة ثم وصف الجنتين فقال (ذواتا افنان) اي ذواتا الوان من النعيم عن ابن

عباس وقيل ذواتا ألوان من الفواكه عن الضحاك وقيل ذواتا اغصان عن الأخفش والجبائي ومجاهد اي ذواتا أشجار لان الاغصان لا تكون إلا من الشجر فدل بكثرة اغصانها على كثرة اشجارها وبكثرة اشجارها على تمام حالها وكثرة ثمارها لأن البستان إنما يكمل بكثرة الاشجار والأشجار لا تحسن الا بكثرة الاغصان (فيهما عينان تجريان) اي في الجنتين عينان من الماء تجريان بين اشجارهما وقيل عينان احداهما السلسبيل والاخرى التسنيم عن الحسن وقيل احداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين عن عطية العوفي (فيهما من كل فاكهة زوجان) اي في كلتا الجنتين من كل ثمرة نوعان وضربان متشاكلان كتشاكل الذكر والانثى فلذلك سماهما زوجين وذلك كالرطب واليابس من العنب والزبيب والرطب واليابس من التين وكذلك سائر الانواع لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب وقيل معناه فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان ضرب معروف وضرب من شكله غريب لم يعرفوه في الدنيا (متكئين) حال ممن ذكروا في قوله ولمن خاف مقام ربه اي قاعدين كالملوك (على فرش بطائنها من استبرق) اي من ديباج غليظ ذكر البطانة ولم يذكر الظهارة لأن البطانة تدل على ان لها ظهارة والبطانة دون الظهارة فدل على ان الظهارة فوق الاستبرق وقيل ان الظهائر من سندس وهو الديباج الرقيق والبطانة من استبرق وقيل الاستبرق الحرير الصيني وهو بين الغليظ والدقيق وروي عن ابن مسعود انه قال هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين (وجنى الجنتين دانٍ) الجنى الثمر المجتنى اي تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعداً عن ابن عباس وقيل ثمار الجنتين دانية الى افواه اربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء افواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك عن مجاهد (فيهن) اي في الفرش التي ذكرها ويجوز ان يريد في الجنان لأنها معلومة وان لم تذكر (قاصرات الطرف) قصرن طرفهن على ازواجهن لم يردن غيرهم عن قتادة وقال ابو[1] ذر انها تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجتك وجعلك زوجي والطرف جفن العين لأنه طرف لها ينطبق عليها تارة وينفتح تارة (لم يطمثهن) اي لم يفتضهن والافتضاض النكاح بالتدمية والمعنى لم يطأهن ولم يفشهن (انس قبلهم ولا جان) فهن ابكار لأنهن خلقن في الجنة فعلى هذا القول هؤلاء من حور الجنة وقيل هن من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ انشئن خلق عن الشعبي والكلبي اي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن فيه انس ولا جان قال الزجاج وفي هذه الآية دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانسي وقال ضمرة بن حبيب وفيها دليل على ان للجن ثوابا وازواجا من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن قال البلخي المعنى ان ما يهب الله لمؤمني الانس من الحور لم يطمثهن انس وما يهب الله لمؤمني الجن من الحور لم يطمثهن جان (كأنهن الياقوت والمرجان) أي هن على صفاء الياقوت في بياض المرجان عن الحسن وقتادة وقال الحسن المرجان اشد اللؤلؤ بياضا وهو صغاره وفي الحديث ان المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها[2] من وراء سبعين حلة من حرير عن ابن مسعود كما يرى السلك من وراء الياقوت (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) أي ليس جزاء من احسن في الدنيا إلا ان يحسن اليه في الآخرة وقيل هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا الجنة عن ابن عباس وجاءت الرواية عن انس ابن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقال هل تدرون ما يقول ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فإن ربكم يقول هل جزاء من انعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة وقيل معناه هل جزاء من احسن اليكم بهذه النعم إلا ان تحسنوا في شكره وعبادته وروى العياشي باسناده عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن علي بن سالم قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول آية في[3] كتاب الله مسجلة قلت ما هي قال قول الله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الاحسان جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر ومن صنع اليه معروف فعليه ان يكافئ به وليس المكافأة ان تصنع كما صنع حتى يربي فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء.

(١) وفي نسخة : ابن زيد بدل ابوذر (٢) وفي نسخة : ساقها (٣) وفي نسخة : من .

قوله تعالى (٦٢) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٤) مُدْهَامَّتَانِ (٦٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٦) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٨) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٠) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٢) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٤) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٦) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٨) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ سبع عشرة آية

القراءة

قرأ ابن عامر ذو الجلال بالرفع والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن والحسن وزهير القرقبي على رفارف خضر وعباقري حسان وقراءة الاعرج خضر بضمتين

قال ابو علي من قرأ ذي الجلال فجر جعله صفة لربك وزعموا أن ابن مسعود قرأ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام بالياء في كلتيهما وقال الاصمعي لا يقال الجلال إلا في الله تعالى فهذا يقوي الجر إلا أن الجلال قد جاء في غير الله قال:

فَلَا ذَا جَلَالٍ هِبَتَهُ لِجَلَالِهِ وَلَا ذَا ضِيَاعٍ هُنَّ يَتْرُكْنَ لِلْفَقْرِ

ومن رفع اجراه على الاسم قال ابن جني روى قطرب عباقري بكسر القاف غير مصروف ورويناه عن ابي حاتم عباقري بفتح القاف غير مصروف ايضا قال ابو حاتم ولا يشبه إلا أن يكون عباقر بفتح[1] القاف على ماتتكلم به العرب قال ولو قالوا عباقري بكسر القاف وصرفوا لكان اشبه بكلام العرب كالنسب إلى مداين مدايني والرفرف رياض الجنة عن سعيد بن جبير وعبقر موضع قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَوْحِيِّ تَشُدُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا[2]

وقال زهير:

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ[3] جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا وَيَسْتَعْلُوا

واما ترك صرف عباقري فشاذ في القياس ولا يستنكر شذوذه في القياس مع استمراره في الاستعمال كما جاء عن الجماعة استحوذ عليهم الشيطان فهو شاذ في القياس مطرد في الاستعمال وليس لنا أن نتلقى قراءة رسول الله ﷺ إلا بقبولها واما خضر بضم الضاد فقليل وهو من مواضع الشعر كما قال طرفة «وراد أو شقر»

اللغة

الدهمة السواد وادهام الزرع اذا علاه السواد رِيًّا ومنه الدهماء وتصغيره الدهيماء للداهية سميت بذلك لظلامها والدهماء القدر والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء غير المعجمة لأن النضح الرش وبالخاء كالبزل والنضاخة الفوارة التي ترمي بالماء صعداً والرمان مشتق من رمّ يرم رمّا لأن من شأنه أن يرم الفؤاد

(١) وفي نسختين: بكسر القاف (٢) الصليل: صوت وقع الحديد بعضه على بعض والمروّ: الحجارة الصلبة والزيف: الردى: وانتقاد الدرهم اخراج منه الزيف يصف فرسه بأن وقع الحجارة بعضها على بعض حين شدة عَدْوه بمنزلة وقع الدراهم الزائفة على بعض حين ينتقدها النقاد في قرية عبقر (٣) المراد من عبقر في هذا البيت هو الموضع الذي كانت العرب تزعم انه كثير الجن.

بجلائه له والخيرات جمع خيرة والرجل خير والرجال خيار واخيار قال:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلاتِ رَبَلاتِ هِنْدٍ خَيرَةَ المَلَكاتِ(١)

وقال الزجاج أصل خيرات خيرات فخفف والخيام جمع خيمة وهي بيت من الثياب على الأعمدة والأوتاد ما يتخذ للاصحار والرفرف رياض الجنة من قولهم رفّ النبات يرف اي صار غضا نضراً وقيل الرفرف المجالس وقيل الوسائد وقيل ان كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال ابن مقبل:

وَإِنَّا لَنَزَالُونَ تَغْشَى نِعَالَنَا سَوَاقِطُ مِنْ أَصْنَافِ رَيْطٍ وَرَفْرَفِ(٢)

والعبقري عتاق الزرابي والطنافس المخملة الموشمة وهو اسم الجنس واحدته عبقرية قال ابو عبيدة كل شيء من البُسُط عبقري وكل ما بولغ في وصفه بالجودة نسب الى عبقر وهو بلد كان يوشى فيه البُسُط وغيرها

المعنى

ثم قال سبحانه (ومن دونهما جنتان) اي ومن دون الجنتين اللتين ذكرناهما لمن خاف مقام ربه جنتان أخريان دون الجنتين الأوليين فإنهما اقرب الى قصره ومجالسه في قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة الى جنة على ما هو معروف من طبع البشر من شهوة مثل ذلك ومعنى دون هنا مكان قريب من الشيء بالإضافة الى غيره مما ليس له مثل قربه وهو ظرف مكان وإنما كان التنقل من جنة الى جنة أخرى أنفع لأنه ابعد من الملل الذي طبع عليه البشر وقيل ان المعنى انهما دون الجنتين الأوليين في الفضل فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما وروى العياشي بالإسناد عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له جعلت فداك اخبرني عن الرجل المؤمن تكون له امرأة مؤمنة يدخلان الجنة يتزوج احدهما الآخر فقال يا ابا محمد ان الله حكم عدل اذا كان هو افضل منها خيّره فإن اختارها كانت من ازواجه وان كانت هي خيراً منه خيّرها فإن اختارته كان زوجا لها قال وقال ابو عبد الله (ع) لا تقولن الجنة واحدة ان الله يقول ومن دونهما جنتان ولا تقولن درجة واحدة ان الله يقول درجات بعضها فوق بعض إنما تفاضل القوم بالأعمال قال وقلت له ان المؤمنين يدخلان الجنة فيكون احدهما ارفع مكانا من الآخر فيشتهي أن يلقى صاحبه قال من كان فوقه فله أن يهبط ومن كان تحته لم يكن له ان يصعد لأنه لا يبلغ ذلك المكان ولكنهم اذا احبوا ذلك واشتهوه التقوا على الاسرة وعن العلاء بن سيابة عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له ان الناس يتعجبون منا اذا قلنا يخرج قوم من جهنم فيدخلون الجنة فيقولون لنا فيكونون مع اولياء الله في الجنة فقال يا علاء ان الله يقول ومن دونهما جنتان لا والله لا يكونون مع اوليائه الله قلت كانوا كافرين قال (ع) لا والله لو كانوا كافرين ما دخلوا الجنة قلت كانوا مؤمنين قال لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن بين ذلك وتأويل هذا لو صح الخبر انهم لم يكونوا من أفاضل المؤمنين واخيارهم ثم وصف الجنتين فقال (مدهامتان) اي من خضرتهما قد اسودتا من الري وكل نبت اخضر فتمام خضرته ان يضرب الى السواد وهو على أتم ما يكون من الحسن وهذا على قول من قال ان الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه وهو قول ابن عباس وقيل الأوليان للسابقين والاخريان للتابعين عن الحسن (فيهما عينان نضاختان) اي فوارتان بالماء ينبع من أصلهما ثم يجريان عن

(١) الرَّبَلة والرِّبلة كل لحمة غليظة وقيل: اصول الافخاذ والمراد من مجامع الربلات الفرج ومن الملك الجماع (٢) الريط جمع ملة وهي كل ملاءة ليست ذات قطعتين متساويتين بل كلها نسج واحد وقطعة واحدة (٣) وفي نسخة : من النار .

الحسن قال ابن عباس تنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور وقيل تنضخان بأنواع الخيرات (فيهما فاكهة) يعني ألوان الفاكهة (ونخل ورمان) وحكى الزجاج عن يونس النحوي وهو من قدماء النحويين أن النخل والرمان من افضل الفواكه وإنما فصلا بالواو لفضلهما قال الأزهري ماعلمت ان احداً من العرب قال في النخل والكرم وثمارها انها ليست من الفاكهة وإنما قال ذلك من قال لقلة علمه بكلام العرب وتأويل القرآن العربي المبين والعرب تذكر الاشياء جملة ثم تخص شيئا منها بالتسمية تنبيها على فضل فيه كما قال سبحانه من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وجبرائيل وميكائيل (فيهن) يعني في الجنات الأربع (خيرات حسان) اي نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه روته أم سلمة عن النبي ﷺ وقيل خيرات فاضلات في الصلاح والجمال عن الحسن حسان في المناظر والألوان وقيل انهن نساء الدنيا ترد عليهم في الجنة وهن اجل من الحور العين وقيل خيرات مختارات عن جرير بن عبد الله وقيل لسن بذربات ولا زفرات ولا بَخِرات ولا متطلعات ولا متسوفات[1] ولا متسلطات ولا طماحات ولا طوافات في الطرق ولا يَغِرن ولا يؤذين وقال عقبة بن عبد الغفار نساء أهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين باصوات لم يسمع الخلائق مثلها: نحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن خيرات حسان حبيبات الازواج كرام وقالت عائشة الحور العين اذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبتهن والله (حور) اي بيض حسان البياض عن ابن عباس ومجاهد ومنه الدقيق الحواري لشدة بياضه والعين الحور اذا كانت شديدة بياض البياض شديدة سواد السواد وبذلك يتم حسن العين (مقصورات في الخيام) اي محبوسات في الحجال مستورات في القباب عن ابن عباس وابي العالية والحسن والمعنى انهن مصونات مخدرات لا يبتذلن[2] وقيل مقصورات اي قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلا منهم عن مجاهد والربيع وقيل إن لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلا عن ابن مسعود وروي عن النبي ﷺ انه قال الخيمة درة واحدة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها اهلا (؟) المؤمن لا يراه الآخرون وعن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع عن وهب[3] وعن انس عن النبي ﷺ قال مررت ليلة أسري بي بنهر حافتاه قباب المرجان فناديت منه السلام عليك يارسول الله فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء جوار[4] من الحور العين استأذن ربهن عزوجل أن يسلمن عليك فأذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس[5] ازواج رجال كرام ثم قرأ ﷺ حور مقصورات في الخيام (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) مر معناه والوجه في التكرير الإبانة عن ان صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف (متكئين على رفرف خضر) اي على فرش مرتفعة عن الجبائي وقيل الرفرف رياض الجنة والواحدة رفرفة عن سعيد بن جبير وقيل هي المجالس عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل هي المرافق يعني الوسائد عن الحسن (وعبقري حسان) اي وزرابي حسان عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهي الطنافس وقيل العبقري الديباج عن مجاهد وقيل هي البسط عن الحسن قال القتيبي كل ثوب موشى فهو عبقري وهو جمع ولذلك قال حسان ثم ختم السورة بما ينبغي أن يبجل به ويعظم فقال (تبارك اسم ربك) اي تعاظم وتعالى اسم ربك لأنه استحق أن يوصف بما لا يوصف به غيره من كونه قديما وإلها وقادراً لنفسه وعالما لنفسه

(١) وفي المخطوطة: المتشوقات والمتشوق من يظهر الشوق تكلفاً (٢) وفي المخطوطة: لايتبدلن. (٣) وفي سائر النسخ عن ذ

(٤) في نسخة حور (٥) وفي نسخة: لاننشر وفي اخرى: لانبيس

وحيا لنفسه وغير ذلك (ذي الجلال) اي ذي العظمة والكبرياء (والاكرام) بكرم اهل دينه وولايته عن الحسن وقيل معناه عظمة البركة في اسم ربك فاطلبوا البركة في كل شيء بذكر اسمه وقيل ان اسم صلة لمعنى تبارك ربك قال لبيد:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرَ

وقيل ان المعنى ان اسمه منزه عن كل سوء له الاسماء الحسنى وقد صح عن النبي ﷺ انه قال انطقوا بيا ذا الجلال والاكرام اي داوموا عليه.

سورة الواقعة (مكية)

وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقيل إلا قوله ثلة من الأولين وقوله افبهذا الحديث انتم مدهنون نزلت في سفره الى المدينة.

عدد آيها

تسع وتسعون آية حجازي شامي سبع بصري ست كوفي.

اختلافها

اربع عشرة آية فأصحاب الميمنة واصحاب المشئمة واصحاب الشمال ثلثهن غير الكوفي والمدني الأخير انشأناهن انشاء غير البصري في سموم وحميم غير المكي وكانوا يقولون مكي واباريق مكي والمدني الأخير موضونة حجازي كوفي وحور عين كوفي والمدني الأول تأثيما عراقي شامي والمدني الأخير والآخرين غير شامي والمدني الأخير لمجموعون شامي والمدني الأخير فروح وريحان شامي

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الواقعة كتب ليس من الغافلين وعن مسروق قال من اراد أن يعلم نبأ الأولين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة وروي أن عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له ما تشتكي قال ذنوبي قال ما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب امرضني قال افلا نأمر بعطائك قال منعتنيه وانا محتاج اليه وتعطينيه وانا مستغن عنه قال يكون لبناتك قال لا حاجة لهن فيه فقد امرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وروى العياشي بالإسناد عن زيد الشحام عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الواقعة قبل أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وعن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ في كل ليلة جمعة الواقعة احبه الله وحببه الى الناس اجمعين ولم ير في الدنيا بؤسا ابداً ولا فقرا ولا آفة من آفات الدنيا وكان من رفقاء امير المؤمنين تمام الخبر

(١) [والاخرين]

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الرحمن بصفة الجنة وافتتح هذه السورة ايضا بصفة القيامة والجنة فاتصلت احداها بالأخرى اتصال النظير للنظير فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (٢) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٣) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٤) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٥) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) ست عشرة آية

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن والثقفي وابي حيوة خافضة رافعة بالنصب.

الحجة

هذا منصوب على الحال قال ابن جني وقوله ليس لوقعتها كاذبة حال اخرى قبلها أي اذا وقعت الواقعة صادقة الوقعة خافضة رافعة فهذه ثلاثة احوال ومثله مررت بزيد جالسا متكأ ضاحكا وان شئت أن تأتي باضعاف ذلك جاز وحسن كما ان لك أن تأتي للمبتدأ من الأخبار بما شئت فتقول زيد عالم جميل فارس كوفي بزاز ونحو ذلك ألا ترى ان الحال زيادة في الخبر وضرب منه

اللغة

الكاذبة مصدر مثل العافية والعاقبة والرج التحريك باضطراب واهتزاز ومنه قولهم ارتج السهم عند خروجه من القوس والبس الفت كما يبس السويق اي يلت قال الشاعر: « لا تخبزا خبزا وبسا بسا » والبسيس السويق او الدقيق يتخذ زادا وبست ايضا سيقت عن الزجاج قال الشاعر «وانبس حيات الكثيب الأهيل» والهباء غبار كالشعاع في الرقة و كثيراً ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة والانثباث افتراق الاجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة والازواج الاصناف التي بعضها مع بعض كما يقال للخفين زوجان والثلاثة الجماعة واصله القطعة من قولهم ثل عرشه اذا قطع ملكه بهدم سريره والثلة القطعة من الناس والموضونة المنسوجة المتداخلة كصفة الدرع المضاعفة قال الأعشى:

وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً تُسَاقُ إِلَى الْحَيِّ عِيراً فَعِيراً

ومنه وضبن الناقة وهو البطان من السيور[1] اذا نسج بعضه على بعض مضاعفا

الاعراب

اذا وقعت الواقعة ظرف من معنى ليس لأن التقدير لا يكون لوقعتها كاذبة وليس نفي الحال فلا يكون

(١) السيور جمع السير وهو كل قدة (قطعة) مستطيلة من جلد غير مدبوغ يخصف به النعل.

اذا ظرفا منه ويجوز ان يكون العامل في اذا محذوفا لدلالة الموضع عليه كأنه قال اذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون وخسر الكافرون وقال ابو علي تقديره فهي خافضة رافعة فاضمر المبتدأ مع الفاء وجعلها جواب اذا اي خفضت قوما ورفعت قوما اذ ذاك فخافضة رافعة خبر المبتدأ المحذوف وقوله اذا رجت الأرض رجا بدل من قوله اذا وقعت الواقعة ويجوز أن يكون ظرفا من يقع اي يقع في ذلك الوقت ويجوز أن يكون خبراً عن اذا الاولى ونظيره اذا تزورني اذا ازور زيداً اي وقت زيارتك اياي وقت زيارتي زيدا قال ابن جني ويجوز أن يفارق اذا الظرفية كقول لبيد:

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

وقوله سبحانه حتى اذا كنتم في الفلك فإذا مجرورة عند ابي الحسن بحتى وذلك يخرجها من الظرفية واقول فعلى هذا لا يكون قوله اذا ظرفا في الموضعين بل كل واحد منهما في موضع الرفع لكونهما مبتدأ وخبرا بخلاف ما ظنه بعض المجودين من محققي زماننا في النحو فإنه قال قال عثمان يعني ابن جني العامل في اذا وقعت قوله اذا رجت وهذا خطأ فاحش فاصحاب الميمنة رفع بالابتداء والتقدير فأصحاب الميمنة ماهم أي أيُّ شيءٍ هم واصحاب المشئمة اي أي شيءٍ هم وهذه اللفظة مجراة مجرى التعجب ومتكئين ومتقابلين نصب على الحال.

﴿ المعنى ﴾

(اذا وقعت الواقعة) اي اذا قامت القيامة عن ابن عباس والواقعة اسم القيامة كالآزفة وغيرها والمعنى اذا حدثت الحادثة وهي الصيحة عند النفخة الأخيرة لقيام الساعة وقيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة او لشدة وقعها وتقديره اذكروا اذا وقعت الواقعة وهذا حث على الاستعداد لها (ليس لوقعتها كاذبة) اي ليس لمجيئها وظهورها كذب ومعناه انها تقع صدقا وحقا فليس فيها ولا في الإخبار عنها ووقوعها كذب وقيل معناه ليس لوقوعها قضية كاذبة اي ثبت وقوعها بالسمع والعقل (خافضة رافعة) اى تخفض ناسا وترفع آخرين عن ابن عباس وقيل تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة عن الحسن والجبائي والمعنى الجامع للقولين انها تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين وتجعلهم اذلة بإدخالهم النار وترفع رجالا كانوا في الدنيا أذلة وتجعلهم اعزة بإدخالهم الجنة (اذا رجت الارض رجا) اي حركت حركة شديدة وقيل زلزلت زلزالا شديدا عن ابن عباس وقتادة ومجاهد اي رجفت بإماتة من على ظهرها من الأحياء وقيل معناه رجت بما فيها كما يرج الغربال بما فيه فيكون المراد ترج باخراج من في بطنها من الموتى (وبست الجبال بسا) اي فتّت[1] فتا عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل معناه كسرت كسرا عن السدي عن[2] سعيد بن المسيب وقيل قلعت من اصلها عن الحسن وقيل سيرت عن وجه الارض تسييرا عن الكلبي وقيل بسطت بسطا كالرمل والتراب عن ابن عطية وقيل جعلت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة طويلة عن ابن كيسان (فكانت هباء منبثا) اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذ دخل من الكوة ثم وصف سبحانه احوال الناس بأن قال (وكنتم ازواجا ثلاثة) اي اصنافا ثلاثة ثم فسرها فقال (فاصحاب الميمنة) يعني اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم عن الضحاك والجبائي وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقيل هم اصحاب اليمن والبركة على انفسهم والثواب من الله سبحانه بما سعوا من الطاعة وهم التابعون باحسان

(١) فتّ الشيء دقه وكسره. (٢) في المخطوطة: وسعيد بن المسيب

عن الحسن والربيع ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيما لشأنهم فقال (ما اصحاب الميمنة) اي أيّ شيء هم كما يقال هم ما هم (واصحاب المشئمة) وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل هم المشائيم على انفسهم بما عملوا من المعصية ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيما لشأنهم في العذاب فقال (ما اصحاب المشئمة) ثم بين سبحانه الصنف الثالث فقال (والسابقون السابقون) اي والسابقون الى اتباع الانبياء الذين صاروا ائمة الهدى فهم السابقون الى جزيل الثواب عند الله عن الجبائي وقيل معناه السابقون الى طاعة الله وهم السابقون الى رحمته والسابق الى الخير إنما كان أفضل لأنه يقتدى به في الخير وسبق الى اعلى المراتب قبل من يجيء بعده فلهذا يميز[1] بين التابعين فعلى هذا يكون السابقون الثاني خبراً عن الأول ويجوز أن يكون الثاني تأكيدا للأول والخبر (أولئك المقربون) اي والسابقون الى الطاعات يقربون الى رحمة الله في اعلى المراتب والى جزيل ثواب الله في اعظم الكرامة ثم اخبر تعالى اين محلهم فقال (في جنات النعيم) لئلا يتوهم متوهم ان التقريب يخرجهم الى دار اخرى فأعلم سبحانه انهم مقربون من كرامة الله في الجنة لأن الجنة درجات ومنازل بعضها ارفع من بعض وقد قيل في السابقين انهم السابقون الى الايمان عن مقاتل وعكرمة وقيل السابقون الى الهجرة عن ابن عباس وقيل الى الصلوات الخمس عن علي (ع) وقيل الى الجهاد عن الضحاك وقيل الى التوبة واعمال البر عن سعيد بن جبير وقيل الى كل ما دعا الله اليه عن ابن كيسان وهذا اولى لأنه يعم الجميع وكان عروة بن الزبير يقول تقدموا تقدموا وعن ابي جعفر (ع) قال السابقون اربعة ابن آدم المقتول وسابق في[2] امة موسى (ع) وهو مؤمن آل فرعون وسابق في أمة عيسى (ع) وهو حبيب النجار والسابق في امة محمد ﷺ علي ابن ابي طالب (ع) (ثلة من الأولين) اي هم ثلة يعني جماعة كثيرة العدد من الأولين من الأمم الماضية (وقليل من الآخرين) من امة محمد لأن من سبق الى اجابة نبينا ﷺ قليل بالاضافة الى من سبق الى اجابة النبيين قبله عن جماعة من المفسرين وقيل معناه جماعة من اوائل هذه الأمة وقليل من اواخرهم ممن قرب حالهم من حال اولئك قال مقاتل يعني سابقي الأمم وقليل من الآخرين من هذه الأمة (على سرر موضونة) اي منسوجة كما يوضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر (متكئين عليها) اي مستندين جالسين جلوس الملوك (متقابلين) اي متحاذين كل واحد منهم بإزاء الآخر وذلك اعظم في باب السرور والمعنى أن بعضهم ينظر الى وجه بعض لا ينظر في قفاه لحسن معاشرتهم وتهذب اخلاقهم .

قوله تعالى (١٧) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٨) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٩) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (٢٠) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢١) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) وَحُورٌ عِينٌ (٢٣) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٤) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٥) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٦) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا عشر آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وحمزة والكسائي وحور عين بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن ابي اسحاق

(١) في المخطوطة : من التابعين . (٢) فيها ايضا سابق امة ... بدون لفظة في

ولا ينزفون بفتح الياء و كسر الزاي وقراءة ابي بن كعب وابن مسعود وحوراً عينا

الحجة

قال ابو علي وجه الرفع في وحور عين انه لما قال يطوف عليهم ولدان مخلدون دل الكلام وما ذكر بعد على أن لهم فيها كذا و كذا ولهم فيها حور عين و كذلك من نصب حمل على المعنى لأن الكلام دل على يمنحون ويملكون وهذا مذهب سيبويه ويجوز أن يحمل الرفع على قوله على سرر موضونة فالتقدير وعلى سرر موضونة حور عين أو وحور عين على سرر موضونة لأن الوصف قد جرى عليهن فاختصصن فجاز أن يرفع بالابتداء ولم يكن كالنكرة اذا لم يوصف نحو فيها عين وقوله على سرر موضونة خبر لقوله تعالى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين فكذلك يجوز أن يكون خبرا عنهن ويجوز في ارتفاع وحور عين أن يكون عطفا على الضمير في متكئين ولم يؤكد لكون طول الكلام بدلا من التأكيد ويجوز ايضا أن يعطفه على الضمير في متقابلين ولم يؤكد لطول الكلام أيضا وقد جاء ما اشركنا ولا آباؤنا فهذا اجدر وقال الزجاج الرفع أحسن الوجهين لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بهذه الاشياء انه قد ثبت لهم ذلك فكأنه قال ولهم حور عين ومثله مما حمل على هذا[1] المعنى قول الشاعر:

بادَتْ وَغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ البِلَى ... إلّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ

ثم قال بعده:

وَمُشَجَّجٌ أَمّا سَوَاءُ قَذَالِهِ ... فَبَدَا وَغَيَّرَ سَارَهُ المِعْزَاءُ[2]

لأنه لما قال إلا رواكد كان المعنى بها رواكد فحمل ومشجج على المعنى وقال غيره تقديره وهناك حور عين قال ابو علي وجه الجر ان يكون يحمله على قوله اولئك المقربون في جنات النعيم التقدير أولئك المقربون في جنات النعيم وفي حور عين اي وفي مقاربة حور عين اومعاشرة حور عين فحذف المضاف فإن قلت فلم لا تحمله على الجار في قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بكذا وبحور عين فهذا يمكن أن يقال إلا ان ابا الحسن قال في ذا بعض الوحشة قال ابن جني[3] نزف البئر ينزفها نزفا اذا استقى ماؤها وانزفت الشيء اذا افنيته قال الشاعر:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ ... لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرَا[4]

المعنى

ثم اخبر سبحانه[5] أن يطوف عليهم ولدان) اي وُصَفاء وغلمان للخدمة (مخلدون) اي باقون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون عن مجاهد وقيل مقرطون والخلّد القرط يقال خلّد جاريته اذا حلاها بالقرطة عن سعيد بن جبير والفراء واختلف في هذه الولدان فقيل انهم اولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا[6] فأنزلوا هذه المنزلة عن علي (ع) والحسن وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن اطفال المشركين فقال هم خدم أهل الجنة وقيل بل هم من خدم الجنة على صورة الولدان[7] خلقوا لخدمة اهل الجنة (بأكواب) وهي القداح الواسعة الرؤوس لا خراطيم لها عن قتادة (وأباريق) وهي التي لها خراطيم وعرى وهو الذي يبرق من صفاء لونه (وكأس من معين) اي ويطوفون ايضا عليهم بكأس من خمر معين اي ظاهر للعيون جار (لا يصدعون عنها) اي لا يأخذهم من شربها صداع وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون)

(١) ليس في المخطوطة لفظة هذا. (٢) مر البيت ومعناه في ص ٩٣ من هذا الجزء. (٣) في المخطوطة: قال ابن جني يقال... (٤) الندامى جمع ندمان وهو المنادم على الشرب اى بئس المصاحبون انتم في حال السكر والصحو. (٥) في نسخة: فيعاقبوا عليها وفي نسخة فيعاقبوا بها (٦) وفي نسخة: الغلمان.

اي لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر عن مجاهد وقتادة والضحاك ومن قرأ ينزفون حمله على انه لا تفنى خمرهم (وفاكهة مما يتخيرون) اي ويطوفون عليهم بفاكهة مما يختارونه ويشتهونه يقال تخيرت الشيء اخذت خيره (ولحم طير مما يشتهون) أي وبلحم طير مما يتمنون فإن أهل الجنة إذا اشتهوا لحم الطير خلق الله سبحانه لهم الطير نضيجا حتى لا يحتاج إلى ذبح الطير وايلامه قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيصير[1] ممثلا بين يديه على ما اشتهى (وحور عين) قد مر بيانه (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي الدر المصون المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي قال عمر بن ابي ربيعة:

وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوَّا ... صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

(جزاء بما كانوا يعملون) أي نفعل ذلك لجزاء اعمالهم وطاعاتهم التي عملوها في دار التكليف الدنيا (لا يسمعون فيها) اي في الجنة (لغواً) أي ما لا فائدة فيه من الكلام لأن كل ما يتكلمون به فيه فائدة (ولا تأثيما) اي لا يقول بعضهم لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم عن ابن عباس وقيل معناه لا يتخالفون على شرب الخمر كما يتخالفون في الدنيا ولا يأثمون بشربها كما يأثمون في الدنيا (إلا قيلا سلاما سلاما) أي لا يسمعون إلا قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلاما سلاما والمعنى أنهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب وكريم الأخلاق اللذين يوجبان التواد وتصب سلاما على تقدير سلمك الله سلاما بدوام النعمة وكمال الغبطة[2] ويجوز ان يعمل سلام في سلاما لأنه يدل على عامله كما يدل قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا على العامل في نبات فإن المعنى أنبتكم فنبتم نباتا ويجوز ان يكون سلاما نعتا لقوله قيلا ويجوز ان يكون مفعول قيل فالوجوه الثلاثة تحتملها الآية:

قوله تعالى (٢٧) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٨) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٩) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٣٠) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣١) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣٢) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٣) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٤) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٥) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٦) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٧) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٨) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٩) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٤٠) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ

اربع عشرة آية

القراءة

قرأ اسماعيل وحمزة وحماد ويحيى عن ابي بكر وخلف عرباً ساكنة الراء والباقون عربا بضمتين.

الحجة

العروب الحسنة التبعل قال لبيد:

وَفِي الْحُدُوجِ عَرُوبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ ... رَيَّا الرَّوَادِفِ يَعْشَى دُونَهَا الْبَصَرُ[3]

والفعول يجمع على فُعُل وفعل فمن التثقيل قوله « فاصبري انك من قوم صبر » والتخفيف في ذلك شائع مطرد.

اللغة

السدر شجر النبق وأصل الخضد عطف العود اللين فمن هاهنا المخضود الذي لا شوك له لأن

(١) وفي نسختين : فيطير. (٢) في نسخة : العطية (٣) الحدج : مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة والرّيان وهو ... الاخضر الناعم من الاغصان وغيرها ووجه ريان : كثير اللحم والروادف الاعجاز اما جمع ردف او الرادفة والردف العجز والكفل وعشى الرجل ساء بصره بالليل والنهار.

الغالب ان الرطب اللين لا شوك له والطلح قال ابو عبيدة هو كل شجر عظيم كثير الشوك قال بعض الحداة

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَا غَدًا تَرَيْنَ الطَّلْحَ وَالْجِبَالَا

وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان فقد يكون على احسن حال والمنضود من نضدت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض والبكر التي لم يفترعها الرجل فهي على خلقتها الأولى من حال الإنشاء ومنه البكرة لأول النهار والباكورة لأول الفاكهة والبكر الفتي من الابل وجمعه بِكار وبكارة وجاء القوم على بكرتهم وبكرة أبيهم عن الازهري والاتراب جمع تِرب وهو الِلدة الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا وهو مأخوذ من لعب الصبي بالتراب أي هم كالصبيان الذين هم على سن واحد قال ابن[1] ابي ربيعة :

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ عَشْرٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَابِ[2]

المعنى

ثم ذكر سبحانه أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) هو مثل قوله ما أصحاب الميمنة وقد مر معناه (في سدر مخضود) أي[3] في نبق مخضود أي منزوع الشوكة قد خضد شوكه أي قطع عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل هو الذي خضد بكثرة حمله وذهاب شوكه وقيل هو الموقر حملا عن الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان وقال الضحاك نظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية (وطلح منضود) قال ابن عباس وغيره هو شجر الموز وقيل ليس بالموز ولكنه شجر له ظل بارد رطب عن الحسن وقيل هو شجر يكون باليمن وبالحجاز من أحسن الشجر منظراً وانما ذكر هاتين الشجرتين لأن العرب كانوا يعرفون ذلك فإن عامة اشجارهم ام غيلان ذات انوار ورائحة طيبة وروت العامة عن علي(ع) انه قرأ عنده رجل وطلح منضود فقال ما شأن الطلح انما هو وطلع كقوله ونخل طلعها هضيم فقيل له ألا تغيره فقال إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحرك رواه عنه ابنه الحسن وقيس بن سعد[4] ورواه اصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال قلت لأبي عبد الله (ع) وطلح منضود قال لا وطلع منضود والمنضود الذي نضد بعضه على بعض نضد بالحمل من أوله إلى آخره فليست له سوق بارزة فمن عروقه إلى افنانه ثمر كله (وظل ممدود) اي دائم لا تنسخه الشمس فهو باق لا يزول والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع ممدود قال لبيد :

غَلَبَ الْبَقَاءَ وَكَانَ غَيْرَ مُغَلَّبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودٌ

وقد ورد في الخبر ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وروي ايضاً ان اوقات الجنة كغدوات الصيف لا يكون فيه حر ولا برد (وماء مسكوب) اي مصبوب يجري الليل والنهار ولا ينقطع عنهم فهو مسكوب بسكب الله إياه في مجاريه وقيل مسكوب مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج وقيل مسكوب يجري دائما في غير اخدود عن سفيان وجماعة وقيل مسكوب ليشرب على ما يرى من حسنه وصفائه لا يحتاجون إلى تعب في استقائه (وفاكهة كثيرة) اي وثمار مختلفة كثيرة غير قليلة والوجه في تكرير ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت أولا بأنها متخيرة وذكرت هنا بأنها كثيرة ثم وصفت بقوله (لا مقطوعة ولا ممنوعة) اي لا تنقطع كما تنقطع فواكه الدنيا في الشتاء وفي اوقات مخصوصة ولا تمتنع ببعد متناول او شوك يؤذي اليد كما يكون ذلك في الدنيا وقيل انها غير

(١) في المخطوطة : عمرو بن ابى ربيعه . (٢) المهاة : الشمس .. والبقرة الوحشية وقيل نوع من البقر الوحشى وهى اشبه بالمعز علية وقرونها صلاب جداً تشبه بها المرئه فى سمنها وجمالها وحسن عينيها وفلان يهادى بين اثنين اى يتمايل او بالبناء للمفعول اى يمشى نهما معتمداً عليهما لضعفه و المراد مشيها مشية المتبختر (٣) وفى المخطوطة : (فى سدر) اى فى نبق (مخضود) اى منزوع . (٤) فيها

مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان لا يتوصل اليها إلا بالثمن (وفرش مرفوعة) اي بسط عالية كما يقال بناء مرفوع وقيل مرفوع بعضها فوق بعض عن الحسن والفراء وقيل معناه ونساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن عن الجبائي قال ولذلك عقبه بقوله انا انشأناهن انشاءاً ويقال لامرأة الرجل فراشه ومنه قول النبي ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر (إنا أنشأناهن انشاءاً) أي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني النساء الادميات والعجز الشمط يقول خلقتهن بعد الكبر والهرم في الدنيا خلقا آخر وقيل معناه انشأنا الحور العين كما هن عليه على هيئاتهن لم يتنقلن من حال إلى حال كما يكون في الدنيا (فجعلناهن ابكاراً) اي عذارى عن الضحاك وقيل لا يأتيهن ازواجهن إلا وجدوهن ابكارا (عربا) اي متحببات الى ازواجهن متحببات اليهم وقيل عاشقات لأزواجهن عن ابن عباس وقيل العروب اللعوب مع زوجها أنساً به كأنس العرب بكلام العربي (اترابا) اي متشابهات مستويات في السن عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل امثال ازواجهن في السن (لأصحاب اليمين) اي هذا الذي ذكرناه لأصحاب اليمين جزاءاً وثوابا على طاعاتهم (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أي جماعة من الأمم الماضية التي كانت قبل هذه الامة وجماعة من مؤمني هذه الأمة قال الحسن سابقو الأمم الماضية اكثر من سابقي هذه الأمة وتابعو الامم الماضية مثل تابعي هذه الأمة يعني ان اصحاب اليمين منهم مثل اصحاب اليمين منا وانما نكر سبحانه الثلة ليدل على انه ليس لجميع الأولين والآخرين وانما هو لجماعة منهم كما يقال رجل من جملة الرجال وهذا الذي ذكرناه قول مقاتل وعطاء وجماعة من المفسرين وذهب جماعة منهم ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول مجاهد والضحاك واختيار الزجاج وروي ذلك مرفوعا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال جميع الثلتين من امتي ومما يؤيد القول الأول ويعضده من طريق الرواية ما رواه ثقلة الأخبار بالاسناد عن ابن مسعود قال تحدثنا عند رسول الله ﷺ ليلة حتى اكثرنا الحديث ثم رجعنا إلى اهلنا فلما اصبحنا غدونا إلى رسول الله ﷺ فقال عرضت علي الانبياء الليلة بأتباعها من امميها فكان النبي تجيء معه الثلة من امته والنبي معه العصابة من امته والنبي معه النفر من امته والنبي معه الرجل[1] من أمته والنبي ما معه من امته احد حتى إذا اتى اخي موسى في كبكبة من بني اسرائيل فلما رأيتهم اعجبوني فقلت اي رب من هؤلاء فقال هذا اخوك موسى بن عمران ومن معه من بني اسرائيل فقلت رب فأين امتي قال انظر عن يمينك فإذا ظراب[2] مكة قد سدت بوجوه الرجال فقلت[3] لكن هؤلاء فقيل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت وقال[4] انظر عن يسارك فإذا الافق قد انسد[5] بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء قيل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفا من امتك يدخلون الجنة لا حساب عليهم قال فأنشأ عكاشة بن محصن من بني اسد من[6] خزيمة فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم انشأ رجل آخر فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة فقال نبي الله فداكم ابي وامي ان استطعتم ان تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم[7] وقصرتم فكونوا من أهل الافق واني قد رأيت ثم ناسا كثيراً يتهاوشون كثيرا فقلت هؤلاء السبعون الفا فاتفق رأينا على انهم ناس ولدوا في الإسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فانتهى[8] حديثهم إلى رسول الله ﷺ فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسترقون ولا يتكبرون

ايضا : قيس بن سعيد .

(١) وفي المخطوطة : رجل . (٢) الظراب (٣) في المخطوطة: ربمن ... (٤) فيها قيل (٥) فيها ايضا : سد (٦) فيها ايضا : ابن خزيمة (٧) فيها : فقصرتم . (٨) في نسختين : فانهى . .

ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ثم قال اني لأرجو ان يكون من تبعني ربع اهل الجنة قال فكبرنا ثم قال اني لأرجو ان يكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لأرجو ان يكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا رسول الله ﷺ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين.

قوله تعالى (٤١) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤٢) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٣) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٤) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٥) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٦) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٧) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٨) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٩) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٥٠) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥١) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥٢) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٣) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٤) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٥) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٦) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ.

ست عشرة آية

القراءة

قرأ ابن عامر ﴿إذا متنا﴾ بهمزتين أئنا لمبعوثون بهمزتين ايضا ولم يجمع بين استفهامين إلا في هذا الموضع من القرآن وقد ذكرنا مذهب غيره من القراء فيما تقدم ومذهبه ايضا في امثاله وقرأ أهل المدينة وعاصم وحمزة شرب الهيم بضم الشين والباقون بفتحها.

الحجة

قال ابو علي إن الحق الف الاستفهام في قوله أئنا أو لم تلحق كان إذا متعلقا بشيء دل عليه قوله أإنا لمبعوثون ألا ترى ان إذا ظرف لزمان فلا بد له من فعل او معنى فعل يتعلق به ولا يجوز ان يتعلق بقوله متنا لأنه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وإذا لم يجز حمله على هذا الفعل ولا على ما بعد ان من حيث لم يعمل ما بعد ان فيما قبلها كما لا يعمل ما بعد لا فيما قبلها فكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله علمت انه يتعلق بشيء دل عليه قوله أئنا لمبعوثون وذلك نحشر او نبعث ونحوهما مما يدل عليه هذا الكلام واما الشرب فهو نحو الأكل والضرب والشرب كالشغل والنكر واما الشرب فالمشروب كالطحن ونحوه وقد يكون الشرب جمع شارب مثل راكب ورَكْب وتاجر وتَجْر وراجل ورجل

اللغة

السموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن ومسام البدن خروقه ومنه أخذ السم الذي يدخل في المسام واليحموم الأسود الشديد السواد باحتراق النار وهو يفعول من الحمّ وهو الشحم المسود باحتراق النار يقال حممت الرجل إذا سخمت وجهه بالفحم والمترف الممتنع من اداء الواجبات طلبا للترفه وهي الرفاهية والنعمة والحنث نقض العهد المؤكد بالحلف والهيم الابل العطاش التي لا تروى من الماء لداء يصيبها والواحد اهيم والأنثى هيماء

المعنى

ثم ذكر سبحانه أصحاب الشمال فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) وهم الذين يؤخذ بهم ذات

الشمال إلى جهنم والذين يأخذون كتبهم بشمالهم أو الذين يلزمهم حال الشؤم والنكد (في سموم وحميم) أي في ريح حارة تدخل مسامهم وخروقهم وفي ماء مغلي حار انتهت حرارته (وظل من يحموم) أي دخان أسود شديد السواد عن ابن عباس وابي مالك ومجاهد وقتادة وقيل اليحموم جبل في جهنم يستغيث أهل النار إلى ظله ثم نعت ذلك الظل فقال (لا بارد ولا كريم) اي لا بارد المنزل ولا كريم المنظر عن قتادة وقيل لا بارد يستراح اليه لأنه دخان جهنم ولا كريم فيشتهى مثله وقيل ولا كريم أي ولا منفعة فيه بوجه من الوجوه والعرب إذا أرادت نفي صفة الحمد عن شيء نفت عنه الكرم وقال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نفت عنه وصفا تنوي به الذم تقول ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة ثم ذكر سبحانه اعمالهم التي أوجبت لهم هذا فقال (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) أي كانوا في الدنيا متنعمين عن ابن عباس وذلك ان عذاب المترف أشد المآ وبين سبحانه ان الترف ألهاهم عن الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وكانوا[1] يتركون الواجبات طلبا لراحة ابدانهم (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) اي الذنب العظيم عن مجاهد وقتادة والإصرار ان يقيم عليه فلا يقلع عنه ولا يتوب منه وقيل الحنث العظيم الشرك أى لا يتوبون عنه عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل كانوا يحلفون لا يبعث الله من يموت وان الاصنام انداد الله عن الشعبي والأصم (وكانوا يقولون أإذا متنا و كنا ترابا وعظاما اثنا لمبعوثون) اي ينكرون البعث والنشور والثواب والعقاب فيقولون مستبعدين لذلك منكرين له أإذا خرجنا من كوتا احياء وصرنا ترابا أنبعث (أو آباؤنا الأولون) اي او يبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا ويحشرون ان هذا البعيد ومن قرأ او آباؤنا بفتح الواو فإنها واو العطف دخل عليها الف الاستفهام (قل) يا محمد لهم (ان الأولين والآخرين) اي الذين تقدموكم من آبائكم وغير آبائكم والذين يتأخرون عن زمانكم (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) يجمعهم الله ويبعثهم ويحشرهم إلى وقت يوم معلوم عنده وهو يوم القيامة (ثم انكم ايها الضالون) الذين ضللتم عن طريق الحق وجزتم عن الهدى (المكذبون) بتوحيد الله واخلاص العبادة له ونبوة نبيه (لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون) مفسر في سورة الصافات (فشاربون عليه من الحميم) الشجر يؤنث ويذكر فلذلك قال منها ثم قال عليه وكذلك الثمر يؤنث ويذكر (فشاربون شرب الهيم) اي كشرب الهيم وهي الإبل التي أصابها الهيام وهو شدة العطش فلا تزال تشرب الماء حتى تموت عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل هي الأرض الرملية التي لا تروى بالماء عن الضحاك وابن عيينة (هذا نزلهم يوم الدين) النزل الامر الذي ينزل عليه صاحبه والمعنى هذا طعامهم وشرابهم يوم الجزاء في جهنم.

قوله تعالى (٥٧) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٨) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٩) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٦٠) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦١) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٣) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٤) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٥) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٦) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٧) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٨)

(١) في بعض النسخ: فكانوا.

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٩) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٧٠) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧١) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧٢) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٣) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٤) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ثماني عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير نحن قدرنا بالتخفيف والباقون قدرنا بالتشديد وقرأ ابو بكر انا لمغرمون بهمزتين والباقون بهمزة واحدة .

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قدرنا في معنى قدرنا ويدل عليه قوله :

وَمُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا فَخَرَّتْ كَمَا تَتَابَعَ الرِّيحُ بِالْقَفْلِ (١)

والمعنى قدرت ضربي لساقها فضربتها فخرت ومثله في المعنى .

فَإِنْ تَعْتَذِرْ بِالْمَحْلِ مِنْ ذِي ضُرُوعِهَا عَلَى الضَّيْفِ نَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي (٢)

﴿ اللغة ﴾

يقال أمنى يمني ومنى يمني بمعنى ومنه قراءة ابي السماك تمنون بفتح التاء والأصل من المنى وهو التقدير قال الشاعر

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ حَتَّى تُلَاقِيَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

ومنه المنية لأنها مقدرة تأتي على مقدار والحطام الهشيم الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء واصل الحطم الكسر والحطم السواق بعنف يحطم بعضها على بعض قال « قد لفها الليل بسواق حطم » والتفكه أصله تناول ضروب الفواكه للأكل والفكاهة المزاح ومنه حديث زيد كان من أفكه الناس مع اهله ورجل فكه طيب النفس والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض وأصل الباب اللزوم والغرام العذاب اللازم قال الأعشى :

إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْـ طِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي

والنار مأخوذة من النور قال الحارث :

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى هَيْهَاتَ مِنْكِ الصَّلَاءُ (٣)

والإيراء اظهار النار بالقدح يقال اورى يوري ووريت بك زنادي اي اضاء بك امري ويقال قدح فأورى إذا اظهر النار فإذا لم يور قيل قدح فأكبى والمقوي النازل بالقواء من الأرض ليس بها احد واقوت الدار خلت من اهلها قال النابغة :

أَقْوَى وَأَقْفَرَ مِنْ نُعْمٍ وَغَيَّرَهَا هُوجُ الرِّيَاحِ بِهَا بِي التُّرْبِ مَوَّارُ (٤)

وقال عنترة

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ (٥)

(١) افرهت الناقة : اذا كانت تنتج الفرهاء النوق الخفيفات في السير والعنس الناقة الصلبة القوية واتابع الريح بورق الشجر ذاهبة به والقفل ما يبس من الشجر . (٢) المحل : الجدب . الكيد . السماية . العرقوب : عصب غليظ موتر فوق عقب الانسان ومن الدابة رجلها بمنزلة الركبة في يدها والنصل حديدة السهم والسيف والرمح والسكين يقول ان تعتذر للضيف بان ليس في ضروعها لبن نشق عراقيبها

المعنى

ثم احتج سبحانه عليهم في البعث بقوله (نحن خلقناكم) اي نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك عن مقاتل (فلولا تصدقون) اي فهلا تصدقون ولم لا تصدقون بالبعث لأن من قدر على الإنشاء والابتداء قدر على الإعادة ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ما ذكره فقال (أفرأيتم ماتمنون) اي ما تقذفون وتصبون في ارحام النساء من النطف فيصير ولدا (ءانتم تخلقونه) اي ءانتم تخلقون ماتمنون بشراً (ام نحن الخالقون) فإذا لم تقدروا انتم وامثالكم على ذلك فاعلموا ان الله سبحانه الخالق لذلك واذا ثبت انه قادر على خلق الولد من النطفة وجب ان يكون قادرا على اعادته بعد موته لأنه ليس بأبعد منه ثم بين سبحانه انه كما بدأ الخلق فإنه يميتهم فقال (نحن قدرنا بينكم الموت) التقدير ترتيب الأمر على مقدار اي نحن اجرينا الموت بين العباد على مقدار كما تقتضيه الحكمة فمنهم من يموت صبياً ومنهم من يموت شاباً ومنهم من يموت كهلا وشيخا وهرما عن مقاتل وقيل معناه قدرناه بأن سوينا فيه بين المطيع والعاصي وبين أهل السماء والأرض عن الضحاك (وما نحن بمسبوقين) قيل انه من تمام ما قبله اي لا يسبقنا احد منكم على ما قدرناه من الموت حتى يزيد في مقدار حياته وقيل انه ابتداء كلام يتصل به ما بعده والمعنى وما نحن بمغلوبين (على ان نبدل أمثالكم) اي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم وتقديره نبدلكم بأمثالكم فحذف المفعول الأول والجار من المفعول الثاني قال الزجاج معناه ان أردنا ان نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الصور أي ان اردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير لم نسبق ولا فاتنا ذلك وتقديره كما لم نعجز عن تغيير أحوالكم بعد خلقكم لا نعجز عن احوالكم بعد موتكم وقيل أراد النشأة الثانية أي ننشئكم فيما لا تعلمون من الهيئات المختلفة فإن المؤمن يخلق على احسن هيئة وأجمل صورة والكافر على اقبح صورة وقيل انما قال ذلك لأنهم علموا حال النشأة الأولى كيف كانت في بطون الأمهات وليست الثانية كذلك لأنها تكون في وقت لا يعلمه العباد (ولقد علمتم النشأة الأولى) أي المرة الاولى من الإنشاء وهو ابتداء الخلق حين خلقتم من نطفة وعلقة ومضغة (فلولا تذكرون) اي فهلا تعتبرون وتستدلون بالقدرة عليها على الثانية (أفرأيتم ما تحرثون) اي ما تعملون في الأرض وتلقون فيها من البذر (ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) أي ءأنتم تنبتونه وتجعلونه زرعا ام نحن المنبتون فإن من قدر على انبات الزرع من الحبة الصغيرة وان يجعلها حبوبا كثيرة قدر على اعادة الخلق إلى ماكانوا عليه وروي عن النبي ﷺ انه قال لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت (لو نشاء لجعلناه) اي جعلنا ذلك الزرع (حطاما) أي هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء وقيل تبنا لا قمح فيه عن عطاء (فظلتم تفكهون) اي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم عن عطاء والكلبي ومقاتل وقيل معناه تندمون وتتأسفون على ما أنفقتم فيه عن عكرمة وقتادة والحسن واصله من التفكه بالحديث وهو التلهي به فكأنه قال فظلتم تتروحون إلى التندم كما يتروح المتفكه إلى الحديث بما يزيل الهم وقيل معناه يتلاومون عن عكرمة اي يلوم بعضكم بعضا على التفريط في طاعة الله (انا لمغرمون) اي تقولون انا لمغرمون والمعنى انا قد ذهب مالنا كله ونفقتنا وضاع وقتنا ولم نحصل على شيء وقيل معناه انا لمعذبون محدودون عن الحسن عن مجاهد وفي رواية اخرى عنه انا لمولع بنا وفي رواية اخرى عنه انا لملقون في الشر وقيل معارفون عن قتادة ومن قرأ ءانا على الاستفهام حمله على انهم يقولون منكرين لذلك

بالنصل وفجرحها . (٢) تنور النار من بعيد : تبصرها وخزازى جبل كانوا يوقدون عليه نحاة النارة والصلاء : الشواء . والوقود والحطب من النار . (٤) الهوج جمع الهوجاء وهي الريح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت والهابي من هبا الغبار اي سطع وموضع هابي التراب اي كأن ترابه هباء في الرقة وتراب هاب اي منتشر في الجو وموار مبالغة من مار الشيء اي تحرك بسرعة وجاء وذهب (٥) مر البيت في ج ٣ ص ٢٠

ومن قرأ انا على الخبر حمله على انهم مخبرون بذلك عن انفسهم ثم يستدركون فيقولون (بل نحن محرومون) اي ممنوعون الحظ محارفون ممنوعون من الرزق والخير ثم قال سبحانه منبهاً على دلالة اخرى (أفرأيتم الماء الذي تشربون ءأنتم انزلتموه من المزن) اي من السحاب (أم نحن المنزلون) نعمة منا عليكم ورحمة بكم ثم قال (لو نشاء جعلناه اجاجا) اي مرّاً شديد المرارة وقيل هو الذي اشتدت ملوحته (فلولا تشكرون) اي فهلا تشكرون على هذه النعمة السنية التي لا يقدر عليها احد غير الله ثم نبه سبحانه على دلالة اخرى فقال (أفرأيتم النار التي تورون) اي تستخرجونها وتقدحونها بزنادكم من الشجر (ءأنتم أنشأتم شجرتها) التي تنقدح النار منها اي ءانتم أنبتموها وابتدأتموها (ام نحن المنشئون) لها فلا يمكن احداً ان يقول انه انشأ تلك الشجرة غير الله تعالى والعرب تقدح بالزند والزندة وهو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار وفي المثل «في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار» (نحن جعلناها تذكرة) أي نحن جعلنا هذه النار تذكرة للنار الأخرى الكبرى فاذا رآها الرائي ذكر جهنم واستعاذ بالله منها عن عكرمة ومجاهد وقتادة وقيل معناه تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها فيعلم ان من قدر عليها وعلى اخراجها من الشجر الرطب قدر على النشأة الثانية (ومتاعا للمقوين) اي وجعلناها بلغة ومنفعة للمسافرين عن ابن عباس والضحاك وقتادة يعني الذين نزلوا الارض القيّ وهو القفر وقيل للمستمتعين بها من الناس اجمعين المسافرين والحاضرين عن عكرمة ومجاهد والمعنى ان جميعهم يستضيئون بها من الظلمة ويصطلون من البرد ويتنفعون بها في الطبخ والخبز وعلى هذا فيكون المقوي من الاضداد فيكون المقوي الذي صار ذا قوة من المال والنعمة والمقوي ايضا الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض فالمعنى ومتاعا للاغنياء والفقراء ولما ذكر سبحانه ما يدل على توحيده وانعامه على عبيده قال (فسبح باسم ربك العظيم) اي فبرّئ الله تعالى مما يقولونه في وصفه ونزهه عما لا يليق بصفاته وقيل معناه قل سبحان ربي العظيم فقد صح عن النبي ﷺ انه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم.

قوله تعالى (٧٥) فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٦) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٧) إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٨) فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (٧٩) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (٨٠) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨١) أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨٢) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٣) فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (٨٤) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٥) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٦) فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٧) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ.

ثلاث عشرة آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم بموقع النجوم بغير الف والباقون بمواقع النجوم على الجمع وروى بعضهم عن عاصم انكم تكذبون بالتخفيف والقراءة المشهورة بالتشديد وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي فلاقسم بغير الف وقراءة علي (ع) وابن عباس ورويت عن النبي ﷺ وتجعلون شكركم.

(١) في بعض النسخ: خلقهم (٢) وفي سائر النسخ محدودون بالمهملة وجدّ النخل بالجيم اى صرمه وقطعه وحدّاه عنا الشراى كفه وصرفه

(١) وفي نسخة: محبوسو الحظ (٢) اى استكثرا من النار ومعنى المثل: كانهما اخذا من النار ما هو حسبهما يقال شبّها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض.

الحجة

قال ابو عبيدة فلا اقسم بمواقع النجوم اي فاقسم ومواقعها مساقطها حيث تغيب وقال غيره انه مواقع القرآن حين نزل على النبي ﷺ نجوما فأما الجمع في ذلك وان كان مصدرا فلاختلاف ذلك فإن المصادر وسائر اسماء الأجناس اذا اختلفت جاز جمعها ومن قرأ بموقع فافرد فلأنه اسم جنس ومن قرأ تكذبون فالمعنى تجعلون رزقكم الذي رزقكموه الله فيما قال وأنزلنا من السماء ماء مباركا الى قوله رزقاً للعباد وقال وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم انكم تكذبون في أن تنسبوا هذا الرزق الى غير الله تعالى فتقولون مطرنا بنوء كذا فهذا وجه التخفيف ومن قرأ تكذّبون فالمعنى انكم تكذبون بالقرآن لأن الله تعالى هو الذي رزقكم ذلك على ماجاء في قوله تعالى رزقا للعباد فتنسبونه انتم الى غيره فهذا تكذيبكم بما جاء به التنزيل واما ما روي من قوله وتجعلون شكركم فالمعنى تجعلون مكان الشكر الذي يجب عليكم التكذيب وقد يكون المعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف وقال ابن جني هو على وتجعلون بدل شكركم ومثله قول العجاج :

رَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَعْدَدَا(١) كَانَ جَزَائِي بِالْعَصَا أَنْ أُجْلَدَا

اي كان بدل جزائي الجلد بالعصا وأما قوله فلا أقسم فالتقدير لأنا اقسم وهو فعل الحال يدل على ذلك ان جميع ما في القرآن من الأقسام إنما هو حاضر الحال لا وَعْدُ الأقسام كقوله والتين والزيتون والشمس وضحاها ولذلك حملت لا على الزيادة في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ونحوه نعم ولو اريد به الفعل المستقبل للزمت منه النون فقيل لأقسمن.

اللغة

القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله في قسم الصواب دون الخطأ والعظيم هو الذي يقصر مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه وهو ضربان عظيم الشخص وعظيم الشأن والكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القرآن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بأدلته المؤدية الى الحق كان كريما على حقيقة معنى الكريم لا على التشبيه بطريق المجاز والكريم في صفات الله تعالى من الصفات النفسية التي يجوز أن يقال فيها لم يزل كريما لأن حقيقته تقتضي ذلك من جهة أن الكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القادر على الكرم الذي لا يمنعه مانع من شأنه أن يعطي الخير الكثير صح أن يقال انه لم يزل كريما والمدهن الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر كالدهن في سهولة ذلك والاسراع فيه يقال ادهن يدهن وداهن يداهن مثل نافق والدين هو الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى والدين العمل الذي يستحق به الجزاء

الاعراب

فلولا اذا بلغت الحلقوم العامل في اذا محذوف يدل عليه الفعل الواقع بعد لولا وهو ترجعونها في فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها وجواب الشرط ايضا هو مدلول قوله فلولا ترجعونها ولولا هذه للتحضيض بمعنى هلا ولا يقع بعدها الا الفعل ويكون التقدير فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم فلولا ان كنتم فكرر لولا ثانيا لطول الكلام.

---

(١) تمعدد الغلام : شب وغلظ وذهبت عنه رطوبة الصبا.

﴿ المعنى ﴾

ثم اكد سبحانه ما تقدم ذكره بقوله (فلا اقسم بمواقع النجوم) ولا زائدة والمعنى فأقسم عن سعيد بن جبير ويجوز أن يكون لا ردّاً لما يقوله الكفار في القرآن من انه سحر وشعر و كهانة ثم استأنف القسم فقال اقسم وقيل ان لا تزاد في القسم فيقال لا والله لا افعل وقال امرؤ القيس :

لا وَابِيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرُّ

والمعنى وابيك وقيل ان المعنى لا اقسم على هذه الاشياء فإن امرها اظهر واكد من أن يحتاج فيه إلى اليمين عن ابي مسلم واختلف في معنى مواقع النجوم فقيل هي مطالع النجوم ومساقطها عن مجاهد وقتادة وقيل انكدارها وهو انتشارها يوم القيامة عن الحسن وقيل هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا فيكون المعنى فلا اقسم بها وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان مواقع النجوم رجومها للشياطين وكان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه فلا اقسم بها وقيل معناه اقسم بنزول القرآن فإنه نزل متفرقا قِطَعا نجوما عن ابن عباس (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) قال الزجاج والفراء وهذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والضمير في إنه يعود إلى القسم ودل عليه قوله أقسم والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون ففصل بين الصفة والموصوف بالجملة ثم ذكر المقسم به فقال (إنه لقرآن كريم) معناه إن الذي تلوناه عليك لقرآن كريم أي عام المنافع كثير الخير ينال الأجر العظيم بتلاوته والعمل بما فيه وقيل كريم عند الله تعالى اكرمه الله تعالى واعزه لأنه كلامه عن مقاتل وقيل كريم لأنه كلام رب العزة ولأنه محفوظ عن التغيير والتبديل ولأنه معجز ولأنه يشتمل على الأحكام والمواعظ وكل جليل خطير وعزيز فهو كريم (في كتاب مكنون) اي مستور من خلقه عند الله وهو اللوح المحفوظ اثبت الله فيه القرآن عن ابن عباس وقيل هو المصحف الذي في أيدينا عن مجاهد (لا يمسه إلا المطهرون) معناه في القول الاول لا يمسه إلا الملائكة الذين وصفوا بالطهارة من الذنوب وفي القول الثاني إلا المطهرون من الشرك عن ابن عباس وقيل المطهرون من الاحداث والجنابات وقالوا[1] لا يجوز للجنب والحائض والمحدث مس المصحف عن محمد بن علي الباقر (ع) وطاووس وعطاء وسالم وهو مذهب مالك والشافعي فيكون خبرا بمعنى النهي وعندنا ان الضمير يعود إلى القرآن فلا يجوز لغير الطاهر مس كتابة القرآن (تنزيل من رب العالمين) اي هذا القرآن منزل من عند الله تعالى الذي خلق العباد ودبّرهم على ما اراد على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم خاطب سبحانه اهل مكة فقال (أفبهذا الحديث) الذي حدثناكم به واخبرناكم فيه عن حوادث الامور وهو القرآن (انتم مدهنون) اي مكذبون عن ابن عباس وقيل مدهنون مالئون للكفار على الكفر به عن مجاهد وقيل منافقون على التصديق به اي تقولون آمنا به وتدهنون فيما بينكم وبين المشركين إذا خلوتم فقلتم إنا معكم قال مؤرج هو الذي يلين جانبه ليخفي كفره واصله من الدهن (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) اي وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم انكم تكذبون به وقيل وتجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال اصاب الناس عطش في بعض اسفاره فدعا صلى الله عليه وآله وسلم فسقوا فسمع رجلا يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية وقيل معناه وتجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به عن الحسن (فلولا إذا بلغت الحلقوم) اي فهلا اذا بلغت النفس الحلقوم

(١) وفي نسخة : وقيل بدل قالوا .

عند الموت (وانتم) يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) اي ترون تلك الحال وقد صار إلى ان تخرج نفسه وقيل معناه تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا (ونحن اقرب اليه منكم) بالعلم والقدرة (ولكن لا تبصرون) ذلك ولا تعلمونه وقيل معناه ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون رسلنا القابضين روحه (فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) يعني فهلا ترجعونها اي فهلا ترجعون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم وتردونها إلى موضعها ان كنتم غير مجزيين بثواب وعقاب وغير محاسبين وقيل غير مدينين معناه غير مملوكين وقيل غير مبعوثين عن الحسن والمراد ان الأمر إن كان كما تقولونه من انه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يحاسب ويجازي فهلا رددتم الارواح والنفوس من حلوقكم إلى ابدانكم ان كنتم صادقين في قولكم فإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا انه من تقدير مقدر حكيم وتدبير مدبر عليم

قوله تعالى (٨٨) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٩) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٩٠) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٢) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٣) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٤) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٦) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ تسع آيات.

القراءة

قرأ يعقوب فروح بضم الراء وهو قراءة النبي ﷺ وابن عباس وابي جعفر الباقر وقتادة والحسن والضحاك وجماعة والباقون فروح بفتح الراء

الحجة

قال ابن جني هو راجع الى معنى الروح فكأنه قال فتمسك روح وممسكها هو الروح وكما تقول هذا الهواء هو الحياة وهذا الساع هو العيش وهو الروح

الاعراب

واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين قال علي بن عيسى دخلت كاف الخطاب كما تدخل في ناهيك به شرفاً وحسبك به كرما اي لا تطلب زيادة على جلالة حاله فكذلك سلام لك منهم اي لا تطلب زيادة على سلامهم جلالة وعظم منزلة قال ابن جني في الكلام تقديم وتأخير والتقدير مهما يكن من شيء فسلام لك من اصحاب اليمين ان كان من اصحاب اليمين ولا ينبغي أن يكون موضع ان كان الا هذا الموضع لأنه لو كان موضعه بعد الفاء يليها لكان قوله فسلام لك جوابا له في اللفظ لا في المعنى ولو كان جوابا له في اللفظ لوجب ادخال الفاء عليه لأنه لا يجوز في سعة الكلام ان كان من اصحاب اليمين سلام له فلما وجد(١) الفاء فيه ثبت انه ليس بجواب لقوله ان كان في اللفظ واذا ثبت انه ليس بجواب له في اللفظ ثبت انه موقع ان كان بعده لا قبله قال فإن قيل إنما بدل الفاء التي تكون جوابا لقوله ان كان لأجل الفاء التي تدخل جوابا لأما لأنه لا يدخل حرف معنى على مثله قيل إنما تدخل الفاء التي لأما عليه لأنه ليس بجواب لقوله إن كان فلو كان جوابا له لما دخلت عليه هذه الفاء في قوله فأما ان كان من اصحاب اليمين

(١) في نسخة هكذا : فلما وجد (لهو جدخ)

فسلام لك على أن فاء اما قد يكون موقعه بعد الفاء لا يليها وأما لها موضعان من الكلام ﴿ احدهما ﴾ أن يكون لتفصيل الجمل نحو قولك جاءني القوم فأما زيد فأكرمته وأما عمرو فأهنته ومنه ما في الآية ﴿ والثاني ﴾ أن تكون مركبة من أن وما ويكون ما عوضا من كان وذلك قولك اما انت منطلقا انطلقت معك والمعنى إن كنت منطلقاً انطلقت فموضع ان نصب لأنه مفعول له وانشد سيبويه :

أبا خُراشَةَ أمّا أنتَ ذا نَفَرٍ فإنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

اي من اجل ان كنت والضبع السنة الشديدة .

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه صفات الخلق عند الموت فقال (فأما إن كان من المقربين) اي فإن كان ذلك المحتضر الذي بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله وهم السابقون الذين ذكروا في اول السورة (فروح) اي فله روح وهو الراحة والاستراحة عن ابن عباس ومجاهد يعني من تكاليف الدنيا ومشاقها وقيل الروح الهواء الذي تستلذه النفس ويزيل عنها الهم (وريحان) يعني الرزق في الجنة وقيل هو الريحان المشموم من ريحان الجنة يؤتى به عند الموت فيشمه عن الحسن وابي العالية وقتادة وقيل الروح الرحمة والريحان كل نباهة وشرف وقيل الروح النجاة من النار والريحان الدخول في دار القرار وقيل روح في القبر وريحان في الجنة وقيل روح في القبر وريحان في القيامة (وجنة نعيم) يدخلونها (واما إن كان من اصحاب اليمين) اى ان كان المتوفى من اصحاب اليمين (فسلام لك من اصحاب اليمين) أي فترى فيهم ما تحب لهم من السلامة من المكاره والخوف وقيل معناه فسلام لك ايها الإنسان الذي هو من اصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليك ملائكة الله عن قتادة قال الفراء فسلام لك إنك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل معناه فسلام لك منهم في الجنة لأنهم يكونون معك ويكون لك بمعنى عليك « سؤال » يقال لم يتبرك باليمين « والجواب » إن العمل ميسر بها لأن الشمال معسر العمل بها من نحو الكتابة والأعمال الدقيقة (واما إن كان من المكذبين) بالبعث والرسل وآيات الله (الضالين) عن الهدى الذاهبين عن الصواب والحق (فنزل من حميم) اي فنزلهم الذي اعد لهم من الطعام والشراب من حميم جهنم (وتصلية جحيم) اي ادخال نار عظيمة كما قال ويصلى سعيرا في قراءة من شدد (إن هذا لهو حق اليقين) اضاف الحق إلى اليقين وهما واحد للتأكيد اي هذا الذي اخبرتك به من منازل هؤلاء الاصناف الثلاثة هو الحق الذي لا شك فيه واليقين الذي لا شبهة معه وقيل تقديره حق الامر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) اي نزه الله سبحانه عن السوء والشرك وعظمه بحسن الثناء عليه وقيل معناه نزه اسمه عما لا يليق به فلا تضف اليه صفة نقص او عملا قبيحا وقيل معناه قولوا سبحان ربي العظيم والعظيم في صفة الله تعالى معناه ان كل شيء سواه يقصر عنه فإنه القادر العالم الغني الذي لا يساويه شيء ولا يخفى عليه شيء جلت آلاؤه وتقدست اسماؤه .

سورة الحديد (مدنية)

عدد آيها

تسع وعشرون آية عراقي وثمان في الباقين

اختلافها

آيتان من قبله العذاب كوفي والانجيل بصري

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله العرباض ابن سارية قال إن النبي ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آية أفضل من الف آية وروى عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن ابي جعفر «ع» قال من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام وان مات كان في جوار رسول الله ﷺ الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة فريضة ادمنها لم يعذبه الله حتى يموت ابداً ولا يرى في نفسه ولا في اهله سوء ابداً ولا خصاصة في بدنه

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الواقعة بالتسبيح افتتح هذه السورة بالتسبيح وعقبه بالدلائل الموجبة للتسبيح فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٤) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٥) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٦) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ست آيات.

المعنى

(سبح لله) أي نزهه واثنى عليه بما هو أهله وبرأه من كل سوء (ما في السموات والأرض) قال مقاتل يعني كل شيء من ذي الروح وغيره وكل خلق فيهما ولكن لا تفقهون تسبيحهم وتحقيقه ان العقلاء يسبحونه قولا واعتقاداً ولفظا ومعنى وما ليس بعاقل من سائر الحيوانات والجمادات فتسبيحه ما فيه من الادلة الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه وما فيه من الحجج على انه لا يشبه خلقه وان خلقه لا يشبهه فعبر سبحانه عن ذلك بالتسبيح ويجوز ان تكون ما هاهنا بمعنى من كما حكى ابو زيد عن اهل الحجاز انهم

كانوا إذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له فيكون واقعا على العقلاء من الملائكة والجن والانس (وهو العزيز الحكيم) أي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء المحكم لأفعاله العليم بوجوه الصواب في التدبير (له ملك السموات والأرض) أي له التصرف في جميع ما في السموات والأرض من الموجودات بما يشاء من التصرف وليس لأحد منعه منه وذلك هو الملك الأعظم فإن كل ما يملكه من عداه فإنه سبحانه هو الذي ملكه اياه وله منعه منه (يحيي ويميت) اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا وقيل يحيي الاموات بأن يجعل النطفة وهي جماد حيوانا ويميت الاحياء إذا بلغوا آجالهم التي قدرها لهم (وهو على كل شيء قدير) يقدر على المعدومات بإيجادها وانشائها وعلى الموجودات بتغييرها وافنائها وعلى افعال العباد ومقدوراتهم بالإقدار عليها وسلبهم القدرة عليها (هو الأول) أي أول الموجودات وتحقيقه انه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الاوقات لأنه قديم وما عداه محدث والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الاوقات (والآخر) بعد فناء كل شيء لأنه يفني الأجسام كلها وما فيها من الاعراض ويبقى وحده ففي هذا دلالة على فناء الأجسام وقيل الأول قبل كل شيء بلا ابتداء والآخر بعد كل شيء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل والباقي لا يزال (والظاهر) وهو الغالب العالي على كل شيء فكل شيء دونه (والباطن) العالم بكل شيء فلا احد اعلم منه عن ابن عباس وقيل الظاهر بالأدلة والشواهد والباطن الخبير العالم بكل شيء وقيل معنى الظاهر والباطن أنه العالم بما ظهر والعالم بما بطن وقيل الظاهر بأدلته والباطن من احساس خلقه وقيل الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل الأول ببره إذ هداك والآخر بعفوه إذ قبل توبتك والظاهر بإحسانه وتوفيقه إذا اطعته والباطن بستره إذا عصيته عن السدي وقيل الأول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالإحياء والباطن بالإماتة عن ابن عمر وقيل هو الذي أول الأول وأخر الآخر واظهر الظاهر وأبطن الباطن عن الضحاك وقيل الأول بالازلية والآخر بالابدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية عن ابي بكر الوراق وقيل إن الواوات مقحمة والمعنى هو الاول الآخر الظاهر الباطن لأن كل من كان منا أولا لا يكون آخرا ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا عن عبد العزيز ابن يحيى وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم عن يمان وقال البلخي هو كقول القائل فلان أول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه أي عليه يدور الامر وبه يتم (وهو بكل شيء) يصح أن يكون معلوما (عليم) لأنه عالم لذاته (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام) لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شيء بعد شيء من جهتهم لما في الاخبار به من المصلحة للمكلفين ولولا ذلك لكان يخلقهما في لحظة واحدة لأنه القادر لذاته (ثم استوى على العرش) المعروف في السماء وقيل استوى على الملك فمن قال بالاول قال استواؤه عليه كونه قادراً على خلقه وافنائه وتصريفه قال البعيث:

ثُمَّ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وبشر هذا هو بشر بن مروان ولاه اخوه عبد الملك العراق وقيل معناه ثم عمد وقصد إلى خلق العرش وقد مر بيانه (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) أي يعلم ما يدخل في الأرض ويستتر فيها ويعلم ما يخرج من الأرض من سائر انواع النبات والحيوان والجماد لا يخفى عليه شيء منها (وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) أي ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغير ذلك من انواع

ما ينزل منها ويعلم ما يعرج في السماء من الملائكة وما يرفع اليها من اعمال الخلق (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم الذي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وأحوالكم (والله بما تعملون) من خير وشر (بصير) اي عليم (له ملك السماوات والأرض) يتصرف فيها كيف يشاء (وإلى الله ترجع الامور) يوم القيامة يعني أن جميع من ملكه شيئا في الدنيا يزول ملكه عنه وينفرد سبحانه بالملك كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي يدخل ما نقص من الليل في النهار وما نقص من النهار في الليل اي حسب ما دبره فيه من مصالح عباده عن عكرمة وابراهيم (وهو عليم بذات الصدور) أي هو عالم بأسرار خلقه وما يخفونه من الضمائر والاعتقادات والارادات والكراهات والعزائم في قلوبهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذا تحذير من المعاصي.

قوله تعالى (٧) آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٨) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ اربع آيات.

القراءة

قرأ ابو عمرو وحده وقد اخذ بضم الهمزة ميثاقكم بالرفع والباقون اخذ بفتح الهمزة ميثاقكم بالنصب وقرأ ابن عامر وكلّ وعد الله الحسنى بالرفع والباقون كلًّا بالنصب

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ وقد أخذانه قد تقدم وما لكم لا تؤمنون بالله والضمير يعود إلى اسم الله تعالى وحجة من قرأ وقد أُخذانه على هذا المعنى وانه قد عرف اخذ الميثاق وأن الله قد اخذه وحجة النصب في كلًّا وعد الله الحسنى بيّن لأنه بمنزلة زيداً وعدت خيراً وحجة ابن عامر أن الفعل إذا تقدم عليه مفعوله لم يقو عمله فيه قوته إذا تأخر ألا ترى انهم قالوا في الشعر زيد ضربت ولو تأخر المفعول فوقع بعد الفاعل لم يجز ذلك فيه وما جاء من ذلك في الشعر قوله:

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنْباً كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

فرووه بالرفع لتقدمه على الفعل وإن لم يكن شيء يمنع من تسلط الفعل عليه فكذلك قوله وكلّ وعد الله الحسنى يكون على إرادة الهاء وحذفها كما يحذف من الصفات والصلات.

(١) ليس في بعض النسخ لفظة: في الشعر.

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المكلفين فقال (آمنوا بالله) معاشر العقلاء أي صدّقوا الله وأقرّوا بوحدانيته واخلاص العبادة له (ورسوله) أي وصدقوا رسوله واعترفوا بنبوته (وأنفقوا) في طاعة الله والوجوه التي امركم بالإنفاق فيها (مما جعلكم مستخلفين فيه) أي من المال الذي استخلفكم الله فيه بوراثتكم اياه عمن قبلكم عن الحسن ونبه سبحانه بهذا على أن ما في ايدينا يصير لغيرنا كما صار الينا ممن قبلنا وحثنا على استيفاء الحظ منه قبل أن يصير[1] لغيرنا ثم بين سبحانه ما يكافيهم على ذلك إذا فعلوه فقال (فالذين آمنوا منكم) بالله ورسوله (وانفقوا) في سبيله (لهم اجر كبير) اي جزاء وثواب عظيم دائم لا يشوبه كدر ولا تنغيص ثم وبّخهم سبحانه فقال (وما لكم لا تؤمنون بالله) أي وأيّ شيء يمنعكم من الإيمان بالله مع وضوح الدلائل على وحدانيته (والرسول يدعوكم) إلى ما ركب الله في عقولكم من معرفة الصانع وصفاته (لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم) بما اودع الله قلوبكم من دلالات العقل الموصلة إلى الايمان به فإن الميثاق هو الامر المؤكد الذي يجب العمل به (إن كنتم مؤمنين) اي ان كنتم مصدقين بحق فالآن قد ظهرت اعلامه ووضحت براهينه والمعنى اي عذر لكم في ترك الإيمان وقد ازاحت[2] العلل وارتفعت الشبه ولزمتكم الحجج العقلية والسمعية فالعقلية ما في فطرة العقول والسمعية دعوة الرسول المؤيدة بالأدلة المؤدية إلى المدلول والذي يبين هذا قوله (هو الذي ينزل على عبده) يعني محمداً ﷺ (آيات بينات) اي حججا منيرة وبراهين واضحة (ليخرجكم الله) بالقرآن والأدلة وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة وقيل ليخرجكم المنزَل والأول أوجه (من الظلمات إلى النور) اي من الكفر إلى الإيمان بالتوفيق والهداية والألطاف والأدلة (وان الله بكم لرؤوف رحيم) حين بعث الرسول ونصب الأدلة والرأفة والرحمة واحد وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل الرأفة النعمة على المضرور والرحمة النعمة على المحتاج وفي هذا دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر فإنه بيّن أن الغرض في انزال القرآن الإيمان به ثم حثهم سبحانه على الإنفاق فقال (ومالكم ألّا تنفقوا في سبيل الله) أي أيّ شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرّب إلى الله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) يعني يفني الخلق ويبقى هو والمعنى فيه أن الدنيا واموالها ترجع إلى الله فلا يبقى لأحد فيها ملك ولا أمر كما يرجع الميراث إلى مستحقيه فاستوفوا حظكم من اموالكم قبل أن تخرج من ايديكم ثم بين سبحانه فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله فقال (لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) بين سبحانه ان الانفاق قبل فتح مكة إذا انضم اليه الجهاد اكثر ثوابا عند الله من النفقة والجهاد بعد ذلك وذلك أن القتال قبل الفتح كان اشد والحاجة إلى النفقة وإلى الجهاد كان اكثر وأمسّ وفي الكلام حذف تقديره لا يستوي هؤلاء مع الذين انفقوا بعد الفتح فحذف لدلالة الكلام عليه وقال الشعبي أراد فتح الحديبية ثم سوّى سبحانه بين الجميع في الوعد بالخير والثواب في الجنة فقال (وكلاً وعد الله الحسنى) أي الجنة والثواب فيها وان تفاضلوا في مقادير ذلك (والله بما تعملون خبير) أي لا يخفى عليه شيء من إنفاقكم وجهادكم فيجازيكم بحسب نياتكم وبصائركم واخلاصكم في سرائركم

قوله تعالى (١١) مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ

(١) في نسخة : يصير الامر لغيرنا (٢) في نسختين : وقد انزاحت .

(١٢) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٤) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٥) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ خمس آيات

القراءة

القراءة[1] في فيضاعفه والاختلاف فيه قد مضى ذكره في سورة البقرة وقرأ حمزة انظرونا بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء والباقون انظرونا بهمزة الوصل وضم الظاء وقرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب لا تؤخذ منكم بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة سهل بن شعيب وبإيمانهم بكسر الهمزة وقراءة سماك بن حرب وغركم بالله الغرور بضم الغين

الحجة

قال ابو علي النظر هو تقليب العين إلى الجهة التي فيها المرئي والمراد رؤيته[2] وما يدل على ذلك قوله

فَيَا مَيَّ هَلْ يُجْزِي بُكَائِي بِمِثْلِهِ ... مِرَارًا وَأَنْفَاسِي إِلَيْكِ الزَّوَافِرُ

وَإِنِّي مَتَى أَشْرِفْ عَلَى الْجَانِبِ الَّذِي ... بِهِ أَنْتِ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِبِ نَاظِرُ

فلو كان النظر الرؤية لم يطلب عليه الجزاء لأن المحب لا يستثيب من النظر إلى محبوبه شيئا بل يريد ذلك ويتمناه ويدل على ذلك قول الآخر:

وَنَظْرَةٍ ذِي شَجَنٍ وَامِقٍ ... إِذَا مَا الرَّكَائِبُ جَاوَزْنَ مِيلَا

وأما قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فالمعنى انه سبحانه لا ينيلهم رحمته وقد تقول نظر إلي فلان إذا كان ينيلك شيئا ويقول القائل انظر إلي نظر الله اليك يريد أنلني خيرا أنالك الله ونظرت فعل يستعمل وما تصرف منه على ضروب ﴿ احدها ﴾ أن تريد به نظرت إلى الشيء فتحذف الجار وتوصل الفعل ومن ذلك ما انشده ابو الحسن:

ظَاهِرَاتِ الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ يَنْظُرْنَ ... كَمَا يَنْظُرُ الْأَرَاكَ الظِّبَاءُ

والمعنى ينظرن إلى الاراك فحذف الجار والآخر أن تريد به تأملت وتدبرت وهو فعل غير متعد فمن ذلك قولهم اذهب فانظر زيدا أبو من هو فهذا يراد به التأمل ومن ذلك قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال وانظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وقد يتعدى هذا بالجار كقوله أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت فهذا خص على التأمل وقد يتعدى هذا بفي نحو قوله أفلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض

فأما قول امرئ القيس:

(١) ليس في نسخة : القراءة في (٢) اى مقصود الناظر رؤيته في تلك الجهة من بين الجوانب اى يقلب الحدقة ليراها فيها

فَلَمَّا بَدَا حَوْرَانُ وَالآلُ دُونَهُ(١) نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنِكَ مَنْظَرَا

فيجوز ان يكون نظرت فلم تر بعينك منظراً إلى الآل(٢) وقد جوز ان يعنى بالنظر الرؤية على الاتساع لأن تقليب البصر نحو المبصر تتبعه الرؤية وقد يجري على الشيء لفظ ما يتبعه ويقترن به كقولهم للمزادة راوية وللفناء عذرة(٤) وقد يكون نظرت فلم تنظر مثل تكلمت ولم تتكلم اي لم تأت بكلام على حسب ما يراد فكذلك نظرت فلم تنظر بعينك منظرا كما تريد او لم تر منظراً يروق وضرب آخر من نظرت هو ان تريد به انتظرته من ذلك قوله غير ناظرين إناه ومثله قول الفرزدق:

نَظَرْتُ كَمَا انْتَظَرْتُ اللهَ حَتَّى كَفَاكَ المُحِلِّينَ لَكَ المُحَالَا(٣)

يريد انتظرت كما انتظرت وقد يكون انظرت في معنى انتظرت تطلب بقولك انظرني التنفيس الذي يطلب بالانتظار فمن ذلك قوله:

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَانْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا

ومن ذلك قوله فأنظرني إلى يوم يبعثون إنما هو طلب الامهال والتسويف فالمطلوب بقوله وانظرنا نخبرك اليقينا تنفيس وفي قوله فانظرني إلى يوم يبعثون تسويف وتأخير وكذلك ما جاء في الحديث من انظار المعسر وكذلك قوله انظرونا نقتبس من نوركم اي نقسونا نقتبس وانتظروا علينا وليس تسرع من تسرع الى تخطئة من قال انظرونا بشيء ولا ينبغي ان يقال فيالطف انه خطأ وقوله فاليوم لا تؤخذ منكم فدية حسن التاء لتأنيث الفاعل ويحسن الياء للفصل الواقع بين الفعل والفاعل ولأن التأنيث غير حقيقي واما قوله بأيمانهم فقد قال ابن جني هو معطوف على قوله بين ايديهم ويكون الظرف الذي هو بين ايديهم معناه الحال فيتعلق بمحذوف اي يسعى كائناً بين ايديهم وإذا كان كذلك جاز ان يعطف عليه الباء وما جرته اي كائنا بإيمانهم كقوله ذلك بما قدمت يداك وقوله الغرور معناه الاغترار وهو مقدر على حذف المضاف اي وغركم بالله سلامة الاغترار اي سلامتكم مع اغترار كم وقال الزجاج الغرور كل ما غر من متاع الدنيا.

﴿ اللغة ﴾

القرض ما تعطيه غيرك ليقضيكه واصله القطع ثم قيل لكل من قطع شيئا من ماله وأعطاه على ضمان رد مثله والعرب تقول لي عندك قرض صدق وقرض سوء إذا فعل به خيرا أو شرا قال الشاعر:

وَيَقْضِي(٥) سَلَامَانُ بْنُ مَفْرَجَ قَرْضَهَا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمُ وَأَزَلَّتِ

والمضاعفة الزيادة على المقدار مثله أو امثاله والاقتباس اخذ النار ويقال قبسته ناراً واقتبسته علما والتربص الترقب والانتظار.

﴿ الاعراب ﴾

من ذا قال الفراء ذا صلة لمن قال ورأيتها في مصحف عبد الله منذ الذي والنون موصولة بالذال والذي(٦) قيل إن المعنى من هذا الذي ومن في موضع رفع بالابتداء والذي خبره على القول الأول وعلى القول الثاني يكون ذا مبتدأ والذي خبره والجملة خبر من كذا ذكره ابن فضال وأقول إن الصحيح ان يكون ذا مبتدأ والذي بقرض الله صفته ومن خبر المبتدأ قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام. يوم ترى المؤمنين يتعلق بقوله ولهم اجر كريم ويوم يقول المنافقون يتعلق بقوله ذلك هو الفوز العظيم ويجوز

(١) حوران ، موضع بالشام والآل : هو الذي تراه في اول النهار وآخره كانه يرفع الشخوص وقيل هو السراب واحد . (٢) في نسخة : بمعنى نظرت (٣) في نسخة منظراً تعرف به الآل وفي اخرى تعرفه في الآل (٤) العذرة فناء الدار سميت بذلك لان العذرة كانت تلقى في الافنية وفي اصل النسخة ؛ (ط صيدا) للقناء غدرة والقناء : الجانب يفيء عليه الفيء والغدرة : الليلة المظلمة ولا يبعد صحته ايضاً .

أن يكون التقدير واذكر يوم يقول ويجوز أن يكون بدلا من يوم ترى له باب في موضع جر صفة لسور باطنه فيه الرحمة صفة لباب

المعنى

ثم حث سبحانه على الانفاق فقال (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا) اي طيبة به نفسه عن مقاتل وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة (فيضاعفه له) أي يضاعف له الجزاء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة وقال اهل التحقيق القرض الحسن أن يجمع عشرة أوصاف أن يكون من الحلال لأن النبي ﷺ قال إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب وان يكون من اكرم ما يملكه دون أن يقصد الرديء بالانفاق لقوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وان يتصدق وهو يحب المال ويرجو الحياة لقوله ﷺ لما سئل عن (١) الصدقة افضل الصدقة ان تعطيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت النفس التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وان يضعه في الاخذ الأحوج الاولى بأخذه ولذلك خص الله اقواما بأخذ الصدقات وهم اهل السهمان وان يكتمه ما امكن لقوله وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وان لا يتبعه المن والأذى لقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وأن يقصد به وجه الله ولا يرائي بذلك لأن الرياء مذموم وأن يستحقر ما يعطي وان كثر لأن متاع الدنيا قليل وأن يكون من احب ماله اليه لقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فهذه الأوصاف العشرة إذا استكملها الصدقة كان ذلك قرضا حسنا (وله اجر كريم) أي جزاء خالص لا يشوبه صفة نقص فالكريم الذي من شأنه ان يعطي الخير الكثير فلما كان ذلك الاجر يعطي النفع العظيم وصف بالكريم والأجر الكريم هو الجنة (يوم ترى) يا محمد (المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم) على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم إلى الجنة ويريد بالنور الضياء الذي يرونه ويمرون فيه عن قتادة وقيل نورهم هديهم عن الضحاك وقال قتادة ان المؤمن يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود ويؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل وادناهم نوراً نوره على ابهامه يطفأ مرة ويقد اخرى وقال الضحاك وبأيمانهم يعني كتبهم التي اعطوها ونورهم بين ايديهم وتقول لهم الملائكة (بشريكم اليوم جنات) اي الذي تبشرون به اليوم جنات (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي مؤبدين دائمين لا تفنون (ذلك هو الفوز العظيم) اي الظفر بالمطلوب ثم ذكر حال المنافقين في ذلك اليوم فقال (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) ظاهرا وباطنا (انظرونا نقتبس من نوركم) قال الكلبي يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون قالوا انظرونا نقتبس من نوركم اي نستضيء بنوركم ونبصر الطريق فنتخلص من هذه الظلمات وقيل إنهم إذا خرجوا من قبورهم اختلطوا فيسعى المنافقون في نور المؤمنين فإذا ميزوا (٢) بقوا في الظلمة فيستغيثون ويقولون هذا القول (قيل) أي فيقال للمنافقين (ارجعوا وراءكم) أي ارجعوا إلى المحشر حيث اعطينا النور (فالتمسوا نورا) فيرجعون فلا يجدون نورا عن ابن عباس وذلك انه قال تغشى الجميع ظلمة شديدة ثم يقسم النور ويعطى المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق وقيل معنى قوله ارجعوا وراءكم ارجعوا إلى الدنيا إن امكنكم فاطلبوا النور منها فإنا حملنا النور منها بالإيمان والطاعات وعند ذلك يقول المؤمنون ربنا اتمم لنا نورنا (فضرب

(٥) محل به الى السلطان : كاده بسعاية اليه . (٦) وفى ثلث نسخ : و يجزى (٧) ليس فى نسختين لفظة : الذى .
(١) فى نسختين : عن افضل . . (٢) فى نسخة : تميزوا .

بينهم بسور) أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين سور والباء مزيدة لأن المعنى حيل بينهم وبينهم بسور وهو حائط بين الجنه والنار عن قتادة وقيل هو سور على الحقيقة (له باب) أي لذلك السور باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله) أي من قبل ذلك الظاهر (العذاب) وهو النار وقبل باطنه أي باطن ذلك السور فيه الرحمة اي الجنة التي فيها المؤمنون وظاهره أي وخارج السور من قبله يأتيهم العذاب يعني أن المؤمنين يسبقونهم ويدخلون الجنة والمنافقون يبقون في النار والعذاب وبينهم السور الذي ذكره الله (ينادونهم) اي ينادي المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) في الدنيا نصوم ونصلي كما تصومون وتصلون ونعمل كما تعملون (قالوا بلى) اي يقول المؤمنون لهم بلى كنتم معنا (ولكنكم فتنتم انفسكم) أي استعملتموها في الكفر والنفاق وكلها فتنة وقيل معناه تعرضتم للفتنة بالكفر والرجوع عن الإسلام وقيل معناه اهلكتم انفسكم بالنفاق (وتربصتم) بمحمد ﷺ الموت وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه عن مقاتل وقيل تربصتم بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) أي شككتم في الدين (وغرتكم الأماني) التي تمنيتموها بأن تعود الدائرة على المؤمنين (حتى جاء امر الله) اي الموت وقيل القاؤهم في النار عن قتادة وقيل جاء امر الله في نصرة دينه ونبيه وغلبته اياكم (وغركم بالله الغرور) يعني الشيطان غركم بحلم الله وإمهاله وقيل الغرور الدنيا (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) ايها المنافقون اي بدل بأن تفدوا انفسكم من العذاب (ولا من الذي كفروا) اي ولا من سائر الكفار الذين اظهروا الكفر (مأويكم النار) اي مقركم وموضعكم الذي تأوون اليه النار (هي موليكم) اي هي أولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى انها هي التي تلي عليكم لأنها قد ملكت امركم فهي اولى بكم من كل شيء (وبئس المصير) اي بئس المأوى والمرجع الذي تصيرون اليه.

قوله تعالى (١٦) أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٧) إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٨) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٩) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٢٠) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحفص وما نزل من الحق خفيفة الزاي والباقون نزل بالتشديد وقرأ رويس ولا تكونوا بالتاء

والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابو بكر إن المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد

الحجة

قال ابو علي من خفف ما نزل ففي نزل ذكر مرفوع بأنه الفاعل يعود إلى الموصول ويقوي التخفيف قوله وبالحق انزلناه وبالحق نزل ومن شدد ففاعل الفعل الضمير العائد إلى اسم الله تعالى والعائد إلى الموصول الضمير المحذوف من الصلة ومن قرأ ولا تكونوا فإنه على الخطاب والنهي ومن قرأ ولا يكونوا بالياء فإنه عطف على تخشع وهو منصوب ويجوز أن يكون مجزوما على النهي للغائب ومن خفف المصدقين والمصدقات فإن معناه ان المؤمنين والمؤمنات وأما قوله وأقرضوا الله قرضا حسنا فهو في المعنى كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأن اقراض الله من الأعمال الصالحة وحجة من خفف انه اعم من المصدقين ألا ترى أن المصدقين مقصور على الصدقة والمصدقين يعم التصديق والصدقة فهو اذهب في باب المدح ومن حجة من ثقل انهم زعموا أن في قراءة ابيّ ان المتصدقين والمتصدقات ومن حجتهم ان قوله واقرضوا الله قرضا حسنا اعتراض بين الخبر والمخبر عنه والاعتراض بمنزلة الصفة فهو للصدقة اشد ملائمة منه للتصديق وليس التخفيف كذلك ومن حجة من خفف أن يقول لا نحمل قوله واقرضوا الله على الاعتراض ولكنا نعطفه على المعنى ألا ترى ان قوله إن المصدقين والمصدقات معناه إن الذين صدقوا فكأنه في المعنى ان المصدقين وأقرضوا فحمل واقرضوا الله على المعنى لما كان من معنى المصدقين الذين صدقوا فكأنه قال إن الذين صدقوا واقرضوا

اللغة

يقال انى يأني انىً إذا حان والخشوع لين القلب للحق والانقياد له ومثله الخضوع والحق ما دعا اليه العقل وهو الذي من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك والحق مطلوب كل عاقل في نظره وان اخطأ طريقه والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق والامد الوقت الممتد وهو والمدة واحد والهيج جفاف النبت

النزول

قيل إن قوله ألم يأن للذين آمنوا الآية نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عما في التوراة فإن فيها العجائب فنزلت الر تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله لمن الغافلين فخبرهم أن هذا القرآن احسن القصص وانفع لهم من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزلت آية الله نزل احسن الحديث كتابا فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان فنزلت هذه الآية عن الكلبي ومقاتل وقيل نزلت في المؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا اربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا وقيل إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن بهذه الآية عن ابن عباس وقيل كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا اصابوا الريف والنعمة فتغيروا عما كانوا عليه فقست قلوبهم والواجب أن يزدادوا الإيمان واليقين والإخلاص في طول صحبة الكتاب عن محمد بن كعب.

المعنى

ثم دعاهم سبحانه إلى الطاعة بقوله (ألم يأن للذين آمنوا) اي أما حان للمؤمنين (أن تخشع قلوبهم)

اي ترق وتلين قلوبهم (لذكر الله) اي لما يذكرهم الله به من مواعظه (وما نزل من الحق) يعني القرآن ومن شده فالمراد وما نزله الله من الحق (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (من قبل فطال عليهم الامد) اي طال الزمان بينهم وبين انبيائهم وقيل طال عليهم الامد للجزاء اي لم يعاجلوا بالجزاء فاغتروا بذلك (فقست قلوبهم) اي فغلظت قلوبهم وزال خشوعها ومرنوا على المعاصي واعتادوها وقيل طالت اعمارهم وساءت اعمالهم فقست قلوبهم وينبغي ان يكون هذا متوجها إلى جماعة مخصوصة لم يوجد منهم الخشوع التام فحثوا على الرقة والخشوع فأما من وصفهم الله تعالى بالخشوع والرقة والرحمة فطبقة من المؤمنين فوق هؤلاء عن الزجاج ومن كلام عيسى (ع) لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم ارباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد والناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية (وكثير منهم فاسقون) اي خارجون عن طاعة الله تعالى إلى معصيته اي فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ثم قال (اعلموا ان الله يحيي الأرض بعد موتها) اي يحييها بالنبات بعد اليبس والجدوبة اي فكذلك يحيي الكافر بالهدى إلى الايمان بعد موته بالضلال والكفر بأن يلطف له ما يؤمن عنده وقيل معناه[1] أن الله يلين القلوب بعد قسوتها بالالطاف والتوفيقات (قد بينا لكم الآيات) اي الحجج الواضحات والدلائل الباهرات (لعلكم تعقلون) فترجعون الى طاعتنا وتعملون بما امرناكم به (ان المصدقين والمصدقات) قد مضى الوجه في اختلاف القراءتين ومعناها (واقرضوا الله قرضا حسنا) اي وانفقوا في وجوه الخير (يضاعف لهم) ذلك القرض الحسن اي يجازون امثال ذلك (ولهم اجر كريم) مر معناه (والذين آمنوا بالله ورسله) اي صدقوا بتوحيد الله وأقروا بنبوة رسله (اولئك هم الصديقون) قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وشهيد وقرأ هذه الآية والصديق الكثير الصدق المبالغ فيه وهو اسم مدح وتعظيم (والشهداء عند ربهم) اي واولئك الشهداء عند ربهم والتقدير أولئك الصديقون عند ربهم والشهداء عند ربهم ثم قال (لهم اجرهم ونورهم) اي لهم ثواب طاعاتهم ونور ايمانهم الذي يهتدون به إلى طريق الجنة وهذا قول عبد الله بن مسعود ورواه البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى العياشي بالاسناد عن صهال القصاب قال قلت لأبي عبد الله (ع) ادع الله أن يرزقني الشهادة فقال إن المؤمن شهيد وقرأ هذه الآية وعن الحرث بن المغيرة قال كنا عند ابي جعفر (ع) فقال العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد[2] والله مع قائم آل محمد (ع) بسيفه ثم قال بل والله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيفه ثم قال الثالثة بل والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فسطاطه وفيكم آية من كتاب الله قلت وأي آية جعلت فداك قال قول الله (عزوجل) والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ثم قال صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم وقيل إن الشهداء منفصل مما قبله مستأنف والمراد بالشهداء الانبياء (ع) الذين يشهدون للامم وعليهم وهو قول ابن عباس ومسروق ومقاتل بن حيان واختاره الفراء والزجاج وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل بن سليمان وابن جرير (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم) يبقون فيها دائمين ثم زهد سبحانه المؤمنين في الدنيا والركون إلى لذاتها فقال (إعلموا أنما الحيوة الدنيا) يعني أن الحياة في هذه الدار الدنيا (لعب ولهو) أي بمنزلة اللهو واللعب اذ لا بقاء لذلك ولا دوام ويزول عن وشيك كما يزول اللهو واللعب قال مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما ألهى عن الآخرة (وزينة) تتزينون بها في الدنيا وقيل أراد بذلك انها تتحلى في اعين اهلها ثم تتلاشى

(١) في نسختين : اعلموا ان . (٢) في المخطوطة : كمن جالد .

(وتفاخر بينكم) أي يفاخر الرجل بها قرينه وجاره عن ابن عباس (وتكاثر في الاموال والأولاد) قال يجمع ما لا يحل له تكاثرا به ويتطاول على أولياء الله بماله وولده وخدمه والمعنى انه يفني عمره في هذه الاشياء ثم بيّن سبحانه لهذه الحياة شبها فقال (كمثل غيث) أي مطر (أعجب الكفار نباته) أي أعجب الزُرّاع ما ينبت من ذلك الغيث قال الزجاج ويجوز أن يكون المراد الكفار بالله لأن الكافر اشد اعجابا بالدنيا من غيره (ثم يهيج) اي ييبس (فتريه مصفرّاً) وهو إذا قارب اليبس (ثم يكون حطاما) يتحطم ويتكسر بعد يبسه وشرح هذا المثل قد تقدم في سورة يونس (وفي الآخرة عذاب شديد) لاعداء الله عن مقاتل (ومغفرة من الله ورضوان) لاوليائه واهل طاعته (وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور) لمن اغتر بها ولم يعمل لآخرته قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منه وقيل معناه والعمل للحياة الدنيا متاع الغرور وانه كهذه الاشياء التي مثل بها في الزوال والفناء

قوله تعالى (٢١) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٢) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٣) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٤) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٥) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو بما آتيكم مقصورا والباقون بالمد وقرأ أهل المدينة والشام فإن الله الغني الحميد لانهم وجدوا في مصاحفهم كذلك والباقون فإن الله هو الغني بإثبات هو وكذلك هو في مصاحفهم

الحجة

قال ابو علي حجة من قصر اتيكم انه معادل به فاتكم فكما أن الفعل للفائت في قوله فاتكم فكذلك[1] للآتي في قوله بما آتيكم قال الشاعر:

وَلَا فَرِحٌ بِخَيْرٍ إِنْ أَتَاهُ ... وَلَا جَزِعٌ مِنَ الْحَدَثَانِ لَاعِ (٢)

وحجة من مدّ أن الخير الذي يأتيهم هو من عند الله وهو المعطي لذلك وفاعل آتاكم هو الضمير العائد إلى اسم الله والهاء محذوفة من الصلة تقديره بما آتاكموه وقوله ان الله هو الغني الحميد ينبغي أن يكون هو فصلا ولا يكون مبتدأ لأن الفصل حذفه اسهل ألا ترى انه لا موضع للفصل من الاعراب وقد يحذف فلا يخلّ بالمعنى

اللغة

اعدت مشتقة من العدد والاعداد وضع الشيء لما يكون في المستقبل على ما يقتضيه من عدد الامر الذي له. الفضل والأفضال والتفضل واحد وهو النفع الذي كان للقادر ان يفعله بغيره وله ان لا يفعله والاسي الحزن والتآسي تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله

(١) في نسخة: فكذلك يكون الفعل (٢) اللاعي: من يفزع من ادنى شيء.

الاعراب

في كتاب يتعلق بمحذوف تقديره الا هي كائنة في كتاب فهو في محل الرفع بانه خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يتعلق بفعل محذوف تقديره الا قد كتبت في كتاب فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال اي الا مكتوبة . لكيلا تأسوا تأسوا منصوب بنفس كي واللام هي اللام الجارة . الذين يبخلون في موضع جر على البدل من مختال فخور فعلى هذا لايجوز الوقف على فخور ويجوز أن يكون محله رفعا على الابتداء ويكون خبره محذوفا كما حذف جواب لو من قوله ولو انّ قرآنا سيّرت به الجبال ويكون التقدير الذين يبخلون فإنهم يستحقون العذاب ويجوز ان يكون محله رفعا اونصباً على الذم

المعنى

ثم رغب سبحانه في المسابقة لطلب الجنة فقال (سابقوا) اي بادروا العوارض القاطعة عن الاعمال الصالحة وسارعوا الى مايوجب الفوز في الآخرة (الى مغفرة من ربكم) قال الكلبي الى التوبة وقيل الى الصف الاول وقيل الى النبي ﷺ (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أي وسابقوا الى استحقاق ثواب جنة هذه صفتها وذكر في ذكر العرض دون الطول وجوه ﴿ احدها ﴾ أن عظم العرض يدل على عظم الطول ﴿ والآخر ﴾ أن الطول قد يكون بلا عرض ولا يكون عرض بلا طول ﴿ وثالثها ﴾ أن المراد به أن العرض مثل السموات والأرض وطولها لا يعلمه الا الله تعالى قال الحسن ان الله يفني الجنة ثم يعيدها على ما وصفه فلذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والأرض وقال غيره ان الله قال عرضها كعرض السماء والأرض والجنة المخلوقة في السماء السابعة فلا تنافي (اعدت للذين آمنوا) اي ادّخرت وهيئت للمؤمنين (بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) معناه انه يجزي الدائم الباقي على القليل الفاني ولو اقتصر في الجزاء على قدر ما يستحق بالأعمال كان عدلا منه لكنه تفضل بالزيادة وقيل معناه ان احداً لاينال خيراً في الدنيا والآخرة الا بفضل الله فانه سبحانه لولم يدعنا الى الطاعة ولم يبين لنا الطريق ولم يوفقنا للعمل الصالح لما اهتدينا اليه وذلك كله من فضل الله وايضا فإنه سبحانه تفضل بالأسباب التي يفعل بها الطاعة من التمكين والالطاف وكمال العقل وعرض المكلف للثواب فالتكليف ايضا تفضل وهو السبب الموصل الى الثواب وقال ابو القاسم البلخي والبغداديون من اهل العدل ان الله سبحانه وتعالى لو اقتصر لعباده في طاعاتهم على مجرد احساناته السالفة اليهم لكان عدلا فلهذا جعل سبحانه الثواب والجنة فضلا وفي هذه الآية اعظم رجاء لأهل الايمان لأنه ذكر ان الجنة معدّة للمؤمنين ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر (والله ذو الفضل العظيم) أي ذو الافضال العميم والاحسان الجسيم إلى عباده ثم قال (ما اصاب من مصيبة في الارض) مثل قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمرات (ولا في انفسكم) من الامراض والشكل بالاولاد (إلا في كتاب) يعني الا وهو مثبت مذكور في اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أي من قبل أن نخلق الانفس . المعنى انه تعالى اثبتها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الانفس ليستدل ملائكته به على انه عالم لذاته يعلم الاشياء بحقائقها (إن ذلك على الله يسير) اي اثبات ذلك على كثرته هيّن على الله يسير سهل غير عسير ثم بين سبحانه لم فعل لذلك فقال (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) أي فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتيكم) أي بما اعطاكم الله منها والذي يوجب نفي الأسى والفرح من هذا أن الإنسان إذا علم أن ما فات منها ضمن الله تعالى عليه العوض[1] في الآخرة فلا ينبغي أن يحزن لذلك وإذا علم أن ما ناله منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فيه فلا ينبغي أن يفرح به وايضا فإذا علم أن شيئا منها لايبقى فلا ينبغي أن يهتم له بل يجب أن يهتم لأمر الآخرة التي تدوم ولا تبيد وفي هذه الآية اشارة إلى اربعة اشياء ﴿ الأول ﴾ حسن الخلق لأن من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يحسد ولا يعادي ولا يشاح فإن هذه

(١) في المخطوطة بدل عليه العوض في الاخرة : العوض في غيره .

من اسباب سوء الخلق وهي من نتائج حب الدنيا ﴿ وثانيها ﴾ استحقار الدنيا واهلها اذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن لعدمها ﴿ وثالثها ﴾ تعظيم الآخرة لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب ﴿ ورابعها ﴾ الافتخار بالله دون اسباب الدنيا ويروى أن علي بن الحسين (ع) جاءه رجل فقال له ما الزهد فقال الزهد عشرة اجزاء فأعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع واعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين واعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضا وان الزهد كله في آية من كتاب الله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم وقيل لبزرجمهر مالك ايها الحكيم لا تأسف على مافات ولا تفرح بما هو آت فقال ان الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتي لايستدام بالحيرة وعن عبدالله بن مسعود قال لئن[1] جمرة الحسرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان (والله لا يحب كل مختال فخور) أي متكبر بما اوتي فخور على الناس بالدنيا (الذين يبخلون) بمنع الواجبات (ويأمرون الناس بالبخل) وفي الحديث ان النبي ﷺ سأل عن سيد بني عوف فقالوا جد بن قيس على انه يُزن[2] بالبخل فقال ﷺ واي داء أدوى من البخل سيدكم البراء بن معرور ومعنى يزن يتهم ويقرف (ومن يتول) أي يعرض عما دعاه الله اليه (فإن الله هو الغني) عنه وعن طاعته وصدقته (الحميد) في جميع افعاله ثم اقسم سبحانه فقال (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) اي بالدلائل والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) المكتوب الذي يتضمن الأحكام وما يحتاج اليه الخلق من الحلال والحرام كالتوراة والانجيل والقرآن (والميزان) أي وأنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذي يوزن به عن ابن زيد والجبائي ومقاتل بن سليمان وقيل معناه أنزلنا صفة الميزان (ليقوم الناس) في معاملاتهم (بالقسط) أي بالعدل والمراد وأمرنا بالعدل كقوله الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان عن قتادة ومقاتل ابن حيان (وأنزلنا الحديد) روي عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال ان الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح وقال أهل المعاني معنى أنزلنا الحديد أنشأناه وأحدثناه كقوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وإلى هذا ذهب مقاتل فقال معناه بأمرنا كان الحديد وقال قطرب معنى أنزلنا هنا هيأنا وخلقنا من النُزُل وهو ما يهيأ للضيف أي انعمنا بالحديد وهيأناه لكم وقيل انزل مع آدم من الحديد العلاة وهي السندان والكلبتان والمطرقة عن ابن عباس (فيه بأس شديد) أي يمتنع به ويحارب به عن الزجاج والمعنى انه يتخذ منه آلتان آلة للدفع وآلة للضرب كما قال مجاهد فيه جنة وسلاح (ومنافع للناس) يعني ما ينتفعون به في معاشهم مثل السكين والفأس والابرة وغيرها مما يتخذ من الحديد من الآلات وقوله (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) معطوف على قوله ليقوم الناس بالقسط أي ليعاملوا بالعدل وليعلم الله نصرة من ينصره موجودة وجهاد من جاهد مع رسوله موجودا وقوله بالغيب أي بالعلم الواقع بالاستدلال والنظر من غير مشاهدة بالبصر (ان الله قوي) على الانتقام من أعدائه (عزيز) أي منيع من أن يعترض عليه في أرضه وسمائه.

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ما أصاب من مصيبة الآية بما قبلها انه سبحانه لما بيّن الثواب على الطاعات عقبه ببيان الاعواض على مقاساة المصائب والملمات فقال لا يذهب علينا عوض من اصابته مصيبة مّا فإن كانت من فعلنا نعوضه بالأضعاف من جزائنا وان كان من فعل عبادنا فباستيفائنا ذلك منهم ثم أكد ذلك بقوله لكيلا تأسوا الآية لأن المصيبة لو كانت بغير عوض في العاقبة لازداد الأسى والحزن فإن الحزن كل الحزن في

(١) في نسخة لان الحسن جمرة .. و في اخرى : لان الحسن جمرات حرقت وفي اخرى ايضا لان الحسن جمرة احر فلانا بخير اوشرا ى ظنه به .

الخسران الذي ليس له جبران ثم عقب ذلك بقوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات الآية فبين انه سبحانه لطف لعباده بما يدعو إلى الخشوع والخضوع وترك الخيلاء.

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٩) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ اربع آيات

اللغة

التقفية جعل الشيء في اثر شيء على الاستمرار فيه ولهذا قيل لقاطع الشعر قوافٍ إذ كانت تتبع البيت على اثره مستمرة في غيره على منهاجه والرهبانية أصلها من الرهبة وهي الخوف إلا أنها عبادة مختصة بالنصارى لقول النبي ﷺ لا رهبانية في الإسلام والابتداع ابتداء أمر لم يحتذ فيه على مثال ومنه البدعة إذ هي إحداث أمر على خلاف السنة والكفل الحظ ومنه الكفل الذي يتكفل به الراكب وهو كساء او نحوه يحويها على الابل إذا أراد أن يرقد فيه فيحفظه من السقوط ففيه حظ من التحرز من الوقوع.

الاعراب

ورهبانية منصوب بفعل مضمر يفسره قوله ابتدعوها التقدير وابتدعوا رهبانية ابتدعوها وقوله ما كتبناها عليهم في محل النصب لأنه صفة لرهبانية. ابتغاء رضوان الله نصب لأنه بدل من هافي كتبناها والتقدير كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله أي اتباع أوامره ولم نكتب عليهم الرهبانية ولا في لئلا يعلم زائدة وأن في ان لا يقدرون مخففة من الثقيلة واسمه محذوف وتقديره انهم لا يقدرون ولا هنا يدل على الاضمار في ان مع تخفيف ان.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ماتقدم من ذكر الأنبياء بقصة ابراهيم (ع) ونوح (ع) فقال سبحانه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) وإنما خصهما بالذكر لفضلهما ولأنهما أبوا الأنبياء (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) يعني ان الأنبياء كلهم من نسلهما وذريتهما وعليهم انزل الكتاب ثم اخبر عن حال ذريتهما فقال (فمنهم مهتد) إلى طريق الحق (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله إلى معصيته (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أي ثم اتبعنا بالإرسال على آثار من ذكرناهم من الأنبياء برسل آخرين إلى قوم آخرين وأنفذناهم رسولا بعد رسول (وقفينا بعيسى بن مريم) بعدهم فأرسلناه رسولا (وآتيناه الانجيل) أي واعطينا عيسى بن مريم

الانجيل (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) في دينه يعني الحواريين وأتباعهم اتبعوا عيسى (رأفة) وهي أشد الرقة[1] (ورحمة) وإنما أضاف الرأفة والرحمة إلى نفسه لأنه سبحانه جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة بالأمر به والترغيب فيه ووعد الثواب عليه وقيل لأنه خلق في قلوبهم الرأفة والرحمة وإنما مدحهم على ذلك وان كان من فعله لأنهم تعرضوا لها (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) وهي الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة اما في كنيسة أو انفراد عن الجماعة أو غير ذلك من الأمور التي يظهر فيها نسك صاحبه والمعنى ابتدعوا[2] رهبانية لم نكتبها عليهم وقيل ان الرهبانية التي ابتدعوها هي رفض النساء واتخاذ الصوامع عن قتادة قال وتقديره ورهبانية ما كتبناها عليهم (إلا) انهم اتبعوها (ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) وقيل ان الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال في خبر مرفوع عن النبي ﷺ فمارعاها الذين بعدهم حق رعايتها وذلك لتكذيبهم بمحمد ﷺ عن ابن عباس وقيل ان الرهبانية هي الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة ما كتبناها أي ما فرضناها عليهم وقال الزجاج إن تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به فهذا وجه قال وفيها وجه آخر جاء في التفسير انهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا اسرابا وصوامع وابتدعوا ذلك فلما الزموا انفسهم ذلك التطوع ودخلوا عليه لزمهم تمامه كما ان الانسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفرض عليه لزمه أن يتمه قال وقوله فما رعوها حق رعايتها على ضربين ﴿احدهما﴾ أن يكونوا قصروا فيما الزموه انفسهم ﴿والآخر﴾ وهو الاجود أن يكونوا حين بعث النبي ﷺ فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها ودليل ذلك قوله (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) يعني الذين آمنوا بالنبي ﷺ (وكثير منهم فاسقون) أي كافرون انتهى كلام الزجاج وبعضد هذا ماجاءت به الرواية عن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال يا ابن ام عبد هل تدري من اين احدثت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم فقال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله فغضب اهل الإيمان فقاتلوهم فهزم اهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افتونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى (ع) يعنون محمداً ﷺ فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلى آخرها ثم قال يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن ابن مسعود قال دخلت على النبي ﷺ فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها اثنتان وهلك سائرهن فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى (ع) فقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله تعالى ودين عيسى (ع) فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله لهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبي ﷺ من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون ثم قال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا) اي اعترفوا بتوحيد الله وصدقوا بموسى وعيسى «ع» (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد ﷺ عن ابن عباس وقيل معناه يا أيها الذين آمنوا ظاهراً آمنوا باطنا (يؤتكم كفلين) اي يؤتكم نصيبين (من رحمته) نصيباً لإيمانكم بمن تقدم من الانبياء

(١) في نسخة : اشد الرقة والرحمة (٢) ليس في اكثر النسخ : لفظة قال

ونصيبا لإيمانكم بمحمد ﷺ عن ابن عباس (ويجعل لكم نورا تمشون به) اي هدى تهتدون به عن مجاهد وقيل النور القرآن وفيه الأدلة على كل حق والبيان لكل خير وبه يستحق الضياء الذي يمشي بـه يوم القيامة عن ابن عباس (ويغفر لكم) أي ويستر عليكم ذنوبكم (والله غفور رحيم) قال سعيد بن جبير بعث رسول الله ﷺ جعفرا في سبعين راكبا إلى النجاشي يدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن آمن بـه من اهل مملكته وهم اربعون رجلا إئذن لنا فنأتي هذا النبي فنسلم[1] به فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله ﷺ وقالوا يانبي الله إن لنا اموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن اذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله فيهم الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون إلى قوله وما رزقناهم ينفقون فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين فلما سمع اهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله أولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله اجران ومن آمن منا بكتابنا فله اجر كأجوركم فما فضلكم علينا فنزل قوله ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله الآية فجعل لهم اجرين وزادهم النور والمغفرة ثم قال لئلا يعلم أهل الكتاب وقال الكلبي كان هؤلاء اربعة وعشرين رجلا قدموا من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكة لم يكونوا يهودا ولا نصارى وكانوا على دين الانبياء فأسلموا فقال لهم ابو جهل بئس القوم انتم والوفد لقومكم فردوا عليه وما لنا لا نؤمن بالله الآية فجعل الله لهم ولمؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه اجرين اثنين فجعلوا يفخرون على اصحاب رسول الله ﷺ ويقولون نحن افضل منكم لنا اجران ولكم اجر واحد فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب إلى آخر السورة وروي عن رسول الله ﷺ انه قال من كانت له امة فعلّمها[2] فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها واعتقها وتزوجها فله اجران وايما رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه (ع) وآمن بمحمد ﷺ فله اجران وايما مملوك ادى حق الله وحق مواليه فله اجران أورده البخاري ومسلم في الصحيح (لئلا يعلم) أي لأن يعلم ولا مزيدة (اهل الكتاب) يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وحسدوا المؤمنين منهم (ألا يقدرون على شيء من فضل الله) وان هذه هي المخففة من الثقيلة والتقدير انهم لا يقدرون ومعناه جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا اجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) فآتى المؤمنين منهم اجرين (والله ذو الفضل العظيم) يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين وقيل إن المراد بفضل الله هنا النبوة أي لا يقدرون على نبوة الأنبياء ولا على صرفها عمن شاء الله ان يخصه بها فيصرفونها عن محمد ﷺ إلى من يحبونه بل هي بيد الله يعطيها من يشاء ممن هو اهلها ويعلم انه يصلح لها وقيل إنما تدخل لا صلة في كل كلام دخل في أواخره أو اوائله جحد وان لم يكن مصرحا بـه نحو قوله ما منعك أن لا تسجد إذ امرتك وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون عن الفراء وقيل ان لا هنا في حكم الثبات والمعنى لأن لا يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون أن يؤمنوا لأن من لا يعلم انه لا يقدر يعلم انه يقدر فعلى هذا يكون المراد لكي يعلموا انهم يقدرون على أن يؤمنوا فيحوزوا الفضل والثواب وقيل إن معناه لئلا يعلم اليهود والنصارى ان النبي ﷺ والمؤمنين لا يقدرون على ذلك فقد علموا أنهم

(١) وفي نسخة : فنلمّ به بدل فنسلم به (٢) في نسختين : يعلّمها بدل فعلّمها .

لا[1] يقدرون عليه اي إن آمنتم كما امركم الله آتاكم الله من فضله فعلم اهل الكتاب[2] خلافه وعلى هذا فالضمير في يقدرون ليس لأهل[3] وقال ابو سعيد السيرا في معناه أن الله يفعل بكم هذه الاشياء لئلا يعلم اي ليتبين جهل اهل الكتاب وانهم لا يعلمون ان ما يؤتيكم الله من فضله لا يقدرون على تغييره وإزالته عنكم ففي هذه الوجوه لا يحتاج إلى زيادة لا.

سورة المجادلة (مدنية)

﴿ عدد آيها ﴾

احدى وعشرون آية مكي والمدني الأخير وآيتان في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية في الأذلين غير المكي والمدني الأخير

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء من عباده افتتح هذه السورة بذكر بيان فضله في إجابة الدعوة كما اجاب دعاء تلك المرأة فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٣) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٤) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ

خمس آيات

---

(١) وفي نسختين : يقدرون (٢) [ذلك ولم يعلموا] (٣) [الكتاب]

القراءة

قرأ عاصم يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وقرأ اهل البصرة وابن كثير يَظَّهَّرون بتشديد الظاء والهاء وفتح الياء وقرأ الباقون يَظَاهَرون بفتح الياء وتشديد الظاء وروي عن بعضهم ماهن امهاتهم برفع التاء

الحجة

قال ابو علي ظاهر من امرأته وظهر مثل ضاعف وضعف وتدخل التاء على كل واحد منهما فيصير تظاهر وتظهر ويدخل حرف المضارعة فيصير يتظاهر ويتظهر ثم تدغم الطاء في الظاء لمقاربتها لها فتصير يظاهر ويظهر بفتح الياء التي هي حرف المضارعة لأنها للمطاوعة كما تفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج ووجه الرفع في قوله ما هن امهاتهم انه لغة بني تميم قال سيبويه وهو اقيس الوجهين وذلك ان النفي كالاستفهام فكما لا يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب ينبغي أن لا يغيره النفي عما كان عليه في الواجب ووجه النصب انه لغة اهل الحجاز والأخذ بلغتهم في القرآن اولى وعليها جاء ما هذا بشراً.

اللغة

الاشتكاء اظهار ما بالإنسان من مكروه والشكاية اظهار ما يصنعه به غيره من المكروه والتحاور التراجع وهي المحاورة يقال حاوره محاورة أي راجعه الكلام وتحاورا قال عنترة:

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي

والمحادّة المخالفة واصله من الحد وهو المنع ومنه الحد الحاجز بين الشيئين قال النابغة:

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْمَلِيكُ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ(١)

الكبت مصدر كبت الله العدو أي أذله وأخزاه.

النزول

نزلت الآيات في امرأة من الانصار ثم من الخزرج واسمها خولة بنت خويلد عن ابن عباس وقيل خولة بنت ثعلبة عن قتادة ومقاتل وزوجها اوس بن الصامت وذلك انها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فلما انصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها وكان امرأ فيه سرعة ولمم فقال لها انت عليّ كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار من طلاق اهل الجاهلية فقال لها ما اظنكِ إلا وقد حرمتِ عليّ فقالت لا تقل ذلك وأت رسول الله ﷺ فاسأله فقال اني اجد أبي استحيي منه ان اسأله عن هذا قالت فدعني اسأله فقال سليه فأتت النبي ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله إن زوجي اوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غانية ذات مال واهل حتى إذا اكل مالي وأفنى شبابي وتفرق اهلي وكبرت سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه فتنعشني به فقال ﷺ ما اراك إلا حرمت عليه فقالت يارسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي وأحب الناس الي فقال ﷺ ما أراك إلا حرمت عليه ولم اؤمر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وقالت اشكو إلى الله فاقتي وحاجتي وشدة حالي اللهم فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار في الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يانبي الله فقالت عائشة: قصر سمعي حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ وكان ﷺ إذا نزل

عليه الوحي اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك فتلا عليه رسول الله ﷺ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها إلى تمام الآيات قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الاصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت اسمع بعض كلامها ويخفى عليّ بعضه إذ انزل الله قد سمع الله فلما تلا عليه هذه الآيات قال له هل تستطيع أن تعتق رقبة قال اذاً يذهب مالي كله والرقبة غالية واني قليل المال فقال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين فقال والله يارسول الله اني اذا لم آكل ثلاث مرات كلّ بصري وخشيت ان تعشى عيني قال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا والله الا ان تعينني على ذلك يا رسول الله فقال اني معينك بخمسة عشر صاعا وانا داع لك بالبركة فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا فدعا له البركة فاجتمع لهما امرهما

المعنى

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) أي تراجعك في أمر زوجها عن ابي العالية (وتشتكي الى الله) اي وتظهر شكواها وما بها من المكروه فتقول اللهم انك تعلم حالي فارحمني فإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم اليّ جاعوا (والله يسمع تحاوركما) اي تخاطبكما ومراجعتكما الكلام (إن الله سميع بصير) اي يسمع المسموعات ويرى المرئيات والسميع البصير من هو على حالة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدتا وذلك يرجع الى كونه حيا لا آفة به ثم قال سبحانه يذم الظهار (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) اي يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا (ما هن امهاتهم) أي ما اللواتي تجعلونهن من الزوجات كالأمهات بامهات اي لسن بامهاتهم (إن امهاتهم الا اللآئي ولدنهم) اي ما امهاتهم الا الوالدات (وانهم) يعني المظاهرين (ليقولون منكراً من القول) لا يعرف في الشرع (وزورا) اي كذبا لأن المظاهر اذا جعل ظهر امرأته كظهر امه وليست كذلك كان كاذبا (وان الله لعفو غفور) عفا عنهم وغفر لهم وامرهم بالكفارة ثم بيّن سبحانه حكم الظهار فقال (والذين يظاهرون من نسائهم) يعني الذين يقولون القول الذي حكيناه (ثم يعودون لما قالوا) اختلف المفسرون والفقهاء في معنى العود هنا فقيل إنه العزم على وطئها عن قتادة وهو مذهب مالك وابي حنيفة وقيل العود هو أن يمسكها بالعقد ولا يتبع الظهار بطلاق وذلك انه اذا ظاهر منها فقد قصد التحريم فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتداه ولا كفارة واذا سكت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلق فيه فذلك الندم منه على ما ابتداه وهو عود الى ما كان عليه فحينئذ تجب الكفارة وهو مذهب الشافعي واستدل على ذلك بما روي عن ابن عباس انه فسر العود في الآية بالندم فقال يندمون ويرجعون الى الالفة وقال الفراء يعودون لما قالوا وإلى ما قالوا فيما قالوا معناه يرجعون عما قالوا يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل ويجوز ان يقال عاد لما فعل يريد فعله مرة اخرى وقيل إن العود هو أن يكرر لفظ الظهار عن ابي العالية وهو مذهب أهل الظاهر واحتجوا بأن ظاهر لفظ العود يدل على تكرير القول قال ابو علي الفارسي ليس في هذا ظاهر كما ادّعوا لأن العود قد يكون الى شيء لم يكن عليه قبل وقد سميت الآخرة معادا ولم يكن فيها احد ثم صار اليها وقال الاخفش تقدير الآية والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون الى نسائهم أي فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من ذكر التحريم. والتقديم والتأخير كثير في التنزيل واما ما ذهب اليه أئمة الهدى من آل محمد ﷺ فهو ان المراد بالعود ارادة

الوطء ونقض القول الذي قاله فإن الوطء لا يجوز له إلا بعد الكفارة ولا يبطل حكم قوله الأول إلا بعد الكفارة (فتحرير رقبة) اي فعليهم تحرير رقبة (من قبل أن يتماسا) اي من قبل أن يجامعها فيتماسا والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بأن يقول المالك لمن يملكه انت حر (ذلكم توعظون به) اي ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به اي ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار قاله الزجاج (والله بما تعملون خبير) اي عليم بأعمالكم فلا تدعوا ما وعظكم به من الكفارة قبل الوطء فيعاقبكم عليه (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) اي فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين قبل الجماع والتتابع عند اكثر الفقهاء أن يوالي بين ايام الشهرين الهلاليين او يصوم ستين يوما وقال اصحابنا انه اذا صام شهرا ومن الثاني شيئا ولو يوما واحدا ثم افطر لغير عذر فقد أخطأ الا انه يبني عليه ولا يلزمه الاستئناف وان افطر قبل ذلك استأنف ومتى بدأ بالصوم وصام بعض ذلك ثم وجد الرقبة لا يلزمه الرجوع اليها وإن رجع كان افضل وقال قوم انه يلزمه الرجوع الى العتق وقوله (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) اي فمن لم يطق الصوم لعلة او كبر فاطعام ستين مسكينا فعليه اطعام ستين فقيراً لكل مسكين نصف صاع عند اصحابنا فإن لم يقدر فمد (ذلك) اي افترض ذلك الذي وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) اي لتصدقوا بما أتى به الرسول وتصدقوا بأن الله أمر به (وتلك حدود الله) يعني ما وصفه من الكفارات في الظهار اي هي شرائع الله واحكامه (وللكافرين عذاب أليم) اي وللجاحدين المتعدين حدود الله عذاب مؤلم في الآخرة (إن الذين يحادون الله ورسوله) اي يخالفون امر الله ويعادون رسوله (كبتوا) اي اذلوا واخزوا (كما كبت الذين من قبلهم) اي كما اخزي الذين من قبلهم من أهل الشرك (وقد انزلنا آيات بينات) اي حججا واضحات من القرآن ومافيه من الأدلة والبيان (وللكافرين) الجاحدين لما انزلناه (عذاب مهين) يهينهم ويخزيهم فأما الكلام في مسائل الظهار وفروعها فموضعه كتب الفقه

قوله تعالى (٦) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (١٠) إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وحده ما تكون بالتاء والباقون بالياء وقرأ يعقوب وسهل ولا اكثر بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة ورويس عن يعقوب ينتجون والباقون يتناجون وقرأ روبس ايضا فلا تنتجوا

الحجة

قال ابن جني التذكير في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة هو الوجه لما هناك من الشياع وعموم الجنسية كقولك ما جاءني من امرأة وما حضرني من جارية وأما تكون بالتاء فلاعتزام لفظ التأنيث حتى كأنه قال ما تكون نجوى ثلاثة وقوله ولا اكثر بالرفع معطوف على محل الكلام قبل دخول من فإن قوله من نجوى في محل رفع بأنه فاعل يكون ومن زائدة والقراءة الظاهرة اكثر بالفتح في موضع الجر وقوله ينتجون يفتعلون من النجوى والنجوى مصدر كالدعوى والعدوى ومثل ذلك في انه على فعلى التقوى إلا أن الواو فيها مبدلة وليست بلام ولما كان مصدرا وقع للجمع على لفظ الواحد في قوله تعالى إذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اي هم ذوو نجوى وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة قال ابو علي ثلاثة يحتمل جره امرين احدهما أن يكون مجرورا بإضافة نجوى اليه كأنه ما يكون من اسرار ثلاثة إلا هو رابعهم أي لا يخفى عليه ذلك كما قال ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجويهم ويجوز أن يكون ثلاثة جرا على الصفة على قياس قوله تعالى وإذ هم نجوى فيكون المعنى ما يكون من متناجين ثلاثة واما النجي فصفة تقع على الكثرة كالصديق والرفيق والحميم ومثله الغري وفي التنزيل خلصوا نجيا وأما قول حمزة ينتجون وقول سائرهم يتناجون فإن يفتعلون ويتفاعلون قد يجريان مجرى واحد ومن ثم قالوا ازدوجوا واعتوروا فصححوا الواو وإن كانت على صورة يجب فيها الاعتلال لما كان بمعنى تعاوروا وتزاوجوا كما صح عور وحول لما كان بمعنى افعال ويشهد لقراءة حمزة قول النبي ﷺ في علي صلوات الرحمن عليه لما قال له بعض اصحابه أتناجيه دوننا قال ما انا انتجيته بل الله انتجاه

اللغة

النجوى هي اسرار ما يرفع كل واحد إلى آخر واصله من النجوة الارتفاع من الأرض والنجاء الارتفاع في السير والنجاة الارتفاع من البلاء

الاعراب

هو رابعهم مبتدأ وخبر في محل جر بأنه صفة ثلاثة وتقول فلان رابع اربعة إذا كان واحد اربعة ورابع ثلاثة إذا جعل ثلاثة اربعة بكونه معهم ويجوز على هذا أن يقال رابع ثلاثة ولا يجوز رابع اربعة لأنه ليس فيه معنى الفعل. حسبهم جهنم مبتدأ وخبر ويصلونها في موضع نصب على الحال.

النزول

قال ابن عباس نزل قوله الم تر إلى الذين نهوا عن النجوى الآية في اليهود والمنافقين انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا وقد بلغهم عن اقربائنا واخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو مصيبة او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا

دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فنزلت الآية

المعنى

ثم بين سبحانه وقت ذلك العذاب فقال (يوم يبعثهم الله جميعا) اي يحشرهم إلى ارض المحشر ويعيدهم احياء (فينبئهم بما عملوا) اي يخبرهم ويعلمهم بما عملوه من المعاصي في دار الدنيا (احصيه الله) عليهم واثبته في كتاب اعمالهم (ونسوه والله على كل شيء شهيد) معناه انه يعلم الاشياء كلها من جميع وجوهها لايخفى عليه شيء منها ومنه قوله شهد الله انه لا إله إلا هو أي علم الله ثم بين سبحانه أنه يعلم ما يكون في العالم فقال (ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) يعني جميع المعلومات والخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين وهو استفهام معناه التقرير أي ألم تعلم وقيل ألم تر إلى الدلالات المرئية من صنعته الدالة على انه عالم بجميع المعلومات (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) بالعلم يعني أن نجواهم معلومة عنده كما تكون معلومة عند الرابع الذي هو معهم وقيل السرار ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين ثلاثة وقال بعضهم النجوى كل حديث كان سرا[1] أو علانية وهو اسم للشيء الذي يتناجى به (ولا خمسة إلا هو سادسهم) اي ولا يتناجى خمسة إلا وهو عالم بسرهم كسادس معهم (ولا ادنى من ذلك ولا اكثر إلا وهو معهم أينما كانوا) المعنى انه عالم بأحوالهم وجميع متصرفاتهم فرادى وعند الاجتماع لا يخفى عليه شيء منها فكأنما هو معهم ومشاهد لهم وعلى هذا يقال إن الله مع الإنسان حيثما كان لأنه إذا كان عالما به لايخفى عليه شيء من امره حسن هذا الاطلاق لما فيه من البيان فأما ان يكون معهم على طريق المجاورة فذلك محال لأنه من صفات الأجسام وقد دلت الأدلة على انه ليس بصفات الاجسام (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة) اي يخبرهم بأعمالهم (إن الله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه خافية (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) ألم تعلم حال الذين نهوا عن المناجاة واسرار الكلام بينهم دون المسلمين بما يغم المسلمين ويحزنهم وهم اليهود والمنافقون (ثم يعودون لما نهوا عنه) يعني الى ما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة بعد النهي (ويتناجون بالإثم والعدوان) في مخالفة الرسول وهو قوله (ومعصية الرسول) وذلك انه نهاهم عن النجوى فعصوه ويجوز أن يكون الإثم والعدوان ذلك السر الذي يجري بينهم لأنه شيء يسوء المسلمين ويوصي بعضهم بعضا بترك امر الرسول والمعصية له (وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يقولون السلام عليك وكان النبي ﷺ يرد على من قال ذلك فيقول وعليك وقال الحسن كان اليهودي[2] يقول السأم عليك اي انكم ستسأمون دينكم هذا وتملونه فتدعونه ومن قال السام الموت فهو سام الحياة بذهابها (ويقولون في انفسهم) اي يقول بعضهم لبعض وقيل معناه انهم لو تكلموا لقالوا هذا الكلام وان لم يكن منهم قول (لولا يعذبنا الله بما نقول) اي يقولون لو كان هذا نبيا كما يزعم فهلا يعذبنا الله[3] ولا يستجيب له فينا قوله وعليكم يعني السام وهو الموت فقال سبحانه (حسبهم) اي كافيهم (جهنم يصلونها) يوم القيامة ويحترقون فيها (فبئس المصير) فبئس المرجع والمآل جهنم لما فيها من انواع العذاب والنكال ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) أي لا تفعلوا كفعل المنافقين واليهود (وتناجوا بالبر والتقوى) اي بأفعال الخير والطاعة والخوف من عذاب الله واتقاء معاصي الله (واتقوا الله الذي اليه

أي إلى جزائه (تحشرون) يوم القيامة (إنما النجوى من الشيطان) يعني نجوى المنافقين والكفار بما يسوء المؤمنين ويغمهم من وساوس الشيطان وبدعائه واغوائه يفعل ذلك النجوى (ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً) اي نجواهم لا يضرهم شيئا وقيل إن الشيطان لا يضرهم شيئا (إلا بإذن الله) يعني بعلم الله وقيل بأمر الله لأن سببه بأمره وهو الجهاد وخروجهم اليه وقيل بأمر الله لأنه يلحقهم الآلام والامراض عقيب ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع امورهم دون غيره وقيل إن الآية المراد بها احلام المنام التي يراها الانسان في نومه فيحزنه وورد في الخبر عن عبد الله بن مسعود قال قال النبي ﷺ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وعن ابن عمر عنه قال لا يتناجَ اثنان دون الثالث

قوله تعالى (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٣) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٥) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ عاصم وحده في المجالس على الجمع والباقون في المجلس على التوحيد وقرأ اهل المدينة وابن عامر وعاصم غير يحيى مختلف عنه قيل انشزوا فانشزوا بالضم والباقون بالكسر.

الحجة

قال ابو علي في المجلس زعموا انه مجلس رسول الله ﷺ وإذا كان كذلك فالوجه الافراد ويجوز أن يجمع على هذا على أن يجعل لكل جالس مجلساي موضع جلوس ويكون المجلس على إرادة العموم مثل قولهم كثر الدينار والدرهم فيشتمل على هذا جميع المجالس ومثله قوله إن الإنسان لفي خسر وقوله انشزوا اي قوموا والنشز المرتفع من الأرض قال:

تَرَى الثَّعْلَبَ الْحَوْلِيَّ فِيهَا كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا عَلَا نَشْزًا حِصَانٌ مُجَلَّلُ (١)

ومنه نشوز المرأة على زوجها وينشُز وينشِز مثل يعكف ويعكف ويعرش ويعرش

اللغة

التفسح الاتساع في المكان والتفسح والتوسع واحد وفسح له في المجلس يفسح فسحا ومكان فسيح وفي صفة النبي ﷺ كان فسيح ما بين المنكبين أي بعيد ما بينهما لسعة صلبه والإشفاق الخوف ورقة القلب والنشوز الارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه

(١) الثعلب الحولي اي في السنة الاولى من العمر والحصان من فعل الخيل والمجلل الملبس جلا.

النزول

قال قتادة كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ فإذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض وقال المقاتلان كان رسول الله ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان ﷺ يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء اناس من اهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ فقالوا السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي ﷺ ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردّوا[1] عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير اهل بدر قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المنافقون للمسلمين ألستم تزعمون ان صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء إن قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب من نبيهم فأقامهم واجلس من ابطأ عنهم مقامهم فنزلت الآية (وأما) قوله يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا الآية فإنها نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فنزلت آية الرخصة عن مقاتل بن حيان وقال امير المؤمنين صلوات الرحمن عليه إن في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول الآية كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما اردت أن اناجي رسول ﷺ الله قدمت درهما فنسختها الآية الاخرى أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجويكم صدقات الآية فقال صلوات الله عليه بي خفف الله عن هذه الأمة ولم ينزل في احد قبلي ولم ينزل في احد بعدي وقال ابن عمر وكان لعلي بن ابي طالب (ع) ثلاث لو كانت لي واحدة منهن لكانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى وقال مجاهد وقتادة لما نهوا عن مناجاته صلوات الرحمن عليه حتى يتصدقوا لم يناجه إلا علي ابن ابي طالب عليه افضل الصلوات قدم دينارا فتصدق به ثم نزلت الرخصة

المعنى

لما قدم سبحانه النهي عن النجوى لما فيه من إيذاء المؤمنين عقبه بالأمر بالتفسح لما في تركه من ايذائهم ايضا فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) اي اتسعوا فيه وهو مجلس النبي ﷺ عن قتادة ومجاهد وقيل المراد به مجالس الذكر كلها (فافسحوا يفسح الله لكم) اي فتوسعوا يوسع الله لكم مجالسكم في الجنة (وإذا قيل انشزوا) اي ارتفعوا وقوموا ووسعوا على اخوانكم (فانشزوا) أي فافعلوا ذلك وقيل معناه وإذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير فانشزوا ولا تقصروا عن مجاهد وقيل معناه وإذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس وتوسعوا للداخل فافعلوا فإن رسول الله ﷺ لا يقرب ولا يرفع إلا بإذن الله وامره وقيل معناه وإذا نودي للصلاة فانهضوا فإن رجالا كانوا يتثاقلون عن الصلاة عن عكرمة والضحاك وقيل وردت في قوم كانوا يطيلون المكث عند رسول الله ﷺ فيكون كل واحد منهم يحب أن يكون آخر خارج فأمرهم الله ان ينشزوا أي يقوموا إذا قيل لهم انشزوا (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) قال ابن عباس يرفع الله الذين اوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا

(١) في نسختين: وما ردوا

العلم درجات وقيل معناه لكي يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله ﷺ درجة والذين أوتوا العلم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنة وقيل درجات في مجلس رسول الله ﷺ فأمر الله سبحانه ان يقرب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم ليبين فضل العلماء على غيرهم وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء وجلالة قدرهم وقد ورد ايضا في الحديث انه قال ﷺ فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة وفضل النبي على العالم درجة وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وفضل العالم على سائر الناس كفضلي على ادناهم رواه جابر بن عبد الله وقال علي (ع) من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة (والله بما تعملون خبير) اي عليم ثم خاطب سبحانه المؤمنين مرة اخرى وقال (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة) اي إذا ساررتم الرسول فقدموا قبل ان تساروه صدقة وأراد بذلك تعظيم النبي ﷺ وأن يكون ذلك سببا لأن يتصدقوا فيؤجروا عنه وتخفيفا عنه ﷺ قال المفسرون فلما نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضن كثير من الناس فكفوا عن المسألة فلم يناجه احد إلا علي بن ابي طالب على ما مضى ذكره قال مجاهد وما كان إلا ساعة وقال مقاتل بن حيان كان ذلك ليالي عشراً ثم نسخت بما بعدها وكانت الصدقة مفوضة اليهم غير مقدرة (ذلك) أي ذلك التصدق بين يدي مناجاة النبي ﷺ (خير لكم) لأن فيه اداء واجب وتحصيل ثواب (واطهر) اي وادعى لكم إلى مجانبة المعاصي وتركها وازكى لكم تتطهرون بذلك بمناجاته كما تقدم الطهارة على الصلاة (فإن لم تجدوا) ما تتصدقون به (فإن الله غفور) يستر عليكم ترك ذلك (رحيم) يرحمكم وينعم عليكم ثم قال سبحانه ناسخا لهذا الحكم (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات) يعني أخفتم الفاقة يا أهل الميسرة وبخلتم بالصدقة بين يدي نجواكم وهذا توبيخ لهم على ترك الصدقة اشفاقا من العيلة (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) لتقصيركم فيه (فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله) فيما امركم به ونهاكم عنه (ورسوله) أي وأطيعوا رسوله ايضا (والله خبير بما تعملون) أي عالم بأعمالكم من طاعة ومعصية وحسن وقبيح فيجازيكم بها ثم قال سبحانه (ألم تر) يا محمد (إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) والمراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود ويفشون اليهم اسرار المؤمنين ويجتمعون معهم على ذكر مساءة النبي ﷺ والمؤمنين عن قتادة وابن زيد (ما هم منكم ولا منهم) يعني انهم ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب) اي ويحلفون انهم لم ينافقوا (وهم يعلمون) انهم منافقون (اعد الله لهم عذابا شديدا) أي في الآخرة (انهم ساء ما كانوا يعملون) اي بئس العمل عملهم وهو النفاق وموالاة اعداء الله.

قوله تعالى (١٦) أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٨) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٩) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٠) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ

فِي ٱلْأَذَلِّينَ (٢١) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٢) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ سبع آيات

القراءة

قرأ محمد بن حبيب الشموني عن الأعشى عن ابي بكر اوعشيراتهم على الجمع والباقون أو عشيرتهم على التوحيد وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا ايمانهم بكسر الهمزة ورواية بعضهم عن عاصم كتب بضم الكاف في قلوبهم الايمان بالرفع

الحجة

من قرأ ايمانهم حذف المضاف اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة ومن قرأ كتب في قلوبهم الايمان فهو على حذف المضاف ايضا اي كتب في قلوبهم علامة الايمان ومن اسند الفعل إلى الفاعل فلتقدم ذكر الاسم على ذلك ويدل عليه قوله وايدهم بروح منه.

اللغة

الجنة السترة التي تقي البلية واصله الستر ومنه المجن الترس والاستحواذ الاستيلاء على الشيء بالاقتطاع له واصله من حاذه يحوذه حوذا مثل حازه يحوزه حوزاً

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام الخبر عن المنافقين فقال (اتخذوا ايمانهم) التي يحلفون بها (جنة) اي سترة وترسا يدفعون بها عن نفوسهم التهمة والظنة إذا ظهرت منهم الريبة (فصدوا) نفوسهم وغيرهم (عن سبيل الله) الذي هو الحق والهدى (فلهم عذاب مهين) يهينهم ويذلهم ويخزيهم (لن تغني عنهم اموالهم) التي جمعوها (ولا اولادهم) الذين خلفوهم (من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ظاهر المعنى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) اي يقسمون لله (كما يحلفون لكم) في دار الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين في الدنيا في اعتقادهم وظنهم لأنهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق (ويحسبون انهم على شيء) اي ويحسب المنافقون في الدنيا انهم مهتدون لأن في الآخرة تزول الشكوك وقال الحسن في القيامة مواطن فموطن يعرفون فيه قبح الكذب ضرورة فيتركونه وموطن يكونون فيه كالمدهوش فيتكلمون بكلام الصبيان الكذب وغير الكذب ويحسبون انهم على شيء في ذلك الموضع الذي يحلفون فيه بالكذب (الا انهم هم الكاذبون) في ايمانهم واقوالهم في الدنيا وقيل معناه اولئك هم الخائبون كما يقال كذب ظنه اي خاب امله (استحوذ عليهم الشيطان) اي استولى عليهم وغلب عليهم لشدة اتباعهم اياه (فانسيهم ذكر الله) حتى لا يخافون الله ولا يذكرونه (أولئك حزب الشيطان) اي جنوده (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) يخسرون الجنة ويحصل لهم بدلها النار (ان الذين يحادون الله ورسوله) اي يخالفونه في حدوده ويشاقونه وهم المنافقون

(أولئك في الأذلين) فلا احد اذل منهم في الدنيا ولا في الآخرة قال عطاء يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة (كتب الله لأغلبن انا ورسلي) اي كتب الله في اللوح المحفوظ وما كتبه فلا بد من أن يكون أجرى قوله كتب الله مجرى القسم فأجابه بجواب القسم قال الحسن ما أمر الله نبيا قط بحرب إلا غلب اما في الحال او فيما بعد وقال قتادة كتب الله كتاباً فأمضاه لأغلبن انا ورسلي ويجوز أن يكون المعنى قضى الله ووعدلأغلبن أنا ورسلي بالحجج والبراهين وإن جاز أن يُغلب بعضهم في الحرب (إن الله قوي عزيز) اي غالب قاهر لمن نازع أولياءه ويروى ان المسلمين قالوا لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى ليفتحنّ الله علينا الروم وفارس فقال المنافقون أتظنون أن فارساً[1] والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها فانزل الله هذه الآية ثم قال سبحانه (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله) اي يوالون من خالف الله ورسوله والمعنى لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان والمراد به الموالاة في الدين (ولو كانوا آباءهم أوابناءهم أواخوانهم أو عشيرتهم) أي وان قربت قرابتهم منهم فإنهم لا يوالونهم إذا خالفوهم في الدين وقيل إن الآية نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمجيء رسول الله اليهم وكان ﷺ اخفى ذلك فلما عوتب على ذلك قال اهلي بمكة احببت أن يحوطوهم بيد تكون لي عندهم وقيل انها نزلت في عبد الله بن ابيّ وابنه عبيد الله بن عبد الله وكان هذا الابن عند النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ فقال ابق فضلة من شرابك اسقها ابي لعل الله يطهر قلبه فأعطاه فأتى بها أباه فقال ما هذا فقال بقية شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال هلا جئتني ببول امك فرجع إلى النبي ﷺ فقال إئذن لي في قتله فقال بل ترفق به عن السدّي ثم قال سبحانه (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) أي ثبت في قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من الالطاف فصار كالمكتوب عن الحسن وقيل كتب في قلوبهم علامة الإيمان ومعنى ذلك انها سمة لمن يشاهدهم من الملائكة على انهم مؤمنون كما أن قوله في الكفار وطبع الله على قلوبهم علامة يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه عن ابي علي الفارسي (وأيدهم بروح منه) أي قوّاهم بنور الإيمان ويدل عليه قوله وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان عن الزجاج وقيل معناه وقوّاهم بنور[2] الحجج والبراهين حتى اهتدوا للحق وعملوا به وقيل قوّاهم بالقرآن الذي هو حياة القلوب من الجهل عن الربيع وقيل ايدهم بجبرائيل في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم) بإخلاص الطاعة والعبادة منهم (ورضوا عنه) بثواب الجنة وقيل رضوا عنه بقضائه عليهم في الدنيا فلم يكرهوه (أولئك حزب الله) اي جند الله وانصار دينه ودعاة خلقه (ألا إن حزب الله هم المفلحون) ألا كلمة تنبيه ان جنود الله وأولياءه هم المفلحون الناجون الظافرون بالبغية.

سورة الحشر مدنية

عدد آيها

وهي أربع وعشرون آية بالإجماع

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السموات السبع ولا الارضون السبع والهوامّ والرياح والطير والشجر والدواب والشمس والقمر والملائكة إلا صلّوا عليه واستغفروا له وإن مات من يومه او ليلته مات شهيدا وعن ابي سعيد المكاري عن ابي

(١) في المخطوطة: ان فارس (٢) في نسخة: بنور في الحجج.

عبد الله (ع) قال من قرأ إذا امسى الرحمن والحشر وكل الله بداره ملكا شاهراً سيفه حتى يصبح

تفسيرها

لما ختم الله سورة المجادلة بذكر حزب الشيطان وحزب الله افتتح هذه السورة بقهره حزب الشيطان وماتالهم بالجلاء من الخزي والهوان ونصرة حزبه من اهل الايمان فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢) هُوَ ٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ (٣) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٤) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٥) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَاسِقِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد والباقون يخربون ساكنة الخاء وخفيفة الراء وفي الشواذ قراءة طلحة بن مصرف يشاقق الله بقافين على الاظهار كالتي في الانفال

الحجة

يقال خرب الموضع واخربته وخربته قال الاعشى «واخربت من أرض قوم ديارا» وحكي عن أبي عمرو أن الإخراب أن يترك الموضع خربا والتخريب الهدم

اللغة

الحشر جمع الناس من كل ناحية ومنه الحاشر الذي يجمع الناس إلى ديوان الخراج والجلاء الانتقال عن الديار والأوطان للبلاء يقال جلا القوم عن منازلهم جلاء وأجليتهم اجلاء واللينة النخلة واصله من اللون قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمعها ليان قال امرؤ القيس:

وَسَالِفَةٍ كَسَحُوقِ اللَّيَانِ ... أَضْرَمَ فِيهَا الْغَوِيُّ السُّعُرْ(١)

وقال ذو الرمة:

طِرَاقُ الْخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ لِينَةٍ ... بِذِي لَيْلَةٍ فِي رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ(٢)

فكأن اللينة نوع من النخل أو ضرب منه وقيل هو من اللين للين ثمرها

الاعراب

مانعتهم حصونهم ارتفع حصونهم بقوله مانعتهم لأن اسم الفاعل جرى خبراً لأن فيرفع ما بعده

النزول

قيل نزلت السورة في اجلاء بني النضير من اليهود فمنهم من خرج إلى خيبر ومنهم من خرج إلى الشام

(١) السالفة: ناحية مقدم العنق والمراد هنا: العنق والسحوق من النخل: الجرداء الطويلة واضرم النار: اوقدها واشعلها الغرض تشبيه عنق فرسه بالنخلة الجرداء التي اشعل النار فيها بشدة (٢) ريش طراق اذا كان بعضها فوق بعض والخوافي ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت ويترقرق اي يتحرك.

عن مجاهد وقتادة وذلك أن النبي ﷺ لما دخل المدينه صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرا وظهر على المشركين قالوا والله انه للنبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا غزاة احد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد فركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشا وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم دخل ابو سفيان في اربعين وكعب في اربعين من اليهود المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار والكعبة ثم رجع كعب بن الاشرف واصحابه الى المدينة ونزل جبرائيل فاخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وابوسفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلم(١) الانصاري وكان اخاه من الرضاعة قال محمد بن اسحق خرج رسول الله ﷺ الى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم النبي يستعينهم في الدية قالوا نعم يا ابا القاسم نعينك على ما احببت ثم خلا بعضهم ببعض فقال انكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه ورسول الله الى جانب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة ورسول الله ﷺ في نفر من اصحابه فأتاه الخبر من السماء بما اراد القوم فقام وقال لاصحابه لا تبرحوا فخرج راجعا الى المدينة ولما استبطأوا النبي ﷺ قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فاقبل اصحاب النبي ﷺ حتى انتهوا اليه فاخبرهم الخبر بما ارادت اليهود من الغدر وامر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الاشرف فخرج ومعه سلكان بن سلامة وثلاثة من بني الحرث وخرج النبي ﷺ على اثرهم وجلس في موضع ينتظر وجوههم(٢) فذهب محمد بن مسلمة مع القوم الى قرب قصره واجلس قومه عند جدار وناداه يا كعب فانتبه وقال من انت قال انا محمد بن مسلمة اخوك جئتك استقرضك منك دراهم فإن محمداً يسألنا الصدقة وليس معنا الدراهم فقال(٣) لا اقرضك الا بالرهن قال معي رهن انزل فخذه وكانت له امرأة بنى بها تلك الليلة عروسا فقالت لا ادعك تنزل لأني ارى حمرة الدم في ذلك الصوت فلم يلتفت اليها فخرج فعانقه محمد بن مسلمة وهما يتحادثان حتى تباعدا من القصر الى الصحراء ثم اخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلا ورجع القوم سالمين الى رسول الله ﷺ فلما اسفر الصبح اخبر رسول الله ﷺ اصحابه بقتل كعب ففرحوا وامر رسول الله ﷺ بحربهم والسير اليهم فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوا(٤) يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل وتحرقها فانزل الله ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها الآية وهي البويرة في قول حسان:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

والبويرة تصغير بؤرة وهي إرة النار اي حفرتها وقال ابن عباس كان النبي ﷺ حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فاعطوه ما اراد منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من ارضهم واوطانهم وان يسيرهم الى اذرعات بالشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء فخرجوا الى اذرعات بالشام وماريحا الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيي بن اخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة وكان ابن

(١) فى نسخة : مسلمة (٢) فى المخطوطة : رجوعهم (٣) فيها ايضا : قال كعب (٤) فى نسختين فنادوه .

عباس يسمي هذه السورة سورة بني النضير وعن محمد بن مسلمة ان رسول الله ﷺ بعثه الى بني النضير وامره ان يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال وعن محمد بن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ من احد وكان فتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان وكان الزهري يذهب الى ان اجلاء بني النضير كان قبل احد على رأس ستة اشهر من وقعة بدر

﴿ المعنى ﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) مضى تفسيره (هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني يهود بني النضير (من ديارهم) بأن سلط الله المؤمنين عليهم وامر نبيه ﷺ بإخراجهم من منازلهم وحصونهم واوطانهم (لأول الحشر) اختلف في معناه فقيل كان جلاؤهم ذلك اول حشر اليهود الى الشام ثم يحشر الناس يوم القيامة الى ارض الشام ايضا وذلك الحشر الثاني عن ابن عباس والزهري والجبائي قال ابن عباس قال لهم النبي ﷺ اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر وقيل معناه لاول الجلاء عن البلخي لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الذمة من جزيرة العرب ثم اجلى اخوانهم من اليهود لئلا يجتمع في بلاد العرب دينان وقيل انما قال لاول الحشر لأن الله فتح على نبيه ﷺ في اول ما قاتلهم عن يمان بن رباب (ما ظننتم ان يخرجوا) أي لم تظنوا ايها المؤمنون انهم يخرجون من ديارهم لشدتهم وشوكتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أي وظن بنو النضير ان حصونهم لوثاقتها تمنعهم من سلطان الله وانزال العذاب بهم على يد رسول الله ﷺ حيث حصنوها وهيأوا آلات الحرب فيها (فاتيهم الله) اي فأتاهم امر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) اي لم يتوهموا ان يأتيهم لما قدروا في انفسهم من المنعة جعل الله سبحانه امتناعهم من رسوله امتناعا منه (وقذف في قلوبهم الرعب) والقى سبحانه في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين) أي يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا لانهم خربوا ما استحسنوا منها حتى لا يكون للمسلمين ويخربها المؤمنون من خارج ليصلوا اليهم عن الحسن وقيل ان معنى تخريبها بأيدي المؤمنين انهم عرضوها لذلك عن الزجاج وقيل انهم كانوا يخربون بيوتهم بايديهم بنقض الموادعة وبأيدي المؤمنين بالمقاتلة (فاعتبروا ياأولي الابصار) أي فاتعظوا يا اولي العقول والبصائر وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم ومعنى الاعتبار النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها والمراد استدلوا بذلك على صدق الرسول اذ كان وعد المؤمنين ان الله سبحانه سيورثهم ديارهم واموالهم بغير قتال فجاء المخبر على ما اخبر فكان آية دالة على نبوته ولا دليل في الآية على صحة القياس في الشريعة لأن الاعتبار ليس من القياس في شيء لما ذكرناه ولأنه لا سبيل لأهل القياس الى العلم بالترجيح ولا يعلم كل من الفريقين علة الاصل للآخر فإن علة الربا عند أحدهما الكيل والوزن والجنس وعند الآخر الطعم والجنس وفي الدراهم والدنانير لأنها جنس الاثمان وقال آخرون اشياء أخر وليس هذا باعتبار إذ لا سبيل الى المعرفة به (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) اي حكم عليهم انهم يجلون عن ديارهم وينقلون عن ديارهم[1] وينقلون عن أوطانهم (لعذبهم في الدنيا) بعذاب الاستئصال أو[2] القتل والسبي كما فعل ببني قريظة لأنه تعالى علم ان كلا الامرين في المصلحة سواء وقد سبق حكمه بالجلاء (ولهم في الآخرة) مع الجلاء عن الاوطان (عذاب النار) لأن احداً منهم لم يؤمن وقيل ان ذلك مشروط بالإصرار وترك التوبة (ذلك)

(١) جملة وينقلون عن ديارهم زائدة (٢) في المخطوطة ليست لفظة «او»

الذي فعلنا بهم (بانهم شاقوا الله) اي خالفوا الله ورسوله ثم توعد من حذا حذوهم وسلك سبيلهم في مشاقة الله ورسوله فقال (ومن يشاقق الله) أي يخالفه (فان الله شديد العقاب) يعاقبهم على مشاقتهم اشد العقاب (ماقطعتم من لينة) اي نخلة كريمة من انواع النخيل (اللينة) عن مجاهد وابن زيد وقيل كل نخلة سوى العجوة عن ابن عباس وقتادة (اوتركتموها قائمة على اصولها) فلم تقطعوها ولم تقلعوها (فباذن الله) اي بامره كل ذلك سائغ لكم علم الله سبحانه ذلك واذن فيه ليذل به اعداءه (وليخزي الفاسقين) من اليهود ويهينهم به لانهم اذا رأوا عدوهم يتحكم في اموالهم كان ذلك خزيا لهم

قوله تعالى (٦) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٨) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٩) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر كيلا تكون بالتاء دولة بالرفع والباقون يكون بالياء دولة بالنصب

الحجة

قال ابن جني منهم من لا يفصل بين الدولة والدولة ومنهم من يفصل بينهما فقال الدولة بالفتح للملك والدولة بالضم في الملك وتكون هنا هي التامة أي كيلا يقع دولة او تحدث دولة وبين الاغنياء إن شئت كانت صفة لدولة وان شئت كانت متعلقة بنفس دولة أي تداولا بين الاغنياء وان شئت علقتها بنفس تكون أي لا يحدث بين الاغنياء منكم وان شئت جعلتها كان الناقصة وجعلت بين خبرا عنها والأول اوجه ومعناه كيلا تقع دولة فيه او عليه يعني على المفاء من عند الله

اللغة

الفيء رد ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك الله اياهم ذلك على ما شرط فيه يقال فاء يفيء فيئا اذا رجع وأفأته انا عليه أي رددته عليه والايجاف الايضاع وهو تسيير الخيل او الركاب من وجف يجف

وجيفا وهو تحرك باضطراب فالايجاف الازعاج للسير والركاب الابل والخصاصة الإملاق والحاجة واصله الاختصاص وهو الانفراد بالامر فكأنه انفراد الانسان عما يحتاج اليه وقيل اصله الفرجة يقال للقمر بدا من خصاص الغيم اي فرجته ومنه الخص البيت من القصب لما فيه من الفرج والشح والبخل واحد وقيل ان الشح بخل مع حرص

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس نزل قوله ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى الآية في اموال كفار اهل القرى وهم قريظة وبني النضير وهما بالمدينة وفدك وهي من المدينة على ثلاثة اميال وخيبر وقرى عربية وينبع جعلها الله لرسوله يحكم فيها ما اراد وأخبر انها كلها له فقال اناس فهلا قسمها فنزلت الآية وقيل إن الآية الاولى بيان اموال بني النضير خاصة لقوله وما افاء الله على رسوله منهم الآية والثانية بيان الاموال التي اصيبت بغير قتال وقيل انها واحد والاية الثانية بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية الاولى وقال انس بن مالك اهدي لبعض الصحابة رأس مشوي وكان مجهوداً فوجه به الى جاره فتداولته ٧ سعة انفس ثم عاد الى الاول فنزل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم بني النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقال الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها فنزلت ويؤثرون على انفسهم الآية وقيل نزلت في سبعة عطشوا في يوم احد فجيء بماء يكفي لاحدهم فقال واحد منهم ناول فلانا حتى طيف على سبعتهم وماتوا ولم يشرب احد منهم فأثنى الله سبحانه عليهم وقيل نزلت في رجل جاء الى رسول الله ﷺ فقال اطعمني فإني جائع فبعث الى اهله فلم يكن عندهم شيء فقال من يضيفه هذه الليلة فأضافه رجل من الانصار واتى به منزله ولم يكن عنده إلا قوت صبية له فأتوا بذلك اليه وأطفأوا السراج وقامت المرأة إلى الصبية فعللتهم حتى ناموا وجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ﷺ فظن الضيف انهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما اصبحا غدوا إلى رسول الله ﷺ فنظر اليهما وتبسم وتلا عليهما هذه الآية وأما الذي رويناه بإسناد صحيح عن ابي هريرة أن الذي اضافه ونوم الصبية وأطفأ السراج علي (ع) وفاطمة (ع)

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال اموال بني النضير فقال (وما افاء الله على رسوله منهم) اي من اليهود الذين أجلاهم وإن كان الحكم سارياً في جميع الكفار الذين حكمهم حكمهم (فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب) والإيجاف دون التقريب وقيل الايجاف في الخيل والايضاع في الابل وقيل هما مستعملان فيهما جميعا أي فما اوجفتم عليه خيلا ولا ابلا والمعنى لم تسيروا اليها على خيل ولا ابل وإنما كانت ناحية من[1] المدينة مشيتم اليها مشيا وقوله عليه اي على ما افاء الله والركاب الابل التي تحمل القوم واحدتها راحلة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) اي يمكنهم من عدوهم من غير قتال بأن يقذف الرعب في قلوبهم جعل الله اموال بني النضير لرسوله خالصة يفعل بها ما يشاء فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة (والله على كل

(١) في نسخة: من نواحي المدينة

شيء قدير) ثم ذكر سبحانه حكم الفيء فقال (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) اي من اموال كفار اهل القرى (فلله) يأمركم فيه بما احب (وللرسول) بتمليك الله اياه (ولذي القربى) يعني اهل بيت رسول الله وقرابته وهم بنو هاشم (واليتامى والمساكين وابن السبيل) منهم لأن التقدير ولذي قرباه ويتامى اهل بيته ومساكينهم وابن السبيل منهم وروى المنهال بن عمرو عن علي بن الحسين (ع) قال قلت قوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال هم قربانا ومساكيننا وابناء سبيلنا وقال جميع الفقهاء هم يتامى الناس عامة و كذلك المساكين وابناء السبيل وقد روي ايضا ذلك عنهم (ع) وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) انه قال كان ابي يقول لنا سهم رسول الله ﷺ وسهم ذي القربى ونحن شركاء الناس فيما بقي والظاهر يقتضي أن ذلك لهم سواء كانوا اغنياء أو فقراء وهو مذهب الشافعي وقيل إن مال الفيء للفقراء من قرابة رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب وروي عن الصادق (ع) انه قال نحن قوم فرض الله طاعتنا ولنا الانفال ولنا صفو المال يعني ما كان يصطفي لرسول الله ﷺ من فره الدواب وحسان الجواري والدرة الثمينة والشيء الذي لا نظير له ثم بين سبحانه انه لم فعل ذلك فقال (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة أي لئلا يكون الفيء متداولا بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية وهذا خطاب للمؤمنين دون الرسول وأهل بيته (ع) قال الكلبي نزلت في رؤساء المسلمين قالوا له يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وانشدوا:

لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا ... وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةَ وَالْفُضُولُ(١)

فنزلت الآية فقالت الصحابة سمعا وطاعة لأمر الله وأمر رسوله ثم قال سبحانه (وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا) أي ما اعطاكم الرسول من الفيء فخذوه وارضوا به وما امركم به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فإنه لا يأمر ولا ينهى إلا عن امر الله وهذا عام في كل ما امر به النبي ﷺ ونهى عنه وان نزل في آية الفيء وروى زيد الشحام عن ابي عبد الله (ع) قال ما اعطى الله نبيا من الانبياء شيئا إلا وقد اعطى محمدا ﷺ قال لسليمان فامنن أو امسك بغير حساب وقال لرسول الله ﷺ ما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا (فاتقوا الله) في ترك المعاصي وفعل الواجبات (إن الله شديد العقاب) لمن عصاه وترك أوامره وفي هذه الآية اشارة إلى تدبير الامة إلى النبي ﷺ والى الأئمة القائمين مقامه ولهذا قسم رسول الله ﷺ اموال خيبر ومن عليهم في رقابهم واجلى بني النضير وبني قينقاع واعطاهم شيئا من المال وقتل رجال بني قريظة وسبى ذراريهم ونساءهم وقسم اموالهم على المهاجرين ومن على اهل مكة ثم قال سبحانه (للفقراء المهاجرين) الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ومن دار الحرب إلى دار الإسلام (الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم) التي كانت لهم (يبتغون) اي يطلبون (فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله) اي وينصرون دين الله (ورسوله أولئك هم الصادقون) في الحقيقة عند الله العظيم المنزلة عنده قال الزجاج بين سبحانه من المساكين الذين لهم الحق فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ثم ثنى سبحانه بوصف الانصار ومدحهم حتى طابت انفسهم عن الفيء فقال (والذين تبوءوا الدار) يعني المدينة وهي دار الهجرة تبوأها الانصار قبل المهاجرين وتقدير

(١) النشيطة ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول الى الموضع الذى قصدوه

الآية والذين تبوأوا الدار من قبلهم (والإيمان) لأن الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وعطف الايمان على الدار في الظاهر لا في المعنى لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ والتقدير وآثروا الإيمان وقيل (من قبلهم) اي من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقيل معناه قبل ايمان المهاجرين والمراد به اصحاب ليلة العقبة وهم سبعون رجلا بايعوا رسول الله ﷺ على حرب الابيض والأحمر يحبون من هاجر اليهم لأنهم احسنوا إلى المهاجرين واسكنوهم دورهم واشركوهم في اموالهم (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا) أي لا يجدون في قلوبهم حسدا وحزازة وغيظا مما اعطي المهاجرون دونهم من مال بني النضير (ويؤثرون على انفسهم) أي ويؤثرون المهاجرين ويقدمونهم على انفسهم بأموالهم ومنازلهم (ولو كان بهم خصاصة) اي فقر وحاجة بيّن سبحانه ان ايثارهم لم يكن عن غنى عن المال ولكن كان عن حاجة فيكون ذلك اعظم لأجرهم وثوابهم عند الله ويروى أن انس بن مالك كان يحلف بالله تعالى ما في الانصار بخيل ويقرأ هذه الآية (ومن يوق شح نفسه) أي ومن يدفع عنه ويمنع عنه بخل نفسه (فأولئك هم المفلحون) اي المنجحون الفائزون بثواب الله ونعيم جنته وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يمنع شيئا امره الله بأدائه فقد وقي شح نفسه عن ابن زيد وقيل شح النفس هو اخذ الحرام ومنع الزكاة عن سعيد بن جبير وفي الحديث لا يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل مسلم ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم وقيل في موضع قوله والذين تبوءوا الدار قولان ﴿ احدهما ﴾ انه رفع على الابتداء وخبره يحبون من هاجر اليهم إلى آخره لأن النبي ﷺ لم يقسم لهم شيئا من الفيء إلا لرجلين أو لثلاثة على اختلاف الرواية فيه ﴿ والآخر ﴾ انه في موضع جر عطفا على الفقراء المهاجرين وعلى هذا فيكون قوله يحبون من هاجر اليهم وما بعده في موضع نصب على الحال ثم ثلث سبحانه بوصف التابعين فقال (والذين جاءوا من بعدهم) يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل هم كل من اسلم بعد[1] انقطاع الهجرة وبعد إيمان الانصار عن الاصم وابي مسلم والظاهر أن المراد والذين خلفوهم ويجوز أن يكون المراد من بعدهم في الفضل وقد يعبر بالقبل والبعد عن الفضل كقول النبي ﷺ نحن الآخرون السابقون أي الآخرون في الزمان السابقون في الفضل (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) اي يدعون ويستغفرون لانفسهم ولمن سبقهم بالإيمان (ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) أي حقدا وغشا وعداوة سألوا الله سبحانه ان يزيل ذلك بلطفه وهاهنا احتراز لطيف وهو انهم احسنوا الدعاء للمؤمنين ولم يرسلوا القول ارسالا والمعنى اعصمنا ربنا من إرادة السوء بالمؤمنين ولا شك أن من ابغض مؤمنا وأراد به السوء لأجل ايمانه فهو كافر وإذا كان لغير ذلك فهو فاسق (ربنا إنك رؤوف رحيم) اي متعطف على العباد منعم عليهم

قوله تعالى (١١) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٣) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٤) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ

(١) في المخطوطة: من اسلم قبل ...

وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٥) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو من وراء حدار على التوحيد والباقون من وراء جدر على الجمع وفي الشواذ قراءة ابي رجاء وابي حية جدر بسكون الدال

الحجة

قال ابو علي المعنى في الجمع انهم لا يصحرون معكم للقتال ولا يبرزون لكم ولا يقاتلونكم حتى يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن او سور فإذا كان كذلك فالمعنى على الجمع إذ ليس المعنى انهم يقاتلونهم من وراء جدار واحد ولكن من وراء جدر كما لا يقاتلونكم إلا في قرىً محصنة فكما ان القرى جماعة كذلك الجدر ينبغي أن تكون جمعا فكان المراد في الافراد الجمع لانه يعلم انهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد قال ابن جني ويجوز أن يكون جدار تكسير جدار فتكون الف جدار في الواحد كألف كتاب وفي الجمع كألف ظِرَاف وكرام ومثله ناقة هجان ونوق هجان ودرع دلاص وادرع دلاص قال ومثله قوله سبحانه واجعلنا للمتقين إماما يكون إماما جمع إمام على ما شرحناه

الاعراب

لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله أي من رهبتهم من الله فحذف. كمثل الذين من قبلهم أي مثلهم كمثل الذين من قبلهم فحذف المبتدأ وكذلك قوله كمثل الشيطان

المعنى

لما وصف سبحانه المهاجرين الذين هاجروا الديار والاوطان ثم مدح الانصار الذين تبوءوا الدار والايمان ثم ذكر التابعين بإحسان وما يستحقونه من النعيم في الجنان عقب ذلك بذكر المنافقين وما اسرّوه من الكفر والعصيان فقال الم تر يا محمد (الى الذين نافقوا) فابطنوا الكفر واظهروا الايمان (يقولون لاخوانهم) في الكفر (الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني يهود بني النضير (لئن اخرجتم) من ديارکم وبلادکم لنخرجن معكم) مساعدين لكم (ولا نطيع فيكم) اي في قتالكم ومخاصمتكم (احدا أبدا) يعنون محمدا ﷺ واصحابه ووعدوهم النصر بقولهم (وان قوتلتم لننصرنكم) اي لندفعن عنكم ثم كذّبهم الله في ذلك بقوله (والله يشهد انهم لكاذبون) فيما يقولونه من الخروج معهم والدفاع عنهم ثم اخبر سبحانه انهم يخلفونهم ما وعدوه من النصر والخروج بقوله (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم) اي ولئن قدّر وجود نصرهم لان ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده (ليولّن الادبار) اي ينهزمون ويسلمونهم وقيل معناه ولئن نصرهم من يفي منهم لولوا الادبار فعلى هذا لا تنافي بين قوله لا ينصرونهم وقوله ولئن نصروهم فقد اخبر الله تعالى في هذه الاية عما لا يكون منهم ان لو كان كيف كان يكون (ثم لا ينصرون) اي ولو كان لهم هذه القوة وفعلوا لم ينتفع اولئك بنصرتهم نزلت الآية قبل اخراج بني النضير واخرجوا بعد ذلك وقوتلوا فلم يخرج معهم منافق ولم ينصروهم كما اخبر الله تعالى بذلك وقيل اراد بقوله لإخوانهم بني النضير وبني قريظة فاخرج بنو النضير ولم يخرجوا معهم وقوتل بنو قريظة فلم ينصروهم ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (لأنتم

اشد رهبة) اي خوفا (في صدورهم) اي في قلوب هؤلاء المنافقين (من الله) المعنى ان خوفهم منكم اشد من خوفهم من الله لأنهم يشاهدونكم ويعرفونكم ولا يعرفون الله وهو قوله (ذلك بانهم قوم لا يفقهون) الحق ولا يعلمون عظمة الله وشدة عقابه (لا يقاتلونكم) معاشر المؤمنين (جميعا الا في قرى محصنة) أي ممتنعة حصينة المعنى انهم لا يبرزون لحربكم وانما يقاتلونكم متحصنين بالقرى (اومن وراء جدر) أي يرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجر (بأسهم بينهم شديد) أي عداوة بعضهم لبعض شديدة يعني انهم ليسوا بمتفقي القلوب وقيل معناه قوتهم فيما بينهم شديدة فإذا لاقوكم جبنوا ويفزعون[1] منكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب (تحسبهم جميعا) أي مجتمعين في الظاهر (وقلوبهم شتى) اي مختلفة متفرقة خذلهم الله باختلاف كلمتهم وقيل إنه عني بذلك قلوب المنافقين واهل الكتاب عن مجاهد (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ما فيه الرشد مما فيه الغي وإنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لاختلاف دواعيهم واهوائهم وداعي الحق واحد وهو العقل الذي يدعو إلى طاعة الله والإحسان في الفعل (كمثل الذين من قبلهم قريبا) اي مثلهم في اغترارهم بعددهم وبقوتهم وبقول المنافقين كمثل الذين من قبلهم يعني المشركين الذين قتلوا ببدر وذلك قبل غزاة بني النضير لستة اشهر عن الزهري وغيره وقيل إن الذين من قبلهم قريبا هم بنو قينقاع عن ابن عباس وذلك انهم نقضوا العهد مرجع رسول الله ﷺ من بدر فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا وقال عبدالله بن أبي لا تخرجوا فإني آتي النبي ﷺ فاكلمه فيكم او ادخل معكم الحصن فكان هؤلاء ايضا في ارسال عبد الله بن أبي اليهم ثم ترك[2] نصرتهم كأولئك (ذاقوا وبال أمرهم) أي عقوبة كفرهم (ولهم عذاب اليم) في الآخرة

قوله تعالى (١٦) كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ (١٧) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٩) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٢٠) لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ خمس آيات

اللغة

اصل غد غدو الا أنه لم يأت في القرآن الا محذوف الواو وجاء في الشعر بحذف الواو واثباتها[3]

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلُهَا ... بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وَغَدْوًا بَلَاقِعُ

وقال آخر

لَا تَقْلُوَاهَا وَادْلُوَاهَا دَلْوَا ... إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَخَاهَا غَدْوَا[4]

المعنى

ثم ضرب سبحانه لليهود والمنافقين مثلا فقال (كمثل الشيطان) اي مثل المنافقين في غرورهم لبني النضير

(١) في نسخة تفرقوا وفي اخرى يفرقون بدل يفزعون (٢) في المخطوطة : ثم تركه . . . (٣) [قال الشاعر في اثباتها] (٤) قلا الابل : طرحها وساقها ودلا الناقة : سيرها رويداً .

وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) وهو عابد بني اسرائيل عن ابن عباس قال انه كان في بني اسرائيل عابد اسمه برصيصا عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يده وانه أتي بامرأة في شرف قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي احد اخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب وانه دفنها في مكان كذا ثم اتى بقية اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى اخاه فيقول والله لقد اتاني آت فذكر لي شيئا يكبر عليّ ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه(١) فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال أنا الذي القيتك في هذا فهل انت مطيعي فيما اقول لك اخلصك مما انت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة فقال كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة فقال اكتفي منك بالإيماء فأومى له بالسجود فكفر بالله وقتل الرجل فهو قوله كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر (فلما كفر قال إني بريء منك) ضرب الله هذه القصة لبني النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرأوا منهم عند الشدة واسلموهم وقيل أراد كمثل الشيطان يوم بدر إذ دعا إلى حرب رسول الله ﷺ فلما رأى الملائكة رجع القهقرى وقال اني اخاف الله وقيل أراد بالشيطان والانسان اسم الجنس لا المعهود فإن الشيطان ابدا يدعو الإنسان إلى الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة عن مجاهد وإنما يقول الشيطان (إني أخاف الله رب العالمين) يوم القيامة ثم ذكر سبحانه أنهما صارا إلى النار بقوله (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) يعني عاقبة الفريقين الداعي والمدعو من الشيطان ومن اغواه من المنافقين واليهود انهما معذبان في النار (وذلك جزاء الظالمين) أي وذلك جزاؤهم ثم رجع إلى موعظة المؤمنين فقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) يعني ليوم القيامة والمعنى لينظر كل امرئ ما الذي قدمه لنفسه أعملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه ويرديه فانه وارد عليه قال قتادة إن ربكم قرب الساعة حتى جعلها كغد وأمركم بالتدبر والتفكر فيما قدمتم (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) إنما كرر الامر بالتقوى لأن الأولى للتوبة عما مضى من الذنوب والثانية لاتقاء المعاصي في المستقبل وقيل إن الثانية تأكيد للأولى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أي تركوا أداء حق الله (فأنسيهم أنفسهم) بأن حرمهم حظوظهم من الخير والثواب وقيل نسوا الله بترك ذكره بالشكر والتعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضا كما قال فسلموا على انفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض عن الجبائي ويريد به بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع عن ابن عباس (أولئك هم الفاسقون) الذين خرجوا من طاعة الله إلى معصيته (لا يستوي اصحاب النار وأصحاب الجنة) أي لا يتساويان لأن هؤلاء يستحقون النار وأولئك يستحقون الجنة (اصحاب الجنة هم الفائزون) بثواب الله الظافرون بطلبتهم

قوله تعالى (٢١) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٤) هُوَ اللَّهُ

(١) في نسخة: فاستنزلوه

ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ اربع آيات

﴿ فضلها ﴾

عن انس بن مالك عن النبي ﷺ قال من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قاله حين يمسي كان بتلك المنزلة وعن ابي هريرة قال سألت حبيبي رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر سورة الحشر واكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد عليّ وعن ابي امامة عن النبي ﷺ قال من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجبت له الجنة وعن انس عن النبي ﷺ قال من قرأ لو أنزلنا هذا القرآن إلى آخرها فمات من ليلته مات شهيدا

﴿ اللغة ﴾

التصدع التفرق بعد التلاؤم ومثله التفطر يقال صدعه يصدعه صدعا ومنه الصداع في الرأس والقدوس المعظم لتطهير صفاته من ان تدخلها صفة نقص قال ابن جني ذكر سيبويه في الصفة السبوح والقدوس بالضم والفتح وإنما باب الفعول الاسم كسبّوط وسمّور وتنّور وسفّود والمهيمن اصله مئيمن على مفيعل من الأمانة فقلبت الهمزة هاء فخم اللفظ بها لتفخيم المعنى

﴿ المعنى ﴾

ثم عظم سبحانه حال القرآن فقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) تقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن ويشعر به مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه لخشع لمنزله وتصدّع انصدع من خشية الله تعظيما لشأنه فالإنسان احق بهذا لوعقل الأحكام التي فيه وقيل معناه لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل لكان هذا القرآن يصدعه وقيل إن المراد به ما يقتضيه الظاهر بدلالة قوله وإن منها لما يهبط من خشية الله وهذا وصف للكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشع ويدل على أن هذا تمثيل قوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أي ليتفكروا ويعتبروا ثم اخبر سبحانه بربوبيته وعظمته فقال (هو الله الذي لا إله إلا هو) أي هو المستحق للعبادة الذي لا تحق العبادة إلا له (عالم الغيب والشهادة) أي عالم بما يشاهده العباد وعالم بما يغيب عنهم علمه وقيل عالم الغيب معناه عالم بما لا يقع عليه الحس من المعدوم والموجود الذي لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها والشهادة أي عالم بما يصح عليه الادراك بالحواس وقيل معناه عالم السر والعلانية عن الحسن وفي هذا وصفه سبحانه بأنه عالم بجميع المعلومات لانها لا تعدو هذين القسمين وعن ابي جعفر (ع) قال الغيب ما لم يكن والشهادة ما كان (هو الرحمن) اي المنعم على جميع خلقه (الرحيم) بالمؤمنين ثم أعاد سبحانه قوله (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك) يعني السيد المالك لجميع الأشياء الذي له التصرف فيها على وجه ليس لأحد منعه منه وقيل هو الواسع القدرة (القدوس) أي الطاهر من كل عيب ونقص وآفة المنزه عن القبائح وقيل هو

المطهر عن الشريك والولد لا يوصف بصفات الأجسام ولا بالتجزئة والانقسام وقيل هو المبارك الذي تنزل البركات من عنده عن الحسن (السلام) أي الذي سلم عباده من ظلمه وقيل هو المسلم من كل عيب ونقص وآفة وقيل هو الذي من عنده ترجى السلامة عن الجبائي وهو اسم من السلامة وأصله مصدر فهو مثل الجلال والجلالة (المؤمن) الذي أمن خلقه من ظلمه لهم إذ قال لا يظلم مثقال ذرة عن ابن عباس[1] وقيل الذي آمن بنفسه قبل إيمان خلقه به عن الحسن وأشار إلى قوله شهد الله انه لا إله الا هو الآية والمعنى انه بين لخلقه توحيده وإلهيته بما أقام لهم من الدلائل وقيل معناه المصدق لما وعد المحقق له كالمؤمن الذي يصدق قوله فعله وقيل هو الذي أمن اولياؤه عذابه وقيل هو الداعي إلى الإيمان الآمر به الموجب لاهله اسمه عن ابي مسلم (المهيمن) اي الامين حتى لا يضيع لأحد عنده حق عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقيل هو الشاهد عن مجاهد وقتادة كأنه شهيد على إيمان من آمن به وقيل هو المؤمن في المعنى لأن اصله المؤيمن إلا انه اشد مبالغة في الصفة وقيل هو الرقيب على الشيء يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشيء (العزيز) اي القادر الذي لا يصح عليه القهر وقيل هو المنيع الذي لا يرام ولا يمتنع عليه مرام (الجبار) وهو العظيم الشأن في الملك والسلطان ولا يستحق ان يوصف به على هذا الاطلاق إلا الله تعالى فإن وصف به العباد فإنما يوضع اللفظ في غير موضعه ويكون ذما وقيل هو الذي يذل له من دونه ولا تناله يد وقيل هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد عن السدي ومقاتل وهو اختيار الزجاج فيكون من جَبَرَه على كذا إذا اكرهه وقيل هو الذي يجبر الفقير من قولهم جبر الكسير إذا اصلحه عن واصل بن عطا (المتكبر) اي المستحق لصفات التعظيم وقيل هو الذي يكبر عن كل سوء عن قتادة وقيل هو المتعالي عن صفات المحدثين المتعظم عما لا يليق به (سبحان الله عما يشركون) اي تنزيها له عما يشركه به المشركون من الأصنام وغيرها (هو الله الخالق) للاجسام والأعراض المخصوصة وقيل المقدر للاشياء بحكمته المحدث للأشياء على إرادته (البارئ) المنشئ للخلق الفاعل للأجسام والأعراض (المصور) الذي صور الاجسام على اختلافها مثل الحيوان والجماد (له الاسماء الحسنى) نحو الله الرحمن الرحيم القادر العالم الحي وقد مر بيانه في سورة الأعراف (يسبح له ما في السموات والأرض) أي ينزهه جميع الأشياء فالحي يصفه بالتنزيه والجماد يدل على تنزيهه (وهو العزيز الحكيم) وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ اسم الله الاعظم في ست آيات في آخر سورة الحشر .

سورة الممتحنة

وقيل سورة الامتحان وقيل سورة المودة مدنية وهي ثلاث عشرة آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة. ابوحمزة الثمالي عن علي بن الحسين (ع) قال من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه الإيمان ونور له بصره ولا يصيبه فقر ابدا ولا جنون في ولده ولا في بدنه

(١) في نسخة : والجبائي

تفسيرها

وجه اتصالها بما قبلها انه لما ذكر سبحانه في سورة الحشر الكفار والمنافقين افتتح هذه السورة بذكر تحريم موالاتهم وايجاب معاداتهم فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٣) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٥) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ خمس آيات

القراءة

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو يفصل بينكم بضم الياء وفتح الصاد على التخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يفصل بضم الياء وكسر الصاد مشدداً وقرأ عاصم ويعقوب وسهل يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الصاد مشددا وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمرو انا برآء منكم على مثال فعال

الحجة

قال ابو علي ذهب ابو الحسن في هذا النحو ان الظرف اقيم مقام الفاعل وترك على الفتح الذي كان يجري عليه في الكلام لجريه في اكثر الكلام منصوبا وكذلك تقول في قوله وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك وكذلك يجيء قياس قوله لقد تقطع بينكم فاللفظ على قوله مفتوح والموضع رفع كما كان اللفظ في قوله وكفى بالله وما جاءني من رجل مجرور والموضع رفع والقول في قراءة ابن عامر يفصل مثل القول في يفصل وقول عاصم يفصل حسن والضمير يرجع إلى اسم الله تعالى ودل عليه قوله وانا أعلم بما اخفيتم وما اعلنتم وكذلك قول من قرأ يفصل وبري في تكسيره اربعة أوجه برءآء كالشريف والشرفاء وهو قراءة الجماعة وبراء نحو ظريف وظراف وابرياء كصديق واصدقاء وبراء كتؤام ورباب وعليه بيت الحارث بن حلزة « فإنا من قتلهم لبراء » قال الفراء أراد ببرءآء فحذف الهمزة التي هي لام تخفيفا وأخذ هذا الموضع من ابي الحسن في قوله ان اشياء اصله اشيئاء وهذا المذهب يوجب ترك صرف برآء لأنها همزة التأنيث

الاعراب

ذهب الزجاج الى ان التقدير ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلاتتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقيل ان الكلام قد تم عند قوله اولياء ثم قال تلقون اليهم على تقدير أتلقون فحذف الهمزة كقوله وتلك نعمة تمنها علي وتقديره أوتلك نعمة وقيل ان قوله تلقون اليهم بالمودة في موضع النصب على الحال من الضمير في لاتتخذوا والباء مزيدة والتقدير تلقون اليهم المودة كما قال الشاعر:

فَلَمَّا رَجَتْ بِالشُّرْبِ هَزَّلَهَا الْعَصَا شَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الْإِزَاءِ نَهِيمُ(١)

أي رجت الشرب ويجوز ان يكون مفعول تلقون محذوفا والباء تتعلق به اي تلقون اليهم ما تريدون بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا جملة في موضع نصب على الحال من العدو أومن الهاء والميم في قوله تلقون اليهم واياكم منصوب بالعطف على الرسول ان كنتم خرجتم جواب الشرط محذوف لدلالة ماتقدمه من الكلام عليه أي ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وجهادا مفعول له اي للجهاد ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال وابتغاء مرضاتي معطوف عليه على الوجهين والتقدير للحال: خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين مرضاتي . وحده يجوز ان يكون مصدرا محذوف الزوائد والتقدير توحدونه توحيدا اوتوحدونه ايحادا فيكون مصدرا وضع موضع الحال ويجوز ان يكون مصدر فعل ثلاثي تقديره يجد وحده والتقدير حتى تؤمنوا بالله واحدا . إلا قول ابراهيم منصوب على الاستثناء والمستثنى منه الضمير المستكن فيما يتعلق به اللام في قوله قد كانت لكم اسوة حسنة والتقدير ثبتت لكم في ابراهيم الا في قوله لاستغفرن لك

النزول

نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هشام اتت رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله ﷺ امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهب موالي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني قال فأين انت من شبان مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني بعد وقعة بدر فحث رسول الله ﷺ عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها واعطوها نفقة وكان رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فأتاها حاطب بن ابي بلتعة وكتب معها كتابا الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير عن ابن عباس وعشرة دراهم عن مقاتل بن حيان وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب: من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما فعل فبعث رسول الله ﷺ عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي ذكره رسول الله ﷺ فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله مامعها من كتاب فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي (ع) والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال لها اخرجي الكتاب والا والله لاضربن عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذؤابتها قد اخبأته في شعرها فرجعوا بالكتاب الى رسول الله ﷺ فارسل الى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال

(١) الازاء: مصب الماء في الحوض ونهم الاكل في الطعام: شره وحرص وافرط الشهوة فيه وكان لاتمتلىء عينه ولايشبع

يارسول الله والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الاوله بمكة من يمنع عشيرته و كنت عريرا فيهم اي غريبا وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فأردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه وان كتابي لايغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله ﷺ وعذره فقام عمر بن الخطاب وقال دعني يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ ومايدريك ياعمر لعل الله اطلع على أهل بدر فغفرلهم فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبيد الله بن ابي رافع قال سمعت عليا (ع) يقول بعثنا رسول الله ﷺ انا والمقداد والزبير وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخرجنا وذكر نحوه

المعنى

(يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم اولياء) خاطب سبحانه المؤمنين ونهاهم ان يتخذوا الكافرين أولياء يوالونهم ويستنصرونهم وينصرونهم (تلقون اليهم بالمودة) اي تلقون اليهم المودة وتبذلون لهم النصيحة يقال القيت اليك بسري وقيل معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله ﷺ بالمودة التي بينكم وبينهم عن الزجاج (وقد كفروا بما جائكم من الحق) وهو القرآن والإسلام (يخرجون الرسول وايا كم) من مكة (ان تؤمنوا بالله ربكم) اي لأن تؤمنوا او كراهة ان تؤمنوا فكأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم الذي خلقكم (ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) والمعنى ان كان غرضكم في خروجكم وهجرتكم الجهاد وطلب رضاي فأوفوا خروجكم حقه من معاداتهم ولاتلقوا اليهم بالمودة ولاتتخذوهم اولياء (تسرون اليهم بالمودة) اي تعلمونهم في السر أن بينكم وبينهم مودة وقيل الباء للتعليل اي تعلمونهم باحوال الرسول في السر بالمودة التي بينكم وبينهم فعل من يظن انه يخفى عليّ مايفعله (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) لايخفى عليّ شيء من ذلك فاطلع رسولي عليه (ومن يفعله منكم) اي ومن اسر اليهم بالمودة والقي اليهم اخبار رسولي منكم ياجماعة المؤمنين بعد هذا البيان (فقد ضل سواء السبيل) اي عدل عن طريق الحق وجار عن سبيل الرشد وفي هذه الآية دلالة على ان الكبيرة لاتخرج عن الإيمان لأن احدا من المسلمين لايقول ان حاطبا قد خرج من الإيمان بما فعله من الكبيرة الموبقة (ان يثقفوكم) يعني ان هؤلاء الكفار ان يصادفوكم مقهورين ويظفروا بكم (يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) اي يمدوا اليكم ايديهم بالضرب والقتل ويبسطوا اليكم السنتهم بالشتم والمعنى انهم يعادونكم ولاينفعكم ماتلقون اليهم ولايتركون غاية في الحاق السوء بكم باليد واللسان (وودوا) مع ذلك (لو تكفرون) بالله كما كفروا وترجعون عن دينكم (لن تنفعكم ارحامكم) اي ذووا ارحامكم والمعنى قراباتكم (ولا اولادكم) اي لايحملنكم قراباتكم ولا اولادكم التي بمكة على خيانة النبي ﷺ والمؤمنين فلن ينفعكم اولئك الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيمة يفصل) الله (بينكم) فيدخل اهل الايمان والطاعة الجنة واهل الكفر والمعصية النار ويميز بعضكم من بعض ذلك اليوم فلا يرى القريب المؤمن في الجنة قريبه الكافر في النار وقيل معناه يقضي بينكم من فصل القضاء (والله بما تعملون بصير) اي عليم باعمالكم علم الله سبحانه باعمله حاطب من مكاتبة اهل مكة حتى اخبر نبيه ﷺ بذلك ثم ضرب سبحانه لهم ابراهيم مثلا في ترك موالاة الكفار فقال (قد كانت لكم اسوة حسنة) اي اقتداء حسن (في ابراهيم) خليل الله (والذين معه) ممن آمن به واتبعه وقيل الذين معه الانبياء عن ابن زيد

(اذ قالوا لقومهم) الكفار (انا برءآؤ منكم) فلا نواليكم (ومما تعبدون من دون الله) اي وبراء من الاصنام التي تعبدونها ويجوز ان يكون ما مصدرية فيكون المعنى ومن عبادتكم الاصنام (كفرنا بكم) اي يقولون لهم جحدنا دينكم وانكرنا معبودكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا) فلا يكون بيننا موالاة في الدين (حتى تؤمنوا بالله وحده) اي تصدقوا بوحدانية الله واخلاص التوحيد والعبادة له قال الفراء يقول الله تعالى افلا تأتسي ياحاطب بابراهيم وقومه فتبرأ من اهلك كما تبرؤا منهم اي من قومهم الكفار (الاقول ابرهيم لأبيه لاستغفرن لك) اي اقتدوا بإبراهيم في كل اموره الا في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنه عليه السلام انما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها اياه بالإيمان فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قال الحسن وانما تبين له ذلك عند موت ابيه ولم يستثن ذلك لظن انه يجوز الاستغفار للكفار مطلقاً من غير موعدة بالإيمان منهم فنهوا ان يقتدوا به في هذا خاصة عن مجاهد وقتادة وابن زيد وقيل كان آزر بن افق ابراهيم ويربيه انه مسلم وبعده اظهار الإسلام فيستغفر له عن الحسن والجبائي ثم قال (وما املك لك من الله من شيء) اذا اراد عقابك ولا يمكنني دفع ذلك عنك (ربنا عليك توكلنا) اي وكانوا يقولون ذلك (واليك انبنا) اي الى طاعتك رجعنا (واليك المصير) اي الى حكمك المرجع وهذه حكاية لقول ابراهيم وقومه ويحتمل ان يكون تعليما لعباده ان يقولوا ذلك فيفوضوا امورهم اليه ويرجعون اليه بالتوبة (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) معناه لا تعذبنا بايديهم ولا ببلاء من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق لما اصابهم هذا البلاء عن مجاهد وقيل معناه ولا تسلطهم علينا فيفتنونا عن دينك وقيل معناه الطف لنا حتى نصبر على اذاهم ولا تتبعهم فتصير فتنة لهم وقيل معناه اعصمنا من موالاة الكفار فانا اذا والیناهم ظنوا انا صوبناهم وقيل معناه لا تخذلنا إذا حاربناهم فلو خذلتنا لقالوا لو كان هؤلاء على الحق لما خذلوا (واغفر لنا ربنا) ذنوبنا (انك انت العزيز) الذي لا يغالب (والحكيم) الذي لا يفعل الا الحكمة والصواب وفي هذا تعليم للمسلمين ان يدعوا بهذا الدعاء

قوله تعالى (٦) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٧) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اربع آيات

النزول

نزل قوله لا ينهاكم الله الآية في خزاعة وبني مدلج وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احداً عن ابن عباس

المعنى

ثم اعاد سبحانه في ذكر الأسوة فقال (لقد كان لكم فيهم) اي في ابراهيم ومن آمن معه (أسوة حسنة) اي قدوة حسنة وإنما اعاد ذكر الأسوة لأن الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول فإن الثاني فيه بيان أن الأسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب والأول فيه بيان أن الأسوة في المعاداة للكفار وقوله (لمن كان يرجوا

الله واليوم الآخر) بدل من قوله لكم وهو بدل البعض من الكل مثل قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وفيه بيان ان هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة وهو قوله واليوم الآخر وقيل يرجو ثواب الله وما يعطيه من ذلك في اليوم الآخر (ومن يتول) اي ومن يعرض عن هذا الاقتداء بابراهيم والانبياء والمؤمنين والذين معه فقد أخطأ حظ نفسه وذهب عما يعود نفعه اليه فحذفه لدلالة الكلام عليه وهو قوله (فإن الله هو الغني الحميد) أي الغني عن ذلك المحمود في جميع افعاله فلا يضره توليه ولكنه ضر نفسه (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اي من كفار مكة (مودة) بالإسلام قال مقاتل لما أمر الله سبحانه المؤمنين بعداوة الكفار عادوا اقرباءهم فنزلت هذه الآية والمعنى أن موالاة الكفار لا تنفع والله سبحانه قادر على أن يوفقهم للايمان وتحصل المودة بينكم وبينهم فكونوا على رجاء وطمع من الله أن يفعل ذلك وقد فعل ذلك حين اسلموا عام الفتح فحصلت المودة بينهم وبين المسلمين (والله قدير) على نقل القلوب من العداوة الى المودة وعلى كل شيء يصح أن يكون مقدورا له (والله غفور) لذنوب عباده (رحيم) بهم إذا تابوا واسلموا (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) اي ليس ينهاكم الله عن مخالطة أهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال وبرهم ومعاملتهم بالعدل وهو قوله (أن تبروهم وتقسطوا اليهم) اي وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد عن الزجاج وقيل ان المسلمين استأمروا النبي ﷺ في أن يبروا اقرباءهم من المشركين وذلك قبل أن يؤمروا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية وهي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل انه عنى بالذين لم يقاتلوكم من آمن من اهل مكة ولم يهاجر عن قتادة وقيل هي عامة في كل من كان بهذه الصفة عن ابن الزبير والذي عليه الإجماع أن بر الرجل من يشاء من اهل الحرب قرابة كان او غير قرابة ليس بمحرم وإنما الخلاف في اعطائهم مال الزكاة والفطرة والكفارات فلم يجوزه اصحابنا وفيه خلاف بين الفقهاء وقوله أن تبروهم في موضع جر بدل من الذين وهو بدل الاشتمال وتقديره لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم (إن الله يحب المقسطين) اي العادلين وقيل يحب الذين يجعلون لقراباتهم قسطا مما في بيوتهم من المطعومات ثم قال (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين) من اهل مكة وغيرهم (واخرجوكم من دياركم) ي منازلكم واملاككم (وظاهروا على اخراجكم) اي عاونوا على ذلك وعاضدوهم وهم العوام والاتباع عاونوا رؤسائهم على الباطل (ان تولوهم) اي ينهاكم الله عن ان تولوهم وتوادوهم وتحبوهم والمعنى أن مكاتبتكم بينهم[1] باظهار سر المؤمنين موالاة لهم (ومن يتولهم) منكم اي يوالهم وينصرهم (فأولئك هم الظالمون) يستحقون بذلك العذاب الأليم.

قوله تعالى (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ آيتان

(١) فى نسختين : مكاتبتهم بدل مكاتبتكم بينهم .

القراءة

قرأ أهل البصرة ولا تمسكوا بالتشديد والباقون ولا تمسكوا بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الأعرج فعقبتم بالتشديد وقراءة النخعي والزهري ويحيى بن يعمر بخلاف فعقبتم خفيفة القاف من غير الف وقراءة مسروق فعقبتم بكسر القاف من غير ألف والقراءة المشهورة فعاقبتم وقرأ مجاهد فاعقبتم

الحجة

حجة من قرأ لا تمسكوا قوله فإمساك بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً وامسك عليك زوجك وحجة من قال ولا تمسكوا قوله والذين يمسكون بالكتاب يقال امسكت بالشيء ومسكت به وتمسكت به قال ابن جني روينا عن قطرب قال فعاقبتم اصبتم عقبى منهن يقال عاقب الرجل شيئا إذا اخذ شيئا وانشد لطرفة « فعقبتم بذنوب غير مر » جمع مره فسروه على(١) اعطيتم وعدتم وقال في قوله ولم يعقب لم يرجع وحكي عن الأعمش انه قال عقبتم غنمتم وقد يجوز أن يكون عقبتم بوزن غنمتم وبمعناه جميعا وروي أيضا بيت طرفة فعقبتم بكسر القاف وحكى ابو عوانة عن المغيرة قال قرأت على ابراهيم فعاقبتم فأخذها على فعقبتم خفيفة ومعنى أعقبتم صنعتم بهم مثل ما صنعوا بكم

النزول

قال ابن عباس صالح رسول الله ﷺ بالحديبية مشركي مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم ومن أتى اهل مكة من اصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم ولم يردّوه عليه و كتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقال مقاتل هو صيفي(٢) بن الراهب في طلبها وكان كافرا فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر الى دار الإسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا التماس دنيا وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل منا وما خرجت إلا رغبة في الإسلام فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحن ويعطي ازواجهن مهورهن قال الزهري ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة(٣) بنت ابي امية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة(٤) والأخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية ام عبد الله بن عمر فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة عند قومها كافرة ثم تزوجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن امية وكانت ممن فرت الى رسول الله ﷺ من نساء الكفار فحبسها وزوّجها خالداً واميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرت منه وهو يومئذ كافر الى رسول الله

(١) في نسخة : ما اعطيتم بدل اعطيتم (٢) في نسختين : صيف بدل صيفي (٣) في المخطوطة : قريبة بدل قرنية (٤) ليس في

ﷺ فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة ابي العاص بن الربيع فاسلمت ولحقت بالنبي ﷺ في المدينة وأقام ابو العاص مشركا بمكة ثم اتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردها عليه رسول الله وقال الجبائي لم يدخل في شرط صلح الحديبية إلا رد الرجال دون النساء ولم يجر للنساء ذكر وان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة فجاء اخواها الى المدينة فسألا رسول الله ﷺ ردها عليهما فقال رسول الله ﷺ إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء فلم يردها عليهما قال الجبائي وإنما لم يجر هذا الشرط في النساء لأن المرأة إذا اسلمت لم تحل لزوجها الكافر فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينهما

﴿ المعنى ﴾

لما قطع سبحانه الموالاة بين المسلمين والكافرين بيّن حكم النساء المهاجرات وازواجهن فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) بالإيمان اي استوصفوهن الإيمان وسماهن مؤمنات قبل أن يؤمنّ لأنهن اعتقدن الإيمان (الله أعلم بإيمانهن) اي كنتم تعلمون بالامتحان ظاهر إيمانهن والله يعلم حقيقة إيمانهن في الباطن ثم اختلفوا في الامتحان على وجوه ﴿ احدها ﴾ أن الامتحان ان يشهدن أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله عن ابن عباس ﴿ وثانيها ﴾ ماروي عن ابن عباس ايضا في رواية أخرى أن امتحانهن ان يحلفن ماخرجن الا للدين والرغبة في الإسلام ولحب الله ورسوله ولم يخرجن لبغض زوج ولا لالتماس دنيا وروي ذلك عن قتاده (وثالثها) ان امتحانهن بما في الآية التي بعدها وهو أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين الآية عن عائشة ثم قال سبحانه (فإن علمتموهن مؤمنات) يعني في الظاهر (فلا ترجعوهن الى الكفار) اي لا تردوهن اليهم (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) وهذا يدل على وقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة وان لم يطلق المشرك (وآتوهم ما انفقوا) اي وآتوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال الزهري لولا الهدنة لم يرد الى المشركين الصداق كما كان يفعل قبل (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن) اي ولا جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحوا المهاجرات إذا اعطيتموهن مهورهن التي يستحل بها فروجهن لأنهن بالإسلام قد بنّ من ازواجهن (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) اي لا تمسكوا بنكاح الكافرات وأصل العصمة المنع وسمي النكاح عصمة لأن المنكوحة تكون في حبال الزوج وعصمته وفي هذا دلالة على انه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت حربية أو ذمية وعلى كل حال لأنه عام في الكوافر وليس لأحد أن يخص الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهن لأن المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب (واسئلوا ما انفقتم) اي إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ولم يدفعوها اليكم كما يسألونكم مهور نسائهم إذا هاجرن اليكم وهو قوله (وليسألوا ما انفقوا ذلكم) يعني ماذكر الله في هذه الآية (حكم الله يحكم بينكم والله عليم) بجميع الأشياء (حكيم) فيما يفعل ويأمر به قال الحسن كان في صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر والكافرة تحت المسلم فنسخته هذه الآية قال الزهري ولما نزلت هذه الآية آمن المؤمنون بحكم الله وادّوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما أمرهم به من اداء نفقات المسلمين فنزل (وإن فاتكم شيء من ازواجكم) أي احد من ازواجكم (الى الكفار) فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه فغزوتم وأصبتم من الكفار عقبى

وهي الغنيمة فظفرتم وكانت العاقبة لكم وقيل معناه فخلفتم(١) من بعدهم وصار الأمر اليكم عن مؤرج وقيل ان عقب وعاقب مثل صفر وصاغر بمعنى عن الفراء وقيل عاقبتم بمصير ازواج الكفار اليكم إما من جهة سبي او مجيئهن مؤمنات عن علي بن عيسى (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم) اي نساؤهم من المؤمنين(مثل ما انفقوا) من المهور عليهن من رأس الغنيمة و كذلك من ذهبت زوجته الى من بينكم وبينه عهد فنكث في اعطاء المهر فالذي ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة ولا ينقص شيئا من حقه بل يعطى كملا عن ابن عباس والجبائي وقيل معناه إن فاتكم أحد من ازواجكم الى الكفار الذين بينكم وبينهم عهد فغنمتم فأعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق اليها من الغنيمة ثم نسخ هذا الحكم في(٢) براءة فنبذ الى كل ذي عهد عهده عن قتادة وقال علي بن عيسى معناه فأعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من المهور كما عليهم أن يردوا عليكم مثل ما انفقتم لمن ذهب من ازواجكم (واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون)اي اجتنبوا معاصي الله الذي انتم تصدقون به ولا تجاوزوا امره وقال الزهري فكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام ست نسوة:ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة أخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن فضلة وزوجها عمرو ابن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فاعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة.

قوله تعالى (١٢) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ آيتان

الاعراب

من اصحاب القبور اي من بعث اصحاب القبور فحذف المضاف ويجوز أن يكون من تبيينا للكفار والتقدير كما يئس الكفار الذين هم من اصحاب القبور من الآخرة

المعنى

ثم ذكر سبحانه بيعة النساء وكان ذلك يوم فتح مكة لما فرغ النبي ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا جاءته النساء يبايعنه فنزلت هذه الآية فشرط الله تعالى في مبايعتهن أن يأخذ عليهن هذه الشروط وهو قوله (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) على هذه الشرائط وهي (أن لا يشركن بالله شيئا) من الأصنام والأوثان (ولا يسرقن) لا من ازواجهن ولا من غيرهم (ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن) على وجه من الوجوه لا بالوأد ولا بالإسقاط (ولا يأتين ببهتان يفترينه) اي بكذب يكذبنه في مولود يوجد (بين ايديهن وارجلهن) اي لا يلحقن بازواجهن غير اولادهم عن ابن عباس وقال الفراء كانت المرأة

(١) في نسخة فلحقتم بدل فخلفتم (٢) في المخطوطة سورة براءة (٣) في نسخة برزخ .

تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى بين ايديهن وارجلهن وذلك ان الولد اذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها وليس المعنى على نهيهن من أن يأتين بولد من الزنا فينسبنه إلى الازواج لأن الشرط بنهي الزنا قد تقدم وقيل البهتان الذى نهين عنه قذف المحصنات والكذب على الناس وإضافة الأولاد الى الازواج على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان (ولا يعصينك في معروف) وهو جميع ما يأمرهن به لأنه لا يأمر الا بالمعروف والمعروف نقيض المنكر وهو كل مادل العقل والسمع على وجوبه اوندبه وسمي معروفا لأن العقل يعترف به من جهة عظم حسنه ووجوبه وقيل عنى بالمعروف النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه والدعاء بالويل عن المقاتلين والكلبي والأصل ان المعروف كل بر وتقوى وأمر وافق طاعة الله تعالى (فبايعهن) على ذلك (واستغفر لهن الله) اي اطلب من الله أن يغفر لهن ذنوبهن ويسترها عليهن (إن الله غفور) أي صفوح عنهن (رحيم) منعم عليهن وروي أن النبي ﷺ بايعهن وكان على الصفا وكان عمر أسفل منه وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفا أن يعرفها رسول الله ﷺ فقال ابايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا فقالت هند انك لتأخذ علينا امراً ما رأيناك اخذته على الرجال وذلك أنه بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط فقال ﷺ ولا تسرقن فقالت هند إن ابا سفيان رجل ممسك واني اصبت من ماله هنات فلا ادري أيحل لي أم لا فقال ابو سفيان ما اصبت من مالي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يانبي الله عفا الله عنك فقال ﷺ ولا تزنين فقالت هند او تزني الحرة فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينه وبينها في الجاهلية فقال ﷺ ولا تقتلن اولادكن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتله علي بن ابي طالب (ع) يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم النبي ﷺ ولما قال ولا تأتين ببهتان فقالت هند والله ان البهتان قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ولما قال ولا يعصينك في معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا أن نعصيك في شيء وروى الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية أن لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا امرأة يملكها رواه البخاري في الصحيح وروي انه ﷺ كان اذا بايع النساء دعا بقدح ماء فمس فيه يده ثم غمس ايديهن فيه وقيل انه كان يبايعهن من وراء الثوب عن الشعبي والوجه في بيعة النساء مع انهن لسن من اهل النصرة بالمحاربة هو أخذ العهد عليهن بما يصلح من شأنهن في الدين والأنفس والازواج وكان ذلك في صدر الإسلام ولئلا ينفتق بهن فتق لما وقع من الأحكام فبايعهن النبي ﷺ حسما لذلك ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) اي لا تتولوا اليهود وذلك أن جماعة من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتواصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك عن المقاتلين وقيل اراد جميع الكفار اي لا تتخذوا كافرا من الكفار اولياء ثم وصف الكفار فقال (قد يئسوا من الآخرة) اي من ثواب الآخرة (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) يعني أن اليهود بتكذيبهم محمدا ﷺ وهم يعرفون صدقه وانه رسول قد يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة حظ وخير كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم في الآخرة حظ لأنهم قد ايقنوا بعذاب الله عن مجاهد وسعيد بن جبير

وقيل كما يئس كفار العرب من أن يحيا أهل القبور ابدا عن الحسن وقيل كما يئس الكفار من أن ينالهم خير من اصحاب القبور وقيل يريد بالكفار هاهنا الذين يدفنون الموتى اي يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من الاخرة كما يئس الذين دفنوا الموتى منهم

النظم

ختم الله سبحانه السورة بالأمر بقطع الموالاة من الكفار كما افتتحها به .

سورة الصف

وتسمى سورة الحواريين وسورة عيسى (ع) مدنية وهي اربع عشرة آية بلا خلاف

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة عيسى (ع) كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه . ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الصف وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله صفه الله مع ملائكته وانبيائه المرسلين

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه السورة بقطع موالاة الكفار افتتح هذه السورة بإيجاب ذلك ظاهرا وباطنا ثم بالأمر بالجهاد فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٤) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٥) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ خمس آيات

اللغة

المقت البغض والرص إحكام البناء يقال رصصت البناء اي احكمته واصله من الرصاص أي جعلته كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله

الاعراب

لم حذفت الألف من ما لشدة الاتصال مع ضعف حرف الاعتلال آخر الكلام لأنه حرف تعبير في موضع تعبير مقتا نصب على التمييز وأن تقولوا في موضع رفع بأنه فاعل كبر والتقدير كبر هذا القول مقتا

عند الله وقيل ان الفاعل مضمر فيه والتقدير كبر المقت مقتا عند الله نحو نعم رجلا زيد والمخصوص بالذم أن تقولوا. صفا مصدر في موضع الحال اي مصطفين

﴿ النزول ﴾

نزل قوله لم تقولون ما لا تفعلون في المنافقين عن الحسن وقيل نزل في قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدو لم نفر ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا وانفلوا يوم احد حتى شج وجه رسول الله ﷺ و كسرت رباعيته عن مقاتل والكلبي وقيل نزلت في قوم قالوا جاهدنا وابلينا وفعلنا ولم يفعلوا وهم كذبة عن قتادة(١) وقيل لما اخبر الله سبحانه رسوله بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعد قتالا لنفرغن فيه وسعنا ثم فروا يوم احد فعيرهم الله تعالى بذلك عن محمد بن كعب وقيل كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون وددنا لو أن الله دلنا على أحب الاعمال اليه فنعمل به فأخبرهم الله أن افضل الأعمال إيمان لا شك فيه والجهاد فكره ذلك ناس وشق عليهم وتباطأوا عنه فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين فقتله صهيب في القتال فقال رجل يا رسول الله قتلت فلانا ففرح بذلك رسول الله ﷺ فقال عمرو عبد الرحمن لصهيب اخبر النبي ﷺ انك قتلته وان فلانا ينتحله فقال صهيب انما قتلته لله ولرسوله فقال عمرو(٢) عبد الرحمن يا رسول الله إنما قتله صهيب فقال كذلك يا ابا يحيى قال نعم يا رسول الله فنزلت الآية والآية الاخرى عن سعيد بن المسيب

﴿ المعنى ﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) مر تفسيره وإنما اعيد هاهنا لأنه استفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبح له بالآية التي فيه كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم واذا دخل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قيل إن الخطاب للمنافقين وهو تقريع لهم بأنهم يظهرون الايمان ولا يبطنونه وقيل ان الخطاب للمؤمنين وتعيير لهم ان يقولوا شيئا ولا يفعلونه قال الجبائي هذا على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يقول سأفعل ومن عزمه ان لا يفعله فهذا قبيح مذموم ﴿ والآخر ﴾ ان يقول سأفعل ومن عزمه ان يفعله والمعلوم انه لا يفعله فهذا قبيح لأنه لا يدري أيفعله أم لا وينبغي في مثل هذا ان يقرن بلفظة ان شاء الله (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) أي كبر هذا القول وعظم مقتا عند الله وهو ان تقولوا ما لا تفعلونه وقيل معناه كبر ان تقولوا ما لا تفعلونه وتعدوا من انفسكم ما لا تفون به مقتا عند الله (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) اي يصفون انفسهم عند القتال صفا وقيل يقاتلون في سبيله مصطفين (كأنهم بنيان مرصوص) كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله وقيل كأنه حائط ممدود رص على البناء في احكامه واتصاله واستقامته اعلم الله سبحانه انه يحب من ثبت في القتال ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ومعنى محبة الله اياهم انه يريد ثوابهم ومنافعهم ثم ذكر سبحانه حديث موسى في صدق نيته وثبات عزيمته على الصبر في اذى قومه تسلية للنبي ﷺ في تكذيبهم اياه فقال (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم) هذا انكار عليهم ايذاءه بعد ما علموا انه رسول الله والرسول يعظم ويبجل ولا يؤذى وكان قومه آذوه بأنواع من الأذى وهو قولهم اجعل لنا إلها واذهب انت وربك فقاتلا وما روي في قصة قارون انه

(١) في نسخة: مقاتل بدل قتادة (٢) في نسخة عمرو بن عبد الرحمن في الموضعين.

وس اليه امرأة وزعم انه زنى بها ورموه بقتل هرون وقيل ان ذلك حين رموه بالادرة وقد ذكرنا ذلك عند قوله ولا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) اي فلما مالوا عن الحق والاستقامة حلاهم وسوء اختيارهم ومنعهم الالطاف التي يهدي بها قلوب المؤمنين كقوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه عن ابي مسلم وقيل ازاغ الله قلوبهم عما يحبون إلى ما يكرهون ولا يجوز ان يكون المراد ازاغ الله قلوبهم عن الإيمان لأن الله تعالى لا يجوز ان يزيغ احدا عن الايمان وايضا فإنه يخرج الكلام عن الفائدة لأنهم إذا زاغوا عن الإيمان فقد حصلوا كفارا فلا معنى لقوله ازاغهم الله عن الإيمان (والله لا يهدي القوم الفاسقين) اي لا يهديهم الله إلى الثواب والكرامة والجنة التي وعدها المؤمنين وقيل لا يفعل بهم الالطاف التي يفعلها بالمؤمنين بل يخليهم واختيارهم عن ابي مسلم.

قوله تعالى (٦) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٩) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ اربع آيات

القراءة

فتح اهل البصرة والحجاز وابو بكر الياء من قوله من بعدي اسمه أحمد ولم يفتحه الباقون وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير أبي بكر متم نوره مضافا والباقون متم نوره بالنصب والتنوين

الحجة

الإضافة ينوي بها الانفصال كما في قوله انا مرسلوا الناقة وذائقة الموت والنصب في متم نوره على انه في حال الفعل وفيما يأتي

الاعراب

قوله اسمه احمد في موضع جر لكونه وصفا للرسول كما أن قوله يأتي في موضع جر ايضا وتقديره اسمه قول احمد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه و كذلك قوله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة اي يجدون ذكره مكتوبا ألا ترى ان الشخص لا يكتب كما ان احمد عبارة عن الشخص والاسم قول والقول لا يكون الشخص وخبر المبتدأ يكون المبتدأ في المعنى ومفعول قوله يريدون محذوف وتقديره يريدون ذم الإسلام او يريدون هذا القول ليطفئوا نور الله اي لإطفاء نور الله والله متم نوره في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم عطف سبحانه بقصة عيسى (ع) على قصة موسى فقال (وإذ قال عيسى بن مريم) أي واذكر إذ قال عيسى بن مريم لقومه الذين بعث اليهم (يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية) المنزلة على موسى (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يعني نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم) كما قال الشاعر

صَلَّى الْإِلٰهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ اَحْمَدِ

ولهذا الاسم معنيان ﴿ احدهما ﴾ ان يجعل احمد مبالغة من الفاعل أي هو اكثر حمداً لله من غيره ﴿ والآخر ﴾ أن يجعل مبالغة من المفعول اي يحمد بما فيه من الأخلاق والمحاسن اكثر مما يحمد غيره وصحت الرواية عن الزهري عن محمد بن جبير بن المطعم عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ ان لي اسماء أنا أحمد وانا محمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي أورده البخاري في الصحيح وقد تضمنت الآية ان عيسى بشر قومه بمحمد ﷺ وبنبوته وأخبرهم برسالته وفي هذه البشرى معجزة لعيسى «ع» عند ظهور محمد ﷺ وامر لأمته أن يؤمنوا به عند مجيئه (فلما جاءهم) احمد (بالبينات) اي بالدلالات الظاهرة والمعجزات الباهرة (قالوا هذا سحر مبين) اي ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أي من أشد ظلما ممن اختلق الكذب على الله وقال لمعجزاته سحر وللرسول انه ساحر كذاب (وهو يدعى إلى الإسلام) الذي فيه نجاته وقيل يدعى إلى الاستسلام لأمره والانقياد لطاعته (والله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بفعل الكفر والمعاصي قال ابن جريج هم الكفار والمنافقون ويدل عليه قوله بعد (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) اي يريدون اذهاب نور الإيمان والإسلام بفاسد الكلام الجاري مجرى تراكم الظلام فمثلهم فيه كمثل من حاول اطفاء نور الشمس بفيه (والله متم نوره) أي مظهر كلمته ومؤيد نبيه ومعلن دينه وشريعته ومبلغ ذلك غايته (ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله) محمداً ﷺ (بالهدى) من التوحيد واخلاص العبادة له (ودين الحق) وهو دين الإسلام وما تعبّد به الخلق (ليظهره على الدين كله) بالحجة والتأييد والنصرة (ولو كره المشركون) وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لأنه سبحانه قد اظهر دينه على جميع الأديان بالاستعلاء والقهر واعلاء الشأن كما وعده ذلك في حال الضعف وقلة الاعوان واراد بالدين جنس الأديان فلذلك ادخل الألف واللام وروى العياشي بالاسناد عن عمران بن ميثم عن عباية انه سمع امير المؤمنين (ع) يقول هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أظهر بعدُ ذلك قالوا نعم قال كلا فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة ان لا إله إلا الله بكرة وعشياً.

قوله تعالى (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١١) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٢) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ

الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والباقون تنجيكم بالتخفيف وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو انصاراً بالتنوين لله بغير الف والباقون أنصار الله بالإضافة إلى الله.

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ تنجيكم بالتشديد قوله ونجينا الذين آمنوا وحجة التخفيف فأنجاه الله من النار

اللغة

التجارة طلب الربح في شراء المتاع واستعير هنا لطلب الربح في اعمال الطاعة والجهاد مقاتلة العدو

الاعراب

انما جاز تؤمنون بالله مع انه محمول على تجارة وخبر عنها ولا يصح ان يقال للتجارة تؤمنون وإنما يقال(١) أن تؤمنوا بالله لأنه جاء على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره وإنما انعقاده بالتجارة في المعنى لا في اللفظ وفي ذلك توطئة لما يبنى على المعنى في الايجاز(٢) والعرب تقول هل لك في خير تقوم إلى فلان فتعوده وان تقوم اليه وقوله يغفر لكم ذنوبكم في كونه مجزوماً وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه جواب هل أدلكم وهو قول الفراء وانكره أصحابنا البصريون وقالوا ان الدلالة على التجارة لا توجب المغفرة ﴿ والآخر ﴾ انه محمول على المعنى لأن قوله تؤمنون بالله معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيله وهو أمر جاء على لفظ الخبر ويدل على ذلك قراءة عبد الله بن مسعود آمنوا بالله وجاهدوا ولا يمتنع ان يأتي الأمر بلفظ الخبر كما أتى الخبر بلفظ الامر في قوله فليمدد له الرحمن مداً المعنى فمد له الرحمن مداً لأن القديم تعالى لا يأمر نفسه ومثل ذلك اسمع بهم وابصر لفظه أمر ومعناه خبر ويجوز أن يكون قوله تؤمنون مرفوعاً بسقوط ان والموصول والصلة في موضع جر على البدل من تجارة وتقديره هل أدلكم على تجارة إيمان بالله وقوله وأخرى في موضع جر بأنها صفة لموصوف محذوف مجرور بالعطف على تجارة تقديره وعلى تجارة أخرى محبوبة وقال الزجاج تقديره ولكم تجارة أخرى فعلى هذا يكون أخرى صفة موصوف محذوف مرفوع بالابتداء وتحبونها صفة بعد صفة ونصر خبر مبتدأ محذوف تقديره هي نصر من الله . من أنصاري إلى الله إلى هاهنا بمعنى مع أي مع الله

المعنى

لما تقدم ذكر الرسول عقبه سبحانه بذكر الدعاء إلى قبول قوله ونصرته والعمل بشريعته فقال (يا أيها الذين آمنوا) وهو خطاب للمؤمنين على العموم وقيل هو خطاب لمن تقدم ذكرهم في أول السورة (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) صورته صورة العرض والمراد به الأمر على سبيل التلطف في الاستدعاء إلى الإخلاص في الطاعة والمعنى هل ترغبون في تجارة منجية من العذاب الأليم وهو الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وذلك قوله (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم) وانما انزل هذا لما قالوا لو نعلم أي الأعمال أفضل واحب إلى الله لعملناه فجعل الله سبحانه ذلك العمل بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيها رضى الله والفوز بالثواب والنجاة من العقاب (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) اي ماوصفته وذكرته لكم اقمع لكم وخير عاقبة لو علمتم ذلك واعترفتم بصحته وقيل ان معناه ان التجارة التي دللتكم عليها خير لكم من التجارة التي أنتم مشتغلون بها لأنها تؤدي إلى ربح لا يزول ولا يبيد وهذه تؤدي إلى ربح يزول

(١) كذا في النسخ والظاهر زيادة الواو (٢) في المخطوطة الاتجار بدل الايجاز

ويبيد ان كنتم تعلمون مضار الأشياء ومنافعها يغفر لكم ذنوبكم اي فإنكم ان عملتم بذلك (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة) اي مواضع تسكنونها مستلذة مستطابة (في جنات عدن) أي اقامة لا تبغون عنها حولا (ذلك الفوز العظيم) لا ما يعده الناس فوزا من طول البقاء وولاية الدنيا وسأل الحسن عمران بن الحصين وابا هريرة عن تفسير قوله ومساكن طيبة في جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال قصر من لؤلؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة قال ويعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله ثم قال سبحانه (واخرى تحبونها) اي وتجارة أخرى او خصلة أخرى تحبونها عاجلا مع ثواب الآجل وهذا من الله تعالى زيادة ترغيب اذ علم سبحانه أن فيهم من يحاول عاجل النصر إما رغبة في الدنيا وإما تأييداً للدين فوعدهم ذلك بأن قال (نصر من الله وفتح قريب) اي تلك الخصلة او تلك التجارة نصر من الله لكم على اعدائكم وفتح قريب لبلادهم يعني النصر على قريش وفتح مكة عن الكلبي وقيل يريد فتح فارس والروم وسائر فتوح الإسلام على العموم عن عطاء وقريب معناه قريب كونه وقيل قريب منكم يقرب الرجوع ثم إلى اوطانكم (وبشر المؤمنين) اي بشرهم بهذين الثوابين عاجلا وآجلا على الجهاد وهو النصر في الدنيا والجنة في العقبى ثم حض سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال (يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) اي انصار دينه واعوان نبيه وإنما اضاف الى نفسه كما يقال للكعبة بيت الله وقيل لحمزة بن عبد المطلب اسد الله فالمعنى دوموا على ما انتم عليه من النصرة (كما قال عيسى بن مريم) اي مثل قول عيسى بن مريم للحواريين وهم خاصة الانبياء وسموا بذلك لأنهم اخلصوا من كل عيب عن الزجاج وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم وقيل لأنهم كانوا قصارين (من انصاري إلى الله) والمعنى قل يا محمد اني ادعوكم الى هذا الأمر كما دعا عيسى قومه فقال من انصاري مع الله ينصرني مع نصرة الله اياي وقيل الى الله اي فيما يقرب الى الله كما يقال اللهم منك واليك (قال الحواريون نحن انصار الله) أي انصار دين الله وأولياء الله وقيل انهم إنما سموا نصارى لقولهم نحن انصار الله (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) اي صدقت بعيسى (وكفرت طائفة اخرى) به قال ابن عباس يعني في زمن عيسى (ع) وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين وذلك قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) اي عالين غالبين وقيل معناه اصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ بأن عيسى كلمة الله وروحه عن ابراهيم وقيل بل ايدوا في زمانهم على من كفر بعيسى عن مجاهد وقيل معناه فآمنت طائفة من بني اسرائيل بمحمد ﷺ وكفرت طائفة به فأصبحوا قاهرين لعدوهم بالحجة والقهر والغلبة وبالله التوفيق.

﴿ تم الجزء التاسع من التفسير ﴾

= الجزء العاشر =

سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الجمعة اعطي عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين . منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال من الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعة أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة وسبح اسم ربك وفي صلاة الظهر بالجمعة والمنافقين فإذا فعل فكأنما يعمل عمل رسول الله ﷺ وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنة

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الصف بالترغيب في عبادته والدعاء اليها وذكر تأييد المؤمنين بالنصر والظهور على الاعداء افتتح هذه السورة ببيان قدرته على ذلك وعلى جميع الاشياء فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٥) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (خمس آيات)

اللغة

الاسفار الكتب واحدها سِفر وإنما سمي بذلك لأنه يكشف عن المعنى بإظهاره يقال سفر الرجل عمامته إذا كشفها وسفرت المرأة عن وجهها فهي سافرة ومنه والصبح إذا اسفر

الاعراب

وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن هذه مخففة من إنّ ولهذا لزمها اللام الفارقة في خبر كان لئلا يلتبس بإن النافية وآخرين مجرورة لأنه صفة محذوف معطوف على الامين أي وفي قوم آخرين ويحتمل أن يكون منصوبا بالعطف على هم في يعلمهم . يحمل اسفارا في موضع النصب على الحال . بئس مثل القوم المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله مثلهم فيكون الذين في موضع جرّ ويجوز أن يكون التقدير بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعلى هذا يكون الذين في موضع رفع وهو المخصوص بالذم

﴿ المعنى ﴾

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) أي ينزّهه سبحانه كل شيء ويشهد له بالوحدانية والربوبية بما ركب فيها من بدائع الحكمة وعجائب الصنعة الدالة على انه قادر عالم حي قديم سميع بصير حكيم لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء وإنما قال مرة سبح ومرة يسبح إشارة إلى دوام تنزيهه في الماضي والمستقبل (الملك) أي القادر على تصريف الاشياء (القدوس) أي المستحق للتعظيم الطاهر عن كل نقص (العزيز) القادر الذي لا يمتنع عليه شيء (الحكيم) العالم الذي يضع الاشياء موضعها (هو الذي بعث في الاميين) يعني العرب وكانت امة امية لا تكتب ولا تقرأ ولم يبعث اليهم نبي عن مجاهد وقتادة وقيل يعني اهل مكة لأن مكة تسمى ام القرى (رسولا منهم) يعني محمداً ﷺ نسبه نسبهم وهو من جنسهم كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ووجه النعمة في انه جعل النبوة في امي موافقته لما تقدمت البشارة به في كتب الانبياء السالفة ولأنه ابعد من توهم الاستعانة على ما اتى به من الحكمة بالحكم التي تلاها والكتب التي قرأها واقرب إلى العلم بأن ما يخبرهم به من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية على وفق ما في كتبهم ليس ذلك الا بالوحي (يتلوا عليهم آياته) اي يقرأ عليهم القرآن المشتمل على الحلال والحرام والحجج والاحكام (ويزكيهم) أي ويطهّرهم من الكفر والذنوب ويدعوهم إلى ما يصيرون به ازكياء (ويعلمهم الكتاب والحكمة) الكتاب القرآن والحكمة الشرائع وقيل إن الحكمة تعمّ الكتاب والسنة وكل ما اراده الله تعالى فإن الحكمة هي العلم الذي يعمل عليه فيما يجتنب من امور الدين والدنيا (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) معناه وما كانوا من قبل بعثه اليهم إلا في عدول عن الحق وذهاب عن الدين بيّن ظاهر (وآخرين منهم) أي ويعلم آخرين من المؤمنين (لما يلحقوا بهم) وهم كل مَنْ بعد الصحابة الى يوم القيامة فإن الله سبحانه بعث النبي اليهم وشريعته تلزمهم وإن لم يلحقوا بزمان الصحابة عن مجاهد وابن زيد وقيل هم الأعاجم ومن لا يتكلم بلغة العرب فإن النبي ﷺ مبعوث إلى من شاهده والى كل من بعدهم من العرب والعجم عن ابن عمر وسعيد بن جبير وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وروي أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية فقيل له من هؤلاء فوضع يده على كتف سلمان وقال لو كان الإيمان في الثريا لنالته رجال من هؤلاء وعلى هذا فإنما قال منهم لأنهم إذا اسلموا صاروا منهم فإن المسلمين كلهم يد واحدة على من سواهم وامة واحدة وان اختلف اجناسهم كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ومن لم يؤمن بالنبي ﷺ فإنهم ليسوا ممن عناهم الله تعالى بقوله وآخرين منهم وان كان مبعوثا اليهم بالدعوة لقوله سبحانه ويزكيهم ويعلمهم ومن لم يؤمن فليس ممن زكاه وعلمه القرآن والسنة وقيل إن قوله لما يلحقوا بهم يعني في الفضل والسابقة فإن التابعين لا يدركون شأن السابقين من الصحابة وخيار المؤمنين (وهو العزيز) الذي لا يغالب (الحكيم) في جميع افعاله (ذلك فضل الله) يعني النبوة التي خصّ الله بها رسوله عن مقاتل (يؤتيه) اي يعطيه (من يشاء) بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثة وتحمل اعباء الرسالة (والله ذو الفضل العظيم) ذو المنّ العظيم على خلقه ببعث محمد ﷺ وروى محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله إن للأغنياء ما يتصدقون وليس لنا ما نتصدّق ولهم ما يحجّون وليس لنا ما نحجّ ولهم ما يعتقون وليس لنا ما نعتق فقال ﷺ من كبّر الله مائة مرة كان افضل من عتق

رقبة ومن سبّح الله مائة مرة كان افضل من مائة فرس في سبيل الله يسرجها ويلجمها ومن هلّل الله مائة مرة كان افضل الناس عملا في ذلك اليوم إلا من زاد فبلغ ذلك الاغنياء فقالوه فرجع الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا يارسول الله قد بلغ الاغنياء ما قلت صنعوه فقال ﷺ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم ضرب سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلا فقال (مثل الذين حملوا التورية) أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) حق حملها من اداء حقها والعمل بموجبها لانهم حفظوها ودونوها كتبهم ثم لم يعملوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) لأن الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يحسّ بما فيها فمثل من يحفظ الكتاب ولا يعمل بموجبه كمثل من لا يعلم ما فيما يحمله قال ابن عباس فسواء حمل على ظهره أو جحده إذا لم يعمل به وعلى هذا فمن تلا القرآن ولم يفهم معناه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه كان هذا المثل لاحقا به وان حفظه وهو طالب لمعناه فليس من اهل هذا المثل وانشد أبو سعيد الضرير في ذلك

زَوَامِلُ لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ ... بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْمَطِيُّ إِذَا غَدَا ... بِأَسْفَارِهِ إِدْرَاحَ مَا فِي الغَرَائِرِ(١)

(بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم لأنه سبحانه ذمّ مثلهم والمراد به ذمّهم واليهود كذبوا بالقرآن والتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يفعل بهم من الالطاف التي يفعلها بالمؤمنين الذين بها يهتدون وقيل لا يثيبهم ولا يهديهم إلى الجنة وعن محمد بن مهران قال يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم وتلا هذه

قوله تعالى (٦) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٨) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٠) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١١) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (ست آيات)

﴿ اللغة ﴾

الزعم قول عن ظن أو علم ولذلك صار من باب الظن والعلم وعمل ذلك العمل قال

فَإِنْ تَزْعَمِينِي كُنْتُ أَجْهَلُ فِيكُمُ ... فَإِنِّي شَرَيْتُ الْحِلْمَ بَعْدَكِ بِالْجَهْلِ

والاولياء جمع ولي وهو الحقيق بالنصرة التي يوليها عند الحاجة والله ولي المؤمنين لأنه يوليهم النصرة عند حاجتهم والمؤمن ولي الله لهذه العلة ويجوز أن يكون لأنه يولي المطيع له نصرة عند حاجته والتمني هو

(١) قائله مروان بن سليمان وزوامل جمع الزاملة : البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع وفى اللسان «للاشعار» بدل «للاسفار» و «بأرساقه» مكان «باسفاره» وقال انه هجا قوماً من رواة الشعر .

قول القائل لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان فهو يتعلق بالماضي والمستقبل وهو من جنس الكلام عن الجبائي والقاضي وقال ابو هاشم هو معنى في النفس يوافق هذا القول والجُمعة والجُمعة لغتان وجمعها جُمَع وجُمعات قال الفراء وفيها لغة ثالثة جُمَعة بفتح الميم كضُحَكَة(١) وهُمَزة وإنما سمي جمعة لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لأنه تجتمع فيه الجماعات وقيل إن أول من سمّاها جمعة كعب بن لؤي وهو أول من قال أما بعد و كان يقال للجمعة العروبة عن ابي سلمة وقيل إن أول من سمّاها جمعة الانصار قال ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة وقيل قبل أن تنزل الجمعة قالت الانصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم ايضا مثل ذلك فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونشكره و كما قالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى اسعد بن زرارة فصلّى بهم يومئذ وذكرهم فسمّوه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم اسعد بن زرارة شاة فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة وذلك لقلتهم فانزل الله تعالى في ذلك إذا نودي للصلاة الآية فهذه أول جمعة جمعت في الإسلام فأما اول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه فقيل انه قدم رسول الله ﷺ مهاجراً حتى نزل قبا على عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسّس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادلهم قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجد و كانت هذه الجمعة أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الإسلام فخطب في هذه الجمعة وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل فقال الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واؤمن به ولا اكفره واعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ارسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنوّ من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضّه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كانه من سوى ذلك يودّ لو أن بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدّل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه

(١) رجل ضحكة اى كثير الضحك .

وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فلهذا صارت الخطبة شرطا في إنعقاد الجمعة

﴿ النزول ﴾

قال جابر بن عبد الله اقبلت عير ونحن نصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير اثني عشر رجلا أنا فيهم فنزلت الآية وإذا رأوا تجارة أو لهوا وقال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشية أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي ﷺ إلا رهط فنزلت الآية فقال والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى احد منكم لسال بكم الوادي نارا وقال المقاتلان بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم احد بني الخزرج ثم احد بني زيد بن مناة من الشام بتجارة وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا اتته وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق أو برّ أو غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال ﷺ لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء وانزل الله هذه الآية وقيل لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط عن الكلبي عن ابن عباس وقيل إلا احد عشر رجلا عن ابن كيسان وقيل انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل يوم مرة لعير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة عن قتادة ومقاتل

﴿ المعنى ﴾

لما تقدّم ذكر اليهود في انكارهم ما في التوراة أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخاطبهم بما يفحمهم فقال (قل) يا محمد (يا أيها الذين هادوا) اي سموا يهودا (ان زعمتم انكم أولياء لله) أي ان كنتم تظنون على زعمكم انكم انصار الله وان الله ينصركم (من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) انكم ابناء الله واحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم اليه ثم اخبر سبحانه عن حالهم في كذبهم واضطرابهم في دعواهم وانهم غير واثقين بذلك فقال (ولا يتمنونه ابدا بما قدّمت ايديهم) من الكفر والمعاصي (والله عليم بالظالمين) أي عالم بأفعالهم واحوالهم وقد تقدّم تفسير الآيتين في سورة البقرة وفيه معجزة للرسول لأنه اخبر انهم لا يتمنون الموت ابداً لما يعرفون من صدق النبي ﷺ وكذبهم فكان الأمر كما قال وروي انه ﷺ قال لو تمنّوا لماتوا عن آخرهم (قل) يا محمد (إن الموت الذي تفرّون منه فإنه ملاقيكم) أي انكم وان غررتم من الموت وكرهتموه فإنه لا بدّ ينزل بكم ويلقاكم ويدركم ولا ينفعكم الهرب منه وإنما قال فإنه ملاقيكم بالفاء سواء فروا منه اولم يفروا منه فإنه ملاقيهم مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه لأنه إذا كان الفرار بمنزلة السبب في ملاقاته فلا معنى للتعرض للفرار لأنه لا يباعد منه وإلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) في قوله كل امرئ لاقٍ ما يفرّ منه والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته وقال زهير

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

ولا شك انها تناله هابها أو لم يهبها ولكنه إذا كانت هيبته بمنزلة السبب للمنية فالهيبة لا معنى لها وقيل إن التقدير قل إن الموت هو الذي تفرون منه فجعل الذي في موضع الخبر لا صفة للموت ويكون فإنه مستأنفا (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) أي ترجعون إلى الله الذي يعلم سركم وعلانيتكم يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) في دار الدنيا ويجازيكم بحسبها ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة) اي إذا اذن لصلاة الجمعة وذلك إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة وذلك لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداء سواه قال السايب بن زيد كان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد بلال فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام للصلاة ثم كان ابو بكر وعمر كذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا فأمر بالتأذين الأول على سطح دار له بالسوق يقال له الزوراء وكان يؤذن له عليها فإذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذنه فإذا نزل اقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه (فاسعوا إلى ذكر الله) أي فامضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين عن قتادة وابن زيد والضحاك وقال الزجاج معناه فامضوا إلى السعي الذي هو الإسراع وقرأ عبد الله بن مسعود فامضوا الى ذكر الله وروي ذلك عن علي بن ابي طالب (ع) وعمر بن الخطاب وابي بن كعب وابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقال ابن مسعود لو علمت الاسراع لأسرعت حتى يقع ردائي عن كتفي وقال الحسن ما هو السعي على الاقدام وقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقيل المراد بذكر الله الخطبة التي تتضمن ذكر الله والمواعظ (وذروا البيع) اي دعوا المبايعة قال الحسن كل بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة فإنه بيع حرام لا يجوز وهذا هو الذي يقتضيه ظاهر الآية لأن النهي يدل على فساد المنهي عنه (ذلكم) يعني ما امرتكم به من حضور الجمعة واستماع الذكر واداء الفريضة وترك البيع (خير لكم) وانفع لكم عاقبة (إن كنتم تعلمون) منافع الامور ومضارها ومصالح انفسكم ومفاسدها وقيل معناه اعلموا ذلك عن الجبائي وفي هذه الآية دلالة على وجوب الجمعة وفي تحريم جميع التصرفات عند سماع اذان الجمعة لأن البيع إنما خص بالنهي عنه لكونه من اعم التصرفات في اسباب المعاش وفيها دلالة على أن الخطاب للاحرار لأن العبد لا يملك البيع وعلى اختصاص الجمعة بمكان ولذلك أوجب السعي اليه وفرض الجمعة لازم جميع المكلفين إلا اصحاب الاعذار من السفر أو المرض أو العمى أو العرج أو أن يكون امرأة او شيخا هما لا حراك به أو عبدا أو يكون على رأس اكثر من فرسخين من الجامع وعند حصول هذه الشرائط لا يجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه السلطان للصلاة والعدد يتكامل عند اهل البيت (ع) بسبعة وقيل ينعقد بثلاثة سوى الإمام عن ابي حنيفة والثوري وقيل إنما ينعقد بأربعين رجلا احرارا بالغين مقيمين عن الشافعي وقيل ينعقد باثنين سوى الإمام عن ابي يوسف وقيل ينعقد بواحد كسائر الجماعات عن الحسن وداود والاختلاف بين الفقهاء في مسائل الجمعة كثير موضعه كتب الفقه (فإذا قضيت الصلوة فانتشروا في الأرض) يعني إذا صليتم الجمعة وفرغتم منها فتفرقوا في الأرض (وابتغوا من فضل الله) أي واطلبوا الرزق في البيع والشراء وهذا اباحة وليس بأمر وايجاب وروي عن انس عن النبي ﷺ قال في قوله فإذا قضيت الصلاة فانتشروا الآية ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل المراد بقوله وابتغوا من فضل

الله طلب العلم عن الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت وروى عمرو بن زيد عن ابي عبد الله قال اني لأركب في الحاجة التي كفاها الله ماأركب فيها إلا التماس أن يراني الله اضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عز اسمه فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله أرأيت لو أن رجلا دخل بيتا وطين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي كان يكون هذا. اما انه احد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء الثلاثة قال رجل تكون عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له لأن عصمتها في يده لو شاء أن يخلّي سبيلها لخلّى سبيلها والرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنه ترك ما امر به والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى يأكله ثم يدعو فلا يستجاب له (واذكروا الله كثيرا) أي اذكروه على احسانه واشكروه على نعمه وعلى ما وفقكم من طاعته واداء فرضه وقيل إن المراد بالذكر هنا الفكر كما قال تفكّر ساعة خير من عبادة سنة وقيل معناه اذكروا الله في تجارتكم واسواقكم كما روي عن النبي ﷺ انه قال من ذكر الله في السوق مخلصا عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له الف حسنة ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر (لعلكم تفلحون) أي لتفلحوا وتفوزوا بثواب النعيم علّق سبحانه الفلاح بالقيام بما تقدّم ذكره من اعمال الجمعة وغيرها وصحّ الحديث عن ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ من اغتسل يوم الجمعة فاحسن غسله ولبس صالح ثيابه ومسّ من طيب بيته او دهنه ثم لم يفرّق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام بعدها أورده البخاري في الصحيح وروى سلمان التيمي عن النبي ﷺ قال إن لله عز وجل في كل يوم جمعة ستمائة الف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار ثم اخبر سبحانه عن جماعة قابلوا أكرم الكرم بألأم اللؤم فقال (وإذا رأوا تجارة أو لهوا) أي عاينوا ذلك وقيل معناه إذا علموا بيعا وشراء أو لهوا وهو الطبل عن مجاهد وقيل المزامير عن جابر (انفضوا اليها) اي تفرّقوا عنك خارجين اليها وقبل مالوا اليها والضمير للتجارة وإنما خصّت بردّ الضمير اليها لأنها كانت اهمّ اليهم وهم بها أسر من الطبل لأن الطبل إنما دلّ على التجارة عن الفراء وقيل عاد الضمير إلى احدهما اكتفاء به وكأنه على حذف والمعنى وإذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه فحذف اليه لأن اليها يدل عليه وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال انصرفوا اليها (وتركوك قائما) تخطب على المنبر قال جابر بن سمرة ما رأيت رسول الله ﷺ خطب إلا وهو قائم فمن حدثك انه خطب وهو جالس فكذّبه وسئل عبد الله بن مسعود أكان النبي ﷺ يخطب قائما فقال أما تقرأ وتركوك قائما وقيل أراد قائما في الصلاة ثم قال تعالى (قل) يا محمد لهم (ما عند الله) من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصلاة والثبات مع النبي ﷺ (خير) واحمد عاقبة وانفع (من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) يرزقكم وان لم تتركوا الخطبة والجمعة

سورة المنافقين

مدنية بالاجماع وهي احدى عشرة آية

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة المنافقين برأ من النفاق

تفسيرها

لما ختم الله سورة الجمعة بما هو من علامات النفاق من ترك النبي ﷺ قائما في الصلاة أو في الخطبة والاشتغال باللهو وطلب الارتفاق افتتح هذه السورة بذكر المنافقين ايضا فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (٢) ٱتَّخَذُوا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٤) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو غير عباس والكسائي خُشْب ساكنة الشين والباقون خُشُب بضمها وقرأ نافع وروح عن يعقوب وسهل لووا بتخفيف الواو والباقون لوّوا بتشديدها وهو اختيار ابي عبيدة وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا ايمانهم بالكسر

الحجة

قال ابو علي من قرأ خُشْب جعله مثل بدنة وبُدْن ومثله اسد واُسْد ووثن ووُثْن في قوله إن يدعون من دونه الا اُثْنا قال سيبويه هي قراءة والتثقيل ان فُعُل قد جاء في نظيره قالوا اُسُد كما قالوا في جمع ثمر ثُمُر قال الشاعر« يَقْدُمُ اَقْداماً عَلَيْكُمْ كَالْاُسُد» قال ابو الحسن التحريك في خشب لغة اهل الحجاز وحجة من قرأ لووا بالتخفيف قوله ليّاً بالسنتهم فاللّيّ مصدر لوى مثل طوى طيا والتثقيل لأن الفعل للجماعة فهو كقوله مفتّحة لهم الأبواب وقد جاء وتَلْوِيَةَ الخائنِ زُبَّ المُعْذَرِ[1] انشده ابو زيد وقوله ايمانهم بالكسر هو على حذف المضاف اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنّة وقد مرّ امثال ذلك

اللغة

الجُنَّة السترة المتخذة لدفع الأذية كالسلاح المتخذ لدفع الجراح والجَنّة البستان الذي يجنّه الشجر والجِنّة الجنون الذي يستر العقل والفقه العلم بالشيء فقّهت الحديث افقهه وكل علم فقه إلا انه اختص

(١) الزب : الذكر . والمعذر : مفعول من اعذر الغلام والجارية ختنهما .

به علم الشريعة وكل من علمها يقال انه فقيه وافقهتك الشيء بينت لك وفقه الرجل بالضم صار فقيها قال ابن دريد الجسم كل شخص مدرك وكل عظيم الجسم جسيم وجسام والاجسم العظيم الجسم قال الشاعر

وَأَجْسَمُ مِنْ عَادٍ جُسُومٌ رِجَالُهُمْ وَأَكْثَرُ إِنْ عُدُّوا عَدِيدًا مِنَ الرَّمْلِ

واختلف المتكلمون في حدّ الجسم فقال المحققون منهم هو الطويل العريض العميق ولذلك متى ازداد ذهابه في هذه الجهات الثلاث قيل اجسم وجسيم وقيل هو المؤلف وقيل هو القائم بالنفس ومعناه انه لا يحتاج الى محل والصحيح القول الاول والاجسام ما تألف من الجواهر وهي اجزاء لا تتجزء ائتلفت بمعان يقال لها المؤتلفات فإذا رفعت عنها بقيت اجزاء لا تتجزء واختلف في أقل اجزاء الاجسام والصحيح انه ما تألف من ثمانية اجزاء وقيل من ستة اجزاء عن ابي الهذيل وقيل من اربعة اجزاء عن البلخي

﴿ الاعراب ﴾

ساء ما كانوا يعملون تقديره ساء العمل عملهم فقوله ما كانوا يعملون موصول وصلة في موضع رفع بأنه مبتدأ او خبر مبتدأ محذوف هو المخصوص بالذم. أنّى يؤفكون أنّى في موضع نصب على الحال بمعنى كيف والتقدير أجاحدين يؤفكون ويجوز ان يكون في محل النصب على المصدر والتقدير ايّ افك يؤفكون وقيل معناه من اين يؤفكون اي يصرفون عن الحق بالباطل عن الزجاج فعلى هذا يكون منصوبا على الظرف ويصدّون في موضع نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

خاطب الله سبحانه نبيّه فقال (أذا جاءك) يا محمد (المنافقون) وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر واشتقاقه من النفق والنافقاء كما قال الشاعر

لِلْمُؤْمِنِينَ أُمُورٌ غَيْرُ مُخْزِيَةٍ وَلِلْمُنَافِقِ سِرٌّ دُونَهُ نَفَقُ

(قالوا نشهد إنك لرسول الله) اي اخبروا بأنهم يعتقدون انك رسول الله (والله يعلم) يا محمد (انك لرسوله) على الحقيقة وكفى بالله شهيدا (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) في قولهم انهم يعتقدون انك رسول الله فكان إكذابهم في اعتقادهم وانهم يشهدون ذلك بقلوبهم ولم يكذبوا فيما يرجع الى السنتهم لأنهم شهدوا بذلك وهم صادقون فيه وفي هذا دلالة على ان حقيقة الايمان انما هو بالقلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب (اتخذوا ايمانهم جنة) اي سترة يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا ولا يسبوا ولا تؤخذ اموالهم (فصدّوا عن سبيل الله) اي فأعرضوا بذلك عن دين الإسلام وقيل معناه منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق بأن دعوهم الى الكفر في الباطن وهذا من خواص المنافقين يصدّون العوام عن الدين كما تفعل المبتدعة (انهم ساء ما كانوا يعملون) اي بئس الذي يعملونه من اظهار الايمان مع إبطان الكفر والصد عن السبيل (ذلك بأنهم آمنوا) بألسنتهم عند الاقرار بلا آله الا الله محمد رسول الله (ثم كفروا) بقلوبهم لما كذبوا بهذا عن قتادة وقيل معناه آمنوا ظاهرا عند النبي والمسلمين ثم كفروا اذا خلوا بالمشركين وانما قال ثم كفروا لأنهم جدّدوا الكفر بعد اظهار الايمان (فطبع على قلوبهم) اي ختم عليها بسمة تميزها الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة وقيل لما الفوا الكفر والعناد ولم يصغوا الى الحق ولا فكروا في المعاد خلاهم الله واختيارهم وخذلهم فصار ذلك طبعا على قلوبهم وهو الفهم الى ما اعتادوه من الكفر عن ابي مسلم

(فهم لا يفقهون) اي لا يعلمون الحق من حيث انهم لا يتفكرون حتى يميزوا بين الحق والباطل (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) بحسن منظرهم وتمام خلقتهم وجمال بزتهم (وان يقولوا تسمع لقولهم) اي واذا قالوا شيئا اصغيت الى كلامهم لحسن منطقهم وفصاحة لسانهم وبلاغة بيانهم (كأنهم خشب مسندة) اي كأنهم اشباح بلا ارواح شبّههم الله في خلوّهم من العقول والافهام بالخشب المسندة الى شيء لا ارواح فيها وقيل انه شبّههم بخشب نخرة متآكلة لا خير فيها ويحسب من رآها انها صحيحة سليمة من حيث ان ظاهرها يروق وباطنها لا يفيد فكذلك المنافق ظاهره معجب رائع وباطنه عن الخير زائغ (يحسبون كل صيحة عليهم) وصفهم الله تعالى بالخور والهلع اي يظنون كل صيحة يسمعونها كائنة عليهم والمعنى يحسبون انها مهلكتهم وانهم هم المقصودون بها جبنا ووجلا وذلك مثل أن ينادي مناد في العسكر اويصيح أحد بصاحبه أو انفلتت دابة أو انشدت ضالة وقيل معناه إذا سمعوا صيحة ظنّوا انها آية منزلة في شأنهم وفي الكشف عن حالتهم لما عرفوا من الغش والخيانة في صدورهم ولذلك قيل المريب خائف ثم اخبر سبحانه بعداوتهم فقال (هم العدو) لك وللمؤمنين في الحقيقة (فاحذرهم) أن تأمنهم على سرّك وتوقهم (قاتلهم الله) أي أخزاهم ولعنهم وقيل انه دعاء عليهم بالهلاك لأن من قاتله الله فهو مقتول ومن غالبه فهو مغلوب (أنى يؤفكون) أي أنى يصرفون عن الحق مع كثرة الدلالات وهذا توبيخ وتقريع وليس باستفهام عن ابي مسلم وقيل معناه كيف يكذبون من الإفك (وإذا قيل لهم تعالوا) أي هلمّوا (يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم) اي اكثروا تحريكها بالهزء لها استهزاء بدعائهم إلى ذلك وقيل اماله اعراضا عن الحق وكراهة لذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لكفرهم واستكبارهم (ورأيتهم) يا محمد (يصدّون) عن سبيل [الله](1) الحق (وهم مستكبرون) اي متكبرون مظهرون انه لا حاجة لهم إلى الاستغفار

قوله تعالى (٦) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٧) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠) وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (ست آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو واكون بالنصب والباقون واكن بالجزم وقرأ حماد ويحيى بما يعملون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

من قرأ واكن عطفه على موضع قوله فأصدّق لأنه في موضع فعل مجزوم الا ترى أنك إذا قلت

(١) ما بين المعقفتين غير موجود في المخطوطتين.

اخرني اصدق كان جزما بأنه جواب الجزاء وقد اغنى السؤال عن ذكر الشرط والتقدير اخرني فإنك إن تؤخرني اصدق فلما كان الفعل المنتصب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم بأنه جواب الشرط حمل قوله واكن عليه ومثل ذلك قوله ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم لما كان فلا هادي له في موضع فعل مجزوم حمل ويذرهم عليه ومثل ذلك قول الشاعر

فَأَبْلُونِي بَلِيَّتَكُمْ لَعَلِّي ... أُصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجْ نَوِيًّا (١)

حمل واستدرج على موضع الفاء المحذوفة وما بعدها من لعلي وكذلك قوله

أَيًّا سَلَكْتَ فَإِنَّنِي لَكَ كَاشِحٌ ... وَعَلَى انْتِقَاصِكَ فِي الْحَيَاةِ وَازْدَدِ (٢)

حمل وازدد على موضع الفاء وما بعدها واما قول ابي عمرو وأكون فإنما حمله على اللفظ دون الموضع وكان الحمل على اللفظ اولى لظهوره في اللفظ وقربه وزعموا أن في حرف ابيّ فأتصدق وأكون ومن قرأ بما يعملون بالياء فعلى قوله ولن يؤخّر الله نفساً لأن النفس وان كان واحدا في اللفظ فالمراد بـه الكثرة ومن قرأ بالتاء كان خطابا شائعا

﴿ اللغة ﴾

الانفضاض التفرق وفضّ الكتاب اذا فرّقـه ونشره وسميت الفضة فضة لتفرقها في اثمان الاشياء المشتراة وكل شيء يشغلك عن شيء فقد الهاك عنه قال

أَلْهَى بَنِي جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ

وقال امرؤ القيس

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ ... فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ (٣)

﴿ النزول ﴾

نزلت الآيات في عبد الله بن ابي المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله ﷺ بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربـه وقائدهم الحرث بن ابي ضرار ابو جويريـة زوج النبي ﷺ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله ﷺ ابناءهم ونساءهم واموالهم فبينا الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له جهجاه ابن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني من بني عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فأعان الغفارى رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابي لجعال إنك لهناك فقال وما يمنعني ان افعل ذلك واشتد لسان جعال على عبدالله فقال عبد الله والذي يحلف به لأزرنك ويهمك غير هذا وغضب ابن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن ارقم حديث السن فقال ابن ابي قد نافرونا و كاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتوهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا ان يتحولوا من بلادكم

(١) الشعر في جامع الشواهد (٢) الكاشح : العدو المبغض . (٣) الشعر من المعلقات وقدمر بمعناه في المجلد الثالث صفحة ٦٩ فراجع .

ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد ﷺ في عزّ من الرحمن ومودّة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت فإنما كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله ﷺ وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل وارسل الى عبد الله فأتاه فقال ما هذا الذي بلغني عنك فقال عبد الله والذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك قط وان زيداً لكاذب وقال من حضر من الانصار يارسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الانصار عسى ان يكون هذا الغلام وهم في حديثه فعذره رسول الله ﷺ وفشت الملامة من الأنصار لزيد ولما استقل رسول الله ﷺ فسار لقيه اسيد بن الحضير فحيّاه بتحية النبوة ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله ﷺ اوما بلغك ما قال صاحبكم زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الأعز منها الاذل فقال اسيد فأنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فو الله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من امر ابيه فأتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل ابي فإن كنت لا بدّ فاعلا فمرني به فانا احمل اليك رأسه فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابرّ بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله ابن ابي ان يمشي في الناس فاقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال بل ترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى امسى وليلتهم حتى اصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مسّ الارض وقعوا نياما انما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن ابي ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع (١) يقال له بقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله ﷺ وذلك ليلا فقال مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة قيل من هو قال رفاعة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة واخبر رسول الله ﷺ بذلك اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله تعالى اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب فإذا هي كما قال فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت احد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وقد مات ذلك اليوم قال زيد بن ارقم فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة جلست في البيت لما بي من الهمّ والحياء فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن ابي ثم اخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد فرفعه عن الرحل ثم قال ياغلام صدق فوك ووعت اذناك ووعى قلبك وقد انزل الله فيما قلت قرآنا وكان عبد الله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فقال مالك ويلك قال والله لا تدخلها الا بإذن رسول الله ولتعلمن اليوم من الأعزّ ومن الاذلّ فشكا عبد الله ابنه الى رسول الله ﷺ فأرسل اليه أن خلّ عنه يدخل فقال اما اذ جاء امر رسول الله ﷺ فنعم فدخل فلم يلبث إلا اياما قلائل حتى اشتكى ومات فلما نزلت هذه الآيات وبان كذب عبد الله قيل له نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوّى رأسه ثم قال أمرتموني أن أؤمن

(١) كذا في النسخ لكن في السيرة لابن هشام «النقيع» بالنون

فقد آمنت وأمرتموني أن اعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن اسجد لمحمد فنزل وإذا قيل لهم تعالوا إلى قوله ولكن المنافقين لا يعلمون

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه أن استغفاره لا ينفعهم فقال (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أي يتساوى الاستغفار لهم وعدم الاستغفار (لن يغفر الله لهم) لأنهم يبطنون الكفر وان اظهروا الايمان (إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي القوم الخارجين عن الدين والايمان الى طريق الجنة قال الحسن أخبره سبحانه انهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم وقد كان النبي ﷺ يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبة وأن يكون الباطن مثل الظاهر فبيّن الله تعالى ان ذلك لا ينفعهم مع إبطانهم الكفر والنفاق ثم قال سبحانه (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله) من المؤمنين المحتاجين (حتى ينفضوا) أي يتفرقوا عنه وانما قالوا هم من عند محمد ﷺ ولكن الله سبحانه سماه رسول الله ﷺ تشريفا له وتعظيما لقدره (ولله خزائن السموات والأرض) وما بينهما من الأرزاق والاموال والاغلاق فلو شاء لأغناهم ولكنه تعالى يفعل ما هو الأصلح لهم ويمتحنهم بالفقر ويتعبدهم بالصبر ليصبروا فيؤجروا وينالوا الثواب وكريم المآب (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك على الحقيقة لجهلهم بوجوه الحكمة وقيل لا يفقهون ان امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يقولون لإن رجعنا إلى المدينة) من غزوة بني المصطلق (ليخرجن الاعز) يعنون نفوسهم (منها الاذل) يعنون رسول الله (ﷺ) والمؤمنين فردّ الله سبحانه عليهم بأن قال (ولله العزة ولرسوله) بإعلاء الله كلمته واظهاره دينه على الأديان (وللمؤمنين) بنصرته اياهم في الدنيا وادخالهم الجنة في العقبى وقيل ولله العزة بالربوبية ولرسوله بالنبوة وللمؤمنين بالعبودية اخبر سبحانه بذلك ثم حقّقه بأن اعزّ رسوله والمؤمنين وفتح عليهم مشارق الأرض ومغاربها وقيل عزّ الله خمسة عزّ الملك والبقاء وعزّ العظمة والكبرياء وعزّ البذل والعطاء وعزّ الرفعة والعلاء وعزّ الجلال والبهاء وعزّ الرسول خمسة عزّ السبق والابتداء وعزّ الاذان والنداء وعزّ قدم الصدق على الأنبياء وعزّ الاختيار والاصطفاء وعزّ الظهور على الاعداء وعزّ المؤمنين خمسة عزّ التأخير، بيانه نحن الآخرون السابقون وعزّ التيسير بيانه ولقد يسرّنا القرآن للذكر يريد الله بكم اليسر وعزّ التبشير، بيانه وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وعزّ التوقير، بيانه وأنتم الاعلون وعزّ التكثير، بيانه انهم اكثر الامم (ولكن المنافقين لا يعلمون) فيظنون أن العزة لهم وذلك لجهلهم بصفات الله تعالى وما يستحقّه اولياؤه ووجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله ولله العزة جميعا ان عزّ الرسول والمؤمنين من جهته عزّ اسمه وإنما يحصل به وبطاعته فلله العز بأجمعه ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) اي لا تشغلكم (اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) اي عن الصلوات الخمس المفروضة وقيل ذكر الله جميع طاعاته عن ابي مسلم وقيل ذكره شكره على نعمائه والصبر على بلائه والرضا بقضائه وهو اشارة إلى انه لا ينبغي ان يغفل المؤمن عن ذكر الله في بؤس كان او نعمة فإن احسانه في الحالات لا ينقطع (ومن يفعل ذلك) اي من يشغله ماله وولده عن ذكر الله (فأولئك هم الخاسرون) خسروا ثواب الله ورحمته (وانفقوا مما رزقناكم) في سبيل البر فيدخل فيه الزكوات وسائر الحقوق الواجبة (من قبل ان يأتي احدكم الموت) اي اسباب الموت (فيقول رب

لولا اخرتني إلى اجل قريب) اي هلّا اخّرتني وذلك إذا عاين علامات الآخرة فيسأل الرجعة إلى الدنيا ليتدارك الفائت قالوا وليس في الزجر عن التفريط في حقوق الله آية اعظم من هذه وقوله إلى اجل قريب اي مثل ما أجلت لي في دار الدنيا (فأصّدق) اي فأتصدق واز كي مالي وانفقه في سبيل الله (واكن من الصالحين) اي من الذين يعملون الأعمال الصالحة وقيل من الصالحين اي من المؤمنين والآية في المنافقين عن مقاتل وقيل من المطيعين لله والآية في المؤمنين عن ابن عباس قال ما من احد يموت وكان له مال فلم يؤدّ زكاته واطاق الحج فلم يحجّ إلا سأل الرجعة عند الموت قالوا يا ابن عباس اتق الله فإنما نرى هذا الكافر يسأل الرجعة فقال أنا اقرأ عليكم قرآنا ثم قرأ هذه الآية إلى قوله من الصالحين قال الصلاح هنا الحجّ وروي ذلك عن ابي عبدالله (ع) (ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء اجلها) يعني الاجل المطلق الذي حكم بأن الحي يموت عنده والأجل المقيد هو الأجل المحكوم بأن العبد يموت عنده إن لم يقتطع دونه أو لم يزد عليه أو لم ينقص منه على ما يعلمه الله من المصلحة (والله خبير بما تعملون) أي عليم بأعمالكم يجازيكم بها

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية الأخيرة بما قبلها أن معناه انه سبحانه لو علم أنكم تتوبون لجعل في أجلكم تأخيرا الى وقت آخر ولكنّه علم انكم لا تتوبون

سورة التغابن مدنية

وقال ابن عباس مكية غير ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينة يا أيها الذين آمنوا إن من ازواجكم الى آخر السورة

﴿ عدد آيها ﴾

ثماني عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة . ابن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة التغابن في فريضته كانت شفيعة له يوم القيامة وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

لمّا ختم الله تعالى تلك السورة بذكر الامر بالطاعة والنهي عن المعصية افتتح هذه السورة ببيان حال المطيع والعاصي فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٤) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (خمس آيات)

المعنى

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) تسبيح المكلفين بالقول وتسبيح الجمادات بالدلالة (له الملك) منفردا دون غيره والالف واللام لاستغراق الجنس والمعنى انه المالك لجميع ذلك والمتصرف فيه كيف يشاء (وله الحمد) على جميع ذلك لأن خلق ذلك اجمع — الغرض فيه الاحسان إلى خلقه والنفع لهم به فاستحقّ بذلك الحمد والشكر (وهو على كل شيء قدير) يوجد المعدوم ويفني الموجود ويغيّر الاحوال كما يشاء (هو الذي خلقكم) اي انشأكم وأوجدكم عن عدم كما أراد والخطاب للمكلفين عن الجبائي وقيل بل هو عام وقد تمّ الكلام هنا ثم ابتدأ فقال (فمنكم كافر) لم يقرّ بأن الله خلقه كالدهرية (ومنكم مؤمن) مقرّ بأن الله خلقه عن الزجاج وقيل معناه فمنكم كافر في السرّ مؤمن في العلانية كالمنافقين ومنكم مؤمن في السرّ كافر في العلانية كعمار وذويه عن الضحاك وقيل فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يريد في شأن الانواء عن عطاء بن ابي رباح والمراد بالآية ظاهر فلا معنى للاستراوح إلى مثل هذه التأويلات والمعنى أن المكلفين جنسان منهم كافر فيدخل فيه انواع الكفر ومنهم مؤمن ولا يجوز حمله على انه سبحانه خلقهم مؤمنين وكافرين لأنه لم يقل كذلك بل اضاف الكفر والإيمان اليهم وإلى فعلهم والدلالة العقول على أن ذلك يقع على حسب قصودهم وافعالهم ولذلك يصحّ الأمر والنهي والثواب والعقاب وبعثة الأنبياء على انه سبحانه لو جاز أن يخلق الكفر والقبائح لجاز أن يبعث رسولا يدعو إلى الكفر والضلال ويؤيّده بالمعجزات تعالى عن ذلك وتقدّس هذا وقد قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقال النبي ﷺ كل مولود يولد على الفطرة تمام الخبر وقال ﷺ حكاية عن الله سبحانه خلقت عبادي كلهم حنفاء ونحو ذلك من الأخبار كثير (والله بما تعملون بصير) أي خلق الكافر وهو عالم بما يكون منه من الكفر وخلق المؤمن وهو عالم بما يكون منه من الإيمان فيجازيهما على حسب اعمالهما (خلق السموات والأرض بالحق) أي بالعدل وباحكام الصنعة وصحة التقدير وقيل معناه للحق وهو انه خلق العقلاء تعريضا اياهم للثواب العظيم وخلق ما عداهم تبعا لهم لما في خلقهما لهم من اللطف (وصوّركم) يعني البشر كلهم (فأحسن صوركم) من حيث الحكمة وقبول العقل لا قبول الطبع لأن في جملتهم من ليس على هذه الصفة وقيل فأحسن صوركم من حيث قبول الطبع لأن ذلك هو المفهوم من حسن الصور فهو كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وان كان في جملتهم من هو مشوّه الخلق لأن ذلك عارض لا يعتدّ به في هذا الوصف فالله سبحانه خلق الانسان على احسن صور الحيوان كله والصورة عبارة عن بنية مخصوصة (واليه المصير) أي اليه المرجع والمآل يوم القيامة (يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرّون وما تعلنون) أي ما يسرّه بعضكم إلى بعض وما يخفيه في صدره عن غيره والفرق بين الإسرار والإخفاء أن الاخفاء أعم لأنه قد يخفي شخصه ويخفي المعنى في نفسه والاسرار يكون في المعنى دون الشخص (والله عليم بذات الصدور) أي بأسرار الصدور وبواطنها ثم اخبر سبحانه أن القرون الماضية جوزوا باعمالهم فقال (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل) أي من قبل هؤلاء الكفار (فذاقوا وبال امرهم) اي وخيم عاقبة كفرهم وثقل امرهم بما نالهم من العذاب بالإهلاك والاستئصال (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم يوم القيامة

قوله تعالى (٦) ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا

وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٧) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٨) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٩) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (خمس آيات)

القراءة

قرأ رويس عن يعقوب يوم نجمعكم بالنون والباقون بالياء. وقرأ اهل المدينة وابن عامر نكفر عنه وندخله بالنون فيهما والباقون بالياء.

الحجة

حجة الياء أن الاسم الظاهر قد تقدم ووجه النون انه كقوله سبحان الذي اسرى بعبده ثم جاء وآتينا موسى الكتاب

الإعراب

ذلك بأنه الهاء ضمير الأمر والشأن . ابشر مبتدأ وإنما جاز أن يكون مبتدأ مع كونه نكرة لأن الاستفهام سوغ ذلك كما أن النفي ايضا كذلك لكونهما غير موجبين يقال أرجل في الدار أم امرأة ولا رجل في الدار ولا امرأة وقيل انه فاعل فعل مضمر يفسره قوله يهدوننا كأنه قال ايهدينا بشر يهدوننا وإنما اضمر لأن الاستفهام بالفعل أولى وقوله أن لن يبعثوا تقديره انهم ان يبعثوا فسدت الجملة عن المفعولين بما جرى فيها من ذكر الحديث والمحدث عنه ولما كان لن في ان يبعثوا دليل الاستقبال تعينت أن قبلها لأن تكون مخففة من الثقيلة لأن لن يمنعها من ان تكون ناصبة للفعل . يوم نجمعكم ظرف لتبعثن

المعنى

لما قرر سبحانه خلقه بأنهم اتيهم اخبار من مضى من الكفار واهلاكهم عقبه ببيان سبب إهلاكهم فقال (ذلك) أي ذلك العذاب الذي نالهم في الدنيا والذي ينالهم في الآخرة (بأنه كانت تأتيهم) اي بسبب انه كانت تجيئهم (رسلهم) من عند الله (بالبينات) أي بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فقالوا) لهم (ابشر يهدوننا) لفظه واحد والمراد به الجمع على طريق الجنس بدلالة قوله يهدوننا والمعنى أخلق مثلنا يهدوننا إلى الحق ويدعوننا إلى غير دين آبائنا استصغارا منهم للبشر أن يكونوا رسلا من الله إلى امثالهم واستكبارا وانفة من اتباعهم (فكفروا) بالله وجحدوا رسله (وتولوا) أي اعرضوا عن القبول منهم والتفكر في آياتهم (واستغنى الله) بسلطانه عن طاعة عباده وإنما كلفهم لنفعهم لا لحاجة منه إلى عبادتهم وقيل معناه واستغنى الله بما اظهره لهم من البرهان واوضحه من البيان عن زيادة تدعو إلى الرشد وتهدي إلى الإيمان (والله غني حميد) أي غني عن اعمالكم مستحمد اليكم بما ينعم به عليكم وقيل حميد أي محمود في جميع افعاله لانها كلها احسان ثم حكى سبحانه ما يقوله الكفار فقال (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) قال ابن عمر زعم زلة الكذب وقال شريح زعم كنية الكذب بين الله سبحانه بعض ما لأجله اختاروا الكفر على الإيمان وهو انهم كانوا لا يقرون بالبعث والنشور فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكذبهم فقال (قل) يا محمد (بلى وربي) اي وحق ربي على وجه القسم (لتبعثن) اي لتحشرن أكد تكذيبهم بقوله بلى وباليمين ثم اكد اليمين باللام والنون (ثم لتنبؤن بما عملتم)

اي لتخبرنّ وتحاسبنّ بأعمالكم وتجازون عليها (وذلك) البعث والحساب مع الجمع والجزاء (على الله يسير) اي سهل هيّن لا يلحقه مشقة ولا معاناة فيه (فآمنوا) معاشر العقلاء (بالله ورسوله والنور الذي انزلنا) وهو القرآن سماه نورا لما فيه من الادلة والحجج الموصلة إلى الحق فشبّه بالنور الذي يهتدى به إلى الطريق (والله بما تعملون خبير) أي عليم (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وهو يوم القيامة أي ذاك البعث والجزاء يكون في يوم يجمع فيه خلق الأولين والآخرين (ذلك يوم التغابن) وهو تفاعل من الغبن وهو أخذ شرّ وترك خير أو اخذ خير وترك شر فالمؤمن ترك حظه من الدنيا وأخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شرّ له وأخذ ما هو خير له فكان غابنا والكافر ترك حظه من الآخرة وأخذ حظه من الدنيا فترك الخير واخذ الشر فكان مغبونا فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون وقيل يوم التغابن غبن اهل الجنة اهل النار عن قتادة ومجاهد وقد روي عن النبي ﷺ في تفسير هذا قوله ما من عبد مؤمن يدخل الجنة إلا أُري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أُري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته) أي معاصيه (ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) أي مؤبدين فيها ولا يفنى ما هم فيه من النعيم ابدا (ذلك الفوز العظيم) أي النجاح الذي ليس وراءه شيء من العظمة (والذين كفروا) بالله (وكذّبوا بآياتنا) أي بحججنا ودلائلنا (أولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) أي المآل والمرجع

قوله تعالى (١١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٣) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٦) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٧) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(ثماني آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة طلحة بن مصرف نهد قلبه بالنون وقراءة السلمي يهد قلبه بضم الياء والباء على ما لم يسم فاعله وقراءة عكرمة وعمرو بن دينار يهدأ قلبه مهموزا وقراءة مالك بن دينار يهدا بالالف

الحجة

من قرأ يهدأ مهموزا فمعناه يطمئن قلبه كما قال سبحانه وقلبه مطمئن بالايمان ومن قرأ بالألف فإنه لين الهمز تخفيفا

النزول

نزل قوله من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم في قوم أرادوا الهجرة فثبطهم نساؤهم وأولادهم عنها عن ابن عباس ومجاهد

المعنى

ثم قال سبحانه (ما اصاب من مصيبة) أي ليس تصيبكم مصيبة (إلا بإذن الله) والمصيبة المضرة التي تلحق صاحبها كالرمية التي تصيبه وإنما عمّ ذلك سبحانه وإن كان في المصائب ما هو ظلم وهو سبحانه لا يأذن بالظلم لأنه ليس منها إلا ما اذن الله في وقوعه أو التمكن منه وذلك اذن للملك الموكل به كأنه قيل لا يمنع من وقوع هذه المصيبة وقد يكون ذلك بفعل التمكين من الله فكأنه يأذن له بأن يكون وقيل معناه الا بتخلية الله بينكم وبين من يريد فعلها عن البلخي وقيل انه خاص فيما يفعله الله تعالى أو يأمر به وقيل معناه بعلم الله أي لا يصيبكم مصيبة إلا والله عالم بها (ومن يؤمن بالله) أي يصدّق به ويرض بقضائه (يهد قلبه) أي يهد الله قلبه حتى يعلم ان ما اصابه فبعلم الله فيصبر عليه ولا يجزع لينال الثواب والأجر وقيل معناه ومن يؤمن بتوحيد الله ويصبر لأمر الله يعني عند نزول المصيبة يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول إنا لله وانا اليه راجعون عن ابن عباس . وقيل إن المعنى يهد قلبه فإن ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر عن مجاهد وقال بعضهم في معناه من يؤمن بالله عند النعمة فيعلم انها فضل من الله يهد قلبه للشكر ومن يؤمن بالله عند البلاء فيعلم انه عدل من الله يهد قلبه للصبر ومن يؤمن بالله عند نزول القضاء يهد قلبه للاستسلام والرضا (والله بكل شيء عليم) فيجازي كل امرئ بما عمله (واطيعوا الله) في جميع ما امركم به (وأطيعوا الرسول) في جميع ما اتاكم به ودعاكم اليه وفيما امركم به ونهاكم عنه (فإن توليتم) أي فإن اعرضتم عن القبول منه (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أي ليس عليه إلا تبليغ الرسالة وقد فعل والمراد ليس عليه قهركم على الردّ إلى الحق وإنما عليه البلاغ الظاهر البيّن فحذف للإيجاز والاختصار (الله لا إله إلا هو) ولا تحقّ العبادة إلا له (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) والتوكل تفويض الامور اليه والرضا بتقديره والثقة بتدبيره وقد أمر الله عباده بذلك فينبغي لهم أن يستشعروا ذلك في سائر احوالهم (يا أيها الذين آمنوا إن من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) يعني أن بعضهم بهذه الصفة ولذلك اتى بلفظة من وهي للتبعيض يقول ان من هؤلاء مَنْ هو عدوٌّ لكم في الدين فاحذروهم أن تطيعوهم وقيل انه سبحانه إنما قال ذلك لأن من الأزواج من يتمنى موت الزوج ومن الأولاد من يتمنى موت الوالد ليرث ماله وما من عدوّ اعدى ممن يتمنى موت غيره ليأخذ ماله وكذلك يكون من يحملك على معصية الله لمنفعة نفسه ولا عدوّ اشد عداوة ممن يختار ضررك لمنفعته قال عطاء يعني قوما أرادوا الغزو فمنعهم هؤلاء وقال مجاهد يريد قوما أرادوا طاعة الله فمنعوهم (وان تعفوا) أي تتركوا عقابهم (وتصفحوا وتغفروا) اي تتجاوزوا عنهم وتستروا ما سبق منهم إن عادوا إلى الحالة الجميلة وذلك أن الرجل من هؤلاء إذا هاجر ورأى الناس قد سبقوه بالهجرة وفقهوا في الدين همّ أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة وأن يلحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم فأمر سبحانه بالعفو والصفح (فإن الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم وقيل هو عام أي إن تعفوا وتصفحوا عمن ظلمكم فإن الله يغفر بذلك كثيرا من ذنوبكم عن الجبائي (إنما أموالكم وأولادكم

فتنة) أي محنة وابتلاء وشدة للتكليف عليكم وشغل عن أمر الآخرة فإن الإنسان بسبب المال والولد يقع في الجرائم عن ابن مسعود قال لا يقولن احدكم اللهم إني اعوذ بك من الفتنة فإنه ليس احد منكم يرجع الى مال وأهل وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن . وروى عبد الله ابن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين «ع» وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ اليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال صدق الله عز وجل إنما اموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته (والله عنده اجر عظيم) اي ثواب جزيل وهو الجنة يعني فلا تعصوه بسبب الأموال والاولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر والذخر (فاتقوا الله ما استطعتم) اي ما اطقتم والاتقاء الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو اليه الهوى ولا تنافي بين هذا وبين قوله اتقوا الله حق تقاته لأن كل واحد منهما الزام لترك جميع المعاصي فمن فعل ذلك فقد اتقى عقاب الله لأن من لم يفعل قبيحا ولا أخلّ بواجب فلا عقاب عليه الا ان في احد الكلامين تبيينا ان التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطيق وكل امر أمر الله به فلا بدّ أن يكون مشروطا بالاستطاعة وقال قتادة قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله حق تقاته وكأنه يذهب الى ان فيه رخصة لحال التقية وما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة وان كانت القدرة حاصلة معه وقال غيره ليس هذا بناسخ وإنما هو مبيّن لإمكان العمل بهما جميعا وهو الصحيح (واسمعوا) من الرسول ما يتلو عليكم وما يعظكم به ويأمركم وينهاكم (واطيعوا) الله والرسول (وانفقوا) من اموالكم في حق الله (خيراً لأنفسكم) مثله فآمنوا خيرا لكم وانتهوا خيرا لكم وقد مضى ذكر ذلك وقال الزجاج معناه قدّموا خيرا لأنفسكم من اموالكم (ومن يوق شحّ نفسه) حتى يعطي حق الله من ماله (فأولئك هم المفلحون) اي المنجحون الفائزون بثواب الله وقال الصادق (ع) من ادّى الزكاة فقد وقي شحّ نفسه (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) قد مضى معناه واطلاق اسم القرض هنا تلطف في الاستدعاء الى الإنفاق (يضاعفه لكم) اي يعطي بدله اضعاف ذلك من واحد الى سبعمائة الى مالا يتناهى فإن ثواب الصدقة يدوم (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله شكور) اي مثيب مجاز على الشكر (حليم) لا يعاجل العباد بالعقوبة وهذا غاية الكرم (عالم الغيب والشهادة) اي السر والعلانية وقيل المعدوم والموجود وقيل غير المحسوس والمحسوس (العزيز) القادر (الحكيم) العالم وقيل المحكم لأفعاله

سورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القصرى قال ابن مسعود في حديث العدة من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وإنما اراد قوله وأولات الأحمال اجلهن أن يضعن حملهن فإذا كانت حاملة فعدتها وضع الحمل وهي مدنية بالإجماع

عدد آيها

احدى عشرة آية بصري واثنتا عشرة آية في الباقين

اختلافها

ثلاث آيات يجعل له مخرجا كوفي مكي والمدني الأخير واليوم الآخر شامي يا أولي الألباب المدني الأول

فضلها

ابي ابن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الطلاق والتحريم في فريضته اعاذه الله تعالى من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف او يحزن وعوفي من النار وادخله الله الجنة بتلاوته اياها ومحافظته عليهما لأنها للنبي ﷺ

تفسيرها

لما ختم الله سورة التغابن بذكر النساء والتحذير منهن افتتح هذه السورة بذكرهن وذكر احكامهن واحكام فراقهن فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (٢) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٣) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٤) وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٥) ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا

(خمس آيات)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم بالغ بغير تنوين امره بالجر على الإضافة والباقون بالغ بالتنوين امره بالنصب وفي الشواذ قراءة داود بن ابي هند ان الله بالغ بالتنوين امره بالرفع وروي عن ابن عباس وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد فطلقوهن في قبل عدتهن

الحجة

قال ابو علي قوله بالغ أمره على تبيين بلغ امره فيما يريده فيكم فهذا هو الأصل وهو حكاية حال ومن اضاف حذف التنوين استخفافا والمعنى معنى ثبات التنوين مثل عارض ممطرنا واما قوله في قبل عدتهن فإنه تفسير القراء فالمشهورة

فطلقوهن لعدتهن اي عند عدتهن ومثله قوله لا يجليها لوقتها اي عند وقتها ومن قرأ بالغ امره فالمعنى امره بالغ ما يريده الله به وقد بلغ امر الله ما اراده فالمفعول على ما رأيت محذوف

الاعراب

واللائي لم يحضن مبتدأ خبره محذوف لدلالة الكلام عليه فإذا جاز حذف الجملة بأسرها جاز حذف بعضها وقد جاء ايضا في الصفة وإن قلّ نحو قوله واوتيت من كل شي تقديره من كل شي توتاه

المعنى

نادى سبحانه نبيّه فقال (يا أيها النبي) ثم خاطب امته فقال (اذا طلقتم النساء) لأنه السيد المقدم فإذا نودي وخوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب عن الحسن وغيره وقيل ان تقديره يا ايها النبي قل لأمتك اذا طلقتم النساء عن الجبائي فعلى هذا يكون النبي ﷺ خارجا عن الحكم وعلى القول الأول حكمه حكم امته في امر الطلاق وعلى هذا انعقد الإجماع والمعنى اذا اردتم طلاق النساء مثل قوله سبحانه اذا قمتم الى الصلاة وقوله فإذا قرأت القرآن (فطلقوهن لعدتهن) اي لزمان عدتهن وذلك أن يطلّقها في طهر لم يجامعها فيه عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي فهذا هو الطلاق للعدة لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فالمعنى فطلّقوهن لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن ولا تطلقوهن لحيضهن الذي لا يعتددن به من قرئهن فعلى هذا يكون العدة الطهر على ما ذهب اليه اصحابنا وهو مذهب الشافعي وقيل ان المعنى قبل عدتهن اي في طهر لم يجامعها فيه والعدة الحيض كما يقال توضأت للصلاة ولبست السلاح للحرب وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وقيل ان اللام للسبب فكأنه قال فطلقوهن ليعتددن ولا شبهة ان هذا الحكم للمدخول بها لأن المطلقة قبل المسيس لا عدة عليها وقد ورد به التنزيل في سورة الاحزاب وهو قوله فمالكم عليهن من عدة تعتدونها وظاهر الآية يقتضي انه إذا طلقها في الحيض او في طهر قد جامعها فيه فلا يقع الطلاق لأن الأمر يقتضي الإيجاب وبه قال سعيد بن المسيب وذهبت اليه الشيعة الإمامية وقال باقي الفقهاء يقع الطلاق وان كان بدعة وخلاف المأمور به وكذلك ان جمع بين التطليقات الثلاث فإنها بدعة عند ابي حنيفة واصحابه وان كانت واقعة وعند المحققين من اصحابنا يقع واحدة عند حصول شرائط صحة الطلاق والطلاق في الشرع عبارة عن تخلية المرأة بحل عقدة من عقد النكاح وذلك أن يقول انت طالق يخاطبها أو يقول هذه طالق ويشير اليها أو يقول فلانة بنت فلان طالق ولا يقع الطلاق عندنا إلا بهذا اللفظ لأنه شيء من كنايات الطلاق سواء اراد بها الطلاق او لم يرد بها وفي تفصيل ذلك اختلافات بين الفقهاء ليس هاهنا موضعه وقد يحصل الفراق بغير الطلاق كالارتداد واللعان والخلع عند كثير من اصحابنا وان لم يسم ذلك طلاقا ويحصل ايضا بالفسخ للنكاح باشياء مخصوصة وبالرد بالعيب وإن لم يكن ذلك طلاقا وروى البخاري ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر انه طلق امرأته وهي حائض تطليقة واحدة فأمر رسول الله ﷺ أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض عنده حيضة اخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فإذا اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء وروى البخاري عن سليمان بن حرب وروى مسلم عن عبد الرحمن بن بشر عن بهز وكلاهما عن شعبة عن

انس بن سيرين قال سمعت ابن عمر يقول طلق ابن عمر امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلقها إن شاء وجاءت الرواية عن علي بن ابي طالب (ع) عن النبي ﷺ انه قال تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش وعن ثوبان رفعه الى النبي ﷺ فقال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وعن ابي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات(١) وعن انس عن النبي ﷺ انه قال ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق هذه الأحاديث الأربعة منقولة عن تفسير الثعلبي ثم قال سبحانه (واحصوا العدة) اي عدّوا الاقراء التي تعتدّ بها وقيل معناه عدّوا اوقات الطلاق لتطلقوا للعدة وإنما أمر الله سبحانه بإحصاء العدة لأن لها فيها حقا وهي النفقة والسكنى وللزوج فيها حقا وهي المراجعة ومنعها عن الأزواج لحقه وثبوت نسب الولد فأمره تعالى بإحصائها ليعلم وقت المراجعة ووقت فوت المراجعة وتحريمها عليه ورفع النفقة والسكنى ولكيلا تطول العدة لاستحقاق زيادة النفقة او تقصرها لطلب الزوج والعدة هي قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة في الشريعة وهي على ضروب فضرب يكون بالاقراء لمن تحيض وضرب يكون بالأشهر للصغيرة التي لم تبلغ المحيض ومثلها تحيض وهي التي بلغت تسع سنين وإذا كان سنها اقل من ذلك فلا عدّة عليها عند اكثر اصحابنا وقال بعضهم عدتها بالشهور وبه قال الفقهاء وكذلك الكبيرة الآيسة من المحيض ومثلها تحيض عدتها بالشهور وحدّه اصحابنا بأن يكون سنها أقل من خمسين سنة ومن ستين سنة للقرشيات فإن كان سنها اكثر من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا والمتوفى عنها زوجها عدتها بالشهور ايضا والضرب الثالث من العدة يكون بوضع الحمل في الجميع الا في المتوفى عنها زوجها فإن عدتها عند اصحابنا أبعد الاجلين وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء ثم ان عدة الطلاق للحرة ثلاثة قروء او ثلاثة اشهر وللأمة قرءان او شهر ونصف ووضع الحمل لا يختلف ثم قال سبحانه (واتقوا الله ربكم) ولا تعصوه فيما امركم به (ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) هن ايضا يعني في زمان العدة لا يجوز للزوج أن يخرج المطلقة المعتدة من مسكنه الذي كان يسكنها فيه قبل الطلاق وعلى المرأة ايضا ان لا تخرج في عدتها إلا لضرورة ظاهرة فإن خرجت أثمت (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) اي ظاهرة ومن قرأ بفتح الياء فالمراد بفاحشة مظهرة اظهرتها واختلف في الفاحشة فقيل إنها الزنا فتخرج لإقامة الحد عليها عن الحسن ومجاهد والشعبي وابن زيد وقيل هي البذاء على اهلها فيحل لهم اخراجها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وروى علي بن اسباط عن ابي الحسن الرضا قال الفاحشة أن تؤذي اهل زوجها وتسبّهم وقيل هي النشوز فإن طلقها على نشوز فلها أن تتحوّل من بيت زوجها عن قتادة وقيل هي خروجها قبل انقضاء العدة عن ابن عمر وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال ان كل معصية لله تعالى ظاهرة فهي فاحشة (وتلك حدود الله) يعني ما ذكره سبحانه من احكام الطلاق وشروطه (ومن يتعدّ حدود الله) بأن يطلق على غير ما امر الله تعالى به (فقد ظلم نفسه) أي أثم فيما بينه وبين الله عز وجل وخرج عن الطاعة الى المعصية وفعل ما يستحق به العقاب (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) اي بغير رأي الزوج في محبة الطلاق ويوقع في قلبه المحبة لرجعتها فيما بين الطلقة الواحدة والثانية وفيما بين الثانية والثالثة قال الضحاك والسدي وابن زيد لعل الله يحدث الرجعة في العدة وقال الزجاج وإذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى

(١) قال الجزري: ومنه الحديث ان الله لا يحب الذواقين والذواقات يعني المتزوجين الطلاق انتهى، قيل وتفسيره [illegible] كلما تزوج او تزوجت كرها ومدا اعينهما الى غيرهما.

له لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وفي هذه الآية دلالة على ان الواجب في التطليق أن يوقع متفرقا ولا يجوز الجمع بين الثلاث لأن الله تعالى اكّد قوله فطلقوهن لعدتهن بقوله واحصوا العدة ثم زاد في التأكيد بقوله واتقوا الله ربكم فيما حدّه الله لكم فلا تعتدوه ثم قرّر سبحانه حق الزوج في المراجعة بقوله لا تخرجوهن من بيوتهن فإن الزوجة اذا لم ترم بيتها تمكن الزوج من مراجعتها ثم دلّ بقوله وتلك حدود الله على ان من تعدّى حدود الله تعالى في الطلاق بطل حكمه وصار قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا تأكيدا لحدود الله في الطلاق واعلاما بأن حق الرجعة لا ينقطع بجمع الطلاق فكأنه قال كونوا على رجاء الفائدة بالرجعة فقد يحدث الله الرغبة بعد الطلاق فإن قالوا قد امر الله سبحانه في الآية بطلاق العدة فكيف تقدمون انتم طلاق السنة على طلاق العدة فالجواب ان طلاق السنة ايضا طلاق العدة الا ان اصحابنا رضي الله عنهم قد اصطلحوا على أن يسمّوا الطلاق الذي لا يزاد عليه بعد المراجعة طلاق السنة والطلاق الذي يزاد عليه بشرط المراجعة طلاق العدة ومما يعضد ما ذكرته ما اشتهر من الأخبار في كتبهم ورواياتهم ونقل عن متقدميهم مثل زرارة بن اعين وبكير ابن اعين ومحمد بن مسلم وغيرهم فمن ذلك ما رواه يونس عن بكير بن اعين عن ابي جعفر (ع) قال الطلاق أن يطلق الرجل المرأة على طهر من غير جماع ويشهد رجلين عدلين على تطليقه ثم هو احق برجعتها ما لم تمض ثلاثة قروء فهذا الطلاق الذي امر الله به في القرآن وامر به رسول الله ﷺ في سنة وكل طلاق لغير مدة فليس بطلاق وعن جرير قال سألت ابا عبد الله (ع) عن طلاق السنة فقال على طهر من غير جماع بشاهدي عدل ولا يجوز الطلاق إلا بشاهدين والعدة وهو قوله فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة الآية وروى الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن زرارة عن ابي جعفر (ع) أنه قال كل طلاق لا يكون على السنة او طلاق على العدة فليس بشيء قال زرارة قلت لأبي جعفر فسّر لي طلاق السنة وطلاق العدة فقال اما طلاق السنة فهو إن الرجل إذا اراد أن يطلق امرأته فلينتظرها حتى تطمث وتطهر فإذا خرجت من طمثها طلّقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين على ذلك ثم يدعها حتى تمضي اقراؤها وقد بانت منه وكان خاطبا من الخطاب إن شاءت تزوجته وإن شاءت لم تتزوجه وعليه نفقتها والسكنى ما دامت في العدة وهما يتوارثان حتى تنقضي العدة واما طلاق العدة فإذا اراد الرجل أن يطلق امرأته طلاق العدة فلينتظرها حتى تحيض وتخرج من حيضها ثم يطلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين ويراجعها من يومه ذلك إن احبّ او بعد ذلك بأيام قبل أن تحيض ويشهد على رجعتها ويواقعها وتكون معه حتى تحيض فإذا حاضت وخرجت من حيضها طلّقها تطليقة اخرى من غير جماع ويشهد على ذلك ايضا متى شاء قبل أن تحيض ويشهد على رجعتها ويواقعها وتكون معه حتى تحيض الحيضة الثالثة فإذا خرجت من حيضها طلّقها الثالثة بغير جماع ويشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بانت منه ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره والروايات في هذا كثيرة عن ائمة الهدى (ع) فعلى هذا فإنه يتركها في طلاق السنة حتى تعتد ثلاثة قروء فإذا مضى ثلاثة قروء فإنها تبين منه بواحدة واذا تزوجها بعد ذلك بمهر جديد كانت عنده على تطليقتين باقيتين فإن طلّقها اخرى طلاق السنة وتركها حتى تمضي اقراؤها فلا يراجعها فقد بانت منه بائنتين فإن تزوجها بعد ذلك وطلّقها لم تحلّ له حتى تنكح زوجا غيره ولو شاء أن يراجعها بعد الطلقة الأولى والثانية لكان ذلك اليه فقد تبيّن أن هذا الطلاق هو طلاق للعدة ايضا الا أن الفرق بينهما ما ذكرناه (فإذا بلغن

اجلهن) ،معناه فإذا قاربن أجلهن الذي هو الخروج من العدة (فأمسكوهن بمعروف) اي راجعوهن بما يجب لهن من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة (او فارقوهن بمعروف) بأن تتركوهن حتى يخرجن من العدة فتبين منكم ولا يجوز أن يكون المراد بقوله فإذا بلغن اجلهن إذا انقضى اجلهن لأن الزوج لا يملك الرجعة بعد انقضاء العدة بل هي تملك نفسها وتبين منه بواحدة ولها أن تتزوج من شاءت من الرجال (واشهدوا ذوي عدل منكم) قال المفسرون امروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة شاهدي عدل حتى لا تجحد المرأة المراجعة بعد انقضاء العدة ولا الرجل الطلاق وقيل معناه واشهدوا على الطلاق صيانة لدينكم وهو المروي عن أئمتنا (ع) وهذا اليق بالظاهر لأنا إذا حملناه على الطلاق كان امرا يقتضي الوجوب وهو من شرائط صحة الطلاق ومن قال ان ذلك راجع الى المراجعة حمله على الندب (واقيموا الشهادة لله) هذا خطاب للشهود اي اقيموها لوجه الله واقصدوا بأدائها التقرب الى الله لا الطلب لرضا المشهود له والإشفاق من المشهود عليه (ذلكم) الأمر بالحق يا معشر المكلفين (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اي يؤمر به المؤمنون لينزجروا به عن الباطل وخصّ المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا به فالطاعة الواجبة فيها وعظ بأن رغب فيها باستحقاق الثواب وفي تركها العقاب والمندوبة فيها وعظ باستحقاق المدح والثواب على فعلها والمعاصي فيها وعظ بالزجر عنها والتخويف من فعلها باستحقاق العقاب والترغيب في تركها بما يستحق على الإخلال بها من الثواب (ومن يتق الله) فيما امره به ونهاه عنه (يجعل له مخرجا) من كل كرب في الدنيا والآخرة عن ابن عباس وروي عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال قرأ رسول الله ﷺ ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وعنه قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقيل معناه ومن يطلق للسنة يجعل الله له مخرجا في الرجعة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) عن عكرمة والشعبي والضحاك وقيل انها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر العدو ابنا له فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك وشكا اليه الفاقة فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته إذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب ابلا وجاء بها الى ابيه فذلك قوله ويرزقه من حيث لا يحتسب وروي عن الصادق (ع) انه قال ويرزقه من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما أتاه وعن ابي ذر الغفاري عن النبي ﷺ قال إني لأعلم آية لو اخذ بها الناس لكفتهم ومن يتق الله الآية فما زال يقولها ويعيدها (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اي ومن يفوّض امره الى الله ووثق بحسن تدبيره وتقديره فهو كافيه يكفيه امر دنياه ويعطيه ثواب الجنة ويجعله بحيث لا يحتاج الى غيره وفي الحديث من سرّه أن يكون اقوى الناس فليتوكل على الله (ان الله بالغ أمره) اي يبلغ ما أراد من قضاياه وتدابيره على ما أراده ولا يقدر احد على منعه عما يريده وقيل معناه انه منفذ امره فيمن يتوكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي قدر الله لكل شيء مقدارا وأجلا لا زيادة فيها ولا نقصان وقيل بيّن لكل شيء مقدارا بحسب المصلحة في الإباحة والإيجاب والترغيب والترهيب كما بيّن في الطلاق والعدة وغيرهما وقيل قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء وقتا وغاية ومنتهى ينتهي اليه ثم بيّن سبحانه اختلاف احكام العدة باختلاف احوال النساء فقال (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) فلا يحضن (إن ارتبتم) فلا تدرون لكبر ارتفع حيضهن ام لعارض

ثلاثة اشهر) وهن اللواتي امثالهن يحضن لأنهن لو كنَّ في سن من لا تحيض لم يكن للارتياب معنى وهذا هو المروي عن ائمتنا (ع) وقيل معناه إن شككتم فلم تدروا أدمهن دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر عن مجاهد والزهري وابن زيد وقيل معناه إن ارتبتم في حكمهن فلم تدروا ما الحكم فيهن (واللائي لم يحضن) تقديره واللائي لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر وحذف لدلالة الكلام الأول عليه وهن اللواتي لم يبلغن المحيض ومثلهن تحيض على ما مرَّ بيانه (واولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال ابن عباس هي في المطلقات خاصة وهو المروي عن ائمتنا (ع) فأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فعدتها ابعد الأجلين فإذا مضت بها اربعة اشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل وقال ابن مسعود وابي بن كعب وقتادة واكثر الفقهاء انه عام في المطلقات والمتوفى عنها زوجها فعدتهن وضع الحمل فإن كانت المرأة حاملا باثنين ووضعت واحدا لم تحل للازواج حتى تضع جميع الحمل لقوله ان يضعن حملهن وروى اصحابنا انها اذا وضعت واحدا انقطعت عصمتها من الزوج ولا يجوز لها أن تعقد على نفسها لغيره حتى تضع الآخر فأما اذا كانت قد توفي عنها زوجها فوضعت قبل الأشهر الأربعة والعشر وجب عليها أن تستوفي اربعة اشهر وعشرا (ومن يتق الله) في جميع ما امره بطاعته فيه (يجعل له من امره يسرا) اي يسهل عليه امور الدنيا والآخرة إما بفرج عاجل او عوض آجل وقيل يسهل عليه فراق اهله ويزيل الهموم عن قلبه (ذلك) يعني ما ذكره سبحانه من الاحكام في الطلاق والرجعة والعدة (أمر الله انزله اليكم ومن يتق الله) بطاعته (يكفر عنه سيئاته) من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة قال الربيع إن الله قد قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اجابه ولبّاه وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب الآية (ويعظم له اجرا) في الآخرة وهو ثواب الجنة

قوله تعالى (٦) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (٧) لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٨) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٩) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (١٠) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (خمس آيات)

القراءة

قرأ روح عن يعقوب مختلفا عنه من وِجدكم بكسر الواو والقراءة بضم الواو وقرأ ابن كثير وكائن

بالمد والهمز والباقون وكأين بالهمز والتشديد

﴿ الحجة ﴾

يقال وجدت في المال جِدَةً ووَجْدا ووِجْدا ووُجْدا بتعاقب الحركات الثلاث على الواو ووجدت الضالة وِجْدانا ووجدت من الحزن وَجْدا ومن الغضب موجدة ووجدانا وكأين اصله أيٌّ دخلت عليها الكاف الجارة كما دخلت على ذا في كذا فموضع كأين رفع بالابتداء كما ان كذا كذلك ولا موضع للكاف كما ان الكاف في كذا كذلك قال ابو علي مثل هذا في انه دخل على المبتدأ حرف الجر فصار مع المجرور في موضع رفع قولهم بحسبك أن تفعل كذا يريدون حسبك فعل كذا فالجار مع المجرور في موضع رفع وانشد ابو زيد

بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا ... بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضَر

واكثر العرب تستعملها مع من وكذلك ما جاء في التنزيل ومما جاء منه في الشعر قوله

وَكَائِنْ بِالأَبَاطِحِ مِنْ صَدِيقٍ ... يَرَانِي إِنْ أُصِبْتُ هُوَ الْمُصَابَا (١)

وقول الآخر

وَكَائِنْ إِلَيْكُمْ قَادَ مِنْ رَأْسِ فِتْنَةٍ ... جُنُوداً وَأَمْثَالُ الْجِبَالِ كَتَائِبُهْ (٢)

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه حال المطلقة في النفقة والسكنى فقال (اسكنوهن) اي في بيوتكم (من حيث سكنتم) من المساكن (من وجدكم) اي من ملككم وما تقدرون عليه عن السدي وابي مسلم وقيل هو من الوجدان اي مما تجدونه من المساكن عن الحسن والجبائي وقيل من سعتكم وطاقتكم من الوجد الذي هو المقدرة قال الفراء يعول على ما يجد فإن كان موسعا وسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر ذلك ويجب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية بلا خلاف فأما المبتوتة ففيها خلاف فذهب اهل العراق الى أن لها السكنى والنفقة معا وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وذهب الشافعي الى أن لها السكنى بلا نفقة وذهب الحسن وابو ثور الى انه لا سكنى لها ولا نفقة وهو المرويّ عن ائمة الهدى (ع) وذهب اليه اصحابنا ويدل عليه ما رواه الشعبي قال دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسألتها عن قضاء رسول الله ﷺ فقالت طلقني زوجي البتة فخاصمته الى رسول الله ﷺ في السكنى والنفقة فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة وامرني ان اعتدّ في بيت ابن ام مكتوم وروى الزهري عن عبد الله أن فاطمة بنت قيس كانت تحت ابي عمرو ابن حفص بن المغيرة المخزومي وانه خرج مع علي بن ابي طالب (ع) الى اليمن حين أمّره رسول الله ﷺ على اليمن فأرسل الى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت لها من طلاقها فأمر عياش بن ابي ربيعة والحرث بن هشام أن ينفقا عليها فقالا والله مالك من نفقة فأتت النبي ﷺ فذكرت له قولهما فلم يجعل لها نفقة إلا ان تكون حاملا فاستأذنته في الانتقال فأذن لها فقالت أنى انتقل يارسول الله قال عند ابن ام مكتوم وكان اعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فأنكحها النبي ﷺ اسامة بن زيد قال فأرسل اليها مروان بن الحكم قبيصة بن ذؤيب فسألها عن هذا الحديث ثم قال مروان لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة وسنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان بيني وبينكم القرآن قال الله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن الى قوله لعل الله يحدث

(١) قائله جرير والاباطح جمع الابطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى و اصبت اى وقعت فى المصيبة المصاب ايضاً من المصيبة اى يرى مصيبتى مصيبته . (٢) الكتائب جمع الكتيبة : القطعة من الجيش .

بعد ذلك امرا قالت هذا لمن كانت له مراجعة وايّ أمر يحدث بعد الثلاث ثم قال سبحانه (ولا تضارّوهن لتضيقوا عليهن) أي لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير في السكنى والنفقة والكسوة طالبين بالإضرار التضييق عليهن ليخرجن وقيل المعنى اعطوهن من المسكن ما يكفيهن لجلوسهن ومبيتهن وطهارتهن ولا تضايقوهن حتى يتعذر عليهن السكنى عن ابي مسلم (وإن كن أولات حمل) اي كن حوامل (فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) ، لأن عدتهن إنما تنقضي بوضع حملهن امر الله سبحانه بالإنفاق على المطلقة الحامل سواء كانت رجعية او مبتوتة (فإن ارضعن لكم فآتوهن اجورهن) اي فإن ارضعن الولد لأجلكم بعد البينونة فأعطوهن اجر الرضاع يعني اجرة المثل (وأتمروا بينكم بمعروف) هذا خطاب للرجل والمرأة والائتمار قبول الأمر وملاقاته بالتقبل . امر الله تعالى المرضعة والمرضع له بالتلقي لأمره عز وجل ولأمر صاحبه إذا كان حسنا وقيل معناه وليأمر بعضكم بعضا بالجميل في ارضاع الولد اي بتراضي الوالد والوالدة بعد وقوع الفرقة في الأجرة على الأب وارضاع الولد بحيث لا يضرّ بمال الوالد ولا بنفس الولد ولا يزاد على الأجر المتعارف ولا ينقص الولد عن الرضاع المعتاد قال الكسائي اصله التشاور ومنه يأتمرون بك اي يتشاورون والأقوى عندي أن يكون المعنى دبّروا بالمعروف بينكم في امر الولد ومراعاة امه حتى لا يفوت الولد شفقتها وغير ذلك ويدل عليه قول امرئ القيس

أَحارِ بْنَ عَمْرٍو كَأَنّي خَمِرْ وَيَغْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ (١)

يعني ما يدبّره في نفسه لأن الرجل ربما دبّر امراً ليس برشد فيعدو عليه ويهلكه (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) والمعنى فإن اختلفتم في الرضاع وفي الأجر فسترضع له امرأة اخرى اجنبية اي فليسترضع الوالد غير والدة الصبي ثم قال سبحانه (لينفق ذو سعة من سعته) امر سبحانه أهل التوسعة ان يوسعوا على نسائهم المرضعات اولادهن على قدر سعتهم (ومن قدر عليه) أي ضيق عليه (رزقه فلينفق مما آتاه الله) والمعنى ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك وعلى حسب امكانه وطاقته (لا يكلف الله نفسا الا ما أتاها) اي الا بقدر ما اعطاها من الطاقة وفي هذا دلالة على انه سبحانه لا يكلّف احداً مالا يقدر عليه ومالا يطيقه (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اي بعد ضيق سعة وبعد فقر غنى وبعد صعوبة الأمر سهولة وفي هذا تسلية للصحابة فإن الغالب على اكثرهم في ذلك الوقت الفقر ثم فتح الله تعالى عليهم البلاد فيما بعد (وكأيّن من قرية عتت عن امر ربها ورسله) اي وكم من اهل قرية عتوا على الله وعلى انبيائه يعني جاوزوا الحدّ في العصيان والمخالفة (فحاسبناها حساباً شديدا) بالمناقشة والاستقصاء باستيفاء الحق وايفائه قال مقاتل حاسبها الله تعالى بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو قوله (وعذّبناها عذابا نكرا) فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة وهو عذاب الاستئصال وقيل هو عذاب النار فإن اللفظ ماض بمعنى المستقبل والنكر المنكر العظيم الذي لم ير مثله وقيل ان في الآية تقديما وتأخيرا تقديره فعذّبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر المصائب والبلايا وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا وقيل الحساب الشديد هو الذي ليس فيه عفو (فذاقت وبال امرها) اي ثقل عاقبة كفرها (وكان عاقبة امرها خسرا) اي خسرانا في الدنيا والآخرة وهو قوله (اعدّ الله لهم عذابا شديدا) يعني عذاب النار وهذا يدلّ على ان المراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا ثم قال (فاتقوا الله يا أولي الألباب) اي يا اصحاب العقول ولا تفعلوا مثل ما فعل اولئك فينزل بكم مثل ما نزل بهم ثم وصف اولي الألباب

(١) خَمِر : من خالطه داء او حبّ . وفي قائل الشعر ومعناه خلاف ذكره في اللسان في مادة «امر» فراجع .

بقوله (الذين آمنوا) وخصّ المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك دون الكفار ثم ابتدأ سبحانه فقال (قد انزل الله اليكم ذكرا) يعني القرآن وقيل يعني الرسول عن الحسن وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

النظم

الوجه في اتصال قوله وكأين من قرية عتت عن امر ربها الآية بما قبله انه سبحانه بيّن ان الخوف في مقابلة الرجاء وسبيل العاقل أن يحترز من المخوف ويقدم الاحتراز عن الخوف على الرجاء والذي يقوي جانب الخوف انه اهلك الأمم الماضية بسبب عصيانها وتمردها عن امر ربها

قوله تعالى (١١) رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا (١٢) اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (آيتان)

القراءة

قرأ اهل المدينة والشام ندخله بالنون والباقون بالياء لتقدم الاسم على لفظ الغيبة والنون معناها معنى الياء

الاعراب

رسولا ينتصب على ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ أن يكون بدلا من ذكراً بدل الكل من الكل فعلى هذا يجوز أن يكون الرسول جبرائيل (ع) ويجوز أن يكون محمدا ﷺ ﴿ الثاني ﴾ أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره ارسل رسولا ويدل على اضماره قوله قدانزل الله اليكم ذكرا فعلى هذا يكون الرسول معناه محمدا ﷺ ﴿ والثالث ﴾ أن يكون مفعول قوله ذكرا ويكون تقديره انزل الله اليكم أن ذكر رسولا ويكون الرسول يحتمل الوجهين

المعنى

(رسولا) إذا كان المراد به الوجه الأول وهو ان يكون بدلا من ذكرا والمراد به النبي ﷺ او جبرائيل (ع) فيجوز أن يكون المراد بالذكر الشرف اي ذا ذكر رسولا (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) اي واضحات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات) اي من ظلمات الكفر (الى النور) اي نور الإيمان وقيل من ظلمات الجهل الى نور العلم وإنما شبّه الإيمان بالنور لأنه يؤدّي الى نور القبر والقيامة والجنة وشبّه الكفر بالظلمة لأنه يؤدّي الى ظلمة القبر وظلمة جهنم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا) اي يعطيه احسن ما يعطي احدا وذلك مبالغة في وصف نعيم الجنة (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) اي وخلق من الارض مثلهن في العدد لا في الكيفية لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض وليس في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع مثل السموات إلا هذه الآية ولا خلاف في السموات انها سماء فوق سماء واما الأرضون

فقال قوم انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض كالسموات لأنها لو كانت مصمتة لكانت ارضا واحدة وفي كل ارض خلق خلقهم الله كما شاء وروى ابو صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهن البحار ويظل جميعهن السماء والله سبحانه اعلم بصحة ما استأثر بعلمه واشتبه على خلقه وقد روى العياشي باسناده عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن (ع) قال بسط كفه ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا عليها قبة والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة حتى ذكر الرابعة والخامسة والسادسة فقال والارض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله سبع سموات ومن الارض مثلهن (يتنزل الأمر بينهن) وإنما صاحب الأمر النبي ﷺ وهو على وجه الارض وإنما يتنزل الأمر من فوق بين السماوات والأرضين فعلى هذا يكون المعني تنزل الملائكة بأوامره الى الأنبياء وقيل معناه يتنزل الأمر بين السموات والارضين من الله سبحانه بحياة بعض وموت بعض وسلامة حي وهلاك آخر وغنى انسان وفقر آخر وتصريف الأمور على الحكمة (لتعلموا ان الله على كل شيء قدير) بالتدبير في خلق السموات والارض والاستدلال بذلك على ان صانعهما قادر لذاته عالم لذاته وذلك قوله (وان الله قد احاط بكل شيء علما) ومعناه ان معلوماته متميزة له بمنزلة ما قد احاط به فلم يفته شيء منها وكذلك قوله ولا يحيطون به علما معناه انه ليس بمنزلة ما يحضره العلم بمكانه فيكون كأنه قد احاط به

سورة التحريم

مدنية اثنتا عشرة آية بالإجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك اعطاه الله توبة نصوحا

﴿ تفسيرها ﴾

لما تقدم في تلك السورة احكام النساء في الطلاق وغيره افتتح سبحانه هذه السورة باحكام من ايضا فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٤) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٥) عَسَىٰ رَبُّهُ

إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي وحده عرف بالتخفيف والباقون عرف بالتشديد واختار التخفيف ابو بكر بن عياش وهو من الحروف العشر التي قال اني ادخلتها في قراءة عاصم من قراءة علي بن ابي طالب (ع) حتى استخلصت قراءته يعني قراءة علي (ع) وهي قراءة الحسن وابي عبد الرحمن السلمي وكان ابو عبد الرحمن إذا قرأ انسان بالتشديد حصبه وقرأ اهل الكوفة تظاهرا عليه خفيفة الظاء والباقون تظاهرا بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي التخفيف في عرف انه جازي عليه لا يكون إلا كذلك ولا يجوز أن يكون بمعنى العلم لأن النبي ﷺ إذا اظهره الله على ما كان اسرّه اليه علم ذلك ولم يجز أن يعلم من ذلك بعضه مع اظهار الله اياه عليه ولكن يعلم جميعه وهذا كما تقول لمن يسيء اويحسن انا اعرف لأهل[1] الإساءة اي لا يخفى عليّ ذلك ولا مقابلته مما يكون وفقا له فالمعنى جازى على بعض ذلك واعرض عن بعض ومثله وما تفعلوا من خير يعلمه الله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره أي يرى جزاءه وقوله يرى من رؤية العين وكان مما جازى عليه: تطليقه حفصة تطليقة واحدة واما عرّف بالتشديد فمعناه عرف بعضه واعرض عن بعض فلم يعرفه اياه على وجه التكرم والإغضاء واما تظاهرا فالأصل فيه وان تتظاهرا تتائبن فخفّف في القراءة الأولى بالحذف وفي القراءة الآخرة بالإدغام

﴿ اللغة ﴾

الحرام القبيح الممنوع منه بالنهي ونقيضه الحلال وهو الحسن المطلق بالإذن فيه والتحريم تبيين أن الشيء حرام لا يجوز والتحريم ايجاب المنع والابتغاء الطلب ومنه البغي طلب الاستعلاء بغير الحق والتحلة والتحليل بمعنى وهما مصدران لقولهم حللت له كذا وتحلة اليمين فعل ما يسقط التبعة فيه واليمين واحد الأيمان وهو الحلف وكأنه مأخوذ من القوة لأنه يقوّي كلامه بالحلف وقيل انه مأخوذ من الجارحة لأن عادتهم كانت عند الحلف ضرب الأيدي على الأيدي والإسرار القاء المعنى الى نفس المحدث على وجه الإخفاء عن غيره والتظاهر التعاون والظهير المعين واصله من الظهر والسائح الجاري والعرب تصف بذلك الماء الجاري الدائم الجرية ثم تصف به الرجل الذي يضرب في الأرض ويقطع البلاد فتقول سائح وسياح والثيب الراجعة من عند الزوج بعد الاقتضاض من ثاب يثوب إذا رجع والبكر هي التي على اول حالها قبل الاقتضاض

﴿ الإعراب ﴾

قيل في جمع القلوب في قوله صغت قلوبكما وجوه ﴿ احدها ﴾ أن التثنية جمع في المعنى فوضع الجمع موضع التثنية كما قال وكنا لحكمهم شاهدين وإنما هو داود وسليمان ﴿ والثاني ﴾ أن اكثر ما في الانسان اثنان اثنان نحو اليدين والرجلين والعينين وإذا جمع اثنان الى اثنين صار جمعا فيقال ايديهما واعينهما ثم

(١) [الاحسان واعرف لاهل].

حمل ما كان في الانسان واحدا على ذلك لئلا يختلف حكم لفظ اعضاء الانسان ﴿ والثالث ﴾ ان المضاف اليه مثنى فكرهوا أن يجمعوا بين تثنيتين فصرفوا الأول منهما الى لفظ الجمع لأن لفظ الجمع اخف لأنه اشبه بالواحد فإنه يعرب بإعراب الواحد ويستأنف كما يستأنف الواحد وليست التثنية كذلك لأنها لا تكون إلا على حد واحد ولا يختلف ومن العرب من يثني فيقول قلباها قال الراجز فجمع بين اللغتين «ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ»(١) وقال الفرزدق

بِمَا فِي فُؤَادَيْنَا مِنَ الْبَثِّ وَالْهَوَى فَيَبْرَءُ مُنْهَاضُ الْفُؤَادِ الْمُشَغَّفُ(٢)

ومن العرب من يفرد ويروى أن بعضهم قرأ فبدت لهما سَوْآتهما والوجه في الإفراد أن الإضافة الى التثنية تغني عن تثنية المضاف وفي جبريل اربع لغات جبريل على وزن قنديل وجبرئيل على وزن عندليب وجبرئل على وزن حجمرش وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وهو خارج عن اوزان العرب لأنه ليس في العربية مثل قنديل وقد قرئ بذلك كله وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه في سورة البقرة ومن العرب من يقول جبرال بتشديد اللام ومنهم من يبدل من اللام نونا وقوله هو مولاه يجوز في هو وجهان ﴿ احدهما ﴾ أن يكون فصلا دخل ليفصل بين النعت والخبر والكوفيون يسمونه عمادا ﴿ والثاني ﴾ أن يكون مبتدأ ومولاه الخبر والجملة خبر إن ومن جعل مولاه بمعنى السيد والخالق كان الوقف على قوله مولاه وجبريل مبتدأ وصالح المؤمنين عطف عليه والملائكة عطف ايضا وظهير خبره وجاز ذلك لأن فعيلا يقع على الواحد والجمع كفعول قال سبحانه خلصوا نجيا فظهير كنجي وقال فإنهم عدو لي ومن جعل مولاه بمعنى ولي وناصر جاز أن يكون الوقف على قوله وجبريل وعلى صالح المؤمنين ويبتدئ والملائكة بعد ذلك ظهير فيكون ظهير عائدا الى الملائكة

﴿ النزول ﴾

اختلف اقوال المفسرين في سبب نزول الآيات فقيل ان رسول الله ﷺ كان اذا صلى الغداة يدخل على ازواجه امرأة امرأة وكان قد اهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل(٣) فكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ حبسته وسقته منها وان عائشة انكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية حبشية عندها اذا دخل رسول ﷺ على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا تصنع فاخبرتها الخبر وشأن العسل فغارت عائشة وارسلت الى صواحبها فاخبرتهن وقالت إذا دخل عليكن رسول الله ﷺ فقلن انا نجد منك ريح المغافير وهو صمغ العرفط كريه الرائحة وكان رسول الله ﷺ يكره ويشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة لأنه يأتيه الملك قال فدخل رسول الله على سودة قالت فما اردت أن أقول ذلك لرسول الله ﷺ ثم اني فرقت من عائشة فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التي اجدها منك اكلت المغافير فقال لا ولكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل على امرأة امرأة وهن يقلن له ذلك فدخل على عائشة فأخذت بأنفها فقال لها ما شأنك قالت اجد ريح المغافير اكلتها يا رسول الله قال لا بل سقتني حفصة عسلا فقالت جرست(٤) إذاً نحلها العرفط فقال والله لا اطعمه ابداً فحرّمه على نفسه وقيل ان التي كانت تسقي رسول الله ﷺ العسل ام سلمة عن عطاء بن ابي مسلم وقيل بل كانت زينب بنت جحش قالت عائشة ان رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت انا وحفصة أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل اني اجد منك ريح المغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت

(١) نسبه في اللسان والكتاب وشرح الاشموني الى خطام المجاشعي . وقيل هو لهميان بن قحافة . وهذا عجز بيت قبله ومهمهين قذفين مرتين، ومهمه ـ كجعفر ـ الصحراء المقفرة سموها بذلك على تقدير ان سالكها لخوفه منها يقول لمن معه : مه ، مه ، يريد كف عن الكلام . والقذف : الارض الواسعة جداً . و المرت : الارض لا نبات فيها ولا ←

جحش ولن اعود اليه فنزلت الآيات وقيل ان رسول الله ﷺ قسم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله ان لي الى ابي حاجة فأذن لي ان ازوره فأذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله ﷺ الى جاريته مارية القبطية وكان قد اهداها له المقوقس فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقا فقالت حفصة إنما أذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما مارأيت لي حرمة وحقا فقال ﷺ) اليس هي جاريتي قد احلّ الله ذلك لي اسكتي فهو حرام عليّ التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن وهو عندك امانة فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله قد حرّم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواجه فنزلت يا ايها النبي لم تحرّم فطلّق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوما وقعد في مشربة ام ابراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير عن قتادة والشعبي ومسروق وقيل إن النبي ﷺ خلا في يوم لعائشة مع جاريته ام ابراهيم مارية القبطية فوقفت حفصة على ذلك فقال لها رسول الله ﷺ لا تعلمي عائشة ذلك وحرّم مارية على نفسه فاعلمت حفصة عائشة الخبر واستكتمتها اياه فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك وهو قوله واذ أسر النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني حفصة عن الزجاج قال ولما حرّم مارية القبطية اخبر حفصة انه يملك من بعده ابو بكر ثم عمر فعرفها بعض ما افشت من الخبر واعرض عن بعض أن ابا بكر وعمر يملكان بعدي وقريب من ذلك ما رواه العياشي بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكي عن ابي جعفر (ع) إلا انه زاد في ذلك أن كل واحدة منها حدثت اباها بذلك فعاتبهما رسول الله في أمر مارية وما افشتا عليه من ذلك واعرض عن ان يعاتبهما في الأمر الآخر

المعنى

(يا أيها النبي) ناداه سبحانه بهذا النداء تشريفا له وتعليما لعباده كيف يخاطبونه في اثناء محاوراتهم ويذكرونه في خلال كلامهم (لم تحرّم ما احلّ الله لك) من الملاذ (تبتغي مرضات ازواجك) اي تطلب به رضاء نسائك وهن احق بطلب مرضاتك منك وليس في هذا دلالة على وقوع ذنب منه صغير او كبير لأن تحريم الرجل بعض نسائه او بعض الملاذ لسبب او لغير سبب ليس بقبيح ولا داخلا في جملة الذنوب ولا يمتنع أن يكون خرج هذا القول مخرج التوجع له ﷺ اذا بالغ في ارضاء ازواجه وتحمل في ذلك المشقة ولو ان انسانا أرضى بعض نسائه بتطليق بعضهن لجاز ان يقال له لم فعلت ذلك وتحملت فيه المشقة وان كان لم يفعل قبيحا ولو قلنا انه عوتب على ذلك لأن ترك التحريم كان افضل من فعله لم يمتنع لأنه يحسن أن يقال لتارك النفل لِمَ لم تفعله ولم عدلت عنه ولأن تطييب قلوب النساء مما لا تنكره العقول وقد حكي ان عبدالله بن رواحة وكان من النقباء كانت له جارية فاتهمته زوجته ليلة فقال قولا بالتعريض فقالت ان كنت لم تقربها فاقرأ القرآن قال فأنشدت

شَهِدتُ فَلَمْ أَكْذِبْ بِأَنَّ مُحَمَّداً ... رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمٰوٰاتِ مِنْ عَلُ
وَأَنَّ أَبَا يَحْيىٰ وَيَحْيىٰ كِلاٰهُمٰا ... لَهُ عَمَلٌ فِي دِينِهِ مُتَقَبَّلُ
وَأَنَّ الَّتِي بِالْجِزْعِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ ... وَمَنْ دُونَهَا قِلٌّ عَنِ الْخَيْرِ مَعْزِلُ (١)

← ماء . شبه ظهر الارض بظهر الترس في الاحديداب لتاكيد انها لا تنبت شيئا . (٢) قوله : «منهاض» من هاض العظم؛ كسره بعد الجبر . والمشغف ؛ الذى وصل الحزن شغافه اى سويداء قلبه . (٣) العكة : وعاء اصغر من القربة . (٤) جرس الشيء نحسه بلسانه (١) يصف المزى وهى شجرة كانت تعبد . وقوله «قل عن الخير» - بالفاء - اى حال عنه ، ويروى «ومن دونها»

فقالت زدني فأنشدت

وَفينا رَسُولُ اللهِ نَتلُو كِتابَهُ ... كَما لاحَ مَعرُوفٌ مَعَ الصُّبحِ ساطِعُ
أَتى بِالهُدى بَعدَ العَمى فَنُفُوسُنا ... بِهِ مُوقِناتٌ أَنَّ ما قالَ واقِعُ
يَبِيتُ يُجافِي جَنبَهُ عَن فِراشِهِ ... إِذا رَقَدَتْ بِالكافِرِينَ المَضاجِعُ

فقالت زدني فانشدت

شَهِدتُ بِأَنَّ وَعدَ اللهِ حَقٌّ ... وَأَنَّ النّارَ مَثوَى الكافِرِينا
وَأَنَّ مُحَمَّداً يَدعُو بِحَقٍّ ... وَأَنَّ اللهَ مَولَى المُؤمِنِينا

فقالت أما إذا قرأت القرآن فقد صدقتك (١) فأخبرت به رسول الله ﷺ فقال بعد أن تبسم خيركم خيركم لنسائه واختلف العلماء فيمن قال لامرأته أنت عليّ حرام فقال مالك هو ثلاث تطليقات وقال أبو حنيفة إن نوى به الظهار فهو ظهار وإن نوى الإيلاء فهو ايلاء وإن نوى الطلاق فهو طلاق بائن وإن نوى ثلاثا كان ثلاثا وإن نوى اثنتين فواحدة بائنة وإن لم يكن له نية فهو يمين قال الشافعي إن نوى الطلاق كان طلاقا والظهار كان ظهارا وإن لم يكن له نية فهو يمين وروي عن ابن مسعود وابن عباس وعطا أنه يمين وقال أصحابنا انه لا يلزم به شيء ووجوده كعدمه وهو قول مسروق وإنما أوجب الله فيه الكفارة لأن النبي ﷺ كان حلف أن لا يقرب جاريته ولا يشرب الشراب المذكور فأوجب الله عليه أن يكفر عن يمينه ويعود إلى استباحة ما كان حرّمه وبيّن أن التحريم لا يحصل إلا بأمر الله ونهيه ولا يصير الشيء حراما بتحريم من يحرّمه على نفسه إلا إذا حلف على تركه (والله غفور) لعباده (رحيم) بهم اذا رجعوا إلى ما هو الأولى والاليق بالتقوى يرجع لهم إلى التولي (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي قد قدر الله تعالى لكم ما تحلّلون به ايمانكم إذا فعلتموها وشرع لكم الحنث فيها لأن اليمين ينحلّ بالحنث فسمّي ذلك تحلة وقيل معناه قد بيّن الله لكم كفارة أيمانكم في سورة المائدة عن مقاتل قال امر الله نبيّه أن يكفر يمينه ويراجع وليدته فاعتق رقبة وعاد إلى مارية وقيل معناه فرض الله عليكم كفارة أيمانكم كما قال وإن أسأتم فلها أي فعليها فسمى الكفارة تحلة لأنها تجب عند انحلال اليمين وفي هذا دلالة على انه قد حلف ولم يقتصر على قوله هي عليّ حرام لأن هذا القول ليس بيمين (والله) هو (موليكم) اي وليكم يحفظكم وينصركم وهو أولى بكم وأولى بأن تبتغوا رضاه (وهو العليم) بمصالحكم (الحكيم) في أوامره ونواهيه لكم وقيل هو العليم بما قالت حفصة لعائشة الحكيم في تدبيره (وإذ أسرّ النبي إلى بعض ازواجه) وهي حفصة (حديثا) أي كلاما امرها بإخفائه فالإسرار نقيض الإعلان (فلما نبأت) اي اخبرت غيرها بما اخبرها (به) فأفشت سرّه (وأظهره الله عليه) اي واطلع الله نبيّه ﷺ على ما جرى من افشاء سرّه (عرف بعضه وأعرض عن بعض) اي عرف النبي ﷺ حفصة بعض ما ذكرت واخبرها ببعض ما ذكرت واعرض عن بعض ما ذكرت وعن بعض ماجرى من الامر فلم يخبرها وكان ﷺ قد علم جميع ذلك لأن الإعراض إنما يكون بعد المعرفة لكنه اخذ بمكارم الأخلاق والتغافل من خلق الكرام قال الحسن ما استقصى كريم قط واما عرف بالتخفيف فمعناه غضب عليها وجازاها بأن طلّقها تطليقة ثم راجعها بأمر الله وقيل جازاها بأن هَمّ بطلاقها (فلما نبأها به) اي فلما اخبر رسول الله ﷺ حفصة بما اظهره الله عليه (قالت) حفصة

عوض «ومن دانها» والمراد الصنم المنصوب حول العزى.

(١) كانت زوجته تعتقد بان الجنب لم يقرء القرآن، وزعمت ان الاشعار من آيات القرآن؛ فلما رأت انه يقرء القرآن - بزعمها - تيقنت بانه لم يجامع جاريته؛ وتخلص عبدالله بن رواحة من يدها بهذه الحيلة.

(من أنبأك هذا) اي من اخبرك بهذا (قال) رسول الله ﷺ (نبأني العليم) بجميع الامور (الخبير) بسرائر الصدور ثم خاطب سبحانه عائشة وحفصة فقال (إن تتوبا الى الله) من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء والتظاهر عليه فقد حق عليكما التوبة ووجب عليكما الرجوع الى الحق (فقد صغت) اي مالت (قلوبكما) الى الاثم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ضاقت قلوبكما عن سبيل الاستقامة وعدلت عن الثواب الى ما يوجب الاثم وقيل تقديره إن تتوبا الى الله يقبل توبتكما وقيل انه شرط في معنى الأمر أي توبا الى الله فقد صغت قلوبكما (وان تظاهرا عليه) اي وان تتعاونا على النبي ﷺ بالإيذاء عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ قال عائشة وحفصة اورده البخاري في الصحيح (فإن الله هو مولاه) الذي يتولى حفظه وحياطته ونصرته (وجبريل) ايضا معين له وناصر يحفظه (وصالح المؤمنين) يعني خيار المؤمنين عن الضحاك وقيل يعني الأنبياء عن قتادة وقال الزجاج صالح هنا ينوب عن الجميع كما تقول يفعل هذا الخير من الناس تريد كل خير قال ابو مسلم هو صالحوا المؤمنين على الجمع وسقطت الواو في المصحف لسقوطها في اللفظ ووردت الرواية من طريق الخاص والعام أن المراد بصالح المؤمنين امير المؤمنين علي (ع) وهو قول مجاهد وفي كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر (ع) قال لقد عرّف رسول الله ﷺ عليا (ع) اصحابه مرّتين اما مرّة فحيث قال من كنت مولاه فعلي مولاه واما الثانية فحيث نزلت هذه الآية فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الآية اخذ رسول الله ﷺ بيد علي (ع) فقال ايها الناس هذا صالح المؤمنين وقالت اسماء بنت عميس سمعت أن النبي ﷺ يقول وصالح المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) (والملائكة بعد ذلك) اي بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين عن مقاتل (ظهير) اي اعوان للنبي ﷺ وهذا من الواحد الذي يؤدّي معنى الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا (عسى ربه) اي واجب من الله ربه (إن طلقكن) يامعشر ازواج النبي (ان يبدله ازواجا خيراً منكن) اي اصلح له منكن ثم نعت تلك الازواج اللاتي كان يبدله بهن لو طلق نساءه فقال (مسلمات) اي مستسلمات لما امر الله به (مؤمنات) اي مصدقات لله ورسوله مستحقات للثواب والتعظيم وقيل مصدقات في افعالهن واقوالهن (قانتات) اي مطيعات لله تعالى ولأزواجهن وقيل خاضعات متذللات لأمر الله تعالى وقيل ساكتات عن الخنا والفضول عن قتادة (تائبات) عن الذنوب وقيل راجعات الى امر الرسول تاركات لمحاب انفسهن وقيل نادمات على تقصير وقع منهن (عابدات) لله تعالى بما تعبدهن به من الفرائض والسنن على الاخلاص وقيل متذللات للرسول بالطاعة (سائحات) اي ماضيات في طاعة الله تعالى وقيل صائمات عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل مهاجرات عن ابن زيد وابيه زيد بن اسلم والجبائي وإنما قيل للصائم سائح لأنه يستمر في الإمساك عن الطعام كما يستمر السائح في الأرض (ثيبات) وهنّ الراجعات من عند الأزواج بعد انقضاضهن (وابكارا) اي عذارى لم يكن لهن ازواج

قوله تعالى (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

(٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١١) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٢) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (سبع آيات)

القراءة

قرأ حماد ويحيى عن ابي بكر نُصوحا بضم النون والباقون بفتح النون وقرأ اهل البصرة وحفص وكتبه بضم الكاف والتاء على الجمع والباقون وكتابه على الواحد

الحجة

قال ابو علي يشبه أن يكون النصوح بالضم مصدرا وذلك ان ذا الرمة قال « أُحِبُّكَ حُبًّا خَالَطَتْهُ نُصَاحَةٌ »(١) فالنصاحة على فعالة وما كان على فعال من المصادر فقد يكون منه الفعول نحو الذهاب والذهوب ويكون قد وصف بالمصدر نحو عدل ورضا قال ابو الحسن نصحته في معنى صدقته وتوبة نصوح اي صادقة والفتح كلام العرب ولا اعرف الضم وحجة من قال وكُتُبه انه في موضع جمع الا ترى انها قد صدقت بجميع كتب الله تعالى ومن قال وكتابه اراد الكثرة والشياع وقد يجيئ ذلك في الاسماء المضافة كما يجيئ في الاسماء المفردة كما قال وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها

الاعراب

والذين آمنوا معه مبتدأ نورهم مبتدأ ثاني ويسعى بين ايديهم في موضع الخبر والجملة خبر المبتدأ الأول وقوله امرأة فرعون تقديره مثل امرأة فرعون فحذف المضاف وهو بدل من قوله مثلا

المعنى

لما أدّب سبحانه نساء النبي ﷺ امر عقيبه المؤمنين بتأديب نسائهم فقال مخاطبا لهم (يا ايها الذين آمنوا قوا) اي احفظوا واحرسوا وامنعوا (انفسكم واهليكم نارا) والمعنى قوا انفسكم واهليكم النار بالصبر

(١) وبعده «وان كنت احدى اللويات الفوارك» والنساء الفوارك : التى تبغض زوجها .

على طاعة الله وعن معصيته وعن اتباع الشهوات وقوا اهلكم النار بدعائهم الى الطاعة وتعليمهم الفرائض ونهيهم عن القبائح وحثهم على افعال الخير وقال مقاتل بن حيان وهو أن يؤدب الرجل المسلم نفسه واهله ويعلمهم الخير وينهاهم عن الشر فذلك حق على المسلم أن يفعل بنفسه واهله وعبيده واما ئه في تأديبهم وتعليمهم ثم وصف سبحانه النار التي حذرهم منها فقال (وقودها الناس والحجارة) اي حطب تلك النار الناس وحجارة الكبريت وهي تزيد في قوة النار وقد مرّ تفسيره (عليها ملآئكة غلاظ شداد) اي غلاظ القلوب لا يرحمون اهل النار اقوياء يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم (لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون) وفي هذا دلالة على ان الملآئكة الموكلين بالنار معصومون عن القبائح لا يخالفون الله في اوامره ونواهيه وقال الجبائي إنما عنى انهم لا يعصونه ويفعلون ما يأمرهم به في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف وإنما هي دار جزاء وإنما امرهم الله تعالى بتعذيب اهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم ولذاتهم في تعذيب اهل النار كما جعل سرور المؤمنين ولذاتهم في الجنة ثم حكى سبحانه ما يقال للكفار يوم القيامة فقال (يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) وذلك انهم اذا عذّبوا يأخذون في الاعتذار فلا يلتفت الى معاذيرهم ويقال لهم لا تعتذروا اليوم فهذا جزاء فعلكم وذلك قوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) ثم عاد سبحانه الى خطاب المؤمنين في دار التكليف فقال (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله) من معاصيه وارجعوا الى طاعته (توبة نصوحا) اي خالصة لوجه الله وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يتوب التائب ثم لا يرجع في ذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال ابن مسعود التوبة النصوح هي التي تكفر كل سيئة وهو في القرآن ثم تلا هذه الآية وقيل ان التوبة النصوح هي التي يناصح الانسان فيها نفسه باخلاص الندم مع العزم على أن لا يعود الى مثله في القبح وقيل هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه عن الحسن وقيل هي الصادقة الناصحة عن قتادة وقيل هي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن عن الكلبي وقيل هي التوبة المقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاث خوف أن لا تقبل ورجاء أن تقبل وادمان الطاعة عن سعيد بن جبير وقيل هي أن يكون الذنب نصب عينيه ولا يزال كأنه ينظر اليه وقيل هي من النصح وهو الخياطة لأن العصيان يخرق الدين والتوبة ترقعه وقيل لأنها جمعت بينه وبين اولياء الله كما جمع الخياط الثوب والصق بعضه ببعض وقيل لأنها احكمت طاعته واوثقتها كما احكم الخياط الثوب واوثقه (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) اي يحطها عنكم ويدخلكم الجنة وعسى من الله واجب ثم قال (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) اي لا يعذبهم الله بدخول النار ولا يذلهم بذلك بل يعزهم بإدخالهم الجنة وقيل لا يخزي الله النبي اي لا يشوره فيما يريده من الشفاعة بل يشفعه في ذلك (نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم) مفسر في سورة الحديد وقال ابو عبد الله (ع) يسعى أئمة المؤمنين يوم القيامة بين ايديهم وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازلهم في الجنة (يقولون ربنا) وهو في موضع نصب على الحال تقديره قائلين ربنا (اتمم لنا نورنا) وقيل ان قوله والذين آمنوا معه مبتدأ ونورهم يسعى خبره ويقولون اتمم لنا نورنا خبر آخر من الذين آمنوا وحال منهم وفيه وجه آخر ذكرناه في الاعراب وقيل اتمم لنا نورنا معناه وفقنا للطاعة التي هي سبب النور (واغفر لنا) اي استر علينا معاصينا

ولا تهلكنا بها (إنك على كل شئ قدير) من اطفاء نور المنافقين واثبات نور المؤمنين ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالقتال والحرب (والمنافقين) بالقول الرادع عن القبيح لا بالحرب إلا أن فيه بذل المجهود فلذلك سماه جهادا وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين وقال ان رسول الله ﷺ لم يقاتل منافقا قط إنما كان يتألفهم (واغلظ عليهم) أي اشدد عليهم من غير محاباة وقيل اشدد عليهم في اقامة الحد عليهم قال الحسن اكثر من يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فأمر الله تعالى أن يغلظ عليهم في اقامة الحد (ومأويهم) اي مآل الكفار والمنافقين (جهنم وبئس المصير) اي المآل والمستقر ثم ضرب الله المثل لأزواج النبي حثا لهن على الطاعة وبيانا لهن ان مصاحبة الرسول مع مخالفته لا تنفعهن فقال (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا) اي نبيّين من انبيائنا (صالحين فخانتاهما) قال ابن عباس كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس انه مجنون وإذا آمن بنوح احد اخبرت الجبابرة من قوم نوح به وكانت امرأة لوط تدل على اضيافه فكان ذلك خيانتهما وما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهما في الدين وقال السدي كانت خيانتهما انهما كانتا كافرتين وقيل كانتا منافقتين وقال الضحاك خيانتهما النميمة اذا اوحى الله اليهما افشتاه الى المشركين (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) اي ولم يغن نوح ولوط مع نبوتهما عن امرأتيهما من عذاب الله شيئا (وقيل) اي ويقال لهما يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) وقيل ان اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط واهلة وقال مقاتل والغة والهة (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) وهي آسية بنت مزاحم قيل انها لما عاينت المعجز من عصا موسى وغلبته السحرة اسلمت فلما ظهر لفرعون إيمانها نهاها فأبت فاوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس ثم أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة فلما قرب أجلها (قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فرفعها الله تعالى الى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب عن الحسن وابن كيسان وقيل انها ابصرت بيتا في الجنة من درة وانتزع الله روحها فالقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح فلم تجد ألما من عذاب فرعون وقيل انها كانت تعذب بالشمس واذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنة عن سلمان (ونجّني من فرعون وعمله) اي دينه وقيل وجاعه عن ابن عباس (ونجّني من القوم الظالمين) من اهل مصر قالوا قطع الله بهذه الآية طمع من ركب المعصية رجاء أن يقطعه صلاح غيره واخبر ان معصية الغير لا تضرّ من كان مطيعا قال مقاتل يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم وهو قوله (ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها) اي منعت فرجها من دنس المعصية وعفت عن الحرام وقيل معناه منعت فرجها من الازواج لم تبتغ زوجا ولا غيره (فنفخنا فيه من روحنا) اي فنفخ جبرائيل بامرنا في جيبها من روحنا عن قتادة وقال الفراء كل شق فهو فرج واحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرائيل وقيل نفخ جبرائيل في فرجها وخلق الله منه المسيح وهو الظاهر ولذلك ذكّره وقال في سورة الانبياء فيها وعاد الضمير الى التي احصنت فرجها وقيل معناه خلقنا المسيح في بطنها ونفخنا فيه الروح حتى صار حيا فالضمير في فيه يعود الى المسيح (وصدقت بكلمات ربها) اي بما تكلم الله تعالى واوحاه الى انبيائه وملائكته وقيل صدقت بوعد الله ووعيده وأمره ونهيه (وكتبه) اي وصدقت بكتب الله المنزلة على انبيائه مثل التوراة والانجيل ومن وحّد فالمراد به الانجيل (وكانت من

القانتين) اي المطيعين لله سبحانه والدائمين على طاعته ويجوز ان يكون من القنوت في الصلاة ويجوز ان يريد بالقانتين زهطها وعشيرتها الذين كانت مريم منهم وكانوا اهل بيت صلاح وطاعة ولم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المؤنث وجاءت الرواية عن معاذ بن جبل قال دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على خديجة وهي تجود بنفسها فقال اكرم منازل بك يا خديجة وقد جعل الله في الكره خيرا كثيرا فإذا قدمت على ضراتك فاقرأيهن مني السلام قالت يا رسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة او كايمة اخت موسى شك الراوي فقالت بالرفاء والبنين (١) وعن ابي موسى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

سورة الملك

وتسمى سورة المنجية لأنها تنجي صاحبها من عذاب القبر وقد ورد به الخبر وتسمى الواقية لما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انها الواقية من عذاب القبر وهي مكية

عدد آيها

احدى وثلاثون آية مكي والمدني الأخير وثلاثون آية في الباقين

اختلافها

آية واحدة قد جاءنا نذير مكي والمدني الأخير

فضلها

ابي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ومن قرأ سورة تبارك فكأنما احيا ليلة القدر وعن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن وعن ابي هريرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وادخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن ابن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال له ليس لكم عليه سبيل لأنه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد اكثر واطيب وروى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر (ع) قال سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي مكتوبة في التوراة سورة الملك ومن قرأها في ليلة فقد اكثر واطاب ولم يكتب من الغافلين واني لأركع بها بعد العشاء الآخرة وانا جالس وان الذي كان يقرأها

(١) اى بالسكون والطمأنينة من رفوت الرجل : اذا سكنته او بمعنى الاتفاق وحسن الاجتماع . يقال ذلك لمن تزوج امرأة .

في حياته في يومه وليلته اذا دخل عليه في قبره ناكر ونكير من قبل رجليه قالت رجلاه لهما ليس لكما الى ماقبلي سبيل قد كان هذا العبد يقوم عليَّ فيقرأ سورة الملك في كل يوم وليلة فإذا اتياه من قبل جوفه قال لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل كان هذا العبد وقد وعى سورة الملك واذا اتياه من قبل لسانه قال لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل قد كان هذا العبد يقرأ في كل يوم وليلة سورة الملك . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة تبارك الذي بيده الملك في المكتوبة قبل أن ينام لم يزل في امان الله حتى يصبح وفي امانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة ان شاء الله

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بأن الوصلة لا تنفع الا بالطاعة وأصل الطاعة المعرفة والتصديق بالكلمات الإلهية افتتح هذه السورة بدلائل المعرفة وآيات الربوبية فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٣) ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٤) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٥) وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي من تفوّت بتشديد الواو من غير الف وهي قراءة الأعمش والباقون تفاوت بالالف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو الحسن تفاوت اجود لأنهم يقولون تفاوت الأمر ولا يكادون يقولون تفوّت الأمر قال وهي اظن لغة قال سيبويه قد يكون فاعل وفعل بمعنى نحو ضاعف وضعف وتفاعل مطاوع فاعل كما أن تفعل مطاوع فعل فعلى هذا القياس يكون تفاعل وتفعل بمعنى وتفاوت وتفوت بمعنى

﴿ اللغة ﴾

تبارك اصله من البرك وهو ثبوت الطائر على الماء والبركة ثبوت الخير بنمائه وقوله طباقا مصدر طوبقت طباقا فهي مطبق بعضها على بعض عن الزجاج وقيل هو جمع طبق مثل جمل وجمال والتفاوت الاختلاف والاضطراب والفطور الشقوق والصدوع من الفطر وهو الشق الخاسئ الذليل الصاغر وقيل هو البعيد مما يريده منه وقيل للكلب اخسأ والحسير من الإبل المعيي الذي لا فضل فيه للسير قال

بِهَا جِيَفُ ٱلْحَسْرَىٰ فَأَمَّا عِظَامُهَا ... فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ (١)

والسعير النار المسعرة واعتدنا اصله اعددنا اي هيأنا فابدلت الدال تاء

(١) يصف بريّة واسعة هلكت فيها المطايا وبقي فيها جيفها .

﴿ الإعراب ﴾

الذي خلق بدل من الذي بيده الملك ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف فعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ما قبله وعلى الوجه الأول لا يجوز وقوله أيكم احسن عملا تعليق لأن التقدير ليبلوكم فيعلم ايكم احسن عملا وارتفع أيّ بالابتداء وإنما لم يعمل فيه ما قبله لأنه على اصل الاستفهام وطباقا نصب على الحال اذا اردنا في سموات معنى الالف واللام وان جعلناها نكرة كان طباقا صفتها وقوله كرتين منصوب على المصدر اي رجعتين

﴿ المعنى ﴾

اخبر سبحانه عن عظمته وعلو شأنه وكمال قدرته فقال (تبارك) اي تعالى وجلّ عما لا يجوز عليه في ذاته وافعاله عن ابي مسلم وقيل معناه تعالى بأنه الثابت الذي لم يزل ولا يزال وقيل معناه تعاظم بالحق من ثبوت الاشياء به اذ لولاه لبطل كل شيء لأنه لا يصحّ سواه شيء الا وهو مقدوره او مقدور مقدوره الذي هو القدرة وقيل معناه تعالى مَنْ جميعُ البركات منه الا ان هذا المعنى مضمر في الصفة غير مصرّح به وإنما المصرح به أنه تعالى باستحقاق التعظيم (الذي بيده الملك) والملك هو اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير ومعناه الذي هو المالك وله الملك يؤتيه من يشاء ويتصرف فيه كما يشاء وإنما ذكر اليد تأكيدا ولأن اكثر التصرفات والعطايا باليد (وهو على كل شيء قدير) من انعام وانتقام وقيل معناه قادر على كل شيء يصح أن يكون مقدورا له وهو اخصّ من قولنا وهو بكل شيء عليم لأنه لا شيء إلا ويجب أن يعلمه اذ لا شيء الا ويصح أن يكون معلوما في نفسه ولا يوصف سبحانه بكونه قادرا على مالا يصح أن يكون مقدورا في نفسه مثل ماتقضى وقته مما لا يبقى ثم وصف سبحانه نفسه فقال (الذي خلق الموت والحياة) اي خلق الموت للتعبد بالصبر عليه والحياة للتعبد بالشكر عليها وقيل خلق الموت للاعتبار والحياة للتزود وقيل انما قدّم ذكر الموت على الحياة لأنه الى القهر اقرب كما قدّم البنات على البنين في قوله يهب لمن يشاء اناثا الآية وقيل إنما قدّمه لأنه اقدم فإن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الأموات كالنطفة والتراب ثم اعترضت الحياة (ليبلوكم ايكم احسن عملا) اي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كل عامل بقدر عمله وقيل ليبلوكم ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا واحسن صبرا على موته وموت غيره وايكم اكثر امتثالا للأوامر واجتنابا عن النواهي في حال حياته قال ابو قتادة سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى أيكم احسن عملا ما عنى به فقال يقول أيكم احسن عقلا ثم قال اتمكم عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا وعن ابن عمر عن النبي ﷺ انه تلا قوله تعالى تبارك الذى بيده الملك الى قوله ايكم أحسن عملا ثم قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وعن الحسن أيكم ازهد في الدنيا واترك لها (وهو العزيز) في انتقامه ممن عصاه (الغفور) لمن تاب اليه او لمن اراد التفضل عليه باسقاط عقابه والتكليف انما يصحّ بالترغيب والترهيب لأن معناه تحمل المشقة في الأمر والنهي ثم عاد سبحانه الى وصف نفسه فقال (الذي خلق سبع سموات) اي أنشأهن واخترعهن (طباقا) واحدة فوق الاخرى وقيل اراد بالمطابقة المشابهة اى يشبه بعضها بعضا في الإتقان والإحكام والاتساق والانتظام (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) اي اختلاف وتناقض من طريق الحكمة

بل ترى افعاله كلها سواء في الحكمة وإن كانت متفاوتة في الصور والهيئات يعني في خلق الأشياء على العموم وفي هذا دلالة على ان الكفر والمعاصي لا يكون من خلق الله تعالى لكثرة التفاوت في ذلك وقيل معناه ما ترى يا ابن آدم في خلق السموات من عيب واعوجاج بل هي مستقيمة مستوية كلها مع عظمها (فارجع البصر) اي فرد البصر وأدره في خلق الله واستقص في النظر مرة بعد اخرى والتقدير انظر ثم ارجع النظر في السماء (هل ترى من فطور) اي شقوق وفتوق عن سفيان وقيل من وهن وخلل عن ابن عباس وقتادة (ثم ارجع البصر كرتين) اي ثم كرر النظر مرتين لأن من نظر في الشيء كرة بعد اخرى بان له ما لم يكن باثنا وقيل معناه ادم النظر والتقدير ارجع البصر مرة بعد اخرى ولا يريد حقيقة التثنية لقوله وهو حسير ولا يصير حسيرا بمرتين ونظيره قولهم لبيك وسعديك اي البابا بعد الباب واسعادا بعد اسعاد يعني كلما دعوتني فأنا ذو اجابة بعد اجابة وذو ثبات بمكاني بعد ثبات من قولهم لبَّ بالمكان وألب إذا ثبت واقام وهو نصب على المصدر اي اجيبك اجابة بعد اجابة (ينقلب اليك البصر خاسئا) اي يرجع اليك بصرك بعيدا عن نيل المراد ذليلا صاغرا عن ابن عباس كأنه ذلّ كذلة من طلب شيئا فلم يجده وابعد عنه (وهو حسير) اي كالٌ معيٌ عن قتادة والتحقيق أن بصر هذا الناظر بعد الاعياء يرجع اليه بعيدا عن طلبته خائبا في بغيته ثم أقسم سبحانه فقال (ولقد زينا السماء الدنيا) لأن هذه اللام هي التي يتلقى بها القسم أي حسنا السماء الدنيا يعني التي هي ادنى إلى الأرض وهي التي يراها الناس (بمصابيح) واحدها مصباح يعني الكواكب سماها المصابيح لإضاءتها وهي السرج (وجعلناها رجوما للشياطين) الذين يسترقون السمع وقيل ينفصل من الكواكب شهب تكون رجوما للشياطين فاما الكواكب انفسها فليست تزول إلى أن يريد الله تعالى افناءها عن الجبائي (واعتدنا لهم عذاب السعير) يعني انا جعلنا مع الكواكب رجوما للشياطين هيأنا لهم وادخرنا لأجلهم عذاب النار المسعرة المشعلة وفي هذا دلالة على أن الشياطين مكلفة

قوله تعالى (٦) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٨) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٩) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (١٠) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (ست آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر والكسائي فسُحقا بضمتين والباقون بالتخفيف

الحجة

سُحُق وسُحْق مثل عنق وعنق وطنب وطنب ونحو ذلك وكلاهما حسن

اللغة

الشهيق صوت تقطيع النفس كالنزع واذا اشتدّ لهيب النار سمع منها ذلك الصوت كأنها تطلب الوقود

قال رؤبة حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلًا أَوْ شَهَقْ ... حَتَّى يُقَالَ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقْ (١)

وقيل إن الشهيق في الصدر والزفير في الحلق والفور ارتفاع الشيء بالغليان يقال فارت القدر تفور ومنه الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان ومنه فار الدم من الجرح وفار الماء من الأرض والسحق البعد يقال اسحقهم الله اسحاقا وسحقا اي الزمهم الله سحقا عن الخير فجاء المصدر على غير لفظه كما قال والله انبتكم من الارض نباتا وتقديره فأسحقهم اسحاقا واما سحقته سحقا فمعناه باعدته بالتفريق عن حال اجتماعه حتى صار كالغبار

المعنى

لما تقدم وعيد الشياطين الذين دعوا إلى الكفر والضلال اتبعه سبحانه بذكر الكفار الضلال فقال (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) اي بئس المآل والمرجع وإنما وصف ببئس وهو من صفات الذم والعقاب حسن لما في ذلك من الضرر الذي يجب على كل عاقل ان يتقيه بغاية الجهد ولا يجوز قياسا على ذلك أن يوصف به فاعل العقاب لأنه لا يقال بئس الرجل إلا على وجه الذم ووجه الحكمة في فعل العقاب ما فيه من الزجر المتقدم للمكلف ولا يمكن أن يكون مزجورا إلا به ولولاه لكان مغرى بالقبيح (إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) اي اذا طرح الكفار في النار سمعوا للنار صوتا فظيعا مثل صوت القدر عند فورانها وغليانها فيعظم بسماع ذلك عذابهم لما يرد على قلوبهم من هوله (وهي تفور) أي تغلي بهم كغلي المرجل (تكاد تميز) اي تتقطع وتتفرق (من الغيظ) أي شدة الغضب سمّى سبحانه شدة التهاب النار غيظا على الكفار لأن المغتاظ هو المتقطع مما يجد من الالم الباعث على الايقاع بغيره فحال جهنم كحال المتغيظ (كلما القي فيها) أي كلما طرح في النار (فوج) من الكفار (سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) أي تقول لهم الملائكة الموكلون بالنار على وجه التبكيت لهم في صيغة الاستفهام ألم يجئكم مخوّف من جهة الله سبحانه يخوّفكم عذاب هذه النار (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) اي فيقولون في جوابهم بلى قد جاءنا مخوّف فلم نصدّقه وكذّبناه ولم نقبل منه بل قلنا له ما نزّل الله شيئا مما تدعونا اليه وتحذرنا منه فتقول لهم الملائكة (إن أنتم إلا في ضلال كبير) أي لستم اليوم إلا في عذاب عظيم وقيل معناه قلنا للرسل ما انتم إلا في ضلال أي ذهاب عن الصواب كبير في قولكم انزل الله علينا كتابا (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل) من النذر ما جاؤونا به ودعونا اليه وعملنا بذلك (ما كنا في اصحاب السعير) وقال الزجاج لو كنا نسمع سمع من يعي ويفكر ونعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من اهل النار وفي الحديث عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال إن الرجل ليكون من اهل الجهاد ومن اهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ كيف عقل الرجل قالوا يارسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال إن الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم ثم قال سبحانه (فاعترفوا بذنبهم) في ذلك الوقت الذي لا ينفعهم فيه الإقرار والاعتراف والاقرار مشتق من قرّ الشيء يقرّ قرارا إذا ثبت والاعتراف مأخوذ من المعرفة والذنب مصدر لا يثنّى ولا يجمع ومتى جمع فلاختلاف جنسه (فسحقا لأصحاب السعير) هذا دعاء عليهم أي أسحقهم الله وابعدهم من النجاة سحقا واذا قيل ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم

(١) هذا بيت من ارجوزة طويلة من ابيات منها وصف فيها حمار الوحش واتنه التى شبه ناقته بها فى الجلادة وسرعة العدو ؛ والحشرجة : صوت الحمار من صدره . والسحيل ؛ الصوت الذى يدور فى صدره . والنهيق : صوته ايضاً .

من الفضيحة به فالجواب انهم قد علموا حصولهم على الفضيحة اعترفوا أم لم يعترفوا فليس يدعوهم الى احد الامرين إلا مثل ما يدعوهم إلى الآخر في انه لا فرج فيه فاستوى الامران عليهم الاعتراف وترك الاعتراف والجزع وترك الجزع

قوله تعالى (١٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٣) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٤) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ الخَبِيرُ (١٥) هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ (١٦) أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٧) أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٨) وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٩) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢١) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (عشر آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير النشور وامنتم وقرأ أبو جعفر ونافع وابو عمرو ويعقوب بهمزة واحدة ممدودة وهو تحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية بأن تجعل بين بين وقرأ الباقون أأمنتم بهمزتين

الحجة

أما الأول فهو تخفيف الهمزة الاولى بأن جعلت واوا وهذا في المنفصل نظير قولهم في المتصل التُؤدة وجُون في جمع جؤنة فأما الهمزة التي هي فاء من قولهم أأمنتم بعد تخفيف الاولى بقلبها واوا فإنه يجوز فيه التحقيق والتخفيف فإن حقق كان لفظه النشور وامنتم وان خفف كان القياس ان تجعل بين بين اعني بين الألف والهمزة لتحركها بالفتحة ومن قال «لأهناكِ المَرتَعُ»(١) وقلبها الفا كان القياس ان يقول هنا النشور وامنتم بقلبها الفا محضة وسيبويه يجيز هذا القلب في الشعر وغير حال السعة وكان قياس قول ابي عمرو على ما حكاه عنه سيبويه من أنه إذا اجتمع همزتان خفف الاولى منها دون الثانية ان يقلب الأولى منها هنا واوا كما فعله ابن كثير فأما الثانية فإن شاء حققها وإن شاء خففها وتخفيفها ان تجعل بين الهمزة والألف ولعل أبا عمرو ترك هذا القول في هذا الموضع فأخذ فيه بالوجه الآخر وهو تخفيف الثانية منها إذ التقتا دون الاولى

اللغة

اللطف من الله الرأفة والرحمة والرفق واللطيف الرفيق بعباده يقال لطف به يلطف لطفا إذا رفق به والذلول من المراكب مالا صعوبة فيه ومناكب الارض ظهورها ومنكب كل شيء اعلاه واصله الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء والنشور الحياة بعد الموت يقال نشر الميت ينشر نشورا إذا عاش وانشره الله احياه

(١) من عجز بيت انشده سيبويه ولم ينسبه الى قائل وتمامه «فارعى فزارة لاهناك المرتع»

قال الأعشى حَتّى يَقُولَ النّاسُ مِمّا رَأَوْا يا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النّاشِرِ (١)

واصله من النشر ضد الطي والحاصب الحجارة التي ترمي بها كالحصاء وحصبه بالحصاة يحصبه حصبا إذا رماه بها ويقال للذي يرمي به حاصب اي ذو حصب

﴿ الاعراب ﴾

بالغيب في موضع نصب على الحال «الا يعلم من خلق» فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون من خلق في موضع رفع بأنه فاعل يعلم والتقدير الا يعلم من خلق الخلق ضمائر صدورهم ﴿ الثاني ﴾ ان يكون من خلق في موضع نصب بأنه مفعول به وتقديره الا يعلم الله من خلقه ﴿ والثالث ﴾ ان يكون من استفهاما في موضع نصب بأنه مفعول خلق وفاعل خلق الضمير المستكن فيه العائد إلى الله تعالى والاول أصح الوجوه وقوله ان يخسف بكم الارض في موضع نصب بأنه بدل من في قوله من في السماء وهو بدل الاشتمال فإذا هي تمور إذا ظرف المفاجأة وهو معمول . قوله وهي تمور جملة في موضع نصب على الحال من يخسف بكم الارض وذو الحال الارض وان يرسل بدل ايضا مثل قوله ان يخسف وقوله كيف نذير مبتدأ وخبر والخبر مقدم والجملة متعلقة بقوله فستعلمون والتقدير فستعلمون محذور انذاري ام لا وقوله فكيف كان نكير كيف هنا خبر كان وقوله ويقبضن معطوف على صافات وإنما عطف الفعل على الاسم ومن الاصل المقرر ان الفعل لا يعطف إلا على الفعل كما ان الاسم لا يعطف الا على الاسم لانه وان كان فعلا فهو في موضع الحال فتقديره تقدير اسم فاعل وصافات حال فجاز ان يعطف عليه فكأنه قال صافات وقابضات وقد جاء مثل هذا في الشعر قال

بَاتَ يُعَشِّيها بِعَضْبٍ باتِرٍ يَعْدِلُ فِي أَسْوُقِها وَجائِرِ (٢)

أمّن هذا الذي هو جند لكم مَنْ هنا استفهام في موضع رفع بالابتداء دخل عليه ام المنقطعة وهذا مبتدأ ثان والذي خبره وقد وصل بالمبتدأ والخبر وهو قوله هو جند لكم وينصركم صفة الجند

﴿ المعنى ﴾

لمّا تقدّم الوعيد عقّبه سبحانه بالوعد فقال (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) اي يخافون عذاب ربهم باتقاء معاصيه وفعل طاعاته على وجه الاستمرار بذلك لأن الخشية متى كانت بالغيب على ما ذكرنا كانت بعيدة من الرياء خالصة لوجه الله وخشية الله بالغيب تنفع بأن يستحق عليها الثواب وخشيته في الظاهر بترك المعاصي لا يستحق بها الثواب فإذا الخشية بالغيب افضل لامحالة وقيل بالغيب معناه انهم يخشونه ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه وقيل يخافونه حيث لا يراهم مخلوق لأن اكثر ما ترتكب المعاصي انما ترتكب في حال الخلوة فهم يتركون المعصية لئلا يجعلوا الله سبحانه اهون الناظرين اليهم ولأن من تركها في هذه الحال تركها في حال العلانية ايضا (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اي عظيم في الآخرة لافناء له ثم قال سبحانه مهدّدا للعصاة (واسرّوا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) يعني انه عالم بإخلاص المخلص ونفاق المنافق فإن شئتم فأظهروا القول وإن شئتم فأبطنوه فإنه عليم بضمائر القلوب ومن علم إضمار القلب علم اسرار القول قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره به جبرئيل فقال بعضهم لبعض اسرّوا قولكم لكيلا يسمع آل محمد فنزلت الآية (ألا يعلم من خلق) قيل في معناه وجوه ﴿ احدها ﴾ الا يعلم ما في الصدور من خلق الصدور ﴿ وثانيها ﴾ الا يعلم سرّ العبد من خلقه اي من خلق العبد فعلى الوجهين يكون من خلق

(١) يصف جارية وقبل هذا البيت قوله «لو استدت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر» والناشر بمعنى المنشور كما في قوله تعالى «ماء دافق» بمعنى المدفوق . (٢) يصف رجلا كريما وفد عليه الاضياف فبادر الى نحر الجزور لعشاء هؤلاء الضيفان . وقوله «يعشيها» بالعين المهملة والضمير يرجع الى الجزور وروى بالغين المعجمة فالضمير يرجع الى

بمعنى الخالق ﴿وثالثها﴾ ان يكون من خلق بمعنى المخاوق والمعنى ألا يعلم الله مخلوقه (وهو اللطيف) اي العالم بما لطف ودقّ وقيل اللطيف بعباده من حيث يدبّرهم بألطف التدبير واللطيف التدبير من يدبر تدبيرا نافذا لا يجفو عن شيء يدبّره به وقيل اللطيف من كان فعله في اللطف بحيث لا يهتدي اليه غيره وهو فعيل بمعنى فاعل كالقدير والعليم وقيل هو بمعنى الملطف كالبديع بمعنى المبدع وقيل اللطيف الذي يكلّف اليسير ويعطي الكثير (الخبير) العالم بالعباد واعمالهم ثم عدّد سبحانه انواع نعمه ممتنا على عباده بذلك فقال (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) اي سهلة ساكنة مسخرة تعملون فيها ما تشتهون وقيل ذلولا لم يجعلها بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة والغلظ وقيل ذلولا موطأة للتصرف فيها والمسير عليها ويمكّنكم زراعتها (فامشوا في مناكبها) اي في طرقها وفجاجها عن مجاهد وقيل في جبالها لأن منكب كل شيء اعلاه عن ابن عباس وقتادة ثم ان كان هذا امر ترغيب فالمراد فامشوا في طاعة الله وان كان للإباحة فقد اباح المشي فيها لطلب المنافع في التجارات (وكلوا من رزقه) اي كلوا مما انبت الله في الأرض والجبال من الزروع والاشجار حلالا (واليه النشور) أي والى حكمه المرجع في القيامة وقيل معناه واليه الإحياء للمحاسبة فهو مالك النشور والقادر عليه عن الجبائي ثم هدّد سبحانه الكفار زاجرا لهم عن ارتكاب معصيته والجحود لربوبيته فقال (أأمنتم من في السماء) اي أمنتم عذاب من في السماء سلطانه وامره ونهيه وتدبيره لابدّ ان يكون هذا معناه لاستحالة ان يكون الله جل جلاله في مكان اوفي جهة وقيل يعني بقوله من في السماء الملك الموكل بعذاب العصاة (ان يخسف بكم الارض) يعني ان يشقّ الارض فيغيبكم فيها اذا عصيتموه (فإذا هي تمور) اي تضطرب وتتحرك والمعنى ان الله يحرّك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب فوقهم وهم يخسفون فيها حتى تلقيهم إلى أسفل والمور التردد في الذهاب والمجيء مثل الموج (ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا) اي ريحا ذات حجر كما ارسل على قوم لوط حجارة من السماء وقيل سحابا يحصب عليكم الحجارة (فستعلمون) حينئذ (كيف نذير) اي كيف انذاري اذا عاينتم العذاب (ولقد كذّب الذين من قبلهم) رسلي وجحدوا وحدانيتي (فكيف كان نكير) أي عقوبتي وتغييري ما بهم من النعم وقيل كيف رأيتم انكاري عليهم بإهلاكهم واستئصالهم ثم نبّه سبحانه على قدرته على الخسف وارسال الحجارة فقال (او لم يروا الى الطير فوقهم صافات) تصف اجنحتها في الهواء فوق رؤسهم (ويقبضن) اجنحتهن بعد البسط وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط اي يضربن بأرجلهن ويبسطن اجنحتهن تارة ويقبضن اخرى فالجو للطائر كالماء للسابح وقيل معناه ان من الطير مايضرب بجناحه فيصف ومنه ما يمسكه فيدف ومنه الصفيف والدفيف (ما يمسكهن الا الرحمن) بتوطئة الهواء لهن ولولا ذلك لسقطن وفي ذلك اعظم دلالة واوضح برهان وحجة بأن من سخر الهواء هذا التسخير على كل شيء قدير والصف وضع الأشياء المتوالية على خط مستقيم والقبض جمع الاشياء عن حال البسط والامساك اللزوم المانع من السقوط عن علي بن عيسى (انه بكل شيء بصير) أي بجميع الاشياء عليم (ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) هذا استفهام انكار اي لا جند لكم ينصركم مني ويمنعكم من عذابي ان اردت عذابكم عن ابن عباس ولفظ الجند موحد ولذلك قال هذا الذي وكانه سبحانه يقول للكفار بأيّ قوة تعصونني ألكم جند يدفع عنكم عذابي بيّن بذلك أن الاصنام لا يقدرون على نصرتهم (إن الكافرون الا في غرور) أي ما الكافرون الا في

زوجة الرجل وينقلب المعنى الى معنى آخر كما قاله العيني. والعضب : السيف . والباتر : القاطع . واسوق جمع الساق وجائر من الجور ضد العدل . والشاهد في عطف جائر على يعدل لكونه بمعنى الفعل اى يعدل ويجور.

غرور من الشيطان يغرّهم بأن العذاب لا ينزل بهم وقيل معناه ما هم الا في أمر لا حقيقة له من عبادة الاوثان يتوهمون ان ذلك ينفعهم والامر بخلافه (ام من هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه) أي الذي يرزقكم ان امسك الله الذي هو رازقكم اسباب رزقه عنكم وهو المطر هاهنا (بل لجوا في عتو ونفور) أي ليسوا يعتبرون فينظرون بل تمادوا واستمروا في اللجاج وجاوزوا الحد في تماديهم ونفورهم عن الحق وتباعدهم عن الايمان لما كان للمشركين صوارف كثيرة عن عبادة الاوثان وهم كانوا يتقحمون بذلك على العصيان فقد لجّوا في عتوهم قال الفراء قوله من هذا الذي يرزقكم الآية تعريف حجة الزمها الله العباد فعرفوا فأقرّوا بها ولم يردّوا لها جوابا فقال سبحانه بل لجّوا في عتوّ ونفور

قوله تعالى (٢٢) أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٢٤) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٥) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٦) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٧) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٨) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٩) قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (تسع آيات)

القراءة

قرأ يعقوب تدعون ساكنة الدال خفيفة وهو قراءة الحسن والضحاك وقتادة والباقون تدّعون بالتشديد وقرأ الكسائي فسيعلمون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

اما قوله تدعون فالمعنى هذا الذي كنتم به تدعون الله كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع واما تدّعون بالتشديد فمعناه تتداعون بوقوعه قال ابن جني يعني كان الدعوة بوقوعه فاشية بينكم كقوله تعالى في معنى الهموم ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يفش هذا فيكم وليس معنى تدّعون هنا من ادعاء الحقوق وانما بمعنى تتداعون من الدعاء لا من الدعوى كما في قول الشاعر «فما برحت خيل تثوب وتدعي» يعني تتداعى بينهما يا لفلان

اللغة

يقال كبيته فأكب وهو نادر مثل قشعت الريح السحاب فاقشعت ونزفت البئر فانزفت أي ذهب ماؤها ونسلت ريش الطائر فانسل والزلفة القربة وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع ومنه المزدلفة لقربه من مكة وقد تجمع الزلفة زُلفا قال العجاج

ناجٍ طواه الأين مما وجفا ... طيَّ الليالي زُلفا فزلفا (١)

وساءه الامر يسوؤه سوءا أي غمّه وحزنه ومنه اساء يسيء اذا فعل ما يؤدّي الى الغمّ وماء غور أي

(١) وبعده «سماوة الهلال حتى احقوقفا» قوله ناج اى الجمل الذى ينجو بصاحبه من خطر البرية . والاين: الاعياء والتعب . اى هزل السير الجمل كما يهزل الليالى الهلال وزلفا نزلفا اى درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة.

غائر وصف بالمصدر مبالغة كما يقال هؤلاء زور فلان وضيفه والمعين قيل انه مفعول ماخوذ من العين فعلى هذا يكون مثل مبيع من البيع وقيل انه من الإمعان في الجري فعلى هذا يكون على وزن فعيل فكأنه قيل ممعن في الإسراع والظهور

﴿ الاعراب ﴾

قليلا صفة مصدر محذوف أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة فستعلمون من هو في ضلال مبين يحتمل ان يكون من استفهاما فيكون اسما موصولا قال ابو علي دخلت الفاء في قوله فمن يجير وقوله فمن يأتيكم لأن أرأيتم بمعنى انتبهوا أي انتبهوا فمن يجير وانتبهوا فمن يأتيكم كما تقول قم فزيد قائم قال ولا يكون الفاء جواب الشرط وانما يكون جواب الشرط مدلول أرأيتم قال وان شئت كان الفاء زائدة مثلها في قوله فلا تحسبنهم ويكون الاستفهام سادا مسد مفعولي ارأيتم كقولهم ارايت زيدا ما فعل وهذا من دقائقه

﴿ المعنى ﴾

ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر والمؤمن فقال (افمن يمشي مكبا على وجهه) اي منكسا راسه الى الأرض فهو لا يبصر الطريق ولا من يستقبله ينظر امامه ولا يمينه ولا شماله وهو الكافر المقلد لا يدري أمحق هو أم مبطل هذا (اهدى ام من يمشي سويا) أي مستويا قائما يبصر الطريق وجميع جهاته كلها فيضع قدمه حيث لا يعثر وهو المؤمن الذي سلك طريق الحق وعرفه واستقام عليه وامكنه دفع المضار عن نفسه وجلب المنافع اليها (على صراط مستقيم) أي على طريق واضح قيم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقيل ان هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبا على وجهه يوم القيامة كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عن قتادة (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (هو الذي أنشأكم) بأن اخرجكم من العدم الى الوجود (وجعل لكم السمع) تسمعون به المسموعات (والابصار) تبصرون بها المبصرات (والافئدة) يعني القلوب تعقلون بها وتتدبرون فأعطاكم آلات التفكر والتمييز والوصول الى العلم (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون قليلا وقيل معناه قليلا شكركم فتكون ما مصدرية (قل) لهم يا محمد (هو) الله تعالى (الذي ذرأكم) أي خلقكم (في الارض واليه تحشرون) منها أي تبعثون اليه يوم القيامة فيجازيكم على اعمالكم ثم حكى سبحانه ما كان يقوله الكفار مستبطئين عذاب الله مستهزئين بذلك فقال (ويقولون متى هذا الوعد) من الخسف والحاصب او البعث والجزاء (ان كنتم صادقين) في ان ذلك يكون (قل) يا محمد (انما العلم عند الله) يعني علم الساعة (وانما انا نذير) أي مخوف لكم به (مبين) أي مبين لكم ما انزل الله الي من الوعد والوعيد والأحكام ثم ذكر سبحانه حالهم عند نزول العذاب ومعاينته فقال (فلما رأوه زلفة) اي فلما رأوا العذاب قريبا يعني يوم بدر عن مجاهد وقيل معاينة عن الحسن وقيل ان اللفظ ماض والمراد به المستقبل والمعنى اذا بعثوا ورأوا القيامة قد قامت ورأوا ما أعد لهم من العذاب وهذا قول اكثر المفسرين (سيئت وجوه الذين كفروا) اي اسودت وجوههم وعلتها الكآبة يعني قبحت وجوههم بالسواد وقيل معناه ظهرت على وجوههم آثار الغم والحسرة ونالهم السوء والخزي (وقيل) لهؤلاء الكفار اذا شاهدوا العذاب (هذا الذي كنتم به تدّعون) قال الفراء تدّعون وتدعون واحد مثل تدّخرون وتدخرون والمعنى كنتم به تستعجلون وتدعون الله بتعجيله وهو قولهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية عن ابن زيد وقيل هو تدعون من الدعوى اي تدعون أن لا جنة ولا نار عن الحسن

وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني بالأسانيد الصحيحة عن الأعمش قال لما رأوا لعلي بن ابي طالب (ع) عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا وعن ابي جعفر (ع) فلما رأوا مكان علي (ع) من النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيئت وجوه الذين كفروا يعني الذين كذبوا بفضله (قل) لهؤلاء الكفار (أرأيتم ان اهلكني الله ومن معي) بأن يميتنا (او رحمنا) بتأخير آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) استحقوه بكفرهم وما الذي ينفعهم في دفع العذاب عنهم وقيل ان الكفار كانوا يتمنون موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموت اصحابه فقيل له قل لهم ان اهلكني الله ومن معي ذلك بأن يميتني ويميت اصحابي فمن الذي ينفعكم ويؤمنكم من العذاب فإنه واقع بكم لا محالة وقيل معناه أرأيتم ان عذبني الله ومن معي او رحمنا اي غفر لنا فمن يجيركم اي نحن مع ايماننا بين الخوف والرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب ولا رجاء لكم كما للمؤمنين عن ابن عباس وابن كيسان ثم قال (قل) لهؤلاء الكفار على وجه التوبيخ لهم (هو الرحمن) اي ان الذي ادعوكم اليه هو الرحمن الذي عمت نعمته جميع الخلائق (آمنا به وعليه توكلنا) اي عليه اعتمدنا وجميع امورنا اليه فوضنا (فستعلمون) معاشر الكفار يوم القيامة (من هو في ضلال مبين) اليوم نحن ام أنتم ومن قرأ بالياء فمعناه فسيعلم الكفار ذلك (قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا) اي غائرا ناضبا في الآبار والعيون (فمن يأتيكم بماء معين) اي ظاهر للعيون عن ابي مسلم والجبائي وقيل بماء جار عن ابن عباس وقتادة اراد سبحانه انه المنعم بالارزاق فاشكروه واعبدوه ولا تشركوا به شيئا وذكر مقاتل انه اراد بقوله ماؤكم بئر زمزم وبئر ميمون وهي بئر عادية قديمة وكان ماؤهم من هاتين البئرين والمعين الذي تناله الدلاء وتراه العيون

سورة القلم

وتسمى ايضا سورة نَ وهي مكية عن الحسن وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة من اولها الى قوله سنسمه على الخرطوم مكي وما بعده الى قوله لو كانوا يعلمون مدني وما بعده الى قوله يكتبون مكي ومابعده مدني وهي اثنتان وخمسون آية بالاجماع

فضلها

ابيّ بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ سورة نَ والقلم اعطاه ثواب الذين حسن اخلاقهم علي ابن ميمون عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة ن والقلم في فريضة أو نافلة آمنه الله أن يصيبه في حياته فقر ابدا واعاذه اذا مات من ضمة القبر ان شاء الله

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الملك بذكر تكذيب الكفار ووعيدهم وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (٢) مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٣) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٤) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٥) فَسَتُبْصِرُ

وَيُبْصِرُونَ (٦) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٧) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٨) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٩) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (١٠) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١١) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١٢) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٣) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٤) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٥) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٦) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (ست عشرة آية)

القراءة

مضى ذكر اختلاف القراء في إظهار النون وإخفائها من نون في سورة يس فلا وجه لاعادته وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل آن كان بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة أإن كان بهمزتين وقرأ الباقون آن كان بفتح الهمزة من غير استفهام

الحجة

قال أبو علي ان كان ذامال لايخلو من أن يكون العامل فيه تتلى من قوله إذا تتلى عليه آياتنا أو قال من قوله قال أساطير الأولين أوشيء ثالث فلا يجوز أن يعمل واحد منها فيه الاترى ان تتلى قد أضيفت إذا اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما قبله لاتقول القتال زيدا حين يأتي ولا يجوز أن يعمل فيه قال أيضا لأن قال جواب إذا وحكم الجواب أن يكون بعد ماهو جواب له ولا يتقدم عليه فكما لا يعمل فيه الفعل الأول فكذلك لا يعمل فيه الثاني فإذا لم يعمل فيه واحد من هذين الفعلين وليس في الكلام غيرهما علمت أنه محمول على شيء آخر مما دل باقي الكلام عليه والذي يدل عليه هذا الكلام من المعنى هو يجحد أو يكفر أو يستكبر عن قبول الحق ونحو ذلك وإنما جاز أن يعمل فيه المعنى وإن كان متقدما عليه لشبهه بالظرف والظرف قد تعمل فيه المعاني وإن تقدم عليها ويدلك على مشابهته الظرف تقدير اللام معه وإن من النحويين من يقول أنه في موضع جر كما أنه لو كانت اللام معه ظاهرة كان كذلك ومن قرأ بهمزة ممدودة فإنه يزيد همزة بعدها همزة مخففة

اللغة

السطر الكتابة وهو وضع الحروف على خط مستقيم واستطر اكتتب والمسطر آلة التسطير والممنون المقطوع يقال منه السير يمنّ منّا إذا قطعه والمنين الضعيف والخلق المرور في الفعل على عادة فالخلق الكريم الصبر على الحق وتدبير الأمور على مقتضى العقل وفي ذلك الاناة والرفق والحلم والمداراة والمفتون المبتلى بتخبيل الرأي كالمجنون يقال فتن فلان بفلانة وأصل الفتنة الابتلاء والاختبار والمهين الضعيف الذليل والمهانة الذلة والقلة والهماز الوقاع في الناس بما ليس له ان يعيبهم به والأصل فيه الدفع بشدة اعتماد ومنه الهمزة حرف من الحروف المعجمة فهي نبرة تخرج من الصدر بشدة اعتماد والنميم التضريب بين الناس بنقل الكلام الذي يغيظ بعضهم على بعض والنميم والنميمة بمعنى ومنه النام المشموم لأنه بحدة ريحه كالمخبر عن نفسه والعتل الجافي الغليظ وأصله الدفع عتله يعتله إذا زعزعه بغلظة وجفاء والزنيم الدعي الملصق بالقوم وليس منهم وأصله الزنمة وهي الهنبة المتدلية تحت حلق الجدي ويقال للتيس له زنمتان قال الشاعر

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ ... بَغِيُّ الْأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمٍ(١)

(١) الزنيم : الدعي في النسب المستلحق في قوم ليس منهم لايحتاج اليه فكانه فيهم زنمة .

وقال حسان

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ ... كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ (١)

ويقال وسمه يسمه وسما وسمة والخرطوم ما نتأ من الأنف وهو الذي يقع به الشم ومنه قيل خرطوم الفيل وخرطمه إذا قطع أنفه

﴿ الاعراب ﴾

بأيكم المفتون فيه وجوه ﴿ أحدها ﴾ ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما يقال ليس له معقول وماله محصول قال الراعي

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ ... لَحْماً وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولاً

﴿ وثانيها ﴾ ان يكون المفتون اسم المفعول والباء مزيدة والتقدير أيكم المفتون ويكون مبتدأ وخبرا وتكون الجملة معلقة بقوله يبصرون ﴿ وثالثها ﴾ ان الباء بمعنى في والمعنى في أيكم المفتون اي في أيّ الفريقين في فرقة الإسلام أو في فرقة الكفر المجنون وهذا قول الفراء وقال الراجز في زيادة الباء

نَحْنُ بَنِي جَعْدَةَ أَصْحَابُ الْفَلَجْ ... نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ (٢)

اي ونرجو الفرج

﴿ المعنى ﴾

(ن) اختلفوا في معناه فقيل هو اسم من أسماء السورة مثل حم وص وما أشبه ذلك وقد ذكرنا ذلك مع غيره من الأقوال في مفتتح سورة البقرة وقيل هو الحوت الذي عليه الارضون عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي وقيل هو حرف من حروف الرحمن في رواية أخرى عن ابن عباس وقيل هو الدواة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل نون لوح من نور وروي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو نهر في الجنة قال الله له كن مدادا فجمد وكان أبيض من اللبن وأحلى من الشهد ثم قال للقلم أكتب فكتب القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة عن أبي جعفر الباقر (ع) وقيل المراد به الحوت في البحر وهو من آيات الله إذ خلقها في الماء فإذا فارق الماء مات كما أن حيوان البر إذا خالط الماء مات (والقلم) الذي يكتب به أقسم الله به لمنافع الخلق فيه إذ هو أحد لساني الإنسان يؤدّي عنه ما في جنانه ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه وبه تحفظ احكام الدين وبه تستقيم أمور العالمين وقد قيل إن البيان بيانان بيان اللسان وبيان البنان وبيان اللسان تدرسه الأعوام وبيان الأقلام باق على مرّ الأيام وقيل إن قوام أمور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم وقد نظمه بعض الشعراء وأحسن فيما قال

إِنْ يَخْدِمِ الْقَلَمَ السَّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ ... لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ حِذْرَهُ الْأُمَمُ

فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ شَيْءٌ لَا يُغَالِبُهُ ... مَا زَالَ يَتْبَعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ

كَذَا قَضَى اللهُ لِلْأَقْلَامِ مُذْ بَرِيَتْ ... إِنَّ السُّيُوفَ لَهَا مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ (٣)

(وما يسطرون) اي وما يكتبه الملائكة مما يوحى اليهم وما يكتبونه من اعمال بني آدم فكان القسم بالقلم وما يسطر بالقلم وقيل ان ما مصدرية وتقديره والقلم وسطرهم فيكون القسم بالكتابة وعلى القول الأول يكون القسم بالمكتوب (ما انت بنعمت ربك بمجنون) هو جواب القسم ومعناه لست يا محمد بمجنون بنعمة ربك كما تقول ما انت بنعمة ربك بجاهل وجاز تقديم معمولها بعد الباء لأنها زائدة مؤكدة وتقديره انتفى

(١) هذا البيت من الطويل قاله في هجاء ابي سفيان . قوله : نيط اى علق . والقدح : اناء يشرب فيه يروى الرحلين وفي الحديث ولا تجعلوني كقدح الراكب، معناه لا تجعلوني آخراً لان الراكب يعلق قدحه في آخرة الرحل بعد فراغه من استصحاب الاهبة . (٢) الفلج الظفر والفوز . (٣) برى القلم : شقه وارهف السيف : رققه .

عنك الجنون بنعمة ربك وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون بحمد الله وقيل معناه بما انعم عليك ربك من كمال العقل والنبوة والحكمة لست بمجنون اي لا يكون مجنونا من انعمنا عليه بهذه النعم وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كما يقال سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لك وهذا تقرير لنفي الجنون عنه وقالوا ان هذا جواب لقول المشركين يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك) يا محمد (لأجرا) اي ثوابا من الله على قيامك بالنبوة وتحملك اعباء الرسالة (غير ممنون) اي غير مقطوع وهو ثواب الجنة يعني لا تبال بكلامهم مع مالك عند الله من الثواب الدائم والأجر العظيم وقيل غير ممنون اي لا يمنّ به عليك عن أبي مسلم والمعنى غير مكدّر بالمنّ الذي يقطع عن لزوم الشكر فقد قيل المنة تكدر الصنيعة وقال ابن عباس ليس من نبي إلا وله مثل اجر من آمن به ودخل في دينه ثم وصف سبحانه نبيّه ﷺ فقال (وانك) يا محمد (لعلى خلق عظيم) اي على دين عظيم وهو دين الإسلام عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل معناه إنك متخلق بأخلاق الإسلام وعلى طبع كريم وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب وإنما سمّي خلقا لأنه يصير كالخلقة فيه فأما ماطبع عليه من الآداب فإنه الخيم فالخلق هو الطبع المكتسب والخيم هو الطبع الغريزي وقيل الخلق العظيم الصبر على الحق وسعة البذل وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة وتحمل المكاره في الدعاء الى الله سبحانه والتجاوز والعفو وبذل الجهد في نصرة المؤمنين وترك الحسد والحرص ونحو ذلك عن الجبائي وقالت عائشة كان خلق النبي ﷺ ما تضمنه العشر الأول من سورة المؤمنين ومن مدحه الله سبحانه بأنه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح وقيل سمي خلقه عظيما لأنه عاشر الخَلق بخُلقه وزايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخَلق وباطنه مع الحق وقيل لأنه امتثل تأديب الله سبحانه اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ويعضده ما روي عنه قال انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال أدّبني ربي فأحسن تأديبي وقال ﷺ ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار وعن أبي الدرداء قال قال النبي ﷺ مامن شيء أثقل في الميزان من خلق حسن وعن الرضا علي بن موسى (ع) عن آبائه عن النبي ﷺ قال عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة وايا كم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة وعن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال أحبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وأبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات[1] (فستبصر ويبصرون) أي فسترى يا محمد ويرون يعني الذين رموه بالجنون (بأيكم المفتون) اي أيكم المجنون الذي فتن بالجنون أأنت أم هم وقيل بأيكم الفتنة وهو الجنون يريد انهم يعلمون عند العذاب ان الجنون كان بهم حين كذّبوك وتركوا دينك لا بك وقيل معناه فستعلم ويعلمون في أيّ الفريقين المجنون الذي فتنه الشيطان ثم اخبر سبحانه انه عالم بالفريقين فقال (إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله) الذي هو سبيل الحق وعدل عنه وجار عن السلوك فيه (وهو اعلم بالمهتدين) اليه العالمين بموجبه فيجازي كُلًّا بما يستحقّه ويستوجبه اخبرنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القائني رحمه الله قال حدثنا الحاكم ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا ابو عبد الله الشيرازي قال حدثنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثني عمرو بن محمد بن تركي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن شمر عن دلهم بن صالح عن

(١) يعني يتفحصون حتى يقفوا على عثرة للبرىء .

الضحاك بن مزاحم قال: لما رأت قريش تقديم النبي ﷺ عليا (ع) واعظامه له نالوا من علي وقالوا قد افتتن به محمد فأنزل الله تعالى ن والقلم وما يسطرون قسمٌ أقسم الله به ما انت يا محمد بنعمة ربك بمجنون وانك لعلى خلق عظيم يعني القرآن الى قوله بمن ضلَّ عن سبيله وهم النفر الذين قالوا ماقالوا وهو اعلم بالمهتدين علي بن ابي طالب عليه السلام ثم قال سبحانه للنبي ﷺ (فلا تطع المكذبين) بتوحيد الله عز وجل الجاحدين لنبوتك ولا تجبهم الى ما يلتمسون منك ولا توافقهم فيما يريدون (ودّوا لو تدهن فيدهنون) اي ودَّ هؤلاء الكفار ان تلين لهم في دينك فيلينون في دينهم شبَّه التليين في الدين بتليين الدهن عن ابن عباس وقيل معناه ودّوا لو تكفر فيكفرون عن الضحاك وعطاء وابن عباس في رواية اخرى وقيل معناه ودّوا لو تركن الى عبادة الاصنام فيمالؤنك والإدهان الجريان في ظاهر الحال على المقاربة مع إضمار العداوة وهو مثل النفاق وقيل ودّوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك عن الحسن ثم قال (ولا تطع) يا محمد (كل حلاف) اي كثير الحلف بالباطل لقلة مبالاته بالكذب (مهين) فعيل من المهانة وهي القلة في الرأي والتمييز وقيل ذليل عند الله تعالى وعند الناس وقيل كذاب لأن من عزف بالكذب كان ذليلا حقيرا عن ابن عباس وقيل يعني الوليد بن المغيرة قال عرض على النبي ﷺ المال ليرجع عن دينه وقيل يعني الأخنس ابن شريق عن عطاء وقيل يعني الأسود بن عبد يغوث عن مجاهد (همّاز) اي وقاع في الناس مغتاب عن ابن عباس (مشاء بنميم) اي قتات يسعى بالنميمة ويفسد بين الناس ويضرب بعضهم على بعض (مناع للخير) اي بخيل بالمال وقيل مناع عشيرته عن الإسلام بأن يقول من دخل دين محمد لا انفعه بشيء ابدا عن ابن عباس (معتد) اي مجاوز عن الحق غشوم ظلوم عن قتادة (أثيم) اي آثم فاجر فاعل ما يأثم به وقيل معتد في فعله اثيم في معتقده وقيل معتد في ظلم غيره اثيم في ظلم نفسه (عتل بعد ذلك) اي هو عتل مع كونه مناعا للخير معتديا اثيما وهو الفاحش السيء الخلق روي ذلك في خبر مرفوع وقيل هو القوي في كفره عن عكرمة وقيل الجافي الشديد الخصومة بالباطل عن الكلبي وقيل الاكول المنوع عن الخليل وقيل هو الذي يعتل الناس فيجرهم الى حبس او عذاب ومنه قول الشاعر

فَيا ضَيْعَةَ الْفِتْيانِ إِذْ يَعْتِلُونَهُ ... بِبَطْنِ الشَّرَى مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُسَدَّمِ (١)

(زنيم) اي دعيّ ملصق الى قوم ليس منهم في النسب قال الشاعر

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ تَدَاعِيَاً ... كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ (٢)

وقيل هو الذي له علامة في الشر وهو معروف بذلك فإذا ذكر بالشر سبق القلب اليه كما ان العنز يعرف بين الاغنام بالزنمة في عنقه عن الشعبي وقيل هو المجين المعروف بالشر عن سعيد بن جبير وقيل هو الذي لا اصل له عن علي (ع) وقيل هو المعروف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها عن عكرمة وروي انه سئل النبي ﷺ عن العتل الزنيم فقال هو الشديد الخلق الشحيح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف وعن شداد بن اوس قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل زنيم قلت فما الجواظ قال كل جماع مناع قلت فما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت فما العتل الزنيم قال كل رحيب الجوف سيء الخلق اكول شروب غشوم ظلوم زنيم قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا وبلغ من ذكر عيوبه ما بلغ من ذكر عيوب الوليد بن المغيرة لأنه وصف بالحلف والمهانة والعيب للناس والمشي

(١) قائلته امرأة من طيء والشرى : جبل في ديار طيء معروف بكثرة السباع والاسود . والفنيق : الفحل المكرم والمسدم : الذي جعل على فمه الكمام . (٢) نسبه في اللسان الى خطيم التميمي وحكى عن بعض انه نسبه الى حسان وروايته «زيادة» مكان «تداعياً» والظاهر ان المراد من الاديم في البيت : الجلد دبغ اولم يدبغ . و الاكارع : القوائم من الدابة

بالنمائم والبخل والظلم والاثم والجفا والدعوة فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة (ان كان ذا مال وبنين) اي لا تطعه لأن كان ذا مال وبنين يعني لماله وبنيه عن الزجاج والفراء ومن قرأ بالاستفهام فلا بدّ ان يكون صلة ما بعده لأن الاستفهام لا يتقدّم عليه ما كان في حيزه فيكون المعنى ألأن كان ذا مال وبنين يجحد آياتنا اي جعل مجازاة النعم التي خوّلها من البنين والمال الكفر بآياتنا وهو قوله (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) اي احاديث الأوائل التي سطرت وكتبت لا أصل لها ثم اوعده سبحانه فقال (سنسمه على الخرطوم) اي سنسمه يوم القيامة بسمة تشوّه خلقته فيعرف من رآه انه من أهل النار وإنما خصّ الأنف لأن الإنسان يعرف بوجهه والأنف وسط الوجه وهذا على عادة العرب فإنهم يقولون شمخ فلان بأنفه وارغم الله أنفه وحمي فلان انفه وقيل معناه سيجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم وجائز ان يفرد بسمة لمبالغته في عداوة النبي ﷺ فيخصّ من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته للرسول عداوة يتبين بها من غيره عن الزجاج وقال الفراء الخرطوم قد خصّ بالسمة لأنه في مذهب الوجه فإن بعض الوجه يؤدّي عن الكل وقيل ان المعنى سنخطمه بالسيف في القتال حتى يبقى اثره ففعل ذلك يوم بدر عن ابن عباس وقيل سنعلمه بشين يبقى على الابد عن قتادة وقال القتيبي العرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون الصق به عارا لا يفارقه لأن السمة لا تنمحق ولا يعفو أثرها وقد الحق الله بمن ذكر عارا لا يفارقه بما وسمه به من العيوب التي هي كالوسم في الوجه وقيل ان الخرطوم الخمر فالمعنى سنسمه على شرب الخمر قال الشاعر

أبا حاضرٍ مَن يزنِ يُعرَف زناؤُه ... ومَن يشربِ الخرطومَ يصبحْ مسكَّرا

قوله تعالى (١٧) إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٨) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٩) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (٢٠) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢١) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢٢) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٣) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٤) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٥) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٧) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٨) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٩) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٣٠) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣٢) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٣) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (سبع عشرة آية)

القراءة

قرأ أهل المدينة وابو عمرو ان يبدّلنا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقد مرّ ذكره في سورة الكهف

اللغة

الصرم والجداد في النخل بمنزلة الحصاد والقطاف في الزرع والكرم يقال صرمت النخلة وجددتها واصرم النخل واجدت حان ذلك منها والصريم الليل الاسود وانشد ابو عمرو

- وقد ورد في بيت حسان ايضاً في هجائه لقوم من كعب سرقوا درعاً قال : «فان تذكروا كعباً اذا ما نسيتم * فهل من اديم ليس فيه اكارعه » يقول انتم من كعب بمنزلة الاكارع من الاديم ولا اديم ليس فيه اكارع فلا يضر كعباً انتسابكم اليهم اذهم الرأس وانتم الاذناب . ويقال للسفلة من الناس ايضاً الاكارع تشبيها بقوائم الدابة .

أَلَا بَكَرَتْ وَعَاذِلَتِي تَلُومُ تُجَهِّلُنِي وَمَا انْكَشَفَ الصَّرِيمُ (١)

وقال الآخر

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ الْجَوْنُ الْبَهِيمُ فَمَا يَنْجَابُ عَنْ صُبْحٍ صَرِيمُ (٢)

اذا مَا قُلْتُ اَقْشَعَ اَوْ تَنَاهَى جَرَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ غُيُومُ

ويسمى النهار ايضا صريما فهو من الاضداد لأن الليل ينصرم عند مجيء النهار والنهار ينصرم عند مجيء الليل والصريم ايضا المصروم اي صرم جميع ثمارها وقيل الصريم منقطع الرمل الذي لا نبات فيه قال امرؤ القيس

وَظَلَّ لِصِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ تُدَعِّسُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمُقَلَّبِ (٣)

والطائف الطارق بالليل واذا قيل اطاف به صلح في الليل والنهار وانشد الفراء

اَطَفْتُ بِهَا نَهَاراً غَيْرَ لَيْلٍ وَاَلْهَى رَبَّهَا طَلَبُ الرِّخَالِ (٤)

والرخال الإناث من اولاد الضان واحدتها رخل والحرد المنع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت لبنها قال الكميت

وَحَارَدَتِ الْمُكْدُ الْجِلَادُ وَلَمْ يَكُنْ بِعُقْبَةِ قِدْرِ الْمُسْتَعِيرِينَ مُعْقِبُ (٥)

ويروى النكد وهي النوق الغزيرات الألبان وقيل ان أصل الحرد القصد قال

اَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ (٦)

اي يقصد وحرد يحرد حردا وقيل الحرد الغضب والحنق قال الأشهب بن رميلة

أُسُودُ شَرًى لَاقَتْ أُسُودُ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ (٧)

المعنى

ثم قال سبحانه (انا بلوناهم) يعني اهل مكة اي اختبرناهم بالجوع والقحط (كما بلونا اصحاب الجنة) اي البستان الذي فيه الشجر قال سعيد بن جبير وهذه الجنة حديقة كانت باليمن في قرية يقال لها صروان بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلا كانت لشيخ وكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية اهله ويتصدق بالباقي فلما مات قال بنوه نحن احق بالكثرة عيالنا ولا يسعنا ان نفعل كما فعل ابونا وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ما قص الله تعالى في كتابه وهو قوله (اذ اقسموا) اي حلفوا فيما بينهم (ليصرمنها مصبحين) اي ليقطعن ثمرتها اذا دخلوا في وقت الصباح (ولا يستثنون) اي غير مستثنين في ايمانهم فلم يقولوا ان شاء الله فإن قول القائل لافعلن كذا إلا ان يشاء الله استثناء ومعناه الا أن يشاء الله منعي او تمكين ما نعي (فطاف عليها طائف من ربك) اي احاطت بها النار فاحترقت عن ابن عباس وقيل معناه طرقها طارق من امر الله عن قتادة (وهم نائمون) اي في حال نومهم قال مقاتل بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت مسودة فذلك قوله (فاصبحت كالصريم) اي كالليل المظلم والصريم ان الليل والنهار لانصرام احداهما من الآخر عن ابن عباس وابي عمرو بن العلاء وقيل الصريم المصروم ثماره اي المقطوع والمعنى انها صارت كأن جميع ثمارها قطعت عن الجبائي وقيل الصريم الذي صرم عنه الخير فليس فيه شيء منه عن الحسن وقيل كالصريم اي كالرملة انصرمت عن معظم الرمل عن مؤرج وقيل كالرماد الاسود بلغة خزيمة (فتنادوا مصبحين) اي نادى بعضهم بعضا وقت الصباح واصل التنادي من الندى بالقصر لأن النداء الدعاء بندي

(١) العذل : اللوم . والواو للحال . (٢) الجون هنا بمعنى الاسود . وليل بهيم : لاضوء فيه الى الصباح . وقوله «ينجاب» اي ينكشف . (٣) صيران جمع صوار : القطيع من البقر وفي اللسان «ثيران» بالثاء وهو جمع الثور و غماغمها : اصواتها عند الذعر . واصوات الابطال في الوغى عند القتال . والدعس : الطعن . والسمهرى : الرمح الصليب ←

الصوت الذي يمتدّ على طريقة يا فلان لأن الصوت إنما يمتدّ للانسان بندى حلقه (أن اغدوا على حرثكم) اي تنادوا بأن اغدوا معناه قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم والحرث الزروع والاعناب (ان كنتم صارمين) اي قاطعين النخل (فانطلقوا) اي فمضوا اليها (وهم يتخافتون) اي يتسارون بينهم واصله من خَفَتَ فلان يخفُت اذا اخفى نفسه (ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) هذا ما كانوا يتخافتون به (وغدوا على حرد) اي على قصد منع الفقراء (قادرين) عند انفسهم وفي اعتقادهم على منعهم واحراز ما في جنتهم وقيل على حرد أي على جدّ وجهد من امرهم عن مجاهد وقتادة وابي العالية وقيل على جدّ في المنع عن ابي عبيدة وقيل على حنق وغضب من الفقراء عن سفيان وقيل قادرين مقدرين موافاتهم في الجنة في الوقت الذي قدروا اصرامها فيه وهو وقت الصبح والتقدير قصدوا الجنة الوقت الذي قدروا اصرامها فيه عن ابي مسلم (فلما رأوها) اي رأوا الجنة على تلك الصفة (قالوا انا لضالون) ضللنا عن الطريق فليس هذا بستاننا عن قتادة وقيل معناه إنا لضالون عن الحق في امرنا فلذلك عوقبنا بذهاب ثمر جنتنا ثم استدركوا فقالوا (بل نحن محرومون) والمعنى ان هذه جنتنا ولكن حرمنا نفعها وخيرها لمنعنا حقوق المساكين وترکنا الاستثناء (قال اوسطهم) اي اعدلهم قولا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه افضلهم واعقلهم وقيل اوسطهم في السن (ألم اقل لكم لولا تسبحون) كأنه كان حذرهم سوء فعالهم قال لولا تستثنون عن مجاهد لأن في الاستثناء التوكل على الله والتعظيم لله والاقرار بأنه لا يقدر احد على فعل شيء الا بمشيئة الله فلذلك سمّاه تسبيحا وقيل معناه هلاّ تعظمون الله بعبادته واتّباع امره وقيل معناه هلاّ تذكرون نعم الله عليكم فتؤدّوا شكرها بأن تخرجوا حق الفقراء من اموالكم وقيل معناه هلاّ نزّهتم الله تعالى عن الظلم واعترفتم بأنه لا يظلم ولا يرضى منكم بالظلم وقيل معناه لم لا تصلون ثم حكى عنهم أنهم (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) في عزمنا على حرمان المساكين من حصّتهم عند الصرام فحرمنا قطعها والانتفاع بها والمعنى انه سبحانه منزه عن الظلم فلم يفعل بنا ما فعله ظلما وانما الظلم وقع منا حيث منعنا الحق (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) اي يلوم بعضهم بعضا على ما فرط منهم (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) قد غلونا في الظلم وتجاوزنا الحدّ فيه والويل غلظ المكروه الشاق على النفس والويس دونه والويح بينهما قال عمرو بن عبيد يجوز ان يكون ذلك منهم توبة ويجوز ان يكون على حدّ ما يقول الكافر إذا وقع في الشدة (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها) اي لما تابوا ورجعوا الى الله قالوا لعلّ الله يخاف علينا ويولينا خيرا من الجنة التي هلكت (انا الى ربنا راغبون) اي نرغب الى الله ونسأله ذلك ونتوب اليه مما فعلناه وقرئ يبدلنا بالتشديد والتخفيف ومعناهما واحد (كذلك العذاب) في الدنيا للعاصين (ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) والأكبر هو الذي يصغر مقدار غيره بالاضافة اليه وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا وقال ابو خالد اليماني رأيت تلك الجنة ورأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم

قوله تعالى (٣٤) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٥) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٦) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٧) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٨) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٩) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٤٠)

العود والعلب - بالعين المهملة - الرمح الذى لوى بعلباء البعير وهو عصب العنق ؛ وكانت العرب تشد على اجفان سيوفها الفلابى الرطبة فتجف عليها ، وتشدبها الرماح اذا تصدعت فتيبس وتقوى عليه . (٤) والهى ربها اى شغل زوجها بصف فجوره بامرأة غاب عنها زوجها نهاراً (٥) المكد جمع المكود : الناقة الكثيرة اللبن ومثله الجلاد . والعقبة

سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤١) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤٢) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٤) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٥) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (اثنتا عشرة آية)

اللغة

الزعيم والكفيل والضمين والقبيل نظائر والساق للإنسان وساق الشجرة ما تقوم عليه وكل نبت له ساق ويبقى صيفا وشتاء فهو شجرة قال طرفة

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهْ (١)

وتقول العرب قامت الحرب على ساق و كشفت عن ساق يريدون شدتها وقال جد ابي طرفة

كَشَفَتْ لَكُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِ الصُّرَاحْ (٢)

وقال آخر

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُرُدُّ (٣)

الاعراب

كيف في محل نصب على الحال تقديره اجائرين تحكمون أم عادلين ويجوز ان يكون في محل المصدر وتقديره ايُّ حكم تحكمون وتحكمون في موضع النصب على الحال من معنى الفعل في قوله لكم لأن معنى قوله مالكم ايُّ شيء ثبت لكم وأم في جميع ذلك منقطعة. إنَّ لكم فيه لما تخيَّرون كسرت انّ لمكان اللام في لما ولولاها لوجب فتحها لأنه مفعول تدرسون وهو كقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله إن لكم لما تحكمون مثله وان شئت قلت انما كسرت إن لأن ما قبله يمين وهي تكسر في جواب القسم وقوله يوم يكشف عن ساق العامل في الظرف قوله فليأتوا وخاشعة ابصارهم حال ومَنْ يُكَذِّب يجوز ان يكون مفعولا معه ويجوز أن يكون عطفا على ضمير المتكلم من ذرني

المعنى

لما ذكر سبحانه ما أعدَّه بالآخرة للكافرين عقَّبه بذكر ما أعدَّه للمتقين فقال (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) يتنعمون فيها ويختارونها على جنات الدنيا التي يحتاج صاحبها الى المشقة والعناء ثم استفهم سبحانه على وجه الانكار فقال (افنجعل المسلمين كالمجرمين) أي لانجعل المسلمين كالمشركين في الجزاء والثواب وذلك انهم كانوا يقولون ان كان بعث وجزاء كما يقوله محمد فإن حالنا يكون افضل في الآخرة كما في الدنيا فاخبر سبحانه ان ذلك لا يكون أبدا (ما لكم كيف تحكمون) هذا تهجين لهم وتوبيخ ومعناه ايُّ عقل يحملكم على تفضيل الكفار حتى صار سببا لإصراركم على الكفر ولا يحسن في الحكمة التسوية بين الأولياء والأعداء في دار الجزاء (أم لكم كتاب فيه تدرسون) معناه بل ألكم كتاب تدرسون فيه ذلك فأنتم متمسكون به لا تلتفتون الى خلافه فإذا قد عدمتم الثقة بما أنتم عليه و في الكتاب الذي هو القرآن عليكم أكبر الحجة لأنه الدلالة القائمة الى وقت قيام الساعة والمعجزة الشاهدة بصدق من ظهرت

حبالهم ـ مرقة تردفى القدر المستعارة ؛ وأعقب الرجل : رد اليه ذلك . (٦) الجنة اوالصنيعة المفلة : التى اتت بشىء وأصلها باق . (٧) شرى وخفية : موضعان فيهما آجام تكون فيها الاسود . وتساقى القوم : سقى كل واحد صاحبه بجمام الاناء الذى يسقيان فيه (١) فسره ابن الاعرابى فقال : معناه ان اهتدى لرشد علم انه عاقل ؛ وان اهتدى لغير رشد علم انه

على يده (ان لكم فيه لما تخيرون) فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان تقديره أم لكم كتاب فيه تدرسون بأن لكم فيه ما تخيرون إلا انه حذف الباء وكسرت إن لدخول اللام في الخبر ﴿ الثاني ﴾ إن معناه أن لكم لما تخيرونه عند أنفسكم والأمر بخلاف ذلك ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل الخبر المطلق (أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة) اي بل لكم عهود ومواثيق علينا عاهدناكم بها فلا ينقطع ذلك الى يوم القيامة (أن لكم لما تحكمون) لأنفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى وقيل بالغة معناها مؤكدة وكل شيء متناه في الجودة والصحة فهو بالغ ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (سلهم) يا محمد (أيهم بذلك زعيم) يعني ايهم كفيل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) معناه أم لهم شركاء في العبادة مع الله وهي الأصنام فليأتوا بهؤلاء الشركاء ان كانوا صادقين في انها شركاء الله وقيل معناه أم لهم شهداء يشهدون لهم بالصدق فتقوم به الحجة فليأتوا بهم يوم القيامة يشهدون لهم على صحة دعواهم أن كانوا صادقين في دعواهم (يوم يكشف عن ساق) اي فليأتوا بهم في ذلك اليوم الذي تظهر فيه الأهوال والشدائد وقيل معناه يوم يبدو عن الأمر الشديد الفظيع عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير قال عكرمة سئل ابن عباس عن قوله يوم يكشف عن ساق فقال إذا خفي عليكم شيء في القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر ﴿وقامت الحرب بنا على ساق﴾ هو يوم كرب وشدة وقال القتيبي أصل هذا ان الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج الى الجد فيه يشمر عن ساقه فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة وانشد لدريد بن الصمة

كَمِيشُ الْأِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ ... بَعِيدٌ مِنَ الآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ (١)

فتأويل الآية يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه الى ان يكشف عن ساق (ويدعون الى السجود) اي يقال لهم على وجه التوبيخ اسجدوا (فلا يستطيعون) وقيل معناه ان شدة الامر وصعوبة ذلك اليوم تدعوهم الى السجود وان كانوا لا ينتفعون به ليس انهم يؤمرون به وهكذا كما يفزع الإنسان الى السجود اذا أصابه هول من أهوال الدنيا (خاشعة ابصارهم) أي ذليلة ابصارهم لا يرفعون نظرهم عن الأرض ذلة ومهانة (ترهقهم ذلة) اي تغشاهم ذلة الندامة والحسرة (وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) اي اصحاء يمكنهم السجود فلا يسجدون يعني انهم كانوا يؤمرون بالصلاة في الدنيا فلم يفعلوا قال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حيّ على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقد ورد عن الربيع بن خثيم أنه عرض له الفالج فكان يهادي بين رجلين إلى المسجد فقيل له يا أبا يزيد لو جلست فإن لك رخصة قال من سمع حيّ على الفلاح فليجب ولو حبواً وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالا في هذه الآية افحم القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والخزي والمذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون اي يستطيعون الأخذ بما امروا به والترك لما نهوا عنه ولذلك ابتلوا وقال مجاهد وقتادة يؤذن المؤذن يوم القيامة فيسجد المؤمن وتصلب ظهور المنافقين فيصير سجود المسلمين حسرة على المنافقين وندامة وفي الخبر انه تصير ظهور المنافقين كالسفافيد (٢) ثم قال سبحانه (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) هذا تهديد معناه فذرني والمكذبين أي كِلْ امرهم اليّ كما يقول القائل دعني واياه يقول خَلِّ بيني وبين من يكذب

على غير رشد (٢) السراح ـ بالحاء المهملة ـ : المحض الخالص من كل شيء . (٢) وترعرد : شديد وفي بعض النسخ «عرند» وهو ايضاً بمعناه . وبعده «مثل جران الفيل أواشد» شبه الوتر بجران الفيل في توتره .

(١) كميش الازار اى مشمراً جاداً . وطلاع أنجداى ضابط للامور غالب لها . والبيت من قصيدة له يقولها في رثاء ←

بهذا القرآن ولا تشغل قلبك به فإني أكفيك امره (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي سنأخذهم الى العقاب حالا بعد حال وقد مرّ تفسيره في سورة الأعراف وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال إذا احدث العبد ذنبا جدّد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج (واملي لهم ان كيدي متين) اي واطيل آجالهم ولا ابادر الى عذابهم مبادرة من يخشى الفوت فإنما يعجل من يخاف الفوت ان عذابي لشديد

قوله تعالى (٤٦) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٧) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٨) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٩) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٥٠) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥١) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥٢) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (ست آيات)

القراءة

قرأ أهل المدينة ليَزْلقونك بفتح الياء والباقون ليُزلقونك بضم الياء

الحجة

من قرأ بفتح الياء جعله من زلقه وزلقته انا مثل حزن وحزنته وشترت عينه وشترتها قال ابو علي والخليل يذهب في ذلك الى ان المعنى جعلت فيه شَتَرا وجعلت فيه حزنا كما انك اذا قلت كحلته ودهنته اردت جعلت ذلك فيه ومن قرأ أزلقه نقل الفعل بالهمزة ومعنى يزلقونك بأبصارهم ينظرون اليك نظر البغضاء كما ينظر الاعداء ومثله قول الشاعر

يَتَقَارَضُونَ إِذَا الْتَقَوْا فِي مَجْلِسٍ نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاقِعَ الْأَقْدَامِ

اللغة

المغرم ما يلزم من الدين الذي يلح في اقتضائه واصله من اللزوم بالإلحاح ومنه قوله ان عذابها كان غراما أي لازما ملحا قال الشاعر

وَيَوْمَ الْجِفَارِ وَيَوْمَ النِّسَارِ كَانَا عَذَابًا وَكَانَا غَرَامًا (٢)

والمثقل المحمل الثقل وهو مثقل بالدين ومثقل بالعيال ومثقل بما عليه من الحقوق اللازمة والامور الواجبة والمكظوم المحبوس عن التصرف في الأمور ومنه كظمت رأس القربة اذا شددته وكظم غيظه إذا حبسه بقطعه عما يدعو اليه وكظم خصمه إذا اجابه بالمسكت والعراء الارض العارية من النبات قال قيس بن جعدة

وَرَفَعْتُ رِجْلًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي

المعنى

ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال على وجه التوبيخ للكفار (أم تسألهم اجراً) هذا عطف على قوله أم لكم كتاب فيه تدرسون ذكر سبحانه جميع ما يحتجّ به فقال أم تسأل يا محمد هؤلاء الكفار اجرا على اداء الرسالة والدعاء الى الله (فهم من مغرم) اي هم من لزوم ذلك (مثقلون) أي محملون الاثقال (أم عندهم الغيب

(١) اخيه أبي قرعان عبد الله بن الصمة . (٢) السفافيد جمع السفود ـ كتنور ـ : حديدة يشوى عليها اللحم .

(١) شترعينه : قلب جفنها . والشتر : النقص والعيب . (٢) مر البيت في صفحة ١٧٨ من المجلد الرابع

فهم يكتبون) اي هل عندهم علم بصحة مايدعونهُ اختصوا بهِ لا يعلمهُ غيرهم فهم يكتبونهُ ويتوارثونهُ وينبغي ان يبرزوه ثم قال للنبي ﷺ (فاصبر لحكم ربك) في ابلاغ الرسالة وترك مقابلتهم بالقبيح وقيل اللام تجري مجرى الى والمعنى اصبر الى ان يحكم الله بنصر اوليائك وقهر اعدائك وقيل معناه فاصبر لحكم الله في التخلية بين الظالم والمظلوم حتى يبلغ الكتاب اجله (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني يونس اي لا تكن مثله في استعجال عقاب قومهِ واهلاكهم ولا تخرج من بين قومك من قبل ان يأذن لك الله كما خرج هو (اذ نادى وهو مكظوم) اي دعا ربهُ في جوف الحوت وهو محبوس عن التصرف في الامور والذي نادى بهِ قوله لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل مكظوم اي مختنق بالغم اذ لم يجد لغيظهِ شفاء (لولا ان تداركهُ نعمة من ربهِ) اي لولا ان ادركتهُ رحمة من ربهِ باجابة دعائهِ وتخليصهِ من بطن الحوت وتبقيته فيهِ حيًّا واخراجه منه حيًّا (لنبذ) أي طرح (بالعراء) اي الفضاء (وهو مذموم) ملوم مليم قد اتى بما يلام عليه ولكن الله تعالى تدارك بنعمة من عنده فطرح بالعراء وهو غير مذموم (فاجتباه ربهُ) اي اختاره الله نبيا (فجعله من الصالحين) اي من جملة المطيعين لله التاركين لمعاصيهِ (وان يكاد الذين كفروا) إن هذه هي المخففة من الثقيلة والتقدير وانهُ يكاد اي قارب الذين كفروا (ليزلقونك بأبصارهم) اي ليزهقونك اي يقتلونك ويهلكونك عن ابن عباس وكان يقرأها كذلك وقيل ليصرعونك عن الكلبي وقيل يصيبونك بأعينهم عن السدي والكل يرجع في المعنى الى الإصابة بالعين والمفسّرون كلهم على انهُ المراد في الآية وانكر الجبائي ذلك وقال ان اصابة العين لا تصح وقال علي بن عيسى الرماني وهذا الذي ذكره غير صحيح[1] لأنهُ غير ممتنع ان يكون الله تعالى اجرى العادة لصحة ذلك لضرب من المصلحة وعليه اجماع المفسرين وجوّزه العقلاء فلا مانع منه وجاء في الخبر ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم قال نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقه العين وقيل ان الرجل منهم كان إذا أراد أن يصيب صاحبه بالعين تجوع ثلاثة أيام ثم كان يصفه فيصرعه بذلك وذلك بأن يقول للذي يريد ان يصيبه بالعين لا أرى كاليوم إبلا أو شاء أو ما أراد أي كإبل اراها اليوم فقالوا للنبي ﷺ كما كانوا يقولون لما يريدون أن يصيبوه بالعين عن الفراء والزجاج وقيل معناه أنهم ينظرون اليك عند تلاوة القرآن والدعاء الى التوحيد نظر عداوة وبغض وانكار لما يسمعونه وتعجب منه فيكادون يصرعونك بحدّة نظرهم ويزيلونك عن موضعك وهذا مستعمل في الكلام يقولون نظر إليَّ فلان نظرا يكاد يصرعني ونظراً يكاد يأكلني فيه وتأويله كله انه نظر إليَّ نظراً لو أمكنه معه أكلي أو يصرعني لفعل عن الزجاج وقوله (لما سمعوا الذكر) يعني القرآن (ويقولون) مع ذلك (إنه لمجنون) أي مغلوب على عقله مع علمهم بوقاره ووفور عقله تكذيبا عليه ومعاندة له (وما هو) أي وما القرآن (الا ذكر) أي شرف (للعالمين) الى أن تقوم الساعة وقيل معناه وما محمد ﷺ الا شرف للخلق حيث هداهم الى الرشد وانقذهم من الضلالة لما نسبوه الى الجنون وصفه بما ينفي ذلك عنه وقيل المراد بالذكر انه يذكرهم امر آخرتهم والثواب والعقاب والوعد والوعيد قال الحسن دواء اصابة العين ان يقرأ الإنسان هذه الآية

(١) مر الكلام في صحة ذلك وعدمها والدليل عليه من القرآن الكريم في سورة يوسف راجع صفحة ٢٤٩ من المجلد الثالث (ج٥).

سورة الحاقة (مكية)

عدد آيها

احدى وخمسون آية بصري وشامي وآيتان في الباقين

اختلافها

آيتان الحاقة الاولى كوفي كتابه بشماله حجازي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا وروى جابر الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال اكثروا من قراءة الحاقة فإن قراءتها في الفرائض والنوافل من الايمان بالله ورسوله ولم يسلب قارئها دينه حتى يلقى الله

تفسيرها

لما ذكر في آخر سورة القلم حديث القيامة ووعيد الكفار افتتح هذه السورة بذكر القيامة أيضا وأحوال أهل النار فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلْحَاقَّةُ (٢) مَا ٱلْحَاقَّةُ (٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ (٤) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِٱلْقَارِعَةِ (٥) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِٱلطَّاغِيَةِ (٦) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٧) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٨) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٩) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتُ بِٱلْخَاطِئَةِ (١٠) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (عشر آيات)

القراءة

قرأ أهل البصرة والكسائي ومَنْ قِبَلَه بكسر القاف وفتح الباء والباقون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء

الحجة

قال سيبويه قِبَلَ لما ولي الشيء تقول ذهبت قِبَلَ السوق ولي قِبَلَك حقٌّ أي فيما يليك واتسع فيه حتى صار بمنزلة لي عليك حق وحجة من قرأ انهم زعموا ان في قراءة ابيّ وجاء فرعون ومن معه وهذا يقوّي ومن قِبَلَه لأن قبل لما ولي الشيء مما لم يتخلف عنه وهو يتبعه ويخف به وحجة من قال ومَنْ قَبْلَه ان معناه ومن قبله من الأمم التي كفرت كما كفر هو

اللغة

قال ابن الانباري الحاقة الواجبة حق أي وجب يجق حقا وحقوقا فهو حاق وقال الفراء تقول العرب لما عرفت الحق مني هربت والحقة والحاقة بمعنى وقيل سميت القيامة الحاقة لأنها تحق الكفار من قولهم حاققته فحققته مثل خاصمته فخصمته وسميت القارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة إلى أن يصير المؤمنون إلى

الأمن ودريت الشيء دراية ودُرية علمته وادريته اعلمته والطاغية الطغيان مصدر مثل العافية والصرصر الريح الشديدة الصوت والحسوم المتوالية مأخوذ من حسم الداء بمتابعة الكي عليه فكأنه تتابع الشر عليهم حتى استأصلهم وقيل هو من القطع فكأنها حسمتهم حسوماأي أذهبتهم وأفنتهم وقطعت دابرهم والخاوية الخالية التي لا شيء في أجوافها

الاعراب

العامل في الحاقة احد شيئين اما الابتداء والخبر ما الحاقة كما تقول زيد ما زيد واما ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحاقة ثم قيل أيّ شيء الحاقة تفخيما لشأنها وحسوما نصب على المصدر الموضوع موضع الصفة لثانية أي تحسمهم حسوما ويجوز ان يكون جمع حاسم فيكون مثل راقد ورقود وساجد وسجود وعلى هذا فيكون منصوبا على انه صفة لثانية ايضا وصرعى نصب على الحال وقوله كأنهم اعجاز نخل خاوية جملة في موضع الحال من صرعى أي صرعوا أمثال نخل خاوية ومن مزيدة في قوله من باقية

المعنى

(الحاقة) اسم من اسماء القيامة في قول جميع المفسرين وسميت بذلك لأنها ذات الحواق من الأمور وهي الصادقة الواجبة الصدق لأن جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع صادقة الوجود (ما الحاقة) استفهام معناه التفخيم لحالها والتعظيم لشأنها ثم زاد سبحانه في التهويل فقال (وما أدراك ما الحاقة) أي كأنك لست تعلمها إذ لم تعاينها ولم ترَ ما فيها من الاهوال قال الثوري يقال للمعلوم ما أدراك ولما ليس بمعلوم ما يدريك في جميع القرآن وإنما قال لمن يعلمها ما ادراك لأنه إنما يعلمها بالصفة ثم أخبر سبحانه عن المكذبين بها فقال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بيوم القيامة وانما حسن ان توضع القارعة موضع الكناية لتذكر بهذه الصفة الهائلة بعد ذكرها بأنها الحاقة والا فقد كان يكفي ان يقول كذبت ثمود وعاد بها ثم اخبر سبحانه عن كيفية اهلاكهم فقال (فأما ثمود) وهم قوم صالح (فأهلكوا بالطاغية) أي أهلكوا بطغيانهم وكفرهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه اهلكوا بالصيحة الطاغية وهي التي جاوزت المقدار حتى أهلكتهم عن قتادة والجبائي وأبي مسلم وقال الزجاج اهلكوا بالرجفة الطاغية وقيل بالخصلة المتجاوزة لحال غيرها في الشدة التي أهلك الله بها أهل الفساد (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي باردة عن ابن عباس وقتادة كأنه تصطك الاسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها وقيل الصرصر الشديدة الصوف المتجاوزة لحدها المعروف (عاتية) عتت على خزانها في شدة الهبوب روى الزهري عن قبيصة بن ذؤيب انه قال مايخرج من الريح شيء إلا عليها خزان يعلمون قدرها وعددها وكيلها حتى كانت التي أرسلت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون قدر غضب الله فلذلك سميت عاتية (سخرها عليهم) أي سلطها الله وارسلها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام) قال وهب وهي التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة وإنما نسبت هذه الأيام إلى العجوز لأن عجوزا دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب فانقطع العذاب في اليوم الثامن وقيل سميت أيام العجوز لأنها في عجز الشتاء ولها أسامي مشهورة قالوا لليوم «الاول» صِنّ «والثاني» صِنَّبْر «والثالث» وَبْر «والرابع» مُطفئ الجَمْر «والخامس» مكفئ الظَعن وقيل «السادس» الآمِر «والسابع» المؤتمر «والثامن» المعلل وقال في ذلك شاعرهم

كُسِعَ الشِّتَاءُ بِسَبْعَةٍ غُبْرٍ أَيَّامِ شَهْلَتِنَا مَعَ الشَّهْرِ (١)
فَبِآمِرٍ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ وَمُعَلِّلٍ وَبِمُطْفِئِ الْجَمْرِ
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ شَهْلَتِنَا بِالصِّنِّ وَالصِّنَّبْرِ وَالْوَبْرِ
ذَهَبَ الشِّتَاءُ مُوَلِّيًا هَرِبًا وَأَتَتْكَ وَافِدَةٌ مِنَ النَّجْرِ (٢)

(حسوما) أي ولاء متتابعة ليست لها فترة عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة كأنه تتابع عليهم الشر حتى استأصلهم وقيل دائمة عن الكلبي ومقاتل وقيل قاطعة قطعتهم قطعا حتى أهلكتهم عن الخليل وقيل مشائيم نكداء قليلة الخير حسمت الخير عن أهلها عن عطية (فترى القوم فيها) أي في تلك الايام والليالي (صرعى) أي مصروعين (كأنهم اعجاز نخل خاوية) اي أصول نخل بالية نخرة عن قتادة وقيل خاوية فارغة خالية الأجواف عن السدي وقيل ساقطة مثل قوله اعجاز نخل منقعر (فهل ترى لهم من باقية) اي من نفس باقية وقيل من بقاء والباقية بمعنى المصدر مثل العافية والطاغية والمعنى هل ترى لهم من بقية اي لم يبق منهم احد (وجاء فرعون ومن قبله) مرّ معناه (والمؤتفكات) اي وجاء اهل القرى المؤتفكات اي المنقلبات بأهلها عن قتادة وهي قرى قوم لوط يريد الأمم والجماعات الذين ائتفكوا (بالخاطئة) اي بخطيئتهم التي هي الشرك والكفر فالخاطئة مصدر كالخطأ والخطيئة وقيل معناه بالأفعال الخاطئة اي بالنفس الخاطئة (فعصوا رسول ربهم) فيما امرهم به وقيل ان المراد بالرسول الرسالة كما في قول الشاعر

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِسِرٍّ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ (٣)

اي برسالة عن ابي مسلم والأول اظهر (فأخذهم) الله بالعقوبة (اخذة رابية) اي زائدة في الشدة عن ابن عباس وقيل نامية زائدة على عذاب الأمم وقيل عالية مذكورة خارجة عن العادة

قوله تعالى (١١) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١٢) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٣) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٤) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٥) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٦) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٧) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٨) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٩) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ (٢٠) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢١) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢٢) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٣) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (١٤) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ

(اربع عشرة آية)

القراءة

قرأ ابن كثير في رواية القواس وتعيها بسكون العين مختلسا وهو بين الكسر والسكون والباقون بكسر العين وقرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء والباقون بالتاء

(١) الابيات لابن الاحمر ونسبها بعض الى ابي شبل الاعرابي والكسع : شدة المر ، يقال كسعه بكذا وكذا اذا جعله تابعاً له ومذهباً به . والشهلة : العجوز . والغبر : البقية (٢) النجر : الحر . (٣) باح بسره : اظهره .

الحجة

الوجه في سكون العين من تعيها انه جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة فخذ فاسكن لأن حرف المضارعة لا تنفصل من الفعل فصار كقولك فهو وفهي والياء والتاء في قوله لا يخفى حسن

اللغة

الجارية السفينة التي من شأنها أن تجري على الماء والجارية المرأة الشابة لأنه يجري فيها ماء الشباب يقال وعيت العلم اعيه وعيا واوعيت المتاع جعلته في الوعاء قال

إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعك للكتب لا ينفع

والدك البسط ومنه الدكان واندك سنام البعير إذا انفرش على ظهره والارجاء النواحي واحدها رجا مقصور والتثنية رجوان وهاؤم أمر للجماعة بمنزلة هاكم تقول للواحد هاءَ يا رجل وللاثنين هاؤما يا رجلان وللجماعة هاؤم يا رجال وللمرأة هاءِ يا امرأة بكسر الهمزة وليس بعدها ياء وللمرأتين هاؤما وللنساء هاؤنَّ هذه لغة أهل الحجاز وتميم وقيس يقولون هاءَ يا رجل مثل قول اهل الحجاز وللاثنين هاءا وللجماعة هاؤا وللمرأة هائي وللنساء هأْنَ (١) وبعض العرب يجعل مكان الهمزة كافا فيقول هاك هاكما هاكم هاكِ هاكما هاكنَّ ومعناه خذ وتناول ويؤمر بها ولا ينهى ووقف الكسائي على هاؤم وابتدأ اقرأوا كتابيه اعلاما منه أنه لا يذهب إلى اعمال الفعل الأول وانما العمل للثاني والراضية المرضية فاعلة بمعنى مفعول لأنها في معنى ذات رضى كما قيل لابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر قال النابغة

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ ... وَلَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَواكِبِ (٢)

يعني ذو نصب فكأن العيشة اعطيت حتى رضيت لأنها بمنزلة الطالبة كما ان الشهوة بمنزلة الطالبة للمشتهي وقيل هو مثل ليل نائم وسر كاتم وماء دافق على وجه المبالغة في الصفة من غير التباس في المعنى والقطوف جمع قطف وهو ما يقطف من الثمر والقطف بالفتح المصدر

الاعراب

كتابي مفعول اقرأوا لأنه يليه قطوفها دانية جملة مجرورة الموضع لأنها صفة جنة

المعنى

ثم بيَّن سبحانه قصة نوح «ع» فقال (انا لما طغى الماء) اي جاوز الحدَّ المعروف حتى غرقت الأرض بمن عليها إلا من شاء الله نجاته (حملناكم في الجارية) اي حملنا آباءكم في السفينة عن ابن عباس وابن زيد (لنجعلها لكم تذكرة) اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملناه عبرة لكم وموعظة تتذكرون بها نعم الله تعالى وتشكرونه عليها وتتفكرون فيها فتعرفون كمال قدرته وحكمته (وتعيها اذن واعية) اي وتحفظها اذن حافظة لما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل سامعة قابلة لما سمعت عن قتادة وقال الفراء لتحفظها كل اذن فتكون عظة لمن يأتي بعد وروى الطبري بإسناده عن مكحول انه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ اللهم اجعلها اذن علي ثم قال علي «ع» فما سمعت شيئاً من رسول الله ﷺ فنسيته وروى باسناده عن عكرمة عن بريدة الاسلمي ان رسول الله ﷺ قال لعلي «ع» يا علي ان الله تعالى امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وتعي وحق على الله ان تعي فنزل وتعيها اذن واعية اخبرني فيما كتب بخطه إليّ المفيد ابو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي قال حدثني الشيخ السعيد ابو

(١) قال ابن منظور ولغة اخرى : هاه يارجل بهمزة مكسورة وللاثنين هائيا ؛ وللجمع هاؤوا ؛ وللمرئة هائي؛ و للثنتين هائيا ، وللجمع هائين . (٢) الشعر في جامع الشواهد .

جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي والرئيس ابو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الكاتب والشيخ ابو عبدالله حسن بن احمد بن حبيب الفارسي قالوا حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن محمد المفيد الجرجاني قال سمعت اباعمرو عثمان بن خطاب المعمر المعروف بأبي الدنيا الاشج قال سمعت علي بن ابي طالب «ع» يقول لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي ﷺ سألت الله عز وجل ان يجعلها اذنك يا علي (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) وهي النفخة الاولى عن عطا والنفخة الأخيرة عن مقاتل والكلبي (وحملت الأرض والجبال) اي رفعت من اماكنها (فدكتا دكة واحدة) اي كسرتا كسرة واحدة لا تثنى حتى يستوي ماعليها من شيء مثل الأديم الممدود وقيل ضرب بعضها ببعض حتى تفتت الجبال وسفتها الرياح وبقيت الارض شيئاً واحدا لا جبل فيها ولا رابية بل تكون قطعة مستوية وإنما قال دكتا لأنه جعل الأرض جملة واحدة والجبال دكة واحدة (فيومئذ وقعت الواقعة) اي قامت القيامة (وانشقت السماء) اي انفرج بعضها من بعض (فهي يومئذ واهية) اي شديدة الضعف بانتقاض بنيتها وقيل هو ان السماء تنشق بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف في الوهي والضعف (والملك على ارجائها) اي على اطرافها ونواحيها عن الحسن وقتادة والملك اسم يقع على الواحد والجمع والسماء مكان الملائكة فإذا وهت صارت في نواحيها وقيل ان الملائكة يومئذ على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والتكرمة فيها (ويحمل عرش ربك فوقهم) يعني فوق الخلائق (يومئذ) يعني يوم القيامة (ثمانية) من الملائكة عن ابن زيد وروي ذلك عن النبي ﷺ انهم اليوم اربعة فإذا كان يوم القيامة ايدهم بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عن ابن عباس (يومئذ تعرضون) يعني يوم القيامة تعرضون معاشر المكلفين (لا تخفى منكم خافية) اي نفس خافية او فعلة خافية وقيل الخافية مصدر اي خافية احد وروي في الخبر عن ابن مسعود وقتاده ان الخلق يعرضون ثلاث عرضات ثنتان فيها معاذير وجدال والثالثة تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وليس يعرض الله الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه فإنه عز اسمه العالم لذاته يعلم جميع ما كان منهم ولكن ليظهر ذلك لخلقه ثم قسم سبحانه حال المكلفين في ذلك اليوم فقال (فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول) لأهل القيامة (هاؤم) اي تعالوا (اقرأوا كتابيه) وإنما يقوله سرورا به لعلمه بأنه ليس فيه إلا الطاعات فلا يستحيي ان ينظر فيه غيره واهل اللغة يقولون ان معنى هاؤم خذوا (إني ظننت) اي علمت وايقنت في الدنيا (اني ملاق حسابيه) والهاء لنظم رؤوس الآي وهي هاء الاستراحة والمعنى اني كنت مستيقنا في دار الدنيا بأني التقى حسابي يوم القيامة عالما بأني اجازى على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب فكنت اعمل بما اصل به إلى هذه المثوبة (فهو في عيشة راضية) اي في حالة من العيش راضية يرضاها بأن لقي الثواب وامن العقاب (في جنة عالية) اي رفيعة القدر والمكان (قطوفها دانية) اي ثمارها قريبة ممن يتناولها قال البراء بن عازب يتناول الرجل من الثمرة وهو نائم وقد ورد في الخبر عن عطاء بن يسار عن سلمان قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة احد كم إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية وقيل معناه لا يرد ايديهم عن ثمرها بعد ولا شوك عن قتادة (كلوا واشربوا) اي يقال لهم كلوا واشربوا في الجنة (هنيئا بما اسلفتم) اي قدمتم من اعمالكم الصالحة (في الأيام الخالية) الماضية يعني ايام الدنيا ويعني بقوله

هنيئا انه ليس فيه ما يؤذي فلا يحتاج فيه إلى اخراج فضل بغائط او بول

قوله تعالى (٢٥) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (٢٦) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٧) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (٢٨) مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٩) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٣٠) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣١) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣٢) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ (٣٣) إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (٣٤) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٥) فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٦) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٧) لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (ثلاث عشرة آية)

اللغة

القاضية الفاصلة بالإماتة يقال قضى فلان اذا مات واصله فصل الأمر ومنه قضية الحاكم ومنه قضاء الله وهو في الاخبار بما يكون على القطع والتصلية الزام النار ومنه الاصطلاء وهو القعود عند النار للدفاء والجحيم النار العظيمة والسلسلة حلق منتظمة كل واحدة منها في الأخرى ويقال سلسل كلامه اذا عقد شيئا منه بشيء وتسلسل الشيء اذا استمر على الولاء شيئا قبل شيء وذرع الثوب يذرعه ذرعا مأخوذ من الذراع والغسلين الصديد الذي ينغسل بسيلانه من ابدان اهل النار ووزنه فعلين من الغسل

الاعراب

قوله كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه قال الزجاج الوجه ان يوقف على هذه الهاءات ولا توصل لأنها ادخلت للوقف وقد حذفها قوم في الوصل ولا احب مخالفة المصحف ولا ان اقرأ واثبت الهاءات في الوصل وهذه رؤوس آيات فالوجه ان يوقف عندها و كذلك قوله ماهيه فليس له اليوم هاهنا حميم الجار والمجرور خبر ليس ليصح قوله ولا طعام الا من غسلين اي ولا له طعام ولا يكون الخبر هاهنا لأن التقدير يصير ولا طعام هاهنا الا من غسلين وهذا غير جائز إذ هنا طعام غير غسلين ولا يكون الخبر اليوم لأن حميم جثة وظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة

المعنى

ثم ذكر سبحانه حال اهل النار فقال (واما من أوتي) اي اعطي (كتابه) الذي هو صحيفة اعماله (بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) اي تمنى انه لم يؤته لما يرى فيه من مقابح اعماله التي يسود لها وجهه (ولم أدر ما حسابيه) اي ولم ادر اي شيء حسابي لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب وإنما هو كله عليه (يا ليتها كانت القاضية) الهاء في ليتها كناية عن الحال التي هم فيها وقيل هي كناية عن الموتة الاولى والقاضية القاطعة للحياة اي ليت الموتة الأولى التي متنا لم نحي بعدها عن الفراء يتمنى دوام الموت وانه لم يبعث للحساب وقال قتادة تمنى يومئذ الموت ولم يكن في الدنيا شيء عنده اكره من الموت (ما اغنى عني ماليه) اي ما دفع عني مالي من عذاب الله شيئا وقيل معناه اني قصرت همتي على تحصيل المال ليكشف الكرب عني فما نفعني اليوم (هلك عني سلطانيه) اي حجتي عن ابن عباس ومجاهد اي ضل عني ما كنت اعتقده حجة وقيل معناه هلك عني تسلطي وامري ونهيي في دار الدنيا على ما كنت مسلطا عليه فلا امر لي ولا نهي ثم اخبر سبحانه انه يقول للملائكة (خذوه

فغلوه) اي اوثقوه بالغل وهو ان تشد احدى يديه ورجليه الى عنقه بجامعة (ثم الجحيم صلوه) اي ثم ادخلوه النار العظيمة والزموه اياها (ثم في سلسلة ذرعها) اي طولها (سبعون ذراعا فاسلكوه) اي اجعلوه فيها لأنه يؤخذ عنقه فيها ثم يجرّ بها قال الضحاك انما تدخل في فيه وتخرج من دبره فعلى هذا يكون المعنى ثم اسلكوا السلسلة فيه فقلب كما يقال ادخلت القلنسوة في رأسي وقال الأعشى « اذا ما السراب ارتدى بالأكم »(١) وانما ارتدى الأكم بالسراب ولكنه قلب وقال نوف البكالي كل ذراع سبعون باعا والباع ابعد ما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم بأي ذراع هو وقال سويد بن نجيح ان جميع اهل النار في تلك السلسلة ولو ان حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرّها ثم قال سبحانه (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) شأنه اي لم يكن يوحد الله في دار التكليف ولا يصدّق به (ولا يحضّ على طعام المسكين) وهو المحتاج الفقير والمعنى انه كان يمنع الزكاة والحقوق الواجبة (فليس له اليوم ههنا حميم) اي صديق ينفعه (ولا طعام) اي ولا له اليوم طعام (الا من غسلين) وهو صديد أهل النار وما يجري منهم فالطعام هو ما هيئ للأكل ولذلك لا يسمى التراب طعاما للانسان فلما هيئ الصديد لأكل اهل النار كان ذلك طعاما لهم وقيل ان اهل النار طبقات فمنهم من طعامه غسلين ومنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الضريع لأنه قال في موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع وقيل يجوز ان يكون الضريع هو الغسلين فعبّر عنه بعبارتين عن قطرب وقيل يجوز ان يكون المراد ليس لهم طعام الا من ضريع ولا شراب الا من غسلين كما قال الشاعر

عَلَّفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِداً (٢) حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

(لا يأكله) اي لا يأكل الغسلين (الا الخاطئون) وهم الجائرون عن طريق الحق عامدين والفرق بين الخاطئ والمخطئ ان المخطئ قد يكون من غير تعمد والخاطئ المذنب المتعمد الجائر عن الصراط المستقيم قال امرؤ القيس

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلاً الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحُلاحِلا (٣)

قوله تعالى (٣٨) فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٩) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ (٤٠) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤١) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (٤٢) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٣) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٥) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٦) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٧) فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٨) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُمْ مُكَذِّبِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥١) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥٢) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (اثنتا عشرة آية)

القراءة

قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وسهل يؤمنون ويذكرون بالياء كناية عن الكفار والباقون بالتاء خطابا لهم وكلاهما حسن

(١) الاكم جمع الاكام : التل (٢) هذا المصراع يجعله بعض العلماء صدراً ويجعل عجزه «حتى شتت....» كما في الكتاب ويجعله بعضهم عجزاً ويجعل صدره «لما حططت الرحل عنها وارداً» ومعنى المصراع «علفتهما تبناً وسقيتها ماءاً» على تقدير عامل محذوف وجعل الواو عاطفة عطفت جملة على جملة . أو ان المراد من قوله «علفتها» انلتها او أعطيتها ـ

اللغة

الوتين نياط القلب واذا انقطع مات الانسان قال الشماخ بن ضرار

إِذَا بَلَّغَتْنِي وَحَمَلَتْ رَحْلِي عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ (٣)

الاعراب

قليلا في الموضعين صفة مصدر محذوف وما مزيدة وتقديره ايمانا قليلا تؤمنون وتذكرا قليلا تذكرون ويجوز ان يكون صفة لظرف محذوف اي وقتا قليلا تؤمنون ووقتا قليلا تذكرون ويجوز ان تكون ما مصدرية ويكون التقدير قليلا ايمانكم وقليلا تذكركم يكون ما في موضع رفع بقليل وقوله من احد في موضع رفع لأنه اسم ما ومن مزيدة لتأكيد النفي تقديره فما منكم احد والاصل فما احد منكم فمنكم في موضع رفع بكونه صفة على الموضع او في موضع جر على اللفظ فلما تقدم الموصوف صار في موضع النصب على الحال حاجزين منصوب بأنه خبر ما ولم يبطل قوله منكم عمل ما وإن فصل بينهما لأنه ظرف والفصل بالظرف في هذا الباب كلا فصل قال ابو علي ان جعلت منكم مستقرا كان حاجزين صفة احد وان جعلت منكم غير مستقر كان حاجزين خبر ما وعلى الوجهين فقوله حاجزين محمول على المعنى واقول في بيانه انه ان كان في منكم ضمير لأحد ويكون خبرا له متقدما عليه فيكون حاجزين صفة لأحد وتقديره ما منكم قوم حاجزون عنه ويكون ما غير عاملة هنا على غير لغة تميم ايضا ويكون حاجزين مجرورا حملا على اللفظ وكونه غير مستقر هو ان يكون على ما ذكرناه قبل

المعنى

ثم اكد سبحانه ما تقدم فقال (فلا اقسم بما تبصرون ومالا تبصرون) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون قوله لا ردا لكلام المشركين فكأنه قال ليس الأمر كما يقول المشركون اقسم بالاشياء كلها ما يبصر منها ومالا يبصر ويدخل فيها جميع المكونات « انه لقول رسول كريم » يعني محمدا ﷺ عن الفراء وقتادة و﴿ ثانيها ﴾ ان لا مزيدة مؤكدة والتقدير فاقسم بما ترون ومالا ترون ﴿ وثالثها ﴾ انه نفي للقسم ومعناه لا يحتاج الى القسم لوضوح الامر في انه رسول كريم فإنه اظهر من أن يحتاج في اثباته الى قسم عن ابي مسلم و ﴿ رابعها ﴾ انه كقول القائل لا والله لا افعل ذلك ولا والله لأفعلن ذلك وقال الجبائي إنما اراد انه لا يقسم بالاشياء المخلوقات ما يرى ومالا يرى وإنما اقسم بربها لأن القسم لا يجوز الا بالله (انه لقول رسول كريم) قال انه قول الله على الحقيقة وإنما الملك وجبرائيل والرسول يحكون ذلك وإنما اسنده اليهم من حيث ان ما يسمع منهم كلامهم فلما كان حكاية كلام الله قيل هو كلام الله على الحقيقة في العرف قال الجبائي والرسول الكريم جبرائيل والكريم الجامع لخصال الخير (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) قول الشاعر ما ألفه بوزن وجعله مقفى وله معنى وقول الكاهن السجع وهو كلام متكلف يضم الى معنى يشاكله طهره الله سبحانه من الشعر والكهانة وعصمه عنهما وانما منعه سبحانه من الشعر ونزهه عنه لأن الغالب من حال الشعر أن يدعو الى الهوى ويبعث على الشهوة والنبي ﷺ إنما يأتي بالحكم التي يدعو اليها العقل للحاجة الى العمل عليها والاهتداء بها وايضا فإنه سبحانه منعه من قول الشعر دلالة على ان القرآن ليس بصفة الكلام المعتاد بين الناس وانه ليس بشعر بل هو صنف من الكلام خارج عن الانواع المعتادة واذا بعدعما جرت

← فالواو عاطفة ايضاً وقد عطفت مفرداً على مفرد (٣) كاهل ابو قبيلة من الاسد وهم قد قتلوا «حجراً» والد امرىء القيس في قصة طويلة واراد من الملك الحلاحل في البيت والده . والحلاحل بمعنى السيد في عشيرته و«هند» اخته و في اللسان «يالهف نفسي» وخطئن بمعنى أخطأن وفاعله ضمير يرجع الى «الخيل» وان لم يجر لها ذكر وهذا مثل قوله تعالى «حتى توارت ←

به العادة في تأليف الكلام فذلك ادلّ على اعجازه وقوله قليلا ما تؤمنون معناه لا تصدّقون بأن القرآن من عند الله تعالى يريد بالقليل نفي إيمانهم اصلا كما تقول لمن لا يزورك قل ما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلا فالمعني لا تؤمنون به ولا تذكرون ولا تتفكرون فتعلموا المعجز وتفصلوا بينه وبين الشعر والكهانة (تنزيل من رب العالمين) بيّن انه منزل من عنده على لسان جبرائيل حتى لا يتوهم انه كلام جبرائيل (ولو تقول علينا) محمد ﷺ (بعض الاقاويل) معناه ولو كذب علينا واختلق مالم نقله اي لو تكلف القول واتى بـه مـن عند نفسه (لأخذنا منه باليمين) اي لأخذنا بيده التي هي اليمين على وجه الاذلال كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فاخذها اهانة عن ابن جرير وقيل معناه لقطعنا يده اليمنى عن الحسن وابي مسلم فعلى هذا تكون الباء مزيدة اي لأخذنا منه اليمين وقيل معناه لأخذنا منه بالقوة والقدرة اي لأخذناه ونحن قادرون عليه مالكون له عن الفراء والمبرد والزجاج وإنما اقام اليمين مقام القوة والقدرة لأن قوة كل شيء في ميامنه عن ابن قتيبة (ثم لقطعنا منه الوتين) اي ولكنا نقطع منه وتينه ونهلكه قال مجاهد وقتادة هو عرق في القلب متصل بالظهر وقيل هو حبل القلب (فما منكم من احد عنه حاجزين) اي فما منكم احد يحجزنا عنه والمعنى انه لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه انه لو تكلف ذلك لعاتبناه ثم لم تقدروا أنتم على دفع عقوبتنا عنه ثم ذكر سبحانه ان القرآن ما هو فقال (وانه لتذكرة للمتقين) اي وانه لعظة لمن اتقى عقاب الله بطاعته (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) بالقرآن اي علمنا ان بعضكم يكذبه اشار سبحانه الى ان منهم من يصدق ومنهم من يكذب (وانه لحسرة على الكافرين) اي انّ هذا القرآن حسرة عليهم يوم القيامة حيث لم يعملوا به في الدنيا (وانه لحق اليقين) معناه وان القرآن للمتقين لحق اليقين والحق هو اليقين وإنما اضافه الى نفسه كما يقال مسجد الجامع ودار الآخرة وبارحة الاولى ويوم الخميس وما اشبه ذلك فيضاف الشيء الى نفسه اذا اختلف لفظه وقيل ان الحق هو الذي معتقده على ما اعتقد واليقين هو الذي لا شبهة فيه (فسبّح باسم ربك العظيم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين ومعناه نزّه الله سبحانه عما لا يجوز عليه من الصفات والعظيم هو الجليل الذي يصغر شأن غيره في شأنه ويتضاءل كل شيء لعظمته وسلطانه

سورة المعارج (مكية)

قال الحسن الا قوله والذين في اموالهم حق معلوم

عدد آيها

اربع واربعون آية غير الشامي ثلاث شامي

اختلافها

آية الف سنة غير الشامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم

← بالحجاب، وقول لبيد «حتى اذا القت يداً في كافر» وغير ذلك .

(٣) عرابة : اسم رجل من الانصار من الاوس وكان من قصة شماخ على ماقيل انه خرج يريد المدينة فلقيه عرابة ؛ فسأله عما اقدمه المدينة فقال أردت ان امتار لاهلي ؛ وكان معه بعيران فأوقرهما عرابة تمراً وبراً وكساه واكرمه، فخرج ←

لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون وعن جابر عن ابي جعفر (ع) قال من ادمن قراءة سأل سائل لم يسأله الله يوم القيامة عن ذنب عمله واسكنه جنته مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم

تفسيرها

لما ختم الله سورة الحاقة بوعيد الكفار افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (٢) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٣) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٤) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٥) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٦) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٧) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٨) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٩) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (١٠) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (عشر آيات

القراءة

قرأ أهل المدينة وابن عامر سال بغير همز والباقون بالهمز وقرأ الكسائي يعرج بالياء وقرأ الباقون بالتاء وقرأ ابن كثير في رواية البزي وعاصم في رواية البرجمي عن ابي بكر ولا يسأل بضم الياء والباقون لا يسأل بفتح الياء

الحجة

قال أبو علي من قرأ سال جعل الالف منقلبة عن الواو التي هي عين مثل قال وخاف وحكى ابو عثمان عن ابي زيد انه سمع من يقول هما يتساولان فمن قال سال كان على هذه اللغة ومن قرأ سأل فجعل الهمزة عين الفعل فإن حقق قال سأل وان خفف جعلها بين الالف والهمزة واما قول الشاعر

سَأَلَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا قَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ

ويمكن فيه الوجهان وكل القراء على همز سائل لأنه لا يخلو اما أن يكون من يتساولان او من اللغة الاخرى فإن كان من الاول لم يكن فيه الا الهمز كما يكون في قائل وخائف لأن العين إذا اعتلت بالفعل اعتلت في اسم الفاعل واعتلالها لا يكون بالحذف للالتباس فقلب الى الهمزة وان كانت في لغة من همز فليس فيه الا الهمز كما يكون في ثائر الا انك ان شئت خففت الهمزة فجعلتها بين بين وكذلك في الوجه الآخر واما يعرج وتعرج فالياء والتاء فيه حسنتان ومن ضمّ قوله ولا يسئل حميم حميماً فالمعنى والله اعلم لا يسئل حميم عن حميمه ليعرف شأنه من جهته كما يتعرف الخبر الصديق من جهة صديقه والقريب عن قريبه فإذا كان كذلك فالكلام إذا بنيت الفعل للفاعل قلت سألت زيداً عن حميمه وإذا بنيت الفعل للمفعول به قلت سئل زيد عن حميمه وقد يحذف الجارُ فيصل الفعل إلى الاسم الذي كان مجروراً قبل حذف الجار فينتصب بأنه مفعول الاسم الذي اسند اليه الفعل المبني للمفعول به فعلى هذا انتصب قوله حميماً ويدلُّ على هذا المعنى قوله يبصرونهم أي يبصر الحميم الحميم تقول بصرت به فإذا ضعفت عين الفعل صار الفاعل مفعولا فتقول بصرني زيد بكذا فإذا حذفت الجار قلت بصرني زيد كذا فإذا بنيت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجار قلت بصرت زيدا فعلى هذا قوله يبصرونهم فإذا بصروهم لم يحتج إلى تعرف شأن الحميم من حميمه وإنما جمع فقيل يبصرونهم لأن الحميم وان كان مفرداً في اللفظ فالمراد به الكثرة والجمع يدلّك على ذلك قوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

من المدينة وامتدحه بقصيدة منها البيت ويخاطب فيه ناقته ؛ وشرق الشيء : اشتد حمرته بدم او شيء احمر .

ومن قرأ ولا يسأل حميم حميما فالمعنى لا يسأل الحميم عن حميمه في ذلك اليوم لأنه يذهل عن ذلك ويشغل عنه بشأنه كما قال يوم يفرّ المرء من أخيه إلى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

﴿ اللغة ﴾

المعارج مواضع العروج وهو الصعود مرتبة بعد مرتبة ومنه الأعرج لارتفاع احدى رجليه عن الاخرى قال الزجاج المهل دردي الزيت وقيل هو الجاري بغلظه وعكره على رفق من أمهله أمهالا والعهن الصوف المنفوش والحميم القريب النسب إلى صاحبه وأصله من القرب قال

أَحَمَّ اللهُ ذٰلِكَ مِنْ لِقاءٍ ... أُحَادَ أُحَادَ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ (١)

﴿ الاعراب ﴾

بعذاب الباء تتعلق بسأل لأن معناه دعا داع بعذاب وقيل ان الباء بمعنى عن وتقديره عن عذاب قال

دَعِ الْمُعَمَّرَ لا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ ... وَاسْأَلْ بِمَصْقَلَةَ الْبَكْرِيِّ مَا فَعَلا

يريد عن مصرعه وعن مصقلة واللام في قوله للكافرين بمعنى على ويتعلق بواقع أي واقع على الكافرين وقيل انه يتعلق بمحذوف فيكون صفة لسائل تقديره سأل سائل كائن للكافرين أي منهم

﴿ المعنى ﴾

(سأل سائل بعذاب واقع) قيل ان هذا السائل هو الذي قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وهو النضر بن الحارث بن كلدة فيكون المعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستعجلا له وهو واقع بهم لا محالة عن مجاهد وقيل سأل المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمد فجاء جوابه بأنه (للكافرين ليس له دافع) عن الحسن وقيل معناه دعا داع بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبي ﷺ عن الجبائي وتكون الباء في بعذاب مزيدة على التوكيد كما في قوله وهزّي اليك بجذع النخلة والتقدير سأل سائل عذاباً واقعا وقيل هي بمعنى عن وعلة تأويل قول الحسن لأنهم سألوا عن العذاب لمن هو وقيل الباء للتعدي أي بإنزال عذاب وعليه تأويل قول مجاهد وقيل ان معنى سأل سائل على قراءة من قرأ بالالف من سال يسيل سيلا والتقدير سال سيل سائل بعذاب واقع وقيل سائل اسم واد في جهنم سمّي به لأنه يسيل بالعذاب عن ابن زيد واخبرنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثنا ابو عبد الله الشيرازي قال حدثنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا زيد بن اسماعيل مولى الانصار قال حدثنا محمد بن ايوب الواسطي قال حدثنا سفيان بن عيينه عن جعفر ابن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال لما نصب رسول الله ﷺ علياً (ع) يوم غدير خم وقال من كنت مولاه فعليّ مولاه طار ذلك في البلاد فقدم على النبي ﷺ النعمان بن الحرث الفهري فقال امرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعليّ مولاه فهذا شيء منك أو أمر من عند الله فقال والله الذي لا إله إلا هو ان هذا من الله فولى النعمان بن الحرث وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقوله ليس له دافع (من الله ذي المعارج) أي ليس لعذاب الله دافع من الله وقيل معناه بعذاب الكافرين

(١) قائله احد من الهذليين . وأحمه الله اى قربه .

واقع من الله اي وقوعه من الله وذ ـ ـ ـ المعارج صفة الله سبحانه وقيل فيه وجوه ﴿أحدها﴾ ان معناه ذي الفواضل العالية والدرجات التي يعطيها للأنبياء والاولياء في الجنة لأنه يعطيهم المنازل الرفيعة والدرجات العلية وهو معنى قول قتادة والجبائي ﴿وثانيها﴾ انها معارج السماء أي مواضع عروج الملائكة عن ابن عباس ومجاهد وقال الكلبي معناه ذي السموات لأن الملائكة تعرج فيها ﴿وثالثها﴾ انه بمعنى ذي الملائكة أي مالك الملائكة التي تعرج إلى السماء ومنه ليلة المعراج لأنه عرج بالنبي ﷺ إلى السماء فيها (تعرج الملائكة والروح) أي تصعد الملائكة ويصعد الروح ايضاً معهم وهو جبرائيل خصّه بالذكر من بين الملائكة تشريفاً له (اليه) أي إلى الموضع الذي لا يجري لاحد سواه فيه حكم جعل سبحانه عروجهم إلى ذلك الموضع عروجاً اليه كقول ابراهيم (ع) اني ذاهب الى ربي الى الموضع الذي وعدني ربي (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) اختلف في معناه فقيل تعرج الملائكة الى الموضع الذي يأمرهم الله به في يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين الف سنة وذلك من أسفل الارضين إلى فوق السموات السبع وقوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة هو لما بين السماء الدنيا والارض في الصعود والنزول خمسمائة سنة في الصعود وخمسمائة سنة في النزول عن مجاهد والمراد ان الآدميين لو احتاجوا إلى قطع هذا المقدار الذي قطعته الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدة وقيل انه يعني يوم القيامة وانه يفصل فيه من الامور ويقضى فيه من الاحكام بين العباد ما لو فصل في الدنيا لكان مقداره خمسين الف سنة عن الجبائي وهو معنى قول قتادة وعكرمة وروى ابو سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم فقال والذي نفس محمد بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال لو ولّي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين الف سنة من قبل ان يفرغوا والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة وعنه أيضا قال لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقيل معناه ان أول نزول الملائكة في الدنيا وامره ونهيه وقضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء وهو القيامة هذه المدة فيكون مقدار الدنيا خمسين الف سنة لا يدري كم مضى و كم بقي وانما يعلمه الله عز وجل وقال الزجاج يجوز أن يكون قوله في يوم من صلة واقع فيكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وذلك العذاب يقع يوم القيامة (فاصبر) يا محمد على تكذيبهم إياك (صبراً جميلا) لا جزع فيه ولا شكوى على ما تقاسيه (انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً) أخبر سبحانه انه يعلم مجيء يوم القيامة وحلول العقاب بالكفار قريباً ويظنّه الكفار بعيداً لأنهم لا يعتقدون صحته وكلّ ما هو آت فهو قريب دان فالرؤية الاولى بمعنى الظن والثانية بمعنى العلم ثم اخبر سبحانه انه متى يقع العذاب بهم فقال (يوم تكون السماء كالمهل) أي كدردي الزيت(١) عن ابن عباس وقيل كمكر القطران عن عطاء وقيل مثل الفضة إذا اذيبت عن الحسن وقيل مثل الصفر المذاب عن ابي مسلم (وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف المصبوغ وقيل كالصوف المنفوش عن مقاتل وقيل كالصوف الأحمر عن الحسن يعني انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع قال الحسن انها اولا تصير كثيباً مهيلا ثم تصير عهناً منفوشا ثم هباء منثوراً (ولا يسأل حميم حميماً) لشغل كل انسان بنفسه عن غيره عن مجاهد وقيل لا يسأل حميم حميماً ان يتحمّل عنه من اوزاره ليأسه منه ذلك في الآخرة عن الحسن وقال الأخفش الحميم من يخصّه الرجل مودّة

(١) دردي الزيت ما يبقى راسباً في اسفله من الكدر والمكر ـ محركة ـ بمعنى الدردي من كل شيء .

وشفقة من قريب الرحم وبعيده والحامة الخاصة وقيل معناه انه لا يحتاج الى سؤاله لأنه يكون لكل علامة يعرف بها علامة الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون وعلامة المؤمنين نضارة اللون وبياض الوجوه

قوله تعالى (١١) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١٢) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٣) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٤) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٥) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٦) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٧) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٨) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٩) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (٢٠) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢١) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢٢) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٣) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٤) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٥) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٦) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٧) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٨) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٩) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٣٠) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣١) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٤) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٥) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (خمس وعشرون آية)

القراءة

قرأ حفص نزاعة بالنصب والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير لأمانتهم بغير الف بعد النون والباقون لاماناتهم بالجمع وقرأ حفص ويعقوب وسهل بشهاداتهم على الجمع والباقون بشهادتهم وكلهم قرأوا على صلاتهم على التوحيد

الحجة

قال ابو علي من قرأ انها لظى نزاعةٌ للشوى فرفع نزاعة جاز في رفعه ما جاز في قولك هذا زيد منطلق وهذا بعلي شيخ ومن نصب فعلى وجهين احدهما ان يكون حالا والآخر ان يحمل على فعل فحمله على الحال يبعد لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال فإن قلت فإن في قوله لظى معنى التلظي والتلهب فإن ذلك لا يستقيم لأن لظى معرفة لا ينتصب عنها الاحوال الا ترى أن ما استعمل استعمال الاسماء من اسم فاعل او مصدر لم يعمل هذا النحو من حيث جرى مجرى الاسماء فبأن لا يعمل الاسم المعرفة عمله اولى ويدلك على تعريف هذا الاسم وكونه علما ان التنوين لم يلحقه فإذا كان كذلك لم ينتصب الحال عنه فإن جعلتها مع تعريفها قد صارت معروفة بشدة التلظي جاز ان تنصبه بهذا المعنى الحادث في العلم وعلى هذا قوله تعالى وهو الله في السماوات وفي الارض علقت الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير والالطاف فإن علقت الحال بالمعنى الحادث في العلم كما علقت الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير والالطاف لم يمتنع لأن الحال كالظرف في تعلقها بالمعنى كتعلق الظرف به وكان وجها وان علقت نزاعة بفعل مضمر نحو اعينها نزاعة

الشوى لم يمتنع أيضا وأما قوله لأماناتهم على الافراد وان كان مضافا الى جماعة ولكل واحد منهم امانة فلأنه مصدر يقع على جميع الجنس ويتناوله ومن جمع فلاختلاف الامانات وكثرة ضروبها فأشبهت بذلك الاسماء التي ليست للجنس والقول في الشهادة والشهادات مثل القول في الامانة والامانات

﴿ اللغة ﴾

المودّة مشتركة بين التمني وبين المحبة يقال وددت الشيء اي تمنّيته ووددته اي احببته أودُّ فيها جميعاً والافتداء افتداء الضرر عن الشيء ببدل منه والفصيلة الجماعة المنقطعة عن جملة القبيلة برجوعها الى ابوة خاصة عن ابوة عامة ولظى اسم من اسماء جهنم مأخوذة من التوقد والنزاعة الكثيرة النزع وهو اقتلاع عن شدة ضم والاقتلاع اخذ بشدة اعتماد والشوى جلدة الرأس واحدتها شواة قال الاعشى

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لَهُ ... قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُهْ (١)

والشوى الاكارع والاطراف والشوى ما عدى المقاتل من كل حيوان يقال رماه فأشواه أي اصاب غير مقتله ورمى فاصمى اي اصاب المقتل والشوى أيضا الخسيس من المال والهلوع الشديد الحرص الشديد الجزع والاشفاق رقة القلب عن تحمل ما يخاف من الامور فإذا قسا قلب الانسان بطل الاشفاق والعادي الخارج عن الحق يقال عدا فلان إذا اعتدى وعدا في مشيه إذا اسرع وهو الاصل والعادي الظالم بالإسراع الى الظلم

﴿ الاعراب ﴾

يجوز ان يكون العامل في الظرف من قوله يوم تكون السماء كالمهل قوله يبصَّرونهم وقوله يودُّ المجرم يجوز أن يكون استئناف كلام ويجوز أن يكون في محل الجرّ بدلا من تكون السماء كالمهل. هلوعاً ومنوعاً وجزوعاً منصوبة على الحال والتقدير خلق هلوعاً، جزوعاً إذا مسّه الشرّ، منوعاً إذا مسّه الخير والمصلين منصوب على الاستثناء وقوله إلا على ازواجهم قيل أن على هذه محمولة على المعنى والتقدير فإنهم يلامون على غير أزواجهم ويدل عليه قوله فإنهم غير ملومين عن الزجاج وقيل تقديره الا من أزواجهم فيكون على بمعنى من

﴿ المعنى ﴾

لمّا وصف سبحانه القيامة واخبر أن الحميم فيه لا يسأل حميمه لشغله بنفسه قال (يبصرونهم) اي يعرف الكفار بعضهم بعضاً ساعة ثم لا يتعارفون ويفرّ بعضهم من بعض عن ابن عباس وقتادة وقيل يعرفهم المؤمنون عن مجاهد اي يبصّر المؤمن اعداءه على حالهم من العذاب فيشمت بهم ويسر وقيل يعرف اتباع الضلالة رؤساءهم وقيل ان الضمير يعود الى الملائكة وقد تقدّم ذكرهم اي يعرفهم الملائكة ويجعلون بصراء بهم فيسوقون فريقاً الى الجنة وفريقاً الى النار (يودُّ المجرم) اي يتمنى العاصي (لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه) يتمنى سلامته من العذاب النازل به بإسلام كل كريم عليه من اولاده الذين هم اعزُّ الناس عليه (وصاحبته) أي وزوجته التي كانت سَكَناً له وربما آثرها على ابويه (واخيه) الذي كان ناصراً له ومعينا (وفصيلته) اي وعشيرته (التي تؤويه) في الشدائد وتضمّه ويأوي اليها في النسب (ومن في الارض جميعا) اي وبجميع الخلائق يقول يودُّ لو يفتدي بجميع هذه الاشياء (ثم ينجيه) ذلك الفداء (كلا) لا ينجيه ذلك قال الزجاج كلا ردع وتنبيه اي لا يرجع احد من هؤلاء فارتدعوا (انها لظى) يعني ان نار جهنم

(١) قتيلة : اسم امرأة اى قالت ماله وقد كسيت بالشعر الابيض جلدة رأسه .

او القصة لظى نزاعة للشوى وسميت لظى لأنها تتلظى اي تشتعل وتلتهب على اهلها وقيل لظى اسم من اسماء جهنم وقيل هي الدركة الثانية منها وهي (نزاعة للشوى) تنزع الاطراف فلا تترك لحما ولا جلداً إلا احرقته عن مقاتل وقيل تنزع الجلد وأم الرأس عن ابن عباس وقيل تنزع الجلد واللحم عن العظم عن الضحاك وقال الكلبي يعني تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان وقال ابو صالح الشوى لحم الساق وقال سعيد بن جبير العصب والعقب وقال ابو العالية محاسن الوجه (تدعو من ادبر وتولى) يعني النار تدعو الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى عن طاعة الله ورسوله عن قتادة والمعنى انه لا يفوت هذه النار كافر فكأنها تدعوه فيجيبها كرهاً وقيل ان الله تعالى ينطق النار حتى تدعوهم اليها وقيل معناه تدعو زبانية النار من أدبر وتولى عن الحق فجعل ذلك سبحانه دعاء من النار عن الجبائي وقيل تدعو اي تعذب رواه المبرد عن الخليل قال يقال دعاك الله اي عذبك (وجمع) المال (فاوعى) اي امسكه في الوعاء فلم ينفقه في طاعة الله فلم يؤد زكاة ولم يصل رحما وقيل جمعه من باطل ومنعه عن الحق (ان الانسان خلق هلوعاً) اي ضجوراً شحيحاً جزوعاً من الهلع وهو شدة الحرص وقال اهل البيان تفسيره فيما بعده (اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً) يعني اذا اصابه الفقر لا يحتسب ولا يصبر واذا اصابه الغنى منعه من البر ثم استثنى سبحانه الموحدين المطيعين فقال (الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) مستمرون على ادائها لا يخلون بها ولا يتركونها وروي عن ابي جعفر (ع) ان هذا في النوافل وقوله (والذين هم على صلاتهم يحافظون) في الفرائض والواجبات وقيل هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة عن عقبة عن عامر والزجاج (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) يعني الزكاة المفروضة والسائل الذي يسأل والمحروم الفقير الذي يتعفف ولا يسأل وقد سبق تفسيرها وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الحق المعلوم ليس من الزكاة وهو الشيء الذي تخرجه من مالك ان شئت كل جمعة وان شئت كل يوم ولكل ذي فضل فضله وروي عنه ايضا انه قال هو ان تصل القرابة وتعطي من حرمك وتصدق على من عاداك (والذين يصدقون بيوم الدين) اي يؤمنون بأن يوم الجزاء والحساب حق لا يشكون في ذلك (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اي خائفون (ان عذاب ربهم غير مأمون) اي لا يؤمن حلوله بمستحقيه وهم العصاة وقيل معناه يخافون ان لا تقبل حسناتهم ويؤخذون بسيئاتهم وقيل غير مأمون لأن المكلف لا يدري هل ادى الواجب كما امر به وهل انتهى عن المحظور على ما نهى عنه ولو قدرنا ان انساناً يعلم ذلك من نفسه لكان آمنا (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم) يعني الذين يحفظون فروجهم عن المناكح على كل وجه وسبب الا على الازواج او ملك الايمان من الاماء (فإنهم غير ملومين) على ترك حفظ الفروج عنهم (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) فمن طلب وراء ما أباحه الله له من الفروج فأولئك هم الذين تعدوا حدود الله وخرجوا عما اباحه لهم ومعنى وراء ذلك ماخرج عن حده من اي جهة كان (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) اي حافظون والامانة ما يؤتمن المرء عليه مثل الوصايا والودائع والحكومات ونحوها وقيل الأمانة الايمان وما اخذ الله على عباده من التصديق بما اوجبه عليهم والعمل بما يجب عليهم العمل به (والذين هم بشهاداتهم قائمون) اي يقيمون الشهادات التي تلزمهم اقامتها والشهادة الاخبار بالشيء انه على ما شاهدوه ذلك انه قد يكون عن مشاهدة للمخبر به وقد يكون عن مشاهدة ما يدعوا اليه (والذين هم

على صلوتهم يحافظون) اي يحفظون اوقاتها واركانها فيؤدّونها بتمامها ولا يضيّعون شيئاً منها وروى محمد بن الفضيل عن ابي الحسن (ع) انه قال أولئك اصحاب الخمسين صلاة من شيعتنا وروى زرارة عن ابي جعفر (ع) قال هذه الفريضة من صلّاها لوقتها عارفاً بحقّها لا يؤثر عليها غيرها كتب الله له بها براءة لا يعذّبه ومن صلّاها لغير وقتها موثراً عليها غيرها فإن ذلك اليه ان شاء غفر له وان شاء عذّبه و (اولئك) وصفوا بهذه الصفات (في جنات) اي بساتين يجنّها الشجر (مكرمون) معظمون مبجلون بما يفعل بهم من الثواب

قوله تعالى (٣٦) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٧) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٨) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٩) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٤٠) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤١) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٣) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٤) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (تسع آيات)

القراءة

قرأ ابن عامر وحفص وسهل إلى نُصُب بضمتين والباقون إلى نَصْب بفتح النون وسكون الصاد

الحجة

قال ابو علي يجوز أن يكون نُصُب جمع نَصْب مثل سُقُف وسَقْف ووُرُد ووَرْد ومن ثقّل فقال نُصُب كان بمنزلة أُسُد ويمكن أن يكون النُّصْب والنَّصْب لغتين كالضُّعْف والضَّعْف وما اشبه ذلك ويكون الثقيل كشُغُل وشُغْل وطُنُب وطُنْب

اللغة

قال الزجاج المُهْطِع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله وذلك من نظر العدو وقال ابو عبيدة الاهطاع الاسراع وعِزين جماعات في تفرقة واحدتهم عِزَة وإنما جمع بالواو والنون لأنه عوض مثل سنة وسنون وأصل عِزَة عِزْوَة من عزاه يعزوه إذا أضافه إلى غيره فكلّ جماعة من هذه الجماعات مضافة إلى الاخرى قال الراعي

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمٰنِ إِنَّ عَشِيرَتِي ... أَمْسَى سَوَامُهُمُ عِزِينَ فُلُولَا (١)

وقال عنترة

وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ لَدَى مَكَرٍّ ... عَلَيْهِ الطَّيْرَ كَالْعَصَبِ الْعِزِينَا (٢)

وقيل إن المحذوف من عزة هاء والاصل عزهة وهو من العزهاة وهو المنقبض عن النساء وعن اللهو معهن قال الاحوص

إِذَا كُنْتَ عِزْهَاةً عَنِ اللَّهْوِ وَالصِّبَى ... فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا (٣)

(١) هذا البيت من قصيدة لعبيد الراعي يمدح بها عبد الملك بن مروان ويشكو فيها من السعاة وهم الذين ياخذون الزكاة من قبل السلطان. والسوائم : الابل ترسل للرعي . والفلول جمع فل : بقية الشيء الكثير ومنه فلول المعارك وهم المنهزمون . يقول : ان السعاة لم يتركوا من اموالنا الا مالا خير فيه . (٢) القرن : نظير الرجل في الشجاعة . والمكر :

وعن ابي هريرة قال خرج النبي ﷺ على اصحابه وهم حلق حلق متفرقون فقال مالي أراكم عزين والاجداث القبور واحدها جدث وجدف بمعناه والايفاض الاسراع والنصب الصنم الذي كانوا يعبدونه قال الاعشى

وَذَا النُّصُبِ الْمَنْصُوبَ لَا تَنْسُكَنَّهُ لِعَاقِبَةٍ وَاللهَ رَبَّكَ فَاعْبُدَا(١)

الاعراب

فما للذين كفروا ما رفع بالابتداء واللام خبره وفيه ضميره وقبلك في موضع الحال من كفروا أو من المجرور على تقدير فما لهم ثابتين قبلك ومهطعين حال من الضمير في قبلك ويجوز في قبلك أن يكون ظرفا للام وأن يكون ظرفاً لمهطعين ويجوز أن يكون مهطعين حالا بعد حال وعن اليمين يتعلق به وعزين حال بعد حال ويجوز أن يتعلق عن اليمين بعزين ومعناه مجتمعين عن اليمين وعن الشمال. كأنهم الى نصب يوفضون جملة منصوبة الموضع على الحال من قوله سراعاً خاشعة ابصارهم حال من الضمير في يوفضون

المعنى

ثم قال سبحانه على وجه الانكار على الكفار (فما للذين كفروا) يعني اي شئ للذين كفروا بتوحيد الله أي ما بالهم وما حملهم على ما فعلوا (قبلك) اي عندك يا محمد (مهطعين) مسرعين اليك عن ابي عبيدة وقيل منطلقين عن الحسن وقيل مقبلين عنك بوجوههم لا يلتفتون عنك أي ناظرين اليك بالعداوة والمراد بالذين كفروا هنا المنافقون (عن اليمين وعن الشمال) أي عن يمينك وعن شمالك (عزين) اي جماعات متفرقين عصبة عصبة وجماعة جماعة (ايطمع كل امرئ) منهم أي من هؤلاء المنافقين (بأن يدخل جنة نعيم) كما يدخل أولئك الموصوفون قبل هذا وإنما قال هذا لأنهم كانوا يقولون إن كان الامر على ما قال محمد فإنّ لنا في الآخرة عند الله افضل مما للمؤمنين كما اعطانا في الدنيا افضل مما اعطاهم (كلا) اي لا يكون ولا يدخلونها (انا خلقناهم مما يعلمون) أي من النطفة عن الحسن أي من كان اصله من هذا الماء المهين فكيف استوجب الجنة باصله وبنفسه إنما يستوجبها بالاعمال الصالحة نبّه سبحانه بهذا على أن الناس كلهم من اصل واحد وإنما يتفاضلون بالإيمان والطاعة وتحقيقه إنما خلقناهم من المقاذر والانجاس فمتى يدخلون الجنة ولم يؤمنوا بي ولم يصدّقوا رسولي وقيل معناه خلقناهم من الجنس الذين يعلمون أو من الخلق الذين يعلمون ويفقهون ويلزمهم الحجة ولم نخلقهم من الجنس الذي لا يفقه كالبهائم والطير وقيل معناه خلقناهم من اجل ما يعلمون من الثواب والعقاب والتكليف للطاعات تعريضاً للثواب كما يقول القائل غضبت عليك مما تعلم اي من اجل ما تعلم قال الاعشى

أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارَا وَشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تُزَارَا(٢)

اي من اجل آل ليلى ودل قوله وشطت على ذي هوى انه لم يزمع من عندهم وإنما ازمع من اجلهم للمصير اليهم (فلا اقسم) هو مفسّر في سورة الحاقة (برب المشارق والمغارب) يعني مشارق الشمس ومغاربها فإن لها ثلاثمائة وستين مطلعاً لكل يوم مطلع لا تعود اليه إلى قابل عن ابن عباس(٣) (انا لقادرون على ان نبدّل خيراً منهم) هذا جواب القسم يعني انا نقدر على ان نهلكهم ونأتي بدلهم بقوم آخرين خيراً منهم (وما نحن بمسبوقين) هذا عطف على جواب القسم اي وان هؤلاء الكفار لا يفوتون بأن يتقدّموا على وجه يمنع من لحاق العذاب

حـ موضع الحرب والعصب: حيار القوم (٣) الجلمد بمعنى الصخر ايضاً.

(١) البيت من قصيدة اولها في مدح النبي (ص) وقدم بها عليه وهو في المدينة عام صلح الحديبية لينشدها بين يديه فعلم بذلك ابوسفيان وابوجهل وجمع من كفار قريش فأتوه وصدوه عما اراده بعد كلام طويل فانصرف واتى اليمامة ومات

بهم فإنهم لم يكونوا سابقين ولا العقاب مسبوقا منهم والتقدير وما نحن بمسبوقين يفوت عقابنا اياهم فإنهم لو سبقوا عقابنا لسبقونا وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عن ابي مسلم (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) فإن وبال ذلك عائد عليهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة (يوم يخرجون من الاجداث) اي القبور (سراعا) مسرعين لشدة السوق (كأنهم إلى نصب يوفضون) اي كأنهم يسعون ويسرعون إلى علم نصب لهم عن الجبائي وابي مسلم وقيل كأنهم إلى اوثانهم يسعون للتقرب اليها عن ابن عباس وقتادة (خاشعة ابصارهم) اي ذليلة خاضعة لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم (ترهقهم ذلة) اي تغشاهم مذلة (ذلك اليوم الذي) وصفه اليوم الذي (كانوا يوعدون) به دار التكليف فلا يصدقون به ويجحدونه فشاهدوه في تلك الحال

سورة نوح (مكية)

عدد آيها

ثمان وعشرون آية كوفي تسع بصري شامي ثلاثون في الباقين

اختلافها

اربع آيات سواعا فادخلوا نارا كلاهما غير الكوفي ونسرا كوفي والمدني الاخير أضلوا كثيراً مكي والمدني الاول

فضلها

ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح ابو عبد الله (ع) قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويقرأ كتابه فلا يدع ان يقرأ سورة إنا ارسلنا نوحاً فأيّ عبد قرأها محتسباً صابراً في فريضة او نافلة اسكنه الله مساكن الابرار واعطاه ثلاث جنان مع جنته كرامة من الله وزوّجه مائتي حوراء واربعة آلاف ثيب إن شاء الله تعالى

تفسيرها

لما ختم سبحانه تلك السورة بوعيد اهل التكذيب افتتح هذه السورة بذكر قصة نوح وقومه وما نالهم بالتكذيب تسلية للنبي ﷺ فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٣) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٤) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٦) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٧) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٩) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ

← بعد زمان يسير وقيل : الفاء بعيره فقتله قبل وصوله الى اليمامة وتمام القصيدة والقصة مذكورة في شرح شواهد الكشاف صفحة ٤٩ فراجع . (٢) هذا البيت مطلع قصيدة قالها في مدح قيس بن معديكرب وازمعت اي عزمت وقصدت و «ابتكاراً» هو في الاصل الخروج في وقت البكرة واراد به الارتحال . «وشطت» اي بعدت . (٣) قال بعض الاساتيد دام ظله ان في هذه ←

لَهُمْ إِسْرَاراً (١٠) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١١) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١٢) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (١٣) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (١٤) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (اربع عشرة آية)

اللغة

الاستغشاء طلب التغشي والاصرار الاقامة على الامر بالعزيمة عليه والمدرار الكثير الدرور بالغيث والمطر والامداد الحاق الثاني بالاول على النظام حالا بعد حال يقال امدّه بكذا ومدّ النهر نهر آخر والاموال جمع المال وهو عند العرب النعم واصل الوقار الثبوت وما به يكون الشيء عظيماً من الحلم الذي يمتنع معه الخرق والرجاء بمعنى الخوف قال ابو ذويب

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ

الاعراب

ان انذر قومك في موضع نصب بأرسلنا لأن الأصل بان انذر قومك فلما سقطت الباء افضى الفعل وقيل ان موضعه جرّ وان سقطت الباء وقد تقدّم بيانه ويجوز ان يكون ان هذه المفسرة بمعنى اي وجهاراً مصدر وضع موضع الحال اي دعوتهم مجاهرا لهم بالدعاء الى التوحيد وقوله مدراراً نصب على الحال. لا ترجون لله وقاراً جملة في موضع الحال ايضاً والعامل في الحال أي لكم من معنى الفعل. وقاراً منصوب بأنه مفعول ترجون

المعنى

اخبر سبحانه عن نفسه فقال (انا ارسلنا) اي بعثنا (نوحا) رسولا (الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) معناه ارسلنا لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا قال الحسن امره ان ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ثم حكى ان نوحاً امتثل ما امر الله سبحانه به بأن قال (قال يا قوم) اضافهم الى نفسه فكأنه قال انتم عشيرتي يسوؤني ما يسوؤكم (اني لكم نذير مبين) اي مخوّف مبين وجوه الادلة في الوعيد وبيان الدين والتوحيد (اعبدوا الله واتقوه) اي اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتقوا معاصيه (واطيعون) فيما امركم به لأن طاعتي مقرونة بطاعة الله وطاعة الله واجبة عليكم لمكان نعمه السابقة التي لا توازيها نعمة منعم (يغفر لكم من ذنوبكم) اي فإنكم ان فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ومن مزيدة وقيل ان من هاهنا للتبعيض والمعنى يغفر لكم ذنوبكم السالفة وهي بعض الذنوب التي تضاف اليكم ولما كانت ذنوبهم التي يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها على الاطلاق لما يكون في ذلك من الاغراء بالقبيح قيّد سبحانه هذا التقييد (ويؤخركم الى اجل مسمى) وفي هذا دلالة على ثبوت اجلين كأنه شرط في الوعد بالاجل المسمى عبادة الله والتقوى فلما لم يقع ذلك منهم اقتطعوا بعذاب الاستيصال قبل الأجل الاقصى بالأجل الادنى ثم قال (ان اجل الله) يعني الاقصى (إذا جاء لا يؤخّر لو كنتم تعلمون) صحة ذلك وتؤمنون به قال الحسن يعني بأجل الله يوم القيامة جعله اجلا للبعث ويجوز ان يكون هذا حكاية عن قول نوح (ع) لقومه ان يكون اخباراً منه سبحانه عن نفسه (قال) نوح (ربّ اني دعوت قومي ليلا ونهاراً) الى عبادتك وخلع الانداد من دونك والى الإقرار بنبوّتي (فلم يزدهم دعائي الا فراراً) اي لم يزدادوا بدعائي اياهم الا فراراً

← الاية وما يضاهيها من الايات الكريمة مثل قوله تعالى: «كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها»: الاعراف ١٣٧، اشارة الى كروية الارض، فان طلوع الشمس على اي جزء من اجزاء الكرة الارضية يلازم غروبها عن جزء آخر فيكون تعدد المشارق و المغارب واضحاً لا تكلف فيه ولا تعسف واما الحمل على تعدد مطالع الشمس و مغاربها باختلاف ايام السنة فانه تكلف ←

من قبوله ونفاراً منه وادباراً عنه وإنما سمّي كفرهم عند دعائه زيادة في الكفر لأنهم كانوا على كفر وضلال فلما دعاهم نوح (ع) الى الاقلاع عن ذلك والاقرار به ولم يقبلوه فكفروا بذلك كأنّ ذلك زيادة في الكفر لأن الزيادة هي اضافة الشيء الى مقدار قد كان حاصلا ولو حصلا جميعاً في وقت واحد لم يكن لأحدهما زيادة على الآخر (واني كلّما دعوتهم) الى اخلاص عبادتك (لتغفر لهم) سيئاتهم (جعلوا اصابعهم في آذانهم) لئلا يسمعوا كلامي ودعائي (واستغشوا ثيابهم) اي غطّوا بها وجوههم لئلا يروني (واصرّوا) اي داموا على كفرهم (واستكبروا استكباراً) اي تكبّروا وانفوا عن قبول الحق والاصرار الإقامة على الامر بالعزيمة عليه فلمّا كانوا عازمين على الكفر كانوا مصرّين وقيل ان الرجل منهم كان يذهب بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا لا يغوينك فإن ابي قد ذهب بي اليه وانا مثلك فحذّرني مثل ما حذرتك عن قتادة (ثم اني دعوتهم جهارا) اي بأعلى صوتي عن ابن عباس وقيل مجاهرة يرى بعضهم بعضاً اي ظاهراً غير خفي (ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسراراً) أي دعوتهم في العلانية وفي السرّ وقيل معناه إني اعلنت جماعة بالدعوة واسررت جماعة ثم اعلنت للذين اسررت واسررت للذين اعلنت لهم ومعناه اني سلكت معهم في الدعوة كل مذهب وتلطفت لهم في ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا (فقلت استغفروا ربكم) اي اطلبوا منه المغفرة على كفركم ومعاصيكم (إنه كان غفاراً) لكل من طلب منه المغفرة فمتى رجعتم عن كفركم واطعتموه (يرسل السماء عليكم مدرارا) اي كثيرة الدرور بالغيث وقيل انهم كانوا قد قحطوا واَسْنَتُوا[1] وهلكت اموالهم واولادهم فلذلك رغّبهم في ردّ ذلك بالاستغفار مع الإيمان والرجوع إلى الله قال الشعبي قحط المطر على عهد عمر بن الخطاب فصعد المنبر ليستسقي فلم يذكر إلا الاستغفار حتى نزل فلما نزل قيل له ما سمعناك استسقيت قال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء[2] التي بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية (ويمددكم بأموال وبنين) اي يكثر اموالكم واولادكم الذكور عن عطا (ويجعل لكم جنات) اي بساتين في الدنيا (ويجعل لكم انهاراً) تسقون بها جناتكم قال قتادة علم نبي الله نوح انهم كانوا اهل حرص على الدنيا فقال هلمّوا إلى طاعة الله فإن فيها درك الدنيا والآخرة وروى الربيع بن صبيح أن رجلا اتى الحسن فشكا اليه الجدوبة فقال له الحسن استغفر الله واتاه آخر فشكا اليه الفقر فقال له استغفر الله واتاه آخر فقال ادع الله ان يرزقني ابناً فقال له استغفر الله فقلنا اتاك رجال يشكون ابواباً ويسألون انواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت ذلك من ذات نفسي إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيّه نوح إنه قال لقومه استغفروا ربكم أنه كان غفاراً إلى آخره وروى علي بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن ابيه قال سأل رجل ابا جعفر (ع) وانا عنده فقال له جعلت فداك اني كثير المال وليس يولد لي ولد فهل من حيلة قال نعم استغفر ربك سنة في آخر الليل مئة مرة فإن ضيّعت ذلك بالليل فاقضه بالنهار فإن الله يقول استغفروا ربكم إلى آخره ثم قال نوح (ع) لهم على وجه التبكيت (مالكم) معاشر الكفار (لا ترجون لله وقاراً) اي لا تخافون لله عظمة فالوقار العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم والرجاء الخوف هنا والمعنى لا تعظمون الله حق عظمته فتوحّدوه وتطيعوه عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ما لكم لا ترجون لله عاقبة عن قتادة اي لا تطمعون في عاقبة لعظمة الله تعالى وقيل معناه ما لكم لا تخافون لله عذاباً ولا ترجون منه ثواباً في رواية اخرى عن ابن عباس وقيل معناه ما لكم لا ترجون لله عاقبة الإيمان وتوحّدون الله عن الزجاج وقيل معناه مالكم لا تعتقدون لله

← لاينبغي ان يصار اليه لان الشمس لم يكن لها مطالع معينة ليقع الحلف بها ، بل تختلف تلك باختلاف الاراضي ، فلابد من ان يراد بها المشارق والمغارب التي تتجدد شيئاً فشيئاً باعتبار كروية الارض و حركتها . (٣) مر البيت في ج٢ : ١٠٤ وج٣ : ٩٣ (١) أسنت القوم : اجدبوا وأصله من السنة بمعنى الجدب والقحط فأبدلوا الواو في الفعل تاءا ليفرقوا بينه

اثباتا عن ابي مسلم (وقد خلقكم اطوارا) اي خلقكم طورا نطفة ثم طورا علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسا العظام لحما ثم انشأه خلقا آخر نبت له الشعر وكمل له الصورة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل اطوارا احوالا حالا بعد حال وقيل معناه صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وقيل خلقكم مختلفين في الصفات اغنياء وفقراء وزمناء واصحاء وطوالا وقصارا والآية محتملة للجميع

قوله تعالى (١٥) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا (١٦) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٧) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٨) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (٢٠) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢١) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢٢) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٣) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٤) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٥) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٦) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٧) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٨) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (اربع عشرة آية)

القراءة

قرأ اهل المدينة وُدًّا بالضم والباقون بالفتح وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم والباقون مما خطيئاتهم بالتاء والمد والهمزة وقد ذكرنا الاختلاف في ولده في سورة مريم (ع)

الحجة

قال ابو عبيدة زعموا أن ودّا كان صنم لهذا الحي من كلب وحكاه بالفتح قال وسمعت قول الشاعر

فَحَيَّاكَ وُدٌّ مَا هَدَاكَ لِفِتْيَةٍ ... وَخُوصٍ بِأَعْلَى ذِي طُوَالَةَ هُجَّدِ (١)

وقال ابو الحسن ضمّ اهل المدينة الواو وعسى أن يكون لغة في اسم الصنم وسمعت هذا البيت

حَبَّاكَ وُدًّا فَإِنَّا لَا يَحِلُّ لَنَا ... لَهْوُ النِّسَاءِ وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا

الواو مضمومة وخطاياهم جمع التكسير وخطيئات جمع التصحيح وما زائدة كالتي في قوله فبما رحمة من الله وقوله فبما نقضهم ميثاقهم

اللغة

الفجاج الطرق المتسعة المتفرقة واحدها فج وقيل الفج المسلك بين جبلين والسواع هنا صنم وفي غيره الساعة من الليل ومثله السواء والكبار الكبير جدا يقال كبير ثم كُبار ثم كُبّار ومثله عجيب وعُجاب وعُجّاب وحسن وحُسان وحُسّان وروى أن اعرابيا سمع النبي ﷺ يقرأ ومكروا مكرا كبارا فقال ما افصح ربك يا محمد وهذا من جفاء الاعراب لأن الله تعالى سبحانه لا يوصف بالفصاحة وديّارا فيعال

قولهم : اسنى القوم : اذا أقاموا سنة في موضع . (٢) المجاديح جمع المجدح : نجم من النجوم قيل هو الدبران ؛ وقيل هو ثلاثة كواكب كالاثافي ؛ وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل الاستغفار مشبها بالانواء .

(١) قائله الحطيئة وقبله «وفي كل ممسى ليلة ومعرس» خيال يوافي الركب من ام معبد . والخوص جمع الاخوص و

من الدوران ونحوه القيام والاصل قيوام وديوار فقلبت الواو ياء وادغمت احداهما في الاخرى قال الزجاج يقال ما بالدار ديّار أي ما بها احد يدور في الأرض قال الشاعر

وَمَا نُبَالِي إِذَا مَا كُنْتِ جَارَتَنَا ... أَنْ لَا يُجَاوِرَنَا إِلَّاكِ دَيَّارُ(١)

فجعل المتصل موضع المنفصل ضرورة

﴿ الاعراب ﴾

طباقاً منصوبا على احد وجهين أن يكون على تقدير خلقهن طباقا وان يكون نعتاً لسبع اي سبع سموات ذات طباق. نباتاً مصدر فعل محذوف تقديره انبتكم فنبتم نباتاً وقال الزجاج هو محمول على المعنى لأن معنى انبتكم جعلكم تنبتون نباتاً ومامن قوله مما خطيئاتهم مزيدة لتأكيد الكلام

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المكلفين منبّهاً لهم على توحيده فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي واحدة فوق الاخرى كالقباب (وجعل القمر فيهنّ نوراً) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ أن المعنى وجعل القمر نوراً في السموات والارض عن ابن عباس قال يضيء ظهره لما يليه من السموات ويضيء وجهه لأهل الأرض وكذلك الشمس ﴿ وثانيها ﴾ أن معنى فيهن منهنّ يعني وجعل القمر منهن أي مع خلق السموات نوراً لأهل الأرض ﴿ وثالثها ﴾ أن معنى فيهنّ في حيّزهن وإن كان في واحدة منها كما تقول ان في هذه الدور لبئراً وان كانت في واحدة منها لأن ما كان في احداهن كان فيهنّ وكما تقول اتيت بني تميم وإنما اتيت بعضهم (وجعل الشمس سراجاً) اي مصباحا يضيء لأهل الأرض كما كانت الشمس جعل فيها النور للاستضاءة به كانت سراجاً فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان (والله انبتكم من الارض نباتا) يعني مبتدأ خلق آدم وآدم خلق من الأرض والناس ولده وهذا كقوله وبثّ منهما رجالا كثيراً ونساء وقيل معناه انه أنشأ جميع الخلق باغتذاء ما تنبته الارض ونما فيها وقيل معناه انبتكم من الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر (ثم يعيدكم فيها) أي في الأرض امواتاً (ويخرجكم) منها عند البعث احياء (اخراجا) وإنما ذكر المصدر تأكيداً (والله جعل لكم الأرض بساطا) اي مبسوطة ليمكنكم المشي عليها والاستقرار فيها ثم بيّن انه إنما جعلها كذلك (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اي طرقا واسعة وقيل طرقا مختلفة عن ابن عباس وقيل سبلا في الصحاري وفجاجاً في الجبال وإنما عدّد سبحانه هذه الضروب من النعم امتنانا على خلقه وتنبيها لهم على استحقاقه للعبادة خالصة من كل شرك ودلالة لهم على انه عالم بمصالحهم ومدبّر لهم على ما تقتضيه الحكمة فيجب أن لا يقابلوا هذه النعم الجليلة بالكفر والجحود ثم عاد سبحانه إلى ذكر نوح (ع) بقوله (قال نوح) على سبيل الدعاء (رب انهم عصوني) فيما امرتهم به ونهيتهم عنه يعني قومه (واتّبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً) اي واتبعوا اغنياء قومهم اغترارا بما آتاهم الله من المال والولد فقالوا لو كان هذا رسولا لله لكان له ثروة وغنى وقرئ وُلده وولَده بالضم والفتح فالولد الجماعة من الاولاد والولد الواحد وقيل هما سواء والخسار الهلاك بذهاب رأس المال وقيل ان معناه اتبع الفقراء والسفلة الرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والاولاد إلا هلاكا في الدنيا وعقوبة في الآخرة (ومكروا) في دين الله (مكراً كُبّاراً) أي كبيراً عظيما عن الحسن وقيل معناه قالوا قولا عظيماً عن ابن عباس وقيل اجترأوا

هو الذى غارت عينه . وذى طوالة : موضع ، وفى بعض النسخ «ذى فضالة» والظاهر انه تصحيف «ذى طوالة» و هجد جمع الهجود . المصلى بالليل .

(١) الشعر فى جامع الشواهد .

على الله وكذبوا رسله عن الضحاك وقيل مكرهم تحريشهم[1] سفلتهم على قتل نوح (ع) (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أي لا تتركوا عبادة اصنامكم ثم خصّوا اصناماً لهم معروفة بعد دخولها في الجملة الاولى تعظيما لها فقالوا (لا تذرنّ وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً) وهذه اسماء اصنام كانوا يعبدونها ثم عبدتها العرب فيما بعد عن ابن عباس وقتادة وقيل إن هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح (ع) فنشأ قوم بعدهم يأخذون إخذهم في العبادة فقال لهم ابليس لو صوّرتم صورهم كان انشط لكم واشوق إلى العبادة ففعلوا فنشأ بعدهم قوم فقال لهم ابليس إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فمبدأ عبادة الاوثان كان ذلك الوقت عن محمد بن كعب وقيل كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند ويحول بينه وبين الكفار لئلا يطوفوا بقبره فقال لهم ابليس إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو آدم دونكم وانا هو جسد وانا اصوّر لكم مثله تطيفون به فنحت خمسة اصنام وحملهم على عبادتها وهي ود وسواع ويعوق ويغوث ونسر فلما كان ايام الغرق دفن الطوفان تلك الاصنام وطمّها التراب[2] فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب فاتّخذت قضاعة وداً فعبدوها بدومة الجندل ثم توارثها بنوه الأكابر فالأكابر حتى صارت إلى كلب فجاء الإسلام وهو عندهم واخذ بطنان من طيّ يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً ثم ان بني ناجية أرادوا أن ينزعوه منهم ففروا به إلى بني الحرث بن كعب وأما يعوق فكان لكهلان ثم توارثه بنوه الاكبر فالاكبر حتى صار إلى همدان وأما نسر فكان لخثعم يعبدونه واما سواع فكان لآل ذي الكلاع يعبدونه عن ابن عباس وقيل إن أوثان قوم نوح صارت إلى العرب فكانت ود بدومة الجندل وسواع برهاط لهذيل وكان يغوث لبني غطيف من مراد وكان يعوق لهمدان وكان نسر لآل ذي الكلاع من حمير وكان اللات لثقيف واما العزى فلسليم وغطفان وجشم ونضر وسعد بن بكر واما مناة فكانت لقديد وأما إساف ونائلة وهبل فلأهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود وكانت نائلة حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا عن عطا وقتادة والثمالي وقال الواقدي كان ودّ على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير (وقد اضلّوا كثيراً) اي ضلّ بعبادتها وبسببها كثير من الناس نظيره ربّ انهنّ أضللن كثيراً من الناس وقيل معناه وقد اضلّ كبراؤهم كثيراً من الناس عن مقاتل وابي مسلم وعلى هذا فإن الضمير في اضلّوا يعود إلى اكابر قوم نوح (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) اي هلاكا كما في قوله إن المجرمين في ضلال وسعر وقيل إلا فتنة بالمال والولد وقيل إلا ذهابا عن الجنة والثواب قال البلخي لا تزدهم إلا منعاً من الطاعات عقوبة لهم على كفرهم فإنهم إذا ضلّوا استحقّوا منع الالطاف التي تفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها ويمتثلون ولا يجوز أن يفعل بهم الضلال عن الحق والإيمان لأن ذلك لا يجوز في صفة الحكيم تعالى الله عن ذلك (مما خطيئاتهم اغرقوا) اي من خطيئاتهم وما مزيدة والتقدير من اجل ما ارتكبوه من الخطايا والكبائر (اغرقوا) على وجه العقوبة (فادخلوا ناراً) بعد ذلك ليعاقبوا فيها (فلم يجدوا لهم من دون الله انصاراً) اي لم يجدوا احداً يمنعهم من عذاب الله وإنما اتى سبحانه بالفاظ المضي على معنى الاستقبال لصدق الوعد به وقال الضحاك اغرقوا فادخلوا ناراً في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في النار من جانب وانشد ابن الانباري

(١) حرش بين القوم : اغرى بعضهم ببعض . (٢) طم الشيء : دفنه .

اَلْخَلْقَ مُجْتَمِعٌ طَوْراً وَمُفْتَرِقٌ ... وَالْحَادِثَاتُ فُنُونٌ ذَاتُ أَطْوَارِ
لَا تَعْجَبَنَّ لِأَضْدَادٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ ... فَاللهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ

(وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً) اي نازل دار يعني لاتدع منهم احداً إلا اهلكته قال قتادة ما دعا بهذا عليهم إلا بعد أن انزل عليه انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلذلك قال (انك إن تذرهم يضلّوا عبادك) أي ان تتركهم ولم تهلكهم يضلّوا عبادك عن الدين بالاغواء والدعاء إلى خلافه (ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً) وإلا فلم يعلم نوح الغيب وإنما قال ذلك بعد أن أعلمه الله اياه والمعنى ولا يلدوا إلا من يكون عند بلوغه كافراً لأنه لا يذمّ على الكفر من لم يقع منه فعل الكفر وقال مقاتل والربيع وعطاء إنما قال ذلك نوح (ع) لأن الله تعالى اخرج من اصلابهم كل من يكون مؤمناً واعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة واخبر الله تعالى نوحاً بأنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعاءه فاهلكهم كلّهم ولم يكن فيهم صبيّ وقت العذاب ثم دعا لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فقال (ربّ اغفر لي ولوالديّ) واسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمحاء بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل يريد آدم وحواء (ولمن دخل بيتي مؤمناً) أي دخل داري وقيل مسجدي عن الضحاك وقيل سفينتي وقيل يريد بيت محمد ﷺ (وللمؤمنين والمؤمنات) عامة وقيل من امة محمد ﷺ عن الكلبي (ولا تزد الظالمين إلا تباراً) أي هلاكا ودماراً قال اهل التحقيق دعا نوح (ع) دعوتين دعوة على الكافرين ودعوة للمؤمنين فاستجاب الله دعوته على الكافرين فأهلك من كان منهم على وجه الأرض ونرجو ان يستجيب ايضاً دعوته للمؤمنين فيغفر لهم

سورة الجن (مكية)

وهي ثمان وعشرون آية

فضلها

ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الجن اعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة. حنان بن سدير عن ابي عبد الله (ع) قال من اكثر قراءة قل اوحي لم يصبه في حياة الدنيا شيء من اعين الجن ولا من نفثهم ولا من سحرهم ولا من كيدهم وكان مع محمد ﷺ فيقول يارب لا اريد بهم بدلا ولا اريد بدرجتي حولا

تفسيرها

لمّا تقدّم في سورة نوح (ع) اتباع قومه اكابرهم افتتح سبحانه في هذه السورة اتباع الجن نبيّنا ﷺ ليعلم الفرق بين من ربحت صفقته وبين من خسرت بيعته فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا

قُرْآنًا عَجَبًا (٢) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٣) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٤) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا (٥) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا (٦) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٧) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا (٨) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٩) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (١٠) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (عشر آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر قل اوحي الي أنَّه استمع بفتح الالف ولم يختلفوا فيه ثم قرأ في الآية الثالثة وأنَّه تعالى بالفتح وفي الرابعة وأنَّه كان يقول بالفتح وفي السادسة وأنَّه كان رجال بالفتح ويقرأ ما سواها بالكسر إلا قوله وأن لو استقاموا وأنَّ المساجد لله وأنَّه لمَّا قام فإنه يقرأ هذه الثلاثة بالفتح وقال الرواة عنه ما كان مردوداً على الوحي فهو أنَّه بالفتح وما كان من قول الجن فهو بالكسر وهذا قول غير مستقيم على قراءته ويمكن أن يكون قد وقع خلل في روايته وقرأ ابن عامر واهل الكوفة غير ابي بكر بالفتح من قوله انه تعالى إلى قوله وانا منا المسلمون وقرأ الباقون كله بالكسر إلا قوله وأن لو استقاموا وأنَّ المساجد فإنهما بالفتح لم يختلفوا فيه وقرأ نافع وعاصم برواية ابي بكر وانه لما قام بالكسر والباقون بالفتح وقرأ يعقوب ان لن تقوَّل بتشديد الواو وفتحها وفتح القاف وروي ذلك عن الجحدري والحسن والباقون أن لن تقول بالتخفيف وفي الشواذ قراءة جوية بن عابد قل أُحِيَ اليَّ على وزن فُعِل

الحجة

قال ابو علي اما قوله ان لو استقاموا فإنه يجوز فيه امران ﴿ احدهما ﴾ أن تكون ان المخففة من الثقيلة فيكون محمولا على الوحي كأنه أوحي إلي ان لو استقاموا وفصل لو بينها وبين الفعل كفصل السين ولا في قوله أو لا يرون أن لا يرجع وعلم أن سيكون ﴿ والآخر ﴾ أن يكون ان قبل لو بمنزلة اللام في قوله لئن لم ينته المنافقون إلى قوله لنغرينَّك بهم وقوله لئن لم يغفر لنا ربنا ويرحمنا لنكونَنَّ من الخاسرين فتلحق مرة وتسقط اخرى لأن لو بمنزلة فعل الشرط فكما لحقت اللام زائدة قبل ان الداخلة على الشرط كذلك لحقت أن هذه قبل لو ومعنى ان لو استقاموا على الطريقة قد قيل فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ لو استقاموا على طريقة الهدى ﴿ والآخر ﴾ لو استقاموا على طريقة الكفر ويستدل على القول الأول بقوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ويستدل على الآخر بقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة « وامّا » قوله وان المساجد لله فزعم سيبويه ان المفسرين حملوه على اوحي كأنه واوحي اليَّ ان المساجد لله ومذهب الخليل انه على قوله ولان المساجد لله فلا تدعوا كما أن قوله

وان هذه امتكم على قوله ولأن هذه إمتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون اي لهذا فاعبدون ومثله في قول الخليل لايلاف قريش كأنه قال لهذا فليعبدوا قال سيبويه ولو قرأ وإنَّ المساجد بالكسر لكان جيّداً فأما قوله وانه لما قام عبد الله فإنه على اوحي الي ويكون أن يقطع من قوله اوحي ويستأنف به كما جوّز سيبويه القطع من اوحي في قوله وان المساجد لله وعلى هذا يحمل قراءة من كسر إنَّ من قوله وانَّه لما قام عبد الله ومن قرأ كل ذلك بالفتح فإنه للحمل على اوحي ويجوز أن يكون على غيره كما حمل المفسرون وان المساجد لله على الوحي وحمله الخليل على ما ذكرناه عنه فأما ما جاء من ذلك بعد قول فحكاية كما حكى قوله قال الله اني منزلها عليكم وكذلك ما بعد فاء الجزاء لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فأمتّعه فمن يؤمن بربه فلا يخاف على ان الابتداء فيها مضمر ومثل ذلك في هذه السورة ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم ومن قرأ ان تقول فيكون قوله كذبا منصوباً على المصدر من غير حذف موصوف وذلك أن ان تقول في معنى تكذب فجرى مجرى تبسمت وميض البرق[1] فإنه منصوب بفعل مضمر دلَّ عليه تبسَّمت اي اومضت فكأنه قال ان ان تكذب الانس والجن على الله كذبا قال ابن جني ومن رأى أن ينتصب وميض البرق بنفس تبسمت لأنه في معنى اومضت نصب ايضاً كذباً بنفس تقول لأنه بمعنى كذب ومن قرأ أن ان تقول على وزن تقوم فان كذبا وصف مصدر محذوف أي قولا كذبا فكذبا ها هنا وصف لامصدر كما في قوله وجاءوا على قميصه بدم كذب اي كاذب فإن جعلته ها هنا مصدرا نصبته نصب المفعول به أي ان تقول كذبا كقولك قلت حقا وقلت شعرا ولا يحسن ان تجعله مع تقوّل وصفاً اي تقول تقوّلا كذباً لان التقوّل لا يكون إلا كذبا فلا فائدة فيه ومن قرأ اُحِيَ فهو من وحيت اليه بمعنى اوحيت واصله وُحِي فلما انضمت الواو ضماً لازما همزت ونحوه وإذا الرسل اقِّتت اي وُقِّتت قال العجاج «وحى لها القرار فاستقرَّت»[2]

﴿ اللغة ﴾

الجَدّ اصله القطع ومنه الجَدُّ العظمة لانقطاع كل عظمة عنها لعلوّها عليه ومنه الجَدّ ابو الاب لانقطاعه بعلو ابوته وكل من فوقه لهذا الولد اجداد والجَدُّ الحظ لانقطاعه بعلو شأنه والجِدُّ خلاف الهزل لانقطاعه عن السخف ومنه الجديد لأنه حديث عهد بالقطع في غالب الأمر والرَّهَق لحاق الإثم واصله اللحوق ومنه راهق الغلام إذا لحق حال الرجال قال الاعشى

لا شيءَ يَنفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَتِها ... هَلْ يَشْتَفِي وامِقٌ ما لَمْ يُصِبْ رَهَقاً[3]

أي لم يغشَ إثماً

﴿ الإعراب ﴾

حرساً منصوب على التمييز وهو جمع حارس ويجوز أن يكون جمع حرسي فيكون مثل عربي وعرب وشديداً مذكر محمول على اللفظ ويمكن أن يكون على النسبة أي ذات شدة ومقاعد نصب لأنه ظرف مكان. أشرٌّ اريد مبتدأ وخبر وإنما جاز أن تكون النكرة مبتدأ من غير تخصيص لأجل همزة الاستفهام كما يجوز ذلك بعد حرف النفي لأن كليهما يفيد معنى العموم

﴿ المعنى ﴾

امر سبحانه نبيَّه محمداً ﷺ أن يخبر قومه بما لم يكن لهم به علم فقال (قل) يا محمد (اوحي إليَّ) إنما ذكره على لفظ ما لم يسم فاعله تفخيماً وتعظيماً والله سبحانه اوحى اليه وانزل الملك عليه (انه استمع نفر من الجن) اي استمع القرآن طائفة من الجن وهم جيل رقاق الاجسام خفيفة على صورة مخصوصة بخلاف صورة الإنسان والملائكة فإن الملك مخلوق من النور والانس من الطين والجن من النار (فقالوا) أي قالت الجن بعضها

(١) وميض البرق : لمعانه . (٢) وبعده «وشدّها بالراسيات الثُّبت» وقد مرَّ البيت في الكتاب مراراً و يروى «أوحى» وقبل هذا البيت قوله : «والحمد لله الذى استقلت * باذنه السماء واطمأنت * باذنه الارض وما تمنت * وحى لها ...اه» (٣) ومعنى أحبَّه وقال في اللسان : الرهق : غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه ؛ وقال ابن برى : وكذلك فسر الرهق في ←

لبعض (إنا سمعنا قرآنا عجبا) والعجب ما يدعو إلى التعجب منه لخفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله فلما كان القرآن قد خرج بتأليفه المخصوص عن العادة في الكلام وخفي سببه عن الانام كان عجباً لا محالة وايضاً فإنه مباين لكلام الخلق في المعنى والفصاحة والنظام لا يقدر احد على الاتيان بمثله وقد تضمن اخبار الأولين والآخرين وما كان وما يكون اجراه الله على يد رجل امّي من قوم اميين فاستعظموه وسمّوه عجبا (يهدي إلى الرشد) أي يدلّ على الهدى ويدعو اليه والرشد ضدّ الضلال (فآمنّا به) أي صدّقنا بأنه من عند الله (ولن نشرك) فيما بعد (بربنا احداً) فنوجّه العبادة اليه بل نخلص العبادة لله تعالى والمعنى أنا قد بدأنا بأنفسنا فقبلنا الرشد والحق وتركنا الشرك واعتقدنا التوحيد وفي هذا دلالة على انه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن والانس وعلى أن الجن عقلاء مخاطبون وبلغات العرب عارفون وعلى انهم يميّزون بين المعجز وغير المعجز وانهم دعوا قومهم إلى الاسلام واخبروهم باعجاز القرآن وانه كلام الله تعالى لأن كلام العباد لا يتعجب منه وروى الواحدي باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من اصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم وقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً فأوحى الله تعالى إلى نبيّه ﷺ قل اوحي إلي انه استمع نفر من الجن ورواه البخاري ومسلم ايضا في الصحيح وعن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود من كان منكم مع النبي ﷺ ليلة الجن فقال ما كان منا معه احد فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله ﷺ او استطير فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء فقلنا يا رسول الله اين كنت لقد اشفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة بشر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال لنا انه اتاني داعي الجن فذهبت اقرئهم القرآن فذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم فاما أن يكون صحبه منا احد فلم يصحبه وعن ابي روق قال هم تسعة نفر من الجن قال ابو حمزة الثمالي وبلغنا انهم من بني الشيصبان هم اكثر الجن عدداً وهم عامة جنود ابليس وقيل كانوا سبعة نفر من جن نصيبين رآهم النبي ﷺ فآمنوا به وأرسلهم إلى سائر الجن (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) الاختيار كسر إنّ لأنه من قول الجن لقومهم وهو معطوف على قوله قالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً أي وقالوا تعالى جدّ ربنا وقال الفراء من فتح فتقديره فآمنا به وآمنا بأنه تعالى جدّ ربنا وكذلك كل ما كان بعده ففتح أن بوقوع الإيمان عليه والمعنى تعالى جلال ربنا وعظمته عن اتخاذ الصحابة والولد عن الحسن ومجاهد وقيل معناه تعالت صفات الله التي هي له خصوصاً وهي الصفات العالية التي ليست للمخلوقين عن ابي مسلم وقيل معناه جلّ ربنا وصفاته فلا تجوز عليه صفات الاجسام والاعراض عن الجبائي وقيل تعالى قدرة ربنا عن ابن عباس وقيل تعالى ذكره عن مجاهد وقيل فعله وأمره عن الضحاك وقيل علا ملك ربنا عن الاخفش وقيل تعالى آلاؤه ونعمه على الخلق عن القرظي والجميع يرجع إلى معنى واحد وهو العظمة والجلال على ما تقدّم ذكرهما ومنه قول انس بن مالك كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جدّ في اعيننا أي عظم وقال الربيع بن انس انه قال ليس لله تعالى جدّ وإنما قالته الجن بجهالة فحكاه سبحانه كما قالت وروي ذلك عن ابي جعفر الباقر (ع) وابي عبد الله (ع) (وانه كان يقول سفيهنا) اي جاهلنا (على الله شططا) أرادوا بسفيههم ابليس عن مجاهد وقتادة والشطط السرف في ظلم النفس والخروج عن الحق فاعترفوا بأن ابليس كان يخرج عن الحد في اغواء الخلق ودعائهم إلى الضلال وقيل شططا أي قولا بعيداً من الحق وهو الكذب في التوحيد والعدل (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على

ـ شعر الاعشى بانه غشيان المحارم ومالا خير فيه في قوله: «لا شيء ينفعني ....اه» «انتهى» وحكى عن شرح الديوان: ان الرهق: الدنو من المحبوب والقرب منه والتمتع بما ينوله: وفسّره الطبري في تفسيره بقوله: يقول: ما لم يغش محرماً

الله كذبا) اعترفوا بأنهم ظنوا أن لن يقول احد من الانس والجن كذباً على الله في اتخاذ الشريك معه والصاحبة والولد اي حسبنا أن ما يقولونه من ذلك صدق وانا على حقّ حتى سمعنا القرآن وتبينا الحق به وفي هذا دلالة على انهم كانوا مقلدة حتى سمعوا الحجة وانكشف لهم الحق فرجعوا عما كانوا عليه وفيه اشارة إلى بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) أي يعتصمون ويستجيرون وكان الرجل من العرب إذا نزل الوادي في سفره ليلا قال اعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه عن الحسن ومجاهد وقتادة وكان هذا منهم على حسب اعتقادهم أن الجن تحفظهم قال مقاتل وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا في العرب وقيل معناه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من اجل الجن ومن معرّة الجن[1] عن البلخي قال لأن الرجال لا تكون إلا في الناس وقال الاولون في الجن رجال مثل ما في الناس (فزادوهم رهقا) اي فزاد الجن الانس إثماً على اثمهم الذي كانوا عليه من الكفر والمعاصي عن ابن عباس وقتادة وقيل رهقا أي طغيانا عن مجاهد وقيل فرقا وخوفا عن الربيع وابن زيد وقيل شرّاً عن الحسن وقيل زادوهم ذلة وضعفا قال الزجاج يجوز أن يكون الانس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقا وذلك أن الجن كانوا يزدادون طغيانا في قومهم بهذا التعوذ فيقولون سُدنا الانس والجن ويجوز ان يكون الجن زاد الانس رهقا (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) قيل معناه قال مؤمنوا الجن لكفارهم إن كفار الانس الذين يعوذون برجال من الجن في الجاهلية حسبوا كما حسبتم يا معشر الجن أن لن يبعث الله رسولا بعد موسى او عيسى ووراء هذا أن الجن مع تمرّدهم وعتوّهم لما سمعوا القرآن آمنوا واهتدوا به فأنتم معاشر العرب أولى بالتفكر والتدبر لتؤمنوا وتهتدوا مع أن الرسول من جنسكم ولسانه لسانكم وقيل إن هذه الآية مع ما قبلها اعتراض من اخبار الله تعالى يقول إن الجن ظنّوا كما ظننتم معاشر الانس أن الله لا يحشر احداً يوم القيامة ولا يحاسبه عن الحسن وقيل يعني لن يبعث الله احداً رسولا عن قتادة ثم حكى عن الجن قولهم (وأنا لمسنا السماء) اي مسسناها وقيل معناه طلبنا الصعود إلى السماء فعبّر عن ذلك باللمس مجازاً عن الجبائي وقيل التمسنا قرب السماء لاستراق السمع عن ابي مسلم (فوجدناها ملئت حرساً شديداً) اي حفظة من الملائكة شداداً (وشهبا) والتقدير ملئت السماء من الحرس والشهب وهو جمع شهاب وهو نور يمتدّ من السماء كالنار (وانا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع) اي لاستراق السمع أي كان يتهيّأ لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع منها صوت الملائكة وكلامهم (فمن يستمع) منا (الآن) ذلك (يجد له شهابا رصداً) يرمى به ويرصد له وشهبا مفعول به ورصداً صفته قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله إنا كنا نقعد منها الآية قال غلظ وشدّد امرها حين بعث النبي ﷺ قال البلخي إن الشهب كانت لا محالة فيما مضى من الزمان غير انه لم يكن يمنع بها الجن عن صعود السماء فلما بعث النبي ﷺ منع بها الجن من الصعود (وانا لا ندري أشر اريد بمن في الأرض) اي بحدوث الرجم بالشهب وحراسة السماء جوّزوا هجوم انقطاع التكليف أو تغيير الامر بتصديق نبيّ من الأنبياء وذلك قوله (أم أراد بهم ربهم رشداً) اي صلاحا وقيل معناه إن هذا المنع لا يدري العذاب سينزل بأهل الأرض أم لنبيّ يبعث ويهدي إلى الرشد فإن مثل هذا لا يكون إلا لاحد هذين الأمرين وسمى العذاب شرّاً لأنه مضرّة وسمى بعثة الرسول رشداً لأنه منفعة

قوله تعالى (١١) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١٢) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٣) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٤) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ

(١) المعرة : الاذى والميم زائدة .

فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٥) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٦) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٧) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٨) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٩) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (٢٠) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (عشر آيات)

القراءة

قرأ اهل العراق غير ابي عمرو يسلكه بالياء. والباقون بالنون وقرأ ابن عامر برواية هشام لبدا بضم اللام والباقون بكسرها وقرأ ابو جعفر وعاصم وحمزة قل إنما ادعوا والباقون قال وفي الشواذ قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب لو استقاموا بضم الواو وقراءة الحسن والجحدري لُبَّداً بالتشديد وفي رواية اخرى عن الجحدري لُبُداً بضمتين

الحجة

من قرأ يسلكه بالياء فلتقدّم ذكر الغيبة في قوله ومن يعرض عن ذكر ربه ومن قرأ بالنون فهو مثل قوله وآتينا موسى الكتاب بعد قوله سبحان الذي اسرى ومن قرأ قال إنما ادعوا فلتقدّم ذكر الغيبة ايضاً في قوله وانه لما قام عبد الله ومن قرأ قل فلان بعده قل اني لا املك قل اني لن يجيرني من الله احد ومن قرأ لُبَداً فإن اللُّبَد الكثير من قوله مالا لبدا وكأنه قيل له لبد لركوب بعضه على بعض والصوق بعضه ببعض لكثرته واللبد جمع لُبْدة وهي الجماعة وقد يقال ذلك للجراد الكثير قال بعض الهذليين

صَابُوا بِسِتَّةِ أَبْيَاتٍ وَوَاحِدَةٍ ... حَتَّى كَأَنَّ عَلَيْهِمْ جَابِياً لُبَدَا (١)

قال الجبائي هو الجراد لأنه يجبي كل شيء باكله وقال الزجاج اللُّبَدة واللِّبدة بمعنى ومن قرأ لُبَّداً بالتشديد فإنه وصف على فعل كالجُبَأ والزُّمَل (٢) ويجوز أن يكون جمع لابِد فيكون مثل راكع ورُكَّع واللبد من الاوصاف التي جاءت على فُعُل كناقة سُرُح ورجل طُلُق (٣) ومن قرأ لَوِ استقاموا فإنه على التشبيه بواو الجماعة نحو قوله اشتروا الضلالة كما شبّهت تلك بهذه فقيل اشتروا الضلالة وقد مضى هذا في سورة البقرة (٤)

اللغة

الصالح عامل الصلاح الذي يصلح به حاله في دينه وأما المصلح فهو فاعل الصلاح الذي يقوم به امر من الامور ولهذا يوصف سبحانه بأنه مصلح ولا يوصف بأنه صالح والطرائق جمع طريقة وهي الجهة المستمرة مرتبة بعد مرتبة والقِدَد القطع جمع قِدَّة وهي المستمرة بالقد في جهة واحدة والرَّهَق لحاق السرف في الامر وهو الظلم والقاسط الجائر والمقسِط العادل ونظيره التَّرِب الفقير والمتْرِب الغني واصله التراب فالاول ذهب ماله حتى لصق بالتراب والآخر كثر ماله حتى صار بعدد التراب وكذلك القاسط هو العادل عن الحق والمقسط العادل إلى الحق قال

قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْوَةً ... عَمْراً وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمَانِ

وقال آخر

قَسَطْنَا عَلَى الْأَمْلَاكِ فِي عَهْدِ تُبَّعٍ ... وَمِنْ قَبْلُ مَا أَرْدَى النُّفُوسَ عِقَابُهَا (٥)

والتحري تعمد اصابة الحق واصله طلب الشيء والقصد له قال امرؤ القيس

دِيَمٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَطَفٌ ... طَبَقَ الْأَرْضِ تَحَرِّي وَتَدُرّ (٦)

وماء غدق كثير وغدق المكان يغدق غدقاً كثر فيه الماء والندى وهو غدق عن الزجاج وقال امية بن ابي الصلت

(١) صابوا بهم اي اوقعوا بهم . والجابي : الجراد . وجبأ الجراد : هجم على البلد وفي اللسان وتفسير الطبري : وصابوا لسنة أبيات وأربعة... اه. (٢) الجبأ : الجبان . والزمل : الضعيف الجبان الرذل . (٣) ناقة سرح اي سريعة سهلة السير وطلق : غير المقيد . (٤) راجع ج ١ : ٥٢ . (٥) أردى بمعنى اهلك والضمير في «عقابها» يرجع الى

مِزَاجُهَا سَلْسَبِيلٌ مَاؤُهَا غَدَقٌ عَذْبُ الْمَذَاقَةِ لَا مِلْحٌ وَلَا كَدِرُ

والصعد الغليظ الصعب المتصعب في المظم ومنه التنفس الصعداء والصعود العقبة الكؤود الشاقة

المعنى

ثم قال سبحانه في تمام الحكاية عن الجن الذين آمنوا عند سماع القرآن (وانا منّا الصالحون) وهم الذين عملوا الصالحات المخلصون (ومنّا دون ذلك) اي دون الصالحين في الرتبة عن ابن عباس وقتادة ومجاهد (كنا طرائق قددا) اي فرقا شتّى على مذاهب مختلفة واهواء متفرقة من مسلم وكافر وصالح ودون الصالح عن ابن عباس ومجاهد وقيل قدداً ألواناً شتّى مختلفين عن سعيد بن جبير والحسن وقيل فرقاً متباينة كل فرقة تباين صاحبتها كما يبين المقدود بعضه من بعض قال السدي الجن امثالكم فيهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة (وانا ظننا) اي علمنا وتيقّنا (أن لن نعجز الله في الارض) اي لن نفوته اذا اراد بنا امراً (ولن نعجزه هربا) اي انه يدركنا حيث كنا (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به) اعترفوا بأنهم لما سمعوا القرآن الذي فيه الهدى صدّقوا به ثم قالوا (فمن يؤمن بربه) اي يصدق بتوحيد ربه وعرفه على صفاته (فلا يخاف) تقديره فإنه لا يخاف (بخسا) اي نقصانا فيما يستحقّه من الثواب (ولا رهقا) اي لحاق ظلم وغشيان مكروه وكأنه قال لا يخاف نقصاً قليلا ولا كثيراً وذلك أن اجره وثوابه موفر على اتمّ ما يمكن فيه وقيل معناه فلا يخاف نقصا من حسناته ولا زيادة في سيئاته عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد قالوا لأن البخس النقصان والرهق العدوان وهذه حكاية عن قوة إيمان الجن وصحة اسلامهم ثم قالوا (وانا منا المسلمون) الذين استسلموا لما امرهم الله سبحانه به وانقادوا لذلك (ومنا القاسطون) اي الجائرون عن طريق الحق (فمن اسلم) لما امره الله به (فأولئك تحرّوا رشداً) اي توجّهوا الرشد والتمسوا الثواب والهدى وتعمدوا اصابة الحق وليسوا كالمشركين الذين ألفوا ما يدعوهم اليه الهوى وزاغوا عن طريق الهدى (واما القاسطون) العادلون عن طريق الحق والدين (فكانوا) في علم الله وحكمه (لجهنم حطباً) يلقون فيها فتحرقهم كما تحرق النار الحطب او يكون معناه فسيكونون لجهنّم حطباً توقد بهم كما توقد النار بالحطب (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) هذا ابتداء حكم من الله سبحانه اي لو استقام الانس والجن على طريقة الإيمان عن ابن عباس والسدي وقيل اراد به مشركي مكة أي لو آمنوا واستقاموا على الهدى لأسقيناهم ماء كثيراً من السماء وذلك بعد ما رفع ماء المطر عنهم سبع سنين عن مقاتل وقيل لو آمنوا واستقاموا لوسّعنا عليهم في الدنيا وضَرب الماء الغدق مثلا لأن الخير كله والرزق يكون في المطر وهذا كقوله ولو انهم اقاموا التوراة الى قوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقيل معناه لو استقاموا على طريقة الكفر فكانوا كفاراً كلهم لاعطيناهم مالا كثيراً ولوسّعنا عليهم تغليظاً للمحنة في التكليف ولذلك قال (لنفتنهم فيه) اي لنختبرهم بذلك عن الفراء وهو قول الربيع والكلبي والثمالي وابي مسلم وابن مجلز ودليله فلمّا نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم الآية وقيل لنفتنهم معناه لنعاملهم معاملة المختبر في شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم اليه وفي ذلك المحنة الشديدة وهي الفتنة والمثوبة على قدر المشقة في الصبر عما تدعو اليه الشهوات وروي عن عمر بن الخطاب انه قال في هذه الآية أينما كان الماء كان المال واينما كان المال كانت الفتنة وقيل معناه لنختبرهم كيف يكون شكرهم للنعم عن سعيد بن

← الاملاك . (٦) الديمة : المطر الدائم فى سكون . ومثله الهطلاء وسحابة وطفاء . هى التى فيها استرخاء فى جوانبها لكثرة الماء . ومطر طبق الارض ، برفع طبق على الاضافة اى غطاء ومن رواه «طبق» بفتح القاف نصبه بقوله تحرى كما فى اللسان .

المسيب وقتادة ومقاتل والحسن والاولى ان تكون الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين والإيمان لأنها لا تطلق إلا على ذلك ولأنها في موضع التلطف والاستدعاء إلى الإيمان والحث على الطاعة و في تفسير اهل البيت (ع) عن ابي بصير قال قلت لأبي جعفر (ع) قول الله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هو والله ما انتم عليه ولو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وعن بريد العجلي عن ابي عبد الله (ع) قال معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلمونه من الائمة ثم قال سبحانه على وجه التهديد والوعيد (ومن يعرض عن ذكر ربه) اي ومن يعدل عن الفكر فيما يؤديه إلى معرفة الله وتوحيده والإخلاص في عبادته وقيل عن شكر الله وطاعته (يسلكه عذابا صعدا) أي يدخله عذابا شاقاً شديداً متصعداً في العظم وإنما قال يسلكه لأنه تقدّم ذكر الطريقة وقيل معناه عذابا ذا صعد اي ذا مشقة (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) تقديره ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً سوى الله عن الخليل والمعنى لا تذكروا مع الله في المواضع التي بنيت للعبادة والصلاة احداً على وجه الإشراك في عبادته كما تفعل النصارى في بيعهم والمشركون في الكعبة قال الحسن من السنة عند دخول المساجد أن يقال لا إله إلا الله لا ادعو مع الله احداً وقيل المساجد مواضع السجود من الإنسان وهي الجبهة والكفان واصابع الرجلين وعينا الركبتين وهي لله تعالى اذ خلقها وانعم بها فلا ينبغي أن يسجد بها لأحد سوى الله تعالى عن سعيد بن جبير والزجاج والفراء وروي أن المعتصم سأل ابا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا (ع) عن قوله تعالى وان المساجد لله فقال هي الاعضاء السبعة التي يسجد عليها وقيل إن المراد بالمساجد البقاع كلها وذلك لأن الأرض كلها جعلت للنبي ﷺ مسجداً عن الحسن وقال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي ﷺ كيف لنا ان نأتي المسجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت الآية وروي عن الحسن ايضا ان المساجد الصلوات وهي لله والمراد اخلصوا لله العبادة واقرّوا له بالتوحيد ولا تجعلوا فيها لغير الله نصيباً (وانه لما قام عبد الله) يريد به محمداً ﷺ (يدعوه) بقول لا إله إلا الله ويدعو اليه ويقرأ القرآن (كادوا يكونون عليه لبدا) أي كاد الجن يركب بعضهم بعضاً يزدحمون عليه حرصاً منهم على استماع القرآن عن ابن عباس والضحاك وقيل هو من قول الجن لاصحابهم حين رجعوا اليهم والمراد أن اصحاب النبي ﷺ يتزاحمون عليه لاستماع القرآن منه يودّ كل واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فيتلبّد بعضهم على بعض عن سعيد بن جبير وقيل هو من جملة ما اوحى الله إلى النبي ﷺ مما كان من حرص الجن على استماع القرآن وقيل معناه أنه لما دعا قريشاً إلى التوحيد كادوا يتراكبون عليه بالزحمة جماعات متكاثرات ليزيلوه بذلك عن الدعوة وابى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناوأه عن قتادة والحسن وعلى هذا فيكون ابتداء كلام (قل إنما ادعوا ربي ولا اشرك به أحداً) وذلك انهم قالوا للنبي ﷺ إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع مثله فارجع عنه فأجابهم بهذا عن مقاتل وامره سبحانه بأن يجيبهم بهذا فقال قل إنما ادعو ربي وهذا يعضد قول الحسن وقتادة لأنه كالذم لهم على ذلك

قوله تعالى (٢١) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢٢) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٣) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً (٢٤) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً (٢٥) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً (٢٦) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (٢٧) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (٢٨) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً (ثماني آيات)

القراءة

قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء والباقون ليعلم بفتح الياء والمعنيان متقاربان

اللغة

الملتحد الملتجأ بالميل الى جهة والرصد جمع راصد وهو الحافظ

الاعراب

بلاغاً منصوب لأنه بدل من ملتحد اي لن اجد ملجأ إلا ان ابلغ عن الله ما ارسلني به فهو ملجأي ورسالاته منصوبة بالعطف على محذوف والتقدير إلا بلاغا من الله وآياته ورسالاته قوله من اضعف ناصراً جملة من مبتدأ وخبر هي تعليق وناصراً نصب على التمييز وكذلك قوله عـدداً وقوله أقريب ما توعدون الاستفهام مع ما في حيزه تعليق. إلا من ارتضى يجوز أن يكون من مبتدأ وقوله فإنه يسلك خبره ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وعدداً انتصابه على ضربين ﴿ احدهما ﴾ على معنى واحصى كل شيء في حـال العدد فلم يخف عليه سقوط ورقة ولا حبة ولا رطب ولا يابس ﴿ والآخر ﴾ ان يكون في موضع المصدر لأن معناه وعدّ كل شيء عددا عن الزجاج

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال (قل) يا محمد للمكلفين (اني لا املك لكم ضراً ولا رشدا) اي لا اقدر على دفع الضرر عنكم ولا ايصال الخير اليكم وإنما القادر على ذلك هو الله تعالى ولكني رسول ليس عليّ إلا البلاغ والدعاء الى الدين والهداية الى الرشاد وهذا اعتراف بالعبودية واضافة الحول والقوة اليه تعالى ثم قال (قل) لهم يا محمد (اني لن يجيرني من الله احد) اي لا يمنعني احد ما قدره الله عليّ (ولن اجد من دونه) اي من دون الله (ملتحداً) اي ملتجأ اليه اطلب به السلامة (الا بلاغا من الله) اي تبليغا من الله آياته (ورسالاته) فإنه ملجأي ومنجاي وملتحدي ولي فيه الأمن والنجاة عن الحسن والجبائي وقيل معناه لا املك لكم ضراً ولا رشداً فما عليّ إلا البلاغ عن الله فكأنه قال لا املك شيئاً سوى تبليغ وحي الله بتوفيقه وعونه عن قتادة وقيل ان قوله الا بلاغاً يحتمل معنيين ﴿ احدهما ﴾ إلا ما بلغني من الله اي لا يجيرني شيء إلا ما اتاني من الله فلا فرق بين ان يقول بلغني كتابه وان يقول اتاني كتابه ﴿ والثاني ﴾ إلا تبليغ ما انزل اليّ فاما القبول والايمان فليس إليّ وإنما ذلك اليكم عن أبي مسلم وقيل انه عطف رسالاته على البلاغ فوجب أن يكون غيره فالاولى أن يكون أراد بالبلاغ ما بلغه من توحيد الله وعدله وما يجوز عليه وما لا يجوز وأراد بالرسالة ما ارسل لأجله من بيان الشرائع ولما بيّن سبحانه انه لا ملجأ من عذابه الا طاعته عقّبه بوعيد من قارف معصيته فقال (ومن يعص الله ورسوله) اي خالف امره في التوحيد وارتكب الكفر

والمعاصي (فإن له نار جهنم خالدين فيها ابداً) جزاء على ذلك (حتى اذا رأوا) في الآخرة (ما يوعدون) به من العقاب في الدنيا وقيل هو عذاب الاستئصال (فسيعلمون) عند ذلك (من اضعف ناصرا واقل عددا) المشركون ام المؤمنون وقيل اجند الله ام الذي عبده المشركون وإنما قال من اضعف ناصراً ولا ناصر لهم في الآخرة لأنه جاء على جواب من توهم انه ان كانت الآخرة فناصرهم اقوى وعددهم اكثر وفي هذا دلالة على ان المراد بقوله ومن يعص الله ورسوله الكفار وكانوا يفتخرون على النبي ﷺ بكثرة جموعهم ويصفونه بقلة العدد فبيّن سبحانه ان الأمر سينعكس عليهم (قل) يا محمد (ان ادري) اي لست اعلم (أقريب ما توعدون) به من العذاب (ام يجعل له ربي أمداً) اي مهلة وغاية ينتهي اليها قال عطاء اراد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا الله وحده (عالم الغيب) اي هو عالم الغيب يعلم متى تكون القيامة (فلا يظهر على غيبه أحداً) اي لا يطلع على الغيب أحداً من عباده ثم استثنى فقال (إلا من ارتضى من رسول) يعني الرسل فإنه يستدل على نبوتهم بأن يخبروا بالغيب لتكون آية معجزة لهم ومعناه ان من ارتضاه واختاره للنبوة والرسالة فإنه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة وهو قوله (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) والرصد الطريق اي يجعل له الى علم ما كان قبله من الانبياء والسلف وعلم ما يكون بعده طريقا وقيل معناه انه يحفظ الذي يطلع عليه الرسول فيجعل من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحفظون الوحي من أن تسترقه الشياطين فتلقيه الى الكهنة وقيل رصداً من بين يدي الرسول ومن خلفه وهم الحفظة من الملائكة يحرسونه عن شرّ الاعداء و كيدهم فلا يصل اليه شرّهم وقيل المراد به جبرائيل (ع) اي يجعل من بين يديه ومن خلفه رصداً كالحجاب تعظيما لما يتحمله من الرسالة كما جرت عادة الملوك بأن يضموا الى الرسول جماعة من خواصهم تشريفا له وهذا كما روي ان سورة الانعام نزلت ومعها سبعون الف ملك (ليعلم) الرسول (أن قد ابلغوا) يعني الملائكة قال سعيد بن جبير ما نزل جبرائيل بشيء من الوحي إلا ومعه اربعة من الملائكة حفظة فيعلم الرسول انه قد ابلغ الرسالة على الوجه الذي قد امر به وقيل ليعلم من كذب الرسل ان الرسل قد ابلغوا رسالات الله عن مجاهد وقيل ليعلم محمد ﷺ ان الرسل قبله قد ابلغ جميعهم (رسالات ربهم) كما ابلغ هو اذ كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله عن قتادة وقيل ليعلم الله ان قد ابلغوا عن الزجاج وقيل معناه ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالما ويعلمه واقعا كما كان يعلم انه سيقع وقيل اراد ليبلغوا فجعل بدل ذلك قوله ليعلم ابلاغهم توسعاً عن الجبائي وهذا كما يقول الانسان ما علم الله ذلك مني اي ما كان ذلك اصلا لأنه لو كان لعلم الله ذلك فوضع العلم موضع الكون (واحاط بما لديهم) اي احاط الله علما بما لدى الانبياء والخلائق وهم لا يحيطون الا بما يطلعهم الله عليه مما هو عند الله (واحصى كل شيء عددا) اي احصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل عن ابن عباس وقيل معناه عدّ جميع المعلومات المعدومة والموجودة عدّاً فعلم صغيرها و كبيرها وقليلها و كثيرها وما يكون ومالا يكون وما كان ومالم يكن ولو كان كيف كان وقيل معناه لا شيء يعلمه عالم او يذكره ذاكر الا وهو تعالى عالم به ومحص اياه عن الجبائي قال الإحصاء فعل وليس هو بمنزلة العلم فلا يجوز أن يقال احصى ما لا يتناهي كما يجوز ان يقال علم مالا يتناهي فإن حمل على العلم تناول جميع المعلومات وان حمل على العدّ تناول الموجودات

سورة المزمل (مكية)

وقيل مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني

عدد آيها

ثماني عشرة آية المدني الاخير وتسع عشرة بصري عشرون في الباقين

اختلافها

ثلاث آيات المزمل كوفي شامي والمدني الاول شيباً غير المدني الاخير اليكم رسولا مكي

فضلها

ابيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة المزمل رفع عنه العسر في الدنيا والآخرة منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال ومن قرأ سورة المزمل في العشاء الآخرة او في آخر الليل كان له الليل والنهار شاهدين مع السورة واحياه الله حياة طيبة واماته ميتة طيبة

تفسيرها

لمّا ختم الله سورة الجن بذكر الرسل افتتح هذه السورة بذكر نبيّنا ﷺ خاتم الرسل فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ (٢) قُمِ ٱللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٣) نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٤) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٥) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٦) إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً (٧) إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً (٨) وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٩) رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً (١٠) وَٱصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (عشر آيات)

القراءة

قرأ ابوعمرو وابن عامر وطاءً بكسر الواو والمد والباقون وطأ بفتح الواو وسكون الطاء مقصورا وقرأ اهل الكوفة غير حفص وابن عامر ويعقوب ربِّ المشرق بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة المزمل والمدثر خفيفة الزاي والدال مشددة الميم والثاء وقراءة ابي السماك قُمُ الليل بضم الميم

الحجة

من قرأ أشدّ وطاءً فمعناه مواطأة اي موافقة وملاءمة ومنه ليواطئوا عدّة ما حرّم الله اي ليوافقوا والمعنى ان صلاة ناشئة الليل وعمل ناشئة الليل يواطئ السمع القلب فيها اكثر مما يواطئ في ساعات النهار ولأن البال افرغ لانقطاع كثير مما يشغل بالنهار ومن قال وطأ فالمعنى انه اشقّ على الانسان من القيام بالنهار لأن الليل للدعة والسكون وجاء في الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قيلا اي اشدّ استقامة وصوابا لفراغ البال وانقطاع ما يشغله قال

لَهُ وَلَهَا وَقْعٌ بِكُلِّ قَرَارَةٍ ... وَوَقْعٌ بِمُسْتَنِّ الْفَضَاءِ قَوِيمُ (١)

اي مستقيم

(١) القرارة : القاع المستدير . واستن السراب : اضطرب .

والناشئة ما يحدث وينشأ من ساعات الليل والرفع في رب المشرق يحتمل امرين ﴿ احدها ﴾ انه لما قال واذكر اسم ربك قطعه من الاول فقال هو رب المشرق فيكون خبر مبتدأ محذوف ﴿ والآخر ﴾ أن يكون مبتدأ وخبره الجملة التي هي لا إله إلا هو ومن جرّ فعلى اتباعه قوله اسم ربك واما قوله المزمل بتخفيف الزاي فعلى حذف المفعول به يا ايها المزمل نفسه والمدثر نفسه وحذف المفعول كثير قال الحطيئة

مُنَعَّمَةٌ تَصُونُ إِلَيْكَ مِنْها كَصَوْنِكَ مِنْ رِدَاءٍ شَرْعَبِيِّ(١)

اي تصون حديثاً وتخزنه كقول الشنفرى

كَأَنَّ لَها فِي الْأَرْضِ نِسْياً تَقُصُّهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلِتِ(٢)

ومن قرأ قم الليل وضمّ فيمكن ان يكون ضمّه للاتباع

﴿ اللغة ﴾

المزمل المتزمل في ثيابه ادغم التاء في الزاي لأن الزاي قريبة المخرج من التاء وهي اندى في المسموع من التاء وكل شيء لفّ فقد زمّل قال امرؤ القيس

كَأَنَّ ثَبِيراً فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ(٣)

والنصف احد قسمي الشيء المساوي للآخر في المقدار كما ان الثلث جزء من ثلاثة والربع جزء من اربعة وهذه من صفات الاجسام فإذا رفعت التأليفات عنها بقيت اجزاء لا توصف بأن لها نصفاً او ثلثاً او ربعاً والعرض لا يوصف بالنصف والجزء . والقديم لا يوصف ايضاً بذلك لأن هذه عبارات عن مؤلفات على وجوه فإن قيل فإذا يجب ان لا يكون وصف القديم تعالى بأنه واحد مدحاً فالجواب ان معنى قولنا انه واحد اختصاصه بصفات لا يستحقها غيره وهي كونه قادراً عالماً لذاته قديماً ونحو ذلك واذا قيل انه لا يتجزأ فليس بمدح الا ان يقال انه حيّ لا يتجزأ بخلاف غيره من الاحياء والترتيل ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها بتثبت فيها والحدر هو الاسراع فيها وكلاهما حسن الا ان الترتيل هنا هو المرغب فيه والإلقاء مثل التلقية تقول القيت علي فلان مسألة والأقوم الأخلص استقامة والسبح التقلب ومنه السابح في الماء لتقلبه فيه وقرأ يحيى ابن يعمر والضحاك سبخاً طويلا بالخاء ومعناه التوسعة يقال سبخت القطن اذا وسعته للندف ومنه قول النبي ﷺ لعائشة وقد سمعها تدعو على سارق لا تسبخي عنه بدعائك عليه اي لا تخففي ويقال لقطع القطن اذا نُدِفَ سبائخ قال الأخطل يصف القَنّاص(٤) والكلاب

فَأَرْسَلُوهُنَّ يُذْرِينَ التُّرَابَ كَمَا يُذْرِي سَبَائِخَ قُطْنٍ نَدْفُ أَوْتَارِ

وقال ثعلب السبح التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي ﷺ الحمى من فيح جهنم فسبّخوها بالماء اي اسكنوها والتبتل الانقطاع الى الله عز وجل واخلاص العبادة له قال امرؤ القيس

تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعَشِيِّ كَأَنَّهَا مَنَارَةُ مُمْسِي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ(٥)

واصله من تبلت الشيء قطعته وصدقة بَتَّة بَتْلَة اي بائنة مقطوعة من صاحبها لا سبيل له عليها ومنه البتول عليها السلام لانقطاعها الى عبادة الله عز وجل

﴿ الإعراب ﴾

الليل نصب على الظرف الا قليلا نصب على الاستثناء تقديره الا شيئاً قليلا منه لا تقوم فيه ثم بيّن القدر

(١) الشرعبي : ضرب من البرود . (٢) النسي : الشيء المنسي الذي لا يذكر و«تقصه» اي تطلبه والام: الطريق و «تبلت» اي تقطع الكلام بما يعتريها من الحياء ، وقيل : اي تفصل الكلام . وفي تفسير الطبري «اذا ما غدت وان تحدثك قبلت » بدل المصراع الاخير وقال يعني بقوله «قبلت» تحسن وتصدق . وقد مر البيت في ج ٣ : ٥٠٩ ايضاً فراجع .-

فقال نصفه قال الزجاج ان نصفه بدل من الليل كما تقول ضربت زيدا رأسه فإنما ذكرت زيدا لتوكيد الكلام وهو او كد من قولك ضربت رأس زيد فالمعنى قم نصف الليل الا قليلا او انقص من النصف او زد على النصف وانقص منه قليلا بمعنى الا قليلا ولكنه ذكر مع الزيادة فالمعنى قم نصف الليل او انقص من نصف الليل او زد على نصف الليل

المعنى

(يا ايها المزمل) معناه يا ايها المتزمل بثيابه المتلفف بها عن قتادة وقيل يا ايها المتزمل بعباءة النبوة اي المتحمل لاثقالها عن عكرمة وقيل معناه يا ايها النائم وكان قد تزمل للنوم عن السدي وقيل كان يتزمل بالثياب في اول ما جاء به جبرائيل خوفا حتى انس به وإنما خوطب بهذا في بدء الوحي ولم يكن قد بلغ شيئا ثم خوطب ﷺ بعد ذلك بالنبي والرسول (قم الليل) للصلاة (إلا قليلا) والمعنى بالليل صلّ الا قليلا من الليل فإن القيام بالليل عبارة عن الصلاة بالليل (نصفه) هو بدل من الليل فيكون بيانا للمستثنى منه اي قم نصف الليل ومعناه صل من الليل النصف الا قليلا وهو قوله (او انقص منه قليلا) اي من النصف (او زد عليه) اي على النصف وقال المفسرون او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد على النصف الى الثلثين وقيل ان نصفه بدل من القليل فيكون بيانا للمستثنى والمعنى فيهما سواء ويؤيّد هذا القول ما روي عن الصادق (ع) قال القليل النصف او انقص من القليل قليلا او زد على القليل قليلا وقيل معناه قم نصف الليل الا قليلا من الليالي وهي ليالي العذر كالمرض وغلبة النوم وعلة العين ونحوها او انقص من النصف قليلا او زد عليه ذكره الإمام علي بن ابي الطيب (ره) خيّر الله سبحانه نبيّه ﷺ في هذه الساعات للقيام بالليل وجعله موكولا الى رأيه وكان النبي ﷺ وطائفة من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير وشقّ ذلك عليهم فكان الرجل منهم لا يدري كم صلى وكم بقي من الليل فكان يقوم الليل كلّه مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب حتى خفّف الله عنهم بآخر هذه السورة وعن قتادة عن زرارة بن اوفى عن سعيد ابن هشام قال قلت لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقال ألست تقرأ يا ايها المزمل قلت بلى قالت فإن الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبيّ الله واصحابه حولا وامسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى انزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد ان كان فريضه وقيل كان بين اول السورة وآخرها الذي نزل فيه التخفيف عشر سنين عن سعيد بن جبير وقيل كان هذا بمكة قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس عن ابن كيسان ومقاتل وقيل لما نزل اول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان فكان بين اولها وآخرها سنة عن ابن عباس وقيل ان الآية الاخيرة نسخت الاولى عن الحسن وعكرمة وليس في ظاهر الآيات ما يقتضي النسخ فالاولى ان يكون الكلام على ظاهره فيكون القيام بالليل سنّة مؤكّدة مرغّباً فيه وليس بفرض (ورتّل القرآن ترتيلا) اي بيّنه بيانا واقرأه على هيئتك ثلاث آيات واربعا وخمسا عن ابن عباس قال الزجاج والبيان لا يتم بأن تعجل في القرآن إنما يتم بأن تبين جميع الحروف وتوفي حقها من الإشباع قال ابو حمزه قلت لابن عباس اني رجل في قراءتي وفي كلامي عجلة فقال ابن عباس لأن اقرأ البقرة أرتّلها احبّ اليّ من ان اقرأ القرآن كله وقيل معناه ترسل فيه ترسلا عن مجاهد وقيل معناه تثبت فيه تثبتا عن قتادة وروي عن امير المؤمنين (ع) في معناه انه قال

---

(٣) البيت من معلقته المعروفة وكذا البيت الاتي يصف سحاباً بكثرة المطر . وبثير كأمير : جبل بمكة . و العر اوائل المطر . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد : كساء مخطط . يقول : كان بثيراً في اوائل مطر السحاب سيد اناس تلفف بكساء مخطط ، شبه تغطيه بالغثاء بتغطي هذا الرجل بالكساء . (٤) القناص : السياد

بيّنه بياناً ولا تهذّه هذّ الشعر[1] ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرع به القلوب القاسية ولا يكونن همّ أحدكم آخر السورة وعن ابي عبد الله (ع) قال إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فاسأل الله الجنة وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوّذ بالله من النار وقيل الترتيل هو أن تقرأ على نظمه وتواليه ولا تغير لفظاً ولا تقدّم مؤخراً وهو مأخوذ من ترتل الاسنان إذا استوت وحسن انتظامها وثغر رَتِل إذا كانت اسنانه مستوية لا تفاوت فيها وقيل رتل معناه ضعف والرتل اللين عن قطرب قال والمراد بهذا تحزين القرآن أي اقرأه بصوت حزين ويعضده ما رواه ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) في هذا قال هو ان تتمكث فيه وتحسن به صوتك وروى عن ام سلمه انها قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية وعن انس قال كان يمدّ صوته مدّاً وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) اي سنوحي عليك قولا يثقل عليك وعلى امتك اما ثقله عليه فلما فيه من تبليغ الرسالة وما يلحقه من الاذى فيه وما يلزمه من قيام الليل ومجاهدة النفس وترك الراحة والدعة واما ثقله على امته فلما فيه من الامر والنهي والحدود وهذا معنى قول قتادة ومقاتل والحسن قال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك وكما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة وقيل ثقيلا لا يحمله إلا قلب مؤيّد بالتوفيق ونفس مؤيّدة بالتوحيد وقيل ثقيلا ليس بالسفساف الخفيف[2] لأنه كلام ربنا جلّت عظمته عن الفراء وقيل معناه قولا عظيم الشأن كما يقال هذا كلام رصين وهذا الكلام له وزن إذا كان واقعا موقعه وقيل معناه قولا ثقيلا نزوله فإنه ﷺ كان يتغيّر حاله عند نزوله ويعرق وإذا كان راكباً يبرك راحلته ولا يستطيع المشي وسأل الحرث بن هشام رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال ﷺ أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشدّ عليّ فيفصم عني[3] وقد وعيت ما قال واحياناً يتمثّل الملك رجلا فأعي ما يقول قالت عائشة انه كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فيضرب بجرانها[4] قالت ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا وقيل ثقيلا على الكفار لما فيه من الكشف عن جهلهم وسترهم وسفه احلامهم وقبح افعالهم (ان ناشئة الليل) معناه ان ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة وتقديره أن ساعات الليل الناشئة وقال ابن عباس هو الليل كله لأنه ينشأ بعد النهار وقال مجاهد هي ساعات التهجد من الليل وقيل هي بالحبشية قيام الليل عن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وقيل هي القيام بعد النوم عن عائشة وقيل هي ما كان بعد العشاء الآخرة عن الحسن وقتادة والمروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالا هي القيام في آخر الليل الى صلاة الليل (هي اشدوطأ) اي اكثر ثقلا وابلغ مشقة لأن الليل وقت الراحة والعمل يشق فيه ومن قال وطاء فالمعنى اشد مواطأة للسمع والبصر يتوافق فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهم والتفكر إذ القلب غير مشتغل بشيء من امور الدنيا (وأقوم قيلا) أي اصوب للقراءة واثبت للقول لفراغ البال وانقطاع ما يشغل القلب عن انس ومجاهد وابن زيد وقال ابو عبد الله (ع) هو قيام الرجل عن فراشه لا يريد به إلا الله تعالى (ان لك في النهار سبحاً طويلا) معناه ان لك يا محمد في النهار منصرفا ومنقلبا إلى ما تقضي فيه حوائجك عن قتادة والمراد ان مذاهبك في النهار ومشاغلك كثيرة فإنك تحتاج فيه الى تبليغ الرسالة ودعوة الخلق وتعليم الفرائض والسنن واصلاح المعيشة لنفسك وعيالك وفي الليل يفرغ القلب للتذكر والقراءة فاجعل

---

(٥) يعني محبوبته بنور الوجه وشبهها بمصباح الراهب ؛ والمبتل : صفة الراهب لانه يوقد ليهتدى به الضلال . يريدان نور وجهها يغلب ظلام الليل كغلبته نور مصباح الراهب .

(١) الهذ : سرعة القراءة . (٢) اى الذى يستخف به . (٣) قال الجزرى : اى يقلع عنى . (٤) الجران : مقدم

ناشئة الليل لعبادتك لتأخذ بحظك من خير الدنيا والآخرة وفي هذا دلالة على انه لا عذر لأحد في ترك صلاة الليل لأجل التعليم والتعلم لأن النبي ﷺ كان يحتاج الى التعليم اكثر مما يحتاج الواحد منا اليه ثم لم يرض سبحانه ان يترك حظه من قيام الليل (واذكر اسم ربك) يعني اسماء الله تعالى التي تعبد بالدعاء بها وقيل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك من كل ما سواه وقيل واقصد بعملك وجه ربك (وتبتل اليه تبتيلا) اي اخلص له اخلاصاً عن ابن عباس وغيره يعني في الدعاء والعبادة وقيل انقطع اليه انقطاعا عن عطاء وهو الاصل وقيل توكل عليه توكلا عن شقيق وقيل تفرغ لعبادته عن ابن زيد وقد جاء في الحديث النهي عن التبتل والمراد به الانقطاع عن الناس والجماعات وكان يجب ان يقول تبتلا لأن المراد بتّلك الله من المخلوقين واصطفاك لنفسه تبتيلا فتبتّل انت ايضا اليه وقيل انما قال تبتيلا ليطابق اواخر آيات السورة وروى محمد بن مسلم وزرارة وحمران عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ان التبتل هنا رفع اليدين في الصلاة وفي رواية ابي بصير قال هو رفع يدك الى الله وتضرعك اليه (رب المشرق والمغرب) اي رب العالم بما فيه لانه بين المشرق والمغرب وقيل رب مشرق الشمس ومغربها والمراد اول النهار وآخره فأضاف النصف الاول من النهار الى المشرق والنصف الآخر منه الى المغرب وقيل مالك المشرق والمغرب اي المتصرف فيما بينهما والمدبر لما بينهما (لا إله الا هو) اي لا احد تحق له العبادة سواه (فاتخذه وكيلا) اي حفيظا للقيام بامرك وقيل معناه فاتخذه كافيا لما وعدك به واعتمد عليه وفوض امرك اليه تجده خير حفيظ وكاف (واصبر على ما يقولون) لك يعني الكفار من التكذيب والاذى والنسبة الى السحر والكهانة (واهجرهم هجراً جميلا) والهجر الجميل اظهار الموجدة عليهم من غير ترك الدعاء الى الحق على وجه المناصحة قال الزجاج هذا يدل على انه نزل قبل الامر بالقتال وقيل بل هو امر بالتلطف في استدعائهم فيجب مع القتال ولا نسخ وفي هذا دلالة على وجوب الصبر على الاذى لمن يدعو الى الدين والمعاشرة باحسن الاخلاق واستعمال الرفق ليكونوا اقرب الى الاجابة

قوله تعالى (١١) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١٢) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً (١٣) وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً (١٤) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً (١٥) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٦) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً (١٧) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً (١٨) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٩) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (تسع آيات)

﴿ اللغة ﴾

يذر ويدع بمعنى يترك ولا يقال وَذَر ولا وَدَع واستغنى بترك عن ذلك لأن الابتداء بالواو عندهم مكروه ولذلك ابدلوا منها الهمزة في اقتت والتاء في تخمة وتراث والنعمة بفتح النون لين اللمس وضدها الخشونة والنعمة الثروة والمنة ايضاً والنعمة بضم النون المسرة يقال نُعْمَ ونُعْمَة عينٍ ونُعْمَى عينٍ والانكال

← عنق البعير من مذبحه الى منحره .

القيود واحدها نِكْل والغصة تردد اللقمة في الحلق ولا يسيغها آكلها يقال غص بريقه يغص غصصا وفي قلبه غصة من كذا وهي كالدغة التي لا يسوغ معها الطعام والشراب قال عدي بن زيد

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي[1]

والكثيب الرمل المجتمع الكثير وهلت الرمل اهيله هيلا فهو مهيل اذا حركت اسفله فسال اعلاه ومنه الحديث كيلوا ولا تهيلوا وكل ثقيل وبيل ومنه كلأ مستوبل اي مستوخم لا يستمرئ لثقله ومنه الوبل والوابل وهو المطر العظيم القطر ومنه الوبال وهو ما يغلظ على النفس والوبيل ايضا الغليظ من العصي قال طرفة

فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جَلَالَةٌ ... عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَبِيلِ يَلَنْدَدِ[2]

المعنى

ثم قال سبحانه مهدداً للكفار (وذرني) يا محمد (والمكذبين) الذين يكذبونك فيما تدعوهم اليه من التوحيد واخلاص العبادة وفي البعث والجزاء وهذا كما يقول القائل دعني واياه اذا اراد ان يهدده وهو نصب على انه مفعول معه (اولي النعمة) يعني المتنعمين ذوي الثروة في الدنيا اي كل جزاءهم اليّ ولا تشغل قلبك بمجازاتهم (ومهلهم قليلا) وهذا ايضاً وعيد لهم ولم يكن الا يسيراً حتى كانت وقعة بدر والمعنى واخرهم في المدة قليلا قال مقاتل نزلت في المطعمين ببدر وهم عشرة ذكرناهم في الانفال[3] وقيل نزلت في صناديد قريش والمستهزئين (ان لدينا انكالا) اي عندنا قيوداً في الآخرة عظاما لا تفكّ ابداً عن مجاهد وقتادة وقيل اغلالا (وجحيما) وهو اسم من اسماء جهنم وقيل يعني ناراً عظيمة ولا يسمى القليل به (وطعاماً ذا غصة) اي ذا شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج عن ابن عباس وقيل طعاما يأخذ بالحلقوم لخشونته وشدة تكرهه وقيل يعني الزقوم والضريع وروي عن حمران بن اعين عن عبد الله بن عمر ان النبي ﷺ سمع قارئاً يقرأ هذه فصعق (وعذابا اليما) اي عقاباً موجعاً مؤلماً ثم بيّن سبحانه متى يكون ذلك فقال (يوم ترجف الارض) اي تتحرك باضطراب شديد (والجبال) اي وترجف الجبال معها ايضاً وتضطرب بمن عليها (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) اي رملا سائلا متناثراً عن ابن عباس وقيل المهيل الذي اذا وطأته القدم زلّ من تحتها واذا اخذت اسفله انهار اعلاه عن الضحاك والمعنى ان الجبال تنقلع من اصولها فتصير بعد صلابتها كالرمل السائل ثم اكّد سبحانه الحجة على اهل مكة فقال (انا ارسلنا اليكم رسولا) يعني محمداً ﷺ شاهداً عليكم اي يشهد عليكم في الآخرة بما يكون منكم لا في الدنيا (كما ارسلنا الى فرعون) بمصر (رسولا) يعني موسى بن عمران (فعصى فرعون الرسول) ولم يقبل منه ما دعاه اليه (فأخذناه) بالعذاب (اخذاً وبيلا) اي شديداً ثقيلا مع كثرة جنوده وسعة ملكه يعني الغرق حذّرهم سبحانه ان ينالهم مثل ما نال فرعون وقومه (فكيف تتقون ان كفرتم) ولم تؤمنوا برسولكم (يوماً) اي عقاب يوم (يجعل الولدان شيبا) وهو جمع اشيب وهذا وصف لذلك اليوم وشدته كما يقال هذا امر يشيب منه الوليد وتشيب منه النواصي اذا كان عظيما شديداً والمعنى بأيّ شيء تتحصّنون من عذاب ذلك اليوم ان كفرتم وكيف تدفعون عنكم ذلك قال النابغة

«سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ»[4]

اي دفعتنا ثم زاد سبحانه في وصف شدة ذلك اليوم فقال (السماء منفطر به) الهاء تعود الى اليوم وهذا كما يقال فلان بالكوفة اي هو فيها والمعنى ان السماء تنفطر وتنشق في ذلك اليوم من هوله وقيل بسبب ذلك اليوم وهوله وشدته وقيل بامر الله

(١) الشرق: الشجا وكالغصص في الطعام. والاعتصار: الالتجاء. وقيل: الاعتصار هو أن يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء؛ وهو ان يشربه قليلا قليلا. يقول: كان اعتصاري بالماء اذا شرقت بغيره، فاذا شرقت بالماء فبم اعتصر ونظيره في الفارسية قول الشاعر «هرچه بگنددنمكش ميزنند * واى بوقتى كه بگنددنمك» (٢) البيت من معلقته المعروفة ←

وقدرته ولم يقل منفطرة لان لفظة السماء مذكر فيجوز ان يذكر ويؤنث ومن ذكر اراد السقف وقيل معناه ذات انفطار كما يقال امرأة مطفل اي ذات اطفال ومرضع ذات رضاع فيكون على طريق النسبة (كان وعده مفعولا) اي كائنا لا خلف فيه ولا تبديل (ان هذه) الصفة التي ذكرناها وبيناها (تذكرة) أي عظة لمن انصف من نفسه والتذكرة الموعظة التي يذكر بها ما يعمل عليه (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) اي فمن شاء من المكلفين اتخذ الى ثواب ربه سبيلا لأنه قادر على الطاعة التي لو فعلها وصل الى الثواب وقد رغبه الله تعالى فيه ودعاه الى فعل ما يوصله اليه وبعث رسولا يدعوه اليه فمن لم يصل اليه فبسوء اختياره انصرف عنه

قوله تعالى (٢٠) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية واحدة)

القراءة

قرأ ابن كثير واهل الكوفة نصفه وثلثه بالنصب والباقون بالجر

الحجة

قال ابو علي من نصب حمله على ادنى وادنى في موضع نصب قال ابو عبيدة ادنى اقرب فكأنه قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه ومن جرّ فانه يحمله على الجار قال ابو الحسن وليس المعنى عليه فيما بلغنا لان المعنى يكون على ادنى من نصفه وادنى من ثلثه قال وكان الذي اعترض الثلث واكثر من الثلث قال فأما الذين قرأوا بالجر فعلى ان يكون المعنى انكم ان لم تؤدوا ما فرض الله عليكم فقوموا ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه ومن ثلثه

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ان ربك) يا محمد (يعلم انك تقوم ادنى) اي اقرب واقل (من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) اي اقلّ من نصفه وثلثه والهاء تعود الى الليل اي نصف الليل وثلث الليل والمعنى انك تقوم في بعض الليالي قريباً من الثلثين وفي بعضها قريباً من نصف الليل وقريباً من ثلثه وقيل ان الهاء تعود الى الثلثين اي واقرب من نصف الثلثين ومن ثلث الثلثين واذا نصبت فالمعنى تقوم نصفه وثلثه (و) تقوم (طائفة من الذين معك) على الايمان وروى الحاكم ابو القاسم ابراهيم الحسكاني باسناده عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله وطائفة من الذين معك قال عليّ وابو ذر (والله يقدّر الليل والنهار) اي يقدّر اوقاتها لتعملوا فيها على ما يأمركم به وقيل معناه لا يفوته علم ما تفعلون عن عطاء والمراد انه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومونه من الليل (علم ان لن تحصوه) قال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فقال سبحانه علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك

← يصف فيه ناقة ابيه أو رجل غيره على خلاف ذكره الزوزني . الكماة والجلالة : الناقة الضخمة السنة . والعيهل : جلد الضرع . والعقيلة : كريمة الاصل ويلندد : الشديد الخصومة أراد بصاحب الناقة أباه . (٣) ذكر في سورة الانفال (ج٢ : ٥٤١) اسمائهم وانهم كانوا اثنا عشر رجلا وقد مرّ منا ايضاً في ج٤ : ٣٧٢ في ذيل الصفحة فراجع. ←

وقال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فقال سبحانه انكم لا تطيقون احصاءه على الحقيقة وقيل معناه لن تطيقوا المداومة على قيام الليل ويقع منكم التقصير فيه (فتاب عليكم) بأن جعله تطوعا ولم يجعله فرضا عن الجبائي وقيل معناه فلم يلزمكم اثما كما لا يلزم التائب أي رفع التبعة فيه كرفع التبعة عن التائب وقيل فتاب عليكم أي فخفف عليكم (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) الآن يعني في صلاة الليل عن اكثر المفسرين وأجمعوا أيضاً على أن المراد بالقيام المتقدم في قوله قم الليل هو القيام الى الصلاة الا أبا مسلم فانه قال أراد القيام لقراءة القرآن لا غير وقيل معناه فصلوا ما تيسر من الصلاة وعبر عن الصلاة بالقرآن لأنها تتضمنه ومن قال إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو محمول على الاستحباب عند الاكثرين دون الوجوب لانه لو وجبت القراءة لوجب الحفظ وقال بعضهم هو محمول على الوجوب لأن القارئ يقف على اعجاز القرآن وما فيه من دلائل التوحيد وارسال الرسل ولا يلزم حفظ القرآن لأنه من القرب المستحبة المرغب فيها ثم اختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الامر من القراءة فقال سعيد بن جبير خمسون آية وقال ابن عباس مائة آية وعن الحسن قال ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ مائة آية في ليلة كتب من القانتين وقال السدي مائتا آية وقال جويبر ثلث القرآن لأن الله يسره على عباده والظاهر أن معنى ما تيسر مقدار ما أردتم وأحببتم (علم ان سيكون منكم مرضى) وذلك يقتضي التخفيف عنكم (وآخرون) أي ومنكم قوم آخرون (يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) اي يسافرون للتجارة وطلب الارباح عن ابن عباس (وآخرون) أي ومنكم قوم آخرون (يقاتلون في سبيل الله) فكل ذلك يقتضي التخفيف عنكم (فاقرأوا ما تيسر منه) وروي عن الرضا (ع) عن أبيه عن جده (ع) قال ما تيسر منه لكم فيه خشوع القلب وصفاء السر (وأقيموا الصلاة) بحدودها التي أوجبها الله عليكم (وآتوا الزكاة) المفروضة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أي وانفقوا في سبيل الله والجهات التي أمركم الله وندبكم الى النفقة فيها وقد مرّ معنى القرض فيما تقدم (وما تقدموا لانفسكم من خير) أي طاعة (تجدوه) أي تجدوا ثوابه (عند الله هو خيراً) لكم من الشح والتقصير (وأعظم أجراً) أي افضل ثواباً وهو هنا يسمى فصلا عند البصريين وعماداً عند الكوفيين ويجوز أن يكون صفة للهاء في تجدوه (واستغفروا الله) أي اطلبوا مغفرته (ان الله غفور رحيم) اي ستار لذنوبكم صفوح عنكم رحيم بكم منعم عليكم قال عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ وآخرون يضربون في الأرض الآية . وقال ابن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحبّ إليّ من ان أموت بين شقّي رحل اضرب في الأرض ابتغي من فضل الله وقيل ان هذه الآية مدنية ويدل عليها ان الصلاة والزكاة لم توجبا بمكة وقيل أوجبتا بمكة والآية مكية .

سورة المدثر (مكية)

عدد آيها

خمسون وست آيات عراقي والبزي والمدني الاول وخمس شامي والمدني الاخير والمكي غير البزي

اختلافها

يتساهلون غير المدني الاخير من المجرمين غير الشامي والمكي إلا البزي .

حـ(٤) كان النابغة من اخصاء النعمان بن المنذر ملك الحيرة ؛ فدخل عليه يوماً فجأة ومعه امرأته المتجردة فالتفت اليه مذعورة ؛ فسقط نصيفها ـ و هو الخمار ـ فاستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لنقائها وكثرة لحمها فأمره النعمان ان يقول قصيدة يصفها فيها فأنشأ قصيدة منها البيت .

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة المدثر اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمد ﷺ وكذّب به بمكة . محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ في الفريضة سورة المدثر كان حقا على الله ان يجعله مع محمد ﷺ في درجته ولا يدركه في حياة الدنيا شقاء ابداً

تفسيرها

لما امر سبحانه نبيّه ﷺ في آخر المزمل بالصلاة وغيرها امره في مفتتح هذه السورة بالانذار فكأنه امره ان يبدأ بنفسه ثم بالناس فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (٢) قُمْ فَأَنذِرْ (٣) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٤) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٥) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٦) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٧) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٨) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٩) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (١٠) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (عشر آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر وحفص ويعقوب وسهل والرجز بالضم والباقون بكسر الراء. وقرأ الحسن تستكثر بالجزم وقرأ الاعمش تستكثر بالنصب والقراءة بالرفع

الحجة

الرجز بالضم قراءة الحسن وهو اسم صنم فيما زعموا وقال قتادة هما صنمان اساف ونائلة ومن كسر فهو العذاب والمعنى ذات العذاب فاهجر لأن عبادتها تؤدّي إلى العذاب ويجوز أن يكون الرُجز والرِجز لغتين كالذُكر والذِكر وقال ابن جني الجزم في تستكثر يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بدلا من تمنن فكأنه قال لا تستكثر فإن قيل فعبرة البدل ان يصلح اقامة الثاني مقام الاول وانت لو قلت لا تستكثر لا يدلّك النهي على المنّ للاستكثار وإنما المعنى لا تمنن مَنَّ مستكثر قيل قد يكون البدل على حذف الاول وقد يكون على نية ثباته وذلك كقولك زيد مررت به ابي محمد فتبدل ابا محمد من الهاء ولو قلت زيد مررت مررت بابي محمد كان قبيحا فقوله ولا تمنن تستكثر من هذا القبيل وانكر ابو حاتم الجزم على البدل ﴿ والآخر ﴾ ان يكون اراد تستكثرُ فاسكن الراء لثقل الضمة مع كثرة الحركات كما حكى ابو زيد من قولهم بلى ورسلنا باسكان اللام واما تستكثر بالنصب فبان مضمرة وذلك ان يكون بدلا من قوله ولا تمنن في المعنى الا ترى ان معناه لا يكن منك منّ فاستكثار فكأنه قال لا يكن منك منّ ان تستكثر فتضمر أنْ لتكون مع الفعل المنصوب بها بدلا عن المنّ في المعنى الذي دلّ عليه الفعل ومما وقع فيه الفعل موقع المصدر قوله

فَقَالُوا مَا تَشَاءُ فَقُلْتُ أَلْهُو ... إِلَى الْإِصْبَاحِ آثَرَ ذِي أَثِيرٍ (١)

اراد فقلت اللهو فوضع ألهو موضع اللهو

اللغة

المدثر المتفعل من الدثار إلا ان الثاء ادغمت في الدال وهو المتغطي بالثياب عند النوم والتكبير وصف الاكبر على اعتقاد معناه كتكبير المكبّر في الصلاة بقوله الله اكبر والتكبير نقيض التصغير والكبير الشأن هو المختص باتساع المقدور والمعلوم والطهارة النظافة بانتفاء النجاسة لان النظافة قد تكون بانتفاء الوسخ من غير نجاسة وقد تكون بانتفاء النجاسة فالطهارة في الآية هو القسم الأخير والمن ذكر النعمة بما يكدرها ويقطع حق الشكر

(١) آثر ذى اثير اى اول كل شيء

بهايقال منّ بعطائه يمنّ منًّا إذا فعل ذلك فاما المن على الاسير فهو اطلاقه بقطع اسباب الاعتقال منه والاستكثار طلب الكثرة وهو هنا طلب ذكر الاستكثار للعطية والناقور فاعول من النقر كهاضوم من الهضم وحاطوم من الحطم وهو الذي من شأنه ان ينقر فيه للتصويت به واليسير القليل الكلفة ومنه اليسار وهو كثرة المال لقلة الكلفة به في الانفاق ومنه تيسير الأمور لسهولته

الاعراب

وربك فكبّر تقديره قم فكبّر ربك وكذلك ما بعده وفائدة تقديم المفعول عنها التخصيص لأنك إذا قلت وكبّر ربك لم يدل ذلك على انه لا يجوز تكبير غير الرب و إذا قلت ربك فكبر دلّ على انه لا يجوز تكبير غيره وتستكثر في موضع نصب على الحال فذلك مبتدأ ويوم عسير خبره ويومئذ يجوز أن يكون رفعا ويجوز أن يكون نصباً فإذا كان رفعا فإنما يبنى على الفتح لاضافته إلى اذ لان اذ غير متمكنة و إذا كان نصبا فعلى الظرف وتقديره فذلك يوم عسير في يوم ينفخ في الصور قاله الزجاج وقال ابو علي في بعض كتبه لا يجوز أن ينتصب يومئذ بقوله عسير لأن الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف قال و إنما انتصب يومئذ على انه صلة قوله فذلك لأن ذلك كناية من المصدر فكأنه قال فذلك النقر يومئذ وعلى هذا فيكون التقدير فذلك النقر في ذلك الوقت نقر يوم عسير وقوله على الكافرين غير يسير على يتعلق بعسير ولا يتعلق بيسير لان ما يعمل فيه المضاف اليه لا يتقدم على المضاف على انهم قالوا انّ غيراً في حكم حرف النفي فيجوز أن يعمل ما بعده فيما قبله نحو ان تقول انت زيدا غير ضارب ولا يجوز أن تقول انت زيدا مثل ضارب فتعمل ضاربا في زيد و إنما اجازوا انت زيدا غير ضارب حملا على انت زيدا لا ضارب

المعنى

خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال (يا أيها المدثر) اي المتدثر بثيابه قال الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول سألت ابا سلمة ايّ القرآن انزل من قبل قال يا أيها المدثر فقلت او اقرأ باسم ربك فقال سألت جابر بن عبد الله ايّ القرآن انزل قبل قال يا أيها المدثر فقلت او اقرأ فقال جابر احدّثكم ما حدّثنا رسول الله ﷺ قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الواد فنوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم ار احداً ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبرائيل فقلت دثّروني دثّروني فصبّوا عليّ ماء فانزل الله عز وجل يا أيها المدثر وفي رواية فحييت منه فرقاً حتى هويت إلى الارض فجئت إلى اهلي فقلت زمّلوني فنزل يا أيها المدثر (قم فانذر) اي ليس بك ما تخافه من الشيطان إنما انت نبيّ فانذر الناس وادعهم إلى التوحيد وفي هذا ما فيه لان الله تعالى لا يوحي إلى رسوله إلا بالبراهين النيرة والآيات البينة الدالة على أن ما يوحى اليه إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء سواها ولا يفزع ولا يفرق وقيل معناه يا أيها الطالب صَرْف الاذى بالدثار أُطلبه بالانذار وخوّف قومك بالنار وان لم يؤمنوا وقيل انه كان قد تدثّر بشملة صغيرة لينام فقال يا أيها النائم قم من نومك فانذر قومك وقيل إن المراد به الجدّ في الامر والقيام بما ارسل به وترك الهوينا فيه فكانه قيل له لا تنم عما امرتك به وهذا كما تقول العرب فلان لا ينام في امره إذا وصف بالجد والانكماش وصدق العزيمة وكأنهم يحظرون النوم على ذي الحاجة حتى يبلغ حاجته وبذلك نطقت اشعارهم كما قيل

أَلَا أَيُّهَا النَّاهِي فَزَارَةَ بَعْدَ مَا ... أَجَدَّتْ لِأَمْرٍ إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ

أَرَى كُلَّ ذِي وَتْرٍ يَقُومُ بِوَتْرِهِ ... وَيَمْنَعُ عَنْهُ النَّوْمَ إِذْ أَنْتَ نَائِمُ (١)

ويقال لمن ادرك ثأره هذا هو الثأر المنيم وقال الشاعر يصف من اورد ابلا له

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلْ ... مَا هٰكَذَا تُورَدُ يَا سَعْدُ الْإِبِلْ (٣)

(١) يعني ادركت ثارك فنمت ولكن فزارة على الانتقام ويجب على كل ذي وتر أن يدفع عن نفسه النوم (٢) البيت لمالك بن زيد مناة وكان آبل أهل زمانه - اي الحاذق في مصلحة الابل - ثم انه تزوج وبنى بامرأته فأورد الابل احوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها فقال مالك هذا البيت ، يريدان من يورد الابل لابد وان يكون متشمراً لا مشتملا ←

والاشتمال مثل التدثر (وربك فكبّر) اي عظّمه ونزّهه عما لا يليق به وقيل كبّره في الصلاة فقل الله اكبر (وثيابك فطهر) أي وثيابك الملبوسة فطهّرها من النجاسة للصلاة وقيل معناه ونفسك فطهّر من الذنوب والثياب عبارة عن النفس عن قتادة ومجاهد وعلى هذا فيكون التقدير وذا ثيابك فطهّر فحذف المضاف ومما يؤيّد هـذا القول قول عنترة

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ(١)

وقيل معناه طهّر ثيابك من لبسها على معصية او غدرة كما قال سلامة بن غيلان الثقفي انشده ابن عباس

وَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ لَا ثَوْبَ فَاجِرٍ لَبِسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ اتَقَنَّعُ

قال الزجاج معناه(٢) ويقال للغادر دنس الثياب وفي معناه قول من قال وعملك فاصلح قال السدي يقال للرجل إذا كان صالحاً انه لطاهر الثياب وإذا كان فاجراً انه لخبيث الثياب وقيل معناه وثيابك فقصّر عن طاووس وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال الزجاج لأن تقصير الثوب ابعد من النجاسة فانه إذا انجرّ على الأرض لم يؤمن ان يصيبه ما ينجسه وقيل معناه وثيابك فاغسلها عن النجاسة بالماء لان المشركين كانوا لا يتطهرون عن ابن زيد وابن سيرين وقيل لا يكن ثيابك من حرام عن ابن عباس وقيل معناه وازواجك فطهّرهن من الكفر والمعاصي حتى يصرن مؤمنات صالحات والعرب تكني بالثياب عن النساء عن أبي مسلم وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال قال امير المؤمنين (ع) غسل الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور للصلاة وتشمير الثياب طهور لها وقد قال الله سبحانه وثيابك فطهّر اي فشمّر (والرجز فاهجر) اي اهجر الاصنام والاوثان عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وقيل معناه اجتنب المعاصي عن الحسن قال الكسائي الرجز بالكسر العذاب وبالضم الصنم وقال المعنى اهجر ما يؤدّي إلى العذاب ولم يفرّق غيره بينهما وقيل معناه جانب الفعل القبيح والخلق الذميم عن الجبائي وقيل معناه اخرج حبّ الدنيا من قلبك لانه رأس كل خطيئة (ولا تمنن تستكثر) اي لا تعط عطية لتعطى اكثر منها وهذا للنبي ﷺ خاصة أدّبه الله سبحانه باكرم الآداب واشرفها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والنخعي والضحاك وقيل معناه ولا تمنن حسناتك على الله تعالى مستكثراً لها فينقصك ذلك عند الله عن الحسن وربيع بن انس وقيل معناه لا تمنن ما اعطاك الله من النبوة والقرآن مستكثراً به الأجر من الناس عن ابن زيد وقيل هو نهي عن الربا المحرم اي لا تعط شيئاً طالباً ان تعطى اكثر مما اعطيت عن ابي مسلم وقيل لا تضعف في عملك مستكثراً لطاعاتك من مجاهد وقيل ولا تمنن بعطائك على الناس مستكثراً ما اعطيته فان متاع الدنيا قليل ولان المنّ يكدر الصنيعة وقيل معناه إذا اعطيت عطية فاعطها لربك واصبر حتى يكون هو الذي يثيبك عليها عن زيد بن اسلم وقيل معناه لاتمنن بابلاغ الرسالة على امتك عن الجبائي (ولربك) اي لوجه ربك (فاصبر) على اذى المشركين من مجاهد وقيل فاصبر على ما امرك الله به من اداء الرسالة وتعظيم الشريعة وعلى ما ينالك من التكذيب والاذى لتنال الفوز والذخر وقيل فاصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمصائب وقيل فاصبر لله على ما حملت من الامور الشاقة في محاربة العرب والعجم عن ابن زيد (فإذا نقر في الناقور) معناه إذا نفخ في الصور وهي كهيئة البوق عن مجاهد وقيل إن ذلك في النفخة الأولى وهو أول الشدة الهائلة العامة وقيل انه النفخة الثانية وعندها يحيي الله الخلق وتقوم القيامة وهي صيحة الساعة عن الجبائي (فذلك يومئذ) قد مرّ معناه في الاعراف (يوم عسير) اي شديد (على الكافرين) لنعم الله الجاحدين لآياته (غير يسير) غير هيّن ولا سهل وهو بمعنى قوله عسير إلا انه اعاده بلفظ آخر للتأكيد كما تقول إني واد لفلان غير مبغض وقيل معناه عسير في نفسه وغير عسير على المؤمنين لما يرون من حسن العاقبة

ح ـ وفي بعض النسخ « ياسعد لاتروى بهذاك الابل » بدل المصراع الاخير .

(١) البيت من المعلقات . والشكه : الانتظام . والاصم : الصلب ؛ يقول : فانتظمه برمحي الصلب اى طعنته طعنة أنفذت فى جسمه وثيابه كلها ، ثم قال : ليس الكريم محرماً على الرماح (٢) لاتكن غادراً .

قوله تعالى (١١) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١٢) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (١٣) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٤) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (١٥) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٦) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً (١٧) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٨) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٩) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢١) ثُمَّ نَظَرَ (٢٢) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٣) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٤) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٥) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٦) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٨) لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ (٢٩) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٣٠) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (احدى وعشرون آية)

﴿ اللغة ﴾

التمهيد والتوطئة والتذليل والتسهيل نظائر والعنيد الذاهب عن الشيء على طريق العداوة له يقال عَنَدَ الرجلُ يعندُ عُنُوداً فهو عاند إذا نفر والمعاندة منافرة المضادة وكذلك العناد وبعير عنود أي نافر قال الشاعر

إِذَا نَزَلْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطاً ... إِنِّي كَبِيرٌ لاَ أُطِيقُ الْعُنُدَا (١)

والارهاق الاعجاز بالعنف والصعود العقبة التي يصعب صعودها وهي الكؤود وعبس يعبس عبوساً إذا قبض وجهه والعبوس والتكليح والتقطيب نظائر وضدها الطلاقة والبشاشة والبسور بدو التكره في الوجه وأصله من بسر بالامر إذا عجل به ومنه البسر لتعجيل حاله قبل الارطاب قال توبة

وَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا صُدُودٌ رَأَيْتُهُ ... وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا (٢)

والاصلاء الزام موضع النار يقال اصليته فاصطلى وسقر اسم من أسماء جهنم لم يصرف للتأنيث والتعريف وأصله من سقرته الشمس سقراً إذا المت دماغه والابقاء ترك شيء مما أخذ والتلويح تغيير اللون إلى الاحمرار ولوحته الشمس تلويحاً فهي لوّاحة على المبالغة والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد ومنه سمي الانسان بشرا لأنه ظاهر الجلد بتعريه من الوبر والريش والصوف الذي يكون في غيره من الحيوان .

﴿ الاعراب ﴾

وحيداً منصوب على الحال وهو على وجهين أحدهما أن يكون من صفة الله أي ذرني ومن خلقته وحدي والآخر أن يكون من صفة المخلوق

﴿ النزول ﴾

نزلت الآيات في الوليد بن المغيرة المخزومي وذلك أن قريشاً اجتمعت في دار الندوة فقال لهم الوليد انكم ذوو احساب وذوو أحلام وإن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف فاجمعوا امركم على شيء واحد ما تقولون في هذا الرجل قالوا نقول إنه شاعر فعبس عندها وقال قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر فقالوا نقول انه كاهن قال إذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة قالوا نقول انه لمجنون فقال إذا

(١) العند جمع العنود : الناقة التي لا تخالط الابل تباعد عن الابل فترعى ناحية ابداً . (٢) البيت لتوبة بن الحمير صاحب ليلى الاخيلية وقبل هذا البيت قوله : «وكنت اذا ما رزت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها» . ورابني اى أوقعني في الريب والشك .

تأتونه فلا تجدونه مجنوناً قالوا نقول انه ساحر قال وما الساحر فقالوا بشر يحببون بين المتباغضين ويبغضون بين المتحابين قال فهو ساحر فخرجوا فكان لا يلقى احد منهم النبي ﷺ إلا قال ياساحر ياساحر واشتدّ عليه ذلك فانزل الله تعالى يا أيها المدثر إلى قوله الا قول البشر عن مجاهد ويروى أن النبي ﷺ لما انزل عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قام إلى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق(١) وانه ليعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقال قريش صبأ(٢) والله الوليد والله لتصبأنّ قريش كلهم وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم ابوجهل انا اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزيناً فقال لي ما اراك حزيناً يا ابن اخي قال هذه قريش يعيبونك على كبر سنّك ويزعمون انك زينت كلام محمد فقام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال أتزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قطّ فقالوا اللهم لا قال اتزعمون انه كاهن فهل رايتم عليه شيئاً من ذلك قالوا اللهم لا قال أتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه انه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال أتزعمون انه كذّاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا اللهم لا وكان يسمى الصادق الأمين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكّر في نفسه ثم نظر وعبس فقال ما هو إلا ساحر ما رأيتموه يفرّق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ على وجه التهديد للكافر الذي وصفه (ذرني ومن خلقت وحيداً) اي دعني واياه فاني كاف له في عقابه كما يقول القائل دعني واياه ومعناه دعني ومن خلقته متوحداً بخلقه لا شريك لي في خلقه وان حملته على صفة المخلوق فمعناه دعني ومن خلقته في بطن امه وحده لا مال له ولا ولد يعني الوليد بن المغيرة قال مقاتل معناه خلّ بيني وبينه فأنا افرد بهلكته وقال ابن عباس كان الوليد يسمى الوحيد في قومه وروى العياشي باسناده عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي عبدالله وابي جعفر عليهما السلام ان الوحيد ولد الزنا قال زرارة ذكر لابي جعفر عليه السلام عن احد بني هشام انه قال في خطبته انا ابن الوحيد فقال ويله اوعلم ما الوحيد ما فخر بها فقلنا له وما هو قال من لا يعرف له اب ثم ذكر سبحانه رزقه المال والولد فقال (وجعلت له مالا ممدودا) ما بين مكة الى الطائف من الابل المؤبّلة(٣) والخيل المسوّمة والنعم المرحلة والمستغلات التي لا تنقطع غلّتها والجواري والعبيد والعين الكثيرة عن عطاء عن ابن عباس وقيل الممدود الكثير الذي لا تنقطع غلته عنه سنة حتى يدرك غلة سنة اخرى فهو ممدود على الايام وكان له بستان بالطائف لا ينقطع خيره في شتاء ولا صيف وعشرة بنين ومائة الف دينار عن مجاهد وقيل ستة آلاف دينار عن قتادة وقيل اربعة آلاف دينار عن سفيان (وبنين شهوداً) حضورا معه بمكة لا يغيبون عنه لغناهم عن ركوب السفر للتجارة قال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر وقال مقاتل كانوا سبعة الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قالوا فما زال الوليد بعد هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك (ومهدت له تمهيدا) اي بسطت له في العيش بسطا حتى صار مكفي المؤونة من كل وجه حتى صارت احواله متناسبة من الحسن وغيره وقيل سهلت له التصرف في الأمور تسهيلا (ثم يطمع ان ازيد) اي لم يشكرني على هذه النعم بل كفر نعمائي وهو مع ذلك يطمع ان ازيد في انعامه ثم قال على وجه الردع والزجر (كلا) اي لا يكون كما ظنّ ولا ازيده مع كفره وقيل كلا معناه انزجر وارتدع فليس الامر على ما تتوهّم ثم بيّن سبحانه كفره فقال (انه كان لآياتنا عنيداً) اي انما لم نفعل به ذلك لانه كان بحججنا وادلتنا معانداً ينكرها مع معرفته بها وقيل عنيداً جحوداً عن ابن عباس وقتادة (سأرهقه صعودا)

(١) الطلاوة : الحسن والرونق . والمغدق - مفعل - من الغدق : المطر الكبار القطر . (٢) صبأ الرجل: خرج من دين الى دين آخر (٣) ابل مؤبلة اى مجتمعة .

اي ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة فيه وقيل صعود جبل في جهنم من نار يؤخذ بارتقائه فاذا وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت وكذلك رجله في خبر مرفوع وقيل هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعدها حتى اذا بلغ اعلاها احدر إلى اسفلها ثم يكلف ايضا ان يصعدها فذلك دأبه ابداً يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقاطع الحديد فيصعدها في اربعين سنة من الكلبي (انه فكّر) ودبّر ماذا يقول في القرآن (وقدّر) القول في نفسه وإنما فكّر ليحتال به للباطل لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لكان ممدوحا وقدر فقال ان قلنا شاعر كذبتنا العرب باعتبار ما أتى بـه وان قلنا كاهن لم يصدّقونا لأن كلامه لا يشبه كلام الكهان فنقول ساحر يؤثر ما اتى به عن غيره من السحرة (فقتل) اي لعن وعذب وقيل لعن بما يجري مجرى القتل وقيل استحق العذاب عن الجبائي (كيف قدر) قال صاحب النظم معناه لعن على ايّ حال قدر ما قدر من الكلام كما يقال في الكلام لأضربنّه كيف صنع اي على ايّ حال كان منه (ثم قتل كيف قدر) هذا تكرير للتأكيد وقيل معناه كيف قدّر في آياتنا ما قدر مع وضوح الحجة ثم لعن وعوقب بعقاب آخر كيف قدر في ابطال الحق تقدير آخر وقيل معناه عوقب في الآخرة مرة بعد مرة (ثم نظر) في طلب ما يدفع به القران ويرده (ثم عبس وبسر) أي كلح وكره وجهه ونظر بكراهة شديدة كالمهتم المتفكر في الشيء (ثم ادبر) عن الايمان (واستكبر) اي تكبر حين دعا اليه فقال (ان هـذا) اي ما هذا القرآن (إلا سحر يؤثر) اي يروى عن السحرة وقيل هو من الايثار اي سحر تؤثره النفوس وتختاره حلاوته فيها (إن هذا إلا قول البشر) اي ما هذا إلا كلام الانس وليس من عند الله ولو كان القرآن سحراً او من كلام البشر كما قاله الملعون لأمكن السحرة ان يأتوا بمثله ولقدر هو وغيره مع فصاحتهم على الاتيان بسورة مثله ثم قال سبحانه مهدّداً له (سأصليه سقر) اي سأدخله جهنم والزمه اياها وقيل سقر دركة من دركات جهنم وقيل باب من ابوابها (وما ادريك) ايها السامع (ما سقر) في شدتها وهولها وضيقها ثم وصف بعض صفاتها فقال (لا تبقي ولا تذر) اي لا تبقي لهم لحماً الا اكلته ولا تذرهم اذا اعيدوا خلقاً جديداً عن مجاهد وقيل لا تبقي شيئاً الا احرقته ولا تذر اي لا تبقى عليهم بـل يبلغ مجهودهم في انواع العذاب عن الجبائي (لواحة للبشر) اي مغيّرة للجلود وقيل لافحة للجلود حتى تدعها اشد سواداً من الليل (عليها تسعة عشر) من الملائكة هم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر أمينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم مابين منكبي احدهم مسيرة سنة تسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة يرفع احدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث اراد من جهنم وقيل معناه على سقر تسعة عشر ملكاً وهم خزان سقر والنار ودركاتها الآخر خزان آخرون وقيل انما خصّوا بهذا العدد ليوافق المخبر الخبر لما جاء به الانبياء قبله وما كان من الكتب المتقدمة ويكون في ذلك مصلحة للمكلفين وقال بعضهم في تخصيص هذا العدد ان تسعة عشر يجمع أكثر القليل من العدد واقل الكثير منه لأن العدد آحاد وعشرات ومئات والوف فأقل العشرات عشرة واكثر الآحاد تسعة قالوا ولما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمعون ابن أبي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم[1] الشجعان افيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم فقال أبو الاسد الجمحي أنا اكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني انتم اثنين فنزل (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومعناه ومـا جعلنا الموكلين بالنار المتولين تدبيرها الا ملائكة جعلنا شهوتهم في تعذيب اهل النار ولم نجعلهم من بني آدم كما تعهدون انتم فتطيقونهم (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أي لم نجعلهم على هذا العدد إلا محنة وتشديداً في التكليف للذين كفروا نعم الله وجحدوا وحدانيته حتى يتفكروا فيعلموا ان الله سبحانه حكيم لايفعل إلا ماهو حكمة ويعلموا انه قادر على ان يزيد في قواهم ما يقدرون به على تعذيب الخلائق ولو راجع الكفار عقولهم لعلموا ان من سلط ملكاً واحداً على كافة بني آدم لقبض ارواحهم

(١) الدهم : الجماعة الكثيرة .

فلا يغلبونه قادر على سوق بعضهم إلى النار وجعلهم فيها بتسعة عشر من الملائكة (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى انه حق وان محمداً ﷺ صادق من حيث اخبر بما هو في كتبهم من غير قراءة لها ولا تعلم منهم (ويزداد الذين آمنوا إيماناً) أي يقينا بهذا العدد وبصحة نبوة محمد ﷺ إذا أخبرهم أهل الكتاب انه مثل ما في كتابهم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أي وانما يشك هؤلاء في عدد الخزنة والمعنى وليستيقن من لم يؤمن بمحمد ﷺ ومن آمن به صحة نبوته إذا تدبروا وتفكروا (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) اللام هنا لام العاقبة أي عاقبة امر هؤلاء أن يقولوا هذا يعني المنافقين اوالكافرين وقيل معناه ولأن يقولوا ماذا أراد الله بهذا الوصف والعدد ويتدبروه فيؤدي بهم التدبر في ذلك إلى الايمان (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) اي مثل ما جعلنا خزنة اصحاب النار ملائكة ذوي عدد محنة واختباراً نكلف الخلق ليظهر الضلال والهدى وأضافهما إلى نفسه لأن سبب ذلك التكليف وهو من جهته وقيل يضل عن طريق الجنة والثواب من يشاء ويهدي من يشاء اليه (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي ما يعلم جنود ربك من كثرتها أحد إلا هو ولم يجعل خزنة النار تسعة عشر لقلة جنوده ولكن الحكمة اقتضت ذلك وقيل هذا جواب أبي جهل حين قال ما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر عن مقاتل وقيل معناه وما يعلم عدة الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلا الله عن عطاء والمعنى أن التسعة عشر هم خزنة النار ولهم من الاعوان والجنود ما لا يعلمه إلا الله ثم رجع إلى ذكر سقر فقال (وما هي إلا ذكرى للبشر) اي تذكرة وموعظة للعالم ليتذكروا فيتجنبوا ما يستوجبون به ذلك وقيل معناه وما هذه النار في الدنيا إلا تذكرة للبشر من نار الآخرة حتى يتفكروا فيها فيحذروا نار الآخرة وقيل ما هذه السورة إلا تذكرة للناس وقيل وما هذه الملائكة التسعة عشر إلا عبرة للخلق يستدلون بذلك على كمال قدرة الله تعالى ويتزجرون عن المعاصي

قوله تعالى (٣٢) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٣) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٤) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٥) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٦) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٨) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٩) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٤٠) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤١) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤٢) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٣) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٤) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٦) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٧) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٨) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٩) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٥٠) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥١) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥٢) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (٥٣) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٤) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٥) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٦) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (خمس وعشرون آية)

القراءة

قرأ نافع وحمزة وحفص ويعقوب وخلف إذ بغير الف ادبر بالالف والباقون اذا بالالف دبر بغير الالف وقرأ اهل المدينة وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء والباقون بكسر الفاء وفي الشواذ قراءة بعضهم يرويه عن ابن كثير انها لحدى الكبر بلا همزة وقراءة سعيد بن جبير صُحْفا مُنْشرة بسكون الحاء والنون

الحجة

ابو علي قال يونس دبر انقضى وادبر تولى قال قتادة والليل اذ ادبر اذا ولى يقال دبر وادبر وقال والتخفيف في لاحدى الكبر ان يجعل فيها الهمزة بين بين نحو سيء فأما حذف الهمزة فليس بقياس ووجه ذلك أن الهمزة حذفت حذفا كما حذفت في قوله

وَيُلْمِّهَا فِي هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبُهَا ... وَلَا كَهٰذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبُ (١)

وقد جاء ذلك في مواضع من الشعر قال ابو الاسود ازياد

يَا بَا الْمُغِيرَةِ رُبَّ أَمْرٍ مُعْضَلٍ ... فَرَّجْتَهُ بِالنُّكْرِ مِنِّي وَالدَّهَاءِ (٢)

وقال آخر

إِنْ لَمْ أُقَاتِلْ فَأْلِبُسُونِي بُرْقَعَا ... وَفَتَخَاتٍ فِي الْيَدَيْنِ أَرْبَعَا (٣)

وانشد احمد بن يحيى

إِنْ كَانَ حُزْنٌ لَكَ يَا فُقَيْمَهْ ... يَاعَكَ عَبْداً بِأَخَسِّ قِيمَهْ

وقال الفرزدق

وَعَلَيْكَ إِثْمُ عَطِيَّةِ بْنِ الْخَطْفِي ... وَإِثْمُ الَّتِي زَجَرَتْكَ إِنْ لَمْ تَجْهَدِ

قال والكسر في مستنفرة اولى لقوله فرت من قسورة فهذا يدل على انها هي استنفرت ويقال نفر واستنفر مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب ومن قال مستنفرة فكأن القسورة استنفرتها والرامي قال أبو عبيدة مستنفرة مذعورة وانشد الزجاج

أَمْسِكْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفَرُ ... فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ (٤)

ورويت بالكسر أيضاً قال ابن سلام سألت ابا سوار العرني وكان اعرابياً فصيحاً قارئاً للقرآن فقلت كأنهم حمر ماذا قال حمر مستنفرة طردها قسورة قلت انما هو فرت من قسورة فقال افرت قلت نعم فقال مستنفرة قال ابن جني اما سكون الحاء من صحف فلغة تميمية واما منشرة بسكون النون فإن العرف في الاستعمال نشرت الثوب وغيره وانشر الله الموتى فنشروا هم قال وقد جاء عنهم أيضا نشر الله الميت قال المتنبي

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

ولم نعلمهم قالوا انشرت الثوب ونحوه إلا انه يجوز ان يشبه شيء بشيء وكما جاز ان يشبه الميت بالشيء المطوي حتى قال المتنبي منشور فكذلك يجوز ان يشبه المطوي بالميت فيقال صحف منشرة أي كأنها بطيها ميتة فلما نشرت قيل منشرة

اللغة

اليقين العلم الذي يوجد برد الثقة به في الصدر ويقال وجد فلان برد اليقين وثلج اليقين في صدره ولذلك لا يوصف سبحانه بأنه متيقن والقسورة الأسد وقيل هم الرماة من قسره يقسره قسراً إذا قهره واصل الفرار الانكشاف من الشيء ومنه يقال فر الفرس يفر فراً اذا كشف عن سنه والصحف جمع الصحيفة وهي الورقة التي من شأنها ان تقلب من جهة إلى جهة لما فيها من الكتابة ومنه المصحف وجمعه مصاحف

الإعراب

نذيراً للبشر اختلف في وجه انتصابه فقيل نصب على الحال وهو اسم فاعل بمعنى منذر وذو الحال الضمير في لاحدى الكبر العائد إلى الهاء في انها وهي كناية عن النار فالمعنى انها لكبيرة في حال الانذار وانما ذكره لأن

(١) الشاهد في «ويلمها» فان اصله ويل امها فحذفت همزة ام (٢) والشاهد في حذف الهمزة من ابا مغيرة وكذا في أبا فقيمة في الشعر الآتي . (٣) فتخات جمع الفتخة : حلقة من فضة كالخاتم لا فص فيها . والشاهد في حذف الهمزة من «فالبسوني» (٤) غرب : اسم جبل دون الشام الى العراق في ديار بني كلب . وفي المعجم الكبرى : موضع تلقاء الستار

معناه معنى العذاب ويجوز ان يكون التذكير على قولهم لمرأة طالق أي ذات طلاق وكذلك نذير بمعنى ذات إنذار وقيل هو حال يتعلق باول السورة فكأنه قال يا أيها المدثر قم نذيراً للبشر فأنذر وقيل ان النذير هنا بمعنى الانذار وتقديره انذاراً للبشر فيكون نصبا على المصدر لانه لما قال انها لاحدى الكبر دلّ على انه انذرهم بها انذارا وقوله معرضين منصوب على الحال مما في اللام من قوله فما لهم من معنى الفعل والتقدير اي شيء ثبت لهم معرضين عن التذكرة وكأنهم حمر مستنفرة جملة في موضع الحال من معرضين وهي حال من حال او حال بعد حال أي مشابهين حمرا

المعنى

ثم أقسم سبحانه على عظيم ما ذكره من الوعيد فقال (كلا) أي حقاً وقيل معناه ليس الأمر على ما يتوهمونه من أنهم يمكنهم دفع خزنة النار وغلبتهم (والقمر) أقسم بالقمر لما فيه من الآيات العجيبة في طلوعه وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه (والليل إذ أدبر) وأقسم بالليل إذا ولى وذهب عن قتادة وقيل أدبر إذا جاء بعد غيره وأدبر إذا ولى مدبراً فعلى هذا يكون المعنى في إذ أدبر إذا جاء الليل في اثر النهار وفي إذا أدبر إذا ولى الليل فجاء الصبح عقيبه وعلى القول الأول فهما لغتان معناهما ولى وانقضى (والصبح إذا أسفر) أي إذا أضاء وأنار عن قتادة وهو قسم آخر وقيل معناه إذا كشف الظلام واضاء الأشخاص وقال قوم التقدير في هذه الأقسام وربّ هذه الأشياء لأن اليمين لا يكون إلا بالله تعالى (إنها لإحدى الكبر) هذا جواب القسم يعني أن سقر التي هي النار لاحدى العظائم والكبر جمع الكبرى وهي العظمى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه أن آيات القرآن لاحدى الكبر في الوعيد (نذيراً للبشر) أي منذراً ومخوّفاً معلماً مواضع المخافة والنذير الحكيم بالتحذير عما ينبغي أن يحذر منه فكل نبيّ نذير لأنه حكيم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه واختلف فيه فقيل إنه من صفة النار عن الحسن وقيل من صفة النبي ﷺ فكأنه قال قم نذيراً عن ابن زيد وقيل من صفة الله تعالى عن ابن رزين وعلى هذا يكون حالا من فعل القسم المحذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أي يتقدم في طاعة الله أو يتأخر عنها بالمعصية عن قتادة والمشيئة هي الإرادة فيكون المعنى أن هذا الإنذار متوجه إلى من يمكنه أن يتقي عذاب النار بأن يتجنب المعاصي ويفعل الطاعات فيقدر على التقدم والتأخر في أمره بخلاف قول أهل الجبر القائلين بتكليف ما لا يطاق وقيل انه سبحانه عبّر عن الايمان والطاعة بالتقدم لان صاحبه متقدم في العقول والدرجات وعن الكفر والمعصية بالتأخر لأنه متأخر في العقول والدرجات وروى محمد ابن الفضيل عن ابي الفضل عن ابي الحسن (ع) أنه قال كل من تقدّم إلى ولايتنا تأخّر عن سقر وكل من تأخر عن ولايتنا تقدّم إلى سقر (كل نفس بما كسبت رهينة) أي مرهونة بعملها محبوسة به مطالبة بما كسبته من طاعة أو من معصية فالرهن أخذ الشيء بامر على أن لا يرد إلا بالخروج منه قال زهير

وَفَارَقْتُكَ بِرَهْنٍ لَا فَكَاكَ لَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا (١)

فكذلك هؤلاء الضلال قد أخذوا برهن لا فكاك له والكسب هو كل ما يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر ويدخل فيه الفعل وان لا يفعل ثم استثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال (إلا أصحاب اليمين) وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين يسلك بهم ذات اليمين قال قتادة غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين وهم الذين لا ذنب لهم فهم ميامين على أنفسهم وقيل هم المؤمنون المستحقون للثواب عن الحسن وقيل هم الملائكة عن ابن عباس وقال الباقر (ع) نحن وشيعتنا أصحاب اليمين (في جنات يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضاً وقيل يسألون (عن المجرمين) أي عن حالهم وعن ذنوبهم التي استحقّوا بها النار (ما سلككم في سقر) هذا سؤال توبيخ أي تطلع أهل الجنة على أهل النار فيقولون لهم ما أوقعكم في النار (قالوا لم نك من المصلين) أي كنا لا نصلي الصلاة المكتوبة على ما قرّرها الشرع وفي هذا دلالة على أن الإخلال بالواجب يستحق به الذم والعقاب لأنهم علّقوا

(١) الغلق في الرهن : ضد الفك فاذا فك الراهن الرهن فقد اطلقه من وثاقه عند مرتهنه . يذكر زهير في هذا البيت امرأة و معناه : انها ارتهنت قلبه ورهنت به

استحقاقهم العقاب بالإخلال في الصلاة وفيه دلالة أيضاً على أن الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعية لأنه حكاية عن الكفار بدلالة قوله وكنا نكذب بيوم الدين وقوله (ولم نك نطعم المسكين) معناه لم نك نخرج الزكوات التي كانت واجبة علينا والكفارات التي وجب دفعها إلى المساكين وهم الفقراء وكنا نخوض مع الخائضين أي كلما غوى غاوٍ بالدخول في الباطل غوينا معه عن قتادة والمعنى كنا نلوث أنفسنا بالمرور في الباطل كتلويث الرجل بالخوض فلما كان هؤلاء يجرون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم في القول كانوا خائضين معهم (وكنا نكذب بيوم الدين) مع ذلك أي نجحد يوم الجزاء وهو يوم القيامة والجزاء هو الايصال إلى كل من له شيء أم عليه شيء ما يستحقه فيوم الدين هو يوم أخذ المستحق بالعدل (حتى أتينا اليقين) أي أتانا الموت على هذه الحالة وقيل حتى جاءنا العلم اليقين من ذلك بان عاينا (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أي شفاعة الملائكة والنبيين كما نفعت الموحدين عن ابن عباس في رواية عطاء وقال الحسن لم تنفعهم شفاعة ملك ولا شهيد ولا مؤمن وبعضد هذا الإجماع على أن عقاب الكفر لا يسقط بالشفاعة وقد صحت الرواية عن عبد الله بن مسعود قال يشفع نبيكم ﷺ رابع أربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم ﷺ لا يشفع أحد اكثر مما يشفع فيه نبيكم ﷺ ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر إلى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود فهؤلاء الذين يبقون في جهنم وعن الحسن عن رسول الله ﷺ قال يقول الرجل من أهل الجنة يوم القيامة اي رب عبدك فلان سقاني شربة من ماء في الدنيا فشفعني فيه فيقول إذهب فأخرجه من النار فيذهب فيتجسس في النار حتى يخرجه منها وقال ﷺ إنَّ من أمتي من سيدخل الله الجنة بشفاعته اكثر من مضر (فما لهم عن التذكرة معرضين) أي أيّ شيء لهم ولم أعرضوا وتولوا عن القرآن فلم يؤمنوا به والتذكرة التذكير بمواعظ القرآن والمعنى لا شيء لهم في الآخرة إذا أعرضوا عن القرآن وتمرواعنه (كانهم حمر مستنفرة) أي كأنهم حمر وحشية نافرة (فرت من قسورة) يعني الأسد عن عطاء والكلبي قال ابن عباس الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت منه كذلك هؤلاء الكفار إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه وقيل القسورة الرماة ورجال القنص[1] عن ابن عباس بخلاف والضحاك ومقاتل ومجاهد وقال سعيد بن جبير هم القناص (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة) أي كتباً من السماء تنزل اليهم باسمائهم ان آمنوا بمحمد ﷺ عن الحسن وقتادة وابن زيد وقيل معناه أنهم يريدون صحفاً من الله تعالى بالبراءة من العقوبة واسباغ النعمة حتى يؤمنوا وإلا قاموا على كفرهم وقيل يريد كل واحد منهم أن يكون رسولا يوحى اليه متبوعاً وأنف من أن يكون تابعاً وقيل هو نحو ما ذكره الله تعالى في قوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه فقال سبحانه (كلا) أي حقاً ليس الأمر على ما قالوا ولا يكون كذلك (بل لا يخافون الآخرة) بجحدهم صحتها ولو خافوا عذاب الآخرة لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالات والمعجزات (كلا) اي حقا (إنه تذكرة) أي إنَّ القرآن تذكير وموعظة (فمن شاء ذكره) أي اتعظ به لأنه قادر عليه (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) هذه المشيئة غير الأولى إذ لو كانت واحدة لتناقض فالاولى مشيئة اختيار والثانية مشيئة إكراه وإجبار والمعنى أن هؤلاء الكفار لا يذكرون إلا أن يجبرهم الله تعالى على ذلك وقيل معناه إلا أن يشاء الله من حيث أمر به ونهى عن تركه ووعد الثواب على فعله وأوعد بالعقاب إن لم تفعله فكانت مشيئته سابقة أي لا تشاءون إلا والله قد شاء ذلك (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو أهل أن يتقي محارمه وأهل أن يغفر الذنوب عن قتادة وروي مرفوعاً عن انس قال إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فقال قال الله سبحانه انا أهل ان أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له وقيل معناه هو اهل أن يتقي عقابه واهل أن يعمل له بما يؤدي إلى مغفرته

(١) القنص : الصيد .

سورة القيمة (مكية)

أربعون آية كوفي تسع وثلاثون في الباقين

اختلافها

آية لتعجل به كوفي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ سورة القيمة شهدت انا وجبريل له يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من أدمن قراءة لا أقسم وكان يعمل بها بعثها الله يوم القيامة معه في قبره في أحسن صورة تبشره وتضحك في وجهه حتى يجوز الصراط والميزان

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة المدثر بذكر القيامة وأن الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السورة بذكر القيامة وذكر أهوالها فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (٢) وَلَا أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٣) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٤) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ (٥) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (٦) يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ (٧) فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٨) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٩) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (١٠) يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١١) كَلَّا لَا وَزَرَ (١٢) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٣) يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٤) بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ (١٥) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ (خمس عشرة آية)

القراءة

قرأ القواس لأقسم والباقون لا أقسم ولم يختلفوا في الثاني أنه ولا أقسم وقرأ أهل المدينة بَرَقَ البصر بفتح الراء والباقون بَرِقَ بالكسر وفي الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وأيوب السختياني[1] والحسن المَفِر بفتح الميم وكسر الفاء وقراءة الزهري المِفَر بكسر الميم وفتح الفاء

الحجة

قال أبو علي من قرأ لا أقسم يوم القيامة كانت لا على قوله صلة كالتي في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب فإن قلت لا وما والحروف التي هن زوائد إنما تكون بين كلامين كقوله مما خطيئاتهم وفبما رحمة من الله وفبما نقضهم ولا تكاد تزاد اولا فقد قالوا إن مجاري القرآن مجاري الكلام الواحد والسورة الواحدة قال والذي يدل على ذلك أنه قد بذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة أخرى كقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون جاء جوابه في سورة أخرى ما أنت بنعمة ربك بمجنون فلا فصل على هذا بين قوله لئلا يعلم وبين قوله لا أقسم فاما من قرأ لأقسم فإن اللام تجوز أن تكون اللام التي تصحبها احدى النونين في أكثر الأمر وقد حكى ذلك سيبويه وأجازه وكما يلحق النون مع الفعل الآتي في لأقسم كذلك لم يلحق اللام مع النون في نحو قول الشاعر

وَقَتِيلُ مُرَّةَ أَثْأَرَنْ فَإِنَّهُ ... فَرْعٌ وَإِنَّ أَخَاكُمُ لَمْ يُثْأَرِ[2]

(١) هو أيوب بن تميمة كيسان العنبري البصري السختياني نسبة الى عمل السختيان وهو جلد الماعز اذا دبغ آدبيغة في بعض النسخ السجستاني وهذا الاختلاف موجود في كتب الرجال ايضاً (٢) الشعر في جامع الشواهد.

يريد لأ تأرن فحذف اللام ويجوز ان يكون اللام لحقت فعل الحال وإذا كان المثال للحال لم يتبعها النون لأن هذه النون التي تلحق الفعل في اكثر الأمر إنما هي للفصل بين فعل الحال والفعل الآتي وقد يمكن أن يكون لا ردّاً للكلام وزعموا أن الحسن قرأ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وقال أقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وحكي نحو ذلك عن ابن ابي اسحاق أيضاً وذكر أبو علي في غير كتاب الحجة ان اللام زيادة لأن القسم لا يدخل على القسم وقال ابن جني ينبغي أن تكون هذه اللام لام الابتداء أي لأنا أقسم بيوم القيامة وحذف المبتدأ للعلم به وقال ابو الحسن برق البصر اكثر في كلام العرب والمفتوحة لغة قال الزجاج من قرأ برِق فمعناه فزع وتحيَّر ومن قرأ برَق فهو من بريق العينين وقال ابو عبيدة برق البصر إذا شقّ وانشد

لَمَّا أَتَانِي ابْنُ صَبِيحٍ رَاغِباً أَعْطَيْتُهُ عَيْسَاءَ مِنْهَا فَبَرِقْ (١)

والمفر الفرار والمَفِرّ بكسر الفاء الموضع الذي يفرّ اليه والمِفَرّ بكسر الميم وفتح الفاء الانسان الجيد الفرار وقال امرؤ القيس

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ (٢)

الاعراب

بلى قادرين نصب على الحال والتقدير بلى نجمعها قادرين فالعامل في الحال محذوف لدلالة ما تقدّم عليه كما في قوله فإن خفتم فرجالاً أي فصلّوا رجالا ومفعول يريد محذوف تقديره بل يريد الإنسان الحياة ليفجر ويسأل جملة في موضع الحال ولا وزر خبره محذوف وتقديره لا وزر في الوجود وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة قيل في تفسيره أقوال فأحدها ان المعنى بل الإنسان على نفسه عين بصيرة والثاني حجة بصيرة أي بينة والثالث ان الهاء للمبالغة كما يقال رجل علامة ونسابة وقال علي بن عيسى تقديره بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيرة أي جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة فأنّث بصيرة لأنه حمل الانسان على النفس وجواب لو محذوف تقديره ولو القى معاذيره لم ينفعه ذلك ويجوز ان يكون جوابه فيما سبق

المعنى

(لا أقسم بيوم القيامة) قيل إن لا صلة ومعناه أقسم بيوم القيامة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل إن لا ردّ على الذين انكروا البعث والنشور من المشركين فكأنه قال لا كما تظنّون ثم ابتدأ القسم فقال أقسم بيوم القيامة انكم مبعوثون ليكون فرقاً بين اليمين التي تكون جحداً وبين اليمين المستأنفة وقيل معناه لا أقسم بيوم القيامة لظهورها بالدلائل العقلية والسمعية وقيل معناه لا اقسم بيوم القيامة فإنكم لا تقرّون بها (ولا أقسم بالنفس اللوامة) فإنكم لا تقرّون بأن النفس تلوم صاحبها يوم القيامة ولكن استخبركم فأخبروني هل أقدر على أن اجمع العظام المتفرقة وهذان الوجهان عن ابي مسلم وقيل معناه أقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة أقسم بالأول ولم يقسم بالثاني عن الحسن قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لأنه يخرج عن تشاكل الكلام والاولى أن يكونا قسمين وهو قول الاكثرين وجواب القسم محذوف تقديره ما الأمر على ما تتوهمون وانكم تبعثون أو لتبعثن ومن قرأ لأقسم فإنه يجعلها جواب القسم وحذف النون لانه اراد الحال وقد ذكرنا ما قيل فيه والنفس اللوامة الكثيرة اللوم وليس من نفس برّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها يوم القيامة إن كانت عملت خيراً قالت هلا ازددت وان كانت عملت سوءاً قالت يا ليتني لم افعل عن ابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد تلوم على ما مضى تقول لم فعلت ولمَ لم أفعل وقيل النفس اللوامة الكافرة الفاجرة عن قتادة ومجاهد ومعناه ذات اللوم الكثير لما سلف منها وقيل هي النفس المؤمنة تلوم نفسها في الدنيا وتحاسبها فتقول ماذا فعلت ولمَ قصرت فتكون مفكّرة في العواقب ابداً والفاجر لا يفكر في أمر الآخرة ولا يحاسب نفسه عن الحسن (أيحسب الإنسان) صورته صورة

(١) قائله ابو عبيدة الكلابي . و العيساء : الابل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة . (٢) البيت من معلقته المعروفة يصف فيه شدة عدو فرسه ؛ ومفعل من اوصاف المبالغة والجلمود : الحجر العظيم ، ومعنى مقبل مدبر معاً انه سلس العنان جمع وصفي الفرس بحسن الخلق وشدة العدو . وشبهه في عدوه بالحجر لان الحجر يطلب الانحطاط بطبعه من غير

الاستفهام ومعناه الإنكار على منكري البعث ومعناه أيحسب الكافر بالبعث والنشور يعني جنس الكفار (أن لن نجمع عظامه) اي أنه لن نعيده إلى ما كان أولا عليه خلقاً جديداً بعد ان صار رفاتاً فكنّى عن البعث بجمع العظام ثم قال سبحانه (بلى) نجمعها (قادرين على أن نسوّي بنانه) على ما كانت وإن قلّت عظامها وصغرت فنردّها كما كانت ونؤلّف بينها حتى يستوي البنان ومن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر عن الزجاج والجبائي وابي مسلم وقيل معناه نقدر على أن نجعل بنانه كالخف والحافر فيتناول المأكول بفيه ولكنا منناً عليه بالأنامل ليكمل بها المنفعة ويتهيأ له القبض والبسط والارتفاق بالأعمال اللطيفة كالكتابة وغيرها عن ابن عباس وقتادة (بل يريد الانسان) أي يريد الكافر (ليفجر أمامه) هذا اخبار من الله تعالى أن الإنسان يمضي قدما في معاصي الله تعالى راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب عن مجاهد والحسن وعكرمة والسدي أي فهذا هو الذي يحمله على الإعراض عن مقدورات ربّه فلذلك لا يقرّ بالبعث وينكر النشور وقيل ليفجر أمامه أي ليفكر بما قدامه من البعث ويكذب به فالفجور هو التكذيب وعن الزجاج قال ويجوز أن يريد أنه يسوّف التوبة ويقدّم الأعمال السيئة وقال ابن الأنباري يريد أن يفجر ما امتد عمره وليس في نيته أن يرجع عن ذنب يرتكبه وقيل معناه انه يقول اعمل ثم أتوب عن عطية والمراد انه يتعجل المعصية ثم يسوف التوبة يقول غداً وبعد غد (يسأل أيان يوم القيامة) معناه أن الذي يفجر أمامه يسأل متى تكون القيامة فان معنى ايّان متى إلا أن السؤال بمتى اكثر من السؤال بايان فلذلك حسن أن يفسّر بها وانما يسأل عن ذلك تكذيباً به واشتغالاً بالدنيا من غير تفكر في العاقبة فإذا خوف بالقيامة قال متى يكون ذلك ثم قال سبحانه (فإذا برق البصر) أي شخص البصر عند معاينة ملك الموت فلا يطرف من شدة الفزع وقيل إذا فزع وتحيّر لما يرى من أهوال القيامة وأحوالها مما كان يكذب به في الدنيا وهذا كقوله لا يرتدّ اليهم طرفهم عن قتادة وابي مسلم (وخسف القمر) أي ذهب نوره وضوؤه (وجمع الشمس والقمر) جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتى يراها كل احد بغير نور وضياء عن مجاهد وهو اختيار الفراء والزجاج والجمع على ثلاثة أقسام جمع في المكان وجمع في الزمان وجمع الأعراض في المحل فأما جمع الشيئين في حكم أو صفة فمجاز لأن حقيقة الجمع جعل أحد الشيئين مع الآخر وقيل جمع بينهما في طلوعهما من المغرب كالبعيرين القرينين عن ابن مسعود (يقول الإنسان) المكذب بالقيامة (يومئذ أين المفرّ) أي أين الفرار ويجوز أن يكون معناه أين موضع الفرار عن الفراء وقال الزجاج المفَرّ بالفتح الفرار والمِفرّ بالكسر مكان الفرار قال الله سبحانه (كلا لا وزر) أي لا مهرب ولا ملجأ لهم يلجأون اليه والوزر ما يتحصّن به من جبل أو غيره ومنه الوزير الذي يلجأ اليه في الأمور وقيل معناه لا حصن عن الضحاك (الى ربك يومئذ المستقر) أي المنتهى عن قتادة أي ينتهي الخلق يومئذ إلى حكمه وأمره فلا حكم ولا أمر لأحد غيره وقيل المستقر المكان الذي يستقر فيه المؤمن والكافر وذلك الى الله لا إلى العباد وقيل المستقر المصير والمرجع عن ابن مسعود والمستقر على وجهين مستقر الى أمد ومستقر الى الأبد (ينبّؤ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر) أي يخبر الإنسان يوم القيامة بأول عمله وآخره فيجازى به عن مجاهد وقيل معناه بما قدّم من العمل في حياته وما سنّه فعمل به بعد موته من خير أو شر وقيل بما قدّم من المعاصي وأخّر من الطاعات عن ابن عباس وقيل بما أخذ وترك عن ابن زيد وقيل بما قدّم من طاعة الله وأخّر من حق الله فضيّعه عن قتادة وقيل بما قدّم من ماله لنفسه وما خلفه لورثته بعده

← واسطة ، فكيف اذا اعانته قوة دفاع السيل من عل ؛ فهو حال تدحرجه يرى وجهه في الان الذي يرى فيه ظهره لسرعة تقبله وبالعكس .

عن زيد بن اسلم وحقيقه النبأ الخبر بما يعظم شأنه وانما حسن في هذا الموضع لأن ما جرى مجرى المباح لا يعتد به في هذا الباب وانما هو ما يستحق عليه الجزاء فاما ما وجوده كعدمه فلا اعتبار به (بل الانسان على نفسه بصيرة) اي ان جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه عن ابن عباس وعكرمة ومقاتل وقال القتيبي اقام جوارحه مقام نفسه ولذلك انث لأن المراد بالانسان هاهنا الجوارح وقال الاخفش هي كقولك فلان حجة وعبرة ودليله قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقيل معناه ان الانسان بصير بنفسه وعمله وروى العياشي باسناده عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) قال ما يصنع احدكم ان يظهر حسناً ويسر سيئا ليس إذا رجع إلى نفسه يعلم انه ليس كذلك والله سبحانه يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة إذا صلحت قويت العلانية وعن عمر بن يزيد عن ابي عبد الله (ع) انه تلا هذه الآية ثم قال ما يصنع الانسان أن يعتذر الى الناس خلاف ما يعلم الله منه ان رسول الله ﷺ كان يقول من اسر سريرة ردّاه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر وعن زرارة قال سالت أبا عبد الله ما حد المرض الذي يفطر صاحبه قال بل الانسان على نفسه بصيرة هو أعلم بما يطيق وفي رواية اخرى هو اعلم بنفسه ذاك اليه (ولو القى معاذيره) اي ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذرة ومعاذر ومعاذير وهي ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب وقيل معناه ولو ارخى الستور واغلق الأبواب عن الضحاك والسدي قال الزجاج معناه ولو ادلى بكل حجة عنده وجاء في التفسير المعاذير الستور واحدها معذار وقال المبرد هي لغة طائية والمعنى على هذا القول وان اسبل الستور ليخفي ما يعمل فإن نفسه شاهدة عليه

قوله تعالى (١٥) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (عشر آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة والكوفة تحبّون وتذرون بالتاء والباقون بالياء

الحجة

من قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم بل تحبّون وتذرون ومن قرأ بالياء فعلى معنى هم يحبون ويذرون قال ابو علي الياء على ما تقدّم من ذكر الانسان فإن المراد به الكثرة والعموم كقوله ان الإنسان خلق هلوعا ثم قال الا المصلين

اللغة

التحريك تصيير الشيء من مكان الى مكان أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة فيه والحركة ما به يتحرك المتحرك والمتحرك هو المنتقل من جهة إلى غيرها واللسان آلة الكلام والعجلة طلب عمل الشيء قبل وقته الذي ينبغي أن يعمل فيه ونقيضه الابطاء والسرعة عمل الشيء في أول الوقت الذي هو له وضدّه الأناة والقرآن اصله الضم والجمع وهو مصدر كالرجحان والنقصان والبيان اظهار المعنى للنفس بما يتميّز به عن غيره ونقيض البيان الإخفاء

والإغماض والنضرة مثل البهجة والطلاقة وضدّه العبوس والبسور نضر وجهه ينضر نضارة ونضرة فهو ناضر والنظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته ويكون النظر بمعنى الانتظار كما قال عزّ شأنه واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة أي منتظرة وقال الشاعر

وُجُوهٌ يَوْمَ بَدْرٍ نَاظِرَاتٌ إِلَى الرَّحْمٰنِ تَنْتَظِرُ الْفَلَاحَا

ثم يستعمل في الفكر فيقال نظرت في هذه المسألة اي تفكرت ومنه المناظرة وتكون من المقابلة يقال دور بني فلان تتناظر اي تتقابل والفاقرة الكاسرة لفقار الظهر شدة وقيل الفاقرة الداهية والآبدة

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال (لا تحرّك به لسانك لتعجل به) قال ابن عباس كان النبي ﷺ اذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبّه اياه وحرصه على أخذه وضبطه مخافة أن ينساه فنهاه الله عن ذلك وفي رواية سعيد بن جبير عنه انه ﷺ كان يعاجل من التنزيل شدة وكان يشتد عليه حفظه فكان يحرّك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي فقال سبحانه لا تحرّك به أي بالوحي أو بالقرآن لسانك يعني بالقراءة لتعجل به أي لتأخذه كما قال ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه (ان علينا جمعه) في صدرك حتى تحفظه (وقرآنه) اي وتأليفه على ما نزل عليك عن قتادة وقيل معناه ان علينا جمعه وقرآنه عليك حتى تحفظه ويمكنك تلاوته فلا تخف فوت شيء منه عن ابن عباس والضحاك (فإذا قرأناه) اي قرأه جبريل عليك بأمرنا (فاتبع قرآنه) أي قراءته عن ابن عباس والمعنى اقرأه اذا فرغ جبريل عن قراءته قال فكان النبي ﷺ بعد هذا اذا نزل عليه جبريل (ع) اطرق فاذا ذهب قرأ وقيل فاتبع قرآنه أي فاعمل بما فيه من الأحكام والحلال والحرام عن قتادة والضحاك وقال البلخي الذي اختاره انه لم يرد القرآن وإنما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة يدل على ذلك ما قبله وما بعده وليس فيه شيء يدل على انه القرآن ولا شيء من احكام الدنيا وفي ذلك تقريع للعبد وتوبيخ له حين لا تنفعه المجلة يقول لا تحرّك لسانك بما تقرأه من صحيفتك التي فيها اعمالك يعني اقرأ كتابك ولا تعجل فإن هذا الذي هو على نفسه بصيرة اذا رأى سيئاته ضجر واستعجل فيقال له توبيخاً لا تعجل وتثبت لتعلم الحجة عليك فانا نجمعها لك فإذا جمعناه فاتبع ما جمع عليك بالانقياد لحكمه والاستسلام للتبعة فيه فانه لا يمكنك انكاره (ثم ان علينا بيانه) لو انكرت وقال الحسن معناه ثم ان علينا بيان ما انبأناك انا فاعلون في الآخرة وتحقيقه وقيل يريد انا نبيّن لك معناه إذا حفظته عن قتادة وقيل معناه ثم ان علينا ان نحفظه عليك حتى تبين للناس بتلاوتك اياه عليهم وقيل معناه علينا ان ننزله قرآناً عربياً فيه بيان للناس عن الزجاج وفي هذا دلالة على انه لا تعمية في القرآن ولا الغاز ولا دلالة فيه على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة وانما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (كلا) أي لا تتدبّرون القرآن وما فيه من البيان (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي تختارون الدنيا على العقبى فيعملون للدنيا لا للآخرة جهلا منهم وسوء اختيار ثم بيّن سبحانه حال الناس في الآخرة فقال (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة (ناضرة) أي ناعمة بهجة حسنة عن ابن عباس والحسن وقيل مسرورة عن مجاهد وقيل مضيئة بيض يعلوها النور عن السدي ومقاتل جعل الله سبحانه وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة علامة للخلق والملائكة على انهم الفائزون (إلى ربها ناظرة) اختلف

فيه على وجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان معناه نظر العين ﴿ والثاني ﴾ انه الإنتظار واختلف من حمله على نظر العين على قولين ﴿ أحدهما ﴾ ان المراد الى ثواب ربها ناظرة اي هي ناظرة الى نعيم الجنة حالا بعد حال فيزداد بذلك سرورها وذكر الوجوه والمراد اصحاب الوجوه روى ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين لهم وغيرهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى وجاء ربك أي امر ربك وقوله وانا ادعوكم الى العزيز الغفار أي الى طاعة العزيز الغفار وتوحيده وقوله ان الذين يؤذون الله أي اولياء الله ﴿ والآخر ﴾ ان النظر بمعنى الرؤية والمعنى تنظر إلى الله معاينة رووا ذلك عن الكلبي ومقاتل وعطاء وغيرهم وهذا لا يجوز لأن كل منظور اليه بالعين مشار اليه بالحدقة واللحاظ والله يتعالى عن أن يشار اليه بالعين كما يجلّ سبحانه عن أن يشار اليه بالأصابع وايضاً فإن الرؤية بالحاسة لا تتم الا بالمقابلة والتوجه والله يتعالى عن ذلك بالاتفاق وايضاً فإنّ رؤية الحاسة لا تتم الا باتصال الشعاع بالمرئي والله منزّه عن اتصال الشعاع به على ان النظر لا يفيد الرؤية في اللغة فإنه اذا علق بالعين افاد طلب الرؤية كما انه اذا علق بالقلب افاد طلب المعرفة بدلالة قولهم نظرت الى الهلال فلم اره فلو افاد النظر الرؤية لكان هذا القول ساقطا متناقضا وقولهم ما زلت انظر اليه حتى رأيته والشيء لا يجعل غاية لنفسه فلا يقال ما زلت أراه حتى رأيته ولأنا نعلم الناظر ناظراً بالضرورة ولا نعلمه رائياً بالضرورة بدلالة انا نسأله هل رأيت أم لا وأما من حمل النظر في الآية على الانتظار فانهم اختلفوا في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المعنى منتظرة لثواب ربها وروي ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك وهو المروي عن علي (ع) ومن اعترض على هذا بأن قال ان النظر بمعنى الانتظار لا يتعدّى بإلى فلا يقال انتظرت اليه وانما يقال انتظرته فالجواب عنه على وجوه منها انه قد جاء في الشعر بمعنى الانتظار معدّى بالي كما في البيت الذي سبق ذكره: ناظرات الى الرحمن، وكقول جميل بن معمر

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ ... وَالْبَحْرُ دُونَكَ جُدْتَنِي نَعَمَا (١)

وقول الآخر

إِنِّي إِلَيْكَ لِمَا وَعَدْتَ لَنَاظِرٌ ... نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُوسِرِ

ونظائره كثيرة ومنها ان تحمل الى في قوله الى ربها ناظرة على انها اسم فهو واحد الآلاء التي هي النعم فان في واحدها اربع لغات إلىّ وألىّ مثل معىً وقفًا وإلىٌّ وإلي مثل جدى وحِسى وسقط التنوين بالاضافة وقال اعشى واثل

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهُزَالَ وَلَا ... يَقْطَعُ رِحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَىّ

اي لا يخون نعمة من انعم عليه وليس لأحد أن يقول ان هذا من اقوال المتأخرين وقد سبقهم الاجماع فإنا لا نسلم ذلك لما ذكرناه من ان علياً (ع) ومجاهداً والحسن وغيرهم قالوا المراد بذلك تنتظر الثواب ومنها أن لفظ النظر يجوز ان يعدّى بالي في الانتظار على المعنى كما ان الرؤيه عديت بالى في قوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل فأجرى الكلام على المعنى ولا يقال رأيت الى فلان ومن اجراء الكلام على المعنى قول الفرزدق

وَلَقَدْ عَجِبْتُ إِلَى هَوَازِنَ أَصْبَحَتْ ... مِنِّي تَلُوذُ بِبَطْنِ أُمِّ جَرِيرِ (٢)

فعدّى عجبت بالي لأن المعنى نظرت ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه مؤملة لتجديد الكرامة كما يقال عيني

(١) قوله : البحر دونك اى اقل منك فى الجود ، والمعنى اذا رجوت عطائك وانت من الملوك والحال ان البحر اقل جوداً منك زدتنى نعماً . (٢) البيت من قصيدة يهجو فيها جريراً وفى بعض النسخ «ببظر أم جرير» والبظر - بفتح الباء - : مابين الاسكتين من المرأة والاسكتان طرفا الفرج

ممدودة الى الله تعالى والى فلان وانا شاخص الطرف الى فلان ولما كانت العيون بعض اعضاء الوجوه اضيف الفعل الذي يقع بالعين اليها عن ابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى انهم قطعوا آمالهم واطماعهم عن كل شيء سوى الله تعالى ووجوه دون غيره فكنى سبحانه عن الطمع بالنظر الا ترى ان الرعية تتوقع نظر السلطان وتطمع في افضاله عليها واسعافه في حوائجها فنظر الناس مختلف فناظر الى سلطان وناظر إلى تجارة وناظر الى زراعة وناظر الى ربه يؤمله وهذه الأقوال متقاربة في المعنى وعلى هذا فان هذا الانتظار متى يكون فقيل انه بعد الاستقرار في الجنة وقيل انه قبل استقرار الخلق في الجنة والنار فكل فريق ينتظر ما هو له أهل وهذا اختيار القاضي عبد الجبار وذكر جمهور اهل العدل ان النظر يجوز ان يحمل على المعنيين جميعاً ولا مانع لنا من حمله على الوجهين فكأنه سبحانه اراد انهم ينظرون الى الثواب المعدّ لهم في الحال من أنواع النعيم وينتظرون امثالها حالا بعد حال ليتمّ لهم ما يستحقونه من الاجلال ويسأل على هذا فيقال اذا كان بمعنى النظر بالعين حقيقة وبمعنى الانتظار مجازاً فكيف يحمل عليهما والجواب ان عند اكثر المتكلمين في أصول الفقه يجوز ان يراد بلفظه واحده إذ لا تنافي بينهما وهو اختيار المرتضى قدس الله روحه ولم يجوّز ذلك ابو هاشم الا اذا تكلّم به مرتين مرّة يريد النظر ومرّة يريد الانتظار وأما قولهم المنتظر لا يكون نعيمه خالصاً فكيف يوصف اهل الجنة بالانتظار فالجواب عنه ان من ينتظر شيئاً لا يحتاج اليه في الحال وهو واثق بوصوله اليه عند حاجته فانه لا يهتمّ بذلك ولا يتنغّص سروره به بل ذلك زائد في نعيمه وانما يلحق الهم المنتظر اذا كان يحتاج الى ما ينتظره في الحال ويلحقه بفوته مضرّة وهو غير واثق بالوصول اليه وقد قيل في اضافة النظر الى الوجوه ان الغمّ والسرور انما يظهران في الوجوه فبيّن الله سبحانه ان المؤمن اذا ورد يوم القيامة تهلّل وجهه وان الكافر العاصي يخاف مغبة افعاله القبيحة فيكلح وجهه وهو قوله (ووجوه يومئذ باسرة) أي كالحة عابسة متغيّرة (تظنّ ان يفعل بها فاقرة) أي تعلم وتستيقن انه يعمل بها داهية تفقر ظهورهم اي تكسرها وقيل انه على حقيقة الظن اي يظنون حصولها جملة ولا يعلمون تفصيلها وهذا اولى من الأول لأنه لو كان بمعنى العلم لكان أن بعده مخففة من انّ الثقيلة على ما ذكر في غير موضع وذكر سبحانه هذه الوجوه الظانة في مقابلة الوجوه الناظرة فهؤلاء يرجون تجديد الكرامة وهؤلاء يظنون حلول الفاقرة فيكون حال الوجوه الراجية للأحوال السارة على الضد من حال الوجوه الظانة للفاقرة

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله لا تحرّك به لسانك بما قبله انه لما تقدّم ذكر القيامة والوعيد خاطب سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا تحرّك به لسانك لتعجل قراءته بل كرّرها عليهم ليتقرر في قلوبهم فانهم غافلون عن الأدلة ألهاهم حبّ العاجلة فاحتاجوا إلى زيادة تنبيه وتقرير

قوله تعالى (٢٦) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٧) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٨) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٩) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٣٠) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣١) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣٢) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٣) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٤) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٦) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٦) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٧) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً

مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٨) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٩) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى
(٤٠) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (خمس عشرة آية)

القراءة

قرأ حفص ورويس يمنى بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالتاء حمله على النطفة أي لم يك نطفة تمنى من مني ومن قرأ بالياء حمله على المنى أي من منى يمني يقدر خلق الانسان وغيره منها قال

مَنَتْ لَكَ أَنْ تَلْقَى ابْنَ هِنْدٍ مَنِيَّةً وَفَارِسَ مَيَّاسٍ إِذَا مَا تَلَبَّبَا(١)

وقال آخر

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَى إِلَى جَدَثٍ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ(٢)

أي ساقه القدر

اللغة

التراقي جمع الترقوة وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر تترقى اليه النفس عند الموت واليه يتراقى البخار من الجوف وهناك تقع الحشرجة(٣) قال ذو الرمة

وَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعْتُ عَنْهَا وَقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِي

والراقي طالب الشفاء رقاه يرقيه رقية اذا طلب له شفاء بأسماء الله الشريفة وآيات كتابه العظيمة واما العوذة فهي دفع البلية بكلمات الله تعالى وتقول العرب قامت الحرب على ساق يعنون شدة الأمر قال

فَإِذْ شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَوَيْهاً رَبِيعَ وَلَا تَسْأَمِ(٤)

والتمطي تمدد البدن من الكسل واصله ان يلوي مطاه اي ظهره وقيل اصله يتمطط فجعل احدى الطائين ياء وهو من المط بمعنى المد كقولهم تظنيت وامليت ونحو ذلك ونهى عن مشية المطيطاء وذلك ان يلقي الرجل يديه مع التكفي في مشيته . اولى لك كلمة وعيد وتهديد قالت الخنساء

هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلَّ الْهُمُومِ فَأَوْلَى بِنَفْسِي أَوْلَى لَهَا

والسدى المهمل والعلقة القطعة من الدم المنعقد

الاعراب

في اعراب اولى وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون مبتدأ وخبره ﴿ والآخر ﴾ ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره الشر اولى لك فعلى هذا يكون اللام في لك للاختصاص كأنه قال الشر اولى لك من الخير ويجوز ان يكون بمعنى من تقديره الشر أقرب منك وسدى منصوب على الحال من قوله يترك

المعنى

ثم بيّن سبحانه حالهم عند النزع فقال (كلا) اي ليس يؤمن الكافر بهذا وقيل معناه حقا (اذا بلغت) النفس او الروح ولم يذكره لدلالة الكلام عليه كما قال ما ترك على ظهرها من دابة يعني على ظهر الأرض (التراقي) اي العظام المكتنفة بالحلق وكنى بذلك عن الاشفاء على الموت (وقيل من راق) اي وقال من

(١) قوله «منتك» اى قدرت لك . والمياس : المتبختر . وتلبب الرجل للحرب : تحزم وتشمر له . (٢) قائله سخر الغي . والجدث : القبر . ويؤزى له اى يسوى له . والاهاضب : جمع هضبة : ما ارتفع من الارض . (٣) الحشرجة : تردد النفس والغرغرة عند الموت (٤) قوله «فويها» كذا فى بعض النسخ وفى بعضها بالقاف وفى تفسير الطبرى «فرنها»

حضره من اهله هل من راق اي طبيب شاف يرقيه ويداويه فلا يجدونه عن ابي قلابة والضحاك وقتادة وابن زيد قال قتادة التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من عذاب الله شيئاً وقيل ان معناه قالت الملائكة من يرقى بروحه أملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب عن ابن عباس ومقاتل قال ابو العالية تختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ايهم يرقى روحه وقال الضحاك اهل الدنيا يجهزون البدن واهل الآخرة يجهزون الروح (وظن انه الفراق) اي وعلم عند ذلك هذا الذي بلغت روحها تراقيها انه الفراق من الدنيا والأهل والمال والولد والفراق ضدّ الوصال وهو بعادُ الأُلّاف وجاء في الحديث ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته ومفاصله يسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيامة (والتفت الساق بالساق) قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ التفت شدة امر الاخرة بأمر الدنيا عن ابن عباس ومجاهد ﴿والثاني﴾ التفت حال الموت بحال الحياة عن الحسن ﴿والثالث﴾ التفت ساقاه عند الموت عن الشعبي وابي مالك لأنه يذهب القوة فيصير كجلد يلتف بعضه ببعض وقيل هو ان يضطرب فلا يزال يمدّ احدى رجليه ويرسل الأخرى ويلفّ احداهما بالأخرى عن قتادة وقيل هو التفاف الساقين في الكفن ﴿والرابع﴾ التف ساق الدنيا بساق الآخرة وهو شدّة كرب الموت بشدة هول المطلع والمعنى في الجميع انه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة إلّا جاءه أشدُّ منها (الى ربك يومئذ المساق) أي مساق الخلائق الى المحشر الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غير الله تعالى وقيل يسوق الملك بروحه الى حيث امر الله تعالى به ان كان من اهل الجنة فالى عليين وان كان من اهل النار فالى سجّين والمساق موضع السوق (فلا صدّق ولا صلى) اي لم يتصدق بشيء ولم يصل لله (ولكن كذّب) بالله (وتولى) عن طاعته عن الحسن وقيل معناه لم يصدق بكتاب الله ولا صلّى لله ولكن كذّب بالكتاب والرسول واعرض عن الايمان عن قتادة (ثم ذهب الى أهله يتمطى) اي يرجع اليهم يتبختر ويختال في مشيته وقيل ان المراد بذلك ابو جهل بن هشام (اولى لك فأولى) وهذا تهديد من الله له والمعنى وليك المكروه يا ابا جهل وقرب منك وجاءت الرواية ان رسول الله اخذ بيد ابي جهل ثم قال له اولى لك فأولى ثم اولى لك فأولى فقال ابو جهل بأيّ شيء تهدّدني لا تستطيع انت ولا ربّك ان تفعلا بي شيئاً واني لأعزّ اهل هذا الوادي فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله ﷺ وقيل معناه الذمّ اولىً لك من تركه الا انه حذف وكثر في الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك وصار من المحذوف الذي لا يجوز اظهاره وقيل هو وعيد على وعيد عن قتادة ومعناه وليك الشر في الدنيا وليك ثم وليك الشر في الآخرة وليك والتكرار للتأكيد وقيل بعداً لك من خيرات الدنيا وبعداً لك من خيرات الآخرة عن الجبائي وقيل اولى لك ما تشاهده يا ابا جهل يوم بدر فأولى لك في القبر ثم اولى لك يوم القيامة فلذلك ادخل ثم فأولى لك في النار (أيحسب الانسان) يعني ابا جهل (ان يترك سدى) مهملا لا يؤمر ولا ينهى عن ابن عباس ومجاهد والألف للاستفهام والمراد الانكار اي لا ينبغي ان يظن ذلك وقيل انه عام اي أيظن الإنسان الكافر بالبعث الجاحد لنعم الله ان يترك مهملا من غير امر يؤخذ به فيكون فيه تقويم له واصلاح لما هو اعود عليه في عاقبة امره واجمل به في دنياه وآخرته (ألم يك نطفة من مني يمنى) اي كيف يظن ان يهمل وهو يرى في نفسه من تنقل الأحوال ما يمكنه ان يستدل به على ان له صانعاً حكيماً اكمل عقله واقدره وخلق فيه الشهوة فيعلم انه لا يجوز ان يخليه من التكليف ومعنى قوله يمنى اي يقدر وقيل معناه يصب في

ولعل الصحيح «فؤبها» كما في بعض المطبوعة امر من آب اي رجع . والمعنى : ايتها يا ربيع وسام من الشي : ملّه .

الرحم (ثم كان علقة فخلق) منها خلقاً في الرحم (فسوى) خلقه وصورته واعضاءه الباطنة والظاهرة في بطن امه وقيل فسوّاه انسانا بعد الولادة واكمل قوته وقيل معناه فخلق الاجسام فسوّاها للأفعال وجعل لكل جارحة عملا يختص بها (فجعل منه) اي من الإنسان (الزوجين الذكر والأنثى) وقيل من المنى وهذا اخبار من الله سبحانه انه لم يخلق الإنسان من المنى ولم ينقله من حال الى حال ليتركه مهملا فانه لا بدَّ من غرض في ذلك وهو التعريض للثواب بالتكليف (أليس ذلك) الذي فعل هذا (بقادر على ان يحيي الموتى) هذا تقرير لهم على ان من قدر على الابتداء قدر على البعث والاحياء فان من قدر على جعل النطفة علقة والعلقة مضغة الى ان يجعلها حياً سليما مركّباً فيه الحواس الخمس والأعضاء الشريفة التي يصلح كل منها لما لا يصلح له الآخر وخلق الزوجين الذكر والانثى الذين يصحّ بهما التناسل فانه يقدر على اعادته بعد الموت الى ما كان عليه من كونه حيّاً وجاء في الحديث عن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الآية أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال رسول الله ﷺ سبحانك اللهم وبلى وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام و في الآية دلالة على صحة القياس العقلي فانه سبحانه اعتبر النشأة الثانية بالنشأة الاولى

سورة الانسان (مكية)

وتسمى سورة الدهر وتسمى سورة الأبرار ومنهم من يسميها بفاتحتها واختلفوا فيها فقيل مكية كلها وقيل مدنية كلها عن مجاهد وقتادة وقيل انها مدنية الا قوله ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً فانه مكي عن الحسن وعكرمة والكلبي وقيل ان قوله انا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا الى آخر السورة مكيّ والباقي مدني

عدد آيها

احدى وثلاثون آية بالاجماع

فضلها

ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريراً وقال ابو جعفر(ع) من قرأ سورة هل اتى في كل غداة خميس زوّجه الله من الحور العين مائة عذراء واربعة آلاف ثيب وكان مع محمد ﷺ

تفسيرها

ختم الله سبحانه يوم القيامة بأن دلَّ على صحة البعث بخلق الانسان من نطفة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا (٢) إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا (٣) إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٤) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا (٥) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٦) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ

أَللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٧) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٨) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (٩) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ أَللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً (١٠) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (عشر آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة وابو بكر عن عاصم والكسائي سلاسلا بالتنوين وكذلك قواريرا قواريرا[1] ويقفون بالألف على الجميع وقرأ ابن كثير وخلف سلاسل بغير تنوين وقواريرا قوارير الاول بالتنوين والثاني بغير تنوين ويقفان على سلاسل وقوارير الثانية بغير الألف وقرأ حمزة ويعقوب بغير تنوين في الجميع ويقفان بغير الف عليها وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحفص بغير تنوين فيها ايضاً الا انهم يقفون على سلاسل وقواريرا الأولى بالألف وعلى قوارير الثانية بغير الف غير ان شجاعاً يقف على سلاسل ايضا بغير الف

الحجة

قال ابو علي حجة من صرف سلاسلا وقواريراً في الوصل والوقف امران ✻ احدهما ✻ ان ابا الحسن قال سمعنا من العرب من يصرف هذا ويصرف جميع ما لا ينصرف قال وهذه لغة اهل الشعر لانهم اضطروا اليه في الشعر فصرفوه فجرت السنتهم على ذلك واحتملوا ذلك في الشعر لأنه يحتمل الزيادة كما يحتمل النقص فاحتملوا زيادة التنوين والأمر الآخر ان هذه الجموع اشبهت الآحاد لأنهم قالوا صواحبات يوسف فلما جمعت جمع الآحاد المنصرفة جعلوه في حكمها فصرفوها قال ابو الحسن و كثير من العرب يقول مواليات يريد الموالي وانشد للفرزدق

فَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسِي الأَبْصَارِ[2]

فهذا كأنه جمع نواكس ومن قرأ بغير تنوين ولا الف فإنه جعله كقوله لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد والحاق الألف في سلاسل وقوارير كإلحاقه في قوله الظنونا والسبيلا والرسولا يشبه ذلك بالإطلاق في القوافي من حيث كانت مثلها في انها كلام تام

اللغة

الدهر مرور الليل والنهار وجمعه ادهر ودهور واصل النطفة الماء القليل وقد تقع على الكثير قال امير المؤمنين (ع) حين ذكر الخوارج مصارعهم دون النطفة يريد النهروان والجمع نطاف ونطف قال الشاعر :

وَمَا النَّفْسُ إِلَّا نُطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ إِذَا لَمْ تُكَدَّرْ كَانَ صَفْواً غَدِيرُهَا

وواحد الأمشاج مشيج ومشجت هذا بهذا اي خلطته وهو ممشوج ومشيج وواحد الأبرار بارّ نحو ناصر وانصار وبر ايضاً والكأس الإناء اذا كان فيه شراب قال عمرو بن كلثوم

صَدَدْتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا[3]

وأوفى بالعقد ووفى به فأوفى لغة اهل الحجاز ووفى لغة تميم واهل نجد والنذر عقد على فعل برّ يوجبه الانسان على نفسه نذر ينذر قال عنترة

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا وَالنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَمْ أَقْهُمَا دَمِي[4]

(١) اى فيما يأتي في آية ١٥ – ١٦ من هذه السورة . (٢) وفي رواية الفراء والكسائي «نواكس الابصار» بغير الياء مفتوحاً . (٣) البيت من المعلقات وفي رواية «صبنت» وهو بمعنى الصد ايضاً . يقول : كان مجرى الكأس في العادة من يمين المجلس ؛ وأنت يا ام عمر أجريتها على خلاف العادة ونسب بعض هذا البيت الى عمرو بن عدى اللخمي ابن اخت جزيمة ←

اي يقولان ان لقينا عنترة لنقتلنه والمستطير المنتشر قال الاعشى

فَبانَتْ وَقَدْ اَسْأَرَتْ فِي الفُؤادِ صَدْعاً عَلَى نَأْيِها مُسْتَطِيراً (١)

والقمطرير الشديد في الشر وقد اقمطر اليوم اقمطراراً ويوم قمطرير وقماطر كأنه قد التفّ شرّه بعضه على بعض قال الشاعر

بَني عَمِّنا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلاءَنا عَلَيْكُمْ إِذا ما كانَ يَوْمٌ قَماطِرُ

قيل ان هل هنا بمعنى قد قال الشاعر

اَمْ هَلْ كَبيرٌ بَكى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ إِثْرَ الأَحِبَّةِ يَوْمَ البَيْنِ مَشْكُومُ (٢)

الاعراب

لم يكن شيئاً جملة في محل الرفع لأنها صفة حين والتقدير لم يكن فيه شيئاً مذكوراً وأمشاج يجوز ان يكون صفة لنطفة ويجوز ان يكون بدلا والوصف بالجمع مثل قولهم بُرمة اعشار وثوب اَسمال (٣) ونبتليه في موضع نصب على الحال. اما شاكراً واما كفوراً حالان من الهاء في هديناه اي هديناه شاكراً او كفوراً وقوله عيناً في انتصابه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون بدلا من كافوراً اذا جعلت الكافور اسم عين فيكون بدل الكل من الكل ﴿ والثاني ﴾ ان يكون بدلا من قوله من كأس أي يسقون من عين ثم حذف الجار فوصل الفعل اليه فنصبه ﴿ والثالث ﴾ ان يكون منصوباً على المدح والتقدير اعني عيناً يشرب بها الباء مزيدة أي يشربها والمعنى يشرب ماؤها لأن العين لا تشرب وانما يشرب ماؤها

النزول

قد روى الخاص والعام ان الآيات من هذه السورة وهي قوله ان الابرار يشربون الى قوله وكان سعيكم مشكوراً نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وابي صالح ﴿ والقصة طويلة ﴾

جملتها انهم قالوا مرض الحسن والحسين (ع) فعادها جدّهما ﷺ ووجوه العرب وقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً فنذر صوم ثلاثة ايام ان شفاهما الله سبحانه ونذرت فاطمة (ع) كذلك و كذلك فضة فبرءا وليس عندهم شيء فاستقرض علي (ع) ثلاثة اصوع من شعير من يهودي وروي انه اخذها ليغزل له صوفاً وجاء به الى فاطمة (ع) فطحنت صاعاً منها فاختبزته وصلّى عليٌّ المغرب وقربته اليهم فأتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثاني اخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدمته الى علي (ع) فاذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثالث عمدت الى الباقي فطحنته واختبزته وقدمته الى علي (ع) فإذا اسير بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم اتى علي (ع) ومعه الحسن والحسين (ع) الى النبي ﷺ وبهما ضعف فبكى رسول الله ﷺ ونزل جبرئيل (ع) بسورة هل اتى وفي رواية عطاء عن ابن عباس ان علي ابن ابي طالب (ع) اجر نفسه ليستقي نخلا بشيء (٤) من شعير ليلة حتى اصبح فلما اصبح وقبض الشعير طحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة فلما تمّ انضاجه اتى مسكين فأخرجوا اليه الطعام ثم عمل الثلث الثاني فلما تمّ انضاجه اتى يتيم فسأل فأطعموه ثم عمل الثلث الثالث فلما تمّ انضاجه اتى اسير من المشركين فسأل فأطعموه

← الابرش . (٤) هذا البيت من المعلقات ايضاً يهجو فيه حصيناً وهرماً ابناضمضم وقدذكرهما في بيت قبله ، يقول : اللذان يشتمان عرضي ولم اشتمها انا ، والموجبان على انفسهما سفك دمي اذالم أردهما : يريد انهما يتواعدانه حال غيبته فأما في الحضور فلا يتجاسران عليه (١) اسأرت اى ابقت من السؤر بمعنى البقية. والصدع : الشق . والنأى : البعد . ←

وطووا يومهم ذلك ذكره الواحدي في تفسيره وذكر علي بن ابراهيم ان اباه حدثه عن عبد الله بن ميمون عن ابي عبد الله (ع) قال كان عند فاطمة شعير فجعلوه عصيدة فلما انضجوها ووضعوها بين ايديهم جاء مسكين فقال المسكين رحمكم الله فقام عليّ فأعطاه ثلثها فلم يلبث ان جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم الله فقام علي (ع) فأعطاه الثلث ثم جاء اسير فقال الأسير رحمكم الله فأعطاه علي (ع) الثلث الباقي وما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم وهي جارية في كل مؤمن فعل ذلك لله عز وجل وفي هذا دلالة على ان السورة مدنية وقال ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني الحسن بن الحسن ابو عبد الله بن الحسن انها مدنية نزلت في علي وفاطمة السورة كلها حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القايني قال اخبرنا الحاكم ابو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا ابو نصر المفسر قال حدثني عمي ابو حامد املاء قال حدّثني الفزاري ابو يوسف يعقوب بن محمد المقري قال حدثنا محمد بن يزيد السلمي قال حدثنا زيد بن موسى قال حدثنا عمرو بن هارون عن عثمان بن عطاء عن ابيه عن ابن عباس قال اول ما انزل بمكة اقرأ باسم ربك ثم نَ والقلم ثم المزمل ثم المدثر ثم تبت ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الأعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهيكم التكاثر ثم أرأيت ثم الكافرون ثم ألم تر كيف ثم قل اعوذ برب الفلق ثم قل اعوذ برب الناس ثم قل هو الله احد ثم والنجم ثم عبس ثم انا انزلناه ثم والشمس ثم البروج ثم والتين ثم لإيلاف ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم والمرسلات ثم قَ ثم لا اقسم بهذا البلد ثم الطارق ثم اقتربت ثم ص ثم الاعراف ثم قل اوحي ثم يس ثم الفرقان ثم الملائكة ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم بني اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم لقمان ثم القمر ثم سبا ثم الزمر ثم حم المؤمن ثم حم السجدة ثم حمعسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الأحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الأنبياء ثم المؤمنون ثم الم تنزيل ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم ذو المعارج ثم عمّ يتساءلون ثم النازعات ثم انفطرت ثم انشقت ثم الروم ثم العنكبوت ثم المطففين فهذه انزلت بمكة وهي خمس وثمانون سورة ثم انزلت بالمدينة البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم إذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سورة الصف ثم سورة الفتح ثم سورة المائدة ثم سورة التوبة فهذه ثمان وعشرون سورة وقد رواه الاستاذ احمد الزاهد باسناده عن عثمان بن عطاء عن ابيه عن ابن عباس في كتاب الايضاح وزاد فيه وكانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة وباسناده عن عكرمة والحسن بن ابي الحسن البصري ان اول ما انزل الله من القرآن بمكة على الترتيب اقرأ باسم ربك ون والمزمل الى قوله وما نزل بالمدينة ويل للمطففين والبقرة والأنفال وآل عمران والأحزاب والمائدة والممتحنة والنساء وإذا زلزلت والحديد وسورة محمد ﷺ والرعد والرحمن وهل اتى على الانسان إلى آخره وباسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن ابي طالب (ع) انه قال سألت النبي عن ثواب القرآن فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فاول ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب ثم اقرأ باسم ربك ثم نَ إلى ان قال واول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد ثم سورة الرحمن

(٢) و في بعض النسخ «كثير» مكان «كبير» والعبرة : الدمعة . والشكم : الجزاء . (٣) البرمة : القدر من الحجر . و اعشارجمع العشر ـ بالكسر ـ : القطعة من كل شيء كسر الى عشر قطع . والاسمال جمع السمل ـ محركة : الثوب الخلق (٤) الحريرة : دقيق يطبخ بلبن أودسم . وفي بعض الكتب ككتاب اسباب النزول للواحدي (ط مصر: ٢٥١) الخزيرة ←

ثم هل اتى إلى قوله فهذا ما انزل بالمدينة ثم قال النبي ﷺ جميع سور القرآن مائة واربع عشرة سورة وجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلاثون آية وجميع حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتان وخمسون حرفاً لا يرغب في تعلم القرآن إلا السعداء ولا يتعهد قراءته إلا أولياء الرحمن

﴿ أقول ﴾ قد اتسع نطاق الكلام في هذا الباب حتى كاد يخرج عن اسلوب الكتاب وربما نسبنا به إلى الإطناب ولكن الغرض فيه ان بعض اهل العصبية قد طعن في هذه القصة بأن قال هذه السورة مكية فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينة واستدل بذلك على انها مخترعة جرأة على الله سبحانه وعداوة لأهل بيت رسوله فأحببت ايضاح الحق في ذلك وايراد البرهان في معناه وكشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه على انه كما ترى يحتوي على السر المخزون والدر المكنون من هذا العلم الذي يستضاء بنوره ويتلألأ بزهوره وهو معرفة ترتيب السور في التنزيل وحصر عددها على الجملة والتفصيل اللهم امددنا بتأييدك وايدنا بتوفيقك فأنت الرجاء والأمل وعلى فضلك المعول والمتكل

﴿ المعنى ﴾

(هل أتى) معناه قد أتى (على الانسان) اي ألم يأت على الانسان (حين من الدهر) وقد كان شيئا إلا انه (لم يكن شيئا مذكورا) لأنه كان تراباً وطيناً الى ان نفخ فيه الروح عن الزجاج وعلى هذا فهل هنا لاستفهام يراد به التقرير قال الجبائي وهو تقرير على ألطف الوجوه وتقديره أيها المنكر للصانع وقدرته أليس قد اتى عليك دهور لم تكن شيئاً مذكوراً ثم ذكرت وكل احد يعلم من نفسه انه لم يكن موجوداً ثم وجد فاذا تفكر في ذلك علم ان له صانعاً صنعه ومحدثاً احدثه والمراد بالإنسان هنا آدم (ع) وهو اول من سمي به عن الحسن وقتادة وسفيان والجبائي وقيل إن المراد به كل انسان والألف واللام للجنس عن ابي مسلم وقيل انه اتى على آدم (ع) اربعون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض بل كان جسداً ملقى من طين قبل ان ينفخ فيه الروح وروى عطاء عن ابن عباس انه تمّ خلقه بعد عشرين ومائة سنة وروى العياشي باسناده عن عبد الله ابن بكير عن زرارة قال سألت ابا جعفر (ع) عن قوله لم يكن شيئاً مذكوراً قال كان شيئاً ولم يكن مذكوراً وباسناده عن سعيد الحداد عن ابي جعفر (ع) قال كان مذكورا في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق وعن عبد الأعلى مولى آل سام عن ابي عبد الله (ع) مثله وعن حمران بن اعين قال سألت عنه فقال كان شيئاً مقدوراً ولم يكن مكونا وفي هذا دلالة على ان المعدوم معلوم وإن لم يكن مذكوراً وان المعدوم يسمى شيئاً فإذا حملت الإنسان على الجنس فالمراد انه قبل الولادة لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى من هو وما يراد به بل يكون معدوماً ثم يوجد في صلب أبيه ثم في رحم امه الى وقت الولادة وقيل المراد به العلماء لأنهم كانوا لا يذكرون فصيّرهم الله سبحانه بالعلم مذكورين بين الخاص والعام في حياتهم وبعد مماتهم وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ هذه الآية فقال ليت ذلك ثمّ يعني ليت آدم بقي على ما كان فكان لا يلد ولا يبتلى اولاده ثم قال سبحانه (انا خلقنا الانسان) يعني ولد آدم (ع) (من نطفة) وهي ماء الرجل والمرأة الذي يخلق منه الولد (امشاج) اي اخلاط من ماء الرجل وماء المرأة في الرحم فأيّهما علا ماء صاحبه كان الشبه له عن ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقيل امشاج اطوار طوراً نطفة وطوراً علقة وطوراً مضغة وطوراً عظاما الى أن صار انسانا عن قتادة وقيل أراد اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء فهي مختلفة الألوان عن مجاهد والضحاك والكلبي وروي ايضاً عن ابن عباس وقيل نطفة مشجت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض عن الحسن وقيل هي العروق التي تكون في النطفة عن ابن مسعود وقيل امشاج اخلاط من الطبائع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة جعلها الله في النطفة ثم بناه الله البنية الحيوانية المعدلة

← بالخاء ثم الزاء المعجمتين ـ : وهي الحساء من الدسم والدقيق وقيل : اذا كانت فيها لحم فهي خزيرة وبدونه عصيدة أو حريرة . وقيل : غير ذلك راجع كتاب اللسان «خزر» .

الاخلاط ثم جعل فيه الحياة ثم شق له السمع والبصر فتبارك الله رب العالمين وذلك قوله فجعلناه سميعاً بصيراً وقوله (نبتليه) اي نختبره بما نكلفه من الافعال الشاقة ليظهر اما طاعته واما عصيانه فنجازيه بحسب ذلك قال الفراء معناه (فجعلناه سميعاً بصيراً) لنبتليه اي لنتعبده ونأمره وننهاه والمراد فأعطيناه آلة السمع والبصر ليتمكن من السمع والبصر ومعرفة ما كلف (انا هديناه السبيل) اي بيّنا له الطريق ونصبنا له الادلة وازحنا له العلة حتى يتمكن من معرفة الحق والباطل وقيل هو طريق الخير والشر عن قتادة وقيل الصبيل هو طريق معرفة الدين الذي به يتوصل الى ثواب الابد ويلزم كل مكلف سلوكه وهو ادلة العقل والشرع التي يعمّ جميع المكلفين (اما شاكرا واما كفورا) قال الفراء معناه ان شكر وان كفر على الجزاء وقال الزجاج معناه ليختار اما السعادة واما الشقاوة والمراد اما ان يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى والاعتراف بنعمه فيصيب الحظ واما ان يكفر نعم الله ويجحد احسانه فيكون ضالا عن الصواب فايتهما اختار جوزي عليه بحسبه وهذا كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وفي هذه الآية دلالة على ان الله قد هدى جميع خلقه لأن اللفظ عام ثم بيّن سبحانه ما اعدّه للكافرين فقال (انا اعتدنا للكافرين) اي هيّأنا وادّخرنا لهم جزاء على كفرانهم وعصيانهم (سلاسل) يعني في جهنم كما قال في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا (واغلالا وسعيرا) نار موقدة نعذّبهم بها ونعاقبهم فيها ثم ذكر ما اعدّه للشاكرين المطيعين فقال (إن الأبرار) وهو جمع البر المطيع لله المحسن في افعاله وقال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر وقيل هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة وقد اجمع اهل البيت (ع) وموافقوهم وكثير من مخالفيهم ان المراد بذلك علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام والآية مع ما بعدها متعينة فيهم وايضا فقد انعقد الاجماع على انهم كانوا ابراراً وفي غيرهم خلاف (يشربون من كأس) اناء فيه شراب (كان مزاجها) اي ما يمازجها (كافوراً) وهو اسم عين ماء في الجنة عن عطاء والكلبي واختاره الفراء قال ويدل عليه قوله عينا وهي كالمفسرة للكافور وقيل يعني الكافور الذي له رائحة طيبة والمعنى يمازجه ريح الكافور وليس ككافور الدنيا عن مجاهد ومقاتل قال قتادة يمزج بالكافور ويختم بالمسك وقيل معناه طيب بالكافور والمسك والزنجبيل عن ابن كيسان (عينا يشرب بها عباد الله) اي اولياؤه عن ابن عباس اي هذا الشراب من عين يشرب بها اولياء الله وخصّهم بأنهم عباد الله تشريفاً وتبجيلا قال الفراء شربها وشرب بها سواء في المعنى كما يقولون تكلمت بكلام حسن وكلاما حسناً قال عنترة

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدَّحْرَضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ ... عَسِراً عَلَيَّ طِلَابُهَا ابْنَةَ مَخْرَمِ (١)

وانشد الفراء

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ ... مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ (٢)

اي صوت (يفجرونها تفجيراً) اي يقودون تلك العين حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم عن مجاهد والتفجير تشقيق الارض بجري الماء قال وانهار الجنة تجري بغير اخدود فاذا اراد المؤمن أن يجري نهراً خطّ خطاً فينبع الماء من ذلك الموضع ويجري بغير تعب ثم وصف سبحانه هؤلاء الابرار فقال (يوفون بالنذر) اي كانوا في الدنيا بهذه الصفة والايفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه فاذا نذر طاعة تمّمها ووفى بها عن مجاهد وعكرمة وقيل يتمّون ما فرض الله عليهم من الواجبات عن قتادة (ويخافون يوما كان شرّه مستطيراً) اي فاشياً منتشراً ذاهباً في الجهات بلغ اقصى المبالغ وسمّي العذاب شرّاً لانه لا خير فيه للمعاقبين وان كان في نفسه حسناً لكونه مستحقاً وقيل المراد بالشر هنا اهوال يوم القيامة وشدائده (ويطعمون الطعام على حبه) اي على حب الطعام والمعنى يطعمون الطعام اشدّ ما تكون حاجتهم اليه وصفهم الله سبحانه بالاثرة على انفسهم وفي الحديث عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من مسلم اطعم مسلما على جوع إلا اطعمه الله من ثمار الجنة وما من

(١) كذا في النسخ لكن في المعلقات ورواية الزوزني وغيره هكذا: وحلت بارض العاشقين فاصبحت * عسراً على طلابك ابنة محزم، ورووا كلهم «طلابك» بكاف المخاطبة . و قدمر بمعناه في ج٤ : ٤٧٠ . ثم ذكر بعد ابيات هذا البيت: شربت بماء الدحرضين فأصبحت * زوراء تنفر عن حياض الديلم، والدحرضان : اسم موضع وقيل : هما دحرض ووشيع ←

مسلم كسا اخاه على عري إلا كساه الله من خضر الجنة ومن سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق قال ابن عباس يطعمون الطعام على شهوتهم له ومحبتهم اياه وقيل الهاء كناية عن الله تعالى اي يطعمون الطعام على حبّ الله (مسكينا) وهو الفقير الذي لا شيء له (ويتيما) وهو الذي لا والد له من الاطفال (وأسيراً) وهو المأخوذ من اهل دار الحرب عن قتادة وقيل هو المحبوس من اهل القبلة عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل الاسير المرأة (انما نطعمكم لوجه الله) أي لطلب رضا الله خالصاً لله مخلصاً من الرياء وطلب الجزاء وهو قوله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وهو مصدر مثل القعود والجلوس وقيل انهم لم يتكلموا بذلك ولكن علم الله سبحانه ما في قلوبهم فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك الراغب من سعيد بن جبير ومجاهد والمراد لا نطلب بهذا الطعام مكافأة عاجلة ولا نريد ان تشكرونا عليه عند الخلق بل فعلناه لله (إنا نخاف من ربنا يوما) أي عذاب يوم (عبوساً) أي مكفهراً تعبس فيه الوجوه ووصف اليوم بالعبوس توسعاً لما فيه من الشدة وهذا كما يقال يوم صائم وليل قائم قال ابن عباس يعبس فيه الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران (قمطريرا) أي صعباً شديداً عن ابي عبيدة والمبرد وقال الحسن سبحان الله ما أشدّ اسمه وهو من اسمه اشدّ وقيل القمطرير الذي يقلص الوجوه ويقبض الجباه وما بين الأعين من شدته عن قتادة

قوله تعالى (١١) فَوَقَيٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١٢) وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٣) مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٤) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٥) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ (١٦) قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٧) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٨) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٩) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (٢٠) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢١) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢٢) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (اثنتا عشرة آية)

القراءة

قرأ الشعبي وعبيد بن عمير قُدِّروها بضم القاف والقراءة المشهورة قَدَّروها بفتح القاف وقرأ اهل المدينة وحمزة عالِيهم ساكنة الياء والباقون عالِيَهم بفتح الياء وقرأ اهل البصرة وابو جعفر وابن عامر خُضْرٌ بالرفع واستبرقٌ بالجر وقرأ ابن كثير وابو بكر خُضرٍ بالجر واستبرقٌ بالرفع وقرأ نافع وحسن بالرفع فيهما وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالجر فيهما

الحجة

من قرأ قَدَّروها بالفتح فالمعنى قَدَّروها في انفسهم فجاءت كما قَدَّروها ومن قرأ بالضم اراد ان ذلك قُدِّر لهم اي قدّره الله لهم كذلك قال ابو علي الضمير في قدّروها للخزان او الملائكة اي قدّروها على ربهم لا ينقص من ذلك ولا يزيد عليه ومن قرأ قُدِّروها فهو على هذا المعنى يريد ـ كان اللفظ قدروا عليها فحذف الجار كما حذف من قوله

كَأَنَّهُ وَاضِحُ الْأَقْرَابِ فِي لَقَحٍ ... أَسْمَى بِهِنَّ وَعَزَّتْهُ الْأَنَاصِيلُ (١)

فلما حذف الحرف وصل الفعل فكذلك قوله قدروها إلا ان المعنى قدرت عليهم اي على ربهم فقلب كما قال

لَا تَحْسَبَنَّ دَرَاهِمًا سَرَقْتَهَا ... تَمْحُو مَخَازِيَكَ الَّتِي بِعَمَانِ

← فقلب احدهما على الاخر كالقمرين للشمس والقمر ، والعمرين لابي بكر وعمر . (٢) الشعر في جامع الشواهد .

(١) أي عزت عليه وقدم البيت بمعناه .

وعلى هذا يتأول قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة ومثل هذا ما حكاه ابو زيد إذا طلعت الجوزاء اوفى السود في الجرباء قال ومن نصب عاليهم فإن النصب يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون حالا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ظرفا فأما الحال فيحتمل ان يكون العامل فيها احد شيئين ﴿ احدهما ﴾ لقاهم ﴿ والآخر ﴾ جزاهم ومثله في كونه حالا متكئين فيها على الارائك فإن قلت لم لا يكون متكئين صفة جنة وفيها ذكر لها قيل لا يجوز ذلك ألا ترى انه لو كان كذلك للزمك ان تبرز الضمير الذي في اسم الفاعل من حيث كان صفة للجنة وليس الفعل لها فإذا لم يجز ذلك كان حالا وكذلك قوله ودانية عليهم ظلالها إلا انه يجوز في قوله ودانية عليهم ظلالها امران ﴿ احدهما ﴾ الحال ﴿ والآخر ﴾ ان ينتصب على انه مفعول به ويكون المعنى وجزاهم جنة وحريرا أي لبس حرير ودخول جنة ودانية عليهم ظلالها فيكون على هذا التقدير كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فإن لم تحمله على هذا وقلت إنه يعرض فيه اقامة الصفة مقام الموصوف وإن ذلك ليس بالمطرح في كلامهم وإذا حملته على الحال يكون مثل ما عطفته عليه من قوله متكئين ودانية عليهم وكذلك يكون عاليهم ثياب سندس معطوفا على ما انتصب على الحال في السورة فيكون ثياب سندس مرتفعة باسم الفاعل والضمير عائد إلى ذي الحال من قوله عاليهم وفي الشواذ عاليتهم قراءة الاعمش ويكون بمنزلة قوله خاشعا ابصارهم وخاشعة ابصارهم ومن جعله ظرفا فإنه لما كان عالي بمعنى فوق اجري مجراه في هذا ومن قرأ عاليهم بسكون الياء جعله مبتدأ وثياب سندس خبره ويكون عاليهم المبتدأ في موضع الجماعة كما ان الخبر جماعة وقد جاء اسم الفاعل في موضع جماعة قال

أَلَا إِنَّ جِيرَانِي الْعَشِيَّةَ رَائِحُ ... دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ مِنْ هَوًى وَمَنَادِحُ

وفي التنزيل مستكبرين به سامراً تهجرون فقطع دابر القوم الذين ظلموا فكأنه أفرد من حيث جعل بمعنى المصدر من نحو قوله « وَلَا خَارِجاً مِنْ فِي زُورِ كَلَامِ »[1] وقد قالوا الجامل والباقر يراد بها الكثرة واخذ عليه البصير النحوي الملقب بجامع العلوم هذا الكلام ونسبه فيه إلى سوء التأمل وقال عاليهم بسكون الياء صفة الولدان أي يطوف عليهم ولدان عاليهم ثياب سندس فيرتفع ثياب سندس باسم الفاعل الجاري صفة على الموصوف وأقول وبالله التوفيق اني لأرى ان نظر هذا الفاضل قد اختل كما ان بصره قد اعتل فرمى أبا علي بداته وانسل ألم ينظر في خاتمة هذه الآية إلى قوله سبحانه وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ثم قوله عقيب ذلك ان هذا كان لكم جزاء فيعرف ان الضمير في عاليهم هو بعينه في وسقاهم وهو ضمير المخاطبين في لكم وهذا الضمير لا يمكن أن يعود إلا إلى الابرار المثابين المجازين دون الولدان المخلدين الذين هم من جملة ثوابهم وجزائهم اللهم الك الحمد على تأييدك وتسديدك رجعنا إلى كلام ابي علي قال ويجوز على قياس قول ابي الحسن في قائم اخواك واعمال اسم الفاعل عمل الفعل وإن لم يعتمد على شيء أن يكون ثياب سندس مرتفعة بعاليهم وافردت عالياً لأنه فعل متقدم قال ابو علي والأوجه قراءة من قال خضر بالرفع واستبرق بالجر لأن خضراً صفة مجموعة لموصوف مجموع وهو ثياب وأما استبرق فجر من حيث كان جنساً اضيفت اليه الثياب كما اضيفت إلى سندس كما يقال ثياب خز وكتان ويدل على ذلك قوله ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ومن قرأ خضر واستبرق فإنه اجرى الخضر وهو جمع على السندس لما كان المعنى ان الثياب من هذا الجنس وأجاز ابو الحسن وصف هذه الاجناس بالجمع فقال تقول أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض على استقباح له ومن رفع استبرق فإنما اراد عطف الاستبرق على الثياب كأنه ثياب سندس وثياب استبرق فحذف المضاف الذي هو ثياب واقام استبرق مقامه كما انك إذا قلت عليه خز بمعنى عليه ثوب خز وليس المعنى ان عليه الدابة التي هي الخز وعلى هذا قوله

كَأَنَّ خَزّاً تَحْتَهُ وَقَزّاً ... وَفُرُشاً مَحْشُوَّةً أَوْزّا

(١) قائله فرزدق وقبله «على قسم لااشتم الدهر مسلماً» والبيت من قصيدة قالها في مربد .

اللغة

الوقاية الحفظ والمنع من الأذى وقاه يقيه وقاية ووقاه توقية قال رؤبة« أنَّ المُوقِّي مِثْل ما وُقِيتُ» ومنه اتقاه وتوقاه وأصل الشر الظهور فهو ظهور الضرر ومنه شررت الثوب إذا ظهرته للشمس أو الريح قال «وَحَتَّى اشْرَأَرَّتْ بِالأَكُفِّ المَصَاحِفُ»(١) اى ظهرت ومنه شرر النار لظهوره بتطايره والنضرة حسن الالوان ونبت ناضر ونضير ونضر والسرور اعتقاد وصول المنافع اليه في المستقبل وقال قوم هو لذة في القلب فحسب متعلقة بما فيه النفع و كل سرور فلا بدَّ له من متعلق كالسرور بالمال والولد والسرور بالاكرام والاجلال والسرور بالحمد والشكر والسرور بالثواب والأرائك الحجال فيها الاسرة واحدتها أريكة قال الزجاج الاريكة كل ما يتكأ عليه من مِسْوَرَة(٢) او غيرها والزمهرير أشدّ ما يكون من البرد والزنجبيل ضرب من القرفة طيب الطعم يحذو اللسان ويربي بالعسل ويستدفع به المضارّ وإذا مزج به الشراب فاق في الالذاذ والعرب تستطيب الزنجبيل جداً قال الشاعر

كَأَنَّ القَرَنْفُلَ وَالزَّنْجَبِيلَ بَاتَا بِفِيهَا وَأَرْيًا مَشُورًا(٣)

والسلسبيل الشراب السهل اللذيذ يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل والولدان الغلمان جمع وليد والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق

الاعراب

و إذا رأيت ثم قال الزجاج العامل في ثم معنى رأيت والمعنى وإذا رأيت ببصرك ثم قال الفراء المعنى و إذا رأيت ما ثم وغلطه الزجاج في ذلك وقال ان ما تكون موصولة بقوله ثم على هذا التفسير ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رأيت يتعدى في المعنى إلى ثم وأقول يجوز ان يكون مفعول رأيت محذوفاً ويكون ثم ظرفا والتقدير واذا رأيت ما ذكرناه ثم

المعنى

ثم أخبر سبحانه بما أعدَّ للابرار الموصوفين في الآيات الاولى من الجزاء فقال (فوقيهم الله شر ذلك اليوم) أي كفاهم الله ومنع منهم اهوال يوم القيامة وشدائده (ولقيهم نضرة وسرورا) أي استقبلهم بذلك (وجزيهم) أي و كافأهم (بما صبروا) أي بصبرهم على طاعته واجتناب معاصيه وتحمل محن الدنيا وشدائدها (جنة) يسكنونها (وحريرا) من لباس الجنة يلبسونه ويفرشونه (متكئين) أي جالسين حلوس الملوك (فيها) أي في الجنة (على الارائك) أي الاسرة في الحجال عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل كلما يتكأ عليه فهو اريكة عن الزجاج وقيل الارائك الفرش فوق الاسرة عن ابي مسلم (لا يرون فيها) اي في تلك الجنة (شمسا) يتأذون بحرّها (ولا زمهريرا) يتأذون ببرده (ودانية عليهم ظلالها) يعني ان افياء اشجار تلك الجنة قريبة منهم وقيل ان ظلال الجنة لا تنسخها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا (وذللت قطوفها تذليلا) أي وسخرت وسهل أخذ ثمارها تسخيرا ان قام ارتفعت بقدره وان قعد نزلت عليه حتى بنانها وان اضطجع تدلت حتى تنالها يده عن مجاهد وقيل معناه لا يرد ايديهم عنها بعد ولاشوك (ويطاف عليهم) أي على هؤلاء الابرار الموصوفين قبل (بآنية من فضة واكواب) جمع كوب وهو إناء للشرب من غير عروة وقيل الاكواب الاقداح عن مجاهد (كانت) تلك الاكواب (قواريرا) أي زجاجات (من فضة) قال الصادق (ع) ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج والمعنى أن اصلها من فضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير فيرى من خارجها ما في داخلها قال ابو علي إن سئل فقيل كيف تكون القوارير من فضة وإنما القوارير من الرمل دونها فالقول في ذلك أن الشيء إذا قاربه شيء واشتدت ملابسته له قيل انه من كذا وان لم يكن منه في الحقيقة كقول البعيث

أَلَا أَصْبَحَتْ خَنْسَاءُ خَارِمَةَ الوَصْلِ وَضَنَّتْ عَلَيْنَا وَالضَّنِينُ مِنَ البُخْلِ(٤)

(١) قائله حصين بن حمام المرى يذكر يوم صفين وصدره « فما برحوا حتى برى الله صبرهم » (٢) المسورة : المتكأ من جلد (٣) الاري: العسل والمشور من شرت العسل شوراً والشور: موضع النحل الذى يعسل فيه. (٤) الخارم التارك .

وَصَدَّتْ فَأَعْدَانَا بِهِجْرٍ صُدُودُهَا وَهُنَّ مِنَ الْأَخْلَافِ قَبْلَكَ وَالْمَطْلِ

وقال أَلَا فِي سَبِيلِ اللهِ تَغْيِيرُ لِمَّتِي وَوَجْهُكَ مِمَّا فِي الْقَوَارِيرِ أَصْفَرُ

فعلى هذا يجوز قوارير من فضة أي هي في صفاء الفضة ونقائها ويجوز تقدير حذف المضاف أي من صفاء الفضة وقوارير الثانية بدل من الاولى وليست بتكرار وقيل ان قوارير كل ارض من تربتها وأرض الجنة فضة فلذلك كانت قواريرها مثل الفضة عن ابن عباس (قدروها تقديرا) أي قدروا الكأس على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص من الري والضمير في قدّروها للسقاة والخدم الذين يسقون فإنهم يقدرونها ثم يسقون وقيل قدروها على قدر ملء الكف أي كانت الاكواب على قدر ما اشتهوا لم تعظم ولم يثقل الكف من حملها عن الربيع والقرظي وقيل قدروها في انفسهم قبل مجيئها على صفة فجاءت على ما قدروا والضمير في قدروا للشاربين (ويسقون فيها) أي في الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قال مقاتل لا يشبه زنجبيل الدنيا وقال ابن عباس كل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا ولكن سماه الله بالاسم الذي يعرف والزنجبيل مما كانت العرب تستطيبه فلذلك ذكره في القرآن ووعدهم انهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أي تمزج الخمر بالزنجبيل والزنجبيل من عين تسمى تلك العين سلسبيلا قال ابن الأعرابي لم اسمع السلسبيل إلا في القرآن وقال الزجاج هو صفة لما كان في غاية السلاسة يعني انها سلسلة تتسلسل في الحلق وقيل سمي سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن إلى اهل الجنان عن ابي العالية ومقاتل وقيل سميت بذلك لأنها ينقاد ماؤها لهم يصرفونها حيث شاؤوا عن قتادة (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) سر تفسيره (إذا رأيتهم) يعني إذا رأيت اولئك الولدان (حسبتهم لؤلؤا منثورا) من الصفاء وحسن المنظر والكثرة فذكر لونهم وكثرتهم وقيل إنما شبّههم بالمنثور لانتشارهم في الخدمة فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم (واذا رأيت ثم) أي إذا رميت ببصرك ثَمَّ يعني الجنة وقيل ان تقديره واذا رأيت الاشياء ثَمَّ (رأيت نعيما) خطيرا (وملكا كبيرا) لا يزول ولا يفنى عن الصادق (ع) وقيل كبيرا اي واسعا يعني ان نعيم الجنة لا يوصف كثرة وانما يوصف بعضها وقيل الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم وتحيتهم بالسلام وقيل هو انهم لا يريدون شيئا إلا قدّروا عليه وقيل هو ان ادناهم منزلة ينظر في ملكه من مسيرة الف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو الملك الدائم الابدي في نفاذ الامر وحصول الاماني (عاليهم ثياب سندس) من جعله ظرفا فهو بمنزلة قولك فوقهم ثياب سندس ومن جعله حالا فهو بمنزلة قولك يعلوهم ثياب سندس وهو مارق من الثياب فيلبسونها وروي عن الصادق (ع) انه قال في معناه تعلوهم الثياب فيلبسونها (خضر واستبرق) وهو ما غلظ منها ولا يراد به الغلظ في السلك إنما يراد به الثخانة في النسج قال ابن عباس أما رأيت الرجل عليه ثياب والذي يعلوها افضلها (وحلوا اساور من فضة) الفضة الشفافة وهي التي يرى ما وراءها كما يرى من البلورة وهو افضل من الدر والياقوت وهما افضل من الذهب والفضة فتلك الفضة افضل من الذهب والفضة في الدنيا وهما أثمان الاشياء وقيل انهم يحلون بالذهب تارة وبالفضة أخرى ليجمعوا محاسن الحلية كما قال الله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب والفضة وان كانت دنية الثمن في الدنيا فهي في غاية الحسن خاصة إذا كانت بالصفة التي ذكرناها والغرض في الآخرة ما يكثر الاستلذاذ والسرور به لا ما يكثر ثمنه لأنه ليست هناك اثمان (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أي طاهرا من الاقذار والاقذاء لم تدنسها الايدي ولم تدسها الارجل كخمر الدنيا وقيل طهورا لا يصير بولا نجسا ولكن يصير رشحا في ابدانهم كريح المسك وان الرجل من اهل الجنة يقسم له شهوة مائة رجل من اهل الدنيا واكلهم ونهمتهم فاذا اكل ما شاء سقي شرابا طهورا فيطهر بطنه ويصير ما اكل رشحا يخرج من جلده اطيب ريحا من المسك الاذفر ويضمر بطنه وتعود شهوته عن ابرهيم التيمي وابي قلابة وقيل يطهرهم من كل

شيء سوى الله إذ لا طاهر من تدنس بشيء من الاكوان الا الله رووه عن جعفر بن محمد (ع) (ان هذا) يعني ما وصف من النعيم وانواع الملاذ (كان لكم جزاء) أي مكافأة على اعمالكم الحسنة وطاعتكم المبرورة (وكان سعيكم) في مرضاة الله وقيامكم بما امركم الله به (مشكورا) اي مقبولا مرضيا جوزيتم عليه فكأنه شكر لكم فعلكم

قوله تعالى (٢٣) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (٢٤) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٥) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٦) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٧) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (٢٨) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٩) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (٣٠) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣١) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (تسع آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وما يشاؤون بالياء. والباقون بالتاء. وفي الشواذ قراءة عبد الله بن الزبير وابان بن عثمان والظالمون بالواو

الحجة

وجه الياء. قوله تعالى فمن شاء اتخذ ووجه التاء. انه خطاب للكافة أي: تشاؤون الطاعة والاستقامة إلا ان يشاء الله او يكون محمولا على الخطاب واما قوله والظالمون فإنه على ارتجال جملة مستأنفة قال ابن جني كأنه قال الظالمون اعدَّلهم عذابا اليما ثم انه عطف الجملة على ما قبلها وقد سبق الرفع إلى مبتدئها غير ان قراءة الجماعة اسبق وهو النصب لأن معناه ويعذب الظالمين فلما اضمر هذا الفعل فسَّره بقوله اعدَّ لهم عذابا اليما وهذا اكثر من ان يؤتى له بشاهد قال الزجاج يقول النحويون اعطيت زيدا وعمراً اعددت له برا فيختارون النصب على معنى وبررت عمراً اعددت له براً وانشد غيره

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا ... أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذِّئْبَ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ ... وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ وَالْمَطَرَا

اللغة

الاسر اصله الشد ومنه قتب مأسور اي مشدود ومنه الأسير لأنهم كانوا يشدونه بالقدو قولهم خذ بأسره اي بشده قبل ان يحل ثم كثر حتى صار بمعنى خذ جميعه قال الاخطل

مِنْ كُلِّ مُجْتَنِبٍ شَدِيدٍ أَسْرُهُ ... سَلِسِ الْقِيَادِ تَخَالُهُ مُخْتَالاً (١)

الإعراب

قال الزجاج في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا او هنا اوكد من الواو لأنك إذا قلت لا تطع زيدا وعمراً فأطاع احدهما كان غير عاص لأنك أمرته ان لا يطيع الاثنين واذا قلت لا تطع منهم آثما او كفورا فأو قد دلت على ان كل واحد منهما اهل ان يعصى وانهما اهل ان يعصيا كما انك إذا قلت جالس الحسن او ابن سيرين فقد قلت كل واحد منهما اهل ان يجالس قال البصير النحوي او هذه التي للتخيير إذا قلت اضرب زيداً او عمراً

(١) يصف خيلا ؛ والمجتنب : الذى يجنبه صاحبه بجانب فرسه ولا يركب عليه ؛ وشديد الاسر : قوى . و مختالا اى تحسبه من نشاطه فيه اختيال لحسن مشيته .

فمعناه اضرب احدهما فإذا قلت لا تضرب زيدا او عمراً فمعناه لا تضرب احدهما فيحرم عليه ضربهما لأن احدهما في النفي يعمّم وابن كيسان يحمل النهي على الامر فيقول إذا قال لا تضرب احدهما لم يحرم عليه ضربهما وانما حرم في الآية طاعتهما لأن احدهما بمنزلة الآخر في امتناع الطاعة له ألا ترى ان الآثم مثل الكفور في هذا المعنى قال سيبويه ولو قال لا تطع آثما ولا تطع كفورا لانقلب المعنى إذ ذاك لأنه حينئذ لا تحرم طاعتهما كليهما

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) فيه شرف وتعظيم لك وقيل معناه فصلناه في الانزال آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة عن ابن عباس (فاصبر) يا محمد على ما امرتك به من تحمل اعباء الرسالة (لحكم ربك) أن تبلغ الكتاب وتعمل به وقيل انه امر لنبينا ﷺ بالصبر وان كذب فيما أتى به ووعيد لمن كذبه (ولا تطع منهم) أي من مشركي مكة (آثما) يعني عتبة بن ربيعة (أو كفوراً) يعني الوليد بن المغيرة فإنهما قالا له ارجع عن هذا الامر ونحن نرضيك بالمال والتزويج عن مقاتل وقيل الكفور ابو جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقال لئن رأيت محمدا يصلي لأطأنّ عنقه فنزلت الآية عن قتادة وقيل ان ذلك عام في كل عاص فاسق وكافر منهم اي من الناس اي لا تطع من يدعوك إلى إثم او كفر وهذا اولى لزيادة الفائدة وعدم التكرير (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) اي اقبل على شانك من ذكر الله والدعاء اليه وتبليغ الرسالة صباحا ومساء اي دائما فإن الله ناصرك ومؤيدك ومعينك والبكرة اول النهار والاصيل العشي وهو اصل الليل (ومن الليل فاسجد له) دخلت من للتبعيض والمعنى فاسجد له في بعض الليل لأنه لم يأمره بقيام الليل كله وقيل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) أي في ليل طويل يريد التطوع بعد المكتوبة وروي عن الرضا (ع) انه سأله احمد بن محمد عن هذه الآية وقال ما ذلك التسبيح قال صلاة الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة) أي يؤثرون اللذات والمنافع العاجلة في دار الدنيا (ويذرون وراءهم) أي ويتركون أمامهم (يوما ثقيلا) أي عسيراً شديدا والمعنى انهم لا يؤمنون به ولا يعملون له وقيل معنى وراءهم خلف ظهورهم وكلاهما محتمل ثم قال سبحانه (نحن خلقناهم وشددنا اسرهم) أي قوينا واحكمنا خلقهم عن قتادة ومجاهد وقيل اسرهم اي مفاصلهم عن الربيع وقيل اوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب عن الحسن ولولا احكامه اياها على هذا الترتيب لما امكن العمل بها والانتفاع منها وقيل شددنا اسرهم جعلناهم اقوياء عن الجبائي وقيل معناه كلّفناهم وشددناهم بالأمر والنهي كيلا يجاوزوا حدود الله كما يشد الأسير بالقد لئلا يهرب (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) أي اهلكناهم واتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم ولكن نبقيهم اتماما للحجة (ان هذه) السورة (تذكرة) أي تذكير وعظة يتذكر بها امر الآخرة عن قتادة وقيل ان هذه الرسالة التي تبلغها (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي فمن اراد اتخذ الى رضا ربه طريقا بأن يعمل بطاعته وينتهي عن معصيته وفي هذا دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل (وما تشاؤون إلا ان يشاء الله) أي وما تشاؤون اتخاذا لطريق الى مرضاة الله اختياراً الا أن يشاء الله اجباركم عليه والجاءكم اليه فحينئذ تشاؤون ولا ينفعكم ذلك والتكليف زائل ولم يشأ الله هذه المشيئة بل شاء ان تختاروا الإيمان لتستحقوا الثواب عن ابي مسلم وقيل معناه وما تشاؤون شيئا من العمل بطاعته الا والله يشاؤه ويريده وليس المراد بالآية انه سبحانه يشاء كل ما يشاء العبد من المعاصي والمباحات وغيرها لأن الدلائل الواضحة قد دلت على انه سبحانه لا يجوز ان يريد القبائح ويتعالى

عن ذلك وقد قال سبحانه ولا يريد بكم العسر وما الله يريد ظلما للعباد (ان الله كان عليما حكيما) مر معناه (يدخل من يشاء في رحمته) أي جنته يعني المؤمنين (والظالمين) يعني ويجزي الكافرين والمشركين (اعد لهم عذابا اليما)

سورة المرسلات مكية

وهي خمسون آية بلا خلاف

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين وروي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأها عرف الله بينه وبين محمد ﷺ

تفسيرها

لما ختم سبحانه سورة هل اتى بذكر القيامة وما اعد فيها للظالمين افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (٢) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٣) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٤) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٥) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٦) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٧) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٨) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٩) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (١٠) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١١) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١٢) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٣) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٥) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (خمس عشرة آية)

القراءة

قرأ اهل الحجاز والشام وابو بكر ويعقوب وسهل عذرا ساكنة الذال أو نذرا بضمها وروى محمد بن الحبيب عن الاعشى والبرجمي عن ابي بكر بضم الذال فيهما ومحمد بن خالد عن الاعشى عذرا بسكون الذال او نذرا بضمها مثل رواية حماد ويحيى عن ابي بكر وقرأ الباقون بسكون الذال فيهما وقرأ ابو جعفر وقتت بالواو والتخفيف وقرأ اهل البصرة غير رويس بالواو والتشديد وقرأ الباقون اقتت بالالف وتشديد القاف

الحجة

قال ابو علي النذر بالتثقيل والنذير مثل النكر والنكير وهما جميعا مصدران ويجوز في النذير ضربان ﴿ احدهما ﴾ أن يكون مصدرا كالنكير وعذير الحي ﴿ والآخر ﴾ أن يكون فعيلا يراد به المنذر كما أن الأليم بمعنى المولم ويجوز تخفيف العذر على حد التخفيف في العنق والعُنُق والأُذُن والاذن قال ابو الحسن عذرا او نذرا اي اعذارا او انذارا وقد خففتا جميعا وهما لغتان فاما انتصاب عذرا فعلى ثلاثة اضرب ﴿ احدها ﴾ ان يكون بدلا من الذكر في قوله فالملقيات ذكرا ﴿ والآخر ﴾ أن يكون مفعول ذكرا اي فالملقيات أن يذكر عذرا او نذرا ﴿ والثالث ﴾ أن يكون منصوبا على انه مفعول له ويجوز في قول من ضم عذرا أو نذرا أن يكون عُذُرا جمع عاذر اوعذور والنُذُر جمع نذير قال حاتم

أُماوِيَّ قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ ... وَقَدْ عَذَرَتْنِي فِي طِلَابِكُمُ الْعُذْرُ (١)

(١) ماوى مرخم ماوية : اسم امرأة حاتم وقال في شرح الاشموني «ماوى» : هو اسم امراته . وكانت تلومه على اسرافه وتبذيره وهذا البيت مطلع قصيدة قالها في الجواب عن امراته .

فيكون عذرا او نذرا على هذا حالا من الإلقاء كأنهم يلقون الذكر في حال العذر والانذار ومن قرأ وقفت بالواو فلأن الكلمة اصلها من الوقت ومن ابدل منها الهمزة فلانضام الواو والواو إذا انضمت أولا في نحو وجوه ووعود وثالثة في نحو ادؤر فإنها تبدل على الاطراد همزة لكراهتهم الضمة على الواو

المعنى

(والمرسلات عرفا) يعني الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وابي صالح فعلى هذا يكون عرفا نصباً على الحال من قولهم جاءوا اليه عرفا واحدا اي متتابعين وقيل إنها الملائكة ارسلت بالمعروف من امر الله ونهيه وفي رواية اخرى عن ابن مسعود وعن ابي حمزة الثمالي عن اصحاب علي عنه (ع) وعلى هذا يكون مفعولا له وقيل المراد بها الانبياء جاءت بالمعروف والارسال نقيض الامساك (فالعاصفات عصفا) يعني الرياح الشديدات الهبوب والعصوف مرور الريح بشدة (والناشرات نشرا) وهي الرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشرا للغيث كما تلقحه للمطر وقيل انها الملائكة تنشر الكتب عن الله تعالى عن ابي حمزة الثمالي وابي صالح وقيل انها الامطار تنشر النبات عن ابي صالح في رواية اخرى وقيل الرياح ينشرها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته عن الحسن وقيل الرياح تنشر السحاب في الهواء عن الجبائي (فالفارقات فرقا) يعني الملائكة تأتي بما يفرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام عن ابن عباس وابي صالح وقيل هي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال عن الحسن وأبي حمزة وقتادة وقيل انها الرياح التي تفرق بين السحاب فتبدده عن مجاهد (فالملقيات ذكرا) يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الانبياء وتلقيه الانبياء إلى الامم عن ابن عباس وقتادة كأنها الحاملات للذكر الطارحات له ليأخذه من خوطب به والالقاء طرح الشيء على غيره (عذرا او نذرا) اي للاعذار والانذار ومعناه اعذارا من الله وانذارا إلى خلقه وقيل عذرا يعتذر الله به إلى عباده في العقاب انه لم يكن إلا على وجه الحكمة ونذرا اي اعلاما بموضوع المخافة عن الحسن وهذه اقسام ذكرها الله تعالى وقيل اقسم الله سبحانه برب هذه الاشياء عن الجبائي قال لا يجوز القسم إلا بالله سبحانه وقال غيره بل اقسم بهذه الاشياء تنبيها على عظم موقعها (إنما توعدون لواقع) هذا جواب القسم والمعنى أن الذي وعدكم الله به من البعث والنشور والثواب والعقاب لكائن لا محالة وقيل إن الفرق بين الواقع والكائن أن الواقع لا يكون إلا حادثا تشبيها بالحائط الواقع لأنه من ابين الاشياء في الحدوث والكائن اعم منه لأنه بمنزلة الموجود الثابت يكون حادثا وغير حادث ثم بيّن سبحانه وقت وقوعه فقال (فإذا النجوم طمست) أي محيت آثارها واذهب نورها وازيل ضوؤها (وإذا السماء فرجت) اي شقت وصدعت فصار فيها فروج (وإذا الجبال نسفت) أي قلعت من مكانها كقوله سبحانه ينسفها ربي نسفا وقيل نسفت اذهبت بسرعة حتى لا يبقى لها اثر في الأرض (وإذا الرسل اقتت) اي جمعت لوقتها وهو يوم القيامة لتشهد على الامم وهو قوله (لأي يوم اجلت) اي اخرت وضرب لهم الاجل لجمعهم تعجب العباد من ذلك اليوم عن ابراهيم ومجاهد وابن زيد وقيل اقتت معناه عرفت وقت الحساب والجزاء لأنهم في الدنيا لا يعرفون متى تكون الساعة وقيل عرفت ثوابها في ذلك اليوم وقال الصادق عليه السلام اقتت اي بعثت في اوقات مختلفة ثم بيّن سبحانه ذلك اليوم فقال (ليوم الفصل) اي يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ثم عظم ذلك اليوم فقال (وما ادريك ما يوم الفصل) ثم اخبر سبحانه حال من كذب به فقال (ويل يومئذ للمكذبين) هذا تهديد ووعيد إنما خصّ الوعيد بمن جحدوا يوم القيامة وكذب به لأن التكذيب بذلك يتبعه خصال المعاصي كلها وان لم يذكر معه والعامل في الظرف محذوف يدل عليه قوله إنما توعدون لواقع والتقدير فإذا طمست النجوم وفرجت السماء ونسفت الجبال واقتت الرسل وقعت القيامة

قوله تعالى (١٦) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٧) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٨) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٠) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢١) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢٢) إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٣) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٦) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٧) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (ثلاث عشرة آية)

القراءة

قرأ اهل المدينة والكسائي فقدرنا بالتشديد والباقون فقدرنا بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الاعرج نتبعهم بالجزم

الحجة

قد تقدم أن قدر وقدّر بمعنى والتخفيف اليق بقوله فنعم القادرون ومن شدّد أراد أن يجيء باللغتين كما يقال جادَّ مُجِدٌّ (١) وكقوله سبحانه فمَهِّلِ الكافرين امهلهم ومن جزم نتبعهم فإنه يحتمل امرين احدهما انه لسكن العين استثقالا لتوالي الحركات والثاني أن يكون عطفا على نهلك كما تقول ألم ازرك ثم احسن اليك فيكون معنى هذه القراءة انه يريد قوماً اهلكهم الله سبحانه بعد قوم قبلهم على اختلاف أوقات المرسلين اليهم نبيّاً بعد نبي واما الرفع على القراءة المشهورة فلاستئناف الكلام أو على أن يجعل خبر مبتدأ محذوف

اللغة

القرار المكان الذي يمكن طول المكث فيه والقدر المقدر المعلوم الذي لا زيادة فيه ولا نقصان والقدر المصدر من قولهم قَدَرَ يقدِر قدْراً وقَدَراً اي قدر فمن شدد جمع بين اللغتين كما قال الاعشى

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرَتْ ... مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا (٢)

و كفت الشيء يكفته كفتا و كفاتا إذا ضمه ومنه الحديث اكفتوا صبيانكم اي ضموهم إلى أنفسكم ومثله ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء ويقال للوعاء كفت و كفيت وقال ابو عبيدة كفاتا أي اوعية والرواسي الثوابت والشامخات العاليات ومنه شمخ بأنفه اذا رفعه كبرا وماء فرات وزلال وعذب ونمير كله من العذوبة والطيب ومنه سمي النهر العظيم المعروف بالفرات قال الشاعر

إِذَا غَابَ عَنَّا غَابَ عَنَّا فُرَاتُنَا ... وَإِنْ شَهِدَا جَدْى نَيْلُهُ وَفَوَاضِلُه (٣)

قال ابن عباس اصول الانهار العذبة أربعة جيحان ومنه دجلة وسيحان نهر بلخ وفرات الكوفة ونيل مصر

الاعراب

احياء منصوب بأنه مفعول قوله كفاتا معناه ان يكفت احياء واموانا فعلى هذا يكون كفاتا مصدراً وان جعلته جمع كفت فيكون العامل في احياء معناه والتقدير واعية احياء او تعي احياء

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما فعله بالمكذبين الأولين فقال (ألم نهلك الأولين) يعني بالعذاب في الدنيا يريد قوم نوح وعاد وثمود حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) قوم لوط وابراهيم لم يعطف نتبعهم على نهلك فيجزم بل استأنف وقال المبرد تقديره ثم نحن نتبعهم لايجوز غيره لأن قوله ألم نهلك ماض وقوله ثم نتبعهم مستقبل ويؤيده

(١) فلان جاد مجداى مجتهد يقال : جدالرجل فى امره اذا بلغ فيه جدة ، واجدلغة فجمع بينهما فى الكلام هيهنا . (٢) الصلع : انحسار شعر مقدم الراس . (٣) اجدى فلان اى اعطى .

قول الحسن ان الآخرين هم الذين تقوم عليهم القيامة (كذلك نفعل بالمجرمين) أي كما فعلنا بمن تقدم نفعل بالمكذبين من أهل مكة وقد فعل بهم ذلك فقتلوا يوم بدر وقد يكون الإهلاك بتصيير الشيء إلى حيث لايدرى أين هو إما بإعدامه أو بإخفاء مكانه وقد يكون بالأماتة وقد يكون بالنقل إلى حال الجمادية (ويل يومئذ) يعني يوم الجزاء (للمكذبين) فإنهم يجازون بأليم العقاب (ألم نخلقكم من ماء مهين) أي حقير قليل الغناء وفي خلق الإنسان على هذا الكمال من الحواس الصحيحة والعقل الشريف والتمييز والنطق من ماء ضعيف اعظم الاعتبار وأبين الحجة على أن له صانعاً مديراً حكيماً والجاحد لذلك كالمكابر لبداية العقول (فجعلناه) أي فجعلنا ذلك الماء المهين (في قرار مكين) يعني الرحم (إلى قدر معلوم) أي إلى مقدار من الوقت معلوم يعني مدة الحمل (فقدرنا) أي قدرنا خلقه كيف يكون قصيراً أم طويلا ذكراً أم أنثى (فنعم القادرون) أي فنعم المقدرون نحن ويجوز أن يكون المعنى إذا خفف من القدرة أي قدرنا على جميع ذلك فنعم القادرون على تدبير ذلك وعلى ما لا يقدر عليه أحد إلا نحن فحذف المخصوص بالمدح (ويل يومئذ للمكذبين) بأنا قد خلقنا الخلق وأنا نعيدهم (ألم نجعل الأرض كفاتا) للعباد تكفتهم (أحياء) على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم (أمواتا) في بطنها أي تحوزهم وتضمهم عن قتادة ومجاهد والشعبي قال بنان خرجنا في جنازة مع الشعبي فنظر إلى الجنازة فقال هذه كفات الأموات ثم نظر إلى البيوت فقال هذه كفات الأحياء وروي ذلك عن امير المؤمنين(ع) وقيل كفاتا أي وعاء وهذا كفته أي وعاء وقوله أحياء وأمواتا أي منه ما يثبت ومنه ما لا يثبت فعلى هذا يكون احياء وأمواتا نصباً على الحال وعلى القول الأول على المفعول به (وجعلنا فيها رواسي شامخات) أي جبالا ثابتة عالية (وأسقيناكم ماء فراتا) أي وجعلنا لكم سقيا من الماء العذب عن ابن عباس (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعم وانها من جهة الله وقيل بالأنبياء والقرآن وإنما كرر لأنه عدد النعم فذكره عند كل نعمة فلا بعد ذلك تكراراً وقد تقدم الوجه في التكرار في سورة الرحمن

قوله تعالى (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٣) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣١) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣٢) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٣) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٥) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٦) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٨) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٩) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٤٠) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (اثنتا عشرة آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ روبس عن يعقوب انطلقوا الثانية بفتح اللام والباقون من القراء على كسر اللام فيهما وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر جمالة بغير الف وبعقوب جالات صفر بالألف وضم الجيم وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وغيرهما وقرأ الباقون جمالات بالألف وكسر الجيم وفي الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير بخلاف كالقصر بفتح القاف والصاد

﴿ الحجة ﴾

من قرأ انطلقوا الثانية بالفتح فإنه حمل الأول على الأمر والثاني على الخبر وجمالات جمع جمال وجمع بالألف والتاء على تصحيح البناء كما جمع على تكسيره في قولهم جمائل قال ذو الرمة

وَقَرَّبْنَ بِالزُّرْقِ الْجَمَائِلَ بَعْدَمَا ... تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِهَا الْخَطَرُ (١)

(١) الزرق : اكثبة بموضع يقال له الدهناء . والجمائل جمع جمل . والغربان هنا : رؤس الاوراك . و تقوب : تقطع وخطر البعير بذنبه يخطر : اذا رفعه وحطه نشاطاً يريدان خطر الجمال باوراكها احدث فيها قويا فتقطعت و فى اللسان : الخطر : مالصق بالوركين من البول؛ ثم استشهد بالبيت

وأما جمالة فإن التاء لحقت جمالا لتأنيث الجمع كما لحقت في فحل وفحالة وذكر وذكارة ومن قرأ جمالات بالضم فهي جمع جمالة وهو القلس[1] من قلوس سفن البحر ويقال من قلوس الجسر قال الزجاج ويجوز أن يكون جمع جمل ـ جمال وجمالات كما قيل رُخال جمع رخل ومن قرأ كالقَصَر بفتح الصاد فهو جمع قصرة أي كأنها اعناق الإبل وقيل القَصَر أصول الشجر واحدتها قصرة وكذا قرأها مجاهد قال وهي خرم الشجر قال الحسن قصرة وقصر مثل جمرة وجَمَر وهي أصول الشجر قال والعامة يجعلونها على القصور قال ابن جني وحدثنا ابو علي أن القصر هنا بمعنى القصور وقال هي بيوت من أدم كان يضربون بها إذا نزلوا على الماء

المعنى

ثم بيّن سبحانه ما يقال لهم جزاء على تكذيبهم فقال (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أي تقول لهم الخزنة إذهبوا وسيروا إلى النار التي كنتم تجحدونها وتكذبون بها ولا تعترفون بصحتها في الدنيا والانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث ثم ذكر الموضع الذي أمرهم بالانطلاق اليه فقال (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) أي نار لها ثلاث شعب سمّاها ظلا لسواد نار جهنم وقيل هو دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكافر شعبة تكون فوقه وشعبة عن يمينه وشعبة عن شماله وسمي الدخان ظلا كما قال أحاط بهم سرادقها أي من الدخان الآخذ بالأنفاس عن مجاهد وقتادة وقيل يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب فيكون فيها حتى يفرغ من الحساب ثم وصف سبحانه ذلك الظل فقال (لا ظليل) أي غير مانع من الأذى بستره عنه ومثله الكنين فالظليل من الظلة وهي السترة والكنين من الكن فظل هذا الدخان لا يغني الكفار شيئاً من حر النار وهو قوله (ولا يغني من اللهب) واللهب ما يعلو على النار إذا اضطرمت من احمر وأصفر وأخضر يعني أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حرّ اللهب ثم وصف سبحانه النار فقال (إنها ترمي بشرر) وهو ما يتطاير من النار في الجهات (كالقصر) أي مثله في عظمه وتخويفه تتطاير على الكافرين من كل جهة نعوذ بالله منه وهو واحد القصور من البنيان عن ابن عباس ومجاهد والعرب تشبه الإبل بالقصور قال الاخطل

كَأَنَّهُ بُرْجُ رُومِيٍّ يُشَيِّدُهُ ... لُزَّ بِجَصٍّ وَآجُرٍّ وَأَحْجَارِ[2]

قال عنترة

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا ... فَدَنٌ لَأَقْضِيَ حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ[3]

والفدن القصر وقيل كالقصر أي كأصول الشجر العظام عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير ثم شبّهه في لونه بالجمالات الصفر فقال (كأنه جمالت صفر) أي كأنها إبل سود لما يعتري سوادها من الصفرة عن الحسن وقتادة قال الفراء لا ترى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة ولذلك سمت العرب سود الإبل صفراء وقيل هو من الصفرة لأن النار تكون صفراء عن الجبائي (ويل يومئذ للمكذبين) بنار هذه صفتها (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) قيل في معناه قولان ﴿ أحدهما ﴾ أنهم لا ينطقون بنطق ينتفعون به فكأنهم لم ينطقوا ﴿ والثاني ﴾ أن في القيامة مواقف ففي بعضها يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم ولا يتكلمون وعن قتادة قال جاء رجل إلى عكرمة قال أرأيت قول الله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال إنها مواقف فأما موقف منها فتكلموا واختصموا ثم ختم على أفواههم وتكلمت ايديهم وأرجلهم فحينئذ لا ينطقون وأجاز النحويون هذا يوم لا ينطقون بالنصب على أنه يشير إلى الجزاء ولا يشير إلى اليوم وقوله فيعتذرون رفع عطفاً على قوله ولا يؤذن لهم تقديره فلا يعتذرون ولو قيل فلا يعتذروا فنصب لكان المعنى ان الاذن سبب لعذرهم ولكن المعنى لا يؤذن لهم في الاعتذار فهم لا يعتذرون

(١) القلس ـ كفلس: حبل للسفينة ضخم من ليف وقيل من خوص وقيل من غيرهما . (٢) لز الشيء بالشيء : شده والصقه .
(٣) التلوم : الانتظار .

(ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الخبر (هذا يوم الفصل) بين أهل الجنة والنار وقيل هذا يوم الحكم والقضاء بين الخلق والانتصاف للمظلوم من الظالم وفصل القضاء يكون في الآخرة على ظاهر الأمر وباطنه بخلاف الدنيا لأن القاضي يحكم على ظاهر الأمر في الدنيا ولا يعرف البواطن (جمعناكم والأولين) يعني مكذبي هذه الأمة مع مكذبي الأمم قبلها يجمع الله سبحانه الخلائق في يوم واحد وفي صعيد واحد (فإن كان لكم كيد فكيدون) أي ان كانت لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم وقيل إن هذا توبيخ من الله تعالى للكفار وتقريع لهم واظهار لعجزهم عن الدفع عن انفسكم فضلا عن أن يكيدوا غيرهم وانما هو على انكم كنتم تعملون في دار الدنيا ما يغضبني فالآن عجزتم عن ذلك وحصلتم على وبال ما عملتم (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا

قوله تعالى (٤١) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤٢) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٤) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٥) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٦) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٨) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٥٠) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (عشر آيات)

المعنى

ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال (إن المتقين) الذين اتقوا الشرك والفواحش (في ظلال) من أشجار الجنة (وعيون) جارية بين أيديهم في غير اخدود لأن ذلك امتع لهم بما يرونه من حسن مياهها وصفائها وقيل عيون أي ينابيع بما يجري خلال الاشجار (وفواكه) جمع فاكهة وهي ثمار الاشجار (مما يشتهون) أي من جنس ما يشتهونه والشهوة معنى في القلب إذا صادف المشتهى كان لذة وضدها النفار ثم يقال لهم (كلوا واشربوا) صورته صورة الأمر والمراد الإباحة وقيل إنه أمر على الحقيقة وهو سبحانه يريد منهم الاكل والشرب في الجنة فإنهم اذا اعلموا ذلك ازداد سرورهم فلا يكون ارادته لذلك عبثا (هنيئا بما كنتم تعملون) في دار الدنيا أي خالصا من التكدير والهنيء النفع الخالص من شائب الأذى وقيل هو الاذى الذي لا أذى يتبعه (انا كذلك نجزي المحسنين) هذا ابتداء الإخبار من الله تعالى ويقال لهم ذلك أيضا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الوعد ، ثم عاد الكلام الى ذكر المكذبين فقال سبحانه (كلوا) أي يقال لهم كلوا (وتمتعوا) في الدنيا (قليلا) أي تمتعا قليلا أو زمانا قليلا فإن الموت كائن لا محالة (إنكم مجرمون) أي مشركون مستحقون للعقاب (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الوعيد (واذا قيل لهم اركعوا) أي صلوا (لا يركعون) أي لا يصلون قال مقاتل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله بالصلاة فقالوا لا ننحني والرواية لا تحنى فإن ذلك سبة علينا فقال ﷺ لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود وقيل إن المراد بذلك يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون عن ابن عباس (ويل يومئذ للمكذبين) بوجوب الصلاة والعبادات (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي فبأي كتاب بعد القرآن يصدقون ولم يصدقوا به مع اعجازه وحسن نظمه فإن من لم يؤمن به مع ما فيه من الحجة الظاهرة والآية الباهرة لا يؤمن بغيره .

سورة عم

وتسمى سورة النبأ وسورة المعصرات ومنهم من يقول سورة التساؤل وهي مكية

عدد آيها

إحدى وأربعون آية مكي وبصري واربعون في الباقين

اختلافها

آية واحدة عذابا قريبا مكي بصري

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة عمّ يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة وروي عن أبي عبد الله (ع) انه قال من قرأ عمّ يتساءلون لم يخرج سننه اذا كان يدمنها في كل يوم حتى يزور البيت الحرام

تفسيرها

لمّا ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر القيامة ووعيد المكذّبين بها افتتح هذه السورة بذكرها وذكر دلائل القدرة على البعث والإعادة فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ (٢) عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ (٣) ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٤) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٦) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا (٧) وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا (٨) وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَاجًا (٩) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (١٠) وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا (١١) وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا (١٢) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٣) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٤) وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا (١٥) لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٦) وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا . (ست عشرة آية)

القراءة

في الشواذ قراءة عكرمة وعيسى بن عمر عما يتساءلون وقرأ ابن الزبير وابن عباس وقتادة وانزلنا بالمعصرات

الحجة

قال ابن جني اثبات الألف في ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف جر أضعف اللغتين وروينا عن قطرب لحسان

عَلَىٰ مَا قَامَ يَشْتِمُنِي لَئِيمٌ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رِمَادِ (١)

وقال في قوله بالمعصرات اذا انزل منها فقد انزل بها كقولهم أعطيته من يدي شيئا وبيدي شيئا والمعنى واحد ومعنى من هنا ابتداء الغاية أي كان مبتدأ العطية من يده

اللغة

النبأ الخبر العظيم الشأن ومنه النبيّ على مذهب من يهمز والمهاد الوطاء ومهد الشيء تمهيداً أي وطأه توطية والوتد المسمار إلا أنه أغلظ منه والسبات قطع العمل للراحة ومنه سبت انفه اذا قطعه ومنه يوم السبت أي يوم قطع العمل على ما جرت به العادة في شرع موسى (ع) والوهاج الوقاد وهو المشتعل بالنور العظيم

(١) تمرغ في التراب : تقلب .

والمعصرات السحائب تعتصر بالمطر كأن السحاب يحمل الماء ثم تعصره الرياح وترسله كإرسال الماء بعصر الثوب وعُصِرَ القوم مطروا والثجاج الدفّاع في انصبابه كثج دماء البدن يقال ثججت دمه أثجّه ثجاً وقد ثج الدم يثج ثجوجا وفي الحديث افضل الحج العج فالثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اسالة دم الهدي والألفاف الأخلاط المتداخلة بدور بعضها على بعض واحدها لف ولفيف وقيل شجرة لفاء واشجار لف بضم اللام وجنات الفاف

﴿ الاعراب ﴾

عمّ اصله عن ما جعل النون ميماً وادغم في الميم وحذفت الألف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه وليحصل الفرق بين الاستفهام والخبر وهذه الحروف التي تسقط معها هذه الألف ثمانية عَنْ تقول عمّ ومِنْ تقول مِمَّ والباء نحو بِمَ واللام نحو لِمَ وفي نحو فِيمَ والى نحو الى مَ وعلى نحو علامَ وحتى نحو حتّامَ قال البصير جامع العلوم النحوي عن النبأ العظيم لا يكون بدلا من عم لأنه لو كان بدلا لوجب تكرار ما لأن الجار المتصل بحرف الاستفهام اذا اعيد اعيد مع الحرف المستفهم بها كقولك بكم ثوبك أبعشرين أم بثلاثين ولا يجوز بعشرين من غير همزة فإذا كان كذلك كان قوله عن النبأ متعلقاً بفعل آخر دون هذا الظاهر .

﴿ المعنى ﴾

(عم يتساءلون) قالوا لما بعث رسول الله ﷺ وأخبرهم بتوحيد الله تعالى وبالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم أي يسأل بعضهم بعضا على طريق الإنكار والتعجب فيقولون ماذا جاء به محمد وما الذي أتى بـه فأنزل الله تعالى عمّ يتساءلون أي عن ايّ شيء يتساءلون قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمراد تفخيم القصة كما تقول أيّ شيء زيد اذا عظمت شأنه ثم ذكر أن تساءلهم عن ماذا فقال (عن النبأ العظيم) وهو القرآن ومعناه الخبر العظيم الشأن لأنه ينبئ عن التوحيد وتصديق الرسول والخبر عما يجوز وعما لا يجوز وعن البعث والنشور وقيل يعني نبأ يوم القيامة عن الضحاك وقتادة ويؤيده قوله إن يوم الفصل كان ميقاتا وقيل النبأ العظيم ما كانوا يختلفون فيه من اثبات الصانع وصفاته والملائكة والرسل والبعث والجنة والنار والرسالة والخلافة فإن النبأ معروف يتناول الكل (الذي هم فيه مختلفون) فمصدق به ومكذب (كلا) أي ليس الأمر كما قالوا (سيعلمون) عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الامور (ثم كلا سيعلمون) هذا وعيد على اثر وعيد وقيل كلا أي حقّا سيعلمون اي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم عن الضحاك وقيل كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة ثم كلا سيعلمون ما ينالهم في جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكراراً ثم نبّههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال (ألم نجعل الأرض مهاداً) أي وطاء وقراراً مهيئا للتصرف فيه من غير اذية وقيل مهاداً أي بساطا عن قتادة (والجبال أوتاداً) للأرض لئلا تميد بأهلها (وخلقناكم أزواجا) أي اشكالا كل واحد شكل للآخر وقيل معناه ذكراناً واناثاً حتى يصح منكم التناسل ويتمتع بعضكم ببعض وقيل اصنافا اسود وابيض وصغيراً وكبيراً الى غير ذلك (وجعلنا نومكم سباتاً) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه وجعلنا نومكم راحة ودعة لأجسادكم ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى جعلنا نومكم قطعا لأعمالكم وتصرفكم عن ابن الانباري ﴿ وثالثها ﴾ جعلنا نومكم سباتا ليس بموت على الحقيقة ولا مخرجاً عن الحياة والادراك (وجعلنا الليل لباسا)

أي غطاء وسترة يستر كل شيء بظلمته وسواده (وجعلنا النهار معاشا) المعاش العيش أي جعلناه مطلب معاش اي مبتغى معاش وقيل معناه وجعلنا النهار وقت معاشكم لتتصرفوا في معاشكم أو موضع معاشكم تبتغون فيه من فضل ربكم (وبنينا فوقكم سبعا) أي سبع سماوات (شدادا) محكمة احكمنا صنعها واوثقنا بناءها (وجعلنا سراجا وهاجا) يعني الشمس جعلها سبحانه سراجا للعالم وقاداً متلألأ بالنور يستضيئون به فالنعمة عامة به لجميع الخلق قال مقاتل جعل فيه نورا وحرا والوهج يجمع النور والحر (وانزلنا من المعصرات) أي الرياح ذوات الأعاصير عن مجاهد وقتادة والكلبي وقال الأزهري ومن معناه الباء فكأنه قال بالمعصرات او ذلك ان الريح تستدر المطر وقيل المعصرات السحائب تنحلب بالمطر عن الربيع وابي العالية وهو رواية الوالبي عن ابن عباس (ماء ثجاجا) اي صبابا دفاعا في انصبابه وقيل مدرارا عن مجاهد وقيل متتابعا يتلو بعضه بعضا عن قتادة (لنخرج به) أي بالماء (حباً ونباتاً) فالحب كل ما تضمنه كمام الزرع الذي يحصد والنبات الكلأ من الحشيش والزرع ونحوهما فجمع سبحانه بين جميع ما يخرج من الارض وقيل حباً يأكل الناس ونباتا تنبته الارض مما يأكله الانعام (وجنات ألفافا) أي بساتين ملتفة بالشجر والتقدير ونخرج به شجر جنات الفافاً فحذف لدلالة الكلام عليه وانما سمي جنة لأن الشجر تجنها أي تسترها

قوله تعالى (١٧) إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٨) يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٩) وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (٢٠) وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢١) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢٢) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٣) لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا (٢٤) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٥) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٦) جَزَآءً وِفَاقًا (٢٧) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٨) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٩) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٣٠) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (أربع عشرة آية)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير الاعشى والبرجمي وفتحت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ حمزة لبثين بغير الالف والباقون لابثين بالالف والخلاف في غساق مذكور في ص وروا عن علي بن ابي طالب «ع» و كذبوا بآياتنا كذابا مخففة والقراءة المشهورة و كذبوا بآياتنا كذابا بالتثقيل وحكى ابو حاتم في الشواذ عن عبد الله بن عمر كُذّابا بضم الكاف وتشديد الذال

الحجة

قال أبو علي فتحت بالتشديد أوفق لقوله تعالى مفتحة لهم الأبواب ومن حجة التخفيف قوله فتحنا عليهم ابواب كل شيء وحجة من قرأ لابثين بالألف مجيء المصدر على اللبث فهو من باب شرب يشرب ولقم يلقم وليس من باب فرق يفرق إذ لو كان منه لكان المصدر مفتوح العين فلما اسكن وجب أن يكون اسم الفاعل على فاعل كشارب ولاقم كما كان اللبث كاللقم ومن قرأ لبثين جعل اسم الفاعل فَعِلا وقد جاء غير حرف من هذا النحو على فاعل وفعل والكذاب مصدر كذب كما أن الكلام مصدر كلم وكذا القياس فيلزاد على الثلاثة ان تأتي بلفظ الفعل وتزيد في آخره الألف كقوله اكرمته اكراما وأما التكذيب فزعم سيبويه أن التاء عوض من التضعيف والياء التي قبل الآخر كالألف فأما الكذاب فمصدر كذب قال الاعشى

فَصَدَقْتُهُ وَكَذَبْتُهُ وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

فهو مثل كتاب في مصدر كتب وأما الكذاب بضم الكاف فقد قال أبو حاتم لا وجه له إلا أن يكون كذاب جمع كاذب فنصبه على الحال اي و كذبوا بآياتنا في حال كذبهم قال طرفة

إِذَا جَاءَ مَالًا بُدَّ مِنْهُ فَمَرْحَبًا بِهِ حِينَ يَأْتِي لَا كِذَابٌ وَلَا عِلَلُ

اللغة

الميقات منتهى المقدار المضروب لحدوث أمر من الأمور وهو من الوقت كما أن الميعاد من الوعد والمقدار من القدر والمرصاد هو المعد لامر على ارتقاب الوقوع فيه قال الأزهري المرصاد المكان الذي يرصد فيه العدو والأحقاب جمع واحدها حقب من قوله او امضي حقبا اي دهرا طويلا وقيل واحده حقب بفتح القاف وواحد الحقب حقبة قال

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا[1]

الاعراب

يوم ينفخ منصوب لأنه بدل من يوم الفصل وأفواجا نصب على الحال . لا يذوقون فيها برداً جملة يجوز أن يكون حالا من لابثين والتقدير يلبثون غير ذائقين ويجوز أن يكون صفة لقوله احقابا والتقدير احقابا غير مذوق فيها وجزاء مصدر وضع موضع الحال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسّره قوله احصيناه و كتابا منصوب على المصدر لأن كتب في معنى أحصى ويجوز أن يكون في موضع الحال أي نكتبه والتقدير احصيناه كاتبين

المعنى

ثم ذكر سبحانه الإعادة والبعث تنبيهاً على أنه دلّ بذكر الآيات فيما تقدّم على صحة البعث فقال (أن يوم الفصل) أي يوم القضاء الذي يفصل الله فيه الحكم بين الخلائق (كان ميقاتا) لما وعد الله من الجزاء والحساب والثواب والعقاب (يوم ينفخ في الصور) قد مرّ معناه (فتأتون أفواجا) أي جماعة جماعة إلى أن تتكاملوا في القيامة وقيل زمراً زمراً من كل مكان للحساب وكل فريق يأتي مع شكله وقيل إن كل أمة تأتي مع نبيّها فلذلك جاؤا أفواجا أفواجا (وفتحت السماء) أي شقّت لنزول الملائكة (فكانت ابوابا) أي ذات أبواب وقيل صار فيها طرق ولم تكن كذلك من قبل (وسيرت الجبال)أي زيلت عن أماكنها وذهب بها (فكانت سرابا) أي كالسراب يظن أنها جبال وليست اياها وفي الحديث عن البراء بن عازب قال كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول الله ﷺ في منزل ابي ايوب الانصاري فقال معاذ يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً الآيات فقال يامعاذ سألت عن عظيم من الامر ثم أرسل عينيه ثم قال يحشر عشرة أصناف من امتي أشتاتاً قد ميّزهم الله من المسلمين وبدل صورهم بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم فيسيل القيح من افواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشدّ نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات (٢) من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على رؤسهم فآكلة الربا

(١) مرّ البيت بمعناه في المجلد الرابع صفحة ٣٠٧ . (٢) النمامون

والعمي الجائرون في الحكم والصم والبكم المعجبون بأعمالهم والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران والمصابون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان والذين هم اشد تنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء (إن جهنم كانت مرصاداً) يرصدون به أي هي معدة لهم يرصد بها خزنتها الكفار عن المبرد وقيل مرصداً محبساً يحبس فيه الناس عن مقاتل وقيل طريقا منصوبا على العاصين فهو موردهم ومنهلهم وهذا اشارة إلى أن جهنم للعصاة على الرصد لا يفوتونها (للطاغين مآبا) اي للذين جاوزوا حدود الله وطغوا في معصية الله مرجعا يرجعون اليه ومصيراً فكأن المجرم قد كان بإجرامه فيها ثم رجع اليها (لابثين فيها احقابا) أي ماكثين فيها أزمانا كثيرة وذكر فيها أقوال ﴿ احدها ﴾ ان المعنى احقابا لا انقطاع لها كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر والحقب ثمانون سنة من سني الآخرة عن قتادة والربيع ﴿ وثانيها ﴾ أن الأحقاب ثلاثة وأربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً وكل يوم الف سنة عن مجاهد ﴿ وثالثها ﴾ ان الله تعالى لم يذكر شيئا الاوجعل له مدة ينقطع اليها ولم يجعل لأهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فو الله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك إلى أبد الآبدين فليس للأحقاب عدة إلا الخلود في النار ولكن قد ذكروا ان الحقب الواحد سبعون الف سنة كل يوم من تلك السنين الف سنة مما نعدّه عن الحسن ﴿ ورابعها ﴾ أن مجاز الآية لابثين فيها احقابا لا يذوقون في تلك الأحقاب برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً ثم يلبثون فيها لا يذوقون غير الحميم والغساق من انواع العذاب فهذا توقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم في النار وهذا أحسن الاقوال ﴿ وخامسها ﴾ انه يعني به أهل التوحيد عن خالد بن معدان وروى نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقابا والحقب بضع وستون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم كألف سنة مما تعدون فلا يتكلن احد ان يخرج من النار وروى العياشي بإسناده عن حمران قال سألت ابا جعفر (ع) عن هذه الآية فقال هذه في الذين يخرجون من النار وروي عن الأحول مثله وقوله (لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) يريد النوم والماء عن ابن عباس قال أبو عبيدة البرد النوم هنا وانشد «فَصَدَدْتِ عَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ»(١) اي النوم وقيل لا يذوقون في جهنم برداً ينفعهم من حرّها ولا شراباً ينفعهم من عطشها عن مقاتل (إلا حميما) وهو الماء الحار الشديد الحرّ (وغساقا) وهو صديد أهل النار (جزاء وفاقا) أي وافق عذاب النار الشرك لأنهما عظيمان فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار عن مقاتل وقيل جوزوا جزاء وفق أعمالهم عن الزجاج وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والوفاق الجاري على المقدار فالجزاء وفاق لأنه جار على مقدار الاعمال في الاستحقاق (انهم كانوا لا يرجون حسابا) اي فعلنا ذلك بهؤلاء الكفار لأنهم كانوا لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم محاسبون عن الحسن وقتادة وقيل لا يرجون المجازاة على الاعمال ولا يظنّون ان لهم حسابا عن أبي مسلم وقال الهذلي في الرجاء بمعنى الخوف

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ... وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ(٢)

(وكذبوا بآياتنا) أي بما جاءت به الانبياء وقيل بالقرآن وقيل بحجج الله ولم يصدّقوا بها (كذابا)

(١) هذا عجز بيت للكندى وتمامه «بردت مراشفها على فصدنى * عنها وعن قبلاتها البرد» . والمراشف : الشفاه.
(٢) مضى البيت فى صفحة ٣٦٠ من هذا المجلد .

اي تكذيبا (و كل شيء احصيناه كتابا) اي و كل شيء من الاعمال بيناه في اللوح المحفوظ ومثله و كل شيء احصيناه في إمام مبين وقيل معناه و كل شيء من اعمالهم حفظناه لنجازيهم به ثم بيّن ان ذلك الاحصاء والحفظ وقع بالكتابة لأن الكتابة أبلغ في حفظ الشيء من الاحصاء ويجوز ان يكون كتابا حالا موكدة اي احصيناه في حال كونه مكتوبا عليهم والكتاب بمعنى المكتوب (فذوقوا) اي فقيل لهؤلاء الكفار ذوقوا ما انتم فيه من العذاب (فلن نزيدكم إلا عذابا) لان كل عذاب يأتي بعد الوقت الاول فهو زائد عليه

قوله تعالى (٣١) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (٣٢) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (٣٣) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (٣٤) وَكَأْساً دِهَاقاً (٣٥) لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً (٣٦) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً (٣٧) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً (٣٨) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً (٣٩) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً (٤٠) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً (عشر آيات)

القراءة

قرأ الكسائي ولا كذابا بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو رب السماوات بالرفع والباقون بالجر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل الرحمن بالجر والباقون بالرفع

الحجة

ولا كذابا يجوز أن يكون مصدر كذب فيكون معناه ولا كذبا ويجوز ان يكون مصدر كاذبه مكاذبة وكذابا وبالتشديد قد يكون مصدر كذب قال الفراء قال أعرابي في طريق مكة يا با زكريا القصار احب اليك أم الحلق يريد أقصر شعري أم أحلق ومن قرأ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن قطع الاسم الأول من الجر الذي قبله في قوله جزاء من ربك فابتداه وجعل الرحمن خبره ثم استأنف لا يملكون منه ومن قرأ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن اتبع الاسمين الجر الذي قبلهما في قوله من ربك ومن قرأ رب السماوات الرحمن اتبع رب السماوات الجر الذي في قوله من ربك واستأنف بقوله الرحمن وجعل قوله لا يملكون خبر قوله الرحمن

اللغة

الحديقة الجنة المحوطة والجمع حدائق ومنه أحدق القوم بفلان اذا طافوا به ومنه الحدقة لأنه يحيط بها جفنها والأعناب جمع عنب وهو ثمر الكرم قبل ان يجف فإذا جف فهو الزبيب والكواعب جمع الكاعب وهي الجارية التي نهد ثدياها والاتراب جمع الترب وهي اللذة التي تنشأ مع لذتها على سن الصبي الذي يلعب بالتراب والدهاق الكاس الممتلئة التي لا مزيد فيها وأصل الدهق شدة الضغط ادهقت الكأس ملأتها قال «يَلَذُّهُ بِكَأْسِهِ الدِّهَاقِ» وعطاء حسابا أي كثيراً كافياً يقال أحسبت فلاناً أي اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي قال

وَنُقْفِي وَلِيدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعاً ... وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ (١)

(١) اقفى فلاناً بالامر : آثره به .

قال الأصمعي يقال حسبت الرجل بالتشديد اي اكرمته وانشد

إِذَا أَتَاهُ ضَيْفُهُ يُحَسِّبُهُ مِنْ حَاقِنٍ أَوْ مِنْ صَرِيحٍ يَحْلِبُهُ (١)

﴿ الإعراب ﴾

حدائق بدل من قوله مفازا بدل البعض من الكل وكذلك ما بعده واترابا صفة لكواعب. جزاء منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا أي جازاهم بذلك جزاء وأعطاهم عطاء فإن معنى جازاهم واعطاهم واحد. يوم يقوم الروح ظرف لقوله لا يملكون وقوله صفا منصوب على الحال ويوم ينظر ظرف لقوله عذابا لأنه بمعنى التعذيب

﴿ المعنى ﴾

ثم عقّب سبحانه وعيد الكفار بالوعد للمتقين الأبرار فقال (إن للمتقين) الذين يتقون الله باجتناب الشرك والمعاصي (مفازا) اي فوزا ونجاة إلى حال السلامة والسرور وقيل المفاز موضع الفوز وقالوا للمهلكة مفازة على طريق التفاؤل كأنهم قالوا (٢) وقيل مفازاً منجى إلى متنزه وهو النجاة من النار إلى الجنة ثم بيّن ذلك الفوز فقال (حدائق واعنابا) يعني أشجار الجنة وثمارها (وكواعب اترابا) أي جواري تكعب ثديهن مستويات في السن عن قتادة ومعناه استواء الخلقة والقامة والصورة والسن حتى يكنّ متشاكلات وقيل اترابا على مقدار ازواجهن في الحسن والصورة والسن عن ابي علي الجبائي (وكأسا دهاقا) اي مترعة مملوءة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل متتابعة على شاربيها اخذ من متابعة الشد في الدهق عن مجاهد وسعيد ابن جبير وقيل دمادم عن ابي هريرة وقيل على قدر ريّهم عن مقاتل (لا يسمعون فيها) اي في الجنة (لغواً) اي كلاما لغواً لا فائدة فيه (ولا كذابا) ولا تكذيب بعضهم لبعض ومن قرأ بالتخفيف يريد ولا مكاذبة عن ابي عبيدة وقيل كذبا عن ابي علي الفارسي (جزاء من ربك) اي فعل بالمتقين ما فعل بهم جزاء من ربك على تصديقهم بالله ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم (عطاء) اي اعطاهم الله عطاء (حسابا) أي كافياً عن ابي عبيدة والجبائي وقيل حسابا اي كثيراً وقيل حسابا على قدر الاستحقاق وبحسب العمل قال الزجاج معناه ما يكفيهم اي انّ فيه ما يشتهون (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن) مرّ ذكره والمعنى أن الذي يفعل بالمؤمنين ما تقدّم ذكره هو رب السماوات والأرض ومدبّرهما ومدبّر ما بينهما والمتصرف فيهما على ما يشاء الرحمن المنعم على خلقه مؤمنهم وكافرهم (لا يملكون منه خطابا) اي لا يملكون ان يسألوه الا فيما أذن لهم فيه كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله لا تكلم نفس إلا باذنه والخطاب توجيه الكلام الى مدرك له بصيغة منبئة عن المراد على طريقة انت وبك قال مقاتل لا يقدر الخلق على ان يكلّموا الرب إلا باذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا) أي في ذلك اليوم اختلف في معنى الروح هنا على أقوال ﴿ احدها ﴾ ان الروح خلق من خلق الله تعالى على صورة بني آدم وليسوا بناس وليسوا بملائكة يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند عن مجاهد وقتادة وابي صالح قال الشعبي هما سماطا (٣) رب العالمين يوم القيامة سماط من الروح وسماط من الملائكة ﴿ وثانيها ﴾ ان الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً وقامت الملائكة كلهم صفاً واحداً فيكون عظم خلقه مثل صفّهم عن ابن مسعود وعن عطاء عن ابن عباس ﴿ وثالثها ﴾ ان أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل ان ترد الأرواح الى الأجساد عن عطية عن ابن عباس ﴿ ورابعها ﴾ انه جبريل (ع) عن الضحاك

(١) حقن اللبن: جمعه في السقاء. (٢) [منجاة] (٣) السماط: صف الجنود الذين يتقدمون بين يدي الملك.

وقال وهب ان جبرائيل (ع) واقف بين يدي الله عز وجل ترتعد فرائصه يخلق الله عز وجل من كل رعدة مائة الف ملك فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسوا رؤوسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا لا إله الا انت وقال صوابا اي لا إله الا الله وروى علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق (ع) قال هو ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل وخامسهما ان الروح بنو آدم عن الحسن وقوله صفا معناه مصطفين (لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن) وهم المؤمنون والملائكة (وقال) في الدنيا (صوابا) اي شهد بالتوحيد وقال لا إله الا الله وقيل ان الكلام ها هنا الشفاعة أي لا يشفعون الا لمن اذن له الرحمن ان يشفع عن الحسن والكلبي وروى معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال سئل عن هذه الآية فقال نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون قال جعلت فداك ما تقولون قال نمجد ربنا ونصلي على نبينا ﷺ ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا رواه العياشي مرفوعا (ذلك اليوم الحق) الذي لا شك في كونه وحصوله يعني القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) اي مرجعا للطاعة والمعنى فمن شاء عمل عملا صالحا يؤوب الى ربه فقد ازيحت العلل واوضحت السبل وبانت الرسل والمآب مفعل من الاوب وهو الرجوع قال عبيد

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ ... وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَؤُوبُ

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (انا انذرناكم عذابا قريبا) يعني العذاب في الآخرة فإن كل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أي ينتظر جزاء ما قدمه فإن قدم الطاعة انتظر الثواب وان قدم المعصية انتظر العقاب وقيل معناه ان كل احد ينظر الى عمله في ذلك اليوم من خير وشر مثبتا عليه في صحيفته فيرجو ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سوء عمله (ويقول الكافر) في ذلك اليوم (يا ليتني كنت ترابا) أي يتمنى ان لو كان ترابا لا يعاد ولا يحاسب ليتخلص من عقاب ذلك اليوم قال الزجاج ان معنى يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم ابعث قال عبدالله بن عمر اذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجماء[1] من الشاة القرناء التي نطحتها وقال مجاهد يقاد يوم القيامة للمنطوحة من الناطحة وقال للقاتلان ان الله يجمع الوحوش والهوام والطير وكل شيء غير الثقلين فيقول من ربكم فيقولون الرحمن الرحيم فيقول لهم الرب بعدما يقضي بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين ايام حياتكم فارجعوا الى الذي كنتم كونوا ترابا فتكون ترابا فاذا التفت الكافر الى شيء صار ترابا يتمنى فيقول يا ليتني كنت في الدنيا على صورة خنزير رزقي كرزقه وكنت اليوم اي في الآخرة ترابا وقيل إن المراد بالكافر هنا ابليس عاب آدم بأن خلق من تراب وافتخر بالنار فيوم القيامة اذا رأى كرامة آدم وولده المؤمنين قال يا ليتني كنت ترابا

سورة النازعات مكية

عدد آيها

ست وأربعون آية كوفي وخمس في الباقين

اختلافها

آيتان ولأنعامكم حجازي كوفي طغى عراقي شامي

(١) الجماء: التي لا قرن لها

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة والنازعات لم يكن حبسه وحسابه يوم القيامة إلا كقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة وقال ابو عبد الله (ع) من قرأها لم يمت إلا ريان ولم يبعثه الله إلا ريان ولم يدخله الجنة إلا ريان

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر أحوال القيامة وأهوالها افتتح هذه السورة بمثله فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (٢) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٣) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٤) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٥) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٦) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٧) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٨) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٩) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (١٠) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١١) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١٢) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٣) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٤) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (اربع عشرة آية)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير حفص وقتيبة ونصير ورويس عن يعقوب ناخرة بالألف والباقون نخرة بغير الف وروى ابو عمرو الدوري وحمدون عن الكسائي ناخرة ونخرة لا يبالي كيف قرأ وفي الشواذ قراءة ابي حياة الحَفِرَة بغير الف وقرأ نافع غير قالون ويعقوب انا لمردودون بهمزة واحدة غير ممدودة اذا كنا بغير استفهام وقرأ ابن عامر والكسائي أءنا لمردودون بهمزتين اذا كنا كما تقدم وقرأ ابن كثير انا اذا كنا بالاستفهام فيهما بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة وقرأ عاصم وحمزة وخلف فيهما بهمزتين مميزتين وقد تقدم ذكر هذا مشروحا في مواضع

الحجة

نخرة وناخرة لغتان وقال الفراء النخرة البالية والناخرة المجوفة قال الزجاج ناخرة اكثر وأجود لشبه اواخر الآي بعضها ببعض نحو الخاسرة والحافرة وأما الوجه في الحَفِرَة فهو أن يكون اراد الحافرة كقراءة الجماعة فحذف الألف تخفيفا كما في قوله

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرِدًا لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرِدَا إِلَّا عَرَادًا عَرِدًا (١)

أي عارداً

اللغة

الغرق اسم أُقيم مقام المصدر وهو الاغراق يقال اغرق في النزع اذا استوفى في مدّ القوس وبالغ فيه والنشط النزع ايضاً ومنه حديث ام سلمة فجاء عار وكان أخاها من الرضاعة ونشط زينب من حجرها اي نزعها ونشط الوحش من بلد الى بلد اذا خرج بنشاط والهموم تنشط بصاحبها اي تخرج به من حال الى حال قال هميان بن قحافة

أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ الْمَنَاشِطَا الشَّامَ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطَا (٢)

(١) في اللسان عن الازهري : اذا انتهى القلب عن شيء صردعنه ثم استشهد بهذا البيت . والعرادة : نبت او شجرة صلبة . وفي اللسان ايضاً قال ابو الهيثم تقول العرب قيل للضب : وردا وردا فقال : «أصبح قلبي ...الابيات» . وعراد هو على المبالغة . (٢) يعني صارت همومي تنقلني من بلد الى بلد فمرة الى الشام ومرة الى واسط بالعراق .

وانشطت العقدة حلتها ونشطتها عقدتها قالوا كأنما انشط من عقال والانشوطة العقدة تنحل إذا مدّ طرفاها يقال ما عقاله بانشوطة والرجف حركة الشيء من تحت غيره بترديد واضطراب والرجفة الزلزلة العظيمة وارجفوا اي ازعجوا الناس باضطراب الأمور وكل شيء تبع شيئا فقد ردفه وأرداف النجوم تواليها يتبع بعضها بعضاً وأرداف الملوك في الجاهلية الذين يخلفون الملوك والردفان الليل والنهار والوجيف شدة الاضطراب وقلب واجف مضطرب والوجيف سرعة السير واوجف في السير اسرع وأزعج الركاب فيه والحافرة بمعنى المحفورة مثل ماء دافق اي مدفوق وقيل الحافرة الأرض المحفورة ورجع الشيخ في حافرته أي رجع من حيث جاء وذلك كرجوع القهقرى قال

أَحَافِرَةً عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ ... مَعَاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارِ

أي أرجوعا الى حال الشباب وأوله ؟ ويقال النقد عند الحافر اي لا يزول حافر الفرس حتى ينقد الثمن لأنه لكرامته لا يباع نسيئة ثم كثر حتى قيل في غير الحافرة. والساهرة وجه الأرض والعرب تسمي وجه الأرض من الفلاة ساهرة أي ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفا منها قال امية بن ابي الصلت

وَفِيهَا لَحْمُ سَاهِرَةٍ وَبَحْرٍ ... وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ (١)

اي وفيها صيد البر والبحر وقال آخر

فَإِنَّمَا قَصْرُكَ رَبُّ السَّاهِرَهْ ... ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَهَا فِي الْحَافِرَهْ (٢)

﴿ الاعراب ﴾

جواب القسم محذوف على تقدير ليبعثن وقيل الجواب في ان في ذلك لعبرة يوم ترجف الراجفة نصب باذكر وان شئت كان نصبا بدلول قوله قلوب يومئذ واجفة على تقدير يوم ترجف الراجفة رجفت قلوبهم ويكون يومئذ بدلا من يوم ترجف الراجفة

﴿ المعنى ﴾

(والنازعات غرقا) اختلف في معناها على وجوه ﴿ أحدها ﴾ انه يعني الملائكة الذين ينزعون ارواح الكفار عن ابدانهم بالشدة كما ينزع النازع في القوس فيبلغ بها غاية المدى وروي ذلك عن علي (ع) ومقاتل وسعيد بن جبير وقال مسروق هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم وقيل هو الموت ينزع النفوس عن مجاهد وروي ذلك عن الصادق (ع) ﴿ وثانيها ﴾ انها النجوم تنزع من افق الى افق اي تطلع وتغيب عن الحسن وقتادة وابي عبيدة والأخفش والجبائي قال ابو عبيدة تنزع من مطالعها وتغرق في مغاربها ﴿ وثالثها ﴾ النازعات القسي تنزع بالسهم والناشطات الازهاق عن عطاء وعكرمة وعلى هذا فالقسم بفاعلها وهم الغزاة المجاهدون في سبيل الله (والناشطات نشطا) في معناها اقوال ﴿ احدها ﴾ ما ذكرناه ﴿ وثانيها ﴾ انها الملائكة تنشط ارواح الكفار بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من اجوافهم بالكرب والغم عن علي (ع) والنشط الجذب يقال نشطت الدلو نشطا نزعته ﴿ وثالثها ﴾ انها الملائكة تنشط انفس المؤمنين فتقبضها كما تنشط العقال من يد البعير اذا حل عنها عن ابن عباس وحكى الفراء هذا القول ثم قال والذي سمعت من العرب ان يقولوا كأنما انشط من عقال ونشطت الحبل ربطته وانشطته حللته ﴿ ورابعها ﴾ انها انفس المؤمنين

(١) يصف الجنة بانهم يطعمون فيها لحماً من الصيد (٢) هذا بيت من خمسة ابيات من مشطور الرجز قالها الهمداني يوم القادسية يخاطب بها فرسه وبعده «من بعد ما كنت عظاماً نخرة» قوله قصرك اى نهاية امرك وغايته . والحافرة : الاولى قبل الموت .

عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ما من مؤمن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى موضعه فيها وازواجه من الحور العين فنفسه تنشط ان تخرج عن ابن عباس ايضا ﴿وخامسها﴾ انها النجوم تنشط من افق الى افق أي تذهب يقال حمار ناشط عن قتادة والأخفش والجبائي (والسابحات سبحا) فيها أقوال ﴿ احدها ﴾ انها الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمي به عن علي (ع) والكلبي ﴿ وثانيها ﴾ انها الملائكة ينزلون من السماء مسرعين وهذا كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع في جريه عن مجاهد وابي صالح ﴿ وثالثها ﴾ انها النجوم تسبح في فلكها عن قتادة والجبائي وقيل هي خيل للغزاة تسبح في عدوها كقوله والعاديات ضبحا عن ابي مسلم وقيل هي السفن تسبح في الماء عن عطاء (فالسابقات سبقا) فيها أقوال ايضا ﴿احدها﴾ انها الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير والايمان والعمل الصالح عن مجاهد وقيل انها تسبق الشياطين بالوحي الى الأنبياء وقيل إنها تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة عن علي (ع). ومقاتل ﴿ وثانيها ﴾ انها انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى رحمة الله ولقاء ثوابه وكرامته عن ابن مسعود ﴿ وثالثها ﴾ انها النجوم يسبق بعضها بعضا في السير عن قتادة والجبائي ﴿ورابعها﴾ انها الخيل يسبق بعضها بعضا في الحرب عن عطاء وابي مسلم (فالمدبرات امراً) فيها أقوال ايضا — احدها أنها الملائكة تدبر امر العباد من السنة الى السنة عن علي (ع) — وثانيها — ان المراد بذلك جبرئيل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام يدبرون أمور الدنيا فأما جبرئيل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم عن عبد الرحمن بن سابط — وثالثها — انها الأفلاك يقع فيها امر الله تعالى فيجري بها القضاء في الدنيا رواه علي بن ابراهيم اقسم الله تعالى بهذه الأشياء التي عدّدها وقبل تقديره ورب النازعات وما ذكر بعدها وهذا ترك للظاهر بغير دليل وقد قال الباقر والصادق (ع) ان لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه ان يقسموا إلا به والوجه في ذلك انه سبحانه يقسم بخلقه للتنبيه على موضع العبرة فيه لأن القسم يدل على عظم شأن المقسم به وجواب القسم محذوف فكأنه سبحانه اقسم فقال وهذه الأشياء لتبعثن ولتحاسبن (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلائق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا تمخض (تتبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية تعقب النفخة الأولى وهي التي يبعث معها الخلق وهو كقوله ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فإذا هم قيام ينظرون ويوم منصوب على معنى (قلوب يومئذ واجفة) يوم ترجف الراجفة ومعنى الواجفة الشديدة الاضطراب ايضا وهذا معنى قول الحسن وقتادة وغيرهما وقيل معناه يوم تضطرب الأرض اضطرابا شديداً وتحرك تحركاً عظيما يعني يوم القيامة تتبعها الرادفة اي اضطرابة اخرى كائنة بعد الأولى في موضع الردف من الراكب فلا تزال تضطرب حتى تفنى كلها وقال ابن عباس معنى الواجفة خائفة والمراد بذلك اصحاب القلوب يعني أنها قلقة غير هادئة ولا ساكنة لما عاينت من أهوال يوم القيامة (أبصارها خاشعة) أي ذليلة من هول ذلك اليوم قال عطاء يريد ابصار من مات على غير الاسلام (يقولون أءنا لمردودون في الحافرة) اي يقول هؤلاء المنكرون للبعث من مشركي قريش وغيرهم في الدنيا أإنا لمبعوثون لحيا لنكم مبعوثون من بعد الموت انرد إلى أول

حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا والحافرة عند العرب اسم لأول الشيء وابتداء الأمر قال ابن عباس والسدي الحافرة الحياة الثانية وقيل الحافرة الارض المحفورة والمعنى أنرد من قبورنا بعد موتنا أحياء (أإذا كنا عظاما نخرة) أي بالية مفتتة والمعنى انهم أنكروا البعث فقالوا أنرد احياء إذا متنا وتفتتت عظامنا يقال نخر العظم ينخر فهو ناخر ونخر (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) أي قال الكفار تلك الكرة الكائنة بعد الموت كرة خسران ومعناه ان أهلها خاسرون لأنهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب النار والخاسر الذاهب رأس ماله وانما قالوا كرة خاسرة على معنى انه لا يجيء منها شيء كالخسران الذي لا يجيء منه فائدة فكأنهم قالوا هي كالخسران بذهاب رأس المال لا تجيء به تجارة فكذلك لا تجيء بتلك الكرة حياة وقيل معناه ان كان الامر على ما يقوله محمد من انا نبعث ونعاقب فتلك كرة ذات خسران علينا ثم اعلم سبحانه سهولة البعث عليه فقال (فإنما هي) يعني النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) اي صيحة واحدة من اسرافيل يسمعونها وهم اموات في بطون الارض فيحيون وهو قوله (فإذا هم بالساهرة) وهي وجه الارض وظهرها عن الحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وقيل انما سميت الارض ساهرة لأن عملها في النبت في الليل والنهار دائب ولذلك قيل خير المال عين خرّارة في ارض خوّارة تسهر[1] اذا نمت وتشهد إذا غبت ثم صارت اسما لكل ارض وقيل المراد بذلك عرصة القيامة لأنها اول مواقف الجزاء وهم في سهر لا نوم فيه

قوله تعالى (١٥) هَلْ أَتَيكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٦) إِذْ نَادَيهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى (١٩) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (٢٠) فَأَرَيهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢١) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٣ فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٤) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٥) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى (اثنتا عشرة آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الحجاز والبصرة طوى بغير تنوين والباقون بالتنوين وقرأ أهل الحجاز وعباس ويعقوب تزكى بتشديد الزاء والباقون بتخفيفها

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي قال أبو عبيدة طوى مضمومة الاول ومكسورته فمن لم ينوّن جعله اسماً مؤنثا ومن نوّن جعله مثل ثنى على معنى المقدس مرة بعد مرة وروي عن الحسن انه قرأ طوى بكسر الطاء وقال وطوي بالبركة والتقديس مرتين كما قال طرفة

أَعَاذِلَ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طُوَى مِن غَيِّكَ الْمُتَرَدِّدِ[2]

اي أن لومك مكرر عليّ قال أبو علي من لم يصرف طوى احتمل قوله امرين ﴿ احدهما ﴾ انه جعله اسم بلدة أو بقعة أو يكون معدولا كزفر ومعرو من صرف احتمل أيضا امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون جعله اسم موضع أو بلد او مكان ﴿ والآخر ﴾ ان يكون مثل زحل وحطم ولكع وقوله تزكى معناه تطهر من الكفر والمبتدأ محذوف من اللفظ مراد في المعنى والتقدير هل لك إلى ذاك حاجة أو اربة قال الشاعر

فَهَلْ لَكُمُ فِيهَا إِلَيَّ فَإِنَّنِي طَبِيبٌ بِمَا أَعْيَى النِّطَاسِيَّ حِذْيَمَا[3]

ومن قال تزكى أراد تتزكى فأدغم تاء التفعل في الزاء لتقاربهما ومن خفّف حذف التاء التي أثبتها من ادغم وتخفيفها بالحذف أشبه

(١) الخرار : الكثير الخرير وهو صوت الماء وارض خوارة : اللينة السهلة (٢) نسب البيت في اللسان الى عدي بن زيد (٣) النطاسي : الطبيب الحاذق وحذيم : اسم طبيب قال في اللسان أراد ابن حذيم فحذف ابن كما قال الشاعر «يحملن عباس بن عبد المطلب» يعني عبدالله بن عباس .

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة موسى (ع) فقال (هل أتيك) يا محمد حديث موسى استفهام يراد به التقرير (إذ ناديه ربه) اي حين ناداه الله ودعاه فالنداء الدعاء بطريقة يا فلان فالمعنى قال له يا موسى (بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) اسم واد عن مجاهد وقتادة وقيل طوي بالتقديس مرتين وهو الموضع الذي كلّم الله فيه موسى (اذهب إلى فرعون انه طغى) أي علا وتكبّر وكفر بالله وتجاوز الحد في الاستعلاء والتمرد والفساد (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي تتطهر من الشرك وتشهد ان لا إله إلا الله عن ابن عباس وهذا تلطف في الاستدعاء ومعناه هل لك رغبة الى ان تسلم وتصلح وتطهر (واهديك إلى ربك) أي وأدلك إلى معرفة ربك وانه خلقك وربّاك وقيل واهديك اي ارشدك الى طريق الحق الذي إذا سلكته وصلت إلى رضاء الله وثوابه (فتخشى) اي فتخافه فتفارق ما نهاك عنه وفي الكلام حذف تقديره فأتاه ودعاه (فأريه الآية الكبرى) يعني العصا وقال الحسن هي اليد البيضاء (فكذب) بأنها من الله (وعصى) نبيّ الله وجحد نبوته (ثم أدبر) فرعون أي ولّى الدبر ليطلب ما يكسر به حجة موسى في المعجزة العظيمة فما ازداد إلا غواية (يسعى) أي يعمل بالفساد في الارض وقيل إنه لما رأى الحية في عظمها خاف منها فأدبر وسعى هرباً عن الحبالي (فحشر) أي فجمع قومه وجنوده (فنادى) فيهم (فقال انا ربكم الاعلى) أي لا رب فوقي وقيل معناه انا الذي انال بالضرر من شئت ولا ينالني غيري وكذب اللعين انما هذه صفة الله الذي خلقه وخلق جميع الخلايق وقيل انه جعل الاصنام أرباباً فقال أنا ربها وربكم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) نكال مصدر مؤكّد لأن معنى اخذه الله نكل به نكال الاخرة والأولى بأن اغرقه في الدنيا ويعذّبه في الآخرة وقيل معناه فعاقبه الله بكلمته الآخرة وكلمته الأولى فالآخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من إله غيري فنكل به نكال هاتين الكلمتين وجاء في التفسير عن أبي جعفر (ع) انه كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل انه انما ناداهم فقال انا ربكم الاعلى فامنعوني من هذا الثعبان ولم يعلم الجهال أن من يخاف ضرر حية ويستعين بأمثاله لا يكون إلهاً وعن وهب عن ابن عباس قال قال موسى (ع) يارب انك امهلت فرعون اربعمائة سنة وهو يقول انا ربكم الاعلى ويجحد رسلك ويكذب بآياتك فأوحى الله تعالى اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت أن اكافيه وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ قال جبرئيل (ع) قلت يا رب تدع فرعون وقد قال أنا ربكم الاعلى فقال انما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت (ان في ذلك) الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) اي لعظة (لمن يخشى) الله تعالى ويخاف عقابه ونقمته ودلالة يمكن أن يعتبر بها العاقل ويميّز بين الحق والباطل

النظم

وجه اتصال قصة موسى (ع) بما قبلها انه لما تقدّم ذكر المكذبين للأنبياء المنكرين للبعث عقّبه بحديث موسى وتكذيب قومه اياه وما قاساه من الشدائد تسلية لنبينا ﷺ وعدة له بالنصر وحثّاً اياه على الصبر اقتداء بموسى وتحذيراً لقومه أن ينزل بهم ما نزل بأولئك وعظة بهم وتأكيداً للحجة عليهم

قوله تعالى (٢٧) ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَىٰهَا (٢٨) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٩) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا (٣٠) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا (٣١) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَىٰهَا (٣٢) وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا (٣٣) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٤) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٥) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٦) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٧) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٨) وَآثَرَ الْحَيَاةَ

الدُّنيا (٣٩) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٤٠) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤١) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤٢) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٣) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٤) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٥) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٦) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (عشرون آية)

القراءة

قرأ ابو جعفر والعباس عن العباسي عن ابي عمرو إنما انت منذر بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة الحسن وعمرو بن عبيد والجمال ارساها بالرفع وقراءة مجاهد والارض مع ذلك دحاها وقراءة عكرمة وبرزت الجحيم لمن ترى بالتاء.

الحجة

قال ابو علي حجة التنوين في قوله انما انت منذر ان اسم الفاعل هنا للحال ويدل عليه قوله قل إنما انذركم بالوحي فليس المراد انذر فيما استقبل وانما يقول انذر في الحال واسم الفاعل على قياس الفعل ومن اضاف استخف فحذف التنوين كما حذف من قوله فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم ونحو ذلك مما جاء على لفظ الاضافة والمراد به الانفصال ويجوز ان يكون منذر من على نحو هذا ضارب زيداً امس لأنه قد فعل الانذار ومن قرأ والجبال ارساها بالرفع فإنه مثل قراءة من قرأ والظالمون اعدَّلهم وقد تقدَّم بيانه ومن قرأ والارض مع ذلك فلعله قال ذلك تفسيراً للقراءة المشهورة لأنه ليس الغرض فيه ترتيب الزمان وانما الغرض اجتماعهما اعني السماوات والارض في الخلق لا في ان زمان الفعلين واحد وهذا كقولك فلان كريم فيقول السامع وهو مع ذلك شجاع اي قد اجتمع له الوصفان واما قوله لمن ترى بالتاء المفتوحة فيمكن ان يكون خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد لمن ترى يا محمد من الناس فأشار إلى البعض وغرضه الجنس والجميع كقول لبيد

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا ... وَسُؤَالِ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لُبَيْدِ[1]

فأشار إلى جنس الناس ونحن نعلم انه ليس جميعهم شاهداً حاضراً له ويمكن ان يكون التاء في ترى للجحيم أي لمن تراه النار

اللغة

السمك الارتفاع وهو مقابل العمق لأنه ذهاب الجسم بالتأليف إلى جهة العلو وبالعكس صفة العمق والمسموكات السماوات لارتفاعها ومنه قول امير المؤمنين (ع) يا داعم المسموكات قال الفرزدق

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

والتسوية جعل احد الشيئين على مقدار الآخر في نفسه أو في حكمه والغطش الظلمة وأغطشه الله اظلمه والاغطش الذي في عينيه شبه العمش وفلاة غطشاء لا يهتدى فيها والدحو البسط دحوت ادحو دحوا ودحيت ادحي دحيا لغتان قال امية بن ابي الصلت

دَارٌ دَحَاهَا ثُمَّ أَعْمَرَ بَابَهَا ... وَأَقَامَ بِالْأُخْرَى الَّتِي هِيَ أَمْجَدُ

وقال اوس

يَنْفِي الْحَصَى عَنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ مُبْتَرِكٌ ... كَأَنَّهُ فَاحِصٌ أَوْ لَاعِبٌ دَاحِ[2]

والطامة العالية الغالبة يقال هذا أطم من هذا أي اعلى منه وطم الطائر الشجرة علاها وتسمى الداهية التي لا يستطاع دفعها طامة

(١) لبيد بن ربيعة أحد شعراء الجاهلية وادرك الاسلام فاسلم وحسن اسلامه وعمر طويلا حتى قيل انه مات وهو ابن مأة وسبع وخمسين سنة وانشأ هذا البيت حين بلغ ماة وعشرين سنة (٢) وقد نسب بعض هذا البيت الى عبيد بن الابرص يصف الغيث وجديد الارض : وجهها . والمتبرك : المعتمد على الشيء الملح عليه و الفاحص : الذى يفحص الارض و←

﴿ الإعراب ﴾

والأرض منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره وكذا قوله والجبال ارساها متاعا لكم مفعول لـه لأن المعنى لإمتاعكم ويجوز أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله أخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك وقوله فإن الجحيم هي المأوى تقديره هي المأوى له قال الزجاج وقال قوم الألف واللام بدل من الضمير العائد أي هي مأواه والمراد أن المعنى يؤول إلى التي هي مأواه لأن الالف واللام بدل من الهاء. وهذا كما يقول الإنسان غض الطرف يا هذا فليس الالف واللام بدلا من الكاف وان كان المعنى غض طرفك لأن المخاطب يعرف انك لاتأمره بغض طرف غيره قال

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ ... فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابَا (١)

وكذلك المعنى في الآية وجواب إذا في قوله فإذا جاءت الطامة الكبرى في قوله فأما من طغى وما بعده فإن المعنى إذا جاءت الطامة الكبرى فإن الامر كذلك وقوله او ضحاها اضاف الضحى إلى العشية والغداة والعشي والضحوة والضحى لليوم الذي يكون فيه فإذا قلت أتيتك صباحا ومساء. ومساءة وصباحة فالمعنى أتيتك صباحا ومساء بلي الصباح واتيتك مساء وصباحا يلي المساء. وتقول اتيتك العشية وغداتها

﴿ المعنى ﴾

لما قدّم سبحانه ما اتى به موسى وما قابله به فرعون وما عوقب به في الدارين عظة لمن كان على عهد رسول الله ﷺ وتحذيراً لهم من المثلات خاطب عقيب ذلك منكري البعث فقال (ءأنتم) ايها المشركون المنكرون للبعث (أشد خلقا ام السماء) يعني أخلقكم بعد الموت اشدّ عندكم وفي تقديركم ام السماء. وهما في قدرة الله تعالى واحد وهذا كقوله لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس ثم ابتدأ فبيّن سبحانه كيف خلق السماء فقال (بنيها) الله تعالى الذي لا يكبر عليه خلق شيء (رفع سمكها) سقفها وما ارتفع منها (فسويها) بلا شقوق ولا فطور ولا تفاوت وقيل سوّاها احكمها وجعلها متصرفا للملائكة (واغطش ليلها) أي اظلم ليلها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة (واخرج ضحيها) اي ابرز نهارها وإنما اضاف الليل والضحى إلى السماء لأن منها منشأ الظلام والضياء بغروب الشمس وطلوعها على ما دبّرها الله عز وجل (والارض بعد ذلك دحيها) اي بعد خلق السماء بسطها من الدحو وهو البسط قال ابن عباس ان الله تعالى دحا الارض بعد السماء وان كانت الارض خلقت قبل السماء وكانت ربوة مجتمعة تحت الكعبة فبسطها وقال مجاهد والسدي معناه والارض مع ذلك دحاها كما قال عقيب بعد ذلك زنيم اي مع ذلك (اخرج منها) اي من الارض (ماءها) والمعنى فجّر الانهار والبحار والعيون عن ابن عباس (ومرعيها) مما ياكل الناس والانعام بيّن سبحانه بذلك جميع المنافع المتعلقة بالارض من المياه التي بها حياة كل شيء من الحيوانات والاشجار والثمار والحبوب والعيون عن ابن عباس وبها يحصل جميع الارزاق والنبات التي تصلح للمواشي فهي ترعاه بأن تاكله في موضعه (والجبال ارسيها) أي اثبتها في اوساط الارض (متاعا لكم ولأنعامكم) اي خلق سبحانه الارض واخرج منها المياه والمراعي واثبت الجبال بما فيها من انواع المعادن لمنفعتكم ومنفعة انعامكم تنتفعون بها ولما دلّ سبحانه بهذه الاشياء على صحة البعث وصف يوم البعث فقال (فإذا جاءت الطامة الكبرى) وهي القيامة لأنها تطم على كل داهية هائلة اي تعلو وتغلب ومن ذلك يقال ما من طامة الا وفوقها طامة والقيامة فوق كل طامة فهي الداهية العظمى قال الحسن هي النفخة الثانية وقيل هي الغاشية الغليظة المجللة التي تدق الشيء بالغلظ وقيل ان ذلك حين يساق اهل الجنة إلى الجنة واهل النار إلى النار (يوم يتذكر الانسان ما سعى) اي تجيء الطامة في يوم يتذكر الانسان ما عمله من خير او شر (وبرزت الجحيم) اي اظهرت النار (لمن يرى) فيراها الخلق مكشوفا عنها الغطاء ويبصرونها مشاهدة (فأما من طغى) اي تجاوز الحد الذي

← ينبشها ويحتفرها .

(١) البيت للجرير الخطفى يهجو به الراعى النميرى الشاعر : وغض النظر اى كف بصرك ذلا ومهانة . وسعد وكلاب حيان من تميم . وفى تفسير الطبرى «فلا كعباً بلغت ..اه» .

حدّه الله له وارتكب المعاصي (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة (فإن الجحيم هي المأوى) له والإيثار إرادة الشيء على طريقة التفضيل له على غيره (وأما من خاف مقام ربه) أي خاف مقام مسألة ربه عما يجب عليه فعله او تركه (ونهى النفس عن الهوى) أي عن المحارم التي تشتهيها وتهواها وقيل ان الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها عن مقاتل (فإنّ الجنة هي المأوى) له أي هي مقرّه ومأواه ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال (يسئلونك عن الساعة أيّان مرسيها) أي متى يكون قيامها ثابتة على ما وصفتها (فيم أنت من ذكريها) أي لست في شيء من علمها وذكراها والمعنى لا تعلمها قال الحسن أي ليس عندك علم بوقتها وانما تعلم انها تكون لا محالة وقيل معناه ليس هذا مما يتصل بما بعثت لأجله فإنما بعثت داعيا وقيل انها من حكاية قولهم والمعنى انك قد اكثرت من ذكراها فمتى يكون (الى ربك منتهيها) أي قل لهم الى الله اجراؤها والمنتهى موضع بلوغ الشيء فكأنه قيل الى أمر ربك منتهى أمرها بإقامتها لأن منتهى أمرها بذكرها ووصفها والإقرار بها الى الرسول ومنتهى أمرها بإقامتها الى الله لا يقدر عليها الا هو سبحانه وقيل معناه الى ربك منتهى علمها أي لا يعلم وقتها الا هو عن الحسن (انما أنت منذر من يخشيها) أي انما انت مخوف من يخاف قيامها أي انما ينفع انذارك من يخافها فأما من لا يخشاها فكأنك لم تنذره (كأنهم يوم يرونها) أي يعاينون القيامة (لم يلبثوا) في الدنيا (الا عشية أو ضحيها) أي الا قدر آخر نهار وأوله ومثله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقد مرّ بيانه وقيل ان معناه انهم اذا رأوا الآخرة صغرت الدنيا في اعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها الا مقدار عشية او مقدار ضحى تلك العشية عن قتادة

سورة عبس

وتسمى سورة السفرة مكية

عدد آيها

اثنتان وأربعون آية حجازي كوفي واحدى واربعون بصري واربعون شامي والمدني الاول

اختلافها

ثلاث آيات ولأنعامكم حجازي كوفي الى طعامه غير يزيد الصاخة غير الشامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر وروى معاوية بن وهب عن ابي عبد الله (ع) قال ومن قرأ سورة عبس وتولى واذا الشمس كوّرت كان تحت (١) الله من الجنان وفي ظل الله وكرامته في جنانه ولا يعظم ذلك على ربه عزوجل

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر انذاره من يخشى القيامة افتتح هذه السورة بذكر انذاره قوما يرجو اسلامهم واعراضه عمن يخشى فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (٢) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٣) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٤) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٥) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٦) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٧) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا

(١) كذا في النسخ وفي رواية الصدوق (ره) في ثواب الاعمال «كان تحت جناح الله من الجنان ... اه».

يَزَّكَّى (٨) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٩) وَهُوَ يَخْشَى (١٠) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١١) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١٢) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٣) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٤) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٥) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٦) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٧) قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٨) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٩) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢١) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢٢) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٣) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (ثلاث وعشرون آية)

القراءة

قرأ عاصم غير الأعشى والبرجمي فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع وقرأ اهل الحجاز تصدى بالتشديد والباقون تصدى بتخفيف الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن آن جاءه وقراءة ابي جعفر الباقر (ع) تصدى بضم التاء وفتح الصاد وتلهّى بضم التاء أيضاً وقراءة ابي حيوة وشعيب بن ابي حمزة نشره بغير ألف

الحجة

قال أبو علي من قرأ فتنفعه بالرفع عطفه على ما تقدم من المرفوع ومن قرأ بالنصب فعلى انه جواب بالفاء لأن المتقدم غير موجب فكأن قوله تعالى يذكر المعطوف على يزكى في معنى لعله يكون منه تذكر فانتفاع وكذا قوله لعلي أبلغ الاسباب اسباب السماوات فاطلع وقوله تصدى أي تعرض فمن قرأ بتشديد الصاد ادغم التاء في الصاد ومن قرأ بالتخفيف اراد تتصدى فحذف التاء ولم يدغمها وقرأ ابن فليح والبزي عن ابن كثير تلهى بتشديد التاء على انه شبه المنفصل بالمتصل وجاز وقوع الساكن بعد اللين كما جاز تمود الثوب في المتصل وحكى سيبويه فلا تناجوا ومن قرأ آن جاءه بلفظ الاستفهام فتقديره الآن جاءه الأعمى وكان ذلك منه فعلق ان يفعل بمحذوف دلّ عليه عبس وتولى واما على القراءة المشهورة فإن جاءه في موضع نصب بتولي لأنه الفعل الأقرب منه فكأنه قال تولى لمجيء الاعمى وهو مفعول له ومن قرأ تُصدّى فالمعنى يدعوك داع من زينة الدنيا وبشارتها الى التصدي له والاقبال عليه وعلى ذلك قوله تُلهّى ايضا أي تصرف عنه ومن قرأ نشره فعلى انه لغة في انشره

اللغة

التصدي التعرض للشيء كتعرض الصديان للماء والصحف جمع صحيفة والعرب تسمي كل مكتوب فيه صحيفه كما تسميه كتابا رقا كان أو غيره والسفرة الكتبة لاسفار الحكمة واحدهم سافر وواحد الاسفار سفر واصله الكشف من قولهم سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها وسفرت القوم اذا اصلحت بينهم قال

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي ... وَمَا أَمْشِي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيْتُ

والبررة جمع بارّ وهو فاعل البرّ والبر فعل النفع اجتلابا للمودّة واصله اتساع النفع ومنه البرّ سمي به تفاؤلاً باتساع النفع به واقبره جعل له قبراً فالاقبار جعل القبر لدفن الميت فيه ويقال اقبرني فلانا اي اجعلني اقبره والقابر الدافن للميت بيده قال الاعشى:

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلَى نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ(١)

(١) البيت من قصيدة طويلة يقولها فى مدح عامر بن الطفيل ويفضله على علقمة بن علاثة فى المنافرة التى جرت بينهما وهى مشهورة ذكرها اهل الادب فى كتبهم راجع شرح الشريشى على مقامات الحريرى وسرح العيون بشرح الرسالة الهزلية لابن زيدون ومطلع هذه القصيدة قوله : «شاقتك من قليلة اطلالها * بالشط فالجزع الى حاجز».

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

والانشار الاحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطي

﴿ الاعراب ﴾

ثم السبيل يسره انتصب السبيل بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر تقديره ثم يسر السبيل يسره له أي للإنسان ثم حذف الجار والمجرور وقوله كلا لما يقض ما أمره اي ما امره به فحذف الباء فصار التقدير ما امره فحذفت الهاء الاولى فصار ما امره فالهاء الباقية لما الموصولة والهاء المحذوفة للانسان .

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت الآيات في عبد الله بن ام مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك انه اتى رسول الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبيّاً وامية ابني خلف يدعوهم الى الله ويرجو اسلامهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري انه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه واقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وقال انس بن مالك فرأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ليس في ظاهر الآية دلالة على توجهها الى النبي ﷺ بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه وفيها ما يدل على ان المعني بها غيره لأن العبوس ليس من صفات النبي ﷺ مع الاعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه اخلاقه الكريمة ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه ﷺ وانك لعلى خلق عظيم وقوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فالظاهر ان قوله عبس وتولى المراد به غيره وقد روي عن الصادق (ع) انها نزلت في رجل من بني امية كان عند النبي ﷺ فجاء ابن ام مكتوم فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك وانكره عليه فإن قيل فلو صح الخبر الاول هل يكون العبوس ذنبا أم لا فالجواب ان العبوس والانبساط مع الاعمى سواء اذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنبا فيجوز ان يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه ﷺ ليأخذه بأوفر محاسن الاخلاق وينبّهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد ويعرفه ان تأليف المؤمن ليقيم على ايمانه اولى من تأليف المشرك طمعاً في ايمانه وقال الجبائي في هذا دلالة على ان الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان النهي فأما في الماضي فلا يدل على انه كان معصية قبل ان ينهى عنه والله سبحانه لم ينهه الا في هذا الوقت وقيل ان ما فعله الأعمى نوعا من سوء الادب فحسن تأديبه بالإعراض عنه الا انه كان يجوز ان يتوهم انه اعرض عنه لفقره واقبل عليهم لرياستهم تعظيما لهم فعاتبه الله سبحانه على ذلك وروي عن الصادق (ع) أنه قال كان رسول الله ﷺ اذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال مرحبا مرحبا لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكفّ عن النبي (ﷺ) مما يفعل به

المعنى

(عبس) اي بسر وقبض وجهه (وتولى) اي اعرض بوجهه (ان جاءه الأعمى) اي لأن جاءه الاعمى (وما يدريك لعله) أي لعل هذا الاعمى (يزكى) يتطهر بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (أو يذكر) أي يتذكر فينتفع بما يعلمه من مواعظ القرآن (فتنفعه الذكرى) في دينه قالوا وفي هذا لطف من الله عظيم لنبيه ﷺ اذ لم يخاطبه في باب العبوس فلما جاوز العبوس عاد الى الخطاب فقال وما يدريك ثم قال (أما من استغنى) اي من كان عظيماً في قومه واستغنى بالمال (فأنت له تصدى) اي تتعرض له وتقبل عليه بوجهك (وما عليك الا يزكى) اي أيُّ شيء يلزمك ان لم يسلم ولم يتطهر من الكفر فإنه ليس عليك الا البلاغ (واما من جاءك يسعى) اي يعمل في الخير يعني ابن ام مكتوم (وهو يخشى) الله عز وجل (فأنت عنه تلهى) اي تتغافل وتشتغل عنه بغيره (كلا) اي لا تعد لذلك وانزجر عنه (إنها تذكرة) اي انَّ آيات القرآن تذكير وموعظة للخلق (فمن شاء ذكره) اي ذكر التنزيل او القرآن أو الوعظ والمعنى فمن شاء ان يذكره ذكره وفي هذا دلالة على ان العبد قادر على الفعل مخير فيه وقوله كلا فيه دلالة على انه ليس له ان يفعل ذلك في المستقبل واما الماضي فلم يتقدم النهي عن ذلك فيه فلا يكون معصية ثم اخبر سبحانه بجلالة قدر القرآن عنده فقال (في صحف مكرمة) اي هذا القرآن أو هذه التذكرة في كتب معظمة عند الله وهي اللوح المحفوظ عن ابن عباس وقيل يعني كتب الانبياء المنزلة عليهم كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى (مرفوعة) في السماء السابعة وقيل مرفوعة قد رفعها الله عن دنس الانجاس (مطهرة) لا يمسها الا المطهرون وقيل مصونة عن ان تناالها ايدي الكفرة لأنها في ايدي الملائكة في اعز مكان عن الجبائي وقيل مطهرة من كل دنس عن الحسن وقيل مطهرة من الشك والشبهة والتناقض (بأيدي سفرة) يعني الكتبة من الملائكة عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني السفراء بالوحي بين الله تعالى وبين رسله من السفارة وقال قتادة هم القراء يكتبونها ويقرأونها وروى فضيل بن يسار عن الصادق عليه السلام قال الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة ثم اثنى عليهم فقال (كرام) على ربهم (بررة) مطيعين وقيل كرام عن المعاصي يرفعون انفسهم عنها بررة اي صالحين متقين وقال مقاتل كان القرآن ينزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر الى الكتبة من الملائكة ثم ينزل به جبريل (ع) إلى النبي ﷺ ثم ذكر سبحانه المكذبين بالقرآن فقال (قتل الإنسان) اي عذب ولعن الانسان وهو اشارة الى كل كافر عن مجاهد وقيل هو امية بن خلف عن الضحاك وقيل هو عتبة بن ابي لهب اذ قال كفرت برب النجم اذا هوى (ما اكفره) اي ما أشدّ كفره وما أبين ضلاله وهذا تعجب منه كأنه قد قال تعجبوا منه ومن كفره مع كثرة الشواهد على التوحيد والايمان وقيل ان ما للاستفهام اي أيُّ شيء اكفره وأوجب كفره عن مقاتل والكلبي فكأنه قال ليس ها هنا شيء يوجب الكفر ويدعو اليه فما الذي دعاه اليه مع كثرة نعم الله عليه ، ثم بيّن سبحانه من امره ما كان ينبغي معه ان يعلم ان الله خالقه فقال (من اي شيء خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير وقيل معناه لم لا ينظر الى أصل خلقته من ايّ شيء خلقه الله ليدلّه على وحدانية الله تعالى ثم فسّر فقال (من نطفة خلقه فقدره) اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقة وعلى حدّ معلوم من طوله وقصره وسمعه وبصره وحواسه واعضائه ومدة عمره ورزقه وجميع احواله (ثم السبيل يسره) اي ثم يسر سبيل الخروج من

بطن امه حتى خرج منه عن ابن عباس وقتادة وذلك ان رأسه كان الى رأس امه وكذلك رجلاه كانتا إلى رجليها فقلبه الله عند الولادة ليسهل خروجه منها وقيل ثم السبيل اي سبيل الدين يسره وطريق الخير والشر بيّن له وخيّره ومكّنه من فعل الخير واجتناب الشر ونظيره وهديناه النجدين عن مجاهد والحسن وابن زيد (ثم اماته) اي خلق الموت فيه وقيل ازال عنه حياته (فأقبره) اي صيّره بحيث يقبر وجعله ذا قبر عن ابي مسلم وقيل جعله مقبوراً ولم يجعله ممن يلقى الى السباع والطير عن الفراء وقيل امر بأن يقبر عن ابي عبيدة (ثم اذا شاء انشره) اي احياه من قبره وبعثه اذا شاء تعالى ان يحييه للجزاء والحساب والثواب والعقاب عن الحسن (كلا) أي حقا (لما يقض) أي لم يقض (ما امره) الله به من اخلاص عبادته ولم يؤدّ حق الله تعالى عليه مع كثرة نعمه قال مجاهد هو على العموم في الكافر والمسلم لم يعبده أحد حق عبادته

قوله تعالى (٢٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٥) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٦) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٧) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٨) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٩) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٣٠) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣١) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٤) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٥) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٦) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٧) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٨) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٩) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٤٠) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤١) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤٢) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (تسع عشرة آية)

القراءة

قرأ اهل الكوفة انا صببنا بالفتح والباقون بالكسر وفي الشواذ قراءة ابن محيصن يعنيه بالعين وفتح الياء

الحجة

قال ابو علي من كسر كان ذلك تفسيراً للنظر الى طعامه كما ان قوله لهم مغفرة تفسير للوعد ومن فتح فقال انا فالمعنى على البدل بدل الاشتمال لأن هذه الأشياء مشتملة على كون الطعام وحدوثه فهو من نحو يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه وقتل اصحاب الاخدود النارذات الوقود وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره لأن الذكر كالمشتمل على المذكور ومعنى الى طعامه الى كون طعامه وحدوثه وهو موضع الاعتبار قال ابن جني قوله يعنيه بالعين قراءة حسنة الا ان قراءة الجماعة اقوى معنى فإن الانسان قد يعنيه الشيء ولا يغنيه عن غيره الا ترى ان من كان له الف درهم فيؤخذ منها مائة درهم يعنيه امرها ولا يغنيه عن بقية ماله ان يهتم به ويراعيه فأما اذا اغناه الأمر عن غيره فإن ذاك اقوى فاعرفه (اللغة)

الحديقة البستان المحوط وجمعه حدائق ومنه قولهم احدق به القوم اذا احاطوا به والغلب الغلاظ شجرة غلباء غليظة قال الفرزدق

عَوَى فَأَثَارَ أَغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا ... فَوَيْلَ ابْنِ الْمُرَاغَةِ مَا اسْتَثَارَا (١)

والأبّ المرعى من الحشيش وسائر النبات الذي ترعاه الأنعام والدواب ويقال أبّ الى سيفه فاستله

(١) يهجو جريراً واسداغلب : غليظ الرقبة . والضيغم : الشديد العض والمراغة لقب ام الجرير لقبها الاحطل اى يتمرغ عليها الرجال والمراغة فى اللغة : الاتان التى لاتمتنع من الفحول .

اي بدر اليه وهب اليه فيكون كبدور المرعى بالخروج قال الاعشى

صَرَمْتُ وَلَمْ اَصْرِمْكُمُ وَ كَصَارِمٍ أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحاً وَأَبٌ لِيَذْهَبا (١)

وقال في الأبّ

جِذْ مُنَاقَيْسٌ وَنَجْدٌ دَارُنَا وَلَنَا الْأَبُّ بِهَا وَالْمَكْرَعُ (٢)

والصاخة الصاكة لشدة صوتها الآذان فتصمها والقترة ظلمة الدخان ومنه القتار ريح الشواء لأنها كالدخان

الاعراب

فإذا جاءت الصاخة العامل في الظرف في قوله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه اي ثبت لكل امرىء منهم ذلك في وقت مجيء الصاخة

المعنى

لمّا ذكر سبحانه خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال (فلينظر الإنسان الى طعامه) الذي يأكله ويتقوته من الأطعمة الشهية اللذيذة كيف خلقها سبحانه وهيّأها لرزق عباده ليفكر كيف مكّنه من الانتفاع بذلك ثم بيّن فقال (أنا صببنا الماء صبّاً) اي نزلنا الغيث انزالاً (ثم شققنا الأرض شقا) بالنبات (فأنبتنا فيها) اي في الأرض (حبا) اي جنس الحبوب التي يتغذى بها وتدخر (وعنبا) خصّ العنب لكثرة منافعه (وقضبا) وهو القت الرطب يقضب مرة بعد اخرى يكون علفا للدواب عن ابن عباس والحسن (وزيتونا) وهو ما يعصر عنه الزيت (ونخلا) جمع نخلة (وحدائق غلبا) اي وبساتين محوطة تشتمل على أشجار عظام غلاظ مختلفة وقيل غلبا ملتفة الشجر عن مجاهد (وفاكهة) يعني سائر ألوان الفواكه (وأبّا) وهو المرعى والكلأ الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام وقيل ان الأب للأنعام كالفاكهة للناس (متاعا) أي منفعة (لكم ولأنعامكم) مرّ معناه ثم ذكر يوم القيامة فقال (فإذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة عن ابن عباس سميت بذلك لأنها تصخ الآذان اي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها وقيل لأنها يصخ لها الخلق اي يستمع وقد قلب حرف التضعيف ياء لكراهية التضعيف فقالوا تظنيت في تظننت (٣) تَقَضّى الْبَازِيْ فِي تَقَضّض ثم ذكر سبحانه في أيّ وقت تجيء الصاخة فقال (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته) أي وزوجته (وبنيه) اي اولاده الذكور اي لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لعظم ما هو فيه وشغله بنفسه وان كان في الدنيا يعتني بشأنهم وقيل يفرّ منهم حذراً من مطالبتهم اياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم وقيل لعلمه بأنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا ويجوز ان يكون مؤمنا واقرباؤه من اهل النار فيعاديهم ولا يلتفت اليهم أو يفرّ منهم لئلا يرى ما نزل بهم من الهوان (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) اي لكل انسان منهم امر عظيم يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم ومعنى يغنيه يكفيه من زيادة عليه اي ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الأمر الذي قد اكتنفه وملأ صدره فصار كالغني عن الشيء في امر نفسه لا ينازع اليه وروي عن عطاء بن يسار عن سودة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث الناس عراة حفاة غرلا (٤) يلجمهم العرق ويبلغ شحمة الآذان قالت قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس عن ذلك وتلا رسول الله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ثم قسّم سبحانه احوال الناس في ذلك

(١) الصرم : القطع . اى صرمتكم فى تهيىء لمفارقتكم ، ومن تهيأ للمفارقة فهو كمن صرم . (٢) الجذم بالكسر الاصل ، والمكرع : اول الماء . (٣) هذا جزء بيت قدمر بتمامه فى الجزء الاول صفحة ١٢٧ فراجع . (٤) الاغرل جمع الاغرل وهو الاقلف .

اليوم فقال (وجوه يومئذ مسفرة) اي مشرقة مضيئة (ضاحكة مستبشرة) من سرورها وفرحها بما اعدّ لها من الثواب واراد بالوجوه اصحاب الوجوه (ووجوه يومئذ عليها غبرة) اي سواد وكآبة الهمّ (ترهقها) أي تعلوها وتغشاها (قترة) أي سواد أو كسوف عند معاينة النار وقيل ان الغبرة ما انحطت من السماء الى الارض والقترة ما ارتفعت من الأرض الى السماء عن زيد بن اسلم (أولئك هم الكفرة) في أديانهم (الفجرة) في افعالهم واستدلت الخوارج بذلك على ان من ليس بمؤمن لا بدّ ان يكون كافراً فإن الله سبحانه قسم الوجوه هذين القسمين ولا تعلق لهم به لأنه سبحانه ذكر هنا قسمين من الوجوه متقابلين وجوه المؤمنين ووجوه الكفار ولم يذكر وجوه الفساق من أهل الصلاة فيجوز ان يكون لها صفة اخرى بأن يكون عليها غبرة لا تغشاها قترة او يكون عليها صفرة او لون آخر

سورة كورت

ومنهم من يقول سورة التكوير مكية

عدد آيها

تسع وعشرون آية

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته. ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من احبّ ان ينظر الىّ يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت وروى ابو بكر قال قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله اسرع اليك الشيب قال شيّبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فأما ما روي عن انس انه سئل هل اختضب رسول الله ﷺ فقال ما شانه الشيب فقيل ابو ثينٌ هويا أبا حمزة فقال كلكم يكرهه فالوجه فيه انه يجوز ان يكون المراد بقوله شيبتني أنه لو كان امر يشيب منه انسان لشيبت من قراءة هذه السطور وقد روي أن علياً (ع) لما غسل رسول الله ﷺ وجد في لحيته شعرات بيضا وما لا يظهر الا بعد التفتيش لا يكون شيبا

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة عبس بذكر يوم القيامة وأهوالها افتتح هذه السورة ايضا بذكر علاماتها وأحوالها فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٤) وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٥) وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٦) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٧) وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٨) وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٩) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (١٠) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ (١١) وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ كُشِطَتْ (١٢) وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٣) وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (اربع عشرة آية)

القراءة

قرأ ابن كثير واهل البصرة سجرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ اهل المدينة وابن عامر وعاصم ويعقوب وسهل نشرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ أهل المدينة وابن عامر ورويس وعاصم غير يحيى وحماد سعرت بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابو جعفر قتلت بالتشديد والباقون بالتخفيف وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) واذا المَوَدَّةُ سئلت بفتح الميم والواو وروي ذلك عن ابن عباس ايضا وروي عن امير المؤمنين (ع) واذا الموؤدة سَئَلت بأيّ ذنب قتلت وهو قراءة ابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد وابي الضحى وجابر بن زيد

الحجة

قال ابو علي حجة سجرت قوله والبحر المسجور وقيل في البحر المسجور انه الفارغ والممتلئ ومن الممتلئ قول الشاعر في صفة وعل

إذا شاءَ طالَعَ مَسْجُورَةً ترَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسِما(١)

وحجة تشديد نشرت قوله صحفا منشرة وحجة سعرت بالتخفيف قوله وكفى بجهنم سعيراً فسعير فعيل بمعنى مفعول وهذا انما يجيئ من فعل وحجة من قال سجرت أن الفعل مسند الى ضمير كثرة من باب غلقت الابواب وحجة نشرت خفيفة قوله في رقّ منشور وحجة سعرت مشددة كلما خبت زدناهم سعيرا فهذا يدل على كثرة وشيئ بعد شيئ فحقه التشديد ومن قرأ واذا الموؤدة سألت بفتح السين جعل الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول بأيّ ذنب قتلت ويمكن ان يكون الله سبحانه اكملها في تلك الحال واقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول ويعضده ماروي عن النبي ﷺ انه قال يجيئ المقتول ظلما يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول يا رب سل هذا فيم قتلني ومن قرأ قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل لأن المراد بالموؤدة هنا الجنس فإرادة التكرار جائزة واما من قرأ المَوَدَّة بفتح الميم والواو فالمراد بذلك الرحم والقرابة وأنه يسأل قاطعها عن سبب قطعها وروي عن ابن عباس انه قال هو من قتل في مودّتنا أهل البيت (ع) وعن ابي جعفر (ع) قال يعني قرابة رسول الله ﷺ ومن قتل في جهاد وفي رواية اخرى قال هو من قتل في مودتنا وولايتنا

اللغة

التكوير التلفيف على جهة الاستدارة ومنه كور العمامة كرت العمامة على رأسي اكورها كوراً وكورتها تكويراً وطعنه فكوره اذا القاه مجتمعاً ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر اي من النقصان بعد الزيادة والانكدار انقلاب الشيئ حتى يصير اعلاه أسفله بما لو كان ماء لتكدر واصله الانصباب قال العجاج «ابْصَرَ خِرْبانَ فَضاءٍ فانْكَدَرْ»(٢) والعشار جمع عشراء وهي الناقة التي قد اتى عليها عشرة أشهر من حملها والناقة اذا وضعت لتمام فتي سنة واصل السجر الملأ قال لبيد

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلاَّمُها(٣)

أي مملوءة وتنور مسجور مملوء بالنار والموؤدة وَأَدَ يَئِدُ وَأْداً وكانت العرب تئد البنات خوف الإملاق قال قتادة جاء قيس بن عاصم التميمي الى النبي ﷺ فقال اني وأدت ثماني بنات في الجاهلية فقال

(١) النبع والساسم . نوعان من الشجر . (٢) الخربان جمع خرب بالتحريك : الحبارى وهو طائر يضرب به المثل في البلاهة والحمق . يقول : ان الباز قد انقض من اعلى الجولان رأى اسراب الحبارى على الارض فانقض ليصيدها . (٣) البيت من المعلقات وضمير التثنية يرجع الى العير والاتان اى انهما قد وردا عيناً ممتلئة ماءاً فدخلا فيها ←

فاعتق عن كل واحدة رقبة قال اني صاحب ابل قال فاهد الى من شئت عن كل واحدة بدنة قال الجبائي انما سميت موؤدة لأنها ثقلت في التراب الذي طرح عليها حتى ماتت وهذا خطأ لأن الموؤدة من وأديئد معتل الفاء من الثقل آده يؤده اثقله وهو معتل العين ولو كانت مأخوذة منه لقيل موءدة على وزن معودة وروي عن النبي ﷺ انه سئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفي قال الفرزدق

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوائِدَاتِ فَأَحْيَا الْوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ

وقال

وَمِنَّا الَّذِي اَحْيَا الْوَئِيدَ وَغالِبٌ وَعَمْرٌو وَمِنَّا حاجِبٌ وَالْاَقارِعُ (١)

والكشط القلع عن شدة التزاق والكشط والقشط واحد وفي حرف عبد الله وإذا السماء قشطت والتسعير تهييج النار حتى تتأجج ومنه السعر لأنه حال هيج الثمن بالارتفاع والانحطاط

الاعراب

ارتفعت الشمس بفعل مضمر تقديره إذا كورت الشمس كورت ولا يجوز اظهاره لأن ما بعده يفسره وإنما احتيج إلى اضمار فعل لأنَّ في إذا معنى الشرط والشرط يقتضي الفعل وجواب إذا قوله علمت نفس ما احضرت فإذا في موضع النصب لأنه ظرف لعلمت وعلى هذا يجري امثاله والجملة التي هي الفعل المحذوف مع فاعله بعد إذا في موضع جر بإضافة إذا اليها والتقدير وقت تكوير الشمس تعلم كل نفس ما عملته وتجزى به وعلى هذا فهنا اثنا عشر ظرفاً كلها اضافة الى الجمل من قوله اذا الشمس كورت الى قوله وإذا الجنة ازلفت والعامل فيها كلها قوله علمت نفس ما احضرت

المعنى

اخبر الله سبحانه عن القيامة وشدائدها فقال (إذا الشمس كورت) اي ذهب ضوءها ونورها فأظلمت واضمحلت عن ابن عباس وابي ومجاهد وقتادة وقيل القيت ورمي بها عن ابي صالح والربيع بن خثيم وقيل جمع ضوءها ولفت كما تلف العمامة عن الزجاج والمعنى ان الشمس تكور بأن يجمع نورها حتى تصير كالكارة الملقاة ويذهب ضوءها ويحدث الله تعالى للعباد ضياء غيرها (وإذا النجوم انكدرت) اي تساقطت وتناثرت عن مجاهد وقتادة والربيع بن خثيم يقال انكدر الطائر من الهواء اذا انقض وقيل تغيرت من الكدورة عن الجبائي والاول اولى لقوله واذا الكواكب انتثرت الا ان تقول يذهب ضوءها ثم تتناثر (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض فصارت هباء منبثاً وسراباً (واذا العشار) وهي النوق الحوامل اتت عليها عشرة اشهر وبعد الوضع تسمى عشاراً ايضاً وهي انفس مال عند العرب (عطلت) اي تركت هملا بلا راع وقيل العشار السحاب تعطل فلا تمطر عن الجبائي وحكي ذلك عن ابي عمرو قال الازهري لا اعرف هذا في اللغة (واذا الوحوش حشرت) اي جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ويحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل اليها ما تستحقه من الاعواض على الآلام التي نالتها في الدنيا وينتصف لبعضها من بعض فإذا وصل اليها ما استحقته من الاعواض فمن قال ان العوض دائم تبقى منعمة الى الابد ومن قال تستحق العوض منقطعا فقال بعضهم يديمه الله لها تفضلا لئلا يدخل على المعوض غم بانقطاعه وقال بعضهم اذا فعل الله بها ما استحقته من الاعواض جعلها ترابا (وإذا البحار سجرت) اي ارسل عذبها على مالحها

من عرض نهرها وقد تجاوز نبتها .

(١) كان صعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق ممن فدى المؤدات في الجاهلية و نهى قتلهن ؛ ويقال انه أحيا الف مؤدة وقد افتخر الفرزدق بهذا في البيتين .

وما لحها على عذبها حتى امتلأت وقيل إن المعنى فجر بعضها في بعض فصارت البحور كلها بحرا واحدا ويرتفع البرزخ عن مجاهد ومقاتل والضحاك وقيل سجرت اي اوقدت فصارت نارا تضطرم عن ابن عباس وقبل يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة عن الحسن وقتادة وقيل ملئت من القيح والصديد الذي يسيل من ابدان اهل النار في النار وأراد بحار جهنم لأن بحور الدنيا قد فنيت عن الجبائي (واذا النفوس زوجت) اي قرن كل واحد منها الى شكله وضمّ اليه والنفس يعبّر بها عن الإنسان وقد يعبر بها عن الروح فالمعنى قرن كل انسان بشكله من اهل النار وبشكله من اهل الجنة عن عمر بن الخطاب وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وقيل معناه ردّت الارواح الى الاجساد فتصير احياء عن عكرمة والشعبي وابي مسلم وقيل يقرن الغاوي بمن اغواه من انسان او شيطان عن الجبائي وقيل زوجت اي قرنت نفوس الصالحين من المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين عن عطاء ومقاتل (واذا الموؤدة سئلت) يعني الجارية المدفونة حيا وكانت المرأة اذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فإن ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاما حبسته عن ابن عباس قال شاعرهم

سَمَّيْتُها إذْ وُلِدَتْ تَمُوتُ وَالْقَبْرُ صِهْرٌ ضامِنٌ زَمِّيتُ (١)

ومعنى قوله سئلت (بأيّ ذنب قتلت) ان الموؤدة تسأل فيقال لها بأيّ ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قتلت بغير ذنب ويجري هذا مجرى قوله سبحانه لعيسى (ع) أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله على سبيل التوبيخ لقومه واقامة الحجة عليهم عن الفراء وقيل ان معنى سئلت طولب قاتلها بالحجة في قتلها وسئل عن سبب قتلها فكأنه قيل والموؤدة يُسأل قاتلها بأيّ ذنب قتلت هذه ونظيره قوله ان العهد كان مسؤولاً اي مسؤولا عنه عن أبي مسلم وعلى هذا فيكون القتلة هنا هم المسؤولين على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسؤول عنها (وإذا الصحف نشرت) يعني صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها أعمال أهلها من خير وشرّ تنشر ليقرأها اصحابها ولتظهر الاعمال فيجازوا بحسبها (وإذا السماء كشطت) أي أزيلت عن موضعها كالجلد يزال عن الجزور ثم يطويها الله وقيل معناه قلعت كما يقلع السقف عن الزجاج وقيل كشفت عمن فيها ومعنى الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام (وإذا الجحيم سعّرت) اوقدت واضرمت حتى ازدادت شدة على شدة وقيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم عن قتادة (وإذا الجنة ازلفت) أي قربت من اهلها للدخول وقيل قربت بما فيها من النعيم فيزداد المؤمن سروراً ويزداد أهل النار حسرة (علمت نفس ما أحضرت) أي إذا كانت هذه الاشياء التي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كل نفس ما وجدت حاضراً من عملها كما قالوا احمدته وجدته محموداً وقيل علمت ما احضرته من خير وشر واحضار الاعمال مجاز لأنها لا تبقى والمعنى انه لا يشذّ عنها شيء فكأن كلها حاضر وقيل أن المراد صحائف الاعمال

قوله تعالى (١٥) فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ (١٦) ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ (١٧) وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٨) وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٩) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٢٠) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ (٢١) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢٢) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٣)

(١) الزميت بمعنى الساكن وبعده قوله : «ليس لمن ضمنه تربيت» .

وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٤) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٥) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٦) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٧) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٨) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (خمس عشرة آية)

القراءة

قرأ أهل البصرة غير سهل وابن كثير والكسائي بظنين بالظاء والباقون بضنين بالضاد

الحجة

الظنين المتهم من قولهم ظننت أي اتهمت لا من ظننت المتعدي إلى مفعولين إذ لو كانت منه لكان لا بد من ذكر المفعول الثاني وفي انه لم يذكر المفعول الآخر دلالة على انه من ظننت بمعنى اتهمت وكان النبي ﷺ يعرف بالامين وبذلك وصفه ابو طالب في قوله

إِنَّ ابْنَ آمِنَةَ الْأَمِينَ مُحَمَّدًا ... عِنْدِي بِمِثْلِ مَنَازِلِ الْأَوْلَادِ

ومن قرأ بضنين فهو من البخل والمعنى انه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما يمتنع الكاهن من اعلام ذلك حتى يأخذ عليه حُلوانًا (١)

اللغة

الخنس جمع خانس والكنس جمع كانس وأصلها الستر والشيطان خناس لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى اي يذهب ويستتر و كناس الطير والوحش بيت يتخذه ويختفي فيه والكواكب تكنس في بروجها كالظباء تدخل في كناسها وعسعس الليل إذا اقبل من اوله وأظلم وعسعس إذا أدبر وهو من الاضداد قال علقمة بن قرط

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسَا ... وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسْعَسَا (٢)

والعس طلب الشيء بالليل ومنه اخذ العسس ويقال عسعس الليل وسعسع

الاعراب

انه لقول رسول كريم جواب القسم ثم وصف الرسول باوصاف الى قوله أمين ثم قال وما صاحبكم بمجنون وهو معطوف على جواب القسم و كذلك ما بعده وقوله فأين تذهبون اعتراض قال الفراء تقول العرب إلى أين تذهب وأين تذهب وتقولون ذهبت الشام وخرجت الشام وانطلقت السوق سمعناه في هذه الاحرف الثلاثة وانشد الفراء

تَصِيحُ بِنَا حَنِيفَةُ إِذْ رَأَتْنَا ... وَأَيَّ الْأَرْضِ تَذْهَبُ لِلصِّيَاحِ

يريد إلى اي الارض ولم يحك سيبويه من هذا إلا ذهبت الشام وعلى هذا جاء فأين تذهبون والمعنى فإلى أين تذهبون وقوله إن هو إلا ذكر للعالمين جواب القسم أيضاً وقوله وما تشاؤن داخل في جواب القسم أيضاً وقوله لمن شاء منكم بدل من قوله للعالمين بدل البعض من الكل فإذا السورة كلها مركبة من فعل وفاعل ومن قسم وأجوبة

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بالقسم فقال (فلا أقسم) أي فأقسم ولا زايدة وقد ذكرنا اختلاف العلماء

(١) الحلوان ـ بالضم ـ : الاجرة (٢) انجاب اى انكشف

فيه عند قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس) وهي النجوم تخنس بالنهار وتبدو بالليل (والجوار) صفة لها لأنها تجري في أفلاكها (الكنس) من صفتها أيضا لأنها تكنس اي تتوارى في بروجها كما تتوارى الظباء في كناسها وهي خمسة أنجم زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد عن علي (ع) وقيل معناه انها تخنس بالنهار فتختفي ولا ترى وتكنس في وقت غروبها فهذا خنوسها وكنوسها وقيل هي بقر الوحش عن ابن مسعود وقيل هي الظباء عن ابن جبير (والليل إذا عسعس) أي إذا أدبر بظلامه عن علي (ع) وابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل أقبل بظلامه عن الحسن وقيل أظلم عن الجبائي (والصبح إذا تنفس) اي إذا اسفر وأضاء والمعنى امتدّ ضوؤه حتى يصير نهاراً (انه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم أي ان القرآن قول رسول كريم على ربه وهو جبرئيل وهو كلام الله تعالى أنزله على لسانه أي سمعه محمد من جبرئيل ولم يقله من قبل نفسه عن الحسن وقتادة وقيل إنما أضافه الى جبرئيل لأن الله تعالى قال لجبرئيل انت محمداً ﷺ وقل له كذا ثم وصف جبرئيل (ع) فقال (ذي قوة) أي فيما كلف وأمر به من العلم والعمل وتبليغ الرسالة وقيل ذي قدرة في نفسه ومن قوته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها (عند ذي العرش مكين) مطاع متمكن عند الله صاحب العرش وخالقه رفيع المنزلة عظيم القدر عنده كما يقال فلان مكين عند السلطان والمكانة القرب (مطاع ثم) أي في السماء تطيعه ملائكة السماء قالوا ومن طاعة الملائكة لجبرئيل انه أمر خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتح لمحمد ﷺ أبوابها فدخلها ورأى ما فيها وأمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر اليها (أمين) أي على وحي الله ورسالاته إلى انبيائه وفي الحديث ان رسول الله ﷺ قال لجبرئيل (ع) ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فما كانت قوتك وما كانت أمانتك فقال اما قوتي فإني بعثت إلى مداين لوط وهي أربع مداين في كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع اهل السموات اصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتي فإني لم اومر بشيء فعدوته إلى غيره ثم خاطب سبحانه جماعة الكفار فقال (وما صاحبكم) الذي يدعوكم إلى الله واخلاص طاعته (بمجنون) والمجنون المغطى على عقله حتى لا يدرك الامور على ماهي عليه للآفة الغامرة له وبغمور الآفة يتميز من النائم لأن النوم ليس بآفة وهذا ايضا من جواب القسم اقسم الله عزّ اسمه ان القرآن نزل به جبرائيل وان محمداً ﷺ ليس على ما يرميه به اهل مكة من الجنون (ولقد رآه بالافق المبين) أي رأى محمداً ﷺ جبرائيل (ع) على صورته التي خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس وهو الافق الأعلى من ناحية المشرق عن قتادة ومجاهد والحسن (وما هو على الغيب بضنين) أي ليس هو على وحي الله تعالى وما يخبر به من الاخبار بمتهم فإن احواله ناطقة بالصدق والأمانة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابراهيم والضحاك ومن قرأ بالضاد فالمعنى انه ليس ببخيل فيما يؤدّي عن الله ان يعلّمه كما علّمه الله (وما هو بقول شيطان رجيم) رجمه الله باللعنة عن الحسن وقيل رجم بالشهب طرداً من السماء والمعنى وليس القرآن بقول شيطان رجيم القاه اليه كما قال المشركون ان الشيطان يلقي اليه كما يلقي إلى الكهنة ثم بكّتهم الله سبحانه فقال (فأين تذهبون) أي فأيّ طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم عن الزجاج وقيل معناه فأين تعدلون عن هذا القرآن وهو الشفاء والهدى (إن هو إلا ذكر للعالمين) معناه ما القرآن إلا عظة وتذكرة للخلق يمكنهم ان يتوصلوا به إلى الحق والذكر هو ضدّ السهو

والذاكر لا يخلو من ان يكون عالماً او جاهلا او مقلداً او شاكاً ولا يصح شيء من ذلك مع السهو الذي يضاد الذكر (لمن شاء منكم ان يستقيم) على امر الله وطاعته ذكر سبحانه انه ذكر لجميع الخلق على العموم ثم خص المستقيم لأن المنفعة راجعة اليهم كما قال إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب (وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين) فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا ان يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها وكلفكم بها فمشيئته بين يدي مشيئتكم عن الجبائي ﴿ وثانيها ﴾ انه خطاب للكفار والمراد لا تشاؤون الإسلام الا ان يشاء الله ان يجبركم عليه ويلجأكم اليه ولكنه لا يفعل لأنه يريد منكم ان تؤمنوا اختياراً لتستحقوا الثواب ولا يريد ان يحملكم عليه عن ابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد وما تشاؤون الإسلام الان يشاء الله ان يلطف لكم في الاستقامة لما في الكلام من معنى النعمة

سورة انفطرت

وتسمى سورة الانفطار مكية تسع عشرة آية

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ ومن قرأها اعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة مائة حسنة وأصلح الله شأنه يوم القيامة وروى الحسن بن ابي العلا عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ هاتين السورتين اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت وجعلها نصب عينه في صلاة الفريضة والنافلة لم يحجبه من الله حجاب ولم يحجزه من الله حاجز ولم يزل ينظر الى الله وينظر الله اليه حتى يفرغ من حساب الناس

﴿ تفسيرها ﴾

لما كانت السورة المتقدمة في ذكر اهوال يوم القيامة افتتح سبحانه هذه السورة بمثل ذلك ليتصل بها اتصال النظير بالنظير فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (٢) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٣) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٤) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٥) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٦) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٧) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٨) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٩) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (١٠) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١١) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١٢) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٣) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٤) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٥) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٦) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (تسع عشرة آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة وابو جعفر فعدلك خفيفة والباقون بالتشديد وقرأ ابو جعفر بل يكذبون بالياء والباقون بالتاء

وقرأ ابن كثير واهل البصرة يوم لا تملك بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة سعيد بن جبير ما اغرك بربك

الحجة

اما عدلك بالتشديد فمعناه عدل خلقك فاخرجك في احسن تقويم واما عدلك بالتخفيف فمعناه عدل بعضك ببعض فكنت معتدل الخلقة متناسبها فلا تفاوت فيها وقوله يكذبون بالياء يكون اخبارا عن الكفار وبالتاء على خطابهم واما وجه الرفع في قوله يوم لا تملك نفس انه خبر مبتدأ محذوف اي هو يوم لا تملك والمعنى يوم الدين يوم لا تملك نفس واما النصب فإنه لما قال وما ادريك ما يوم الدين فجرى ذكر الدين وهو الجزاء قال يوم لا تملك يعني الجزاء يوم لا تملك نفس فصار يوم لا تملك خبر الجزاء المضمر لأنه حدث وتكون اسماء الزمان اخبارا عن الحدث ويجوز النصب على وجه آخر وهو ان اليوم لما جرى في اكثر الامر ظرفا ترك على ما كان يكون عليه في اكثر امره والدليل على ذلك ما اجتمع عليه القراء والعرب في قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ومما يقوي النصب في ذلك قوله وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فالنصب في يوم لا تملك نفس مثل هذا ونحوه قال ابو الحسن ولو رفع ذلك كله كان جيداً الا أنا نختار ما عليه الناس واما من قرأ ما أغرّك فيجوز ان يكون معناه ما الذي دعاك الى الاغترار به ويجوز أن يكون تعجبا وقد قيل في قوله فما اصبرهم على النار هذان الوجهان واغرك يجوز أن يكون من الغر والغرارة فيكون معناه ما اجهلك وما اغفلك عما يراد بك ويجوز أن يكون من الغرور على غير القياس كما قيل في المثل اشغل من ذات النحيين (١)

اللغة

الانفطار والانشقاق والانصداع نظائر والانتثار تساقط الشيء في الجهات والتفجير خرق بعض مواضع الماء الى بعض على التكثير ومنه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج الى كثير من الذنوب ومنه الفجر لانفجاره بالضياء وبعثرت الحوض وبحثرته اذا جعلت اسفله اعلاه والبعثرة والبحثرة اثارة الشيء بقلب باطنه الى ظاهره والغرور ظهور امر يتوهم به جهلا الأمان من المحذور يقال غره غروراً واغتره اغتراراً قال الحرث بن حلزة

لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُوراً وَلٰكِنْ رَفَعَ الْآلُ جَمْعَهُمْ وَالضَّحَاءُ (٢)

الاعراب

قوله في اي صورة ما شاء يجوز ان تكون ما مزيدة مؤكّدة والمعنى في اي صورة شاء ركّبك اما طويلا واما قصيراً واما كذا وكذا ويكون ركبك عطفا على عدلك فحذف الواو ويجوز ان يكون ما في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى في اي صورة ما شاء ان يركبك فيها ركبك ولا يكون على هذا قوله في اي صورة من صلة ركبك لأن سيبويه قال ان تضرب زيداً اضرب عمراً ولا يجوز تقديم عمرو على ان فوجب ان يكون قوله في اي صورة من صلة مضمر ولا يكون من صلة عدلك لأنه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله. يصلونها في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون في موضع رفع فيكون خبراً لأنه خبر بعد خبر والتقدير ان الفجار في جحيم صالون

(١) النحى : زق السمن وذات النحيين : هي امرأة من بني تيم كانت تبيع السمن في الجاهلية فاتاها خوات بن جبير يبتاع منها سمناً فلم يرعندها أحداً وساومها فحلت نحيا فنظر اليه ، ثم قال امسكيه حتى انظر الى غيره فقالت حل نحيا آخر ففعل فنظر اليه فقال اريد غير هذا فامسكيه ففلت : فلما شغل يديها اتى خلفها وهي منحنية فرفع ثوبها وأدخل

المعنى

(إذا السماء انفطرت) أي انشقت وتقطعت ومثله يوم تشقق السماء بالغمام الآية (وإذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت وتهافتت قال ابن عباس سقطت سودا لا ضوء لها (وإذا البحار فجرت) أي فتح بعضها في بعض عذبها في ملحها وملحها في عذبها فصارت بحراً واحداً عن قتادة والجبائي وقيل معناه ذهب ماؤها عن الحسن (وإذا القبور بعثرت) أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها وقيل معناه بحثت عن الموتى فأخرجوا منها يريد عند البعث عن ابن عباس ومقاتل (علمت نفس ما قدمت وأخرت) وهذا كقوله سبحانه ينبؤ الانسان يومئذ بما قدّم وأخر وقد مرّ ذكره عن عبد الله بن مسعود قال ما قدمت من خير او شر وما أخرت من سنة حسنة أستنّ بها بعده فله أجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء او سنة سيئة عمل بها بعده فعليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ويؤيد هذا القول ما جاء في الحديث ان سائلا قام على عهد النبي ﷺ فسأل فسكت القوم ثم أن رجلا أعطاه فأعطاه القوم فقال النبي ﷺ من استن خيرا فاستنّ به فله اجره ومثل اجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم ومن استنّ شراً فاستنّ به فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم قال فتلا حذيفة بن اليمان علمت نفس ما قدمت وأخرت (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم) أي اي شيء غرّك بخالقك وخدعك وسوّل لك الباطل حتى عصيته وخالفته وروي أن النبي ﷺ لما تلا هذه الآية قال غرّه جهله واختلف في معنى الكريم فقيل هو المنعم الذي كل أفعاله احسان وانعام لا يجرّ به نفعا ولا يدفع به ضررا وقيل هو الذي يعطي ما عليه وما ليس عليه ولا يطالب ماله وقيل هو الذي يقبل اليسير ويعطي الكثير وقيل إن من كرمه سبحانه انه لم يرض بالعفو عن السيئات حتى بدّلها بالحسنات وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال ما غرّك بربك الكريم ماذا كنت تقول له قال أقول غرّني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامني الله بين يديه فقال ماغرّك بي قلت غرّني بك برّك بي سالفاً وآنفاً وعن بعضهم قال غرّني حلمك وعن أبي بكر الوراق غرّني كرم الكريم وانما قال سبحانه الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لأنه كأنه لقّنه الإجابة حتى يقول غرّني كرم الكريم وقال عبدالله بن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم يا ابن آدم ما غرّك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين وقال أمير المؤمنين (ع) كم مغرور بالستر عليه ومستدرج بالإحسان اليه (الذي خلقك) من نطفة ولم تك شيئاً (فسوّاك) انساناً تسمع وتبصر (فعدلك) أي جعلك معتدلاً وقيل معناه عدل خلقك في العينين والأذنين واليدين والرجلين عن مقاتل والمعنى عدل بين ما خلق لك من الاعضاء التي في الانسان منها اثنان لا تفضل يد على يد ولا رجل على رجل (في أيّ صورة ماشاء ركبك) اي في أيّ شبه من أب أو أم أو خال أو عم عن مجاهد وروي عن الرضا (ع) عن آبائه عن النبي ﷺ انه قال لرجل ما ولد لك قال يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية قال فمن يشبه قال يشبه أمه أو أباه فقال ﷺ لا تقل هكذا ان النطفة إذا استقرت في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم اما قرأت هذه الآية في أيّ صورة ما شاء ركبك اي فيما بينك وبين آدم وقيل في أيّ صورة ما شاء من صور الخلق ركبك ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة حمار وان شاء في صورة قرد عن عكرمة وأبي صالح وقال الصادق (ع) لو شاء ركبك على غير هذه الصورة والمعنى

. فيها فلم تقدر على دفعه حتى قضى ماأراد وهرب ؛ ثم اسلم خوات فقال لرسول الله (ص) كيف شراؤك ياخوات؟ وتبسم.

(٢) البيت من المعلقات والال : السراب . اى لم يأتوكم بغتة وانتم ترونهم فى ضحى النهار وخلال السراب

انه سبحانه يقدر على جعلك كيف شاء ولكنه خلقك في احسن تقويم حتى صرت على صورتك التي أنت عليها لا يشبهك شيء من الحيوان وقيل في أيّ صورة شاء من ذكر أو أنثى او جسيم او نحيف حسن أو دميم طويل او قصير (كلا) أي ليس الأمر كما تزعمون انه لا بعث ولا حساب وليس هنا موضع الإنكار للبعث مع وضوح الامر فيه وقيام الدلالة عليه (بل تكذبون) معاشر الكفار (بالدين) الذي هو الجزاء لإنكاركم البعث والنشور عن مجاهد وقتادة وقيل تكذبون بالدين الذي جاء به محمد ﷺ وهو الاسلام عن الجبائي (وان عليكم لحافظين) من الملائكة يحفظون عليكم ما تعلمونه من الطاعات والمعاصي ثم وصف الحفظة فقال (كراما) على ربهم (كاتبين) يكتبون اعمال بني آدم (يعلمون ما تفعلون) من خير وشرّ فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شيء وقيل ان الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطرار وإما باستدلال وقيل معناه يعلمون ما تفعلون من الله دون الباطن وفي هذا دلالة على أن أفعال العبد حادثة من جهتهم وانهم المحدثون لها دونه تعالى والا فلا يصح قوله تفعلون (إن الابرار لفي نعيم) وهو الجنة والابرار أولياء الله المطيعون في الدنيا (وإن الفجار لفي جحيم) وهو العظيم من النار والمراد بالفجار هنا الكفار المكذبون للنبي ﷺ لقوله (يصلونها يوم الدين) أي يلزمونها بكونهم فيها (وما هم عنها بغائبين) أي لا يكونون غائبين عنها بل يكونون مؤبدين فيها وقد دلّ الدليل على أن أهل الكبيرة من المسلمين لا يخلدون في النار ولأنه سبحانه قد ذكر المكذبين بالدين فيما قبل هذه الآية فالاولى أن تكون لفظة الفجار مخصوصة بهم وأيضا فإذا احتمل الكلام ذلك بطل تعلق أهل الوعيد بعموم اللفظ ثم عظم سبحانه يوم القيامة فقال (وما ادريك مايوم الدين) تعظيما له لشدته وتنبيها على عظم حاله وكثرة أهواله (ثم ما ادريك مايوم الدين) كرّره تأكيدا لذلك وقيل اراد ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم لأهل الجنة وما أدراك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار عن الجبائي (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً) أي لا يملك احد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب كما يملك كثير من الناس في دار الدنيا ذلك (والأمر يومئذ لله) وحده أي الحكم له في الجزاء والثواب والعفو والانتقام وروى عمرو بن شمر عن جابر عن ابي جعفر (ع) أنه قال ان الامر يومئذ واليوم كله لله ياجابر إذا كان يوم القيامة بادت الحكام فلم يبق حاكم إلا الله وقيل معناه يوم لا تملك نفس لنفس كافرة شيئا من المنفعة عن مقاتل والمعنى الصحيح في الآية ان الله سبحانه قد ملّك في الدنيا كثيرا من الناس اموراً واحكاما وفي القيامة لا أمر لسواه ولا حكم[1] ومتى قيل فيجب أن لا يصح على هذا شفاعة النبي ﷺ فالجواب ان ذلك لا يكون إلا بأمره تعالى وبإذنه وهو من تدابيره

سورة المطففين

وتسمى سورة التطفيف مكية وقال المعدل مدنية عن الحسن والضحاك وعكرمة قال وقال ابن عباس وقتادة إلا ثماني آيات منها وهي ان الذين أجرموا إلى آخر السورة

عدد آيها

ست وثلاثون آية بالاجماع

(١) وقد مر نظير هذا الكلام في قوله تعالى : «مالك يوم الدين» في سورة الفاتحة فراجع

فضلها

أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ ومن قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة وروى صفوان الجمال عن أبي عبد الله (ع) قال من كانت قراءته في الفريضة ويل للمطففين أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار ولا تراه ولا يراها ولا يمرّ على جسر جهنم ولا يحاسب يوم القيامة

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر القيامة وما أعدّ فيها للابرار والفجار وبيّن في هذه السورة أيضا ذكر احوال الناس في القيامة فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (٢) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٧) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (سبع عشرة آية)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى ران بكسر الراء والباقون بفتحها

اللغة

التطفيف نقص المكيال والميزان والطفيف الشيء النزر القليل مأخوذ من طف الشيء وهو جانبه ومنه في الحديث كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤوه فليس لأحد فضل الا بالتقوى وطف الصاع قريب من ملئه اي بعضكم قريب من بعض واناء طفان اذا لم يكن ملآن والاكتيال الأخذ بالكيل ونظيره الاتزان وهو الاخذ بالوزن واذا كالوهم او وزنوهم كان عيسى بن عمر يجعل هم فصلا في موضع رفع او تأكيداً للضمير في كالوا اووزنوا والباقون يجعلونها ضمير المنصوب وهو الصحيح واهل الحجاز يقولون وزنتك حقك وكلتك طعامك وعليه جاء التنزيل وغيرهم يقول وزنت لك وكلت لك ويقال اخسرت الميزان وخسرته اي نقصت في الوزن والسجين فعيل من السجن قال ابن مقبل « ضَرْباً تَواصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَاً »(١) اي شديداً وقيل السجين هو السجن على التخليد فيه لأن هذا الوزن للمبالغة قالوا شريب وسكير وشرير والرقم طبع الخط بما فيه علامة الأمر يقال رقمت الثوب ارقمه رقما والرين اصله الغلبة ران على قلبه اي غلب عليه والخمر ترين على قلب السكران والموت يرين على الميت فيذهب به وفي حديث عمر بن الخطاب انه قال في اسيفع جهينة لما ركبه الدين ادّانَ معرضاً(٢) فأصبح قد رين به اي احاط الدين بماله حتى غلبه

(١) وقبله «ورجلة يضربون الهام عن عرض» (٢) اى استدان معرضاً عن الاداء . وقيل استدان معترضاً عن الاداء وقيل استدان معترضاً عن كل من يقرضه .

﴿ الاعراب ﴾

يوم يقوم الناس منصوب بقوله مبعوثون اي ألا يظنون انهم مبعوثون يوم القيامة وقيل في اصل كلا قولان ﴿احدها﴾ انها كلمة واحدة من غير تركيب وضعت للردع والزجر وجرت مجرى الأصوات نحو صه ومه ونحوهما و﴿الثاني﴾ ان يكون الكاف للتشبيه دخلت على لا وشدّدت للمبالغة في الزجر مع الايذان بتركيب اللفظ

﴿ النزول ﴾

قيل لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك عن عكرمة عن ابن عباس وقيل انه ﷺ قدم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فنزلت الآيات عن السدي

﴿ المعنى ﴾

(ويل للمطففين) وهم الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون الناس حقوقهم في الكيل والوزن قال الزجاج وانما قيل له مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف ثم فسّر المطففين فقال (الذين اذا اكتالوا على الناس) اي اذا كالوا منا على الناس ليأخذوه لانفسهم (يستوفون) عليهم الكيل ولم يذكر اتزنوا لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فأحدهما يدل على الآخر (واذا كالوهم اووزنوهم) أي كالوا لهم او وزنوا لهم (يخسرون) اي ينقصون والمعنى انهم إذا كالوا او وزنوا لغيرهم نقصوا تقول كلتك وكلت لك كما تقول نصحتك ونصحت لك ويروى عن ابن مسعود انه قال الصلاة مكيال فمن وفى وفى الله له ومن طفف قد سمعتم ما قال الله في المطففين ثم عجب الله خلقه من غفلة هؤلاء حيث فارقوا أمر الله وطريقة العدل فقال (ألا يظن) اي ألا يعلم (اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم) وهو يوم القيامة يريد الا يستيقن من فعل هذا انه مبعوث محاسب عن ابن عباس ثم اخبر عن ذلك اليوم فقال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمعنى يوم يقوم الناس من قبورهم لأمر رب العالمين ولجزائه او حسابه وجاء في الحديث انهم يقومون في رشحهم الى انصاف آذانهم وفي حديث آخر يقومون حتى يبلغ الرشح الى اطراف آذانهم ويحتمل ان يكون المراد ايضاً ألا يحسب اولئك لأن من ظن الجزاء والبعث وقوى ذلك في نفسه وان لم يكن عالما به فإنه يجب عليه ان يتحرز خوفا من العقاب الذي يجوزه ويظنه كما ان من ظنّ العطب في سلوك طريق فواجب عليه ان يتجنب سلوكه وفي الحديث عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون الشمس بقدر ميل او ميلين قال سليم فلا أدري أمسافة الأرض أم الميل الذي تكحل به العين ثم قال صهرتهم الشمس فيكونون في العرق بقدر اعمالهم فمنهم من يأخذه الى عقبه ومنهم من يلجمه الجاما قال فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده الى فيه قال يلجمه الجاما اورده مسلم في الصحيح وروي ان ابن عمر قرأ ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين فبكى حتى خرّ وامتنع من القراءة (كلا) هو ردع وزجر اي ارتدعوا وانزجروا عن المعاصي فليس الأمر على ما انتم عليه ثم الكلام ها هنا وعندابي حاتم سهل كلا ابتداء ينفصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار لفي سجين) يعني كتابهم الذي فيه ثبت اعمالهم من الفجور والمعاصي عن الحسن وقيل معناه انه كتب

في كتابهم انهم يكونون في سجين وهي في الأرض السابعة السفلى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ سجين أسفل سبع ارضين وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الأحبار فقال اخبرني عن قول الله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الأرض فتأبى الارض ان تقبلها فتدخل سبع أرضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند ابليس والمعنى في الآية ان كتاب عملهم يوضع هناك وقيل ان سجين جب في جهنم مفتوح والفلق جب في جهنم مغطى رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ وقيل السجين اسم لكتابهم وهو ظاهر التلاوة أي ما كتبه الله على الكفار بمعنى اوجبه عليهم من الجزاء في هذا الكتاب المسمى سجينا ويكون لفظه من السجن الذي هو الشدة عن ابي مسلم والذي يدل على ان العرب ما كانت تعرفه هو قوله (وما ادريك ما سجين) أي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك عن الزجاج ثم قال مفسراً لذلك (كتاب مرقوم) أي كتاب معلوم كتب فيه ما يسوءهم ويسخن اعينهم وقيل مرقوم معناه رقم لهم بشر كأنه اعلم بعلامة يعرف بها الكافر والوجه الصحيح ان قوله كتاب مرقوم ليس تفسيراً السجين لأنه ليس السجين من الكتاب المرقوم في شيء وانما هو تفسير للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار على تقدير وهو كتاب مرقوم اي مكتوب قد تبيّنت حروفه (ويل يومئذ للمكذبين) وهذا تهديد لمن كذّب بالجزاء والبعث ولم يصدق وذكر صاحب النظم ان هذا منتظم بقوله يوم يقوم الناس وان قوله كلا ان كتاب الفجار وما اتصل به اعتراض بينهما ثم فسّر سبحانه المكذبين فقال (الذين يكذبون بيوم الدين) اي يوم الجزاء فإن من كذب بالباطل لا يتوجه اليه الوعيد بل هو ممدوح ثم قال (وما يكذب به) أي لا يكذب بيوم الجزاء (الا كل معتد) أي متجاوز للحق إلى الباطل (أثيم) كثير الإثم مبالغ في اوتكابه ثم وصف المعتدي الأثيم بقوله (اذا تتلى عليه آياتنا) وهي القرآن (قال أساطير الأولين) أي اباطيل الاولين والتقدير قال هذا اساطير الأولين اي ما سطره الأولون وكتبوه مما لا أصل له (كلا) لا يؤمنون وقيل ليس الأمر على ما قالوه ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم) اي غلب عليها (ما كانوا يكسبون) والمعنى غلب ذنوبهم على قلوبهم وقيل ان معنى الرين هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب عن الحسن وقتادة وقال الفراء كثرت المعاصي منهم والذنوب واحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وعن عبد الله بن مسعود قال ان الرجل ليذنب الذنب فتنكت على قلبه نكتة سوداء ثم يذنب الذنب فتنكت نكتة أخرى حتى يصير قلبه على لون الشاة السوداء وروى العياشي بإسناده عن زرارة عن ابي جعفر (ع) قال ما من عبد مؤمن الا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا اذنب ذنبا خرج في تلك النكتة نكتة سوداء فإذا تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابداً وهو قول الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم الآية وقال ابو عبد الله (ع) يصدأ القلب فإذا ذكرته بآلاء الله انجلى عنه وقال ابو مسلم ان اعتيادهم الكفر وإلفتهم له وغفلتهم صار غطاء على قلوبهم فلا يعقلون ما ينفعهم لأن ترك النظر في العواقب وكثرة المعاصي والانهماك في الفسق يقوي الدواعي في الإعراض عن التوبة والإيلاع بالذنوب فصار ذلك كالغالب على القلوب الرائن عليها وقال ابو القاسم البلخي وفي الآية دلالة على صحة ما يقوله اهل العدل في تفسير الطبع على القلوب والختم عليها والاضلال لأنه تعالى اخبر ان اعمالهم السيئة وما كانوا يكسبونه من القبيح ران على قلوبهم (كلا) يريد

لا يصدقون عن ابن عباس ثم استأنف (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) يعني ان هؤلاء الذين وصفهم بالكفر والفجور محجوبون يوم القيامة عن رحمة ربهم واحسانه و كرامته عن الحسن وقتادة وقيل ممنوعون من رحمته مدفوعون عن ثوابه غير مقبولين ولا مرضيين عن ابي مسلم وقيل محرومون عن ثوابه و كرامته عن علي (ع) (ثم انهم) بعد ان منعوا من الثواب والكرامة (اصالوا الجحيم) اي لازموا الجحيم بكونهم فيها لا يغيبون عنها وقال ابو مسلم لصائرون صلاها اي وقودها (ثم يقال) لهم توبيخا وتبكيتا (هذا الذي) فعل بكم من العذاب والعقاب (الذي كنتم به تكذبون) في دار التكليف ويسمى مثل هذا الخطاب تقريعا لأنه خبر بما يقرع بشدة الغم على وجه الذم

قوله تعالى (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (٢٠) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢١) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٣) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٤) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٥) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٦) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٧) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٨) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٣٠) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣١) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣٢) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٣) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٤) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٥) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٦) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (تسع عشرة آية)

القراءة

قرأ ابو جعفر ويعقوب تُعرف بضم التاء وفتح الراء نضرةُ بالرفع والباقون تعرف بفتح التاء و كسر الراء نضرةَ بالنصب وقرأ الكسائي وحده ختامه وهي قراءة علي (ع) وعلقمة والباقون ختامه وقرأ ابو جعفر وحفص فكهين بغير ألف والباقون فاكهين وقرأ حمزة والكسائي هَلْ ثُوِّبَ الكفار بإدغام اللام في الثاء وقد روي نحوه عن ابي عمرو والباقون بالإظهار

الحجة

تعرف في وجوههم على الخطاب والمعنى في القراءتين سواء وقال ابو عبيدة ختامه اي عاقبته قال ابن مقبل

بِمَا يُفَتَّقُ فِي الْحَانُوتِ بَاطِنُهَا ... بِالْفُلْفُلِ الْجَوْنِ وَالرُّمَّانِ مَخْتُومُ (١)

قال ابو علي ختامه مسك المراد به لذاذة المقطع وذكاء الرائحة وارجها مع طيب الطعم وهذا كقوله كان مزاجها كافوراً وكان مزاجها زنجبيلا اي يحذي اللسان وأما قول الكسائي ختامه فإن معناه آخره كما كان خاتم النبيين معناه آخرهم فالختام المصدر والخاتم اسم الفاعل كالطابع والتابل والعرب تقول خاتم بالفتح وخاتم وخاتام وخيتام قال سيبويه ادغم ابو عمرو هَلْ ثُوِّبَ الكفار وادغامها فيها حسن وان كان دون ادغام اللام في الراء في الحسن لتقاربها وجاز ادغامها فيها لأنه قد ادغم في الشين فيما قد انشده من قوله هَلْ شَيْ بكفيك لائق يريد هل شيْ

(١) الجون : الاسود المشرب حمرة .

اللغة

عليون علو على علو مضاعف ولهذا جمع بالواو والنون تفخيماً لشأنه وتشبيهاً بما يعقل في عظم الشأن وهي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قال الشاعر

فَأَصْبَحَتِ الْمَذَاهِبُ قَدْ اذَاعَتْ ... بِهِ الْإِعْصَارُ بَعْدَ الْوَابِلِينَا (١)

يريد قطراً بعد قطر غير محدود العدد وكذلك تفخيم شأن العدد الذي ليس على الواحد نحو ثلاثون واربعون الى التسعين وجرت العشرون عليه وقال الزجاج عليون اسم لأعلى الأمكنة واعرابه كإعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع كما تقول هذا قنسرون ورأيت قنسرين والأرائك الأسرة في الحجال والرحيق الشراب الذي لا غشّ فيه قال حسان

يَسْقُونَ مِنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمِ ... بَرَدَى تُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ (٢)

قال الخليل هي أفضل الخمر وأجودها والتنافس تمني كل واحد من النفسين مثل الشيء النفيس الذي للنفس الأخرى ان يكون له. تنافسوا في الشيء تنافسا ونافسه فيه منافسة ونفس عليه بالشيء ينفس نفاسة اذا ضنّ به لجلالة قدره عنده وذلك الشيء الذي ينفس به نفيس والمزج خلط مائع بمائع على خلاف صفته كمزج الشراب بالماء والتسنيم عين ماء يجري من علو الى اسفل يتسنم عليهم من الغرف واشتقاقه من السنام وسنمت العين تسنيما اذا اجريتها عليهم من فوقهم والتغامز اشارة بعضهم إلى بعض بالاعين استهزاء وطلبا للعيب يقال غمز بجفنه اذا اشار والفاكهون اللاهون والفكهون المرحون الاشرون والفكاهة المزاح واصل الثواب من الرجوع كأنه يرجع على العامل بعمله وثاب عليه عقله إذا رجع

الإعراب

عينا يشرب بها المقربون يجوز ان تكون منصوبة مفعولة لتسنيم اي مزاجه من ماء متسنم عينا كقوله تعالى او اطعام يتيما ويجوز ان تكون منصوبة على تقدير ويسقون من عين ويجوز أن تكون منصوبة على الحال ويكون تسنيم معرفة وعينا نكرة

المعنى

لمّا تقدّم ذكر حال الفجار عقّبه سبحانه بذكر حال الابرار فقال (كلا) اي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه فعلى هذا يتصل بما قبله وقيل معناه حقاً ويتصل بما بعده (ان كتاب الأبرار) اي المطيعين لله (لفي عليين) اي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقيل في السماء السابعة وفيها ارواح المؤمنين عن قتادة ومجاهد والضحاك وكعب وقيل في سدرة المنتهى وهي التي ينتهي اليها كل شيء من امر الله تعالى عن الضحاك في رواية اخرى وقيل العليون الجنة عن ابن عباس قال الفراء في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له وقيل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيها عن ابن عباس في رواية اخرى وعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال في عليين في السماء السابعة تحت العرش (وما ادراك ما عليون) وهذا تعظيم لشأن هذه المنزلة وتفخيم لأمرها وتنبيه على ان تفصيل تفضيله لا يمكن العلم به إلا بالمشاهدة ثم قال (كتاب مرقوم) اي هو كتاب مكتوب فيه جميع طاعاتهم وما تقرّبه اعينهم ويوجب سرورهم بضد الكتاب الذي للفجار لأن فيه ما يسوءهم وينوءهم ويسخن عيونهم قال مقاتل مرقوم مكتوب لهم بالخيرات في ساق العرش ويدل عليه قوله (يشهده المقربون)

(١) المذاهب : المسالك والطرق . واذاعت به اى ذهبت وغيرته . والاعصار : الريح الشديدة (٢) البريص نهر بدمشق وبردى نهر آخر بدمشق وقوله بردى اى ماء بردى . ويصفق اى يمزج . والسلسل : اللينة السهلة الدخول في الحلق.

يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب او ذلك الكتاب اذا صعد به إلى عليين والمقربون هم الذين قربوا إلى كرامة الله في اجل المراتب وقال عبد الله بن عمر ان اهل عليين لينظرون الى اهل الجنة من كذا فإذا اشرف رجل منهم اشرقت الجنة وقالوا قد اطلع علينا رجل من اهل عليين (إن الابرار لفي نعيم) اي يحصلون في ملاذ وانواع من النعمة في الجنة (على الأرائك) قال الحسن ما كنا نعرف ما الأرائك حتى قدم الينا رجل من اهل اليمن فزعم ان الأريكة عندهم الحجلة اذا كان فيها سرير (ينظرون) إلى ما اعطوا من النعيم والكرامة وقيل ينظرون الى عدوهم حين يعذبون عن مقاتل (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي إذا رأيتهم عرفت انهم من اهل النعمة بما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة قال عطا وذلك ان الله تعالى قد زاد في جمالهم والوانهم ما لا يصفه واصف (يسقون من رحيق) اي خمر صافية خالصة من كل غش (مختوم) وهو الذي له ختام اي عاقبة وقيل مختوم في الآنية بالمسك وهو غير الخمر التي تجري في الانهار وقيل مختوم اي ممنوع من ان تمسه يد حتى يفك ختمه الابرار ثم فسّر المختوم بقوله (ختامه مسك) أي آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشارب فاه عن آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل ختم اناؤه بالمسك بدلا من الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا عن مجاهد وابن زيد قال مجاهد طينه مسك وعن ابي الدرداء قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل اصبعه فيه ثم اخرجه لم يبق ذو روح إلا ونال طيبها ثم رغّب فيها فقال (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) اي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى ومثله قوله سبحانه لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليتنازع المتنازعون عن مقاتل وقيل فليتشاح المتشاحون عن زيد بن اسلم وفي الحديث من صام لله في يوم صائف سقاه الله على الظمأ من الرحيق المختوم وفي وصية النبي ﷺ لأمير المؤمنين «ع» من ترك الخمر لله سقاه الله من الرحيق المختوم (ومزاجه من تسنيم) أي ومزاج ذلك الشراب الذي وصفناه وهو ما يمزج به من تسنيم وهو عين في الجنة وهو اشرف شراب في الجنة قال مسروق يشربها المقربون صرفا ويمزج بها كأس اصحاب اليمين فيطيب وروى ميمون بن مهران ان ابن عباس سئل عن تسنيم فقال هذا مما يقول الله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ونحو هذا قول الحسن خفايا اخفاها الله لأهل الجنة وقيل هو شراب ينصبّ عليهم من علو انصباباً عن مقاتل وقيل هو نهر يجري في الهواء فينصب في اواني اهل الجنة بحسب الحاجة عن قتادة ثم فسّره سبحانه فقال (عينا يشرب بها المقربون) اي هي خالصة للمقربين يشربونها صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة عن ابن مسعود وابن عباس (إن الذين اجرموا) يعني كفار قريش ومترفيهم كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم (كانوا من الذين آمنوا) يعني اصحاب النبي ﷺ مثل عمار وخباب وبلال وغيرهم (يضحكون) على وجه السخرية بهم والاستهزاء في دار الدنيا ويحتمل أن يكون ضحكوا من جدّهم في عبادتهم وكثرة صلاتهم وصيامهم لإنكارهم الجزاء والبعث ويجوز ان يكون كان ضحكهم انكاراً وتعجباً من قولهم بالاعادة واحياء العظام الرميمة ويحتمل ان يكون ذلك لغلوهم في كفرهم وجهلهم ولإيهام العوام انهم على حقّ وان المسلمين على باطل فكانوا يضحكون (واذا مرّوا بهم) يعني واذا مرّ المؤمنون بهؤلاء المشركين (يتغامزون) بأن يشير بعضهم إلى بعض بالاعين والحواجب استهزاء بهم

اي يقول هؤلاء انهم على حق وان محمداً ﷺ انزل عليه الوحي وانه رسول وانا نبعث ونحو ذلك وقيل نزلت في علي بن ابي طالب (ع) وذلك انه كان في نفر من المسلمين جاءوا إلى النبي ﷺ فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكنا منه فنزلت الآية قبل أن يصل علي (ع) واصحابه إلى النبي ﷺ عن مقاتل والكلبي وذكر الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل بإسناده عن ابي صالح عن ابن عباس قال إن الذين اجرموا منافقوا قريش والذين آمنوا علي بن ابي طالب (ع) واصحابه (واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين) يعني واذا رجع هؤلاء الكفار الى اهلهم رجعوا معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم (واذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) عن طريق الحق والصواب تركوا التنعم رجاء ثواب لا حقيقة له تجدعهم به محمد ﷺ ثم قال سبحانه (وما ارسلوا عليهم حافظين) أي ولم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين ما هم عليه وما كلفوا حفظ اعمالهم فكيف يطعنون عليهم ولو اشتغلوا بما كلفوه كان ذلك أولى بهم وقيل معناه وما ارسلوا عليهم شاهدين لأن شهادة الكفار لا تقبل على المؤمنين اي ليسوا شهداء عليهم بل المؤمنون شهداء على الكفار يشهدون عليهم يوم القيامة عن ابي مسلم (فاليوم) يعني يوم القيامة الذي يجازي الله كل احد على عمله (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) كما ضحك الكفار منهم في الدنيا وذلك انه يفتح للكفار باب الى الجنة ويقال لهم اخرجوا اليها فإذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مراراً فيضحك منهم المؤمنون عن ابي صالح وقيل يضحكون من الكفار اذا رأوهم في العذاب وانفسهم في النعيم وقيل ان الوجه في ضحك اهل الجنة من أهل النار انهم لما كانوا اعداء الله واعداء لهم جعل الله سبحانه لهم سروراً في تعذيبهم ولو كان العفو قد وقع عليهم لم يجز ان يجعل السرور في ذلك لأنه مضمن بالعداوة وقد زالت بالعفو (على الارائك ينظرون) يعني المؤمنين ينظرون الى عذاب اعدائهم الكفار على سرر في الحجال ثم قال سبحانه (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) اي هل جوزي الكفار اذا فعل بهم هذا الذي ذكره على ما كانوا يفعلونه من السخرية بالمؤمنين في الدنيا وهو استفهام يراد به التقرير وثوب بمعنى اثيب وقيل معناه يتصل بما قبله ويكون التقدير ان الذين آمنوا ينظرون هل جوزي الكفار بأعمالهم ويكون الجملة متعلقة بينظرون وعلى القول الأول يكون استئناف كلام لا موضع له من الإعراب وانما قال هل ثوب الكفار فاستعمل لفظ الثواب في العقوبة لأن الثواب في اصل اللغة الجزاء الذي يرجع الى العامل بعمله وان كان في العرف اختص الجزاء بالنعيم على الاعمال الصالحة فاستعمل هنا على اصله وقيل لأنه جاء في مقابلة ما فعل بالمؤمنين اي هل ثوب الكفار كما ثوب المؤمنون وهذا القول يكون من قبل الله تعالى او تقوله الملائكة للمؤمنين تنبيهاً لهم على ان الكفار جوزوا على كفرهم واستهزائهم بالمؤمنين ما استحقوه من أليم العذاب ليزدادوا بذلك سروراً إلى سرورهم ويحتمل أن يكون ذلك يقوله المؤمنون بعضهم لبعض سرورا بما ينزل بالكفار وكل هذه الوجوه إنما تتجه على القول الأول إذا كانت الجملة كلاما مستأنفا لا تعلق له بما قبله

سورة انشقت

وتسمى سورة الانشقاق مكية

عدد آيها

ثلاث وعشرون آية بصري شامي وخمس في الباقين

اختلافها

آيتان كتابه بيمينه وراء ظهره كلاهما حجازي كوفي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر احوال القيامة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (٢) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٣) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٤) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٥) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٦) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٧) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٨) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٩) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٠) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١١) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١٢) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٣) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٤) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٥) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٦) فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٧) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٨) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٩) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (٢٠) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢١) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢٢) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٣) وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٤) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (خمس وعشرون آية)

القراءة

قرأ ابو جعفر واهل العراق غير الكسائي يصلى بالتخفيف بفتح الياء والباقون يصلى بضم الياء والتشديد وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم لتركبن بفتح الباء والباقون بضم الباء

الحجة

قال ابو علي حجة يصلى مشددة اللام ثم الجحيم صلوه وحجة يصلى وسيصلون سعيرا اصلوها اليوم وهذا كثير في التنزيل وحجة لتركبن قول ابن عباس لتركبن السماء حالا بعد حال مرة كالمهل ومرة كالدهان وابن مسعود لتركبن يا محمد طبقاً عن طبق ومجاهد لتركبن امرا بعد امر والحسن اي حالا عن حال ومنزلا

عن منزل ابو عبيدة لتركبن سنة من كان قبلكم ابو علي من فتح الباء اراد النبي ﷺ ومن ضم الباء اراد النبي ﷺ وغيره والضم يأتي على معنى المفتوحة وفسروا طبقا عن طبق حالا بعد حال ومثل ما فسروا من أن معنى عن معنى بعد قول الأعشى

سَادَ وَأَلْفَى رَهْطَهُ سَادَةً وَكَابِراً سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ

المعنى كابراً بعد كابر فعن متعلق بسادوك ولا يكون متعلقا بكابر وقد بينوا ذلك في قول النابغة

بَقِيَّةُ قِدْرٍ مِنْ قُدُورٍ تُوُرِّثَتْ لِآلِ الْجُلَاحِ كَابِراً بَعْدَ كَابِرِ

وقالوا عرق عن الحمى اي بعدها

﴿ اللغة ﴾

الإنشقاق افتراق امتداد عن التئام فكل انشقاق افتراق وليس كل افتراق انشقاقا والاذن الاستماع تقول العرب أذن اك هذا الأمر اذنا بمعنى استمع لك قال عدي بن زيد

فِي سِمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَاذِيٍّ مُشَارِ(١)

وقال ايضا

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إِنَّ هَمِّي فِي سِمَاعٍ وَأَذَنْ(٢)

وقال آخر «وَإِنْ ذُكِرَتْ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا»(٣) والكدح السعي الشديد في الأمر والدأب في العمل ويقال كدح الانسان في عمله يكدح وثور فيه كدوح اي آثار من شدة السعي قال ابن مقبل

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ

والحور الرجوع حار يحور اذا رجع و كلمته فما حار جوابا اي ما ردّ جوابا ونعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة والتمام وحوره اذا ردّه الى البياض والمحور البكرة تدور حتى ترجع الى مكانها والشفق هو الحمرة بين المغرب والعشاء الآخرة وهو قول مالك والشافعي والاوزاعي وابي يوسف ومحمد وهو قول الخليل وهو المروي عن ائمة الهدى (ع) وقال ثعلب هو البياض وهو قول ابي حنيفة قال الفراء سمعت بعض العرب تقول الثوب احمر كأنه الشفق وقال الشاعر «أَحْمَرُ اللَّوْنِ كَمَحْمَرِّ الشَّفَقْ» وقال آخر

قُمْ يَا غُلَامُ أَعِنِّي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ عَلَى الزَّمَانِ بِكَأْسٍ حَشْوُهَا شَفَقُ

واصل الشفق الرقة ومثله التشفيق وهو الرقة على خلل فيه واشفق على كذا اذا رقّ عليه وخاف هلاكه وثوب شفق رقيق فالشفق هو الحمرة الرقيقة في المغرب بعد مغيب الشمس والوسق الجمع وسقته اسقه اذا جمعته وطعام موسوق اي مجموع والوسق الطعام المجتمع الكثير مما يكال او يوزن ومقداره ستون صاعا والاتساق الاجتماع على تمام افتعال من الوسق واصل الطبق الحال والعرب تسمي الدواهي ام طبق وبنات طبق قال قد طرقت بكرها ام طبق(٣) وقال في ان الطبق الحال

اَلصَّبْرُ أَحْمَدُ وَالدُّنْيَا مُفَجِّعَةٌ مَنْ ذَا الَّذِي لَمْ يَذُقْ مِنْ عَيْشِهِ رَنَقاً(٤)

إِذَا صَفَا لَكَ مِنْ مَسْرُورِهَا طَبَقٌ أَهْدَى لَكَ الدَّهْرُ مِنْ مَكْرُوهِهَا طَبَقاً

(١) الماذى : العسل الابيض . والمشار بمعنى المجنى . (٢) الدرن : اللهو . (٣) هذا عجز بيت قاله قعنب بن ام صاحب وصدره «صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به» (٣) قاله خلف الاحمر لمازني اليه المنصور وبعده «فدمروها وهمة ضخم العنق ☆ موت الامام فلقة من الفلق» . وطرقت المرأة والناقة نشب ولدها في بطنها ولم يسهل خروجه . (٤) الرنق ←

وقال آخر

إِنِّي امْرُؤٌ قَدْحَلَبْتُ الدَّهْرَ اَشْطُره وَسَاقَنِي طَبَقٌ مِنْهُ اِلَى طَبَقِ
فَلَسْتُ اَصْبُو اِلَى خِلٍّ يُفَارِقُنِي وَلَا تَقَبَّضُ اَحْشَائِي مِنَ الْفَرَقِ

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج جواب اذا يدلُّ عليه قوله فملاقيه والمعنى اذا كان يوم القيامة لقي الانسان عمله والهاء في قوله فملاقيه يجوز ان يكون تقديره فملاق ربك ويجوز ان يكون فملاق كدحك اي عملك وسعيك وقوله كادح الى ربك كدحاً قيل ان الى هنا بمعنى اللام والوجه الصحيح فيه ان يكون محمولا على المعنى لأن معناه ساع الى ربك سعيا على انه يحتمل ان يكون الى متعلقة بمحذوف ويكون التقدير انك كادح لنفسك صائر الى ربك كما ان قوله وتبتّل اليه يكون على معنى تبتل من الخلق راجعا الى الله تعالى او راغبا اليه وقوله يدعو ثبورا معناه انه يقول يا ثبوراه فكأنه يدعوه ويقول يا ثبور تعال فهذا اوانك مثل ما قيل في يا حسرتى فعلى هذا يكون ثبورا مفعولا به ان لن يحور تقديره انه لن يحور فهي مخففة من الثقيلة ولا يجوز ان تكون ان الناصبة للفعل لأنه لا يجوز ان يجتمع عاملان على كلمة واحدة وقوله فما لهم مبتدأ وخبر ولا يؤمنون جملة منصوبة الموضع على الحال والتقدير اي شيء استقرّ لهم غير مؤمنين

﴿ المعنى ﴾

(اذا السماء انشقت) اي تصدّعت وانفرجت وانشقاقها من علامات القيامة وذكر ذلك في مواضع من القرآن (واذنت لربها) اي سمعت واطاعت في الانشقاق عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وهذا توسّع اي كأنها سمعت وانقادت لتدبير الله (وحقت) اي وحقّ لها ان تأذن بالانقياد لأمر ربها الذي خلقها وتطيع له (واذا الارض مدّت) اي بسطت باندكاك جبالها وآكامها حتى تصير كالصحيفة الملساء وقيل انها تمدّ مدّ الأديم العكاظي وتزاد في سعتها عن ابن عباس وقيل سويت فلا بناء ولا جبل الا دخل فيها عن مقاتل (والقت ما فيها) من الموتى والكنوز مثل واخرجت الأرض اثقالها عن قتادة ومجاهد (وتخلت) اي خلت فلم يبق في بطنها شيء وقيل معناه القت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها (واذنت لربها وحقت) ليس هذا بتكرار لأن الأول في صفة السماء والثاني في صفة الارض وهذا كله من اشراط الساعة وجلائل الامور التي تكون فيها والتقدير اذا كانت هذه الاشياء التي ذكرناها وعددناها رأى الانسان ما قدّم من خير او شرّ ويدل على هذا المحذوف قوله (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) اي ساع اليه في عملك وقوله يا ايها الانسان خطاب لجميع المكلفين من ولد آدم يقول الله لهم سبحانه ولكل واحد منهم يا ايها الانسان انك عامل عملا في مشقة لتحمله الى الله وتوصله اليه (فملاقيه) اي ملاق جزاءه جعل لقاء جزاء العمل لقاء له تفخيماً لشأنه وقيل معناه ملاق ربك اي صائر الى حكمه حيث لا حكم الا حكمه وقال ابن الأنباري والبلخي جواب اذا قوله اذنت لربها وحقت والواو زائدة كقوله حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها وهذا ضعيف والأول هو الوجه ثم قسّم سبحانه احوال الخلق يوم القيامة فقال (فأما من أوتي كتابه بيمينه) اي من اعطي كتابه الذي ثبت فيه اعماله من طاعة او معصية بيده اليمنى (فسوف يحاسب حسابا يسيراً) يريد انه لا يناقش في الحساب ولا يواقف

← مصدر قولك: رنق الماء: اذا كدر.

على ما عمل من الحسنات وما له عليها من الثواب وما حطّ عنه من الاوزار إما بالتوبة او بالعفو وقيل الحساب اليسير التجاوز عن السيئات والاثابة على الحسنات ومن نوقش الحساب عذب في خبر مرفوع وفي رواية اخرى يعرف عمله ثم يتجاوز عنه وفي حديث آخر ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وادخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك (وينقلب) بعد الفراغ من الحساب (الى اهله مسرورا) بما اوتي من الخير والكرامة والمراد بالأهل هنا ما اعدّ الله له من الحور العين وقيل اهله ازواجه واولاده وعشائره وقد سبقوه الى الجنة والسرور هو الاعتقاد والعلم بوصول نفع اليه او دفع ضرر عنه في المستقبل وقال قوم هو معنى في القلب يلتذ لأجله بنيل المشتهى يقال سرّ بكذا من مال أو ولد أو بلوغ امل فهو مسرور (واما من أوتي كتابه وراء ظهره) لأن يمينه مغلولة الى عنقه وتكون يده اليسرى خلف ظهره عن الكلبي وقيل تخلع يده اليسرى خلف ظهره عن مقاتل والوجه في ذلك أن تكون اعطاء الكتاب باليمين امارة للملائكة والمؤمنين لكون صاحبه من اهل الجنة ولطفا للخلق في الاخبار به و كناية عن قبول اعماله واعطاؤه على الوجه الآخر امارة لهم على ان صاحبه من اهل النار وعلامة المناقشة في الحساب وسوء المآب ثم حكى سبحانه ما يحلّ به فقال (فسوف يدعو ثبورا) اي هلاكا اذا قرأ كتابه وهو أن يقول واثبوراه واهلاكاه (ويصلى سعيرا) اي يدخل النار ويعذب بها عن الجبائي وقيل يصير صلاء النار المسعرة وقيل يلزم النار معذبا على وجه التأبيد (انه كان في اهله مسرورا) في الدنيا ناعما لا يهمه أمر الآخرة ولا يتحمل مشقة العبادة فابدله الله بسروره غماً باقياً لا ينقطع وكان المؤمن مهتماً بأمر الآخرة فأبدله الله بهمّه سرورا لا يزول ولا يبيد وقيل كان مسروراً بمعاصي الله تعالى لا يندم عليها عن الجبائي وقيل ان من عصى وسرّ بمعصية الله فقد ظنّ انه لا يرجع الى البعث ولو كان موقنا بالبعث والجزاء لكان بعيدا عن السرور بالمعاصي (انه ظن أن لن يحور) اي ظن في دار التكليف انه لم يرجع الى حال الحياة في الآخرة للجزاء فارتكب المآثم وانتهك المحارم وقال مقاتل حسب أن لا يرجع الى الله فقال سبحانه (بلى) ليحورن وليبعثن وليس الأمر على ما ظنّه (ان ربه كان به بصيرا) من يوم خلقه الى أن يبعثه قال الزجاج كان به بصيراً قبل أن يخلقه عالما بأن مرجعه اليه ثم اقسم سبحانه فقال (فلا اقسم) سبق بيانه في سورة القيامة (بالشفق) اي بالحمرة التي تبقى عند المغرب في الأفق وقيل البياض (والليل وما وسق) اي وما جمع وضمّ مما كان منتشرا بالنهار في تصرفه وذلك ان الليل اذا أقبل اوى كل شيء الى مأواه عن عكرمة وغيره وقيل وما ساق لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء الى مسكنه عن الضحاك ومقاتل وقيل وما وسق اي طرد من الكواكب فإنها تظهر بالليل وتخفى بالنهار واضاف ذلك الى الليل لأن ظهورها فيه مطرد عن ابي مسلم (والقمر اذا اتسق) اي اذا استوى واجتمع وتكامل وتمّ قال الفراء اتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه لثلاث عشرة الى ست عشرة (لتركبن طبقا عن طبق) هذا جواب القسم اي لتركبن يا محمد سماء بعد سماء تصعد فيها عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والشعبي والكلبي ويجوز أن يريد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في المقربة من الله ورفعة المنزلة عنده وروى مجاهد عن ابن عباس انه كان يقرأ لتركبن بفتح الباء طبقا عن طبق قال يعني نبيكم حالا بعد حال رواه البخاري في الصحيح ومن قرأ بالضم فالخطاب للناس اي لتركبن حالا بعد حال ومنزلا بعد منزل وأمراً بعد امر يعني في الآخرة والمراد ان

الاحوال تنقلب بهم فيصيرون على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وعن بمعنى بعد كما قال سبحانه عما قليل ليصبحن نادمين اي بعد قليل وقال الشاعر

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ(١)

اي بعد حيال وقيل معناه شدة بعد شدة حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء وروي ذلك مرفوعا وقيل امرا بعد امر ورخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وفقرا بعد غنى وغنى بعد فقر وصحة بعد سقم وسقما بعد صحة عن عطا وقيل حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم خلقا آخر ثم جنينا ثم وليدا ثم رضيعا ثم فطيما ثم يافعا ثم ناشئا ثم مترعرعا ثم حَزَوَّرا ثم مراهقا ثم محتلما ثم بالغا ثم امرد ثم طارا ثم باقلا ثم مسيطرا ثم مطرخما ثم مخنطا ثم صَمْلا ثم ملتحيا ثم مستويا ثم مُصْعِدا ثم مجتمعا والشاب يجمع ذلك كله ثم مَلْهُوزا ثم كهلا ثم اشمط ثم شيخا ثم اشيب ثم حوقلا ثم صفتانا ثم هِمًّا(٢) ثم هَرِما ثم ميتا فيشتمل الإنسان من كونه نطفة إلى ان يموت على سبعة وثلاثين اسما وقيل معناه لتحدثن امرا لم تكونوا عليه في كل عشرين سنة عن مكحول وقيل معناه لتركبنَّ منزلة عن منزلة وطبقة عن طبقة وذلك أن من كان على صلاح دعاه ذلك إلى صلاح فوقه ومن كان إلى فساد دعاه إلى فساد فوقه لأن كل شيء يجرّ إلى شكله وقيل لتركبنَّ سنن من كان قبلكم من الأولين واحوالهم عن ابي عبيدة وروي ذلك عن الصادق (ع) والمعنى انه يكون فيكم ما كان فيهم ويجري عليكم ما جرى عليهم حذو القذة بالقذة ثم(٣) قال سبحانه على وجه التقريع لهم والتبكيت (فما لهم) يعني كفار قريش (لا يؤمنون) بمحمد ﷺ والقرآن والمعنى اي شيء لهم إذا لم يؤمنوا وهو استفهام انكار أي لا شيء لهم من النعيم والكرامة إذا لم يؤمنوا وقيل معناه فما وجه الارتياب الذي يصرفهم عن الايمان وهو تعجب منهم في تركهم الإيمان والمراد اي شيء مانع لهم واي عذر لهم في ترك الايمان مع وضوح الدلائل (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) عطف على قوله فما لهم لا يؤمنون اي ما الذي يصرفهم عن الإيمان وعن السجود لله تعالى إذا تلي عليهم القرآن وقيل معنى لا يسجدون لا يصلون لله تعالى عن عطا والكلبي وفي خبر مرفوع عن ابي هريرة قال قرأ رسول الله ﷺ إذا السماء انشقت فسجد ثم قال سبحانه (بل الذين كفروا يكذبون) اي لم يتركوا الإيمان لقصور في البيان أو لانقطاع من البرهان لكنهم قلدوا اسلافهم ودوّساءهم في التكذيب بالرسول والقرآن (والله اعلم بما يوعون) اي يجمعون في صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب والشرك عن ابن عباس وقتادة ومقاتل وقيل بما يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة عن ابن زيد قال الفراء اصل الإيعاء جعل الشيء في وعاء والقلوب اوعية لما يحصل فيها من علم او جهل وفي كلام امير المؤمنين (ع) إن هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها ثم قال (فبشرهم) يا محمد (بعذاب اليم) اي اجعل ذلك لهم بدل البشارة للمؤمنين بالرحمة ثم استثنى سبحانه المؤمنين من جملة المخاطبين فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) أي غير منقوص ولا مقطوع لأن نعيم الآخرة غير منقطع عن ابن عباس وقيل غير منقض ولا مكدر بالمنّ عن الجبائي وروي ذلك عن الحسن وقيل له منّ ولا منة وإنما قيل له منّ ومنة لأنه يقطع عن شكر النعمة واصل المن القطع يقال منت الحبل اذا قطعته قال لبيد

لِمُعَفِّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ مَا يُمَنُّ طَعَامُهَا(٤)

(١) المربط : اسم مكان من الربط . والنعامة : اسم فرسه . والحيال : ان لا تحمل الناقة او الفرس يعني ان الحرب لقمت بعد ان كانت لا تحمل . ولهذا البيت قصة ذكرها المبرد في الكامل ج ٢ : ٢٣١ ط مصر فراجع ان شئت (٢) الحزور : الغلام اذا اشتد وقوى . والباقل : الذي خرج شعره . والمطرخم : الشاب التام الحسن . والمخنط الغلام : نبت

وقيل ليس لأحد عليها منة فيما يكسب وفي قوله سبحانه فما لهم لا يؤمنون ولا يسجدون دلالة على ان الايمان والسجود فعلهم لأن الحكيم لا يقول ما لك لا تؤمن ولا تسجد لمن يعلم انه لا يقدر على الايمان والسجود ولو وجد ذلك لم يكن من فعله ويدلّ قوله لا يسجدون على ان الكفار مخاطبون بالعبادات

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ان ربه كان به بصيراً بما قبله انه سبحانه لما اخبر عن ظنّ الكافر ان لن يحور عقّبه بالاخبار بأنه يحور والقطع عليه وذكر انه بصير به وقيل ان تقديره بلى سيرجع الى الآخرة وربه بصير باحواله فسيجازيه باعماله

سورة البروج

مكية اثنتان وعشرون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها اعطاه الله من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات يونس بن ظبيان عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ والسماء ذات البروج في فرائضه فإنها سورة النبيين كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر المؤمنين وافتتح هذه السورة ايضا بذكر المؤمنين من اصحاب الاخدود فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (٢) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٣) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٩) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١٢) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٣) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٤) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٥) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ (١٦) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٧) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٨) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٩) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (٢٠) وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢١) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢٢) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (اثنتان وعشرون آية)

عذاره . والسمل : الشديد الخلق . والملهوز : الرجل خالطه الشيب . والحوقل : الشيخ المسن . و الصفتان: القوى الجافى . والهم : الشيخ الفانى . (٣) القذة : ريش السهم ، يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. (٤) البيت من المعلقة ، والمعفر : الملقى على التراب . والقهد : الابيض . والشلو : العضو . والنبسة: لون كلون الرماد والكسب : ←

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم وقتيبة المجيد بالجر والباقون بالرفع وقرأ نافع في لوح محفوظ بالرفع والباقون بالجر

الحجة

قال ابو علي من رفع المجيد كان متبعا قوله ذوالعرش ومن جرّ فمن النحويين من جعله وصفا لقوله ربك في ان بطش ربك قال ولا اجعله وصفا للعرش ومنهم من قال صفة للعرش قال ابو زيد يقال مجدت الإبل تمجدا مجودا اذا رعت في ارض مكلئة وشبعت وامجدت الإبل اذا اشبعتها وقالوا في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار (١) اي صار ماجداً في إيرائه النار وقيل استمجد العفار اذا كثر ناره وصفت وحجة نافع في قراءته محفوظ أن القرآن وصف بالحفظ في قوله وانا له لحافظون ومعنى حفظ القرآن انه يؤمن من تحريفه وتبديله وتغييره فلا يلحقه شيء من ذلك وحجة من جرّ محفوظا جعله وصفا للوح فإنهم يقولون اللوح المحفوظ

اللغة

الأخدود الشق العظيم في الأرض ومنه ما روي في معجز النبي ﷺ انه دعا الشجرة فجعلت تخدّ الأرض خدّاً حتى أتته ومنه الخدّ لمجاري الدموع وتخدد لحمه اذا صار فيه طرائق كالشقوق والوَقود ما تشتعل به النار من الحطب وغيره بفتح الواو والوُقود بالضم الإيقاد يقال فتنت الشيء احرقته والفتين حجارة سود كأنها محرقة وأصل الفتنة الامتحان ثم يستعمل في العذاب

الاعراب

قال الفراء قتل اصحاب الأخدود جواب القسم كما كان جواب والشمس وضحاها قد افلح من زكاها وقيل ان جواب القسم محذوف وتقديره انّ الأمر حقّ في الجزاء على الاعمال وقيل جواب القسم قوله ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وقيل جواب القسم قوله إن بطش ربك لشديد. النار بدل من الأخدود وهو بدل الاشتمال لأن الاخدود يشتمل على ما فيه من النار اي النار منه وذات الوقود صفة للنار ويسأل على هذا فيقال كيف خصّت هذه النار بذا وكل نار لها وقود واجيب عنها بجوابين احدهما انه قد يكون نار ليست بذات وقود كنار الحجر ونار الكبد والآخر ان الوقود معرف فصار مخصوصا كأنه وقود بعينه كما قال وقودها الناس والحجارة فكان الوقود هنا ابدان الناس إذ هم عليها قعود إذ مضاف الى الجملة وهي ظرف لقوله قتل اصحاب الأخدود اذا كان اخبارا لادعاء وان يؤمنوا في موضع نصب بقوله نقموا والتقدير وما نقموا الا إيمانهم. فرعون وثمود في موضع جرّ بدل من الجنود ويجوز أن يكونا في موضع نصب باضمار فعل كأنه قال اعني فرعون وثمود

قصة اصحاب الاخدود

روى مسلم في الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال إني قد حضر اجلي فادفع اليّ غلاما اعلمه السحر فدفع اليه غلاما وكان يختلف اليه وبين الساحر والملك راهب فمرّ الغلام بالراهب فاعجبه كلامه وامره فكان يطيل عنده القعود فإذا ابطأ عن الساحر ضربه وإذا ابطأ عن

← الصيد. والمعنى ان البقرة الوحشية تجد في الطلب لفقدها ولداً القى على الارض وافترسه ذئاب صوائد قد اعتادت الصهاد

(١) المرخ والعفار: شجران يقتدح من خشبتهما نار شبها بمن يكثر العطاء طلبا للمجد، يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض.

إهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يا بني اذا استبطأك الساحر فقل حبسني اهلي وإذا استبطأك اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قد حبستهم دابة عظيمة فظيعة فقال اليوم اعلم أمر الساحر افضل ام امر الراهب فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان امر الراهب احب اليك فاقتل هذه الدابة فرمى فقتلها ومضى الناس فاخبر بذلك الراهب فقال اي بني انك ستبتلى وإذا ابتليت فلا تدل عليّ قال وجعل يداوي الناس فيبرئ الأكمه والأبرص فبينما هو كذلك إذ عمي جليس للملك فأتاه وحمل اليه مالا كثيرا فقال اشفني ولك ما هاهنا فقال اني لا اشفي احدا ولكن الله يشفي فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك قال فآمن فدعا الله له فشفاه فذهب فجلس الى الملك فقال يا فلان من شفاك قال ربي قال انا قال لا ربي وربك الله قال أو أن لك ربا غيري قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دلّه على الغلام فبعث الى الغلام فقال لقد بلغ من امرك أن تشفي الأكمه والأبرص قال ما اشفي احدا ولكن الله ربي يشفي قال أو ان لك ربّاً غيري قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دلّه على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فارسل معه نفرا وقال اصعدوا به جبل كذا و كذا فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه منه قال فعلوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فرجف بهم الجبل فتدهدهوا اجمعون وجاء الى الملك فقال ما صنع اصحابك قال كفانيهم الله فارسل به مرة اخرى قال انطلقوا به فلججوه في البحر فإن رجع وإلا فغرّقوه فانطلقوا به في قرقور[1] فلما توسّطوا به البحر قال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فانكفأت بهم السفينة وجاء حتى قام بين يدي الملك فقال ما صنع اصحابك قال كفانيهم الله ثم قال انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به اجمع الناس ثم اصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل باسم رب الغلام فإنك ستقتلني قال فجمع الناس وصلبه ثم أخذ سهما من كنانته فوضعه على كبد القوس وقال باسم رب الغلام ورمى فوقع السهم في صدغه ومات فقال الناس آمنّا برب الغلام فقيل له أرأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك آمن الناس فأمر بالأخدود فخددت على افواه السكك ثم اضرمها نارا فقال من رجع عن دينه فدهوه ومن أبى فاقحموه فيها فجعلوا يقتحمونها وجاءت امرأة بابن لها فقال لها يا امه اصبري فإنك على الحق وقال ابن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب إذ ورد عليه انهم احتفروا فوجدوا ذلك الغلام وهو واضع يده على صدغه فكلما مدّت يده عادت الى صدغه فكتب عمر واروه حيث وجدتموه وروى سعيد بن جبير قال لما انهزم اهل اسفندهان قال عمر بن الخطاب ما هم يهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وكانوا مجوسا فقال علي بن ابي طالب (ع) بل قد كان لهم كتاب ولكنه رفع وذلك ان ملكالهم سكر فوقع على ابنته اوقال على اخته فلما افاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيه قالت تجمع اهل مملكتك وتخبرهم انك ترى نكاح البنات وتأمرهم ان يحلّوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه فخدّ لهم أخدوداً في الأرض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار ومن أجاب خلّى سبيله وقال الحسن كان النبي ﷺ اذا ذكر أمامه أصحاب الاخدود تعوّذ بالله من جهد البلاء وروى العياشي بإسناده عن جابر عن ابي جعفر (ع) قال أرسل علي (ع) الى اسقف نجران يسأله عن اصحاب الاخدود فأخبره بشيء فقال (ع) ليس كما ذكرت ولكن سأخبرك عنهم إن الله بعث رجلا حبشيا نبياً وهم حبشة فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه وأسروه واسروا اصحابه ثم بنوا له حيرا ثم ملأوه نارا ثم جمعوا الناس فقالوا من

(١) القرقور : السفينة الطويلة ، وقيل : العظيمة . (٢) الحيرة : شبه الحظيرة .

كان على ديننا وأمرنا فليعتزل ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه فجعل أصحابه يتهافتون في النار فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر فلما هجمت على النار هابت ورقت على ابنها فقالها الصبي لا تهابي وارمي بي وبنفسك في النار فإن هذا والله في الله قليل فرمت بنفسها في النار وصبيها وكان ممن تكلم في المهد وبإسناده عن ميثم التمار قال سمعت أمير المؤمنين (ع) وذكر أصحاب الأخدود فقال كانوا عشرة وعلى مثالهم عشرة يقتلون في هذا السوق وقال مقاتل كان أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران والآخر بالشام والآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فهو انطياخوس الرومي وأما الذي بفارس فهو بخت نصر وأما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس فأما من كان بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل في الذي كان بنجران وذلك ان رجلين مسلمين ممن يقرأون الإنجيل ﴿ أحدهما ﴾ بأرض تهامة ﴿ والآخر ﴾ بنجران اليمن أجر أحدهما نفسه في عمل يعمله فجعل يقرأ الإنجيل فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل فذكرت لأبيها فرمق[1] حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه مع سبعة وثمانين انسانا من رجل وامرأة وهذا بعدما رفع عيسى الى السماء فسمع يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تبع الحميري فخدّ لهم في الارض وأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن ابى قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها واذا امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت فقال لها ياأماه اني ارى أمامك نارا لا تطفى فلما سمعت من ابنها ذلك قذفها في النار فجعلها الله وابنها في الجنة وقذف في النار سبعة وسبعون انسانا قال ابن عباس من ابى أن يقع في النار ضرب بالسياط فأدخل الله أرواحهم في الجنة قبل ان تصل اجسامهم الى النار

﴿ المعنى ﴾

ان الله سبحانه أقسم بالسماء فقال (والسماء ذات البروج) فالبروج المنازل العالية والمراد هنا منازل الشمس والقمر والكواكب وهي اثنا عشر برجا يسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث وتسير الشمس في كل برج شهراً (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة في قول جميع المفسرين وهو اليوم الذي يجازى فيه الخلائق ويفصل فيه القضاء (وشاهد ومشهود) فيه أقوال ﴿ أحدها ﴾ ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة عن ابن عباس وقتادة وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وروي ذلك عن النبي ﷺ وسمي يوم الجمعة شاهدا لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه وفي الحديث ما طلعت الشمس على يوم ولا غربت على يوم أفضل منه وفيه ساعة لا يوافقها من يدعو فيها الله بخير الا استجاب له ولا استعاذ من شر الا أعاذه منه ويوم عرفة مشهود يشهد الناس فيه موسم الحج وتشهده الملائكة ﴿ وثانيها ﴾ أن الشاهد يوم النحر والمشهود يوم عرفة عن ابراهيم ﴿ وثالثها ﴾ أن الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة عن ابن عباس في رواية اخرى وسعيد بن المسيب وهو المروي عن الحسن بن علي وروي ان رجلا دخل مسجد رسول الله ﷺ فإذا رجل يحدث عن رسول الله ﷺ قال فسألته عن الشاهد والمشهود فقال نعم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة فجزته الى آخر يحدث عن رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر فجزتهما الى غلام كان وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت اخبرني عن شاهد ومشهود فقال اما الشاهد فمحمد (ﷺ) واما المشهود فيوم القيامة اما سمعته سبحانه يقول يا أيها

(١) رمقه : اطال النظر اليه

النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فسألت عن الأول فقالوا ابن عباس وسألت عن الثاني فقالوا ابن عمر وسألت عن الثالث فقالوا الحسن بن علي (ع) ﴿ورابعها﴾ أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة وعن ابي الدرداء عن النبي ﷺ قال اكثروا الصلوة عليّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احداً لا يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلوته حتى يفرغ منها قال فقلت وبعد الموت فقال إن الله حرّم على الأرض أن تأكل اجساد الانبياء فنبي الله حيّ يرزق ﴿وخامسها﴾ ان الشاهد الملك يشهد على بني آدم والمشهود يوم القيامة عن عكرمة وتلا هاتين الآيتين وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وذلك يوم مشهود وقد قيل في ذلك أقوال اخر كقول الجبائي الشاهد الذين يشهدون على الناس والمشهود هم الذين يشهد عليهم وقول الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد اعضاء بني آدم والمشهود هم لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم الآية وقيل الشاهد الحجر الاسود والمشهود الحاج وقيل الشاهد الأيام والليالي والمشهود بنو آدم وينشد للحسين بن علي (ع)

مَضَى أَمْسُكَ الْمَاضِي شَهِيداً مُعَدِّلاً ... وَخُلِّفْتَ فِي يَوْمٍ عَلَيْكَ شَهِيدُ
فَإِنْ أَنْتَ بِالْأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً ... فَقَيِّدْ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ
وَلَا تُرْجَ فِعْلَ الْخَيْرِ يَوْماً إِلَى غَدٍ ... لَعَلَّ غَداً يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد ﷺ بيانه واذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقيل الشاهد الله والمشهود لا إله إلا الله بيانه قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية وقيل الشاهد الخلق والمشهود الحق واليه اشار الشاعر بقوله

أَيَا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

فهذه ثمانية اقوال اخر (قتل اصحاب الاخدود) اي لعنوا بتحريقهم الناس في الدنيا قبل الآخرة والمراد به الكافرون الذين حفروا الاخدود وعذبوا المؤمنين بالنار ويحتمل أن يكون اخباراً عن المسلمين الذين عذبوا بالنار في الاخدود والمعنى انهم قتلوا بالاحراق في النار ذكرهم الله سبحانه واثنى عليهم بحسن بصيرتهم وصبرهم على دينهم حتى احرقوا بالنار لا يعطون التقية بالرجوع عن الإيمان (النار ذات الوقود) أي اصحاب النار الذين أوقدوها باحراق المؤمنين وقوله ذات الوقود اشارة إلى كثرة حطب هذه النار وتعظيم لأمرها فإن النار لا تخلو عن وقود (إذ هم عليها قعود) يعني الكفار اذهم على اطراف هذه النار جلوس يعذبون المؤمنين عن ابن عباس وقيل يعني هم عندها قعود يعرضونهم على الكفر عن مقاتل قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسي عند الاخدود وهو قوله (وهم) يعني الملك واصحابه الذين خدّوا الاخدود (على ما يفعلون بالمؤمنين) من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا إلى دينهم (شهود) أي حضور قال الزجاج أعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة ايمانهم إلى ان صبروا على ان احرقوا بالنار في الله وقال الربيع بن انس لما القوا في النار نجى الله المؤمنين بأن اخذ رواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى

من على شفير الاخدود من الكفار فأحرقتهم وقيل انهم كانوا فرقتين فرقة تعذب المؤمنين وفرقة تشاهد الحال لم يتولوا تعذيبهم لكنهم قعود رضوا بفعل اولئك وكانت الفرقة القاعدة مؤمنة لكنهم لم ينكروا على الكفار صنيعهم فلعنهم الله جميعا عن ابي مسلم والقعود جمع القاعد وكذلك الشهود جمع الشاهد وهم كل حاضر على ما شاهدوه إما بسمع أو بصر (وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله) أي ما كرهوا منهم إلا انهم آمنوا عن ابن عباس وقيل ما انكروا عليهم ديناً وما عابوا منهم شيئاً إلا ايمانهم وهذا كقوله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله عن الزجاج ومقاتل وقال الجبائي ما فعلوا بهم ذلك العذاب إلا بايمانهم (العزيز) القادر الذي لا يمتنع عليه شيء القاهر الذي لا يقهر (الحميد) المحمود في جميع افعاله (الذي له ملك السموات والارض) أي له التصرف في السموات والارض لا اعتراض لأحد عليه (والله على كل شيء شهيد) أي شاهد عليهم لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين فإنه يجازيهم وينتصف للمؤمنين منهم (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي الذين احرقوهم وعذبوهم بالنار عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومثله يوم هم على النار يفتنون (ثم لم يتوبوا) من فعلهم ذلك ومن الشرك الذي كانوا عليه وانما شرط عدم التوبة لأنهم لو تابوا لما توجه اليهم الوعيد (فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما احرقوا المؤمنين. يسأل فيقال كيف فصل بين عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد. اجيب عن ذلك بأن المراد لهم انواع العذاب في جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع ولهم مع ذلك الاحراق بالنار وقيل لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان النار ارتفعت من الاخدود فأحرقتهم عن الربيع بن انس وهو قول الكلبي وقال الفراء ارتفعت النار عليهم فأحرقتهم فوق الاخاديد ونجا المؤمنون ثم ذكر سبحانه ما اعده للمؤمنين الذين احرقوا بالنار فقال (ان الذين آمنوا) أي صدقوا بتوحيد الله (وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) النجاة العظيم والنفع الخالص وانما وصفه بالكبير لأن نعيم العاملين كبير بالإضافة الى نعيم من لا عمل له من داخلي الجنة لما في ذلك من الإجلال والإكرام والتبجيل والإعظام ثم قال سبحانه متوعداً للكفار والعصاة (ان بطش ربك) يا محمد (لشديد) يعني ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة والجبابرة أليم شديد واذا وصف البطش وهو الاخذ عنفا بالشدة فقد تضاعف مكروهه وتزايد ايلامه (انه هو يبدئ) الخلق يخلقهم اولا في الدنيا (ويعيد) هم احياء بعد الموت للحساب والجزاء فليس امهاله لمن يعصيه لإهماله اياه وقيل انه يبدئ بالعذاب في الدنيا ويعيده في الآخرة عن ابن عباس وذلك لأن ما قبله يقتضيه (وهو الغفور) لذنوب المؤمنين من اهل طاعته ومعناه كثير الغفران عادته مغفرة الذنوب (الودود) يود اولياءه ويحبهم عن مجاهد قال الازهري في تفسير اسماء الله يجوز ان يكون ودود فعولا بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من فضله وكرمه ولما اسبغ من آلائه ونعمه قال وكلتا الصفتين مدح لأنه سبحانه ان احب عباده المطيعين فهو فضل منه وان احبوه فلما عرفوه من فضله واحسانه (ذو العرش المجيد) اكثر القراءة في المجيد الرفع لأن الله سبحانه هو الموصوف بالمجد ولأن المجيد لم يسمع في غير صفة الله تعالى وان سمع الماجد ومن كسر المجيد جعله من صفة العرش وروي عن ابن عباس انه قال يريد العرش وحسنه ويؤيده ان العرش وصف بالكرم في قوله رب العرش الكريم فجاز ايضا ان يوصف بالمجد لأن معناه الكمال والعلو والرفعة والعرش اكمل كل شيء واعلاه واجمعه لصفات الحسن

(فعال لما يريد) لا يعجزه شيء طلبه ولا يمتنع منه شيء اراده عن عطاء وقيل لما يريد من الابداء والاعادة ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال (هل اتيك حديث الجنود) الذين تجندوا على انبياء الله أي هل بلغك اخبارهم وقيل اراد قد اتاك ثم بيّن سبحانه اصحاب الجنود فقال (فرعون وثمود) والمعنى تذكر يا محمد حديثهم تذكّر معتبر كيف كذبوا انبياء الله وكيف نزل بهم العذاب وكيف صبر الانبياء وكيف نصروا فاصبر كما صبر اولئك لياتيك النصر كما أتاهم وهذا من الايجاز البديع والتاويح الفصيح الذي لا يقوم مقامه التصريح (بل الذين كفروا) يعني مشركي قريش (في تكذيب) لك والقرآن قد اعرضوا عما يوجبه الاعتبار واقبلوا على ما يوجبه الكفر والطغيان (والله من ورائهم محيط) معناه انهم في قبضة الله وسلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوانبه لا يمكنه الفوات والهرب وهذا من بلاغة القرآن (بل هو قرآن مجيد) أي كريم لأنه كلام الرب عن ابن عباس أي ليس هو كما يقولون من انه شعر أو كهانة وسحر بل هو قرآن كريم عظيم الكرم فيما يعطي من الخير جليل الخطر والقدر وقيل هو قرآن كريم لما يعطي من المعاني الجليلة والدلائل النفيسة ولأن جميعه حكم والحكم على ثلاثة اوجه لا رابع لها معنى يعمل عليه فيما يخشى او يتقى وموعظة تلين القلب للعمل بالحق وحجة تؤدي إلى تميز الحق من الباطل في علم دين او دنيا وعلم الدين اشرفها وجميع ذلك موجود في القرآن (في لوح محفوظ) من التغيير والتبديل والنقصان والزيادة وهذا على قراءة من رفعه فجعله من صفة قرآن ومن جرّه فجعله صفة للوح فالمعنى انه محفوظ لا يطلع عليه غير الملائكة وقيل محفوظ عند الله وهو أمّ الكتاب ومنه نسخ القرآن والكتب وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في جبهة اسرافيل عن انس وقيل اللوح المحفوظ عن يمين العرش عن مقاتل

سورة الطارق

مكية سبع عشرة آية

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات عن المعلى بن خنيس عن ابي عبد الله (ع) قال من كان قراءته في الفريضة بالسماء والطارق كان له يوم القيامة عند الله جاه ومنزلة وكان من رفقاء النبيين واصحابهم في الجنة

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السورة بالوعيد وافتتح هذه السورة بمثله واكّد ذلك بأن اعمال الخلق محفوظة فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (٢) وَمَا أَدْرٰكَ مَا الطَّارِقُ (٣) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٤) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٥) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٦) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٧) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٨) إِنَّهُ عَلٰى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٩) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (١٠) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ

وَلا نَاصِرٍ (١١) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١٢) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٣) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٤) وَمَا هُوَ بِالهَزْلِ (١٥) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (١٦) وَأَكِيدُ كَيْداً (١٧) فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (سبع عشرة آية)

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة لمّا عليها بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة ابن عباس مهلهم رويدا بغير الف

الحجة

قال ابو علي من خفف لما كانت ان عنده المخففة من الثقيلة واللام معها هي اللام التي تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من ان النافية وما صلة كالتي في قوله فبما رحمة من الله وعما قليل وتكون ان متلقية للقسم كما تتلقاه مثقلة ومن ثقل لمّا كانت ان عنده النافية كالتي في قوله فيما إن مكناكم فيه ولما في معنى إلا وهي متلقية للقسم كما يتلقاه ما قال ابو الحسن الثقيلة في معنى الا والعرب لا تكاد تعرف ذا وقال الكسائي لا اعرف وجه التثقيل وعن ابن عوف قال قرأت عند ابن سيرين إن كل نفس لما بالتشديد فانكره قال الزجاج استعملت لما في موضع الا في موضعين احدهما هذا والآخر في باب القسم تقول سألتك لما فعلتك بمعنى الا فعلت

اللغة

طرقني فلان إذا اتاني ليلا واصل الطرق الدق ومنه المطرقة لانها يدق بها والطريق لأن المارة تدقه والطارق الآتي ليلا يحتاج إلى الدق للتنبيه ونهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل اهله ليلا حتى تستحدّ المغيبة وتمتشط الشعثة وقالت هند بنت عتبة (نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ ... نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقِ) تريدان ابانا نجم في شرفه وعلوه وقال الشاعر

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُوراً بِأَوَّلِهِ ... إِنَّ الحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحَاراً
لَا تَأْمَنَنَّ بِلَيْلٍ طَابَ أَوَّلُهُ ... فَرُبَّ آخِرِ لَيْلٍ أَجَّجَ النَّارَا

والنجم الكواكب الطالعة في السماء يقال لكل طالع ناجم تشبيها به نجم النبت ونجم السن والقرن والثاقب المضيء النير وثقبه نوقده بنوره والثاقب العالي الشديد العلو والدفق صبّ الماء الكثير باعتماد قويّ ومثله الدفع فالماء الذي يكون منه الولد يكون دافقا وهو القاطر المصب وهي النطفة التي يخلق الله منها الولد وقيل ماء دافق معناه مدفوق ومثله سرٌّ كاتم وعيشة راضية والترائب نواحي الصدر واحدتها تريبة وهو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب قال المثقب

وَمِنْ ذَهَبٍ يُسَنُّ عَلَى تَرِيبٍ ... كَلَوْنِ العَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ (٣)

وقال آخر

وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا ... شَرِقاً بِهِ اللَّبَّاتُ وَالصَّدْرُ (٤)

والرجع اصله من الرجوع وهو الماء الكثير تزدده الرياح تمرّ عليه قال المنخل في صفة السيف

أَبْيَضُ كَالرَّجْعِ رَسُوبٌ إِذَا ... مَا ثَاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي (٥)

(١) اى تحلق عانتها . (٢) النمارق جمع النمرقة : الوسادة . (٣) يسن اى يلمع . والغضون : مكاسر الجلد (٤) اللبات جمع اللبة : موضع النحر . (٥) سيف رسوب : ماض يغيب فى الضريبة . وثاخ : انغمس . والمحتفل : اعظم موضع فى الجسد . ويختلى : يقطع .

قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر والصدع الشق فصدع الارض انشقاقها بالنبات وضروب الزروع والاشجار

الاعراب

ما الطارق ما استفهام والجملة مبتدأ وخبر وهي معلقة بأدراك في موضع المفعول الثاني والثالث وقوله يوم تبلى السرائر العامل فيه فعل مضمر يدلّ عليه قوله على رجعه لقادر والتقدير يرجعه يوم ابلاء السرائر ولا يجوز أن يعمل فيه المصدر لأنه يكون من صلته وقد فرّق بينه وبينه بقوله لقادر ويجوز ان يكون العامل فيه قوله لقادر ورويداً صفة لمصدر محذوف وتقديره امهالا رويدا

المعنى

أقسم الله سبحانه فقال (والسماء) اي بالسماء وقيل برب السماء وقد بيّنا القول في ذلك (والطارق) وهو الذي يجيء ليلا (وما ادريك ما الطارق) وذلك ان هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلا ولم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد لو لم يبيّنه ثم بيّنه بقوله (النجم الثاقب) أي هو الكوكب المضيء ويريد به العموم وهو جماع النجوم عن الحسن وقيل هو زحل والثاقب العالي على النجوم عن ابن زيد وقيل اراد به الثريا والعرب تسميه النجم وقيل هو القمر لأنه يطلع بالليل عن الفراء وجواب القسم قوله (ان كل نفس لما عليها حافظ) اي ما كلّ نفس الا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها وقولها وفعلها ويحصي ما يكتسبه من خير وشرّ ومن قرأ لما بالتخفيف فالمعنى ان كل نفس لعليها حافظ يحفظها وقال قتادة حافظ من الملائكة يحفظ عملها ورزقها واجلها ثم نبّه سبحانه على البعث بقوله (فلينظر الإنسان) يعني المكذب بالبعث عن مقاتل (ممّ خلق) اي فلينظر نظر التفكر والاستدلال من ايّ شيء خلقه الله وكيف خلقه وانشأه حتى يعرف ان الذي ابتدأه من نطفة قادر على اعادته ثم ذكر من ايّ شيء خلقه فقال (خلق من ماء دافق) اي من ماء مهراق في رحم المرأة يعني المني الذي يكون منه الولد عن ابن عباس قال الفراء واهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم نحو سرّ كاتم وهمّ ناصب وليل نائم وقد ذكرناه قبل ثم وصف سبحانه ذلك الماء فقال (يخرج من بين الصلب والترائب) وهو موضع القلادة من الصدر عن ابن عباس قال عطاء يريد صلب الرجل وترائب المرأة والولد لا يكون إلا من الماءين وقيل الترائب اليدان والرجلان والعينان عن الضحاك وسئل عكرمة عن الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثدييه وقيل ما بين المنكبين والصدر عن مجاهد والمشهور في كلام العرب أنها عظام الصدر والنحر (انه على رجعه لقادر) يعني ان الذي خلقه ابتداء من هذا الماء يقدر على ان يرجعه حيّاً بعد الموت عن الحسن وقتادة والجبائي وقيل معناه انه تعالى على ردّ الماء في الصلب لقادر عن عكرمة ومجاهد وقيل انه على ردّ الإنسان ماء كما كان قادر عن الضحاك وقال مقاتل بن حيان يقول إن شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبي ومن الصبى الى النطفة والاصح القول الاول لقوله (يوم تبلى السرائر) أي انه قادر على بعثه يوم القيامة ومعنى الرجع ردّ الشيء إلى اول حاله والسرائر اعمال بني آدم والفرائض التي اوجبت عليه وهي سرائر بين الله والعبد وتبلى اي تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من شرّها وموّديها من مضيعها روي ذلك مرفوعا عن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ضمن الله خلقه اربع خصال الصلاة والزكوة وصوم رمضان والغسل من الجنابة

وهي السرائر التي قال الله يوم تبلى السرائر وعن معاذ بن جبل قال سألت رسول الله ﷺ وما هذه السرائر التي تبلى بها العباد في الآخرة فقال سرائركم هي اعمالكم من الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والغسل من الجنابة و كل مفروض لأن الأعمال كلها سرائر خفية فإن شاء قال الرجل صليت ولم يصل وان شاء قال توضأت ولم يتوضأ فذلك قوله يوم تبلى السرائر وقيل يظهر الله اعمال كل احد لأهل القيامة حتى يعلموا على اي شيء اثابه ويكون فيه زيادة سروره وان يكن من اهل العقوبة يظهر عمله ليعلموا على اي شيء عاقبه ويكون ذلك زيادة غم له والسرائر ما اسره من خير او شر وما اضمره من إيمان او كفر وروي عن عبد الله بن عمر انه قال يبدي الله يوم القيامة كل سر ويكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه (فما له) أي فما لهذا الإنسان المنكر للبعث والحشر (من قوة) يمتنع به من عذاب الله (ولا ناصر) ينصره من الله والقوة هي القدرة ثم ذكر سبحانه قسما آخر تأكيداً لأمر القيامة فقال (والسماء ذات الرجع) اي ذات المطر عن اكثر المفسرين وقيل يعني بالرجع شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثم تطلع عن ابن زيد وقيل رجع السماء اعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الازمان فترجع بالغيث وارزاق العباد وغير ذلك (والأرض ذات الصدع) تتصدع بالنبات اي تنشق فيخرج منها النبات والاشجار (انه لقول فصل) هذا جواب القسم يعني ان القرآن يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما وروي ذلك عن الصادق (ع) وقيل معناه ان الوعد بالبعث والإحياء بعد الموت قول فصل اي مقطوع به لا خلاف ولا ريب فيه (وما هو بالهزل) اي هو الجد وليس باللعب وقيل ان القرآن لم ينزل باللعب ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (إنهم يكيدون كيدا) اي يحتالون في الايقاع بك وبمن معك ويريدون اطفاء نورك (واكيد كيدا) أي اريد امراً آخر على ضد مايريدون وادبر ما ينقض تدابيرهم ومكايدهم فسمى ذلك كيداً من حيث يخفى ذلك عليهم (فمهل الكافرين) اي انتظر بهم يا محمد ولا تعاجلهم وارض بتدبير الله فيهم (امهلهم رويدا) اي امهالا قليلا عن قتادة وإنما قلل الإمهال لأن ما هو كائن آت لا محالة فهو قليل والمراد به يوم القيامة وقيل اراد يوم بدر والمعنى لا تعجل عليّ في طلب هلاكهم بل اصبر عليهم قليلا فإن الله مجزيهم لا محالة إما بالقتل والذل في الدنيا أو بالعذاب في الآخرة قال ابن جني قوله فمهل الكافرين امهلهم غير اللفظ لأنه آثر التأكيد وكره التكرير فلما تجشم اعادة اللفظ انحرف عنه بعض الانحراف بتغييره المثال وانتقل عن لفظ فعل إلى لفظ افعل فقال امهلهم ولما تجشم التثليث جاء بالمعنى وترك اللفظ البتة فقال رويدا

سورة الاعلى

مكية عن ابن عباس مدنية عن الضحاك وهي تسع عشرة آية بلا خلاف

فضلها

ابي بن كعب قال قال النبي ﷺ من قرأها اعطاه الله من الاجر عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد ﷺ وروي عن علي بن ابي طالب (ع) قال كان رسول الله ﷺ

يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى وأول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل وعن ابن عباس كان النبي ﷺ إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربي الاعلى و كذلك روي عن علي (ع) وابن عمر وابن الزبير انهم كانوا يفعلون ذلك وروى جويبر عن الضحاك انه كان يقول ذلك وكان يقول من قرأها فليفعل ذلك وعن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سبح اسم ربك الأعلى في فريضة أو نافلة قيل له يوم القيامة ادخل من أيّ أبواب الجنة شئت وروى العياشي باسناده عن ابي حمزة عن علي (ع) قال صليت خلفه عشر ين ليلة فليس يقرأ إلا سبح اسم ربك وقال لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرة وان من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى وابراهيم الذي وفى وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر الوعيد والتهديد للكفار افتتح هذه السورة بذكر صفاته العلى وقدرته على ما يشاء فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (٢) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٣) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٤) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٥) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٦) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٧) إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٨) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٩) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (١٠) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١١) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١٢) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٣) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٤) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٥) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٦) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا (١٧) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٨) إِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٩) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (تسع عشرة آية)

القراءة

قرأ الكسائي قدر بالتخفيف وهو قراءة علي (ع) والباقون قدر بالتشديد وقرأ ابو عمرو وروح وزيد وقتيبة يؤثرون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قد تقدّم ان قدر في معنى قدر فكلا الوجهين حسن وتؤثرون بالتاء على الخطاب بل انتم تؤثرون والياء على انه يريد الاشقين وروي ان ابن مسعود والحسن قرآه

اللغة

الأعلى نظير الاكبر ومعناه العالي بسلطانه وقدرته وكل من دونه في سلطانه ولا يقتضي ذلك المكان قال الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

والغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات وأصله الاخلاط من اجناس شتى

والعرب تسمي القوم اذا اجتمعوا من قبائل شتى اخلاطا وغثاء والاحوى الأسود والحوة السواد قال ذو الرمة :

لَمْيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفِي اللِّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ (١)

وقال :

قَرْحَاءُ حَوْذَانُ اشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَتْ فِيهَا الذِّهَابُ وَحَفَّتْهَا الْبَرَاعِيمُ (٢)

والاقراء أخذ القراءة على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل والقارئ التالي واصله الجمع لأنه يجمع الحروف والنسيان ذهاب المعنى عن النفس ونظيره السهو ونقيضه الذكر وهو ذهاب العلم الضروري بما جرت به العادة ان يعلمه وليس بمعنى وقال ابو علي الجبائي هو معنى من فعل الله تعالى

﴿ الإعراب ﴾

الأعلى يحتمل أن يكون جرّاً صفة لرب وان يكون نصبا صفة لاسم احوى نصب على الحال من المرعى والتقدير اخرج المرعى احوى اي اسود لشدة خضرته فجعله غثاء اي جففه حتى صار جافا كالغثاء ويجوز أن يكون نعتا لغثاء والتقدير فجعله غثاء أسود والاول أوجه وهو قول الزجاج . ما شاء الله في موضع نصب على الاستثناء والتقدير سنقرؤك القرآن فلا تنساه إلا ما شاء الله ان تنساه برفع حكمه وتلاوته وهو قول الحسن وقتادة . ان نفعت الذكرى شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله فذكر والتقدير إن نفعت الذكرى فذكرهم

﴿ المعنى ﴾

(سبح اسم ربك الاعلى) أي قل سبحان ربي الأعلى عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه نزّه ربك عن كل ما لا يليق به من الصفات المذمومة والافعال القبيحة لأن التسبيح هو التنزيه لله عما لا يليق به يجوز ان تقول لا إله إلا هو فتنفي ما لا يجوز في صفته من شريك في عبادته مع الاقرار بأنه الواحد في إلهيته وأراد بالاسم المسمى وقيل انه ذكر الاسم والمراد به تعظيم المسمى كما قال لبيد « الى الحول ثم اسم السلام عليكما » ويحسن بالقارئ اذا قرأ هذه الآية ان يقول سبحان ربي الأعلى وان كان في الصلاة قال الباقر (ع) اذا قرأت سبح اسم ربك الأعلى فقل سبحان ربي الأعلى وان كان فيما بينك وبين نفسك والأعلى معناه القادر الذي لا قادر أقدر منه القاهر لكل احد وقيل الأعلى صفة الاسم والمعنى سبّح الله بذكر اسمه الأعلى واسماؤه الحسنى كلها أعلى وقيل معناه صلّ باسم ربك الاعلى عن ابن عباس (الذي خلق) الخلق (فسوى) بينهم في باب الإحكام والاتقان وقيل خلق كل ذي روح فسوّى يديه وعينيه ورجليه عن الكلبي وقيل خلق الإنسان فعدل قامته عن الزجاج يعني انه لم يجعله منكوسا كالبهائم والدواب وقيل خلق الاشياء على موجب ارادته وحكمته فسوّى صنعها لتشهد على وحدانيته (والذي قدّر فهدى) أي قدر الخلق على ما خلقهم فيه من الصور والهيئات وأجرى لهم اسباب معايشهم من الارزاق والاقوات ثم هداهم الى دينه بمعرفة توحيده بإظهار الدلالات والبينات وقيل معناه قدر اقواتهم وهداهم لطلبها وقيل قدرهم على ما اقتضته حكمته فهدى أي ارشد كل حيوان الى ما فيه منفعته ومضرته حتى انه سبحانه هدى الطفل الى ثدي امه وهدى الفرخ حتى طلب الزق من ابيه (٣) وأمه والدواب والطيور حتى فزع كل منهم الى امه وطلب المعيشة من جهته سبحانه وتعالى وقيل قدّرهم ذكوراً واناثا وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى عن مقاتل والكلبي

(١) اللمى : سمرة في الشفة . والحوة : حمرة في الشفتين تضرب الى السواد وكذلك اللعس . والشنب : برد الاسنان (٢) يصف روضة . وقرحاء : التي في وسطها نور أبيض . وروضة اشراطية : مطرت بنوء الشرطين وهما نجمان من برج الحمل يقال لهما قرن الحمل . وذهاب جمع الذهبة : المطرة الضعيفة والبرعم : زهرة الشجر ونور النبت قبل ان

وقيل هدى الى سبيل الخير والشر عن مجاهد وقيل قدّر الولد في البطن تسعة اشهر او أقل او اكثر وهدى الخروج منه للتمام عن السدي وقيل قدّر المنافع في الاشياء وهدى الإنسان لاستخراجها منه فجعل بعضها غذاء وبعضها دواء وبعضها سماً وهدى الى ما يحتاج الى استخراجها من الجبال والمعادن كيف تستخرج وكيف تستعمل (والذي اخرج المرعى) اي أنبت الحشيش من الأرض لمنافع جميع الحيوان واقواتهم (فجعله) بعد الخضرة (غثاء) اي هشيما جافاً كالغثاء الذي تراه فوق السيل (أحوى) أي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ اذا يبس اسودّ وقيل معناه اخرج العشب وما ترعاه النعم أحوى اي شديد الخضرة يضرب الى السواد من شدة خضرته فجعله غثاء اي يابسا بعد ما كان رطبا وهو قوت البهائم في الحالين فسبحان من دبّر هذا التدبير وقدّر هذا التقدير وقيل إنه مثل ضربه الله تعالى لذهاب الدنيا بعد نضارتها (سنقرئك فلا تنسى) أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك وقيل معناه سيقرأ عليك جبريل القرآن بأمرنا فتحفظه ولا تنساه قال ابن عباس كان النبي ﷺ اذا نزل عليه جبرائيل (ع) بالوحي يقرأه مخافة أن ينساه فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئا (إلا ماشاء الله) أن ينسيكه بنسخه من رفع حكمه وتلاوته عن الحسن وقتادة وعلى هذا فالإنشاء نوع من النسخ وقد مرّ بيانه في سورة البقرة عند قوله ما ننسخ من آية أو ننسها الآية وقيل معناه الا ماشاء الله أن يؤخر انزاله عليك فلا تقرأه وقيل الا ما شاء الله كالاستثناء في الإيمان وان لم يقع منه مشيئة النسيان قال الفراء لم يشأ الله أن ينسى عليه السلم شيئاً فهو كقوله خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلا ما شاء ربك ولا يشاء و كقول القائل لاعطينك كل ما سألت إلا ما شئت وإلا أن اشاء ان أمنعك والنية ان لا يمنعه ومثله الاستثناء في الإيمان ففي الآية بيان لفضيلة النبي ﷺ واخبار انه مع كونه ﷺ أميّاً كان يحفظ القرآن وان جبرائيل عليه السلام كان يقرأ عليه سورة طويلة فيحفظه بمرة واحدة ثم لا ينساه وهذه دلالة على الاعجاز الدالّ على نبوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) معناه ان الله سبحانه يعلم العلانية والسرّ . والجهر رفع الصوت ونقيضه الهمس والمعنى انه سبحانه يحفظ عليك ما جهرت به وما اخفيته مما تريد أن تعيه (ونيسرك لليسرى) اليسرى هي الفعلى من اليسر وهو سهولة عمل الخير والمعنى نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية ونهون عليك الوحي ونسهله حتى تحفظه ولا تنساه وتعمل به ولا تخالفه وقيل معناه نسهل لك من الالطاف والتأييد ما يثبتك على أمرك ويسهل عليك المستصعب من تبليغ الرسالة والصبر عليه عن ابي مسلم وهذا احسن ما قيل فيه فإنه يتصل بقوله سنقرؤك فلا تنسى فكأنه سبحانه أمره بالتبليغ ووعده النصر وأمره بالصبر وقيل ان اليسرى عبارة عن الجنة فهي اليسرى الكبرى أي نيسر لك دخول الجنة عن الجبائي (فذكر) أمر النبي ﷺ ان يذكر الخلق ويعظهم (ان نفعت الذكرى) وإنما قال ذلك وذكراه تنفع لا محالة في عمل الإيمان والامتناع من العصيان لأنه ليس بشرط حقيقة وانما هو اخبار عن انه ينفع لا محالة في زيادة الطاعة والانتهاء عن المعصية كما يقال سله ان نفع السؤال وقيل معناه عظهم ان نفعت الموعظة أو لم تنفع لأنه ﷺ بعث للاعذار والانذار فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم وقد نبّه الله سبحانه على تفصيل الحالتين بقوله (سيذكر من يخشى) أي سيتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى ويخاف عقابه (ويتجنبها) أي يتجنب الذكرى والموعظة

يتفتح . (٣) الزق : اطعام الطائر فرخه بمنقاره .

(الأشقى) اي أشقى العصاة فإن للعاصين درجات في الشقاوة فأعظمهم درجة فيها الذي كفر بالله وتوحيده وعبد غيره وقيل الأشقى من الاثنين من يخشى ومن يتجنب عن ابي مسلم (الذي يصلى النار الكبرى) أي يلزم اكبر النيران وهي نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا عن الحسن وقيل إن النار الكبرى هي الطبقة السفلى من جهنم عن الفراء (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها بل صارت حياته وبالا عليه يتمنى زوالها لما هو فيها معها من فنون العقاب وألوان العذاب وقيل ولا يحيى أي ولا يجد روح الحياة (قد أفلح من تزكى) أي قد فاز من تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله عن عطاء وعكرمة وقيل معناه قد ظفر بالبغية من صار زاكيا بالاعمال الصالحة والورع عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل تزكى أي أعطى زكاة ماله عن ابن مسعود وكان يقول قد رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ويقرأ هذه الآية وقيل أراد صدقة الفطرة وصلاة العيد عن ابي عمرو وابي العالية وعكرمة وابن سيرين وروي ذلك مرفوعا عن ابي عبدالله (ع) ومتى قيل على هذا القول كيف يصح ذلك والسورة مكية ولم يكن هناك صلاة عيد ولا زكاة ولا فطرة قلنا يحتمل إن يكون نزلت اوائلها بمكة وختمت بالمدينة (وذكر اسم ربه فصلى) أي وحد الله عن ابن عباس وقيل ذكر الله بقلبه عند صلاته فرجا ثوابه وخاف عقابه فإن الخشوع في الصلاة بحسب الخوف والرجاء وقيل ذكر اسم ربه بلسانه عند دخوله في الصلاة فصلى بذلك الاسم أي قال الله اكبر لأن الصلاة لا تنعقد إلا به وقيل هو أن يفتتح بسم الله الرحمن الرحيم ويصلي الصلوات الخمس المكتوبة ثم قال سبحانه مخاطباً للكفار (بل تؤثرون) أي تختارون (الحيوة الدنيا) على الآخرة فتعملون لها وتعمرونها ولا تتفكرون في أمر الآخرة وقيل هو عام في المؤمن والكافر بناء على الأعم الأغلب في أمر الناس قال عبد الله بن مسعود إن الدنيا اخضرت لنا وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل ثم رغّب سبحانه في الآخرة فقال (والآخرة) أي والدار الآخرة وهي الجنة (خير) اي أفضل (وأبقى) وأدوم من الدنيا وفي الحديث من احبّ آخرته أضرّ بدنياه ومن احبّ دنياه اضرّ بآخرته (إن هذا لفي الصحف الاولى) يعني ان هذا الذي ذكر من قوله قد افلح الى أربع آيات لفي الكتب الأولى التي انزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المصلي والمتزكي وايثار الخلق الدنيا على الآخرة وان الآخرة خير وقيل معناه ان من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فهو ممدوح في الصحف الاولى كما هو ممدوح في القرآن ثم بيّن سبحانه ان الصحف الاولى ما هي فقال (صحف ابراهيم وموسى) وفي هذا دلالة على أن ابراهيم كان قد انزل عليه الكتاب خلافاً لمن يزعم انه لم ينزل عليه كتاب وواحدة الصحف صحيفة وروي عن ابي ذر أنه قال قلت يا رسول الله كم الانبياء فقال مائة الف نبي واربعة وعشرون الفاً قلت يا رسول الله كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم انبياء قلت كان آدم (ع) نبياً قال نعم كلّمه الله وخلقه بيده يا ابا ذر اربعة من الانبياء عرب هود وصالح وشعيب ونبيك قلت يا رسول الله كم انزل الله من كتاب قال مائة واربعة كتب انزل الله منها على آدم (ع) عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وفي الحديث انه كان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلا على شأنه وقيل ان كتب الله كلها انزلت في شهر رمضان

سورة الغاشية

مكية ست وعشرون آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها حاسبه الله حسابا يسيراً ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من ادمن قراءة هل اتاك حديث الغاشية في فرائضه او نوافله غشاه الله برحمته في الدنيا والآخرة واعطاه الأمن يوم القيامة من عذاب النار

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السورة بالترغيب في الآخرة وانها خير من الدنيا وافتتح هذه ايضاً ببيان احوال الآخرة فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) هَلْ أَتٰىكَ حَدِيثُ الْغٰشِيَةِ (٢) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰشِعَةٌ (٣) عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ (٤) تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً (٥) تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ ءٰانِيَةٍ (٦) لَيْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِيعٍ (٧) لاٰ يُسْمِنُ وَلاٰ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٨) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاعِمَةٌ (٩) لِسَعْيِهٰا رٰاضِيَةٌ (١٠) فِي جَنَّةٍ عٰالِيَةٍ (١١) لاٰ تَسْمَعُ فِيهٰا لٰاغِيَةً (١٢) فِيهٰا عَيْنٌ جٰارِيَةٌ (١٣) فِيهٰا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٥) وَأَكْوٰابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمٰارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرٰابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلاٰ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبٰالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلاّٰ مَنْ تَوَلّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذٰابَ الْأَكْبَرَ (٢٥) إِنَّ إِلَيْنٰا إِيٰابَهُمْ (٢٦) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا حِسٰابَهُمْ (ست وعشرون آية)

القراءة

قرأ أهل البصرة غير سهل وابو بكر تصلى بضم التاء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وأهل البصرة غير سهل لا يسمع بضم الياء لاغية بالرفع وقرأ نافع لا تسمع بضم التاء لاغية بالرفع وقرأ الباقون لا تسمع بفتح التاء لاغية بالنصب وقرأ ابو جعفر ايابهم بتشديد الياء والباقون بالتخفيف وروي عن علي (ع) أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقتْ وإلى السماء كيف رفعتْ وإلى الجبال كيف نصبتْ وإلى الأرض كيف سطحتْ بفتح اوائل هذه الحروف كلها وضم التاء وعن ابن عباس وقتادة وزيد بن اسلم وزيد بن علي إلا من تولى بالتخفيف

الحجة

حجة من قال تصلى قوله سيصلى ناراً ذات لهب وقوله الا من هو صال الجحيم وحجة من قال تصلى قوله ثم الجحيم صلّوه وصلوه مثل اصلوه واللاغية مصدر بمنزلة العاقبة والعافية ويجوز أن تكون صفة نحو أن تقول لا تسمع فيها كلمة لاغية والاول اوجه لقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تسمع على بناء الفعل

للمفعول به حسن لأن الخطاب ليس بمصروف إلى واحد بعينه وبناء الفعل للفاعل ايضا حسن على الشياع في الخطاب وإن كان لواحد وعلى هذا وإذا رأيت ثم رأيت نعيما ويجوز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ وكل واحد من التاء والياء في تسمع ويسمع حسن على اللفظ وعلى المعنى وأما قوله ايابهم على التشديد فقال ابو الفتح انكر ابو حاتم هذه القراءة لأنه حملها على نحو كذّبوا كِذّابا قال وهذا لا يجوز لأنه كان يجب إوّابا لأنه فعال فيصح لاحتمال التغيير بالادغام كقولهم اجلوذا جلواذا قال ابو الفتح يجوز أن يكونوا قلبوا الواو ياء من اواب وان كانت متحصنة بالادغام استحسانا للتخفيف لا وجوبا كما قالوا دَيَمَت السماء في دَوَمَت قال

هُوَ الجَوادُ ابْنُ الجَوادِ ابنِ سَبَلْ إنْ دَيَمُوا جادَ وَإنْ جادُوا وَبَلْ (١)

يريد دَوَّموا وقال ويجوز أن يكون بني من آب فَيَعَلْتُ واصله أَيْوَبْتُ والمصدر ايواب فقلبت الواو ياء لوقوع الياء ساكنة قبلها ويجوز أن يكون اوبت فوعلت والمصدر على الفيعال كالحيقال من حوقلت انشد الاصمعي

يا قَوْمِ قَدْ حَوْقَلْتُ أَوْ دَنُوتُ وَبَعْدَ حِيقالِ الرِّجالِ المَوْتُ

فصار ايواباً فقلبت الواو ياء فصار اياباً واما قراءة علي (ع) فالمفعول في جميعها محذوف لدلالة المعنى عليه اي كيف خلقتها وكيف رفعتها وكيف نصبتها وسطحتها ومن قرأ الا من تولى فإلا افتتاح كلام ومن شرط وجوابه فيعذبه الله اي فهو يعذبه الله وقد تقدّم القول فيه في مواضع

﴿ اللغة ﴾

الغاشية المجللة لجميع الجملة غشيه يغشاه غشيانا واغشاه غيره اذا جعله يغشى وغشاه بمعناه ونصب الرجل ينصب نصبا فهو نصب وناصب إذا تعب في العمل والآنية البالغة النهاية في شدة الحرّ والضريع نبت تأكله الإبل يضر ولا ينفع وانما سمي ضريعاً لانه يشتبه عليها امره فتظنه كغيره من النبت والأصل من المضارعة والمشابهة والنمارق واحدتها نمرقة والزرابي البسط الفاخرة واحدتها زربية والمصيطر المتسلط على غيره بالقهر له يقال تصيطر فلان علي فلان وصيطر إذا تسلط وقال ابو عبيدة مصيطر ومبيطر لا ثالث لهما في كلام العرب

﴿ الإعراب ﴾

كيف خلقت يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من خلقت ويجوز أن يكون على المصدر وتكون الجملة التي هي كيف خلقت معلقة بينظرون لأن النظر مؤدّ إلى العلم. الا من تولى هو استثناء منقطع وسيبويه يقدّر الاستثناء المنقطع بلكن والفراء يقدّره بسوى

﴿ المعنى ﴾

(هل اتيك حديث الغاشية) خطاب للنبي ﷺ يريد قد اتاك حديث يوم القيامة لأنها تغشى الناس بأهوالها بغتة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل الغاشية النار تغشي وجوه الكفار بالعذاب وهذا كقوله تغشى وجوههم النار عن محمد بن كعب وسعيد بن جبير (وجوه يومئذ خاشعة) أي ذليلة بالعذاب الذي يغشاها والشدائد التي تشاهدها والمراد بذلك ارباب الوجوه وإنما ذكر الوجوه لأن الذل والخضوع يظهر فيها وقيل المراد بالوجوه الكبراء تقول جاءني وجوه بني تميم اي ساداتهم وقيل عنى به وجوه الكفار كلهم لأنها تكبرت عن عبادة الله تعالى عن مقاتل (عاملة ناصبة) فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المعنى عاملة في النار ناصبة

(١) دومت السماء : استمر مطرها . والجواد اشد منه . والوبل اشد .

فيها عن الحسن وقتادة قالا لم يعمل لله سبحانه في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال قال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وقال الكلبي يجرّون على وجوههم في النار ﴿وثانيها﴾ أن المراد عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة عن عكرمة والسدي ﴿وثالثها﴾ عاملة ناصبة في الدنيا يعملون وينصبون ويتعبون على خلاف ما امرهم الله تعالى به وهم الرهبان واصحاب الصوامع واهل البدع والآراء الباطلة لا يقبل الله اعمالهم في البدعة والضلالة وتصير هباء لا يثابون عليها عن سعيد بن جبير وزيد بن اسلم وابي الضحاك عن ابن عباس وقال ابو عبد الله (ع) كل ناصب لنا وان تعبد واجتهد يصير الى هذه الآية عاملة ناصبة (تصلى ناراً حامية) قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله وقيل المعنى إن هؤلاء يلزمون الاحراق بالنار التي في غاية الحرارة (تسقى من عين آنية) أي وتسقى ايضا من عين حارة قد بلغت انانها وانتهت حرارتها قال الحسن قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت فدفعوا اليها وردا عطاشا هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال (ليس لهم طعام إلا من ضريع) وهو نوع من الشوك يقال له الشبرق واهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس وهو اخبث طعام وابشعه لا ترعاه دابة وعن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك امرّ من الصبر وانتن من الجيفة واشدّ حرّاً من النار سماه الله الضريع وقال ابو الدرداء والحسن إن الله يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الله سبحانه الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة كلما ادنوه إلى وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ولما نزلت هذه الآية قال المشركون إن ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك لأن الابل لا ترعاه فقال الله سبحانه تكذيباً لهم (لا يسمن ولا يغني من جوع) أي لا يدفع جوعا ولا يسمن احداً قال الحسن لا ادري ما الضريع لم اسمع من اصحاب محمد ﷺ شيئاً فيه وقيل هو سمّ من مجاهد وقتادة وقيل ضريع بمعنى مضرع أي يضرعهم ويذلهم وقيل يسمى ضريعا لأن آكله يضرع في الاعفاء منه لخشونته وشدة كراهته عن ابن كيسان وقيل هو الحجارة عن سعيد بن جبير ثم وصف سبحانه اهل الجنة فقال (وجوه يومئذ ناعمة) اي منعمة في انواع اللذات ظاهر عليها اثر النعمة والسرور ومضيئة مشرقة (لسعيها) في الدنيا (راضية) حين اعطيت الجنة بعملها والمعنى لثواب سعيها وعملها من الطاعات راضية يريد انه لما ظهر نفع اعمالهم وجزاء عباداتهم رضوه وحمدوه وهذا كما يقال عند الصباح يحمد القوم السرى (في جنة عالية) أي مرتفعة القصور والدرجات وقيل ان علو الجنة على وجهين علو الشرف والجلالة وعلو المكان والمنزلة بمعنى انها مشرفة على غيرها وهي انزه ما تكون والجنة درجات بعضها فوق بعض كما ان النار دركات (لا تسمع فيها لاغية) اي كلمة ساقطة لا فائدة فيها وقيل لاغية ذات لغو كقولهم نابل ودارع أي ذو نبل ودرع قال الجعفية «وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر» (فيها) أي في تلك الجنة (عين جارية) قيل انه اسم جنس ولكل انسان في قصره من الجنة عين جارية من كل شراب يشتهيه وفي العيون الجارية من الحسن واللذة والمنفعة ما لا يكون في الواقفة ولذلك وصف بها عيون اهل الجنة وقيل إن عيون اهل الجنة تجري في غير اخدود وتجري كيما يريد صاحبها (فيها) أي في تلك الجنة (سرر مرفوعة) قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدرّ والياقوت مرتفعة ما لم يجئ اهلها فإذا اراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها والسرر جمع سرير وهو مجلس السرور وقيل إنما رفعت ليرى المؤمنون بجلوسهم عليها جميع ما حولهم من الملك (واكواب موضوعة) على حافات العيون الجارية كلما أراد المؤمن شربها وجدها مملوءة وهي الاباريق ليس لها خراطيم ولا عرى تتخذ للشراب وقيل هي أواني الشراب من الذهب والفضة والجواهر بين ايديهم ويشربون بها

ما يشتهونه من الاشربة ويتمتعون بالنظر اليها حسنها (وغارق مصفوفة) أي وسائد يتصل بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك في الدنيا (وزرابي مبثوثة) وهي البسط الفاخرة والطنافس المخملة والمبثوثة المبسوطة المنشورة ويجوز أن يكون المعنى انها مفرقة في المجالس وعن عاصم بن ضمرة عن علي (ع) انه ذكر اهل الجنة فقال يجيئون فيدخلون فإذا اسلس بيوتهم من جندل اللؤلؤ وسرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ولولا ان الله تعالى قدّرها لهم لالتمعت ابصارهم بما يرون ويمانقون الازواج ويتعمدون على السرر ويقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا قال قتادة ولما نعت الله الجنة وما فيها عجب من ذلك اهل الضلال فأنزل الله سبحانه (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) وكانت الابل عيشاً من عيشهم فيقول افلا يتفكرون فيها وما يخرج الله من ضروعها من بين فرث ودم لبناً خالصا سائغاً للشاربين يقول كما صنعت هذا لهم فكذلك اصنع لأهل الجنة في الجنة وقيل معناه أفلا يعتبرون بنظرهم إلى الابل وما ركبه الله عليه من عجيب الخلق فإنه مع عظمته وقوته يذلله الصغير فينقاد له بتسخير الله اياه لعباده فيبركه ويحمل عليه ثم يقوم وليس ذلك في غيره من ذوات الأربع فلا يحمل على شيء منها الا وهو قائم فاراهم الله سبحانه هذه الآية فيه ليستدلوا على توحيده بذلك عن ابي عمرو بن العلاء والزجاج وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل اعظم من الابل في الاعجوبة فقال اما الفيل فالعرب بعيد عهد بها ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يحلب درّها والابل من أعزّ مال العرب وانفسه تأكل النوى والقت وتخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها ويحكى أن فارة أخذت بزمام ناقة فأخذت تجرّها وهي تتبعها حتى دخلت الجحر فجرّت الزمام فتركت الناقة فجرّت فقربت فمها من جحر الفأر (وإلى السماء كيف رفعت) أي كيف رفعها الله فوق الأرض وجعل بينهما هذا الفضاء الذي به قوام الخلق وحياتهم ثم إلى ما خلقه فيها من بدائع الخلق من الشمس والقمر والكواكب وعلّق بها منافع الخلق واسباب معايشهم (وإلى الجبال كيف نصبت) أي أولا يتفكرون في خلق الله سبحانه الجبال اوتاداً للأرض ومسكنة لها وانه لولاها لمادت الأرض بأهلها (وإلى الأرض كيف سطحت) أي كيف بسطها الله ووسعها ولولا ذلك لما صحّ الاستقرار عليها والانتفاع بها وهذه من نعم الله سبحانه على عباده لا توازيها نعمة منعم وفيها دلائل على توحيده ولو تفكّروا فيها لعلموا أن لهم صانعاً صنعهم وموجداً أوجدهم ولما ذكر سبحانه الأدلة امر نبيّه بالتذكير بها فقال (فذكر) يا محمد والتذكير التعريف للذكر بالبيان الذي يقع به الفهم والنفع بالتذكير عظيم لأنه طريق للعلم بالامور التي يحتاج اليها (إنما انت مذكر) لهم بنعم الله تعالى عندهم وبما يجب عليهم في مقابلتها من الشكر والعبادة وقد اوضح الله تعالى طريق الحجج في الدين وأكّده غاية التأكيد بما لا يسع فيه التقليد بقوله إنما انت مذكر وقوله وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقوله إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ولقوم يذكرون ويتفكرون وقيل إن المراد فذكّرهم بهذه الادلة وامرهم بالاستدلال بها ونبّههم عليها عن الجبائي وابي مسلم (لست عليهم بمصيطر) معناه لست عليهم بمتسلط تسليطا يمكّنك أن تدخل الإيمان في قلوبهم وتجبرهم عليه وإنما الواجب عليك الانذار فاصبر على الانذار والتبليغ والدعوة إلى الحق وقيل معناه لست عليهم بمتسلط الآن حتى تقاتلهم إن خالفوك وكان هذا قبل نزول آية الجهاد ثم نسخ بالامر بالقتال والوجه الصحيح انه لا نسخ فيه لأن الجهاد ليس باكراه للقلوب والمراد انك إنما بعثت للتذكير وليس عليك من ترك قبولهم شيء (إلا من تولى وكفر) أي أعرض عن الذكر ولم يقبل منك وكفر بالله وبما جئت به فكِلْ امره إلى الله عز الحسن وقيل معناه إلا من تولى وكفر فلست له بمذكّر لأنه لا يقبل منك فكأنك لست تذكره (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو الخلود في النار ولا عذاب اعظم منها ثم ذكر سبحانه أن مرجعهم اليه فقال (إن الينا إيابهم) أي مرجعهم ومصيرهم بعد الموت (ثم إن علينا حسابهم) أي جزاءهم على اعمالهم فهذا جامع بين الوعد والوعيد ومعناه لا يهمنك امرهم فإنهم

وإن عاندوك وآذوك فمصير جميعهم إلى حكمنا لا يفوتوننا ومجازاتهم علينا وعن قريب تقرّ عينك بما تراه في اعدائك

﴿ النظم ﴾

يسأل كيف يتصل ذكر الابل وما بعدها بذكر وصف الجنان ونعيمها ﴿ والجواب ﴾ إنه يتصل بأول السورة والضمير في قوله ينظرون عائد إلى الذين وصفهم بقوله عاملة ناصبة وانه لما ذكر عقابهم وثواب المؤمنين عاد عليهم بالاحتجاج بالابل والسماء والأرض والجبال وكيفية دلالتها على وجود الصانع الحكيم يريد هلا نظر هؤلاء في صنائع الله فيعرفونه ويعبدونه عن ابي مسلم وقيل انه لما ذكر سرر الجنة وارتفاعها تعجبوا من ذلك وقالوا كيف يصعد عليها فاراهم الله سبحانه الابل وانه كيف سخرت لبني آدم مع عظمها حتى انيخت للحمل عليها وتقوم بعد ذلك وكيف أحكم الله خلق السموات والأرض والجبال ردّاً على اولئك القوم وإنما خصّ سبحانه هذه الأشياء بالذكر لاستواء الناس كلهم في معرفتها

سورة الفجر

مكية اثنتان وثلاثون آية حجازي وثلاثون كوفي شامي وتسع وعشرون بصري

﴿ اختلافها ﴾

أربع آيات ونعمه فقدر عليه رزقه كلتاهما حجازي بجهنم حجازي شامي في عبادي كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها في ليال عشر غفر الله له ومن قرأها سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة وروى داود بن فرقد عن ابي عبد الله (ع) قال اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين بن علي (ع) من قرأها كان مع الحسين بن علي (ع) يوم القيامة في درجته من الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بأن اياب الخلق اليه وحسابهم عليه وافتتح هذه السورة بتأكيد ذلك المعنى حين اقسم انه بالمرصاد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالْفَجْرِ (٢) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٣) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٤) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٥) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٦) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٧) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٨) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٩) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (١٠) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١١) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١٢) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٣) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٤) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٥) فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٦) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٧) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٨) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٩) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (٢٠) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢١) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا

(٢٢) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٣) وَجِايءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٤) يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٥) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٦) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٧) يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٨) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٩) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٣٠) وَادْخُلِي جَنَّتِي (ثلاثون آية)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم والوتر بكسر الواو والباقون بالفتح وقرأ ابو جعفر وابن عامر فقدر بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ لا يكرمون بالياء. وكذلك ما بعده اهل البصرة والباقون بالتاء. وقرأ لا تحاضون أهل الكوفة وأبو جعفر وقرأ لا يعذب ولا يوثق بالفتح الكسائي ويعقوب وسهل والباقون لا يعذب ولا يوثق وقرأ أهل المدينة وابو عمرو وقتيبة عن الكسائي والليل إذا يسري باثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف وقرأ ابن كثير ويعقوب باثبات الياء في الوصل والوقف والباقون بالحذف فيهما وقرأ القواس والبزي ويعقوب بالوادي باثبات الياء في الوصل والوقف وورش باثباتها في الوصل وحذفها في الوقف والباقون بحذفها في الوصل والوقف وقرأ اهل المدينة اكرمني وأهانني باثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف والقواس والبزي ويعقوب باثبات الياء في الوصل والوقف وابو عمرو لا يبالي كيف قرأ بالياء وغير الياء. وروى العباسي عنه بحذف الياء من غير تخيير والباقون بحذف الياء في الحرفين في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة ابن عباس بعادٍ أرم ذات العماد وروي ذلك عن الضحاك ايضا وقراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك وابن السميقع فادخلي في عبدي

الحجة

قال ابو علي حدثنا محمد بن السري أن الاصمعي قال لكل فرد وتر واهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر في الفرد ويكسرون الوتر في الذحل[1] وقيس وتميم يسوونهما في الكسر ويقولون في الوتر الذي هو الافراد أوترت وأنا أوتر ايتارا أي جعلت امري وترا وفي الذحل وترته اتره وِتْراً وتِرَةً قال ابو بكر وترته في الذحل إنما هو أفردته من اهله وماله ومن قرأ يكرمون وما بعده بالياء فلما تقدم من ذكر الإنسان والمراد به الجنس والكثرة على لفظ الغيبة ولا يمتنع في هذه الأشياء الدالة على الكثرة أن يحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى ومن قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم ذلك ومعنى لا تحضون على طعام المسكين لا تأمرون به ولا تبعثون عليه ولا تحاضون تتفاعلون منه وقوله ولا يُعذِّب عذابه احد معناه لا يعذب تعذيبه فوضع العذاب موضع التعذيب كما وضع العطاء موضع الاعطاء في قوله «وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِائَةَ الرِّتَاعَا»[2] فالمصدر الذي هو عذاب مضاف إلى المفعول به مثل دعاء الخير والمفعول به الانسان المتقدم ذكره في قوله يوم يتذكر الإنسان والوثاق ايضا موضع الايثاق فأما من قرأ لا يَعذب فقد قيل إن المعنى فيه انه لا يتولى عذاب الله تعالى يومئذ احد والأمر يومئذ امره ولا امر لغيره هذا قول وقد قيل ايضا لا يَعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله في الآخرة وكأن الذي حمل قائل هذا القول على ان قاله انه ان حمله على ظاهره كان المعنى لا يعذب لحد في الآخرة مثل عذاب الله ومعلوم انه لا يعذب احد في الآخرة مثل عذاب الله إنما المعذب الله تعالى فعدل عن الظاهر لذلك ولو قيل إن المعني فيومئذ لا يعذب احد احداً تعذيبا مثل تعذيب الكافر المتقدم ذكره فاضيف المصدر إلى المفعول به كما اضيف اليه في القراءة الاولى ولم يذكر الفاعل كما لم يذكره في مثل قوله تعالى من دعاء الخير لكان المعنى في القراءتين سواء والذي يرد باحد الملائكة الذين يتولون تعذيب اهل النار ويكون ذلك كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة

(١) الذحل: الثار. (٢) هذا عجز بيت للقطامي من قصيدة طويلة يمدح فيها زفر بن الحارث الكلابي، وكان القطامي قد اسر في بعض الحروب فاطلقه زفر ووهب له مأة من الابل. وصدره «اكفراً بعد رد الموت عني» والرتاع: التي تسام وترتع وترعى ولا من يردها وذلك مما يورثها سمنا.

يضربون وجوههم وادبارهم وقوله ولهم مقامع من حديد لا شبهة ان يكون هذا القول اولى والفاعل له هم الملائكة قال ووجه قول من قال يسري بالياء وصل أو وقف ان الفعل لا يحذف منه في الوقف كما يحذف من الاسماء نحو قاض وغاز فتقول هو يقضي وانا اقضي فتثبت الياء ولا تحذف كما تحذف من الاسم نحو هذا قاض وليس اثبات الياء بالأحسن في الوقف من الحذف وذلك انها فاصلة وجميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه ان لا يحذف نحو القاضي بالألف واللام يحذف اذا كان في قافية او فاصلة قال سيبويه : والفاصلة نحو والليل اذا يسر ويوم التناد والكبير المتعال فإذا كان شيء من ذلك في كلام تام شبه بالفاصلة فحسن حذفها نحو قوله ذلك ما كنا نبغ فإن قلت كيف كان الاختيار فيه ان يحذف اذا كان في فاصلة أو قافية وهذه الحروف من أنفس الكلام وهلا لم يستحسن حذفها كما اثبت سائر الحروف ولم يحذف والقول في ذلك ان الفواصل والقوافي في مواضع الوقف والوقف موضع تغير فلما كان الوقف تغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف والإسكان وروم الحركة غيرت فيه هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف ألا ترى ان النداء لما كان في موضع حذف بالترخيم والحذف للحروف الصحيحة الزموا الحذف في اكثر الكلام للحرف المتغير وهو تاء التأنيث فكذلك الزم الحذف في الوقف لهذه الحروف المتغيرة فجعل تغييرها الحذف. ولما يراع فيها ما روعي في الحروف الصحيحة فسوّوا بينها وبين الزائد في الحذف للجزم نحو لم يغزو لم يرم ولم يخش وأجروها مجرى الزائد في الاطلاق نحو «وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي»(١) وما يمر وما يحلو كما قالوا « اَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ »(٢) فلذلك اختير فيها الحذف في الفواصل والقوافي وكذلك قوله جابوا الصخر بالواد الاوجه فيه الحذف اذا كانت فاصلة وان كان الأحسن اذا لم تكن فاصلة الإثبات ومن قرأ في الوصل يسري بالياء وفي الوقف بغير ياء فإنه ذهب الى انه اذا لم يقف عليها صار بمنزلة غيرها من المواضع التي لا يوقف عليها فلم تحذف من الفاصلة اذا لم يقف عليها كما لم يحذف من غيرها وحذفها اذا وقف عليها من اجل الوقف ومن قرأ اكرمن واهانن بغير ياء في وصل ولا وقف فهو كمن قرأ يسر في الوصل والوقف لأن ماقبلها كسرة في فاصلة ومن قرأها بياء في الوصل كمثل من قرأ يسري في الوصل بإثبات الياء وبحذفها في الوقف ورواية سيبويه عن ابي عمرو انه قرأ ربي اكرمن وربي اهانن على الوقف ومن قرأ اِرَمَ ذات العماد فالمعنى جعلها رميا رمت هي واسترمت وارمها غيرها قال ابن جني واما القراءة بعادٍ إِرَمَ فعلى انه اراد اهل ارم هذه المدينة فحذف المضاف وهو يريده كقوله تعالى بزينة الكواكب اي بزينة الكواكب قال وقوله في عبدي لفظه لفظ الواحد ومعناه الجمع اي عبادي وذلك انه جعل عبادي كالواحد اي لا خلاف بينهم في عبوديته كما لا يخالف الانسان فيصير كقول النبي ﷺ وهم يد على من سواهم وقال غيره معناه فادخلي في جسم عبدي

﴿ اللغة ﴾

الفجر شق عمود الصبح فجره الله لعباده فجراً اذ اظهره في افق المشرق مبشراً بإدبار الليل المظلم واقبال النهار المضيء وهما فجران ﴿احدهما﴾ الفجر المستطيل وهو الذي يصعد طولا كذنب السرحان ولا حكم له في الشرع ﴿والآخر﴾ هو المستطير المنتشر في افق السماء وهو الذي يحرم عنده الاكل والشرب لمن اراد ان يصوم في شهر رمضان وهو ابتداء اليوم والحجر العقل واصله المنع يقال حجر القاضي على فلان ماله اي منعه من التصرف فيه فالعقل يمنع من المقبحات ويزجر عن فعلها والعماد جمعه عمد وهو ما تبنى به الابنية

(١) هذا جزء بيت لزهير بن ابى سلمى من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان تمامه «ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى» والخلق : التقدير ، يقول : انت اذا عزمت امراً قطعته وانفذته وغيرك يعزم ولا يفعل (٢) هذا عجز بيت لزهير من تلك القصيدة ايضاً وقد ينسب الى حماد الراوية على خلاف ذكره في شرح الاشمونى وصدره «لمن الديار بقنة ←

ويستعمل في القوة والشرف يقال فلان رفيع العماد قال

وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْبَيْتِ خَرَّتْ ... عَلَى الْأَخْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا

والجوب القطع قال النابغة

أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى تَجُوبُ بِهِ الدُّجَى ... دُجَى اللَّيْلِ جَوَّابَ الْفَلَاةِ عَشَمْشَمُ

والعشمشم الطويل والسوط معروف قال الفراء السوط اسم للعذاب وان لم يكن ثم ضرب بسوط واصل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فكان السوط قسط عذاب يخالط اللحوم والدماء كما يخالطها السوط قال الشاعر

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تُسَاطُ دِمَاؤُنَا ... تَزَايَلْنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمَا

والمرصاد الطريق مفعال من رصده يرصده رصداً اذا راعى ما يكون منه ليقابله بما يقتضيه واللم جمعك ما على الخوان المة لماً اذا اكلته اجمع كأنه يأكل ما ألمَّ به ولا يميز شيئاً من شيء والجم الكثير العظيم وجمة الماء معظمه وجم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر قال زهير

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ (١)

والدك حط المرتفع بالبسط يقال اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة دكاء اذا كانت كذلك ومنه الدكان لاستوائه قال

لَيْتَ الْجِبَالَ تَدَاعَتْ عِنْدَ مَصْرَعِهَا ... دَكًّا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَارِهَا حَجَرُ

والوثاق الشدّ واوثقته شددته

الاعراب

جواب القسم قوله ان ربك لبالمرصاد وقيل جوابه محذوف تقديره ليقبضن على كل ظالم او لينتصفن كل مظلوم من ظالمه اما رأيت كيف فعلنا بعاد وفرعون وثمود لما ظلموا واجري ارم على عاد عطف بيان او على البدل ولا يجوز ان يكون صفة لأنه غير مشتق وانما لا ينصرف ارم للتعريف والتأنيث ألا ترى الى قوله ذات العماد ومن اضاف فقال بعاد ارم في الشواذ فإنه عنده بمنزلة قولهم زيد بطة لأنه لقب فيضاف اليه الاسم وثمود في موضع جرّ أي وبثمود لا ينصرف لأنه اعجمي معرفة . على طعام المسكين تقديره على اطعام طعام المسكين فحذف المضاف ويجوز ان يكون طعام اسماً اقيم مقام الإطعام كقول لبيد

بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسَحْرَةٍ ... لِأُعِلَّ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا (٢)

اي لاحتياجي اليها فهو مفعول له والتراث اصله الوارث من ورثت ولكن التاء تبدل من الواو ومثله تجاه اصله وجاه من واجهه وجواب اذا في قوله اذا دكّت الارض قوله فيومئذ لا يعذب عذابه احد وقوله صفاً صفاً مصدر وضع موضع الحال أي مصطفين

المعنى

(والفجر) اقسم الله سبحانه بفجر النهار وهو انفجار الصبح كل يوم عن عكرمة والحسن والجبائي ورواه ابو صالح عن ابن عباس وقيل هو فجر ذي الحجة لأن الله تعالى قرن الايام به فقال (وليال عشر) وهي عشر ذي الحجة عن مجاهد والضحاك وقيل فجر اول المحرم لأنه تنجدّد عنده السنة عن قتادة وقيل يريد فجر

← الحجر ، ويروى «مذحجج ومذدهر» والقنة : اعلى الجبل . والحجر : موضع بناحية الشام . واقوين بمعنى اقفرن وخلون من السكان . والحجج جمع حجة بمعنى السنة ، يصف شدة خراب هذه الديار حتى كانها لا تعرف و لا يعرف سكانها

(١) البيت من المعلقة . والزرق : شدة الصفاء ووضع العصى كناية عن النزول بالمكان . يقول : فلما وردن-

يوم النحر لأنه يقع فيه القربان ويتصل بالليالي العشر عن ابي مسلم وقيل اراد بالفجر النهار كله عن ابن عباس وليال عشر يعني العشر من ذي الحجة عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وروي ذلك مرفوعاً شرفها الله ليسارع الناس فيها الى عمل الخير وقيل هي العشر الاواخر من شهر رمضان في رواية اخرى عن ابن عباس وقيل انها عشر موسى للثلاثين ليلة التي اتمها الله بها (والشفع والوتر) يعني الزوج والفرد من العدد كله عن الحسن قال ابو مسلم هو تذكير بالحساب لعظم ما فيه من النفع والنعم بما يضبط به من المقادير وقيل الشفع والوتر كل ما خلقه الله تعالى لأن جميع الاشياء إما زوج واما فرد عن ابن زيد والجبائي وقيل الشفع الخلق لأنه قال وخلقناكم ازواجا والوتر الله تعالى عن عطية العوفي وابي صالح وابن عباس ومجاهد وهي رواية ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وقيل الشفع والوتر الصلاة ومنها شفع ومنها وتر وهي رواية ابن حصين عن النبي ﷺ وقيل الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وهي رواية جابر عن النبي ﷺ والوجه فيه ان يوم النحر يشفع بيوم نفر بعده وينفرد يوم عرفة بالموقف وقيل الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وقيل ان الشفع والوتر في قول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فالشفع النفر الاول والوتر يوم النفر الأخير وهو الثالث واما الليالي العشر فالثاني من ذي الحجة وعرفة والنحر عن ابن الزبير وقيل الوتر آدم شفع بزوجته عن ابن عباس وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليل بعده وهو يوم القيامة عن مقاتل بن حيان وقيل الشفع صفات المخلوقين وتضادها العزّ والذلّ والوجود والعدم والقدرة والعجز والعلم والجهل والحياة والموت والوتر صفة الله تعالى إذ هو الموجود لا يجوز عليه العدم والقادر لا يجوز عليه العجز والعالم لا يجوز عليه الجهل والحيّ لا يجوز عليه الموت وقيل الشفع عليّ وفاطمة (ع) والوتر محمد ﷺ وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام (والليل اذا يسر) اختلفوا في المراد به على وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه اراد جنس الليالي كما قال والليل اذا ادبر اقسم بالليل اذا يمضي بظلامه فيذهب حتى ينقضي بالضياء المبتدئ فيه سيره على المقادير المرتبة ومجيئه بالضياء عند تقضيه ادل دلالة على ان فاعله يختص بالعز والجلال ويتعالى عن الاشباه والأمثال وقيل انه انما اضاف السير اليه لأن الليل يسير بمسير الشمس في الفلك وانتقالها من افق الى افق وقيل اذا يسري اذا جاء واقبل الينا ويريد كل ليلة عن قتادة والجبائي والوجه الآخر ان المراد به ليلة بعينها تمييزاً لها من بين الليالي ثم قيل انها ليلة المزدلفة لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله تعالى وفيها يسري الحاج من عرفة الى المزدلفة ثم يصلي الغداة بها ويغدو منها الى منى عن مجاهد وعكرمة والكلبي (هل في ذلك قسم لذي حجر) أي هل فيما ذكر من الأقسام مقنع لذي عقل ولبّ يعقل القسم والمقسم به وهذا تأكيد وتعظيم لما وقع القسم به والمعنى ان من كان ذا لبّ علم ان ما اقسم الله به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على توحيد الله توضح عن عجائب صنعه وبدائع حكمته ثم اعترض بين القسم وجوابه بقوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) وهذا خطاب للنبي ﷺ وتنبيه للكفار على ما فعله سبحانه بالامم السالفة لما كفرت بالله وبأنبيائه وكانت أطول اعماراً وأشدّ قوة وعاد قوم هود واختلفوا في ارم على اقوال ﴿ احدها ﴾ انه اسم لقبيلة قال ابو عبيدة هما عادان فالاولى هي ارم وهي التي قال الله تعالى فيهم وانه اهلك عاداً الاولى وقيل هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام

النساء الظعائن الماء ورأين سفاه ما اجتمع منه في الحياض عزمن على الاقامة كالحاضر المذبى الخيمة (٢) هذا البيت من المعلقات ايضاً وباكرت الدجاج اى سابقت الديوك والسحرة والسحر بمعنى . يقول : سابقت صياح الديكة لاسقى من الخمر سقياً متتابعاً .

ابن نوح عن محمد بن اسحاق وقيل هو سام بن نوح نسب عاد اليه عن الكلبي وقيل ارم قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد اباهم عن مقاتل وقتادة ﴿ وثانيها ﴾ ان ارم اسم بلد ثم قيل هو دمشق عن ابن سعيد المقري وسعيد بن المسيب وعكرمة وقيل هو مدينة الاسكندرية عن محمد بن كعب القرظي وقيل هو مدينة بناها شداد بن عاد فلما أتمها واراد ان يدخلها اهلكه الله بصيحة نزلت من السماء ﴿ وثالثها ﴾ انه ليس بقبيلة ولا بلد بل هو لقب لعاد وكان عاد يعرف بهِ عن الجبائي وروي عن الحسن انه قرأ بعادِ ارمَ على الاضافة وقيل هو اسم آخر لعادو كان له اسمان ومن جعله بلداً فالتقدير في الآية بعاد صاحب ارم وقوله ذات العماد يعني انهم كانوا اهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج النبت رجعوا الى منازلهم عن ابن عباس في رواية عطاء والكلبي عن قتادة وقيل معناه ذات الطول والشدة عن ابن عباس ومجاهد من قول العرب رجل معمد للطويل ورجل طويل العماد أي القامة ثم وصفهم سبحانه فقال (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق في البلاد مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وعظم الاجسام وهم الذين قالوا من أشدّ منا قوة وروي ان الرجل منهم كان يأتي بالصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم وقيل ذات العماد اي ذات الابنية العظام المرتفعة عن الحسن وقال ابن زيد ذات العماد في احكام البنيان التي لم يخلق مثلها اي مثل ابنيتها في البلاد

﴿ قصة ارم ذات العماد ﴾

قال وهب بن منبه خرج عبد الله بن قلابة في طلب ابل له شردت فبينا هو في صحارى عدن اذ هو قد وقع في مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة واعلام طوال فلما دنا منها ظنّ ان فيها احداً يسأله عن ابله فنزل عن دابته وعقلها وسلّ سيفه ودخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير اعظم منهما والبابان مرصعان بالياقوت الابيض والأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح احد البابين فإذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا هو قصور كل قصر فوقه غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصراع المدينة يقابل بعضها بعضا مفروشة كلها باللئالئ وبنادق من مسك وزعفران فلما رأى الرجل ما رأى ولم ير فيها احداهاله ذلك ثم نظر الى الأزقة فإذا هو بشجر في كل زقاق منها قد اثمرت تلك الاشجار وتحت الاشجار انهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة كل قناة أشدّ بياضاً من الشمس فقال الرجل والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وان هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها ومن ياقوتها شيئاً وخرج ورجع الى اليمن فأظهر ما كان معه وعلم الناس أمره فلم يزل ينمو امره حتى بلغ معاوية خبره فأرسل في طلبه حتى قدم عليه فقصّ عليه القصة فأرسل معاوية إلى كعب الاحبار فلما اتاه قال يا ابا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم اخبرك بها وبمن بناها انما بناها شداد بن عاد فأما المدينة فإرم ذات العماد التي وصفها الله تعالى في كتابه وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد قال معاوية فحدثني حديثها فقال ان عاداً الاولى ليس بعاد قوم هود وانما هود وقوم هود ولد ذلك وكان عاد له ابنان شداد وشديد فهلك عاد فبقيا وملكا فقهرا البلاد واخذاها عنوة ثم هلك شديد وبقي شداد فملك وحده ودانت له ملوك الارض فدعته نفسه الى بناء مثل الجنة عتواً على الله سبحانه فأمر بصنعة تلك المدينة ارم ذات العماد وامر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى كل ملك

في الدنيا ان يجمع له ما في بلاده من الجواهر وكان هؤلاء القهارمة اقاموا في بنيانها مدة طويلة فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصنا وحول الحصن الف قصر ثم سار الملك اليها في جنده ووزرائه فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عزوجل عليه وعلى من معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد وسيدخلها في زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له في تلك الصحارى والرجل عند معاوية فالتفت كعب اليه وقال هذا والله ذلك الرجل ثم قال سبحانه (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) أي وكيف فعل بثمود الذين قطعوا الصخر ونقبوها بالوادي الذي كانوا ينزلونه يعني وادي القرى قال ابن عباس كانوا ينحتون الجبال فيجعلون منها بيوتا كما قال الله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين (وفرعون) اي وكيف فعل فرعون الذي ارسل اليه موسى (ذي الاوتاد) اي ذي الجنود الذين كانوا يشيدون امره عن ابن عباس وسماهم اوتاداً لأنهم قواد عسكره الذين بهم قوام امره وقيل كان يشدّ الرجل بأربعة اوتاد على الارض اذا اراد تعذيبه ويتركه حتى يموت عن مجاهد وعن ابن مسعود قال وتدامرأته بأربعة اوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت وقد مرّ بيانه في سورة ص (الذين طغوا في البلاد) يعني عاداً وثمود وفرعون طغوا اي تجبروا في البلاد على انبياء الله وعملوا فيها بمعصية الله (فأكثروا فيها) اي في الارض او في البلاد (الفساد) أي القتل والمعصية عن الكلبي. ثم بيّن سبحانه ما فعله بهم عاجلا بأن قال (فصبّ عليهم ربك سوط عذاب) اي فجعل سوطه الذي ضربهم به العذاب عن الزجاج وقيل معناه صبّ عليهم قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذي يعرف اراد ما عذبوا به وقيل ان كل شيء عذب الله به فهو سوط فأجرى على العذاب اسم السوط مجازاً عن قتادة شبّه سبحانه العذاب الذي احلّه بهم والقاه عليهم بانصباب السوط وتواتره على المضروب حتى يهلكه (ان ربك لبالمرصاد) أي عليه طريق العباد فلا يفوته احد عن الكلبي والحسن وعكرمة والمعنى انه لا يفوته شيء من اعمالهم لأنه يسمع ويرى جميع اقوالهم وافعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد وروي عن علي (ع) انه قال معناه ان ربك قادر على ان يجزي اهل المعاصي جزاءهم وعن الصادق (ع) انه قال المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة عبد وقال عطاء يعني يجازي كل واحد وينتصف من الظالم للمظلوم وقيل لاعرابي اين ربك قال بالمرصاد وليس يريد به المكان فقد سئل علي (ع) اين كان ربنا قبل أن خلق السموات والأرض فقال اين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وروي عن ابن عباس في هذه الآية قال ان على جسر جهنم سبع محابس يسأل العبد عندها اولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسأل عن الصوم فإن جاء بها تامة جاز الى الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء به تاما جاز الى السادس فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز الى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها والا يقال انظروا فإن كان له تطوع اكمل به اعماله فإذا فرغ انطلق به الى الجنة ثم قسّم سبحانه احوال البشر فقال (فأما الانسان اذا ما ابتليه ربه) أي اختبره وامتحنه بالنعمة (فأكرمه) بالمال (ونعّمه) بما وسّع عليه من انواع الافضال (فيقول ربي اكرمن) فيفرح بذلك ويسرّ ويقول ربي اعطاني هذا لكرامتي عنده ومنزلتي لديه اي يحسب انه كريم على ربه حيث وسع الدنيا عليه (واما اذا ما ابتليه) بالفقر والفاقة (فقدر) اي فضيق وقتر (عليه رزقه) وجعله

على قدر البلغة (فيقول ربي اهانن) اي فيظن ان ذلك هو انّ من الله ويقول ربي اذلّني بالفقر ثم قال (كلا) اي ليس كما ظن فإني لا اغني المرء لكرامته عليّ ولا افقره لهانته عندي ولكني اوسع على من اشاء واضيق على من أشاء بحسب ما توجبه الحكمة ويقتضيه الصلاح ابتلاء بالشكر والصبر وإنما الاكرام على الحقيقة يكون بالطاعة والإهانة تكون بالمعصية ثم بيّن سبحانه ما يستحق به الهوان فقال بل إنما اهنت من اهنت لأنهم عصوني ثم فصّل العصيان فقال (بل لا تكرمون اليتيم) وهو الطفل الذي لا اب له اي لا تعطونهم مما اعطاكم الله حتى تغنوهم عن ذلّ السؤال وخصّ اليتيم لأنهم لا كافل لهم يقوم بامرهم وقد قال ﷺ انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة واشار بالسبابة والوسطى قال مقاتل كان قدامة بن مظعون في حجر امية بن خلف يتيماً وكان يدفعه عن حقه فعلى هذا فإنه يحتمل معنيين ﴿احدهما﴾ انكم لا تحسنون اليه ﴿والآخر﴾ انكم لا تعطونه حقه من الميراث على ما جرت به عادة الكفار من حرمان اليتيم ما كان له من الميراث (ولا تحضّون على طعام المسكين) اي ولا تحثّون على اطعامه ولا تأمرون بالتصدق عليه ومن قرأ لا تحاضون اراد لا يحضّ بعضكم بعضا على ذلك والمعنى ان الاهانة ما فعلتموه من ترك اكرام اليتيم ومنع الصدقة من الفقير لا ما توهمتموه وقيل ان المراد إنما اعطيتكم المال لذلك فاذا لم تفعلوه فذلك يوجب اهانتكم (وتأكلون التراث) اي الميراث وقيل اموال اليتامى عن ابي مسلم قال ولم يرد الميراث الحلال لأنه لا يلام آكله عليه قال الحسن يأكل نصيبه ونصيب اليتيم وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون اموالهم وقيل يأكلون الميراث فيما يشتهون ولا يتفكرون في اخراج ما اوجب الله عليهم من الحقوق فيه (اكلا لمّا) شديدا تلمون جميعه في الأكل وقيل هو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره عن الحسن وقيل هو أن يأكل ما يجده ولا يفكر فيما يأكله من خبيث وطيب عن ابن زيد (وتحبون المال حبّاً جمّاً) اي كثيراً شديداً عن ابن عباس ومجاهد والمعنى تحبّون جمع المال وتولعون به فلا تنفقونه في خير وقيل يحبّون كثرة المال من فرط حرصهم فيجمعونه من غير وجهه ويصرفونه في غير وجهه ولا يتفكرون في العاقبة ثم قال سبحانه (كلا) اي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا وقال مقاتل معناه لا يفعلون ما امروا به في اليتيم والمسكين وقيل كلاّ زجر تقديره لا تفعلوا هكذا ثم خوّفهم فقال (اذا دكّت الارض دكا دكا) اي كسر كل شيء على ظهرها من جبل او بناء او شجر حتى زلزلت فلم يبق عليها شيء يفعل ذلك مرة بعد مرة وقيل دكت الارض اي مدّت يوم القيامة مدّ الأديم عن ابن عباس وقيل دقّت جبالها وانشازها حتى استوت عن ابن قتيبة والمعنى استوت في انفراشها وذهب دورها وقصورها وسائر ابنيتها حتى تصير كالصحراء الملساء (وجاء ربك) اي امر ربك وقضاؤه ومحاسبته عن الحسن والجبائي وقيل جاء امره الذي لا امر معه بخلاف حال الدنيا عن ابي مسلم وقيل جاء جلائل آياته فجعل مجيئها مجيئه تفخيما لأمرها وقال بعض المحققين المعنى وجاء ظهور ربك لضرورة المعرفة به لأن ظهور المعرفة بالشيء يقوم مقام ظهوره ورؤيته ولما صارت المعارف بالله في ذلك اليوم ضرورية صار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقيل جاء ربك اي زالت الشبهة وارتفع الشك كما يرتفع عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه جلّ وتقدس عن المجيء والذهاب لقيام البراهين القاهرة والدلائل الباهرة على انه سبحانه ليس بجسم (والملك) اي وتجيء الملائكة (صفاً صفاً) يريد صفوف الملائكة واهل كل سماء صفّ على حدة عن عطاء وقال الضحاك

اهل كل سماء اذا زلزلوا يوم القيامة كانوا صفاً محيطين بالارض وبمن فيها فيكون سبع صفوف فذلك قوله صفا صفا وقيل معناه مصطفين كصفوف الناس في الصلاة يأتي الصف الاول ثم الصف الثاني ثم الصف الثالث ثم على هذا الترتيب لأن ذلك اشبه بحال الاستواء من التشويش فالتعديل والتقويم اولى (وجيئ يومئذ بجهنم) اي واحضرت في ذلك اليوم جهنم ليعاقب بها المستحقون لها ويرى اهل الموقف هولها وعظم منظرها وروي مرفوعاً من ابي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية تغيَّر وجه رسول الله ﷺ وعرف في وجهه حتى اشتدَّ على اصحابه ما رأوا من حاله وانطلق بعضهم الى علي بن ابي طالب (ع) فقالوا يا علي لقد حدث امر قد رأيناه في نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء علي (ع) فاحتضنه من خلفه وقبَّل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بأبي انت وأمي ما الذي حدث اليوم قال جاء جبرائيل (ع) فأقرأني وجيئ يومئذ بجهنم قال فقلت كيف يجاء بها قال يجيئ بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت اهل الجمع ثم التعرض لجهنم فتقول مالي ولك يا محمد فقد حرَّم الله لحمك عليَّ فلا يبقى احد إلا قال نفسي نفسي وان محمداً يقول رب امتي امتي ثم قال سبحانه (يومئذ) يعني يوماً يجاء بجهنم (يتذكر الإنسان) أي يتعظ ويتوب الكافر (وانّى له الذكرى) أي ومن أين له التوبة عن الزجاج وقيل معناه يتذكر الإنسان ما قصر وفرط اذا علم يقيناً ما قد توعد به فكيف ينفعه التذكر اثبت له التذكر ثم نفاه بمعنى انه لا ينتفع به فكأنه لم يكن وكان ينبغي له ان يتذكر في وقت ينفعه ذلك فيه ثم حكى سبحانه ما يقول الكافر والمفرط الجاني على نفسه ويتمنّاه بقوله (يقول يا ليتني قدَّمت لحيوتي) اي يتمني ان يكون قد كان عمل الطاعات والحسنات لحياته بعد موته أو عملها للحياة التي تدوم له بقوله يا ليتني قدَّمت لحياتي العمل الصالح لآخرتي التي لا موت فيها ثم قال سبحانه (فيومئذ لا يعذب عذابه احد) أي لا يعذّب عذاب الله احد من الخلق (ولا يوثق وثاقه احد) أي وثاق الله احد من الخلق فالمعنى لا يعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق احد في الدنيا بمثل وثاق الله الكافر يومئذ واما القراءة بفتح العين في يعذب ويوثق فقد وردت الرواية عن ابي قلابة قال اقرأني من اقرأه رسول الله ﷺ فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد والمعنى لا يعذب احد تعذيب هذا الكافر ان قلنا انه كافر بعينه او تعذيب هذا الصنف من الكفار وهم الذين ذكروا في قوله لا يكرمون اليتيم الآيات وهذا وان اطلق فالأولى ان يكون المراد التقييد لأنا نعلم ان ابليس أشدّ عذابا ووثاقا منه وقيل معناه لا يؤاخذ بذنبه غيره والتقدير لا يعذب احد بعذابه لأنه المستحق بعذابه ولا يؤاخذ الله احداً بجرم غيره (يا ايتها النفس المطمئنة) بالإيمان المؤمنة الموقنة المصدّقة بالثواب والبعث والطمأنينة حقيقة الإيمان عن الحسن ومجاهد وقيل المطمئنة الآمنة بالبشارة بالجنة عند الموت ويوم البعث عن ابن زيد وقيل النفس المطمئنة التي يبيض وجهها ويعطى كتابها بيمينها فحينئذ تطمئنّ عن الكلبي وابي روق (ارجعي إلى ربك) أي يقال لها عند الموت عن ابي صالح وقيل عند البعث عن عكرمة والضحاك ارجعي الى ثواب ربك وما اعدَّه لك من النعيم عن الحسن وقيل ارجعي الى الموضع الذي يختص الله سبحانه بالأمر والنهي فيه دون خلقه وقيل ان المراد ارجعي الى صاحبك وجسدك فيكون الخطاب للروح ان ترجع الى الجسد عن ابن عباس (راضية) بثواب الله (مرضية) اعمالها التي عملتها وقيل راضية عن الله بما اعدَّ الله لها مرضية رضي عنها ربها بما عملت من طاعته وقيل راضية بقضاء الله في الدنيا حتى رضي الله عنها

ورضي بأفعالها واعتقادها (فادخلي في عبادي) أي في زمرة عبادي الصالحين المصطفين الذين رضيت عنهم وهذه نسبة تشريف وتعظيم (وادخلي جنتي) التي وعدتكم بها واعددت نعيمكم فيها

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله فأما الانسان الآية بما قبله فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه يتصل بقوله ان ربك لبالمرصاد اي هو بالمرصاد لأعمالهم لا يخفى عليه شيء من مصالحهم فإذا أكرم احدا منهم بنوع من النعم التي هي الصحة والسلامة والمال والبنون امتحانا واختبارا ظنّ ذلك واجبا واذ قتر عليه رزقه ظنّ ذلك اهانة له وإنما يفعل سبحانه جميع ذلك للمصالح عن ابي مسلم ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى بالمرصاد لهم يتعبده بما هو الأصلح لهم وانهم يظنون انه يبتدئ عباده بالإكرام والإهانة وليس كذلك بل هما مستحقان ولا يدخل العباد تحت الاستحقاق الا بعد التكليف واما قوله بل لا تكرمون اليتيم فوجه اتصاله بما قبله انه ردّ عليهم ظنهم انه ضيق عليهم ارزاقهم على وجه الاهانة فبيّن سبحانه ان الاهانة لما ذكره لا لما قالوه

سورة البلد

مكيه عشرون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأها اعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة. ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من كان قراءته في الفريضة لا اقسم بهذا البلد كان في الدنيا معروفا انه من الصالحين وكان في الآخرة معروفا ان له من الله وكانا من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم تلك السورة بذكر النفس المطمئنة بيّن في هذه السورة وجه الاطمئنان وانه النظر في طريق معرفة الله واكّد ذلك بالقسم فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (٢) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (٣) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٤) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٥) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٦) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٧) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٨) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٩) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (١٠) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١١) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٣) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٤) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٥) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٦) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٧) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٨) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٢٠) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (عشرون آية)

القراءة

قرأ أبو جعفر لبّدا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فَكُّ رقبة أو اطعم والباقون فَكَّ رقبة بالرفع والإضافة أو اطعام بالتنوين وقرأ ابو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم مؤصدة بالهمزة والباقون بغير همزة ويعقوب مختلف عنه وفي الشواذ قراءة الحسن في يوم ذا مسغبة

الحجة

لبد يجوز أن يكون واحداً على وزن زُمَّل وجُبَّأ ويجوز ان يكون جمعا فيكون جمع لابد واما قوله فك رقبة او اطعام فقد قال ابو علي المعنى فيه وما ادراك ما اقتحام العقبة فك رقبة أو اطعام أي اقتحامها احد هذين أو هذا الضرب من فعل القرب فلو لم تقدره وتركت الكلام على ظاهره كان المعنى العقبة فك رقبة ولا تكون العقبة الفك لأنه عين والفك حدث والخبر ينبغي ان يكون المبتدأ في المعنى ومثل هذا قوله وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة أي الحطمة نار الله ومثله وما ادراك ما هيه نار حامية وكذلك قوله وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والمعنى القارعة يوم يكون الناس لأن القارعة مصدر فيكون اسم الزمان خبراً عنه فهذه الجمل من الابتداء والخبر تفسير لهذه الأشياء المتقدم ذكرها من اقتحام العقبة والحطمة والقارعة كما أن قوله تعالى لهم مغفرة وأجر عظيم تفسير للوعد وقوله فلا اقتحم العقبة معناه فلم يقتحم واذا كانت لا بمعنى لم لم يلزم تكريرها كما لا يلزم التكرير مع لم فإن تكررت في موضع نحو فلا صدّق ولا صلى فهو كتكرير لم في قوله لم يسرفوا ولم يقتروا وقوله ثم كان من الذين آمنوا أي كان مقتحم العقبة وفكاك الرقبة من الذين آمنوا فإنه إذا لم يكن منهم لم ينفعه قربه وجاز وصف اليوم بقوله ذي مسغبة كما جاز ان يقال ليله نائم ونهاره صائم ونحو ذلك ومن قرأ فكَّ رقبة أو اطعم فإنه يجوز ان يكون ما ذكر من الفعل تفسيراً لاقتحام العقبة فإن قلت ان هذا الضرب لم يفسّر بالفعل وانما فسّر بالابتداء والخبر كقوله نار الله الموقدة وقوله نار حامية فهلا رجحت القراءة الأخرى قيل انه قد يمكن ان يكون كذبت ثمود وعاد بالقارعة تفسيراً لقوله وما ادراك ما القارعة على المعنى وقد جاء ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وفسّر المثل بقوله خلقه من تراب وزعموا ان ابا عمرو احتجّ بقوله ثم كان من الذين آمنوا لقراءة فكَّ رقبة كأنه لما كان فعلا وجب ان يكون المعطوف عليه مثله وقد يجوز ان يكون ذلك كالقطع من الاول والاستئناف كأنه اعلم أن فكاك الرقبة من الرق بأن كان من الذين آمنوا لأنه بالإيمان يحرز ثواب ذلك ويحوزه فإذا لم ينضم الإيمان الى فعل القرب التي تقدّم ذكرها لم ينفع ذلك والتقدير ثم كونه من الذين آمنوا فجاء هذا مجيء قوله سبحانه كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا يريد وان شهدوا . وأوصدت الباب واصدته لغتان فمن لم يهمز موصدة احتمل امرين (احدهما) أن يكون على لغة من قال اوصدت **والوجه** الآخر أن يكون من آصدت ثم خففت الهمزة فقلبت واواً كما جاء في جونة وتووي ومن همز مؤصدة فهو من اصدت وابو عمرو يترك الهمزة الساكنة ويبدلها واواً اذا انضمّ ما قبلها نحو يؤمنون ومؤمنين ويبدلها الفا إذا انفتح ما قبلها وياء اذا انكسر ما قبلها ولا يبدلها في نحو قوله مؤصدة بل يهمزها لأن مؤصدة بالهمز هي لغة من قال آصدت الباب والباب مؤصدة وابو عمرو على هذه اللغة فلا يترك الهمز إذا احتاج أن يترك لغته وينتقل عنها الى لغة اخرى وكذلك لا يترك الهمز في قوله تؤوي اليك لأنه لو ابدلها واوا وبعدها

واو اجتمع واوان واجتماعهما أثقل من الهمزة و كذلك إذا كان الفعل مجزوما ولامها همزة بقّاها ، مالما ولا يبدلها بتّة نحو قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم لأنه لو ابدلها واواً وجب حذفها بالجزم كما تقول لم يغز كذلك ان يشأ يذهبكم لا يبدلها الفا لهذا المعنى ايضا و كذلك قوله اثاثا ورئيا لا يقلبها ياء يشتبه بالري من روي من الماء فهذه اربعة أحوال لا يترك الهمز فيها اذا احتاج الى ترك لغته وان ينتقل الى لغة أخرى وإذا كان الهمز في موضع الجزم واذا اشتبه المعنى في الكلمة بكلمة اخرى واذا كان ترك الهمزة يؤدي إلى اجتماع الواوين فافهم ذلك ومن قرأ ذا مسغبة جعله مفعول اطعام ويتيماً بدل منه ويجوز ان يكون يتيماً وصفا لذا مسغبة كقولك رأيت كريماً عاقلا وجاز وصف الصفة الذي هو كريم لأنه لما لم يجر على الاسم الموصوف أشبه الاسم

اللغة

الحلّ الحال وهو الساكن والحلّ الحلال ورجل حلّ وحلال اي محل والكبد في اللغة شدة الأمر ومنه تكبد اللبن إذا غلظ واشتدّ ومنه الكبد لأنه دم يغلظ ويشتدّ وتكبد الدم اذا صار كالكبد قال لبيد

عَيْنُ هَلاّ بَكَيْتَ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدِ(١)

واللبد الكثير مأخوذ من تلبد الشيء إذا تراكب بعضه على بعض ومنه اللبد يقال ما له سَبَد ولا لَبَد(٢) وأصل النجد العلو وسمي نجد نجداً لعلوه عن انخفاض تهامة وكل عال من الأرض نجد والجمع نجود قال امرؤ القيس

غَدَاةَ غَدَوْا فَسَالِكُ بَطْنَ نَخْلَةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ جَازِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ(٣)

اراد طريقه في ارتفاع و كبكب جبل وفي المثل أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حَضَناً(٤) ورجل نجد بين النجدة اذا كان جلداً قوياً لاستعلائه على قرنه واستنجدت فلانا فأنجدني أي استعنته للاستعلاء على قرني فأعانني وشبه طريق الخير والشر بالطريقين العاليين لظهور ما فيهما والاقتحام الدخول على الشدة بالضيق يقال اقتحم وتقحم واقحمه وقحمه غيره والعقبة الطريقة التي ترتقى على صعوبة ويحتاج فيها الى معاقبة الشدة بالضيق والمخاطرة وقيل العقبة الثنية الضيقة في رأس الجبل يتعاقبها الناس فشبّهت النفقة في وجوه البرّ بها وعاقب الرجل صاحبه إذا صار في موضعه بدلا منه والفكّ فرق يزيد المنع ويمكن معه امر لم يكن متمكنا كفكّ القيد والغل لأنه يزول به المنع ويمكن به تصرف لم يمكن قبل ففكّ الرقبة فرق بينها وبين حال الرق بإيجاب الحرية وابطال العبودية والمسغبة المجاعة سغب يسغب سغباً فهو ساغب اذا جاع قال جرير

تُعَلِّلُ وَهْيَ سَاغِبَةٌ بَنِيها بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّبِمِ الْقَرَاحِ(٥)

والمقربة القرابة ولا يقال فلان قرابتي وانما يقال ذو قرابتي لأنه مصدر كما قال الشاعر

يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ

والمترّبة الحاجة الشديدة من قولهم ترب الرجل اذا افتقر

المعنى

(لا اقسم بهذا البلد) أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة وقد تقدّم بيان قوله لا اقسم في سورة القيامة (وأنت حلّ بهذا البلد) أي وأنت يا محمد مقيم به وهو محلّك وهذا تنبيه على شرف

(١) يرثي اخاه اربدوقد هلك على دين الجاهلية . اي ياعين هلا بكيت ...اه . (٢) السبد : القليل من الشعر. واللبد : الصوف اي لاشعر ولاصوف . يقال لمن لاشيء له . (٣) بطن نخلة ونجد كبكب : موضعان . (٤) انجد اى بلغ نجداً من رآى هذا الجبل يضرب فى الدليل على الشيء اى قد ظهر حصول المراد وقربه . (٥) علله بطعام وغيره : شغله-

البلد بشرف من حلّ به من الرسول الداعي الى توحيده واخلاص عبادته وبيان ان تعظيمه له وقسمه به لأجله ﷺ ولكونه حالا فيه كما سميت المدينة طيبة لأنها طابت به حيًّا وميتا وقيل معناه وأنت محل بهذا البلد وهو ضدّ المحرم والمراد وأنت حلال لك قتل من رأيت بمن الكفار وذلك حين أمر بالقتال يوم فتح مكة فأحلّها الله له ﷺ حتى قاتل وقتل وقد قال ﷺ لا يحلّ لأحد قبلي ولا يحلّ لأحد من بعدي ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء وهذا وعد من الله لنبيه ﷺ ان يحل له مكة حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده ويكون بها حلا يصنع بها ما يريد القتل والاسر وقد فعل سبحانه ذلك فدخلها غلبة وكرها وقتل ابن أخطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن سبابة وغيرهما وقيل معناه لا أقسم بهذا البلد وانت حل فيه منتهك الحرمة مستباح العرض لا تحترم فلم يبن للبلد حرمة حيث هتكت حرمتك عن ابي مسلم وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال كانت قريش تعظم البلد وتستحل محمدا ﷺ فيه فقال لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد يريد أنهم استحلوك فيه فكذّبوك وشتموك وكانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه ويتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إياه فاستحلوا من رسول الله ﷺ ما لم يستحلوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم ثم عطف على القسم فقال (ووالد وما ولد) يعني آدم (ع) وذريته عن الحسن ومجاهد وقتادة وذلك أنهم خليقة أعجب من هذه الخليقة وهم عمار الدنيا وقيل آدم وما ولد من الأنبياء والاوصياء وأتباعهم عن ابي عبد الله (ع) وقيل يريد ابراهيم (ع) وولده عن ابن ابي عمران الجوني لما أقسم بالبلد أقسم بابراهيم فإنه بانيه وبأولاده العرب إذ هم المخصصون بالبلد وقيل يعني كل والد وولده عن ابن عباس والجبائي وقيل ووالد من يولد لهُ وما ولد يعني العاقر عن ابن جبير فيكون ما نفيا وهو بعيد لأنه يكون تقديره وما ما ولد فحذف ما الاولى التي تكون موصولة أو موصوفة (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي في نصب وشدة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن قال يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن آدم لا يزال يكابد أمراً حتى يفارق الدنيا وقيل في شدة خلق من حمله وولادته ورضاعه وفطامه ومعاشه وحياته وموته ثم أنه سبحانه لم يخلق خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو أضعف الخلق وقيل في كبد أي قائماً على قدميه منتصبا وكل شيء خلق فإنه يمشي مكبا إلا الإنسان فإنه خلق منتصبا فالكبد الاستواء والاستقامة وهو رواية مقسم عن ابن عباس وهو قول مجاهد وابي صالح وعكرمة وقيل يريد شدة الأمر والنهي أي خلقناه ليعبدنا بالعبادات الشاقة مثل الاغتسال من الجنابة في البرد والقيام الى الصلاة من النوم فينبغي له أن يعلم أن الدنيا دار كبد ومشقة والجنة دار الراحة والنعمة (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) معناه أيظن هذا الإنسان أنه لن يقدر على عقابه أحد اذا عصى الله تعالى وركب القبائح فبئس الظن ذلك وهذا استفهام انكار أي لا يظنن ذلك وقيل معناه أيحسب هذا المغتر بماله أن لا يقدر عليه أحد يأخذ ماله عن الحسن وقيل أيحسب ان لا يسأل عن هذا المال من اين اكتسبه وفي ماذا أنفقه عن قتادة وقيل انه يعني ابا الاسد بن كلدة وهو رجل من جمح كان قويا شديد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظي فتجره العشرة من تحته فينقطع ولا يبرح من مكانه عن الكلبي ثم اخبر سبحانه عن مقالة هذا الإنسان فقال (يقول أهلكت مالا لبدا) أي انفقت مالا كثيرا في عداوة النبي ﷺ يفتخر بذلك وقيل هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه أذنب ذنبا فاستفتى رسول الله

به . وعللت المرأة صبيها بشيء من المرق ونحوه ليجزأ به عن اللبن . والنفس محركة ـ الجرعة والجمع انفاس والشبم البارد . ويروى ان جريراً لما انشد عبد الملك هذا البيت قال له : لا اروى الله عيمتها .

ﷺ فأمره أن يكفّر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد عن مقاتل (أيحسب أن لم يره احد) فيطالبه من اين اكتسبه وفي ماذا أنفقه عن قتادة وسعيد بن جبير وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربعة عن عمره فيما افناه وعن ماله من اين جمعه وفيماذا أنفقه وعن عمله ماذا عمل به وعن حبّنا أهل البيت وقيل انه كان كاذباً لم ينفق ما قاله فقال الله سبحانه أيظن ان الله تعالى لم ير ذلك فعل أو لم يفعل أنفق أو لم ينفق عن الكلبي ثم ذكر سبحانه النعم التي أنعم بها عليه ليستدل بها على توحيده فقال (ألم نجعل له عينين) ليبصر بها آثار حكمته (ولسانا وشفتين) لينطق بهما فيبين باللسان ويستعين بالشفتين على البيان قال قتادة نعم الله عليك متظاهرة فقررك بها كيما تشكر وروى عبد الحميد المدايني عن ابي حازم ان رسول الله ﷺ قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق (وهديناه النجدين) أي سبيل الخير وسبيل الشر عن علي (ع) وابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل معناه أرشدناه للثديين عن سعيد بن المسيب والضحاك وفي رواية أخرى عن ابن عباس روي انه قيل لأمير المؤمنين (ع) ان ناسا يقولون في قوله وهديناه النجدين انهما الثديان فقال لا هما الخير والشر وقال الحسن بلغني ان رسول الله ﷺ قال يا أيها الناس هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير ولو قيل كيف يكون نجد الشر مرتفعا كنجد الخير ومعلوم انه لا رفعة في الشر « والجواب » ان الطريقين جميعا ظاهران باديان للمكلفين فسمّى سبحانه كلاهما نجداً لظهوره وبروزه ويجوز أن يكون سمى طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه الرفعة والشرف كما يحصل ذلك في طريق الخير وقيل أيضا انه على عادة العرب في تثنية الأمرين إذا اتفقا على بعض الوجوه فيجري لفظ احدهما على الآخر كقولهم القمرين في الشمس والقمر قال الفرزدق

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

ونظائره كثيرة (فلا اقتحم العقبة) فيه أقوال ﴿ أحدها ﴾ ان المعنى فلم يقتحم هذا الإنسان العقبة ولا جاوزها وأكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظة لا كما قال سبحانه فلا صدّق ولا صلّى أي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة

وَإِنْ كَانَتِ النَّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُوا

وقد جاء من غير تكرار في نحو قوله

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا(١)

أي لم يلمّ بذنب ﴿ والآخر ﴾ ان يكون على وجه الدعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة كما يقال لا غفر الله له ولا نجا ولا سلم والمعنى لا نجا من العقبة ولا جاوزها ﴿ والثالث ﴾ ان المعنى فهلا اقتحم العقبة أو أفلا اقتحم العقبة عن ابن زيد والجبائي وابي مسلم قالوا ويدلّ على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام قال المرتضى قدس الله روحه هذا الوجه ضعيف جداً لأن الكلام خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب

(١) الم : باشر اللمم اى صغار الذنوب .

على عمر بن ابي ربيعة قوله

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ(١)

واما قولهم لو اريد النفي لم يتصل الكلام فليس بشيء لأن المعنى فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا أي لم يقتحم ولم يؤمن واما المراد بالعقبة ففيه وجوه ﴿ احدها ﴾ انه مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال الخير والبر فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقة الكؤود فكأنه قال لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والإطعام وهو قوله (وما ادراك ما العقبة) اي ما اقتحام العقبة ثم ذكره فقال (فك رقبة) وهو تخليصها من اسار الرق الى آخره ﴿ وثانيها ﴾ انها عقبة حقيقة قال الحسن وقتادة هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل وروي ان النبي ﷺ انه قال إن أمامكم عقبة كؤوداً لا يجوزها المثقلون وانا اريدان اخفف عنكم لتلك العقبة وعن ابن عباس انه قال هي النار نفسها وروي عنه ايضا انها عقبة في النار ﴿ وثالثها ﴾ ما روي عن مجاهد والضحاك والكلبي انها الصراط يضرب على جهنم كحدّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلا وصعودا وهبوطا وان في جنبيه كلاليب وخطاطيف(٢) كأنها شوك السعدان فمن بين مسلم وناج ومخدوش في النار مكوس فمن الناس من يمرّ عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمرّ عليه كالريح العاصف ومنهم من يمرّ عليه كالفارس ومنهم من يمرّ عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمرّ عليه كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم الزالون والزالات ومنهم من يُكردس في النار(٣) واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر الى العشاء وقال سفيان بن عيينة كل شيء قاله سبحانه وما ادراك فإنه اخبره به وكل شيء قال فيه وما يدريك فإنه لم يخبره به وروي مرفوعا عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله علّمني عملا يدخلني الجنة قال ان كنت اقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة اعتق النسمة وفكّ الرقبة فقال او ليسا واحداً قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والفيء على ذي الرحم الظالم فإن لم يكن ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكفّ لسانك الا من الخير وقيل ان معنى فكّ رقبة ان يفكّ رقبة من الذنوب بالتوبة عن عكرمة وقيل ارادفك نفسه من العقاب بتحمل الطاعات عن الجبائي (او اطعام في يوم ذي مسغبة) اي ذي مجاعة قال ابن عباس يريد بالمسغبة الجوع وفي الحديث عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ من اشبع جائعا في يوم سغب ادخله الله يوم القيامة من باب من ابواب الجنة لا يدخلها الا من فعل مثل ما فعل وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ من موجبات المغفرة اطعام المسلم السغبان وروي عن محمد بن عمر بن يزيد قال قلت لأبي الحسن الرضا (ع) ان لي ابناً شديد العلة قال مره يتصدق بالقبضة من الطعام بعد القبضة فإن الله تعالى يقول فلا اقتحم العقبة وقرأ الآيات (يتيما ذا مقربة) اي ذا قربى من قرابة النسب والرحم وهذا حث على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الاجانب في الإطعام والإنعام (او مسكينا) اي فقيراً (ذا متربة) قد لصق بالتراب من شدة فقره وضرّه وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال هو المطروح في التراب لا يقيه شيء وهذا مثل قولهم فقير مدقع مأخوذ من الدقعاء وهو التراب ثم بيّن سبحانه ان هذه القربة إنما تنفع مع الإيمان فقال (ثم كان من الذين آمنوا) اي ثم كان مع هذا من جملة المؤمنين الذين استقاموا على إيمانهم (وتواصوا بالصبر) على فرائض الله والصبر عن معصية الله

(١) بهراً اي بهرني بهراً بمعنى غلبني غلبة وقيل بمعنى عجباً . (٢) الخطاطيف جمع الخطاف : حديدة معوجة يختطف بها الشيء والكلاليب جمع الكلوب وهو بمعناه ايضاً (٣) رجل مكردس : جمعت يداه ورجلاه فشدت فالقي الى موضع

أي وصى بعضهم بعضا بذلك (وتواصوا بالمرحمة) أي واوصى بعضهم بعضا بالرحمة على اهل الفقر وذوي المسكنة والفاقة وقيل تواصوا بالمرحمة فيما بينهم فرحموا الناس كلهم (اولئك اصحاب الميمنة) يؤخذ بهم ناحية اليمين ويأخذون كتبهم بأيمانهم عن الجبائي وقيل هم اصحاب اليمن والبركة على انفسهم عن الحسن وابي مسلم (والذين كفروا بآياتنا) اي بحججنا ودلالاتنا و كذّبوا انبياءنا (هم اصحاب المشئمة) أي يأخذون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وقيل انهم اصحاب الشؤم على انفسهم (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني ان ابوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج عنها غم ولا يدخل فيها روح آخر الابد عن مقاتل

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله سبحانه ألم نجعل له عينين بما قبله ان المعنى كيف يحسب هذا الإنسان ان الله سبحانه لا يراه وهو الذي خلقه وجعل له عينين و كذا و كذا وقيل انه اتصل بقوله لقد خلقنا الإنسان في كبد اي اختبرناه حيث كلفناه ثم ازحنا علته بأن جعلنا له عينين وقيل انه يتصل بقوله أيحسب ان لن يقدر عليه أحد والمعنى كيف يظن ذلك وقد خلقناه وخلقنا اعضاءه التي يبصر الدلائل بها ويتكلم بها

سورة الشمس مكية

﴿ عدد آياتها ﴾

ست عشرة آية مكي والمدني الاول وخمس عشرة في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية فعقروها مكي والمدني الاول

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عنه ﷺ قال من قرأها فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر. معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال من اكثر قراءة والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والضحى وألم نشرح في يومه أو في ليلته لم يبق شيء بحضرته الا شهد له يوم القيامة حتى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعصبه وعظامه وجميع ما اقلت الارض منه ويقول الرب تبارك وتعالى قبلت شهادتكم لعبدي واجزتها له انطلقوا به إلى جناني حتى يتخير منها حيث أحب فأعطوه اياها من غير مَنٍّ مني ولكن رحمة وفضلا مني عليه فهنيئاً هنيئاً لعبدي

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر النار المؤصدة بيّن في هذه السورة ان النجاة منها لمن زكى نفسه واكّده بأن اقسم عليه فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالشَّمْسِ وَضُحٰيهَا (٢) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلٰيهَا (٣) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلّٰيهَا (٤) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشٰيهَا (٥) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنٰيهَا (٦) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحٰيهَا (٧) وَنَفْسٍ وَمَا سَوّٰيهَا (٨)

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوِيهَا (٩) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيهَا (١٠) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيهَا (١١) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوِيهَا (١٢) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَيهَا (١٣) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَهَا (١٤) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّيهَا (١٥) وَلَا يَخَافُ عُقْبَيهَا (خمس عشرة آية)

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر فلا يخاف بالفاء و كذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) والباقون ولا يخاف بالواو و كذلك هو في مصاحفهم

الحجة

قال ابو علي الواو يجوز أن يكون في موضع حال اي فسواها غير خائف عقباها يعني غير خائف أن يتعقب عليه في شيء مما فعله وفاعل يخاف الضمير العائد الى قوله ربهم وقيل ان الضمير يعود الى صالح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ارسل اليهم وقيل اذ انبعث اشقاها وهو لا يخاف عقباها اي لا يخاف من اقدامه على ما اتاه مما نهى عنه ففاعل يخاف العاقر على هذا والفاء للعطف على قوله فكذبوه فعقروها فلا يخاف كأنه يتبع تكذيبهم وعقرهم ان لم يخوفوا

اللغة

ضحي الشمس صدر وقت طلوعها وضحى النهار صدر وقت كونه واضحى يفعل كذا اذا فعله في وقت الضحى وضحى بكبش أو غيره اذا ذبحه في وقت الضحى من ايام الاضحى ثم كثر ذلك حتى لو ذبح في غير ذلك الوقت لقيل ضحى والطحو والدحو بمعنى يقال طحا بك همك يطحو طحواً اذا انبسط بك الى مذهب بعيد قال علقمة «طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ»(١) يقال طحا القوم بعضهم بعضا عن الشيء اذا دفعوا دفعا شديد الانبساط والطواحي النسور تنبسط حول القتلى وأصل الطحو البسط الواسع يقال دسافلان يدسو دسواً فهو داس نقيض زكا يزكو زكا فهو زاك وقيل ان اصل دسا دسس فأبدل من أحد السينين ياء كما قالوا تظنيت بمعنى تظننت ومثله «تَقَضَّى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرْ»(٢) بمعنى تقضض وإنما يفعلون ذلك كراهية التضعيف والطغوى والطغيان مجاوزة الحد في الفساد وبلوغ غايته وفي قراءة الحسن وحماد بن مسلمة بطغويها بضم الطاء وعلى هذا فيكون مصدرا على فعلى كالرجعى والحسنى وبعث مطاوع انبعث يقال بعثته على الامر فانبعث له والسقيا الحظ من الماء والنصيب منه والعقر قطع اللحم بما يسيل الدم وهو من عقر الحوض اي اصله والعقر نقص شيء من اصل بنية الحيوان والدمدمة ترديد الحال المستكره وهي مضاعفة ما فيه الشقة وقال مؤرج الدمدمة هلاك باستئصال قال ابن الاعرابي دمدم أي عذب عذابا تاما

الإعراب

والشمس هذه الواو الاولى هي التي للقسم وسائر الواوات فيما بعدها عطف عليها الى قوله قد افلح من زكاها وهو جواب القسم والتقدير لقد افلح وقوله وما بناها وما طحاها وما سواها ما هنا مصدرية وتقديره والسماء وبنائها والارض وطحوها ونفس وتسويتها وقيل ان ما في هذه المواضع بمعنى مَنْ أي والذي بناها ويحكى عن اهل الحجاز انهم يقولون اذا سمعوا صوت الرعد سبحان ما سبحت له اي سبحان الذي

(١) هذا صدر بيت وبعده «بعيد الشباب عصر حان مشيب» (٢) هذا عجز بيت للعجاج وصدره «اذا الكرام ابتدروا الباع بدره» وقدم في الكتاب ايضاً وقوله «كسر» اى كسر جناحيه لشدة طيرانه

سبحت له ومن سبحت له وقوله ناقة الله وسقياها منصوب بفعل مضمر أي احذروا ناقة الله وذروا سقياها

المعنى

(والشمس وضحيها) قد تقدَّم ان لله سبحانه أن يقسم بما يشاء من خلقه تنبيهاً على عظيم قدره و كثرة الانتفاع بهِ ولما كان قوام العالم من الحيوان والنبات بطلوع الشمس وغروبها اقسم الله سبحانه بها وبضحاها وهو امتداد ضوئها وانبساطه عن مجاهد والكلبي وقيل هو النهار كله عن قتادة وقيل حرّها عن مقاتل كقوله تعالى في طه ولا تضحى اي لا يؤذيك حرّها (والقمر اذا تليها) اي اذا اتبعها فأخذ من ضوئها وسار خلفها قالوا وذلك في النصف الأول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها ليلة الهلال وهي اول ليلة من الشهر اذا سقطت الشمس رؤي القمر عند غيوبتها عن الحسن وقيل في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس وقيل في الشهر كله فهو في النصف الاول يتلوها وتكون أمامه وهو وراءها وفي النصف الأخير يتلو غروبها بالطلوع (و النهار اذا جليها) اي جلّى الظلمة و كشفها وجازت الكناية عن الظلمة ولم تذكر لأن المعنى معروف غير ملتبس وقيل ان معناه والنهار اذا اظهر الشمس وابرزها سمي النهار مجليا لها لظهور جرمها فيه (والليل اذا يغشيها) اي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده (والسماء وما بنيها) اي ومن بناها عن مجاهد والكلبي وقيل والذي بناها عن عطاء وقيل معناه والسماء وبنائها مع احكامها واتساقها وانتظامها (والارض وما طحيها) في ما وجهان كما ذكرناه اي وطحوها وتسطيحها وبسطها ليمكن الخلق التصرف عليها (ونفس وما سويها) هو كما ذكرناه وسواها عدل خلقها وسوّى اعضاءها وقيل سواها بالعقل الذي فضل به سائر الحيوان ثم قالوا يريد جميع ما خلق من الجن والانس عن عطاء وقيل يريد بالنفس آدم ومن سواها الله تعالى عن الحسن (فألهمها فجورها وتقويها) اي عرّفها طريق الفجور والتقوى وزهدها في الفجور ورغبها في التقوى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل علمها الطاعة والمعصية لتفعل الطاعة وتذر المعصية وتجتني الخير وتجتنب الشر (قد افلح من زكّيها) على هذا وقع القسم أي قد افلح من زكى نفسه عن الحسن وقتادة اي طهّرها واصلحها بطاعة الله وصالح الاعمال (وقد خاب من دسيها) بالعمل الطالح اي اخملها واخفى محلها وقيل اضلها واهلكها عن ابن عباس وقيل افجرها عن قتادة وقيل معناه قد افلحت نفس زكّاها الله وخابت نفس دساها الله اي جعلها قليلة خسيسة وجاءت الرواية عن سعيد بن ابي هلال قال كان رسول الله اذا قرأ هذه الآية قد افلح من زكّاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها انت وليها ومولاها وزكها وانت خير من زكاها وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) في قوله فألهمها فجورها وتقواها قال بيّن لها ما تأتي وما تترك وفي قوله قد افلح من زكاها قال قد افلح من اطاع وقد خاب من دساها قال قد خاب من عصى وقال ثعلب قد افلح من زكى نفسه بالصدقة والخير وخاب من دس نفسه في اهل الخير وليس منهم ثم اخبر سبحانه عن ثمود وقوم صالح فقال (كذبت ثمود بطغويها) اي بطغيانها ومعصيتها عن مجاهد وابن زيد يعني ان الطغيان حملهم على التكذيب فالطغوى اسم من الطغيان كما ان الدعوى من الدعاء وقيل ان الطغوى اسم العذاب الذي نزل بهم فالمعنى كذبت ثمود بعذابها عن ابن عباس وهذا كما قال فاهلكوا بالطاغية والمراد كذبت بعذابها الطاغية فأتاها ما كذبت به (اذ انبعث اشقيها) اي كان تكذيبها حين انبعث اشقى ثمود للعقر

ومعني انبعث انتدب وقام والاشقى عاقر الناقة وهو أشقى الاولين على لسان رسول الله ﷺ واسمه قدار بن سالف قال الشاعر وهو عدي بن زيد

فَمَنْ يَهْدِي أَخاً لِذِنابِ لَوْمٍ ... فَأَرْشُوهُ فَإِنَّ اللهَ جَارُ
وَلَكِنْ أَهْلَكَتْ لَوْمٌ كَثِيراً ... وَقَبْلَ الْيَوْمِ عَاجَلَهَا قِدَارُ

يعني حين نزل بها العذاب فقال لو فعلت وقد صحّت الرواية بالاسناد عن عثمان بن صهيب عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ لعلي بن ابي طالب (ع) من اشقى الاولين قال عاقر الناقة قال صدقت فمن اشقى الآخرين قال قلت لا اعلم يا رسول الله قال الذي يضربك على هذه واشار الى يافوخه وعن عمار ابن ياسر قال كنت انا وعلي بن ابي طالب (ع) في غزوة العسرة نائمين في صَوْر من النخل ودَقْعاء من التراب فوالله ما اهبنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء فقال ألا احدثكما بأشقى الناس رجلين قلنا بلى يارسول الله قال احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك بالسيف يا علي على هذه ووضع يده على قرنه حتى تبل منها هذه واخذ بلحيته وقيل ان عاقر الناقة كان اشقر ازرق قصيرا ملتزق الخلق (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) قال الفراء حذّرهم إياها وكل تحذير فهو نصب والتقدير احذروا ناقة الله فلا تعقروها عن الكلبي ومقاتل كما يقال الأسد الأسد اي احذروه (وسقيها) أي وشربها من الماء او ما يسقيها اي فلا تزاحموها فيه كما قال سبحانه لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (فكذبوه) اي فكذب قوم صالح صالحا ولم يلتفتوا الى قوله وتحذيره اياهم بالعذاب بعقرها فعقروها اي فقتلوا الناقة (فدمدم عليهم ربهم) اي فدمّر عليهم ربهم عن عطاء ومقاتل وقيل اطبق عليهم بالعذاب واهلكهم (بذنبهم) لأنهم رضوا جميعا به وحثّوا عليه وكانوا قد اقترحوا تلك الآية فاستحقوا بما ارتكبوه من العصيان والطغيان عذاب الاستئصال (فسويها) اي فسوى الدمدمة عليهم وعمّهم بها فاستوت على صغيرهم وكبيرهم ولم يفلت منها احد منهم وقيل معناه سوّى الأمة اي انزل العذاب بصغيرها وكبيرها فسوى بينها فيه عن الفراء وقيل جعل بعضها على مقدار بعض في الاندكاك واللصوق بالأرض فالتسوية تصيير الشيء على مقدار غيره وقيل سوّى ارضهم عليهم (ولا يخاف عقبيها) اي لا يخاف الله من احد تبعة في اهلاكهم عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والجبائي والمعنى لا يخاف ان يتعقب عليه في شيء من فعله فلا يخاف عقبى ما فعل بهم من الدمدمة عليهم لأن احداً لا يقدر على معارضته والانتقام منه وهذا كقوله لا يسأل عما يفعل وقيل معناه لا يخاف الذي عقرها عقباها عن الضحاك والسدي والكلبي اي لا يخاف عقبى ما صنع بها لأنه كان مكذبا بصالح وقيل معناه ولا يخاف صالح عاقبة ما خوّفهم به من العقوبات لأنه كان على ثقة من نجاته

سورة والليل

مكية احدى وعشرون آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

(١) الصور: المجتمع من النخل. والدقعاء: التراب الدقيق على وجه الارض.

تفسيرها

لما قدّم في تلك السورة بيان حال المؤمن والكافر عقّبه سبحانه بمثل ذلك في هذه السورة فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٣) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٤) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٥) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٦) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٧) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٨) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٩) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (١٠) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١١) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١٢) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٣) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٤) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٥) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٦) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٧) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٨) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٩) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (٢٠) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢١) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (احدى وعشرون آية)

القراءة

في الشواذ قراءة النبي ﷺ وقراءة علي بن ابي طالب (ع) وابن مسعود وأبي الدرداء وابن عباس والنهار إذا تجلى وخلق الذكر والأنثى بغير ما وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

الحجة

قال ابن جني في هذه القراءة شاهد لما أخبرنا به ابو بكر عن ابي العباس احمد بن يحيى قراءة بعضهم وما خلق الذكر والأنثى بالجرّ وذلك انه جرّه لكونه بدلا من ما فقراءة النبي ﷺ شاهد بصحة ذلك

اللغة

شتى أي متفرق على تباعد ما بين الشيئين جداً ومنه شتان أي بعد ما بينهما كبعد ما بين الثرى والثريا وتشتت امر القوم وشتتهم رهب الزمان واليسرى تأنيث الأيسر والعسرى تأنيث الأعسر من اليسر والعسر والتلظي تلهب النار بشدة الإيقاد وتلظت النار تتلظى فحذف احدى التاءين تخفيفا وقرأ ابن كثير تلظى بتشديد التاء ادغم احدى التاءين في الأخرى والتجنب تصيير الشيء في جانب من غيره

الاعراب

وما خلق الذكر والأنثى ان جعلت ما مصدرية فهو في موضع الجر والتقدير وخلق الذكر أي وخلقه الذكر والأنثى وان جعلتها بمعنى من فكذلك والحسنى صفة حذف موصوفها أي وصدق بالخصلة الحسنى وكذا اليسرى والعسرى. التقدير فيهما للطريقة اليسرى وللطريقة العسرى ويتزكى في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون منصوب الموضع أو مرفوعا على تقدير حذف ان أي لأن يتزكى فحذف اللام فصار ان يتزكى ثم حذف ان أيضا كما في قول طرفة

أَلَا أَيُّهٰذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الْوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي (١)

روي احضر بالرفع والنصب وما لأحد عنده من نعمة تجزى من نعمة الجار والمجرور في موضع رفع

(١) الوغى: الحرب. وقد مضى البيت في صفحة ٣٠٠ من المجلد الرابع

ومن مزيدة لتأكيد النفي وافادة العموم وتجزى جملة مجرورة الموضع لكونها صفة لنعمة والتقدير من نعمة مجزية وان شئت كانت مرفوعة الموضع على محل كونه من نعمة والتقدير وما لأحد عنده نعمة مجزية وابتغاء منصوب لأنه مفعول له والعامل فيه يؤتى اي وما يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه أي لطلب ثواب ربه ولم يفعل ذلك مجازاة لید قد اسديت اليه

المعنى

(والليل إذا يغشى) أقسم الله سبحانه بالليل إذا يغشى بظلمته النهار وقيل إذا يغشى بظلمته الأفق وجميع ما بين السماء والأرض والمعنى إذا أظلم وادلهمّ وأغشى الأنام بالظلام لما في ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام (والنهار إذا تجلى) أي بان وظهر من بين الظلمة وفيه أعظم النعم إذ لو كان الدهر كله ظلاما لما امكن الخلق طلب معايشهم ولو كان ذلك كله ضياء لما انتفعوا بسكونهم وراحتهم فلذلك كرّر سبحانه ذكر الليل والنهار في السورتين لعظم قدرهما في باب الدلالة على مواقع حكمته (وما خلق الذكر والأنثى) أي والذي خلق عن الحسن والكلبي وعلى هذا يكون ما بمعنى من وقيل معناه خلق الذكر والأنثى عن مقاتل قال مقاتل والكلبي الذكر والأنثى آدم وحواء (ع) وقيل أراد كل ذكر وانثى من الناس وغيرهم (ان سعيكم لشتى) هذا جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لمختلفة فعمل للجنة وعمل للنار عن ابن عباس وقيل ان سعيكم لمتفرق فساعٍ في فكاك رقبته وساع في هلاكه وساع للدنيا وساع للعقبى وروى الواحدي بالاسناد المتصل المرفوع عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرجل من النخلة حتى يأخذ التمر من ايديهم فإن وجدها في فيّ احدهم أدخل اصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ واخبره بما يلقى من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ اذهب ولقي رسول الله ﷺ صاحب النخلة فقال تعطيني نخلتك المائلة التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال له الرجل ان لي نخلا كثيراً وما فيه نخلة اعجب إليّ تمرة منها قال ثم ذهب الرجل فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ يا رسول الله اتعطيني ما اعطيت الرجل نخلة في الجنة ان أنا أخذتها قال نعم فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها منه فقال له أشعرت ان محمدا اعطاني بها نخلة في الجنة فقلت له يعجبني تمرتها وان لي نخلا كثيراً فما فيه نخلة اعجب إلي تمرة منها فقال له الآخر أتريد بيعها فقال لا إلا ان اعطى ما لا أظنه اعطى قال فما شأنك قال اربعون نخلة فقال الرجل جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة اربعين نخلة ثم سكت عنه فقال له أنا اعطيك اربعين نخلة فقال له اشهدان كنت صادقا فمرّ إلى اناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخلة ثم ذهب إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ان النخلة قد صارت في ملكي فهي لك فذهب رسول الله ﷺ الى صاحب الدار فقال له النخلة لك ولعيالك فأنزل الله تعالى والليل إذا يغشى السورة وعن عطاء قال اسم الرجل ابو الدحداح (فأما من اعطى واتقى) هو ابو الدحداح وأما من بخل واستغنى وهو صاحب النخلة وقوله لا يصلاها إلا الأشقى وهو صاحب النخلة وسيجنبها الأتقى هو ابو الدحداح ولسوف يرضى إذا دخل الجنة قال وكان النبي ﷺ يمرّ بذلك الحش[1] وعذوقه دانية فيقول عذوق وعذوق لأبي الدحداح في الجنة وعن ابن الزبير قال ان الآية نزلت في ابي

(١) الحش: النخل الناقص القصير.

بكر لأنه اشترى المماليك الذين اسلموا مثل بلال وعامر بن فهيرة وغيرهما واعتقهم والاولى ان تكون الآيات محمولة على عمومها في كل من يعطي حق الله من ماله وكل من يمنع حقه سبحانه وروى العياشي ذلك باسناده عن سعد الاسكاف عن ابي جعفر (ع) قال فأما من اعطى مما اتاه الله واتقى وصدق بالحسنى أي بأن الله يعطي بالواحد عشراً إلى كثير من ذلك وفي رواية أخرى إلى مائة الف فما زاد فسنيسره لليسرى قال لا يريد شيئا من الخير إلا يسره الله له واما من بخل بما اتاه الله واستغنى و كذب بالحسنى بأن الله يعطي بالواحد عشرا إلى اكثر من ذلك وفي رواية أخرى إلى مائة الف فما زاد فسنيسره لليسرى قال لا يريد شيئا من الشر إلا يسره الله له قال ثم قال ابوجعفر (ع) وما يغني عنه ماله إذا تردى أما والله ما تردى من جبل ولا تردى من حائط ولا تردى في بئر ولكن تردى في نار جهنم فلي هذا يكون قوله (وصدق بالحسنى) معناه بالعدة الحسنى وهو قول ابن عباس وقتادة وعكرمة وقيل بالجنة التي هي ثواب المحسنين عن الحسن ومجاهد والجبائي وقوله (فسنيسره لليسرى) معناه فسنهون عليه الطاعة مرة بعد مرة وقيل معناه سنهيئه ونوفقه للطريقة اليسرى أي سنسهل عليه فعل الطاعة حتى يقوم اليها بجدّ وطيب نفس وقيل معناه سنيسره للخصلة اليسرى والحالة اليسرى وهو دخول الجنة واستقبال الملائكة إياه بالتحية والبشرى وقوله (وأما من بخل) أي ضنّ بماله الذي لا يبقى له وبخل بحق الله فيه (واستغنى) أي التمس الغنى بذلك المنع لنفسه وقيل معناه انه عمل عمل من هو مستغن عن الله وعن رحمته (و كذب بالحسنى) أي بالجنة والثواب والوعد وبالخلف (فسنيسره للعسرى) هو على مزاوجة الكلام والمراد به التمكين أي نخلي بينه وبين الأعمال الموجبة للعذاب والعقوبة (وما يغني عنه ماله إذا تردى) أي سقط في النار عن قتادة وابي صالح وقيل إذا مات وهلك عن مجاهد وقيل للحسن ان فلانا جمع مالا فقال هل جمع لذلك عمرا قالوا لا قال فما تصنع بالموتى بالأموال (إن علينا للهدى) معناه ان علينا لبيان الهدى بالدلالة عليه فأما الاهتداء فاليكم اخبر سبحانه ان الهدى واجب عليه ولو جاز الإضلال عليه لما وجب الهداية قال قتاده معناه ان علينا بيان الطاعة والمعصية (وان لنا للآخرة والاولى) وان لنا ملك الآخرة وملك الاولى فلا يزيد في ملكنا اهتداء من اهتدى ولا ينقص منه عصيان من عصى ولو نشاء لمنعناهم عن ذلك قسراً وجبراً ولكن التكليف اقتضى ان نمنعهم بيانا وأمراً وزجراً ثم خوّف سبحانه العادل عن الهدى فقال (فأنذرتكم ناراً تلظى) أي خوّفتكم ناراً تلتهب وتتوهج وتتوقد (لا يصلاها) أي لا يدخل تلك النار ولا يلزمها (إلا الأشقى) وهو الكافر بالله (الذي كذب) بآيات الله ورسله (وتولى) أي أعرض عن الايمان (وسيجنّبها) اي سيجنب النار ويجعل منها على جانب (الأتقى) المبالغ في التقوى (الذي يؤتي ماله) أي ينفقه في سبيل الله (يتزكى) يطلب ان يكون عند الله زكيا لا يطلب بذلك رياء ولا سمعة قال القاضي قوله لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى لا يدل على انه تعالى لا يدخل النار إلا الكافر على ما يقوله الخوارج وبعض المرجئة وذلك لأنه نكر النار المذكورة ولم يعرفها فالمراد بذلك ان نارا من جملة النيران لا يصلاها إلا من هذه حاله والنيران دركات على ما بيّنه سبحانه في سورة النساء في شأن المنافقين فمن اين عرف ان غير هذه النار لا يصلاها قوم آخرون وبعد فإن الظاهر من الآية يوجب ان لا يدخل النار إلا من كذب وتولى وجمع بين الأمرين فلا بدّ للقوم من القول بخلافه لأنهم يوجبون النار لمن يتولى عن كثير من الواجبات وان لم يكذب وقيل ان الاتقى

والاتقى المراد بهما التقي والشقي كما قال طرفة

تَمَنَّى رِجَالٌ اَنْ اَمُوتَ وَاِنْ اَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيها بِأَوْحَدِ

أراد بواحد ثم وصف سبحانه الاتقى فقال (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) اي ولم يفعل الأتقي ما فعله من ايتاء المال وانفاقه في سبيل الله ليد اسديت اليه يكافئ عليها ولا ليد يتخذها عند احد من الخلق (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) اي ولكنه فعل ما فعل يبتغي به وجه الله ورضاه وثوابه وانما ذكر الوجه طلبا لشرف الذكر والمعنى إلا الله ولا بتغاء ثواب الله (ولسوف يرضى) اي ولسوف يعطيه الله من الجزاء والثواب ما يرضي به فإنه يعطيه كل ما تمنى ولم يخطر بباله فيرضى به لا محالة

سورة والضحى مكية احدى عشرة آية بالإجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها كان ممن يرضاه الله ولمحمد ﷺ أن يشفع له وله عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السورة بأن الاتقى يعطيه من الثواب ما به يرضى وافتتح هذه السورة بأنه يرضي نبيه بما يوتيه يوم القيامة من الكرامة والزلفى فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالضُّحٰى (٢) وَاللَّيْلِ إِذا سَجٰى (٣) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلٰى (٤) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولٰى (٥) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى (٦) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوٰى (٧) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدٰى (٨) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنٰى (٩) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (١٠) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١١) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (احدى عشر آية)

القراءة

في الشواذ عن النبي ﷺ وعروة بن الزبير ما ودعك بالتخفيف والقراءة المشهورة بالتشديد وعن اشهب العقيلي فاوى بغير مدّ وعن ابن ابي السميفع عيّلا بالتشديد وعن النخعي والشعبي فلا تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف عبدالله

الحجة

قال ابن جني ودع بالتخفيف يقلّ استعماله وقال سيبويه استغنوا عن وذر وودع بقولهم ترك وانشد ابو علي ذلك في شعر ابي الاسود قوله

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَهْ

واما قوله فاوى فإنه من اويته اي رحمته واما عيّلا فإنه فيعل من العيلة وهي الفقر وهو مثل العائل ومعناه ماذو العيلة من غير جدة يقال عال الرجل يعيل عيلة إذا كثر عياله وافتقر قال الشاعر

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ

أي متى يفتقر واما الكهر فهو مثل القهر والعرب قد تعاقب بين القاف والكاف وفي حديث معاوية بن الحكم الذي تكلم في الصلاة قال ما كهرني ولا ضربني

﴿ اللغة ﴾

السجو السكون يقال سجى يسجو إذا هدأ وسكن وطرف ساج وبحر ساج قال الاعشى

فَمَا ذَنْبُنَا إِذْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا(١)

وقال الآخر

يَا حَبَّذَا الْقَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجْ وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ النَّسَّاجْ(٢)

والقلى البغض إذا كسرت القاف قصرت واذا فتحت مددت قال

عَلَيْكِ سَلَامُ لَا مُلِلْتِ قَرِيبَةً وَمَالَكِ عِنْدِي إِنْ نَأَيْتِ قَلَاءُ

ونهره وانتهره بمعنى وهو ان يصيح فى وجه السائل الطالب للرفد

﴿ الإعراب ﴾

وما قلى اي وما قلاك وكذلك قوله فآوى فأغنى تقديره فآواك فأغناك فالمفعول في هذه الآي محذوف وقال ولسوف يعطيك ولم يقل ويعطينك وان كان جواب القسم لأن النون إنما تدخل لتؤذن بأن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد حصل ها هنا العلم بأن هذه اللام للقسم لا للابتداء لدخوله على سوف ولام الابتداء لا تدخل على سوف لأن سوف تختص بالافعال ولام الابتداء انما تدخل على الاسماء فأما اليتيم فلا تقهر تقديره فمهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم ثم اقيم اما مقام الشرط فحصل اما فلا تقهر اليتيم ثم قدم المفعول على الفاء كراهة لأن يكون الفاء التي من شأنها ان تكون متبعة شيئا فشيئا في اول الكلام وان كثر يجتمع في اللفظ مع اما فتكون على خلاف اصول كلامهم وكذلك اما بنعمة ربك فحدث

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس احتبس الوحي عنه ﷺ خمسة عشر يوما فقال المشركون ان محمدا قد ودعه ربه وقلاه ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة وقيل إنما احتبس الوحي اثني عشر يوما عن ابن جريج وقيل اربعين يوما عن مقاتل وقيل أن المسلمين قالوا ما ينزل عليك الوحي يا رسول الله فقال وكيف ينزل عليّ الوحي وانتم لا تنقون براجمكم(٣) ولا تقلمون اظفاركم ولما نزلت السورة قال النبي ﷺ لجبرائيل (ع) ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبرائيل (ع) وأنا كنت أشدّ اليك شوقا ولكني عبد مأمور وما نتنزل إلا بأمر ربك وقيل سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين واصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي هذه الايام فاغتم لشماتة الاعداء فنزلت السورة تسلية لقلبه وقيل إن النبي ﷺ رمي بحجر في اصبعه فقال هل أنت إلا اصبع رميت، وفي سبيل الله ما لقيت، فمكث ليلتين او ثلاثاً لا يوحى اليه فقالت له ام جميل بنت حرب امرأة ابي لهب يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين او ثلاث فنزلت السورة

﴿ المعنى ﴾

(والضحى) أقسم سبحانه بنور النهار كله من قولهم ضحى فلان للشمس إذا ظهر لها ويدل عليه قوله في مقابلته (والليل إذا سجى) أي سكن واستقرّ ظلامه وقيل إن المراد بالضحى أول ساعة من النهار وقيل صدر النهار وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحرّ والبرد في الشتاء والصيف وقيل معناه ورب

(١) جاش البحر : هاج فلم يستطع ركوبه ، والدعامص جمع الدعموص وهي دويبة تغوص فى الماء . والبيت من قصيدة يهجوبها علقمة بن علاثة فى قصة طويلة واراد بابن عمه : عامر بن الطفيل . (٢) ليلة قمراء : مقمرة مضيئة . والملاء : الريطة . يريد الطريق الملساء التي ليس فيها ارتفاع وانخفاض (٣) البراجم : العقد التي تكون فى ظهور الاصابع يجتمع فيها الوسخ

الضحى ورب الليل اذا سجي عن الجبائي وقيل إذا سجى أي غطى بالظلمة كل شيء عن عطاء والضحاك وقيل اذا أقبل ظلامه عن الحسن (ما ودعك ربك وما قلى) هذا جواب القسم ومعناه ما تركك يا محمد ربك وما قطع عنك الوحي توديعا لك وما قلاك أي ما أبغضك منذ اصطفاك (وللآخرة خير لك من الاولى) يعني ان ثواب الاخرة والنعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية والكون فيها وقيل ان له ﷺ في الجنة الف الف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك وفي كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وما يشتهي على أتم الوصف عن ابن عباس وقيل معناه ولآخر عمرك الذي بقي خير لك من أوله لما يكون فيه من الفتوح والنصرة (ولسوف يعطيك ربك فترضى) معناه وسيعطيك ربك في الآخرة من الشفاعة والحوض وسائر انواع الكرامة فيك وفي أمتك ما ترضى به وروى حرث بن شريح عن محمد بن علي ابن الحنفية انه قال يا اهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله عز وجل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم الآية وانا اهل البيت (ع) نقول ارجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول رب رضيت وعن الصادق (ع) قال دخل رسول الله ﷺ على فاطمة (ع) وعليها كساء من ثلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله ﷺ لما أبصرها فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد انزل الله علي ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال زيد بن علي إن من رضا رسول الله ﷺ أن يدخل اهل بيته الجنة وقال الصادق (ع) رضا جدي ان لا يبقى في النار موحد ثم عدد سبحانه عليه نعمه في دار الدنيا فقال (ألم يجدك يتيماً فآوى) قيل في معناه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه تقرير لنعمة الله عليه حين مات ابوه وبقي يتيماً فآواه الله بأن سخر له أولاً عبد المطلب ثم لما مات عبد المطلب قيض له (١) أبا طالب وسخره للاشفاق عليه وحببه اليه حتى كان أحب اليه من أولاده فكفله ورباه واليتيم من لا اب له وكان النبي ﷺ مات ابوه وهو في بطن امه وقيل انه مات بعد ولادته بمدة قليلة وماتت امه ﷺ وهو ابن سنتين ومات جده وهو ابن ثماني سنين فسلمه إلى ابي طالب (ع) لأنه كان اخا عبد الله لأمه فأحسن تربيته وسئل الصادق (ع) لم أوتم النبي ﷺ عن ابويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق ﴿ والآخر ﴾ ان يكون المعنى ألم يجدك واحدا لا مثل لك في شرفك وفضلك فآواك إلى نفسه واختصك برسالته من قولهم درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل قال

لا وَلا دُرَّةٌ يَتِيمَةُ بَحْرٍ ... تَتَلالا فِي جَوْنَةِ البَيَّاعِ (٢)

وقيل فآواك اي جعلك مأوى للأيتام بعد أن كنت يتيماً وكفيلا للانام بعد ان كنت مكفولا عن الماوردي ثم ذكر نعمة اخرى فقال (ووجدك ضالا فهدى) قيل في معناه اقوال « احدها » وجدك ضالا عما انت عليه الآن من النبوة والشريعة اي كنت غافلا عنهما فهداك اليهما عن الحسن والضحاك والجبائي ونظيره ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم مثل قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى « وثانيها » ان المعنى وجدك متحيراً لا تعرف وجوه معاشك فهداك إلى وجوه معاشك فإن الرجل إذا لم يهتد طريق مكسبه ووجه معيشته يقال انه ضال لا يدري الى اين يذهب ومن اي وجه يكتسب عن ابي مسلم وفي الحديث نصرت بالرعب وجعل رزقي في ظل رمحي يعني الجهاد « وثالثها » ان المعنى وجدك لا تعرف الحق فهداك اليه بإتمام العقل ونصب الادلة والالطاف حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين وذلك من نعم الله سبحانه عليك « رابعها » وجدك ضالا في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب فروي انه ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صغير فرآه ابو جهل وردّه إلى جده عبد المطلب فمن الله سبحانه بذلك عليه إذ رده إلى جده على يد عدوه عن ابن عباس « وخامسها » ما روي ان حليمة بنت ابي ذؤيب لما ارضعته مدة وقضت حق الرضاع ثم ارادت ردّه على جده جاءت به حتى قربت من مكة فضل في الطريق فطلبته جزعة

(١) قيض الله فلانا لفلان : جائه به واتاحه له . (٢) الجونة : سلة مستديرة مغشاة ادماً يجعل فيها الطيب والثياب

وكانت تقول إن لم أره لأرمين نفسي من شاهق وجعلت تصيح واحمداه قالت فدخلت مكة على تلك الحال فرأيت شيخا متوكئا على عصى فسألني عن حالي فأخبرته فقال لا تبكين فأنا ادلك على من يردّه عليك فأشار الى هبل صنمهم الاكبر ودخل البيت فطاف بهبل وقبّل رأسه وقال يا سيداه لم تزل منتك جسيمة ردّ محمداً على هذه السعدية قال فتساقطت الاصنام لما تفوّه باسم محمد ﷺ وسمع صوت إن هلاكنا على يدي محمد فخرج وابنائه تصطك وخرجت الى عبد المطلب واخبرته بالحال فخرج فطاف بالبيت ودعا الله سبحانه فنودي واشعر بمكانه فاقبل عبد المطلب وتلقاه ورقة بن نوفل في الطريق فبينما هما يسيران إذ النبي ﷺ قائم تحت شجرة يجذب الاغصان ويلعب بالورق فقال عبد المطلب فداك نفسي وحمله وردّه الى مكة عن كعب « وسادسها » ما روي انه ﷺ خرج مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء ابليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبرائيل (ع) فنفخ ابليس نفخة رفع بها الى الحبشة وردّه الى القافلة فمنّ الله عليه بذلك عن سعيد بن المسيب « وسابعها » ان المعنى وجدك مضلولا عنك في قوم لا يعرفون حقك فهداهم الى معرفتك وارشدهم الى فضلك والاعتراف بصدقك والمراد انك كنت خاملا لا تذكر ولا تعرف فعرفك الله الناس حتى عرفوك وعظموك (ووجدك عائلا) اي فقيراً لا مال لك (فأغنى) اي فأغناك بمال خديجة والغنائم وقيل فأغناك بالقناعة ورضاك بما اعطاك عن مقاتل واختاره الفراء. قال لم يكن غنياً عن كثرة المال لكن الله سبحانه ارضاه بما آتاه من الرزق وذلك حقيقة الغنى وروى العياشي باسناده عن ابي الحسن الرضا (ع) في قوله ألم يجدك يتيماً فآوى قال فرداً لامثل لك في المخلوقين فآوى الناس اليك ووجدك ضالا اي ضالة في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم اليك ووجدك عائلا تعول اقواماً بالعلم فأغناهم بك وروي ان النبي ﷺ قال منّ عليّ ربي وهو اهل المن وقد طعن بعض الملحدين فقال كيف يحسن الامتنان بالانعام وهل يكون هذا من فعل الكرام « والجواب » ان المنّ انما يقبح من المنعم اذا أراد به الغض من المنعم عليه والاذى له فأما من أراد التذكير لشكر نعمته والترغيب فيه ليستحق الشاكر المزيد فإنه في غاية الحسن ولأن من كمال الجود وتمام الكرم تعريف المنعم عليه انه انما أنعم عليه ليسأل جميع ما يحتاج اليه فيعطى ثم اوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال (فأما اليتيم فلا تقهر) أي فلا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت تفعل العرب في امر اليتامى عن الفراء والزجاج وقيل معناه لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً عن مجاهد وكان النبي ﷺ يحسن إلى اليتامى ويبرّهم ويوصي بهم وجاء في الحديث عن ابي اوفى قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فأتاه غلام فقال غلام يتيم وأخت لي يتيمة وام لي ارملة أطعمنا مما أطعمك الله اعطاك الله مما عنده حتى ترضى قال ما أحسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فأتنا بما كان عندنا فجاء بواحدة وعشرين تمرة فقال سبع لك وسبع لأختك وسبع لأمك فقام اليه معاذ بن جبل فمسح رأسه وقال جبر الله يتمك وجعلك خلفا من أبيك وكان من ابناء المهاجرين فقال رسول الله ﷺ رأيتك يا معاذ وما صنعت قال رحمته قال لا يلي احد منكم يتيماً فيحسن ولايته ووضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة ورفع له بكل شعرة درجة وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمرّ على يده نور يوم القيامة وقال ﷺ أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عز وجل واشار بالسبابة والوسطى وعن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال إن اليتيم إذا بكى اهتزّ لبكائه عرش الرحمن فيقول الله للملائكته يا ملائكتي من أبكى هذا اليتيم الذي غيب ابوه في التراب فتقول الملائكة انت اعلم فيقول الله تعالى يا ملائكتي فإني اشهدكم ان لمن اسكته وارضاه ان ارضيه يوم القيامة وكان عمر اذا رأى يتيما مسح رأسه واعطاه شيئاً (واما السائل فلا تنهر) أي لا تنهر السائل ولا تردّه إذا أتاك يسألك فقد كنت فقيراً فإما ان تطعمه واما ان تردّه ردّاً ليناً وفي الحديث عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ إذا اتاك

سائل على فرس باسط كفيه فقد وجب له الحق ولو بشق تمرة قال ابو مسلم يريد كما اعطاك الله ورحمك وانت عائل فاعط سائلك وارحمه وقال الجبائي المراد بها جميع المكلفين وان كان الخطاب للنبي ﷺ وقيل ان المراد بالسائل طالب العلم وهو متصل بقوله ووجدك ضالا فهدى من الحسن والمعنى علّم من يسألك كما علّمك الله الشرائع وكنت بها غير عالم (واما بنعمة ربك فحدّث) معناه اذكر نعمة الله واظهرها وحدث بها وفي الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر وقيل يريد بالنعمة القرآن عن الكلبي قال وكان القرآن أعظم ما انعم الله عليه به فأمره ان يقرأه وقيل بالنبوة التي اعطاك ربك عن مجاهد واختاره الزجاج قال اي بلّغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اتاكها الله وهي أجل النعم وقيل معناه اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة قال الصادق (ع) معناه فحدث بما اعطاك الله وفضلك ورزقك واحسن اليك وهداك

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله وللآخرة خير لك من الاولى بما قبله ان في قوله ما ودعك ربك وما قلى اثباتا لمحبته سبحانه اياه وانعامه عليه فاتصل هذا ايضا به والتقدير ليس الامر كما قالوه بل الوحي يأتيك ما عمرت وتدوم محبتي لك وما اعطيتك في الآخرة من الشرف ورفعة المنزلة خير مما اعطيتك اليوم فاذا حسدوك على ذا فكيف بهم اذا رأوا ذلك واما اتصال قوله ألم يجدك بما قبله فوجهه انه اتصال ذكر النعم بذكر المنعم والتقدير انه سبحانه سينعم عليك في مستقبل امرك كما انعم عليك في الماضي من امرك

سورة ألم نشرح

مكية وهي ثماني آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عنه ﷺ قال من قرأها اعطي من الاجر كمن لقي محمداً ﷺ مغتماً ففرّج عنه وروى اصحابنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة لتعلق احديهما بالاخرى ولم يفصلوا بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وجعلوا بينهما في الركعة الواحدة في الفريضة وكذلك القول في سورة ألم تر كيف ولإيلاف قريش والسياق يدل على ذلك لأنه قال ألم يجدك يتيماً فآوى إلى آخرها ثم قال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (٢) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٣) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٤) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٥) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٧) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٨) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ

﴿ اللغة ﴾

الشرح فتح الشيء بإذهاب مايصدّ عن ادراكه واصل الشرح التوسعة ويعبّر عن السرور بسعة القلب وشرحه وعن الهم بضيق القلب لأنه يورث ذلك والوزر الثقل في اللغة ومنه اشتق اسم الوزير لتحمله اثقال الملك وانما سميت الذنوب اوزاراً لما يستحق عليها من العقاب العظيم والانقاض الاثقال التي كان ينتقض بها ما حمل عليه والنقض والهدم واحد ونقض المذهب ابطاله بما يفسده وبعير نقض سفر اذا اثقله السفر والنصب التعب وانصبه الهم فهو

منصب قال الشاعر (تَعَنَّاكَ هَمٌّ مِنْ أُمَيْمَةَ مُنْصَبُ) وهمٌّ ناصب ذو نصب قال النابغة (كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبُ)[1]

المعنى

ثم اتمّ سبحانه تعداد نعمه على نبيّه ﷺ فقال (ألم نشرح لك صدرك) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ لقد سألت ربي مسألة وددت اني لم اسأله قلت اي رب انه قد كان انبياء قبلي منهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى قال فقال ألم اجدك يتيماً فآويتك قال قلت بلى قال ألم اجدك ضالا فهديتك قال قلت بلى اي رب قال ألم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قال قلت بلى اي رب والمعنى ألم نفتح لك صدرك ونوسع قلبك بالنبوة والعلم حتى قمت باداء الرسالة وصبرت على المكاره واحتمال الاذى واطمأنت الى الايمان فلم تضق به ذرعاً ومنه تشريح اللحم لأنه فتحه بترقيقه فشرح سبحانه صدره بأن ملأه علماً وحكمة ورزقه حفظ القرآن وشرائع الاسلام ومنّ عليه بالصبر والاحتمال وقيل إنه ﷺ كان قد ضاق صدره بمعاداة الجن والانس اياه ومناصبتهم له فآتاه من الآيات ما اتسع به صدره بكل ما حمله الله اياه وامره به وذلك من أعظم النعم عن البلخي وقيل معناه ألم نشرح صدرك بإذهاب الشواغل التي تصدّ عن ادراك الحق وعن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ فقيل يا رسول الله أينشرح الصدر قال نعم قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود والاعداد للموت قبل نزول الموت ومعنى الاستفهام في الآية التقرير أي قد فعلنا ذلك ويدلّ عليه قوله في العطف عليه (ووضعنا عنك وزرك) اي وحططناعنك وزرك (الذي انقض ظهرك) اي اثقله حتى سمع له نقيض اي صوت من الزجاج قال وهذا مثل معناه انه لو كان حملا لسمع نقيض ظهره وقيل ان المراد به تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بامرها سهّل الله ذلك عليه حتى تيسر له ومنّ عليه بذلك عن ابي عبيدة وعبد العزيز بن يحيى وقيل معناه وازلنا عنك همومك التي اثقلتك من اذى الكفار فشبّه الهموم بالحمل والعرب تجعل الهمّ ثقلا عن ابي مسلم وقيل معناه وعصمناك عن احتمال الوزر فإن المقصود من الوضع ان لا يكون عليه ثقل فإذا عصم كان أبلغ في ان لا يكون قال المرتضى قدس الله روحه انما سميت الذنوب بانها اوزاراً لأنها تثقل كاسبها وحاملها فكلّ شيء اثقل الانسان وغمّه وكدّه جاز ان يسمى وزراً فلا يمتنع ان يكون الوزر في الآية انما اراد به غمه ﷺ بما كان عليه قومه من الشرك وانه واصحابه بينهم مقهور مستضعف فلما اعلى الله كلمته وشرح صدره وبسط يده خاطبه بهذا الخطاب تذكيراً له بمواقع النعمة ليقابله بالشكر ويؤيّده ما بعده من الآيات فإن اليسر بإزالة الهموم اشبه والعسر بازالة الشدائد والغموم اشبه فإن قيل ان السورة مكية نزلت قبل ان يعلي الله كلمة الاسلام فلا وجه لقولكم قلنا انه سبحانه لما بشره بأن يعلي دينه على الدين كله ويظهره على اعدائه كان بذلك واضعاً عنه ثقل غمّه بما كان يلحقه من اذى قومه ومبدلا عسره يسراً فانه يثق بأن وعد الله حق ويجوز ايضاً ان يكون اللفظ وان كان ماضيا فالمراد به الاستقبال كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ولهذا نظائر كثيرة (ورفعنا لك ذكرك) أي قرنّا ذكرك بذكرنا حتى لا اذكر إلا وتذكر معي يعني في الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر عن الحسن وغيره قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا وينادي بأشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله وفي الحديث عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في هذه الآية قال قال لي جبرائيل قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وفي هذا يقول حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ

وَضَمَّ الإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المُؤَذِّنُ أَشْهَدُ

(١) وعجزه «وليل اقاسيه بطيء الكواكب» والشعر في جامع الشواهد.

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهٰذَا مُحَمَّدٌ

ثم وعد سبحانه اليسر والرخاء بعد الشدة وذلك انه كان بمكة في شدة قال (فإن مع العسر يسرا) أي مع الفقر سعة عن الكلبي وقيل معناه ان مع الشدة التي انت فيها من مزاولة المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك الله عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به طوعا او كرها ثم كرر ذلك فقال (ان مع العسر يسرا) روى عطاء عن ابن عباس قال يقول الله تعالى خلقت عسراً واحداً وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وعن الحسن قال خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً قال الفراء ان العرب تقول اذا ذكرت نكرة ثم اعدتها نكرة مثلها صارتا اثنتين كقولك اذا كسبت درهما فانفق درهما فالثاني غير الاول فاذا اعدتها معرفة فهي هي كقولك اذا كسبت الدرهم فانفق الدرهم فالثاني هو الاول ونحو هذا ما قال الزجاج انه ذكر العسر مع الالف واللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى إن مع العسر يسرين وقال صاحب كتاب النظم في تفسير هذه الآية ان الله بعث نبيه وهو مقل مخف وكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا له ان كان بك من هذا القول الذي تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر اهل مكة فكره النبي ﷺ ذلك وظن ان قومه انما يكذبوه لفقره فوعده الله سبحانه الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الهم فقال فإن مع العسر يسراً وتأويله لا يحزنك ما يقولون وما انت فيه من الاقلال فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلا ثم انجز ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز وما والاها من القرى العربية وعامة بلاد اليمن فكان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبات السنية ويسد لاهله قوت سنته ثم ابتدأ فصلا آخر فقال ان مع العسر يسراً والدليل على ابتدائه تعريه من فاء وواو وهو وعد لجميع المؤمنين لانه يعني بذلك ان مع العسر في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكر في الآية الثانية فقوله ﷺ لن يغلب عسر يسرين أي يسر الدنيا والآخرة فالعسر بين يسرين اما فرج الدنيا واما ثواب الآخرة وهذا الذي ذكره الجرجاني يؤيد ما ذهب اليه المرتضى قدس الله روحه من أن القائل اذا قال شيئا ثم كرره فإن الظاهر من تغاير الكلامين تغاير مقتضاهما حتى يكون كل واحد منهما مفيدا لما لا يفيده الآخر فيجب مع الاطلاق حمل الثاني على غير مقتضى الاول الا اذا كان بين المتخاطبين عهد او دلالة يعلم المخاطب بذلك ان المخاطب اراد بكلامه الثاني الاول فيحمله على ذلك وانشد ابو بكر الانباري

إِذَا بَلَغَ الْعُسْرُ مَجْهُودَهُ فَثِقْ عِنْدَ ذَاكَ بِيُسْرٍ سَرِيعْ

أَلَمْ تَرَ نَحْسَ الشِّتَاءِ الْفَظِيـ ـعِ يَتْلُوهُ سَعْدُ الرَّبِيعِ الْبَدِيعْ

وانشد اسحاق بن بهلول القاضي

فَلَا تَيْأَسْ وَإِنْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي دَهْرٍ طَوِيلِ

وَلَا تَظْنُنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ فَإِنَّ اللهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ

فَإِنَّ الْعُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ وَقَوْلُ اللهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ

(فإذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) معناه فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسألة يعطك عن مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ومعنى انصب من النصب وهو التعب اي لا تشتغل بالراحة وقال الزهري اذا فرغت من الفرائض فادع بعد التشهد بكل حاجتك وقال الصادق (ع) هو الدعاء في دبر الصلاة وانت جالس وقيل معناه فاذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل عن ابن مسعود وقيل معناه فإذا فرغت من دنياك فانصب في عبادة ربك وصل

عن مجاهد والجبائي وقيل فإذا فرغت من الفرائض فانصب فيما رغبك الله فيه من الاعمال وصلّ عن ابن عباس وقيل إذا فرغت من جهاد اعدائك فانصب بالعبادة لله عن الحسن وابن زيد وقيل فإذا فرغت من جهاد الاعداء فانصب بجهاد نفسك وقيل إذا فرغت من اداء الرسالة فانصب لطلب الشفاعة وسئل علي بن طلحة عن هذه الآية فقال القول فيه كثير وقد سمعنا انه يقال اذا صححت فاجعل صحتك وفراغك نصبا في العبادة ويدل على هذا ماروي ان شريحا مرّ برجلين يصطرعان فقال ليس بهذا امر الفارغ انما قال الله سبحانه فإذا فرغت فانصب والى ربك فارغب اي فارفع حوائجك إلى ربك ولا ترفعها الى احد من خلقه وقال عطاء يريد تضرع اليه راهبا من النار وراغبا إلى الجنة

سورة التين

مكية المعدل عن ابن عباس مدنية ثماني آيات بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا فإذا مات اعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم وعن البراء بن عازب قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب والتين والزيتون فما رأيت انسانا احسن قراءة منه رواه ابو مسلم في الصحيح وروى شعيب العقرقوفي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ والتين في فرائضه ونوافله اعطي من الجنة حيث يرضى

تفسيرها

امر الله سبحانه بالرغبة اليه في خاتمة تلك السورة وافتتح هذه السورة بذكر أنه الخالق المستحق للعبادة بعد ان اقسم عليه فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (٢) وَطُورِ سِينِينَ (٣) وَهٰذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٤) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٥) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٧) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٨) أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ

اللغة

التقويم تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون عليه من التأليف والتعديل يقال قومه فاستقام وتقوم

المعنى

(والتين والزيتون) اقسم الله سبحانه بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر منه الزيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة وعطاء وهو الظاهر وانما اقسم بالتين لانه فاكهة مخلصة من شائب التنغيص وفيه اعظم عبرة لأنه عزّ اسمه جعلها على مقدار اللقمة وهيّأها على تلك الصفة انعاماً على عباده بها وقد روى ابوذر عن النبي ﷺ قال في التين لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه هي لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس واما الزيتون فانه يعتصر منه الزيت الذي يدور في اكثر الاطعمة وهو ادام والتين طعام فيه منافع كثيرة وقيل التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس عن قتادة

وقال عكرمة هما جبلان وانما سميا لأنهما ينبتان بهما وقيل التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس عن كعب الاحبار وعبد الرحمن بن غنيم وابن زيد وقيل التين مسجد نوح الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس عن ابن عباس وقيل التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى عن الضحاك (وطور سينين) يعني الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عن الحسن وسينين وسيناء واحد وقيل ان سينين معناه المبارك الحسن وكأنه قيل جبل الخير الكثير لأنه اضافة تعريف عن مجاهد وقتادة وقيل معناه كثير النبات والشجر عن عكرمة وقيل ان كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط عن مقاتل قال عمرو بن ميمون سمعت عمر بن الخطاب يقرأ بمكة في المغرب والتين والزيتون وطور سيناء قال فظننت انه إنما قرأها ليعلم حرمة البلد وروي ذلك عن موسى بن جعفر (ع) ايضا (وهذا البلد الامين) يعني مكة البلد الحرام يأمن فيه الخائف في الجاهلية والإسلام فالامين يعني المؤمن يؤمن من يدخله وقيل بمعنى الامن ويؤيده قوله انا جعلنا حرما آمنا قال الشاعر

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَسْمَ وَيْحَكِ أَنَّنِي حَلَفْتُ يَمِيناً لَا أَخُونُ أَمِينِي(١)

يريد آمني (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) هذا جواب القسم واراد جنس الانسان وهو آدم وذريته خلقهم الله في احسن صورة عن ابراهيم ومجاهد وقتادة وقيل في احسن تقويم أي منتصب القامة وسائر الحيوان مكبّ على وجهه إلا الانسان عن ابن عباس وقيل اراد انه خلقهم على كمال في انفسهم واعتدال في جوارحهم وابانهم عن غيرهم بالنطق والتمييز والتدبير إلى غير ذلك مما يختص به الانسان وفي ذلك اشارة ايضا إلى حال الشباب (ثم رددناه اسفل سافلين) يريد إلى الخرف وارذل العمر والهرم ونقصان العقل والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل هؤلاء جميعاً عن ابن عباس وابراهيم وقتادة وقيل معناه ثم رددناه إلى النار عن الحسن ومجاهد وابن زيد والجبائي والمعنى الى اسفل الاسفلين لأن جهنم بعضها اسفل من بعض وعلى هذا فالمراد به الكفار اي خلقناهم في احسن خلقة احراراً عقلاء مكلفين فكفروا فرددناهم إلى النار في اقبح صورة ثم استثنى فقال (إلا الذين آمنوا) أي صدقوا بالله (وعملوا الصالحات) اي اخلصوا العبادة لله واضافوا إلى ذلك الاعمال الصالحة فإن هؤلاء لا يردون إلى النار ومن قال بالقول الاول قال ان المؤمن لا يرد إلى الخرف وإن عمر عمرا طويلا قال ابراهيم إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز معه من العمل كتب له ما كان يعمل وهو قوله (فلهم اجر غير ممنون) وقال عكرمة من ردّ منهم إلى ارذل العمر كتب له صالح ما كان يعمل في شبابه وذلك اجر غير ممنون وعن ابن عباس قال ومن قرأ القرآن لم يرد إلى ارذل العمر وذلك قوله ثم رددناه اسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال إلا الذين قرأوا القرآن وفي الحديث عن انس قال قال رسول الله ﷺ المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتب لوالديه فإن عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم امر الله الملكين اللذين معه يحفظانه وبسددانه فإذا بلغ اربعين سنة في الإسلام امنه الله من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين خفف الله حسابه فإذا بلغ ستين رزقه الإنابة اليه فيما يحب فإذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فإذا بلغ ثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في اهل بيته وكان اسمه اسير الله في الارض فإذا بلغ ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا كتب الله له بمثل ما كان يعمل في صحته من الخير وان عمل سيئة لم تكتب عليه واقول او صح الخبر فإنما لا تكتب عليه السيئة لزوال عقله ونقصان تمييزه في ذلك الوقت وقوله غير ممنون اي غير منقوص وقيل غير مقطوع عن ابي مسلم وقيل غير محسوب عن مجاهد وقيل غير مكدّر بما يؤذي ويغمّ عن الجبائي (فما يكذبك بعد بالدين) معناه اي شيء يكذبك ايها الانسان بعد هذه الحجج بالدين الذي هو الجزاء والحساب عن الحسن وعكرمة وابي مسلم والمراد ما يحملك على ان لا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي

(١) قوله ياسم مرخم ياسماء

فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني ويجازيني بعملي فيكون قوله فما يكذبك يعني به ما الذي يجعلك تكذب وقيل ان الخطاب للنبي ﷺ اي فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذه الحجج بالدين الذي هو الإسلام عن مجاهد وقتادة اي لا شيء يكذبك (أليس الله بأحكم الحاكمين) هذا تقرير للإنسان على الاعتراف بأنه تعالى أحكم الحاكمين في صنائعه وافعاله وانه لا خلل في شيء منها ولا اضطراب فكيف يترك هذه الخلائق ويهملهم فلا يجازيهم وقيل معناه أليس الله بأقضى القاضين فيحكم بينك يا محمد وبين اهل التكذيب بك عن مقاتل قال قتادة وكان رسول الله ﷺ اذا ختم هذه السورة قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله أليس الله بأحكم الحاكمين بما قبله من ذكر الدين والجزاء على سبيل التنبيه على الإعادة فإن الحكيم اذا كلف وامر ونهى وخلى بين الظالم والمظلوم فلا بدّ من المجازاة والانصاف والانتصاف فإذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بدّ من البعث فإن احكم الحاكمين لا يجوز عليه الإخلال بما ذكرناه

سورة العلق مكية

﴿ عدد آياتها ﴾

عشرون آية حجازي وتسع عشرة عراقي وثماني عشرة شامي

﴿ اختلافها ﴾

آيتان الذي ينهى غير الشامي لئن لم ينته حجازي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها فكأنما قرأ المفصل كله محمد بن حسان عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ في يومه او في ليلته اقرأ باسم ربك ثم مات في يومه أو في ليلته مات شهيدا وبعثه الله شهيدا واحياه كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله ﷺ

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانهُ تلك السورة بذكر اسمهِ وافتتح هذه السورة باسمه ايضا فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (٢) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٣) إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٤) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٥) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٦) كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٧) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٨) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٩) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (١٠) عَبْداً إِذَا صَلَّى (١١) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١٢) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٣) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٤) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى (١٥) كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (١٦) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٧)

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٨) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (ثماني عشرة آية)

﴿ اللغة ﴾

العلق جمع علقة وهي القطعة الجامدة من الدم التي تعلق لرطوبتها بما تمر به فإذا جفت لا تسمى علقة والعلق ضرب من الدود اسود لأنه يعلق على العضو فيمتص منه الدم والرجعى الرجوع والمرجع واحد والسفع الجذب الشديد يقال سفعت بالشيء اذا قبضت عليه وجذبته جذباً شديداً وسفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تشويه ومنه الحديث ليصيبن اقواماً سفع من النار اي تشويه خلقة والناصية شعر مقدم الرأس سميت بذلك لأنها متصلة بالرأس من قولهم ناصى يناصي مناصاة اذا وصل قال الراجز « فِي تُنَاصِيهَا بِلَادٌ فِيٌّ » (١) النادي مجلس اهل النادي ثم كثر فسمي كل مجلس ناديا وواحد الزبانية زبينة عن ابي عبيدة وزبنى عن الكسائي وزابن عن الاخفش اخذ من الزبن وهو الدفع والناقة تزبن الحالب اي تركضه برجلها قال الشاعر

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا ... وَلَوْ زَبَنَتْهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمْرَمِ (٢)

﴿ الإعراب ﴾

خلق الانسان من علق تخصيص بعد تعميم الا ترى ان قوله خلق الإنسان بعد قوله خلق خصوص بعد عموم فهو مثل قوله يؤمنون بالغيب ثم قال وبالآخرة هم يوقنون فخصص الآخرة بعد ذكر الغيب الذي هو عام لكل ما غاب عنا وعكسه قول لبيد

وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّيءَ حَاسِدٌ ... أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُوَّامُهَا (٣)

ألا ترى ان اللوم اعم من التبطئة لأن التبطئة نسبة قوم الى البطء فهذا بعض اللوم وقوله ان الإنسان ليطغى ان رآه استغنى الضمير المستكن في رآه عائد الى الضمير المستكن في يطغى والهاء في رآه عائد الى الضمير المستكن فيه وانما جاز ان يعود الضمير المنصوب الى ضمير الفاعل في باب علمت واخواتها من غير ذكر النفس لدخول هذه الافعال على المبتدأ والخبر والخبر هو نفس المبتدأ فتقول علمتني وحسبتني افعل كذا ولا يجوز في غيرها الا بواسطة النفس تقول ضربت نفسي ولا تقول ضربتني وان رآه في محل نصب لأنه مفعول له واستغنى جملة في موضع النصب لكونها مفعولة ثانية لرآه والتقدير لأن رآه مستغنياً . ناصية بدل من الناصية اي بناصية كاذبة خاطئة ومعناه بناصية صاحبها كاذب خاطئ يقال فلان نهاره صائم وليله قائم اي هو صائم في نهاره وقائم في ليله . فليدع ناديه اي اهل ناديه فحذف المضاف . والنون في لنسفعن نون التأكيد الخفيفة والاختيار عند البصريين ان تكتب بالالف لأن الوقف عليها بالالف واختار الكوفيون ان تكتب بالنون لأنها نون في الحقيقة

﴿ المعنى ﴾

(اقرأ باسم ربك) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ﷺ ان يقرأ باسم ربه وان يدعوه بأسمائه الحسنى وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمى لأن الاسم ذكر المسمى بما يخصه فلا سبيل الى تعظيمه الا بمعناه ولهذا لا يعظم اسم الله حق تعظيمه الا من هو عارف به ومعتقد عبادته ولهذا قال سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال سبح اسم ربك الاعلى فالباء هنا زائدة والتقدير اقرأ اسم ربك واكثر المفسرين على

(١) هذا عجز بيت للعجاج وصدره « وبلدة نياطها نطيء . والفي : القفر . (٢) ترمرم : حرك فاه بالكلام. (٣) البيت من معلقته الشهيرة وقوله « ان يبطيء » اي كراهية ان يبطيء وكذا قوله « وان يلوم » . وفي رواية الزوزني « أوان يميل مع العدو لئامها » .

ان هذه السورة اول ما نزل من القرآن واول يوم نزل جبرائيل (ع) على رسول الله ﷺ وهو قائم على حراء علمه خمس آيات من اول هذه السورة وقيل اول ما نزل من القرآن قوله يا ايها المدثر وقد مرّ ذكره وقيل اول سورة نزلت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب رواه الحاكم ابو عبد الله الحافظ باسناده عن ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل ان رسول الله ﷺ قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء فقالت ما يفعل الله بك الا خيرا فوالله انك لتؤدّي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث قالت خديجة فانطلقنا الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عمّ خديجة فاخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال له ورقة اذا أتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول ثم اتيني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قل لا إله الا الله فأتى ورقة فذكر له ذلك فقال له ابشر ثم ابشر فأنا اشهد انك الذي بشّر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن ادركني ذلك لأجاهدنّ معك فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدّقني يعني ورقة وروي ان ورقة قال في ذلك

فَإِنْ يَكُ حَقًّا يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي ... حَدِيثُكِ إِيَّانَا فَأَحْمَدُ مُرْسَلُ
وَجِبْرِيلُ يَأْتِيهِ وَمِيكَالُ مَعَهُمَا ... مِنَ اللهِ وَحْيٌ يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ
يَفُوزُ بِهِ مَنْ فَازَ عِزًّا لِدِينِهِ ... وَيَشْقَى بِهِ الْغَاوِي الشَّقِيُّ الْمُضَلَّلُ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ فِي جِنَانِهِ ... وَأُخْرَى بِأَغْلَالِ الْجَحِيمِ تُغَلْغَلُ

ثم وصف سبحانه ربه وبينه بفعله الدال عليه فقال (الذي خلق) اي خلق جميع المخلوقات على مقتضى حكمته واخرجه من العدم الى الوجود بكمال قدرته ثمّ خصّ الانسان بالذكر تشريفاً له وتنبيهاً على ابانته اياه عن سائر الحيوان فقال (خلق الانسان من علق) اراد به جنس بني آدم اي خلقهم من دم جامد بعد النطفة وقيل معناه خلق آدم من طين يعلق باليد والاول اصحّ وفي هذا اشارة الى بيان النعمة بأن خلقه من الاصل الذي هو في الغاية القصوى من المهانة ثم بلغ به مبالغ الكمال حتى صار بشراً سوياً مهيئاً للنطق والتمييز مفرغا في قالب الاعتدال وانه كما نقل الإنسان من حال الى حال حتى استكمل كذلك بنقلك من الجهالة الى درجة النبوة والرسالة حتى تستكمل شرف محلها ثم أكّد الامر بالإعادة فقال (اقرأ) وقيل امره في الاول بالقراءة لنفسه وفي الثاني بالقراءة للتبليغ وليس بتكرار عن الجبائي ومعناه اقرأ القرآن (وربك الاكرم) اي الاعظم كرماً فلا يبلغه كرم كريم لأنه يعطي من النعم ما لا يقدر على مثله غيره فكل نعمة توجد من جهته تعالى إمّا بأن اخترعها وإمّا بأن سبّبها وسهّل الطريق اليها وقيل معناه بلّغ قومك وربك الاكرم الذي يثيبك على عملك بما يقتضيه كرمه ويقويك ويعينك على حفظ القرآن (الذي علم بالقلم) أي علم الكاتب ان يكتب بالقلم أو علم الإنسان البيان بالقلم او علم الكتابة بالقلم امتنّ سبحانه على خلقه بما علّمهم من كيفية الكتابة بالقلم لما في ذلك من كثرة الانتفاع فيما يتعلق بالدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولاه لم يقم دين ولم يصلح عيش وقال بعضهم في وصفه

لَعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ ... وَأَرْيُ الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ (١)

(١) الارى : العسل . اشتارته : استخرجته ، وعواسل جمع عاسلة . والعاسل: مستخرج العسل والبيت لابي تمام الطائي يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات ؛ قال الشريف المرتضى (ره) في اماليه و اجمع العلماء ان هذه الابيات احسن وافخم من جميع ما قيل في القلم ثم ذكرها في ج١ : ٥٣٦ ـ ٥٣٧ من الامالي

وقيل اراد سبحانه آدم لأنه اول من كتب عن كعب وقيل اول من كتب ادريس عن الضحاك وقيل اراد كل نبي كتب بالقلم لأنه ما علمه الا بتعليم الله اياه (علم الإنسان ما لم يعلم) من انواع الهدى والبيان وامور الدين والشرائع والاحكام فجميع ما يعلمه الإنسان من جهته سبحانه اما بأن اضطره اليه واما بأن نصب الدليل عليه في عقله واما بأن بيّنه له على ألسنة ملائكته ورسله فكل العلوم على هذا مضاف اليه وفي هذا دلالة على انه سبحانه عالم لأن العلم لا يقع الا من عالم (كلا) اي حقا (ان الإنسان ليطغى) أي يتجاوز حدّه ويستكبر على ربّه ويعدو طوره (ان رآه استغنى) اي لأن رآه نفسه مستغنية عن ربه بعشيرته واموالهوقوته كأنه قال انما يطغى من رأى انه مستغن عن ربه لا من كان غنياً قال قتادة كان اذا اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيانه وقيل انها نزلت في ابي جهل هشام من هنا الى آخر السورة (ان الى ربك الرجعى) اي الى الله مرجع كل احد اي فهذا الطاغي كيف يطغى بماله ويعصي ربه ورجوعه اليه وهو قادر على اهلاكه وعلى مجازاته اذا رجع اليه (أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى) هذا تقرير للنبي ﷺ واعلام له بما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة فقد جاء في الحديث ان ابا جهل قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فبالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته فقيل له ها هو ذلك يصلي فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقالوا مالك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة وقال نبي الله والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً فأنزل الله سبحانه أرأيت الذي ينهى الى آخر السورة رواه مسلم في الصحيح ومعنى الآية أرأيت يا محمد من منع من الصلاة ونهى من يصلي عنها ماذا يكون جزاؤه وما يكون حاله عند الله تعالى وما الذي يستحقه من العذاب فحذف لدلالة الكلام عليه والآية عامة في كل من ينهى عن الصلاة والخير وروي عن علي (ع) انه خرج في يوم عيد فرأى ناساً يصلون فقال يا ايها الناس قد شهدنا نبي الله في مثل هذا اليوم فلم يكن احد يصلي قبل العيد اوقال النبي ﷺ فقال رجل يا امير المؤمنين ألا تنهى ان يصلوا قبل خروج الإمام فقال لا اريد ان انهى عبداً اذا صلّى ولكنا نحدثهم بما شهدنا من النبي ﷺ او كما قال ومعنى أرأيت ها هنا تعجيب للمخاطب ثم كرّر هذه اللفظة تأكيداً في التعجيب فقال (أرأيت ان كان على الهدى) يعني العبد المنهي وهو محمد ﷺ (أو امر بالتقوى) يعني بالاخلاص والتوحيد ومخافة الله تعالى وها هنا حذف ايضاً تقديره كيف يكون حال من ينهاه عن الصلاة ويزجره عنها ثم قال (أرأيت ان كذب) ابو جهل (وتولى) عن الايمان واعرض عن قبوله والاصغاء اليه (ألم يعلم بأن الله يرى) ما يفعله ويعلم ما يصنعه والتقدير أرأيت الذي فعل هذا الفعل ما الذي يستحق بذلك من الله تعالى من العقاب وقيل ان تقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي كاذب مكذب متول عن الايمان فما اعجب هذا ثم هدّده بقوله ألم يعلم هذا المكذب فإن لم يعلم فليعلم بأن الله يرى هذا الصنيع الشنيع فيؤاخذه به وفي هذا اشارة الى انه سبحانه ينتقم للمحق من المبطل وفيه ان علم العبد بأن الله يعلم ما يأتيه ويراه يوجب المسابقة الى فعل الطاعة وترك المعصية ثم قال سبحانه (كلا) أي لا يعلم ذلك (لئن لم ينته) يعني ان لم يمتنع ابو جهل عن تكذيب محمد ﷺ وايذائه (لنسفعن بالناصية) اي لنجرّنّ بناصيته الى النار وهذا كقوله فيؤخذ بالنواصي والاقدام ومعناه لنذلنّه ونقيمنه مقام الاذلة ففي الاخذ بالناصية اهانة

واستخفاف وقيل معناه لنغبرنّ وجهه ونسودنّه بالنار يوم القيامة لأن السفع اثر الاحراق بالنار ثم اخبر سبحانه عنه بأنه فاجر خاطئ بأن قال (ناصية كاذبة خاطئة) وصفها بالكذب والخطأ بمعنى ان صاحبها كاذب في اقواله خاطئ في افعاله لما ذكر الجر بها اضاف الفعل اليها قال ابن عباس لما اتى ابو جهل رسول الله ﷺ انتهره رسول الله ﷺ فقال ابو جهل اتنتهرني يا محمد فوالله لقد علمت ما بها احد اكثر ناديا مني فأنزل الله سبحانه (فليدع ناديه) وهذا وعيد اي فليدع اهل ناديه اي اهل مجلسه يعني عشيرته فليستنصربهم اذا حل عقاب الله به والنادي الفناء قال وتأتون في ناديكم المنكر ثم قال (سندع الزبانية) يعني الملائكة الموكلين بالنار وهم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته زبانية النار من ساعته معاينة وقيل انه اخبار بأنه يدعو اليه الزبانية دعا ناديه ام لم يدع وصدق سبحانه ذلك فقتل ابو جهل يوم بدر ثم قال (كلا) أي ليس الامر على ما عليه ابو جهل (لا تطعه) في النهي عن الصلاة (واسجد) له عز اسمه (واقترب) من ثوابه وقيل معناه وتقرب اليه بطاعته وقيل معناه اسجد يا محمد لتقرب منه فإن أقرب ما يكون العبد من الله اذا سجد له وقيل واسجد اي وصلّ لله واقترب من الله وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ قال اقرب ما يكون العبد من الله اذا كان ساجداً وقيل المراد به السجود لقراءة هذه السورة والسجود هنا فرض وهو من العزائم وروي عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال العزائم آلم تنزيل وحم السجدة والنجم اذا هوى واقرأ باسم ربك وما عداها في جميع القرآن مسنون وليس بمفروض

سورة القدر

مكية وقيل مدنية

عدد آياتها

ست آيات مكي وشامي وخمس في الباقين

اختلافها

آية ليلة القدر الثالث مكي شامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر ١٠ الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ انا انزلناه في فريضة من الفرائض نادى منادٍ يا عبد الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل ٠ سيف بن عميرة عن رجل عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ انا انزلناه بجهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله ومن قرأها سراً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله ومن قرأها عشر مرات مرت على محو الف ذنب من ذنوبه

تفسيرها

أمر سبحانه بالسجود والتقرب اليه في خاتمة تلك السورة وافتتح هذه السورة بذكر ليلة القدر وان

التقرب فيها الى الله يزيد على التقرب اليه من سائر الليالي والايام فكأنه قال اقترب اليه في سائر الاوقات خصوصا في ليلة القدر وقال ابو مسلم لما امره بقراءة القرآن في تلك السورة بيّن في هذه السورة ان انزاله في ليلة القدر فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٣) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٤) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٥) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (خمس آيات)

القراءة

قرأ الكسائي وخلف مطلع بكسر اللام والباقون بفتح اللام وفي الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امرء

الحجة

قال ابو علي مطلع هنا مصدر بدلالة ان المعنى سلام هي حتى وقت طلوعه والى وقت طلوعه نحو مقدم الحاج وخفوق النجم بجعل المصدر فيه زمانا على تقدير حذف المضاف فالقياس ان يفتح اللام كما ان مصادر سائر ما كان من فعل يفعل مفتوح العين نحو المخرج والمدخل واما الكسر فلأن المصادر التي ينبغي ان تكون على المفعَل قد كُسِرَ كقولهم علاه المكبر والمعجزة وقوله من كل امرء قال ابن جني انكر ابو حاتم هذه القراءة على انه حكي عن ابن عباس انه قال يعني الملائكة قال ولا ادري ما هذا وانا هو تنزل الملائكة فيها كل أمرٍ كقوله فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا ومن كل امر فتمّ الكلام ثم استأنف فقال سلام أي هي سلام الى ان يطلع الفجر وقال قطرب معناه هي سلام من كل امر وامرئ ويلزم على قول قطرب ان يقال فكيف جاز تقديم معمول المصدر الذي هو سلام عليه وقد عرفنا امتناع جواز تقديم صلة الموصول او شيء منها عليه والجواب ان سلاما في الاصل كعُمري مصدر فأما هنا فإنه موضوع موضع اسم الفاعل الذي هو سالمة هي او مسلمة فكأنه قال من كل امر سالمة او مسلمة هي اي هي سالمة او مسلمة منه

اللغة

القدر كون الشيء مساويا لغيره من غير زيادة ولا نقصان وقدر الله هذا الامر يقدره قدرا اذا جعله على مقدار ما تدعو اليه الحكمة والشهر في الشرع عبارة عما بين هلالين من الايام وانما سمّي شهرا لاشتهاره بالهلال وقد يكون الشهر ثلاثين ويكون تسعة وعشرين اذا كان هلاليا فإن لم يكن هلاليا فهو ثلاثون

الاعراب

خير من الف شهر تقديره خير من الف شهر لا ليلة قدر فيه فحذف الصفة وقوله سلام هي هي مبتدأ وسلام خبر مقدم عليه وهو بمعنى الفاعل لأنه اذا حمل على المصدر لم يجز تعليق حتى به لأنه لا يفصل بين الصلة والموصول ومثله قول الشاعر

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ ... وَهَلْ كُفَلَائِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءُ

سواء بمعنى مستو والتقدير فهل كفلائي مستوون في الوفاء لابدّ من هذا التقدير لأن سواء لو كانت

مصدراً لما تقدّم عليه ما في صلته ويجوز تعليق حتى بقوله تنزل الملائكة ولا يجوز ان يكون هي مبتدأ وتكون حتى نكرة في موضع الخبر لأنه لا فائدة فيه اذ كل ليلة بهذه الصفة ومطلع مجرور بحتى وهو في معنى الى

﴿ المعنى ﴾

(انا انزلناه) الهاء كناية عن القرآن وان لم يجر له ذكر لأنه لا يشتبه الحال فيه (في ليلة القدر) قال ابن عباس انزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم كان ينزله جبريل (ع) على محمد ﷺ نجوما وكان من اوله الى آخره ثلاث وعشرون سنة وقال الشعبي معناه انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر وقال مقاتل انزله من اللوح المحفوظ الى السفرة وهم الكتبة من الملائكة في السماء الدنيا وكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبرائيل (ع) على النبي ﷺ في السنة كلها الى مثلها من القابل والكلام في ليلة القدر على ضروب ﴿ فالاول ﴾ اختلاف العلماء في معنى هذا الاسم ومأخذه فقيل سميت ليلة القدر لأنها الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كل امر عن الحسن ومجاهد وهي الليلة المباركة في قوله انا انزلناه في ليلة مباركة لأن الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة وروى ابو الضحى عن ابن عباس انه كان يقضي القضايا في ليلة النصف من شعبان ثم يسلمها الى ارباباها في ليلة القدر وقيل لليلة القدر اي ليلة الشرف والخطر وعظم الشأن من قولهم رجل له قدر عند الناس أي منزلة وشرف ومنه ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته عن الزهري قال ابو بكر الوراق لأن من لم يكن ذا قدر اذا احياها صار ذا قدر وقال غيره لأن للطاعات فيها قدراً عظيما وثواباً جزيلا وقيل سميت ليلة القدر لأنه انزل فيها كتاب ذو قدر الى رسول ذي قدر لاجل امة ذات قدر على يدي ملك ذي قدر وقيل هي ليلة التقدير لأن الله تعالى قدّر فيها انزال القرآن وقيل سمّيت بذلك لأن الارض تضيق فيها بالملائكة من قوله ومن قدر عليه رزقه عن الخليل بن احمد ﴿ الضرب الثاني ﴾ اختلافهم في انها أيّة ليلة فذهب قوم الى انها انا كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت وجاءت الرواية عن ابي ذر انه قال قلت يا رسول الله ليلة القدر هي شيء تكون على عهد الانبياء ينزل فيها فإذا قبضوا رفعت قال لا بل هي الى يوم القيامة وقيل انها في ليالي السنة كلها ومن علق طلاق امرأته على ليلة القدر لم يقع الى مضي السنة وهو مذهب ابي حنيفة وفي بعض الروايات عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول كله يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال رحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكنه اراد ان لا يتكل الناس وجمهور العلماء على انها في شهر رمضان في كل سنة ثم اختلفوا في اي ليلة هي منه فقيل هي اول ليلة منه عن ابن زيد العقيلي وقيل هي ليلة سبع عشرة منه عن الحسن وروي انها ليلة الفرقان وفي صبيحتها التقى الجمعان والصحيح انها في العشر الاواخر من شهر رمضان وهو مذهب الشافعي وروي مرفوعا انه ﷺ قال التمسوها في العشر الاواخر وعن علي (ع) ان النبي ﷺ كان يوقظ اهله في العشر الاواخر من شهر رمضان قال وكان اذا دخل العشر الاواخر دأب وأدأب اهله وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال كان رسول الله ﷺ اذا دخل العشر الاواخر شدّ المئزر واجتنب النساء واحيا الليل وتفرغ للعبادة ثم اختلفوا في انها أيّة ليلة من العشر فقيل انها ليلة احدى وعشرين وهو مذهب ابي سعيد الخدري واختيار الشافعي قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ رأيت هذه الليلة ثم انسيتها ورأيتني اسجد في ماء وطين فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر

قال فأبصرت عيناي رسول الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وانفه اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين اورده البخاري في الصحيح وقيل هي ليلة ثلاث وعشرين منه عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول اني رأيت في النوم كأن ليلة القدر هي ليلة سابعة تبقى فقال ﷺ ارى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن كان منكم يريد ان يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة ثلاث وعشرين قال معمر كان ايوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وسأل عمر بن الخطاب اصحاب رسول الله ﷺ فقال قد علمتم ان رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر اطلبوها في العشر الاواخر وترا ففي اي الوتر ترون فاكثر القوم في الوتر قال ابن عباس فقال لي مالك لا تتكلم يا ابن عباس فقلت رأيت الله اكثر ذكر السبع في القرآن فذكر السماوات سبعا والارضين سبعا والطواف سبعا والجمار سبعا وماشاء الله من ذلك خلق الإنسان من سبعة وجعل رزقه في سبعة فقال كل ما ذكرت عرفت فما قولك خلق الانسان من سبعة وجعل رزقه في سبعة فقلت خلق الانسان من سلالة من طين الى قوله خلقا آخر ثم قرأت انا صببنا الماء صبا الى قوله وفاكهة وابا فما اراها الا ليلة ثلاث وعشرين لسبع بقين فقال عمر عجزتم ان تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم يجتمع شؤون رأسه قال وقال عمر وافق رأي رأيك ثم ضرب منكبي فقال ما أنت بأقل القوم علما وروى العياشي باسناده عن زرارة عن عبد الواحد بن المختار الانصاري قال سألت ابا جعفر (ع) عن ليلة القدر قال في ليلتين ليلة ثلاث وعشرين واحدى وعشرين فقلت افرد لي احداهما فقال وما عليك ان تعمل في ليلتين هي احداهما وعن شهاب بن عبد ربه قال قلت لأبي عبد الله (ع) اخبرني بليلة القدر فقال ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وعن حماد ابن عثمان عن حسان بن ابي علي قال سألت ابا عبد الله (ع) عن ليلة القدر قال اطلبها في تسع عشرة واحدى وعشرين وثلاث وعشرين وفي كتاب من لا يحضره الفقيه عن علي بن حمزة قال كنت عند ابي عبد الله (ع) فقال له ابو بصير جعلت فداك الليلة التي يرجى فيها ما يرجى اي ليلة هي فقال هي ليلة احدى وعشرين وثلاث وعشرين قال فإن لم أقو على كانتيهما فقال ما ايسر ليلتين فيما تطلب قال قلت فربما رأينا الهلال عندنا وجاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك في ارض اخرى فقال ما ايسر اربع ليال فيما تطلب فيها قلت جعلت فداك ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني[1] قال ان ذلك ليقال قلت جعلت فداك ان سليمان بن خالد روى ان في تسع عشرة يكتب وفد الحاج فقال يا ابا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والبلايا والارزاق ما يكون الى مثلها في قابل فاطلبها في احدى وثلاث وصل في كل واحدة منها مائة ركعة واحيها إن استطعت الى النور واغتسل فيهما قال قلت فإن لم اقدر على ذلك وانا قائم قال فصل وانت جالس قلت فإن لم استطع قال فصل فراشك قلت فإن لم استطع فقال لا عليك ان تكتحل اول الليل بشيء من النوم ان ابواب السماء تفتح في شهر رمضان وتصفد الشياطين وتقبل اعمال المؤمنين نعم الشهر شهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله ﷺ المرزوق وفي رواية عبد الله بن بكير عن زرارة عن احدهما قال سألته عن الليالي التي يستحب فيها الغسل في شهر رمضان فقال ليلة تسع عشرة وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وقال ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة الجهني وحديثه انه قال لرسول الله ﷺ ان منزلي نأى عن المدينة فمرني بليلة ادخل فيها فأمره بليلة ثلاث وعشرين قال الشيخ ابو جعفر (ره) واسم الجهني عبد الله بن انيس الانصاري وقيل انها ليلة سبع وعشرين عن ابي بن كعب وعائشة وروي ان ابن عباس وابن عمر قالا قال رسول الله ﷺ

(١) جهنى : اسم رجل صحابى سيأتى قصته

تحروها ليلة سبع وعشرين وعن زر بن حبيش قال قلت لأبي يا ابا المنذر من اين علمت انها ليلة سبع وعشرين قال بالآية التي انبأ بها رسول الله ﷺ قال تطلع الشمس غداتئذ كأنها طست ليس لها شعاع وقال بعضهم ان الله قسم كلمات هذه السورة على ليالي شهر رمضان فلما بلغ السابعة والعشرين اشار اليها فقال هي وقيل انها ليلة تسع وعشرين وروي عن ابي بكرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول التمسوها في العشر الاواخر في تسع بقين او سبع بقين او خمس بقين او ثلاث بقين اوآخر ليلة والفائدة في اخفاء هذه الليلة ان يجتهد الناس في العبادة ويحيوا جميع ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما ان الله سبحانه اخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في الاسماء وساعة الإجابة في ساعات الجمعة ❊ والضرب الثالث ❊ ذكر بعض ما ورد في فضل هذه الليلة روى ابن عباس عن النبي انه قال اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى ومنهم جبرائيل فينزل جبرائيل (ع) ومعه ألوية ينصب لواء منها على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلم عليه الا مدمن الخمر وآكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران[1] وعنه ﷺ قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفرله ما تقدّم من ذنبه وعنه ﷺ قال ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع فيها على احد بخبل او داء او ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيه سحر ساحر وروى الحسن عن النبي ﷺ قال في ليلة القدر انها ليلة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع ثم قال الله سبحانه تعظيماً لشأن هذه الليلة وتنبيهاً لعظم قدرها وشرف محلها (وما أدراك ما ليلة القدر) فكأنه قال وما ادراك يا محمد ما خطر ليلة القدر وما حرمتها وهذا حثٌّ على العبادة فيها ثم فسّر سبحانه تعظيمه وحرمته فقال (ليلة القدر خير من ألف شهر) أي قيام ليلة القدر والعمل فيها خير من قيام ألف شهر ليس فيه ليلة القدر وصيامه عن مقاتل وقتادة وذلك ان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير من النفع فلما جعل الله الخير الذي يُرجى ليلة القدر كانت خيراً من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما يكون في هذه الليلة وذكر عطاء عن ابن عباس قال ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني اسرائيل انه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله تعالى الف شهر فعجب من ذلك رسول الله ﷺ عجباً شديداً وتمنى ان يكون ذلك في امته فقال يا رب جعلت امتي أقصر الناس اعماراً واقلها اعمالا فأعطاه الله ليلة القدر وقال ليلة القدر خير من الف شهر الذي حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولأمتك من بعدك الى يوم القيامة في كل رمضان ثم اخبر سبحانه بما يكون في تلك الليلة فقال (تنزل الملائكة) اي تتنزل الملائكة (والروح) يعني جبرائيل (فيها) أي في ليلة القدر الى الارض ليسمعوا الثناء على الله وقراءة القرآن وغيرها من الاذكار وقيل ليسلموا على المسلمين بإذن الله أي بأمر الله وقيل ينزلون بكل امر الى السماء الدنيا حتى يعلم ذلك اهل السماء الدنيا فيكون لطفا لهم وقال كعب ومقاتل بن حيان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل الروح هو الوحي كما قال و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اي تنزل الملائكة ومعهم للوحي بتقدير الخيرات والمنافع (بإذن ربهم) اي بأمر ربهم كما قال وما نتنزل الا بأمر ربك وقيل بعلم ربهم كما قال انزله بعلمه (من كل امر) أي بكل امر من الخير والبركة كقوله يحفظونه من امر الله اي بأمر الله وقيل بكل امر من اجل ورزق الى مثلها من العام القابل

[1] المتضمخ : التلطخ بالطيب وغيره والاكثار منه

صلى هذا يكون الوقف هنا تاما ثم قال (سلام هي حتى مطلع الفجر) أي هذه ليلة الى آخرها سلامة من الشرور والبلايا وآفات الشيطان وهو تأويل قوله في ليلة مباركة عن قتادة وقال مجاهد يعني ان ليلة القدر سالمة عن ان يحدث فيها سوء اويستطيع شيطان ان يعمل فيها وقيل معناه سلام على اولياء الله واهل طاعته فكلما لقيهم الملائكة في هذه الليلة سلّموا عليهم من الله تعالى عن عطاء والكلبي وقيل ان تمام الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدأ فقال من كل امر سلام أي بكل امر فيه سلامة ومنفعة وخير وبركة لأن الله يقدر في تلك الليلة كل ما فيه خير وبركة ثم قال هي حتى مطلع الفجر اي السلامة والبركة والفضيلة تمتد الى وقت طلوع الفجر ولا يكون في ساعة منها فحسب بل يكون في جميعها والله اعلم بالصواب

سورة لم يكن

وتسمى سورة البرية وسورة القيمة مدنية وقيل مكية

عدد آيها

تسع آيات بصري ثمان في الباقين

اختلافها

آية مخلصين له الدين بصري

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها كان يوم القيامة مع خير البرية مسافراً ومقيما وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: لو يعلم الناس ما في لم يكن لعطلوا الاهل والمال وتعلموها فقال رجل من خزاعة ما فيها من الاجر يا رسول الله فقال لا يقرأها منافق ابداً ولا عبد في قلبه شك في الله عز وجل والله ان الملائكة المقربين ليقرؤنها منذ خلق الله السماوات والارض لا يفترون عن قراءتها وما من عبد يقرؤها بليل الا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة فإن قرأها نهاراً اعطي طبها من الثواب مثل ما اضاء عليه النهار واظلم عليه الليل فقال رجل من قيس عيلان زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فداك ابي وامي فقال ﷺ تعلموا عم يتساءلون وتعلموا قَ والقرآن المجيد وتعلموا والسماء ذات البروج وتعلموا والسماء والطارق فإنكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما انتم فيه وتعلمتموهن وتقربتم الى الله بهن وان الله يغفر بهن كل ذنب الا الشرك بالله واعلموا ان تبارك الذي بيده الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة وتستغفر له من الذنوب. ابو بكر الحضرمي عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة لم يكن كان بريئا من الشرك وادخل في دين محمد ﷺ وبعثه الله مؤمناً وحاسبه الله حساباً يسيراً

تفسيرها

بيّن الله سبحانه في سورة القدر ان القرآن حجة ثم بيّن في هذه السورة ان الكفار قبله لم يخلوا قط من حجة فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ

حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٢) رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٣) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٤) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٥) وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ (٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُولَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ (٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٨) جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ (ثماني آيات)

القراءة

قرأ نافع وابن ذكوان البرية مهموزة والباقون بغير همز

الحجة

قال ابو علي البرية من برأ الله الخلق فالقياس فيه الهمز الا انه مما ترك همزه كقولهم النبي والذرية والخابية فالهمزة فيه كالرد الى الاصل المتروك في الاستعمال كما ان همز النبي كذلك وترك الهمز اجود لأنه لما ترك فيه الهمز صار كرده الى الاصول المرفوضة مثل ظننوا وهمز من همز البرئية يدل على فساد قول من قال انه من البرى الذي هو التراب

اللغة

الانفكاك الانفصال عن شدة اتصال قال ذو الرمة

قَلَائِصُ مَا تَنْفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرًا (١)

واكثر ما يستعمل ذلك في النفي مثل ما زال تقول ما انفك من هذا الامر اي ما انفصل منه لشدة ملابسته له والبينة الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل واصلها من البينونة وفصل الشيء من غيره فالنبي ﷺ حجة وبينة واقامة الشهادة العادلة بينة وكل برهان ودلالة بينة والقيمة المستمرة في جهة الصواب والحنيف المائل الى الصواب والحق والحنيفية الشريعة المائلة الى الحق واصله الميل ومن ذلك الاحنف المائل القدم الى جهة القدم الاخرى وقيل اصله الاستقامة وانما قيل للمائل القدم احنف على وجه التفاؤل

الاعراب

رسول من الله بدل من البينة قبله وقال الفراء هو مستأنف تقديره هو رسول. دين القيمة تقديره دين ملة القيمة لأنه اذا لم يقدر ذلك كان اضافة الشيء الى صفته وذلك غير جائز لأنه بمنزلة اضافة الشيء الى نفسه جزاؤهم عند ربهم جنات عدن اي دخول جنات عدن خالدين فيها حال من مضمر اي يجزونها خالدين فيها

المعنى

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) اي ومن المشركين الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب (منفكين) أي منفصلين وزائلين وقيل لم يكونوا منتهين عن كفرهم بالله وعبادتهم غير الله عن ابن عباس في رواية عطاء والكلبي

(١) هذا البيت من قصيدة طويلة لذي الرمة يقال لها احجية العرب والقلائص جمع القلوص : الناقة الشابة . وفي رواية جامع الشواهد وشرح الاشموني : «حراجيج» بدل «قلائص» ومر في الكتاب بلفظ حراجيج ايضا في ج٣ : ١٩٨ وهي جمع حرجوج : الناقة الضامرة الشديدة . و اناخ البعير : ابركه . والخسف : الجوع

(حتى تأتيهم) اللفظ لفظ الاستقبال ومعناه المضي كقوله ما تتلو الشياطين أي ما تلت وقوله (البينة) يريد محمدا ﷺ عن ابن عباس ومقاتل بيّن سبحانه لهم ضلالهم وشركهم وهذا اخبار من الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى اتاهم محمد ﷺ فبيّن لهم ضلالهم عن الحق ودعاهم إلى الإيمان وقيل معناه لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج الله حتى تأتيهم البينة التي تقوم بها الحجة عليهم وقوله (رسول من الله) بيان للبينة وتفسير لها اي رسول من قبل الله (يتلو) عليهم (صحفا مطهرة) يعني مطهرة في السماء لا يمسها إلا الملائكة المطهرون من الانجاس عن الحسن والجبائي وهو محمد صلى الله عليه وآله أتاهم بالقرآن ودعاهم إلى التوحيد والإيمان (فيها) اي في تلك الصحف (كتب قيمة) أي مستقيمة عادلة غير ذات عوج تبين الحق من الباطل وقيل مطهرة عن الباطل والكذب والزور يريد القرآن عن قتادة ويعني بالصحف ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها ويدل على ذلك أن النبي ﷺ كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب وقيل معناه رسول من الملائكة يتلو صحفا من اللوح المحفوظ عن ابي مسلم وقيل فيها كتب قيمة معناه في هذه الصحف التي هي القرآن كتب قيمة اي ان القرآن يشتمل على معاني الكتب المتقدمة فتاليها تالي الكتب القيمة كما قال مصدقا لما بين يديه فإذا كان مصدقا لها كان تاليا لها وقيل معناه في القرآن كتب قيمة بمعنى أنه يشتمل على انواع من العلوم كل نوع كتاب قال السدي فيها فرائض الله العادلة (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) يعني وما اختلف هؤلاء في امر محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءتهم البشارة به في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم فكانت الحجة قائمة عليهم فكذلك لا يترك المشركون من غير حجة تقوم عليهم وقيل معناه ولم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فآمن به بعضهم و كفر آخرون ثم ذكر سبحانه ما امروا به في كتبهم فقال (وما امروا إلا ليعبدوا الله) أي لم يأمرهم الله تعالى إلا لأن يعبدوا الله وحده لا يشركون بعبادته فهذا ما لا تختلف فيه ملة ولا يقع فيه تبدل (مخلصين له الدين) لا يخلطون بعبادته عبادة ما سواه (حنفاء) مائلين عن جميع الاديان إلى دين الإسلام مسلمين مؤمنين بالرسل كلهم قال عطية إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج وإذا انفرد كان معناه المسلم وهو قول ابن عباس لأنه قال حنفاء اي حجاجا وقال ابن جبير لا تسمي العرب حنيفا إلا من حج واختتن قال قتادة الحنيفية الختان وتحريم البنات والامهات والاخوات والعمات والخالات واقامة المناسك (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة) أي ويداوموا على اقامة الصلاة ويخرجوا ما فرض عليهم في اموالهم من الزكاة (وذلك) يعني الدين الذي قدّم ذكره (دين القيمة) أي دين الكتب القيمة التي تقدّم ذكرها وقيل دين الملة القيمة والشريعة القيمة قال النضر بن شميل سألت الخليل عن هذا فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد فالمراد وذلك دين القائمين لله بالتوحيد وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر لأن فيها تصريحاً بأنه سبحانه انما خلق الخلق ليعبدوه واستدلّ بهذه الآية ايضاً على وجوب النية في الطهارة اذ أمر سبحانه بالعبادة على وجه الاخلاص ولا يمكن الاخلاص الا بالنية والقربة والطهارة عبادة فلا تجزي بغير نيّة ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال (إن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين) يعني من جحد توحيد الله وانكر نبوة نبيه ﷺ ومن اشرك معه إلها آخر في العبادة (في نار جهنم خالدين فيها) لا يفنى عقابهم (اولئك هم شرّ البرية) أي شرّ الخليقة ثم اخبر عن حال المؤمنين فقال (إن الذين

آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) أي خير الخليقة (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) مر معناه (خالدين فيها ابدا) أي مؤبدين فيها دائما (رضي الله عنهم) بما قدموه من الطاعات (ورضوا عنه) بما جازاهم من الثواب وقيل رضي الله عنهم اذ وحدوه ونزهوه عما لا يليق به وأطاعوه ورضوا عنه اذ فعل بهم ما رجوا من رحمته وفضله (ذلك) الرضا والثواب (لمن خشي ربه) فترك معاصيه وفعل طاعاته وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابي القاسم الحسكاني (ره) قال اخبرنا ابو عبد الله الحافظ بالاسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الانصاري كاتب علي (ع) قال سمعت عليا (ع) يقول قبض رسول الله ﷺ وانا مسنده إلى صدري فقال يا علي ألم تسمع قول الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية هم شيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الامم للحساب يدعون غرا محجلين وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله هم خير البرية قال نزلت في علي (ع) وأهل بيته

سورة اذا زلزلت

مدنية عن ابن عباس وقتادة مكية عن الضحاك وعطاء

﴿ عدد آياتها ﴾

ثمان آيات كوفي والمدني الأول تسع في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية اشتاتا غير الكوفي والمدني الأول

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فكأنما قرأ البقرة واعطي من الأجر كمن قرأ ربع القرآن وعن انس بن مالك قال سأل النبي ﷺ رجلا من اصحابه فقال يا فلان هل تزوجت قال لا وليس عندي ما اتزوج به قال أليس معك قل هو الله احد قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك إذا زلزلت قال بلى قال ربع القرآن ثم قال تزوج تزوج تزوج وعن ابي عبد الله (ع) قال لا تملوا من قراءة إذا زلزلت فإن من كانت قراءته في نوافله لم يصبه الله بزلزلة ابدا ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدنيا وإذا مات امر به إلى الجنة فيقول الله سبحانه عبدي ابحتك جنتي فاسكن منها حيث شئت وهويت ممنوع ولا مدفوع عنه

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة ببيان حال المؤمنين والكافرين وافتتح هذه السورة ببيان وقت ذلك فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (٢) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٣) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَالَهَا (٤) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٥) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٦) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ

أَلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ (٧) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٨) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ

القراءة

في بعض الروايات عن الكسائي خيرا يره وشرا يره بضم الياء فيهما وهي رواية ابان عن عاصم ايضا وهي قراءة علي (ع) والباقون يره بفتح الياء في الموضعين إلا أن ابا جعفر وروحا ورويسا قرأوا بضم الهاء ضمة مختلسة غير مشبعة

الحجة

قال ابو علي من قرأ يره جعل الفعل منقولا من رأيت زيدا اذا ادركته ببصرك واريته عمراً وبنى الفعل للمفعول ومن قرأ يره فالتقدير جزاءه واثبات الواو في يرهو بعد الهاء هو الوجه كما تقول اكرمهو لأن هذه الهاء يتبعها حرف اللين الواو والياء إذا كان قبلها كسرة او ياء نحو بهي وعليهي وقد جاء في الشعر نحوه قوله « وَنَضْوَايَ مُشْتَاقَانِ لَهْ أَرِقَانِ »(١)

اللغة

الزلزلة شدة الاضطراب والزلزال بكسر الزاي المصدر وبفتحها الاسم وزلزلت ورجفت ورجت بمعنى واحد والاثقال جمع الثقل وسمى سبحانه الموتى اثقالا تشبيها بالحمل الذي يكون في البطن لأن الحمل سمي ثقلا كما قال سبحانه فلما اثقلت وتقول العرب ان للسيد الشجاع ثقلا على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي اخاها صخراً

أَبَعْدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ ... حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

عنت بذلك انه حلّ عن الارض ثقل بموته لسؤدده وعزه وقيل معناه زينت موتاها به من الحلية وقال الشمردل اليربوعي يرثي اخاه

وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالَهَا الْأَرْضُ وَانْتَهَى ... لِمَثْوَاهُ مِنْهَا وَهْوَ عَفٌّ شَمَائِلُهْ

وذكر ابن السائب أن زهير بن ابي سلمى قال بيتا ثم أكدى(٢) فمرّ به النابغة الذبياني فقال له يا ابا امامة اجز قال ماذا قال: تَزَالُ الْأَرْضُ إِمَامِتَّ خِفَّاً ... وَتَحْيَا مَا حَيِيتَ بِهَا ثَقِيلاً

نَزَلْتَ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا

. . . . . .

فماذا قال فأكدى والله النابغة الذبياني واقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له ابوه اجز يا بني قال ماذا فانشده فقال كعب « فَتَمْنَعُ جَانِبَيْهَا أَنْ تَزُولَا » فقال له زهير انت والله ابني. واوحي ووحى بمعنى واحد قال العجاج « وَحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ »(٣)

الإعراب

العامل في إذا قوله فمن يعمل مثقال ذرة وقوله خيراً منصوب على التمييز وقيل ان العامل في إذا قوله تحدث اخبارها ويكون يومئذ تكراراً أي اذا زلزلت الارض تحدث اخبارها وقيل أن التقدير وقال الإنسان يومئذ مالها يومئذ تحدث اخبارها فقيل ذلك بأن ربك أوحى لها وتحدث يجوز أن يكون على الخطاب اي تحدث انت ويجوز أن يكون على تحدث هي

(١) النضو : البعير المهزول . وقبله « فظللت لدى البيت العتيق اخيله » وقدمر في المجلد الثالث ص ١٦٢ وغيره بلفظ « ومطواى » بدل « ونضواى » . (٢) اكدى بمعنى قطع (٣) وعجزه « وشدها بالراسيات الثبت » وقدمر في الكتاب مراراً

المعنى

خوَّف الله سبحانه عباده اهوال يوم القيامة فقال (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي إذا حركت الأرض تحريكا شديداً لقيام الساعة زلزالها التي. كتب عليها ويمكن أن يكون إنما اضافها إلى الأرض لأنها تعمّ جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهودة التي تختص ببعض الأرض فيكون في قوله زلزالها تنبيهاً على شدتها (وأخرجت الأرض اثقالها) أي اخرجت موتاها المدفونة فيها تخرجها احياء للجزاء عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وقيل معناه لفظت ما فيها من كنوزها ومعادنها فتلقيها على ظهرها ليراها اهل الموقف وتكون الفائدة في ذلك أن يتحسر العصاة إذا نظروا اليها لأنهم عصوا الله فيها ثم تركوها لا تغني عنهم شيئا وأيضا فإنه تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم (وقال الإنسان مالها) أي ويقول الإنسان متعجبا ما للأرض تتزلزل يعني مالها حدث فيها ما لم يعرف منها عن ابي مسلم وقيل إن المراد بالإنسان الكافر لأن المؤمن معترف بها لا يسأل عنها أي يقول الكافر الذي لم يؤمن بالبعث أيّ شيء زلزلها واصارها الى هذه الحالة (يومئذ تحدث اخبارها) أي تخبر بما عمل عليها وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال أتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها أن تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا و كذا يوم كذا و كذا وهذا اخبارها وعلى هذا فيجوز أن يكون الله تعالى احدث الكلام فيها وإنما نسبه اليها توسعا ومجازاً ويجوز أن يقلبها حيوانا يقدر على النطق ويجوز أن يظهر فيها ما يقوم مقامه الكلام فعبَّر عنه بالكلام كما يقال عيناك تشهدان بسهرك و كقول الشاعر « وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعاً وَطَاعَةً »(١) وقد مرَّ امثاله وقوله (بأن ربك اوحى لها) معناه أن الأرض تحدث بها فتقول ان ربك يا محمد اوحى لها أي ألهمها وعرفها بأن تحدث اخبارها وقيل بأن تلقي الكنوز والاموات على ظهرها يقال اوحى له واليه اي القى اليه من جهة تخفى قال الفراء تحدث اخبارها بوحي الله واذنه لها وقال ابن عباس اذن لها لتخبر بما عمل عليها وروى الواحدي بإسناده مرفوعا إلى زبيعة الحرشي قال قال رسول الله ﷺ حافظوا على الوضوء وخير اعمالكم الصلاة وتحفظوا من الأرض فإنها امكم وليس فيها احد يعمل خيراً او شرّاً الا وهي مخبرة به وقال ابو سعيد الخدري إذا كنت بالبوادي فارفع صوتك بالأذان فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يسمعه جن ولا انس ولا حجر إلا يشهد له (يومئذ يصدر الناس اشتاتا) أي يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين اهل الإيمان على حدة وأهل كل دين على حدة وهذا كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقوله يومئذ يصدعون (ليروا اعمالهم) اي ليروا جزاء أعمالهم عن ابن عباس والمعنى انهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار وقيل معنى الرؤية هنا المعرفة بالاعمال عند تلك الحال وهي رؤية القلب ويجوز أن يكون التأويل على رؤية العين بمعنى ليروا صحائف اعمالهم فيقرؤون ما فيها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) أي فمن يعمل وزن ذرة من الخير ير ثوابه وجزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) اي ير ما يستحق عليه من العقاب ويمكن ان يستدل بها على بطلان الاحباط لأن الظاهر يدل على انه لا يفعل احد شيئاً من طاعة أو معصية إلا ويجازى عليها وما يقع محبطا لا يجازى عليه وليس لهم أن يقولوا إن الظاهر بخلاف ما تذهبون اليه في جواز العفو عن مرتكب الكبيرة وذلك لأن الآية مخصوصة بالإجماع فإن التائب معفو عنه بلا خلاف وعندهم أن من شرط المعصية التي يؤاخذ بها أن

(١) مر البيت بتمامه في صفحة ١٨٥ من المجلد الثالث وصفحة ٣٦٧ من هذا الجزء .

لا تكون صغيرة فجاز لنا ايضا أن نشرط فيها أن لا يكون مما يعفو الله عنه وقال محمد بن كعب معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا وهو كافر يرَ ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شراً وهو مؤمن يرَ عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شرّ وقال مقاتل فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به و كذلك من الشرّ يراه في كتابه فيسوءه ذلك قال وكان احدهم يستقل ان يعطي اليسير ويقول إنما نوجر على ما نعطي ونحن نحبّه وليس اليسير مما يحبّ ويتهاون بالذنب اليسير ويقول إنما وعد الله النار على الكبائر فانزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ويحذرهم اليسير من الشر وعن ابي عثمان المازني عن ابي عبيدة قال قدم صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم فقال بأبي أنت يارسول الله اوصني خيراً فقال اوصيك بأمك وأبيك وادانيك قال زدني يارسول الله قال احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال رسول الله ﷺ ما شيء بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر اين الصواب غير أني علمت انهم ليسوا عليه فرأيتهم يثدون بناتهم فعرفت ان الله عز وجل لم يأمرهم بذلك فلم اتركهم يثدون وفديت ما قدرت وفي رواية اخرى أنه سمع فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فقال حسبي ما ابالي أن لا اسمع من القرآن غير هذا وقال عبد الله بن مسعود احكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره إلى آخر السورة وكان ﷺ يسميها الجامعة وتصدق سعد بن ابي وقاص بتمرتين فقبض السائل يده فقال سعد ويحك يقبل الله منا مثقال الذرة والخردلة وكان فيها مثاقيل

سورة العاديات

مدنية عن ابن عباس وقتادة وقيل مكية

عدد آياتها

احدى عشرة آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا . سليمان بن خالد عن ابي عبد الله (ع) قال ومن قرأ والعاديات وادمن قراءتها بعثه الله مع امير المؤمنين (ع) يوم القيامة خاصة وكان في حجره ورفقائه

النظم

اتصلت هذه السورة بما قبلها لما فيها من ذكر القيامة والجزاء اتصال النظير بالنظير فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالْعٰدِيٰتِ ضَبْحًا (٢) فَالْمُورِيٰتِ قَدْحًا (٣) فَالْمُغِيرٰتِ صُبْحًا (٤) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٥) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٦) إِنَّ الْإِنْسٰنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٧) وَإِنَّهُ عَلٰى ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٨)

وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٩) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ (١٠) وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ (١١) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابي حياة فأثرن بتشديد الثاء وقراءة عليّ وقتادة وابن ابي ليلى فوسّطن بتشديد السين

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني فأثرن مثل أبدين وأرين نقعا كما يؤثر الانسان النقش وغيره مما يبديه الناظر وهو من التأثير فالهمزة فاء الفعل واثرن بالتخفيف من الاثارة فالهمزة مزيدة وقوله فوسّطن بالتشديد معناه ميّزن به جمعا أي جعلته شطرين قسمين وشقين ومعنى وسطنه بالتخفيف صرن في وسطه

﴿ اللغة ﴾

الضبح في الخيل الحمحمة عند العدو وقيل هو شدة النفس عند العدو وضبحت الخيل تضبح ضبحا وضباحا وقيل ضبح وضبع بمعنى وهو أن يمدّ ضبعه في السير حتى لا يجد مزيداً وأورى القادح النار يوري ايراء إذا قدح قدحا وتسمى تلك النار نار الجاحب لضعفها قال النابغة

يَقُدُّ ٱلسَّلُوقِيَّ ٱلْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدْنَ بِٱلصَّفَّاحِ نَارَ ٱلْجَاحِبِ (١)

وهو اسم رجل كان بخيلا وكانت ناره ضعيفة لئلا يراها الاضياف فضربوا المثل بناره وشبهوا نار الحوافر بها لقلتها والنقع الغبار يغوص فيه صاحبه كما يغوص في الماء والكنود الكفور ومنه الأرض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا والاصل فيه منع الحق والخير قال الاعشى

أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إِنَّهَا كَنِدٌ لِوَصْلِ ٱلزَّائِرِ ٱلْمُعْتَادِ

وقيل إنما سميت كندة لقطعها اياها

﴿ النزول ﴾

قيل بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حيّ من كنانة فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري احد النقباء فتأخر رجوعهم فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا عن مقاتل وقيل نزلت السورة لما بعث النبي ﷺ عليا (ع) إلى ذات السلاسل فأوقع بهم وذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة فرجع كل منهم إلى رسول الله ﷺ وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) في حديث طويل قال وسمّيت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنه اسر منهم وقتل وسبى وشدّ اسراهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل ولما نزلت السورة خرج رسول الله ﷺ الى الناس فصلى بهم الغداة وقرأ فيها والعاديات فلما فرغ من صلاته قال اصحابه هذه سورة لم نعرفها فقال رسول الله ﷺ نعم ان علياً ظفر باعداء الله وبشّرني بذلك جبرئيل (ع) في هذه الليلة فقدم علي (ع) بعد ايام بالغنائم والأسارى

﴿ المعنى ﴾

(والعاديات ضبحا) قيل هي الخيل في الغزو تعدو في سبيل الله عن ابن عباس وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد وقتادة والربيع قالوا أقسم الله بالخيل العادية لغزو الكفار وهي تضبح ضبحا وضبحها صوت

(١) مر البيت بمعناه في صفحة ١٩٣ من المجلد الثالث وصفحة ٥٢ من المجلد الرابع بلفظه تجد ، بدله تقده فراجع

أجوافها اذا عدَت ليس بصهيل ولا حمحمة ولكنه صوت نفس وقيل هي الابل حين ذهبت الى غزوة بدر تمدّ اعناقها في السير فهي تضبح اي تضبع روي ذلك عن علي (ع) وابن مسعود والسدي وروي ايضا انها ابل الحاج تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قالت صفية بنت عبد المطلب

أَلَا وَالْعَادِيَاتِ غَدَاةَ جَمْعٍ ... بِأَيْدِيهَا إِذَا سَطَعَ الْغُبَارُ

واختلفت الروايات فيه فروي عن ابي صالح انه قال قاولت فيه عكرمة فقال عكرمة قال ابن عباس هي الخيل في القتال فقلت انا قال علي (ع) هي الابل في الحج وقلت مولاي اعلم من مولاك وفي رواية اخرى أن ابن عباس قال هي الخيل ألا تراه يقول فأثرن به نقعا فهل تثيره إلا بحوافرها وهل تضبح الابل إنما تضبح الخيل قال علي (ع) ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرس ابلق للمقداد بن الاسود وفي رواية اخرى لمرثد بن ابي مرثد الغنوي وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال بينا أنا في الحجرة جالس اذ أتاني رجل فسأل عن العاديات ضبحا فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني وذهب إلى علي بن ابي طالب (ع) وهو تحت سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألتَ عنها احداً قبلي قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال الخيل حين تغير في سبيل الله قال فاذهب فادعه لي فلما وقف على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله إن كانت لاول غزوة في الإسلام بدر وما كانت معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات الخيل بل العاديات ضبحا الابل من عرفة إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى قال ابن عباس فرغبت عن قولي ورجعت إلى الذي قاله علي (ع) (فالموريات قدحا) هي الخيل توري النار بحوافرها إذا صارت في الحجارة والأرض المحصبة عن عكرمة والضحاك وقال مقاتل يقدحن بحوافرهن النار في الحجارة قال ابن عباس يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فأورت منه النار مثل الزناد إذا قدح وقال مجاهد يريد مكر الرجال في الحروب تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لأورين لك بزند وار ولأقدحنّ لك وخالف المصدر فيها صدر الكلام ومجازه فالقادحات قدحا وقيل هي النيران يجمع عن محمد بن كعب وقيل هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به عن عكرمة (فالمغيرات صبحا) يريد الخيل تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح وإنما ذكر وقت الصبح لأنهم كانوا يسيرون إلى العدو ليلا فيأتونهم صبحا هذا قول الاكثرين وقيل يريد الابل ترتفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى والسنة ان لا ترتفع بركبانها حتى تصبح والإغارة سرعة السير ومنه قولهم أشرق ثبير كيما نغير[1] عن محمد بن كعب (فأثرن به نقعا) يقال ثار الغبار والدخان واثرته أي هيجته والهاء في به عائد الى معلوم يعني بالمكان أو بالوادي المعنى فهيجن بمكان عدوهنّ غباراً (فوسطن به جمعاً) أي صرن بعدوهنّ او بذلك المكان وسط جمع العدو وهم الكتيبة وقال محمد بن كعب يريد جمع منى (ان الإنسان لربه لكنود) هذا جواب القسم والكنود الكفور الجحود لنعم الله عن ابن عباس وقتادة والحسن ومجاهد وقيل هو بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان مضر وربيعة وقضاعة الكفور عن الكلبي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم عن الحسن اخذه بعض الشعراء فقال :

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي فِعْلِهِ ... وَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى مَنْ ظَلَمَ

(١) كانوا لا يفيضون من المشعر حتى تطلع الشمس وثبير جبل بمكة ومعناه على ما في اللسان ادخل ايها الجبل في الشروق وهو ضوء الشمس كيما نسرع وفي بعض النسخ «كما يغير» .

إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

وروى ابو أمامة عن النبي ﷺ انه قال أتدرون من الكنود قالوا الله ورسوله أعلم قال الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقيل الكنود الذي لا يعطي في النائبة مع قومه عن عطاء وقيل هو القليل الخير عن ابي عبيدة (وانه على ذلك لشهيد) معناه وان الله على كفره لشهيد عن ابن عباس وقتادة وعطاء وقيل ان الهاء تعود الى الانسان والمعني ان الإنسان شاهد على نفسه يوم القيامة بكنوده او في الدنيا فإنك لو سألته عن النعمة لم يذكر اكثرها ويذكر جميع مصائبه وهو معنى قول الحسن (وانه) يعني الانسان (لحب الخير لشديد) اي لأجل حب الخير الذي هو المال اي من اجله لبخيل شحيح يمنع منه حق الله تعالى عن الحسن يقال للبخيل شديد ومتشدد قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد (١)

وقيل معناه وانه لشديد الحب للخير أي المال عن الفراء وقال ابن زيد سمى الله سبحانه المال خيراً وعسى ان يكون خبيثاً وحراماً ولكن لأن الناس يعدّونه خيراً فكذلك سمى الجهاد سوءاً فقال لم يمسسهم سوء أي قتال وليس هو عند الله بسوء لأن الناس يسمّونه سوءاً وقال سبحانه على وجه التذكير والوعيد (افلا يعلم) هذا الإنسان الذي وصفناه (اذا بعثر ما في القبور) أي بعث الموتى ونشروا واخرجوا ومثله بحثر (وحصل ما في الصدور) أي ميزّوا بين ما فيها من الخير والشر وقيل معناه واظهر ما اخفته الصدور ليجازي على السرّ كما يجازي على العلانية (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) قال الزجاج الله سبحانه خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى ان الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم وليس يجازيهم الا بعلمه بأحوالهم واعمالهم ومثله قوله اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ومعناه اولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم وفي هذا اشارة الى الزجر والوعيد فإن الإنسان متى علم ان خالقه يرى جميع اعماله ويعلم سائر افعاله ويحقق ذلك لا بدّ ان ينزجر عن المعاصي

سورة القارعة مكية

عدد آيها

احدى عشرة آية كوفي حجازي ثمان بصري شامي

اختلافها

ثلاث آيات القارعة الاولى كوفي ثقلت موازينه وخفت موازينه كلتاهما حجازي كوفي

فضلها

في حديث ابي من قرأها ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة . عمرو بن ثابت عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ القارعة امنه الله من فتنة الدجال ان يؤمن به ومن قبيح جهنم يوم القيامة

تفسيرها

اتصلت هذه السورة بما قبلها اتصال النظير بالنظير فإن كلتيهما في ذكر القيامة قال سبحانه

(١) اعتام الشيء : اختاره ، والعقيلة : الخيار من كل شيء . يقول : ارى الموت يختار كرام الناس ، وصفوة مال البخلاء اى انه ياخذ النفيس الذى يضن به كما ياخذ الحقير فلا يترك شيئاً .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْقَارِعَةُ (٢) مَا الْقَارِعَةُ (٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٤) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٥) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٦) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٧) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٨) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٩) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (١٠) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (٢١) نَارٌ حَامِيَةٌ

القراءة

روي عن ابي عمرو انه امال القارعة وقرأ حمزة ويعقوب ما هي في الوصل والباقون ما هيه باثبات الهاء ولم يختلفوا في الوقف انها بالهاء

الحجة

قال ابو علي امالة القارعة وان كان المستعلى فيه مفتوحاً جائزة وذلك ان كسرة الراء غلبت عليها فاماتها وقد اماتت ما تباعد عنها نحو قادر وزعم سيبويه ان ذلك لغة قوم ترضى عربيتهم و كذلك طارد وغارم وطاهر وكل ذلك تجوز امالته اذا كانت الراء مكسورة وقال سيبويه وينشد اصحاب هذه اللغة

عَسَى اللهُ يُغْنِي عَنْ بِلَادِ ابْنِ قَادِرٍ ... بِمُنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبِ (١)

واما قوله ما هيه فيوقف عندها لأنها ناصلة والفواصل مواضع وقوف كما ان اواخر الابيات كذلك وهذا مما يقوي حذف الياء من يسر وما اشبهه الا ترى انهم حذفوا الياء من نحو قوله

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ ... ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي (٢)

اللغة

القارعة البلية التي تقرع القلب بشدة المخافة والقرع الضرب بشدة الاعتماد قرع يقرع قرعاً ومنه المقرعة وتقارع القوم في القتال اذا تضاربوا بالسيوف والقرعة كالضرب بالقال وقوارع الدهر دواهيه والفراش الجراد الذي ينفرش ويركب بعضه بعضاً وهو غوغاء الجراد عن الفراء والمبثوث المتفرق في الجهات كأنه محمول على الذهاب فيها والبث التفريق وابثثته الحديث اذا القيته اليه كأنك فرقته بأن جعلته عند اثنين والعهن الصوف ذو الالوان يقال عهن وعهنة وعيشة راضية مرضية بمعنى المفعول وقيل معناه ذات رضى كقولهم فلان نابل اي ذو نبل قال

وَغَرَوْتَنِي وَزَعَمْتُ أَنَّكَ لَابِنٌ ... بِالصَّيْفِ تَامِرُ

أي ذو لبن وتمر وقال النابغة

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ ... وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ (٣)

أي ذي نصب والهاوية من اسماء جهنم وهي المهواة التي لا يدرك قعرها

الإعراب

القارعة مبتدأ وما مبتدأ ثان وما بعده خبره وكان حقه القارعة ما هي لكنه سبحانه كرر تفخيماً لشأنها ومثله قوله لا اقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد والجملة خبر المبتدأ الاول ويجوز ان يكون قوله القارعة مبتدأ ويكون الناس خبره

(١) البيت منسوب الى سماعة بن اشمول . وانهمر الماء : سال والجون : الابيض . والرباب : السحاب الابيض وسكب الماء : صب . (٢) هذا البيت من قصيدة لزهير بن ابي سلمى المزني يمدح بها هرم بن سنان ومطلعها : دلمن الديار بقنة الحجر ☆ اقوين مذحجج ومذدهر ، وقدمر بمعناه في صفحة ٤٨٣ من هذا المجلد وص ٧١ من المجلد الثالث (٣) مضى ←

بمعنى ان القارعة تحدث في هذا اليوم فيكون قوله ما القارعة وما ادراك ما القارعة اعتراضا ويجوز ان يكون التقدير هذا الامر يقع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث

﴿ المعنى ﴾

(القارعة) اسم من اسماء يوم القيامة لأنها تقرع القلوب بالفزع وتقرع اعداء الله بالعذاب (ما القارعة) هذا تعظيم لشأنها وتهويل لأمرها ومعناه وأيُّ شيء القارعة ثم عجَّب نبيَّه ﷺ فقال (وما ادراك ما القارعة) يقول انك يا محمد لا تعلم حقيقة امرها وكنه وصفها على التفصيل وانما تعلمها على سبيل الاجمال ثم بيَّن سبحانه انها متى تكون فقال (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) شبَّه الناس عند البعث بما يتهافت في النار وقال قتادة هذا هو الطائر الذي يتساقط في النار والسراج وقال ابو عبيدة هو طير ينفرش ليس بذباب ولا بعوض لأنهم اذا بعثوا ماج بعضهم الى بعض فالفراش اذا ثار لم يتجه الى جهة واحدة فدلَّ ذلك على انهم يفزعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة وهذا مثل قوله كأنهم جراد منتشر (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وهو الصوف المصبوغ المندوف والمعنى ان الجبال تزول عن اماكنها وتصير خفيفة السير ثم ذكر سبحانه احوال الناس فقال (فأما من ثقلت موازينه) اي رجحت حسناته وكثرت خيراته (فهو في عيشة راضية) أي معيشة ذات رضى يرضاها صاحبها (واما من خفت موازينه) أي خفت حسناته وقلَّت طاعاته والقول في حقيقة الوزن والميزان والاختلاف في ذلك قد مضى ذكره فيما سبق من الكتاب وقد ذكر سبحانه الحسنات في الموضعين ولم يذكر وزن السيئات لأن الوزن عبارة عن القدر والخطر والسيئة لا خطر لها ولا قدر وانما الخطر والقدر للحسنات فكأن المعنى فأما من عظم قدره عند الله لكثرة حسناته ومن خفَّ قدره عند الله لخفة حسناته (فأمه هاوية) اي فمأواه جهنم ومسكنه النار وانما سماها امه لأنه يأوي اليها كما يأوي الولد الى امه ولأن الاصل السكون الى الامهات قال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل اذا وقع في امر شديد قيل هوت امه وقيل انما قال فأمه هاوية لأن العاصي يهوي الى امِّ رأسه في النار عن ابي صالح وقيل انه يهوي فيها وهي المهواة لا يدرك قعرها ثم قال سبحانه (وما ادراك ما هيه) هذا تعظيم وتفخيم لأمرها يريد انك لا تعلم تفصيلها وانواع ما فيها من العقاب وان كنت تعلمها على طريق الجملة والهاء في هيه للوقف ثم فسَّرها فقال (نار حامية) اي نار حارة شديدة الحرارة

سورة التكاثر

مدنية وقيل مكية ثمان آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي ومن قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كأنما قرأ الف آية . شعيب العقرقوفي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الهيكم التكاثر في فريضة كتب له ثواب واجر مائة شهيد ومن قرأها في نافلة كان له ثواب خمسين شهيدا وصلى معه في فريضته اربعون صفا من

← البيت في صفحة ٥٠٨ .

الملائكة . وعن دوست عن ابي عبد الله (ع) قال قال رسول الله ﷺ من قرأ الهاكم التكاثر عند النوم وقي فتنة القبر

تفسيرها

اخبر الله سبحانه في تلك السورة عن صفة القيامة وذكر في هذه السورة من ألهاه عنها التكاثر فقال بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) أَلْهٰيكُمُ التَّكاثُرُ (٢) حَتّٰى زُرْتُمُ المَقابِرَ (٣) كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥) كَلّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ (٦) لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ (٧) ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقِينِ (٨) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

القراءة

قرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وروي ذلك عن علي (ع) والباقون لترون بالفتح

الحجة

قال ابو علي من قال لترون بضم التاء فان رأى فعل يتعدّى الى مفعول واحد تقول رأيت الهلال كما تقول لبست ثوبك فإذا نقلت الفعل بالهمزة زاد مفعول آخر تقول اريت زيداً الهلال فإذا بنيت هذا الفعل للمفعول قلت أري زيد الهلال و كذلك لترون الجحيم

اللغة

الالهاء الصرف الى اللهو وألهو الانصراف الى ما يدعو اليه الهوى يقال لهـا يلهو لهواً ولهى عن الشيء يلهى ومنه قولهم فإذا استأثر الله بشيء فاله عنه والتكاثر التفاخر بكثرة المناقب يقال تكاثر القوم اذا تعادّوا ما لهم من المناقب والزيارة اتيان الموضع كإتيان المألوف على غير اقامة زاره يزوره زيارة ومنه زوّر تزويراً اذا شبّه الخط بما يوهم انه خط فلان وليس به والمزورة من ذلك اشتقّت والفرق بين النعيم والنعمة ان النعمة كالانعام في التضمين لمعنى منعم انعم انعاماً ونعمة وكلاهما موجب للشكر والنعيم ليس كذلك لأنه من نعم نعيماً فلو عمل ذلك بنفسه لكان نعيماً لا يوجب شكراً واما النَعمة بفتح النون فمن نعم بضم العين اذا لان

الإعراب

كلا حرف وليس باسم وتضمنه معنى ارتدع لا يدل على انه كمه بمعنى اسكت ومه بمعنى اكفف الا ترى ان امـا تتضمن معنى مهما يكن من شيء وهو حرف فكذا كلا ينبغي ان يكون حرفاً كلا لو تعلمون جواب لو محذوف وتقديره لما الهاكم التكاثر . وعلم اليقين مصدر وقيل هو قسم والتقدير وعلم اليقين لترون الجحيم اي عذاب الجحيم فحذف لأن رؤيتها ليس بوعيد وان الوعيد برؤية عذابها وتقديره في الاعراب علم الخبر اليقين فحذف المضاف ومثله حبّ الحصيد ولا يجوز الهمز في واو لترون ولترونها على قياس اثؤب في اثوب واعد في وعد لأن الضمة هنا عارضة لالتقاء الساكنين وليست بلازمة واما عين اليقين فانتصابه انتصاب المصدر ايضاً كما تقول رأيته حقاً وتبينته يقيناً والرؤية هنا بمعنى المشاهدة كما قال سبحانه وان منكم الا واردها

النزول

قيل نزلت السورة في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك

حتى ماتوا ضلالا عن قتادة وقيل نزلت في فخذ من الانصار تفاخروا عن ابي بريدة وقيل نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف بن قصي وبني سهم بن عمرو تكاثروا وعدّوا اشرافهم فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم وقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم لأنهم كانوا اكثر عدداً في الجاهلية عن مقاتل والكلبي

المعنى

(الهيكم التكاثر) اي شغلكم عن طاعة الله وعن ذكر الآخرة التكاثر بالاموال والاولاد والتفاخر بكثرتها (حتى زرتم المقابر) اي حتى ادركم الموت على تلك الحال عن الحسن وقتادة وقال الجبائي حتى متم على ذلك ولم تتوبوا وقيل الهيكم التباهي بكثرة المال والعدد عن تدبر امر الله حتى عددتم الاموات في القبور وروى قتادة عن مطرف بن عبد الله الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول الهيكم التكاثر السورة قال يقول ابن آدم مالي مالي ومالك من مالك الا ما اكلت فأفنيت او لبست فأبليت او تصدقت فأمضيت اورده مسلم في الصحيح ثم ردّ الله تعالى عليهم هذا فقال (كلا) اي ليس الامر الذي ينبغي ان تكونوا عليه التكاثر ثم اوعدهم فقال (سوف تعلمون) ثم اكّد ذلك وكرّره فقال (ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم اذا نزل بكم الموت وقيل معناه سوف تعلمون في القبر ثم سوف تعلمون في الحشر رواه زرّ بن حبيش عن علي (ع) قال ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت الهيكم التكاثر الى قوله كلا سوف تعلمون يريد في القبر ثم كلا سوف تعلمون بعد البعث وقيل ان المعنى كلا سوف تعلمون اذا رأيتم دار الابرار ثم كلا سوف تعلمون اذا رأيتم دار الفجار والعرب تؤكد بكلا وحقا (كلا لو تعلمون علم اليقين) هذا كلام آخر يقول لو تعلمون الامر علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر والتباهي بالعز والكثرة وعلم اليقين هو العلم الذي يثلج به الصدر بعد اضطراب الشك فيه ولهذا لا يوصف الله بأنه متيقن ثم استأنف سبحانه وعيداً آخر فقال (لترون الجحيم) على نية القسم عن مقاتل يعني حين تبرز الجحيم في القيامة قبل دخولهم اليها (ثم لترونها) يعني بعد الدخول اليها (عين اليقين) كما يقال حق اليقين ومحض اليقين ومعناه ثم لترونها بالمشاهدة اذا دخلتموها وعذبتم بها (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه اذ لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره واشركوا به ثم يعذبون على ترك الشكر وهذا قول الحسن قال لا يسأل عن النعيم الا اهل النار وقال الاكثرون ان المعنى ثم لتسئلن يا معاشر المكلفين عن النعيم قال قتادة ان الله سائل كل ذي نعمة عما انعم عليه وقيل عن النعيم في المأكل والمشرب وغيرها من الملاذ عن سعيد بن جبير وقيل النعيم الصحة والفراغ عن عكرمة ويعضده ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل هو الامن والصحة عن عبد الله بن مسعود ومجاهد وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وقيل يسأل عن كل نعيم الا ما خصّه الحديث وهو قوله ثلاث لا يسأل عنها العبد خرقة يواري بها عورته او كسرة يسدّ بها جوعته او بيت يكنّه من الحرّ والبرد وروي ان بعض الصحابة اضاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع جماعة من اصحابه فوجدوا عنده تمرا وماء باردا فاكلوا فلما خرجوا قال هذا من النعيم الذي تسألون عنه وروى العياشي باسناده في حديث

طويل قال سأل ابو حنيفة ابا عبد الله (ع) عن هذه الآية فقال له ما النعيم عندك يا نعمان قال القوت من الطعام والماء البارد فقال لئن اوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل اكلة اكلتها وشربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه قال فما النعيم جعلت فداك قال نحن اهل البيت النعيم الذي انعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد ان كانوا مختلفين وبنا الف الله بين قلوبهم وجعلهم اخوانا بعد ان كانوا اعداء وبنا هداهم الله للاسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي انعم الله به عليهم وهو النبي ﷺ وعترته

سورة العصر

مكية ثلاث آيات بالاجماع

﴿ اختلافها ﴾

آيتان والعصر غير المكي والمدني الاخير بالحق مكي والمدني الاخير

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي ومن قرأها ختم الله له بالصبر وكان مع اصحاب الحق يوم القيامة . الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ والعصر في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقا وجهه ضاحكا سنّه قريرة عينه حتى يدخل الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد من الهاه التكاثر وافتتح هذه السورة بمثل ذلك وهو ان الإنسان لفي خسر الا المؤمن الصالح فقال سبحانه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالْعَصْرِ (٢) إِنَّ الْإِنْسٰنَ لَفِي خُسْرٍ (٣) إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

﴿ اللغة ﴾

اصل العصر عصر الثوب ونحوه وهو فتله لإخراج مائه ومنه عصر الدهر فإنه الوقت الذي يمكن فيه فتل الامور كما يفتل الثوب والعصر العشي قال

يَرُوحُ بِنَا عَمْرٌو وَقَدْ قَصُرَ الْعَصْرُ وَفِي الرَّوْحَةِ الْأُولَى الْغَنِيمَةُ وَالْأَجْرُ

والعصران الغداة والعشي والعصران الليل والنهار قال

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

﴿ الاعراب ﴾

اراد بالإنسان الجمع دون المفرد بدلالة انه استثنى منه الذين آمنوا وروى بعضهم عن ابي عمرو وتواصوا بالصبر على لغة من قال مررت ببكر

﴿ المعنى ﴾

(والعصر) اقسم سبحانه بالدهر لأن فيه عبرة لذوي الابصار من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الادوار وهو قول ابن عباس والكلبي والجبائي وقيل هو وقت العشي عن الحسن وقتادة فعلى هذا اقسم سبحانه بالطرف الاخير من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانية الله تعالى بإدبار النهار واقبال الليل وذهاب سلطان الشمس كما اقسم بالضحى وهو الطرف الاول من النهار لما فيه من حدوث سلطان الشمس واقبال النهار واهل الملتين يعظمون هذين الوقتين وقيل اقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى عن مقاتل وقيل هو الليل والنهار ويقال لهما العصران عن ابن كيسان (ان الانسان لفي خسر) هذا جواب القسم والإنسان اسم الجنس والمعنى انه لفي نقصان لأنه ينقص عمره كل يوم وهو رأس ماله فإذا ذهب رأس ماله ولم يكتسب به الطاعة يكون على نقصان طول دهره وخسران إذ لا خسران اعظم من استحقاق العقاب الدائم وقيل لفي خسر اي في هلكة عن الاخفش (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثنى من جملة الناس المؤمنين المصدقين بتوحيد الله العاملين بطاعة الله (وتواصوا بالحق) اي وصى بعضهم بعضا باتباع الحق واجتناب الباطل وقيل الحق القرآن عن الحسن وقتادة وقيل هو الايمان والتوحيد عن مقاتل وقيل هو ان يقولوا عند الموت لمخلفيهم لا تموتنّ الا وانتم مسلمون (وتواصوا بالصبر) اي وصى بعضهم بعضا بالصبر على تحمل المشاق في طاعة الله عن الحسن وقتادة وبالصبر عن معاصي الله اي فإن هؤلاء ليسوا في خسر بل هم في اعظم ربح وزيادة يربحون الثواب باكتساب الطاعات وانفاق العمر فيها فكأن رأس مالهم باق كما ان التاجر اذا خرج رأس المال من يده وربح عليه لم يعدّ ذلك ذهابا وقيل لفي خسر معناه لفي عقوبة وغبن من فوت اهله ومنزله في الجنة وقيل المراد بالإنسان الكافر خاصة وهو ابو جهل والوليد بن المغيرة وفي هذه السورة اعظم دلالة على اعجاز القرآن ألا ترى انها مع قلة حروفها تدل على جميع ما يحتاج الناس اليه في الدين علماً وعملا وفي وجوب التواصي بالحق والصبر اشارة الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء الى التوحيد والعدل واداء الواجبات والاجتناب عن المقبحات وقيل ان في قراءة ابن مسعود والعصر ان الإنسان لفي خسر وانه فيه الى آخر الدهر وروي ذلك عن علي (ع)

سورة الهمزة

مكية وهي تسع آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

وفي حديث ابي من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد ﷺ واصحابه . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ ويل لكل همزة في فريضة من فرائضه نفت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء

﴿ تفسيرها ﴾

اجمل سبحانه في تلك السورة ان الانسان لفي خسر وفصل في هذه السورة تلك الجملة فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (٢) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٣) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٤) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٥) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٦) نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ (٧) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٨) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٩) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ

القراءة

قرأ اهل البصرة وابن كثير ونافع وعاصم جمع بالتخفيف والباقون جمّع بالتشديد. مؤصدة وذكرناه في سورة البلد وقرأ اهل الكوفة غير حفص في عُمُد بضمتين والباقون في عمد بفتح العين والميم

الحجة

قال ابو الحسن المثقلة اكثر تقول فلان يجمع المال من هنا ومن هنا قال ابو عمرو وجمع خفيفة اذا اكثر واذا ثقل فإنما هو شيء بعد شيء قال ابو علي وقد يجوز ان يكون جمع لما يجمع فيما قرب من الوقت ولم يجمع شيئا بعد شيء قال سبحانه ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وقال الاعشى

وَلِمِثْلِ الَّذِي جَمَعْتَ لِرَيْبِ الدَّ ... هْرِ لَا مُسْنَدٌ وَلَا زَمَّالُ (١)

والاشبه ان تكون اداة الحرب لا تجمع في وقت واحد وانما هو شيء بعد شيء فيجوز على هذا ان يكون شيئا بعد شيء في قول من خفف كما يقول ذلك في قول من ثقل ومن قرأ عُمُد جعله جمعا لعَمُود مثل قَدُوم وقُدُم وزَبُور وزُبُر ومن قال عَمَد فإنه جمع عمود ايضا كما قالوا أَفَق وأَدَم وأَهَب في جمع افيق واديم واهاب وهذا اسم من اسماء الجمع غير مستمرّ وقد قالوا حارس وحَرَس وغائب وغَيَب وخادم وخَدَم ورائح ورَوَح وهو في انه غير مطرّد مثل عمد

اللغة

الهمزة الكثير الطعن على غيره بغير حق العائب له بما ليس بعيب واصل الهمز الكسر فكان العائب يعيبه اياه وطعنه فيه يكسره ويهمزه وقيل لأعرابي أتهمز الفأرة قال السنور تهمزها وكان الهمز في الكلام نبرة كالطعنة بقوة اعتمادها واللمز العيب ايضا والهمزة واللمزة بمعنى وقد قيل بينهما فرق فإن الهمزة الذي يعيبك بظهر الغيب واللمزة الذي يعيبك في وجهك عن الليث وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويومئ بعينه ويقال لمزه يلمزه ويلمزه بكسر الميم وضمها ورجل لماز ولمزة وهماز وهمزة قال زياد الاعجم

تُدْلِي بِوُدِّي إِذَا لَاقَيْتَنِي كَذِباً ... وَإِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللُّمَزَةَ

والحطمة الكثير الحطم اي الاكل ورجل حطمة اكول وحطم الشيء اذا كسره واذهبه قال

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلَ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ ... لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ (٢)

وفعلة بناء المبالغة في صفة من يكثر منه الفعل ويصير عادة له تقول رجل نكحة كثير النكاح وضحكة كثير الضحك و كذا همزة ولمزة وفعلة ساكنة العين يكون للمفعول به

الاعراب

الذي جمع في موضع جر على البدل من همزة ولا يجوز ان يكون صفة لأنه معرفة ويجوز ان يكون في

(١) المسند : الدعي . والزمّال : الجبان . (٢) مضى البيت في صفحة ١٥٣ من المجلد الثاني .

موضع نصب على اضمار اعني وفي موضع رفع على اضمار هو وفي حرف عبد الله ويل للهمزة اللمزة فعلى هذا الوجه يكون صفة. لينبذن يعني الجامع للمال وروي في الشواذ عن الحسن لينبذانّ يعني الجامع والمال. ونار الله تقديره هي نار الله

﴿ المعنى ﴾

(ويل لكل همزة لمزة) هذا وعيد من الله سبحانه لكل مغتاب عياب مشاء بالنميمة مفرّق بين الاحبة عن ابن عباس وعنه ايضا قال الهمزة الطعان واللمزة المغتاب وقيل الهمزة المغتاب واللمزة الطعان عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل الهمزة الذي يطعن في الوجه بالعيب واللمزة الذي يغتاب عند الغيبة عن الحسن وابي العالية وعطاء بن ابي رباح وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه وبعينه عن ابن زيد (الذي جمع مالا وعدّده) اي احصاه عن الفراء وقيل عدّده للدهور فيكون من العدة عن الزجاج يقال اعددت الشيء وعددته اذا امسكته وقيل جمع مالا من غير حلّه ومنعه من حقه واعدّه ذخراً لنوائب دهره عن الجبائي وقيل ان الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة و كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه عن مقاتل وقيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان يلمز الناس وينتابهم عن الكلبي ثم ذكر سبحانه طول امله فقال (يحسب ان ماله اخلده) اي يظنّ ان ماله الذي جمعه يخلده في الدنيا ويمنعه من الموت فأخلده في معنى يخلده لأن قوله يحسب يدلّ عليه وانما قال ذلك وان كان الموت معلوماً عند جميع الناس لأنه يعمل عمل من يتمني ذلك وقيل اخلده بمعنى اوجب اخلاده وهذا كما يقال هلك فلان اذا حدث به سبب الهلاك وان لم يقع هلاكه بعد ثم قال سبحانه (كلا) اي لا يخلده ماله ولا يبقى له وقيل معناه ليس الامر كما حسب وقيل معناه حقا (لينبذن في الحطمة) اي ليقذفن ويطرحن من وصفناه في الحطمة وهي اسم من أسماء جهنم قال مقاتل وهي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ثم قال سبحانه (وما ادراك ما الحطمة) تفخيماً لأمرها ثم فسّرها بقوله (نار الله الموقدة) أي الموجّجة اضافها سبحانه الى نفسه ليعلم انها ليست كنيران الدنيا ثم وصفها بالايقاد على الدوام (التي تطلع على الافئدة) اي تشرف على القلوب فيبلغها لهبها وحريقها وقيل معناه ان هذه النار تخرج من الباطن الى الظاهر بخلاف نيران الدنيا (انها عليهم مؤصدة) يعني انها على اهلها مطبقة يطبق ابوابها عليهم تأكيداً للأياس عن الخروج (في عمد ممددة) وهي جمع عمود وقال ابو عبيدة كلاهما جمع عماد قال وهي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار وقال مقاتل اطبقت الابواب عليهم ثم شدّت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع اليهم غمّها وحرّها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وقال الحسن يعني عمد السرادق في قوله واحاط بهم سرادقها فإذا مدّت تلك العمد اطبقت جهنم على أهلها نعوذ بالله منها وقال الكلبي في عمد مثل السواري ممددة مطولة تمد عليهم وقال ابن عباس هم في عمد اي في اغلال في أعناقهم يعذبون بها وروى العياشي باسناده عن محمد بن النعمان الاحول عن حمران بن اعين عن أبي جعفر (ع) قال ان الكفار والمشركين يعيرون اهل التوحيد في النار ويقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً وما نحن وانتم الأسواء قال فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للنبيين اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للمؤمنين اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ويقول الله انا أرحم الراحمين اخرجوا برحمتي

كما يخرج الفراش قال ثم قال ابو جعفر (ع) ثم مدت العمد واوصدت عليهم وكان والله الخلود

سورة الفيل

مكية خمس آيات بالاجماع

فضلها

في حديث ابي من قرأها عافاه الله ايام حياته في الدنيا من المسخ والقذف . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ في الفريضة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل شهد له يوم القيامة كل سهل وجبل ومدر بأنه كان من المصلين وينادي يوم القيامة مناد صدقتم على عبدي قبلت شهادتكم له أو عليه ادخلوا عبدي الجنة ولا تحاسبوه فإنه ممن احبه واحب عمله ومن اكثر قراءة لإيلاف قريش بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة حتى يقعد على موائد النور يوم القيامة

تفسيرها

ذكر الله سبحانه في تلك السورة ما اعده من العذاب لمن عاب الناس واغتابهم وركن الى الدنيا وبيّن في هذه السورة ما فعله بأصحاب الفيل فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحٰبِ الْفِيلِ (٢) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٣) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (٤) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٦) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

القراءة

في الشواذ قراءة ابي عبد الرحمن ألم تر بسكون الراء

الحجة

قال ابن جني ان هذا السكون بابه الشعر دون القرآن لما فيه من استهلاك الحرف والحركة قبله يعني الالف والفتحة من ترى انشد ابو زيد « قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا سَوِيقاً » يريد اِشْتَرِ وانشد

قَدْ حَجَّ فِي ذَا الْعَامِ مَنْ كَانَ رَجَا ... فَاكْتَرْ لَنَا كَرِيَّ صِدْقٍ فَالنَّجَا

وَاحْذَرْ فَلَا تَكْتَرْ كَرِيّاً اعْرَجَا ... عِلْجاً إِذَا سَارَ بِنَا عَفَنْجَجَا (٢)

فحذف كسرة اِكْتَرْ في الموضعين (٣)

اللغة

ابابيل جماعات في تفرقة زمرة زمرة ولا واحد لها في قول ابي عبيدة والفراء كعباديد وقال الكسائي واحدها إبّول مثل عجول وزعم ابو جعفر الرواسي أنه سمع في واحدها ابالة

الاعراب

كيف فعل ربك منصوب بفعل على المصدر أو على الحال من الرب والتقدير ألم تَرَ أيَّ فعل فعل ربك أو أمنتقما فعل ربك بهم أم مجازيا ونحو ذلك والجملة التي هي كيف فعل ربك سدّت مسدّ مفعولي ترى

(١) هذا صدر بيت لرؤبة بن العجاج على ما قيل . (٢) الكرى : المكارى . و النجا اى اسرع . والعلج الرجل الضخم الجافى الضعيف العقل (٣) يعنى فى اكترو فلا تكتر .

﴿ قصة اصحاب الفيل ﴾

اجمعت الرواة على ان ملك اليمن الذي قصد هدم الكعبة هو ابرهة بن الصباح الاشرم وقيل ان كنيته ابو يكسوم قال الواقدي هو صاحب النجاشي جدّ النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وقال محمد بن يسار اقبل تبع حتى نزل على المدينة فنزل بوادي قبا فحفربها بئراً يدعى اليوم بئر الملك قال وبالمدينة إذ ذاك يهود والاوس والخزرج فقاتلوه وجعلوا يقاتلونه بالنهار فإذا امسى ارسلوا اليه بالضيافة فاستحيا واراد صلحهم فخرج اليه رجل من الأوس يقال له احيحة بن جلاح وخرج اليه من اليهود بنيامين القرظي فقال احيحة ايها الملك نحن قومك وقال بنيامين هذه بلدة لا تقدر على ان تدخلها ولو جهدت قال ولمَ قال لأنها منزل نبي من الانبياء يبعثه الله من قريش قال ثم خرج يسير حتى اذا كان من مكة على ليلتين بعث الله عليه ريحا فقصفت يديه ورجليه وشنجت جسده فأرسل الى من معه من اليهود فقال ويحكم ما هذا الذي اصابني قالوا حدثت نفسك بشيء قال نعم وذكر ما اجمع عليه من هدم البيت واصابة ما فيه قالوا ذلك بيت الله الحرام ومن اراده هلك قال ويحكم وما المخرج مما دخلت فيه قالوا تحدث نفسك بأن تطوف به وتكسوه وتهدي له فحدث نفسه بذلك فأطلقه الله ثم سار حتى دخل مكة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وكسا البيت وذكر الحديث في نحره بمكة واطعامه الناس ثم رجوعه الى اليمن وقتله وخروج ابنه الى قيصر واستغاثته به فيما فعل قومه بأبيه وان قيصر كتب له الى النجاشي ملك الحبشة وان النجاشي بعث له ستين الفا واستعمل عليهم روزبه حتى قاتلوا حمير قتلة ابيه ودخلوا صنعاء فملكوها وملكوا اليمن وكان في اصحاب روزبه رجل يقال له ابرهة وهو ابو يكسوم فقال لروزبه اني اولى بهذا الامر منك وقتله مكراً وارضى النجاشي ثم انه بنى كعبة باليمن وجعل فيها قبابا من ذهب فأمر اهل مملكته بالحج اليها يضاهي بذلك البيت الحرام وان رجلا من بني كنانة خرج حتى قدم اليمن فنظر اليها ثم قعد فيها يعني لحاجة الإنسان فدخلها ابرهة فوجد تلك العذرة فيها فقال من اجترأ عليَّ بهذا ونصرانيتي لأهدمنَّ ذلك البيت حتى لا يحجّه حاجّ أبداً ودعا بالفيل واذن قومه بالخروج ومن اتبعه من اهل اليمن وكان اكثر من اتبعه منهم عك والاشعرون وخثعم قال ثم خرج يسير حتى اذا كان ببعض طريقه بعث رجلا من بني سليم ليدعو الناس الى حجّ بيته الذي بناه فلقاه ايضا رجل من الحمس من بني كنانة فقتله فازداد بذلك حنقا وحثَّ السير والانطلاق وطلب من اهل الطائف دليلا فبعثوا معه رجلا من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى اذا كانوا بالمغمس نزلوه وهو من مكة على ستة اميال فبعثوا مقدماتهم الى مكة فخرجت قريش عباديد في رؤوس الجبال وقالوا لا طاقة لنا بقتال هؤلاء ولم يبق بمكة غير عبد المطلب بن هاشم اقام على سقايته وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار اقام على حجابة البيت فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي الباب ثم يقول

لَا هُمَّ إِنَّ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكْ لَا يَغْلِبُوا بِصَلِيبِهِمْ وَمِحَالِهِمْ عَدْوًا مِحَالَكْ(١)

لَا يَدْخُلُوا الْبَلَدَ الْحَرَامَ إِذًا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكْ

ثم ان مقدمات ابرهة اصابت نعما لقريش فأصابت فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلك خرج حتى اتى القوم وكان حاجب ابرهة رجلا من الاشعريين وكانت له بعبد المطلب معرفة فاستأذن له على الملك وقال له ايها الملك جاءك سيد قريش الذي يطعم انسها في الحي ووحشها في الجبل فقال له ائذن له

(١) الحلال : القوم الحالون في المكان . والمحال : التدبير والقوة .

وكان عبد المطلب رجلا جسيما جميلا فلما رآه ابو يكسوم اعظمه ان يجلسه تحته وكره ان يجلسه معه على سريره فنزل من سريره فجلس على الارض واجلس عبد المطلب معه ثم قال ما حاجتك قال حاجتي مائتا بعير لي اصابتها مقدمتك فقال ابو يكسوم والله لقد رأيتك فأعجبتني ثم تكلمت فزهدت فيك فقال ولم ايها الملك قال لأني جئت الى بيت عزكم ومنعتكم من العرب وفضلكم في الناس وشرفكم عليهم ودينكم الذي تعبدون فجئت لاكسره واصيبت لك مائتا بعير فسألتك عن حاجتك فكلمتني في ابلك ولم تطلب الي في بيتكم فقال له عبد المطلب ايها الملك انا اكلمك في مالي ولهذا البيت رب هو يمنعه لست انا منه في شيء فراع ذلك ابا يكسوم وامر بردّ ابل عبد المطلب عليه ثم رجع وامست ليلتهم تلك الليلة كالحة نجومها كأنها تكلمهم كلاما لاقترابها منهم فأحست نفوسهم بالعذاب وخرج دليلهم حتى دخل الحرم وتركهم وقام الاشعرون وخثعم فكسروا رماحهم وسيوفهم وبروا الى الله أن يعينوا على هدم البيت فباتوا كذلك بأخبث ليلة ثم ادلجوا بسحر فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا بمكة فوجّهوه الى مكة فربض فضربوه فتمرغ فلم يزالوا كذلك حتى كادوا أن يصبحوا ثم انهم اقبلوا على الفيل فقالوا لك الله ان لا نوجهك الى مكة فانبعث فوجهوه الى اليمن راجعا فتوجه يهرول فعطفوه حين رأوه منطلقا حتى اذا ردّوه الى مكانه الأول ربض فلما رأوا ذلك عادوا الى القسم فلم يزالوا كذلك يعالجونه حتى اذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم وكل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران واذا رمت بذلك مضت وطلعت اخرى فلا يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقه ولا عظم الا اوهاه وثقبه وثاب ابو يكسوم راجعا قد اصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم ارضا انقطع له فيها ارب حتى اذا انتهى الى اليمن لم يبق شيء الا باده فلما قدمها تصدع صدره وانشقّ بطنه فهلك ولم يصب من الاشعرين وخثعم احد قال وكان عبد المطلب يرتجز ويدعو على الحبشة يقول

يا رَبِّ لا أَرْجُو لَهُمْ سِواكا ... يا رَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُمُ حِماكا
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكا ... إِنَّهُمُ لَمْ يَقْهَرُوا قُواكا (١)

قال ولم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤا ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق وقال نفيل في ذلك

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ وَلَنْ تَرَيْنَه ... لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنا (٢)
حَمَدْتِ اللهَ إِذْ عَايَنْتِ طَيْراً ... وَخِفْتِ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنا

وقال مقاتل بن سليمان السبب الذي جر اصحاب الفيل الى مكة هو انّ فتية من قريش خرجوا تجارا الى ارض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي حقف من احقافها بيعة للنصارى تسمّيها قريش الهيكل ويسميها النجاشي واهل ارضه ماسرخشان فنزل القوم فجمعوا حطبا ثم اجّجوا نارا واشتروا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل نارا فغضب النجاشي لذلك فبعث ابرهة لهدم الكعبة وروى العياشي باسناده عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال ارسل الله على اصحاب الفيل طيرا مثل الخطاف — ونحوه في منقاره حجر مثل العدسة فكان يحاذي برأس الرجل

(١) وفي تفسير الطبري وغيره امنهم ان يخربوا قراكا. (٢) ردينة : اسم امرأة . والمحصب : موضع رمي الجمار بمنى

فيرميه بالحجارة فيخرج من دبره فلم تزل بهم حتى اتت عليهم قال فأقبلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصة فبيناهو يخبرهم اذ أبصر طيراً فقال هذا هو منها قال فحاذى فطرحه على رأسه فخرج من دبره وقال عبيد ابن عمير الليثي لما اراد الله ان يهلك اصحاب الفيل فبعث عليهم طيراً نشأت من البحر كأنها الخطاطيف كل طير منها معه ثلاثة احجار ثم جاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في ارجلها ومناقيرها فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره وان وقع على شيء من جسده خرج من الجانب الآخر وعن عكرمة عن ابن عباس قال دعا الله الطير الأبابيل فأعطاها حجارة سودا عليها الطين فلما حاذت بهم رمتهم فما بقي احد منهم الا اخذته الحكة وكان لا يحك الانسان منهم جلده الا تساقط لحمه قال وكانت الطير نشأت من قبل البحر لها خراطيم الطيور ورؤوس السباع لم تر قبل ذلك ولا بعده

المعنى

خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ تنبيهاً على عظم الآية التي اظهرها والمعجزة التي فعلها فقال (الم تر) اي ألم تعلم يا محمد لأنه ﷺ لم ير ذلك وقيل معناه الم تخبر عن الفراء (كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الذي قصدوا تخريب الكعبة وكان معهم فيل واحد اسمه محمود عن مقاتل وقيل ثمانية افيال عن الضحاك وقيل اثنا عشر فيلا عن الواقدي وإنما وحّد لأنه اراد الجنس وكان ذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ وعليه اكثر العلماء وقبل كان امر الفيل قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة عن الكلبي وقيل كان قبل مولده باربعين سنة عن مقاتل والصحيح الأول ويدل عليه ما ذكر ان عبد الملك بن مروان قال لعتاب بن اشيم الكناني الليثي يا عتاب انت اكبر ام رسول الله ﷺ قال عتاب رسول الله ﷺ اكبر مني وانا أسن منه ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ووقعت على روث الفيل وقالت عائشة رأيت قائد الفيل وسائقه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان (الم يجعل كيدهم في تضليل) معناه الم يجعل ارادتهم السوء واحتيالهم في تخريب البيت الحرام وقتل اهله وسبيهم واستباحتهم في تضليل عما قصدوا اليه ضلّ سعيهم حتى لم يصلوا الى ما ارادوه بكيدهم وقيل في تضليل اي في ذهاب وبطلان (وارسل عليهم طيراً ابابيل) اي اقاطيع يتبع بعضها بعضا كالإبل المؤبلة قال الأعشى

طَرِيقٌ وَجَبَّارٌ رِوَاءٌ أُصُولُهُ ... عَلَيْهِ أَبَابِيلٌ مِنَ الطَّيْرِ تَنْعَبُ (١)

وقال امرؤ القيس

تَرَاهُمْ إِلَى الدَّاعِي سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ ... أَبَابِيلُ طَيْرٍ تَحْتَ دَاجٍ مُدْجِنِ (٢)

وكانت لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كأكف الكلاب عن ابن عباس وقيل لها انياب كأنياب السباع عن الربيع وقيل طير خضر لها مناقير صفر عن سعيد بن جبير وقيل طير سود بحرية تحمل في مناقيرها واكفها الحجارة عن عبيد الله بن عمير وقتادة ويمكن أن يكون بعضها خضراً وبعضها سوداً (ترميهم بحجارة من سجيل) أي تقذفهم بحجارة صلبة شديدة ليست من جنس الحجارة وقد فسّرنا السجيل في سورة هود وما جاء من الاقوال فيه فلا معنى لإعادته وقال موسى بن عائشة كانت الحجارة اكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وقال عبد الله ابن مسعود صاحت الطير فرمتهم بالحجارة فبعث الله ريحاً فضربت الحجارة فزادتها شدّة فما وقع منها حجر

(١) الجبار من النخل : ماطال وفات يد المتناول . والنعب : صوت الطائر . (٢) الدجى : المطر الكثير ، و ادجن المطر : دام .

على رجل الا خرج من الجانب الآخر فإن وقع على رأسه خرج من دبره (فجعلهم كعصف مأكول) اي كزرع وتبن قد اكلته الدواب ثم راثته فدبست وتفرقت اجزاؤه شبّه الله تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث قال الحسن كنا ونحن غلمان بالمدينة نأكل الشعير اذا قصب وكان يسمى العصف وقال ابو عبيدة العصف ورق الزرع قال الزجاج اي جعلهم كورق الزرع الذي جز واكل اي وقع فيه الاكال وكان هذا من اعظم المعجزات القاهرات والآيات الباهرات في ذلك الزمان اظهره الله تعالى ليدلّ على وجوب معرفته وفيه ارهاص لنبوة نبينا ﷺ لأنه ولد في ذلك العام وقال قوم من المعتزلة انه كان معجزة لنبي من الانبياء في ذلك الزمان وربما قالوا هو خالد بن سنان ونحن لا نحتاج إلى ذلك لأنا نجوز إظهار المعجزات على غير الانبياء من الائمة والاولياء وفيه حجة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة والملحدين المنكرين للآيات الخارقة للعادات فإنه لا يمكن نسبة شيء مما ذكره الله تعالى من امر اصحاب الفيل الى طبع وغيره كما نسبوا الصيحة والريح العقيم والخسف وغيرهما مما اهلك الله تعالى به الامم الخالية الى ذلك إذ لا يمكنهم ان يروا في اسرار الطبيعة ارسال جماعات من الطير معها احجار معدّة مهيّأة لهلاك أقوام معينين قاصدات اياهم دون من سواهم فترميهم بها حتى تهلكهم وتدمر عليهم حتى لا يتعدى ذلك الى غيرهم ولا يشك من له مسكة من عقل ولبّ أن هذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى مسبّب الاسباب ومذلّل الصعاب وليس لأحد ان ينكر هذا لأن نبينا ﷺ لما قرأ هذه السورة على اهل مكة لم ينكروا ذلك بل اقرّوا به وصدّقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه واعتنائهم بالردّ عليه وكانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة واصل لأنكروه وجحدوه وكيف وانهم قد أرّخوا بذلك كما ارخوا ببناء الكعبة وموت قصيّ بن كعب وغير ذلك وقد اكثر الشعراء ذكر الفيل ونظموه ونقلته الرواة عنهم فمن ذلك ما قاله امية بن ابي الصلت

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَيِّنَاتٌ ... مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ حَتَّى ... ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورٌ (١)

وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم

أَنْتَ الْجَلِيلُ رَبَّنَا لَمْ تَدْنَسْ ... أَنْتَ حَبَسْتَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسْ
مِنْ بَعْدِ مَا هَمَّ بِشَيْءٍ مُبْلِسِ ... حَبَسْتَهُ فِي هَيْئَةِ الْمُكَرْكَسْ

أي المنكس قال ابن الرقيات في قصيدة

وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْ ... جَنْدَلِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَرْجُومُ (٢)

سورة لايلاف

مكية خمس آيات حجازي اربع آيات عند غيرهم

اختلافها

آية من جوع حجازي

فضلها

في حديث ابي من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها وروى العياشي

(١) المغمس : موضع من مكة . والمعقور : الذى قطعت قوائمه . وفى رواية ابن هشام فى السيرة «ثاقبات» بدل «بينات» (٢) وفى هذا البيت كلام ذكره فى ذيل السيرة لابن هشام ج١ : ٦١ فراجع ان شئت .

بإسناده عن المفضل بن صالح عن ابي عبد الله (ع) قال سمعته يقول لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا الضحى وألم نشرح وألم تر كيف ولإيلاف قريش. وعن ابي العباس عن احدهما (ع) قال ألم تر كيف فعل ربك ولإيلاف قريش سورة واحدة وروي ان ابي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه . وقال عمرو بن ميمون الازدي صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب وقرأ في الاولى والتين وفي الثانية ألم تر كيف ولإيلاف قريش

﴿ تفسيرها ﴾

ولما ذكر سبحانه عظيم نعمته على اهل مكة بما صنعه بأصحاب الفيل قال عقيب ذلك

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ (٢) رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٣) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ (٤) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ (٥) وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ليلاف قريش بغير همز إلا فهم مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء وقرأ ابن عامر ائلاف قريش مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء ايلافهم مشبعة الهمزة في الحرفين بعدها ياء . وقرأ ابن فليح لإيلاف قريش الفهم ساكنة اللام ليس بعدها ياء وقرأ الآخرون لإيلاف قريش إيلافهم مشبعة الهمزة في الحرفين بعدها ياء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قال ابو عبيدة الفته وآلفته لغتان انشد ابو زيد

مِنَ الْمُؤْلِفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ ... شُعَاعُ الضُّحَى فِي جِيدِهَا يَتَوَضَّعُ (١)

وانشد غيره

أَلِفَ الصُّفُونَ فَلَا يَزَالُ كَأَنَّهُ ... مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرَا (٢)

وقال آخر

زَعَمَتْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ ... لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافُ

والالف والالاف مصدر الف والايلاف مصدر آلف

﴿ اللغة ﴾

الايلاف ايجاب الألف بحسن التدبير والتلطف يقال ألف يألف الفا وآلفه يؤلفه ايلافا اذا جعله يألف فالايلاف نقيض الايحاش ونظيره الايناس وألف الشيء لزومه على عادة في سكون النفس اليه. والرحلة حال السير على الراحلة وهي الناقة القوية على السير ومنه الحديث المروي الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة والرحل متاع السفر والارتحال احتمال الرحل للسير في السفر

﴿ الاعراب ﴾

قال ابو الحسن الأخفش اللام في قوله لإيلاف قريش يتعلق بقوله كعصف مأكول اي فعلنا ذلك بهم لتأتلف قريش رحلتها وقال الزجاج معناه اهلك الله اصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف قال ابو علي اعترض معترض فقال إنما جعلوا كعصف مأكول لكفرهم ولم يجعلوا كذلك لتألف قريش قال وليس هذا الاعتراض بشيء لأنه يجوز ان يكون المعنى اهلكوا لكفرهم ولما أدى اهلاكهم الى ان تألف قريش جاز كقوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً وهم لم يلتقطوه لذلك فلما آل الأمر اليه حسن ان يجعله علة الالتقاط وقال الخليل وسيبويه فليعبدوا ربّ هذا البيت لايلاف قريش اي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة واعترافاً بها

(١) قائله ذو الرمة شبه امرأة بالظباء التي الفت الرمل . والادماء من الظباء : البيضاء التي يعلوها جدد. والحرة ارض ذات حجارة . (٢) يصف فرساً . و صفنت الدابة : قامت على ثلاث وثنت سنبكه يدها الرابع .

وقيل هو على ألم تر كيف فعل ربك لإيلاف قريش من الفراء قال لأنه سبحانه ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة

المعنى

(لإيلاف قريش) اي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منّا على قريش مضافة الى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف فكأنه قال نعمة الى نعمة فتكون اللام مؤدية معنى الى وهو قول الفراء وقيل معناه فعلنا ذلك لتألف قريش بمكة ويمكنهم المقام بها او لتؤلف قريشاً فإنهم هابوا من ابرهة لما قصدها وهربوا منه فأهلكناهم لترجع قريش إلى مكة ويألفوا بها ويولد محمد ﷺ فيبعث الى الناس بشيراً ونذيراً وقوله (ايلافهم) ترجمة عن الاول وبدل منهم (ورحلة الشتاء والصيف) منصوبة بوقوع ايلافهم عليها وتحقيقه ان قريشاً كانت بالحرم آمنة من الاعداء ان تهجم عليهم فيه وان يعرض لهم احد بالسوء إذا خرجت منها لتجارتها والحرم وادٍ جديب انما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة رحلة في الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ورحلة في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد اصحاب الفيل مكة اهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم ومقامهم بمكة وقيل ان كلتا الرحلتين كانت الى الشام ولكن رحلة الشتاء في البحر وايلة طلب للدفأ ورحلة الصيف إلى بُصرى واذرعات طلبا للهواء ولما قريش فهم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي واختلف في تسميتهم بهذا الاسم فقيل سموا قريشا للتجارة وطلب المال وجمعه وكانوا اهل تجارة ولم يكونوا اصحاب ضرع ولا زرع والقرش المكسب يقال هو يقرش لعياله اي يكتسب لهم وذكر أنه قيل لابن عباس لم سميت قريش قريشاً فقال لدابة تكون في البحر من اعظم دوابه يقال لها القريش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا اكلته قيل أفتنشد في ذلك شيئاً فأنشد قول الجمحي

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ ... بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا
تَأْكُلُ الْغَثَّ وَالسَّمِينَ وَلَا ... تَتْرُكُ فِيهِ لِذِي الْجَنَاحِرِ رِيشَا

وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته قال الكلبي وكان اول من حمل الميرة من الشام ورحل اليها الإبل هاشم بن عبد مناف ويصدقه قول الشاعر

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْهُ ... وَأَعْيَا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ بِيضِ
أَتَاهُمْ بِالْغَرَائِرِ مُتْأَقَاتٍ ... مِنَ أَرْضِ الشَّامِ بِالْبُرِّ النَّفِيضِ
فَوَسَّعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَشِيمٍ ... وَشَابَ الْبُرَّ بِاللَّحْمِ الْغَرِيضِ(١)

وقال سعيد بن جبير مرَّ رسول الله ﷺ ومعه ابو بكر بملأ وهم ينشدون

يَا ذَا الَّذِي طَلَبَ السَّمَاحَةَ وَالنَّدَى ... هَلَّا مَرَرْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ
لَوْ أَنْ مَرَرْتَ بِهِمْ تُرِيدُ قِرَاهُمُ ... مَنَعُوكَ مِنْ جَهْدٍ وَمِنْ إِقْتَارِ

فقال لأبي بكر اهكذا قال الشاعر فقال لا والذي بعثك بالحق بل قال :

يَا ذَا الَّذِي طَلَبَ السَّمَاحَةَ وَالنَّدَى ... هَلَّا مَرَرْتَ بِآلِ عَبْدِ مَنَافِ
لَوْ أَنْ مَرَرْتَ بِهِمْ تُرِيدُ قِرَاهُمُ ... مَنَعُوكَ مِنْ جُهْدٍ وَمِنْ إِيجَافِ(٢)
الرَّائِشِينَ وَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِشٌ ... وَالْقَائِلِينَ هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ(٣)

(١) حكى عن الاصمعي انه قال : ابن بيض : هو رجل كان في الزمن الاول عقر ناقته على ثنية فسد بها الطريق ومنع الناس من سلوكها . وقال بسامة بن حزن « كذوب ابن بيض وقاهم به * فسد على السالكين السبيلا » . والغرائر : الجوالق العظام . واتاقت الاناء : ملاته . والنفيض : الزائل عنه الغبار . والهشيم : الثريد . وشاب الشيء بالشيء : خلطه . و

وَالخَالِطِينَ غَنِيُّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَصِيرَ فَقِيرَهُمْ كَالْكَافِي
وَالقَائِلِينَ بِكُلِّ وَعْدٍ صَادِقٍ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافِ (١)
سَفَرَيْنِ سَنَّهُمَا لَهُ وَلِقَوْمِهِ سَفَرَ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةَ الأَصْيَافِ

(فليعبدوا ربّ هذا البيت) هذا امر من الله سبحانه اي فليوحّدوا عبادتهم الى رب هذه الكعبة ويوحّدوه وهو الله سبحانه (الذي اطعمهم من جوع) بما سبّب لهم من الارزاق في رحلة الشتاء والصيف واعطاهم من الاموال (وآمنهم من خوف) فلا يتعرض لهم احد في سفرهم إذا قالوا نحن اهل حرم الله وقيل آمنهم من خوف الغارة بالحرم الذي جبلت قلوب الناس على تعظيمه لأنهم كانوا يقولون في الجاهلية نحن قطان حرم الله فلا يتعرض لهم وان كان الرجل ليصاب في الحي من احياء العرب فيقال هو حرمي فيخلّى عنه وعن ماله تعظيماً للحرم وكان غيرهم إذا خرج اغير عليه وقيل اطعمهم من جوع أي من بعد جوع كما يقال كسوتك من بعد عري يعني ما كانوا فيه من الجوع قال ابن عباس كانوا في ضرّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فلم يكن بنو أب اكثر مالا ولا اعزّ من قريش

سورة أرأيت

وتسمى سورة الماعون مكية وقال الضحاك مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني

عدد آيها

سبع عراقي وستّ في الباقين

اختلافها

آية يراؤون عراقي

فضلها

في حديث أبي من قرأها غفر الله له ان كان للزكاة مؤدّيا . عمرو بن ثابت عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ أرأيت الذي يكذب بالدين في فرائضه ونوافله قبل الله صلاته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الحياة الدنيا

تفسيرها

ذكر سبحانه نعمه على قريش ثم عجب سبحانه في هذه السورة من تكذيبهم مع عظيم النعمة عليهم فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (٢) فَذٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٤) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٥) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٦) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ (٧) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ

القراءة

في الشواذ قراءة ابي رجاء العطاردي يَدَعّ اليتيم بفتح الدال خفيفة

الحجة

ومعناه يتركه ويعرض عنه فهو صائر إلى معنى القراءة المشهورة يَدُعُّ اليتيم أي يدفعه ويجفو عليه

- الغريض : الطري . (٢) الايجاف: سرعة السير . (٣) راشه : اغناه واغناه .

(١) كذا في النسخ لكن في السيرة وغيره هكذا « عمرو الذي هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتين عجاف » و هو الاصح . والمسنتون : الذين اصابتهم السنة وهي الجوع والقحط . والعجاف من العجف وهو الهزال والضعف .

اللغة

الدع الدفع بشدة ومنه الدعدعة تحريكك المكيال ليستوعب الشيء كأنك تدفعه والدعدعة ايضا زجر المعز. والحض والحث والتحريض بمعنى واحد والماعون كل ما فيه منفعة قال الاعشى

بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِماعُونِهِ ... إِذا ما سَماؤُهُمُ لَمْ تَغِمْ (١)

وقال الراعي

قَوْمٌ عَلَى الْإِسلامِ لَمّا يَمْنَعُوا ... مـاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلا

وقال اعرابي في ناقة له « كَيْما أَنَّها تُعْطِيكَ الْماعُونَ » أي تنقاد لك وتطيعك واصله القلة من المعن وهو القليل قال الشاعر « فَإِنَّ هِلاكَ مالِكَ غَيْرَ مَعْنٍ » (٢) أي غير قليل ويقال ماله سَعْنٌ ولا مَعْنٌ (٣) فالماعون القليل القيمة مما فيه منفعة ويقال معن الوادي اذا جرت مياهه قليلا قليلا

الإعراب

فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اعتمد هنا في الخبر على ما جرى في صلة الموصول الذي هو وصف المجرور باللام المتعلق بالخبر ألا ترى ان قوله فويل للمصلين غير محمول على الظاهر والاعتماد على السهو في صلة الذين وقوله الذين هم يراؤون يجوز ان يكون مجروراً على انه صفة للمصلين ويجوز ان يكون منصوبا على اضمار اعني وان يكون مرفوعا على اضمار هُمْ

المعنى

خاطب الله تعالى نبيَّه ﷺ فقال (أرأيت) يا محمد (الذي يكذب بالدين) اي هذا الكافر الذي يكذب بالجزاء والحساب وينكر البعث مع وضوح الامر في ذلك وقيام الحجج على صحته وانما ذكره سبحانه بلفظ الإستفهام ارادة للمبالغة في الافهام والتكذيب بالجزاء من اضر شيء على صاحبه لأنه يعدم بذلك اكثر الدواعي الى الخير والصوارف عن الشر فهو يتهالك في الإسراع الى الشر الذي يدعوه اليه طبعه إذ لا يخاف عواقب الضرر فيه قال الكلبي نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة عن السدي ومقاتل بن حيان وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان ينحر في كل اسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل من المنافقين عن عطاء عن ابن عباس (فذلك الذي يدع اليتيم) بيَّن سبحانه ان من صفة هذا الذي يكذب بالدين انه يدفع اليتيم عنفاً به لأنه لا يؤمن بالجزاء عليه فليس له رادع عنه وقيل يدعُّ اليتيم أي يدفعه عن حقه بجفوة وعنف وقهره عن ابن عباس ومجاهد (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يطعمه ولا يأمر باطعامه يعني لا يفعله اذا قدر ولا يحض عليه اذا عجز لأنه يكذب بالجزاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وهم الذين يؤخرون الصلاة عن اوقاتها عن ابن عباس ومسروق وروى ذلك مرفوعاً وقيل يريد المنافقين الذين لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عليها عقاباً ان تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها فإذا كانوا مع المؤمنين صلّوها رياء واذا لم يكونوا معهم لم يصلّوا وهو قوله الذين هم يراؤون عن علي (ع) وابن عباس وقال انس الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم يريد بذلك ان السهو الذي يقع للانسان في صلاته من غير عمد لا يعاقب عليه وقيل ساهون عنها لا يبالون صلّوا أم لم يصلّوا عن قتادة وقيل هم الذين يتركون

(١) البيت من قصيدة يمدح بها قيس بن معديكرب يقول : ليس الفرات اذا ازبد وتلاطمت امواجه باجود منه فى وقت الجدب حين تصحو السماء وينقطع المطر (٢) هذا عجز بيت لنمر بن تولب وصدره «ولاضيعته فالام فيه». (٣) اى لاكثير ولاقليل .

الصلاة عن الضحاك وقيل الذين ان صلّوها صلّوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عن الحسن وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها عن ابي العالية وعنه ايضا قال هو الذي اذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتا وروى العياشي بالاسناد عن يونس بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال سألته عن قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون أهي وسوسة الشيطان فقال لا كل احد يصيبه هذا ولكن ان يغفلها ويدع ان يصلي في اول وقتها وعن ابي اسامة زيد الشحام قال سألت ابا عبد الله (ع) عن قول الله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الترك لها والتواني عنها وعن محمد بن الفضيل عن ابي الحسن (ع) قال هو التضييع لها وقيل هم الذين (يراؤون) الناس في جميع اعمالهم لم يقصدوا بها الإخلاص لله تعالى (ويمنعون الماعون) اختلف فيه فقيل هي الزكاة المفروضة عن علي وابن عمر والحسن وقتادة والضحاك وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل هو ما يتعاوره الناس بينهم من الدلو والفأس والقدر وما لا يمنع كالماء والملح عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وروي ذلك مرفوعا وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكاة قال فقلت ان لنا جيرانا إذا اعرناهم متاعا كسروه وافسدوه افعلينا جناح ان نمنعهم فقال لا ليس عليك جناح ان تمنعهم اذا كانوا كذلك وقيل هو المعروف كله عن الكلبي

سورة الكوثر

مكية عن ابن عباس والكلبي مدنية عن عكرمة والضحاك وهي ثلاث آيات بالاجماع

فضلها

في حديث ابي من قرأها سقاه الله من انهار الجنة واعطي من الاجر بعدد كل قربان قربه العباد في يوم عيد ويقربون من اهل الكتاب والمشركين . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ انا اعطيناك الكوثر في فرائضه ونوافله سقاه الله يوم القيامة من الكوثر وكان محدثه عند محمد صلى الله عليه وآله وسلم

تفسيرها

ذمّ سبحانه في تلك السورة تاركي الصلاة ومانعي الزكاة وذكر في هذه السورة انهم ان فعلوا ذلك وكذّبوه فإنه يعطيه الخير الكثير وامره بالصلاة فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (٢) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٣) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

اللغة

الكوثر فوعل من الكثرة وهو الشيء الذي من شأنه الكثرة والكوثر الخير الكثير والاعطاء على وجهين اعطاء تمليك واعطاء غير تمليك واعطاء الكوثر اعطاء تمليك كإعطاء الاجر واصله من عطا يعطو اذا تناول والشانئ المبغض والابتر اصله من الحمار الابتر وهو المقطوع الذنب وفي حديث زياد انه خطب خطبته البتراء

لأنه لم يحمد الله فيها ولم يصلّ على النبي ﷺ

الاعراب

وانحر مفعوله محذوف اي وانحر اضحيتك كما حذف لبيد من قوله «وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّئَ حَاسِدٌ»(١) أي ان يبطأهم حاسد أي أن ينسبهم الى البطوء وقوله انّ شانئك هو الابتر لا انت هذا تقديره اي هو مبتور لا انت لأن ذكرك مرفوع مهما ذُكرتَ ذُكرتَ معي وهو فصل والابتر خبر ان

النزول

قيل نزلت السورة في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تتحدث معه قال ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ وهو من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن ابتر فسمّته قريش عند موت ابنه ابتر وصنبوراً عن ابن عباس

المعنى

خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ على وجه التعداد لنعمه عليه فقال (انا اعطيناك الكوثر) اختلفوا في تفسير الكوثر فقيل هو نهر في الجنة عن عائشه وابن عمر قال ابن عباس لمانزلت انا اعطيناك الكوثر صعد رسول الله ﷺ المنبر فقرأها على الناس فلما نزل قالوا يا رسول الله ما هذا الذي اعطاك الله قال نهر في الجنة اشد بياضا من اللبن واشد استقامة من القدح حافتاه قباب الدرّ والياقوت ترده طير خضر لها اعناق كأعناق البخت قالوا يا رسول الله ما انعم تلك الطير قال أفلا اخبر كم بأنعم منها قالوا بلى قال من اكل الطائر وشرب الماء وفاز برضوان الله وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال نهر في الجنة اعطاه الله نبيَّه ﷺ عوضاً من ابنه وقيل هو حوض النبي ﷺ الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة عن عطاء وقال انس بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءه ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت عليَّ آنفا سورة فقرأ سورة الكوثر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي خيراً كثيراً هو حوضي ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم فأقول يا رب انهم من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك اورده مسلم في الصحيح وقيل الكوثر الخير الكثير عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقيل هو النبوة والكتاب عن عكرمة وقيل هو القرآن عن الحسن وقيل هو كثرة الاصحاب والاشياع عن ابي بكر بن عياش وقيل هو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة (ع) حتى لا يحصى عددهم واتصل الى يوم القيامة مددهم وقيل هو الشفاعة رووه عن الصادق (ع) واللفظ يحتمل الكل فيجب ان يحمل على جميع ما ذكر من الاقوال فقد اعطاه الله سبحانه وتعالى الخير الكثير في الدنيا ووعده الخير الكثير في الآخرة وجميع هذه الاقوال تفصيل للجملة التي هي الخير الكثير في الدارين (فصل لربك وانحر) امره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة بأن قال فصلّ صلاة العيد لأنه عقّبها بالنحر أي وانحر هديك واضحيتك عن عطاء وعكرمة وقتادة قال انس بن مالك كان النبي ﷺ ينحر قبل ان يصلي فأمر ان يصلي ثم ينحر وقيل معناه فصل لربك صلاة الغداة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى عن سعيد بن جبير ومجاهد وقال محمد بن كعب ان اناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فأمر الله تعالى نبيه ﷺ ان

(١) هذا صدر بيت من المعلقة و عجزه «او ان يميل مع العدو لئامها» وقدمر.

يكون صلاته ونحره للبدن تقربا اليه وخالصاً له وقيل معناه صلّ لربك الصلاة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك وتقول العرب منازلنا تتناحر أي هذا ينحر هذا يعني يستقبله وانشد

أَبَا حَكَمٍ هَلْ أَنْتَ عَمَّ مُجَالِدٍ وَسَيِّدُ أَهْلِ الأَبْطَحِ المُتَنَاحِرِ

أي ينحر بعضه بعضاً وهذا قول الفراء واما ما رووه عن علي (ع) ان معناه ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة فمما لا يصح عنه لأن جميع عترته الطاهرة (ع) قد رووه عنه بخلاف ذلك وهو ان معناه ارفع يديك الى النحر في الصلاة وعن عمر بن يزيد قال سمعت اباعبدالله (ع) يقول في قوله فصل لربك وانحر هو رفع يديك حذاء وجهك وروى عنه عبد الله بن سنان مثله وعن جميل قال قلت لأبي عبد الله (ع) فصلّ لربك وانحر فقال بيده هكذا يعني استقبل بيديه حذو وجهه القبلة في افتتاح الصلاة وعن حماد ابن عثمان قال سألت ابا عبد الله (ع) ما النحر فرفع يده الى صدره فقال هكذا ثم رفعها فوق ذلك فقال هكذا يعني استقبل بيديه القبلة في استفتاح الصلاة وروي عن مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن بناتة عن امير المؤمنين (ع) قال لما نزلت هذه السورة قال النبي ﷺ لجبريل (ع) ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي قال ليست بنحيرة ولكنه يأمرك اذا تحرمت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع واذا سجدت فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة في السماوات السبع فإن لكل شيء زينة وان زينة الصلاة رفع الايدي عند كل تكبيرة قال النبي ﷺ رفع الايدي من الاستكانة قلت وما الاستكانة قال ألا تقرأ هذه الآية فما استكانوا لربهم وما يتضرعون اورده الثعلبي والواحدي في تفسيريهما (ان شانئك هو الابتر) معناه ان مبغضك هو المنقطع عن الخير وهو العاص بن وائل وقيل معناه انه الاقل الاذل بانقطاعه عن كل خير عن قتادة وقيل معناه انه لا ولد له على الحقيقة وان من ينسب اليه ليس بولده قال مجاهد الابتر الذي لا عقب له وهو جواب لقول قريش ان محمدا ﷺ لا عقب له يموت فنستريح منه ويدرس دينه إذ لا يقوم مقامه من يدعو اليه فينقطع امره وفي هذه السورة دلالات على صدق نبينا ﷺ وصحة نبوته ﴿ احدها ﴾ انه اخبر عما في نفوس أعدائه وما جرى على ألسنتهم ولم يكن بلغه ذلك فكان على ما اخبر ﴿ وثانيها ﴾ انه قال اعطيناك الكوثر فانظر كيف انتشر دينه وعلا امره وكثرت ذريته حتى صار نسبه اكثر من كل نسب ولم يكن شيء من ذلك في تلك الحال ﴿ وثالثها ﴾ ان جميع فصحاء العرب والعجم قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على وجازة الفاظها مع تحديه اياهم بذلك وحرصهم على بطلان امره منذ بعث النبي ﷺ الى يومنا هذا وهذا غاية الإعجاز ﴿ ورابعها ﴾ انه سبحانه وعده بالنصر على اعدائه واخبره بسقوط امرهم وانقطاع دينهم أو عقبهم فكان المخبر على ما اخبر به هذا وفي هذه السورة الموجزة من تشاكل المقاطع للفواصل وسهولة مخارج الحروف بحسن التأليف والتقابل لكل من معانيها بما هو اولى به ما لا يخفى على من عرف مجاريه كلام العرب

سورة قل يا ايها الكافرون

مكية وعن ابن عباس وقتادة مدنية وهي ست آيات بالاجماع

فضلها

في حديث ابي ومن قرأ قل يا ايها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر . وعن جبير بن مطعم قال قال لي رسول الله ﷺ أتحبُّ يا جبير ان تكون اذا خرجت سفراً من أمثل اصحابك هيئة واكثرهم زاداً قلت نعم بأبي أنت وامي يا رسول الله قال فاقرأ هذه السور الخمس قل يا ايها الكافرون واذا جاء نصر الله والفتح وقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وافتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم قال جبير وكنت غير كثير المال وكنت اخرج مع من شاء الله ان اخرج فاكون اكثرهم همة وأمثلهم زاداً حتى ارجع من سفري ذلك وعن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابيه انه اتى النبي ﷺ فقال جئت يا رسول الله لتعلّمني شيئا اقوله عند منامي قال اذا اخذت مضجعك فاقرأ قل يا ايها الكافرون ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك . شعيب الحداد عن ابي عبد الله (ع) قال كان ابي يقول قل يا ايها الكافرون ربع القرآن وكان اذا فرغ منها قال اعبد الله وحده اعبد الله وحده . وعن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال اذا قلت لا اعبد ما تعبدون فقل ولكني اعبد الله مخلصاً له ديني فإذا فرغت منها فقل ديني الإسلام ثلاث مرات . وعن الحسين بن ابي العلاء قال من قرأ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد في فريضة من الفرائض غفر الله له ولوالديه وما ولدا وإن كان شقياً محي من ديوان الاشقياء وكتب في ديوان السعداء وأحياه الله سعيداً وأماته شهيداً وبعثه شهيداً

تفسيرها

ذكر سبحانه في تلك السورة ان أعداءه عابوه بأنه ابتر فردَّ ذلك عليهم وذكر في هذه السورة انهم سألوه المداهنة فأمره بالبراءة منهم فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (٢) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٣) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٤) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٥) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٦) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

القراءة

قرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم لِيَ دين بفتح الياء والباقون بسكون الياء

الحجة

اسكان الياء من ولي وفتحها جميعاً حسنان سائغان

الإعراب

ولا أنتم عابدون ما أعبد كان الوجه من أعبد ولكنه جاء بما ليطابق ما قبله وما بعده وقيل أن ما هاهنا بمعنى مَن والعائد من الصلة إلى الموصول في الجميع محذوف والتقدير ماتعبدونه وما أعبده وماعبدتموه

النزول

نزلت السورة في نفر من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن أبي وائل والوليد بن المغيرة

والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا هلم يا محمد فاتبع ديننا نتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وان كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال ﷺ معاذ الله ان أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد إلهك فقال حتى انظر ما يأتي من عند ربي فنزل قل يا أيها الكافرون السورة فعدل رسول الله ﷺ الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا عند ذلك فآذوه وآذوا أصحابه قال ابن عباس وفيهم نزل قوله قل أفغير الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون

﴿ المعنى ﴾

خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (قل) يا محمد (يا أيها الكافرون) يريد قوماً معينين لأن الالف واللام للعهد (لا أعبد ما تعبدون) أي لا أعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال (ولا انتم عابدون ما أعبد) أي إلهي الذي أعبده اليوم وفي هذه الحال أيضاً (ولا أنا عابد ما عبدتم) فيما بعد اليوم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) فيما بعد اليوم من الاوقات المستقبلة عن ابن عباس ومقاتل قال الزجاج نفى رسول الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفيما يستقبل ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وهذا في قوم أعلمه الله سبحانه أنهم لا يؤمنون كقوله سبحانه في قصة نوح (ع) انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وقيل أيضاً في وجه التكرار ان القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتهم تكرير الكلام للتأكيد والافهام فيقول المجيب بلى بلى ويقول الممتنع لا لا عن الفراء قال ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد

وَكَائِنْ وَكَمْ عِنْدِي لَهُمْ مِنْ صَنِيعَةٍ ... أَيَادِيَ ثَنَّوهَا عَلَيَّ وَأَوْجَبُوا

وانشد

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ ... كَمْ كَمْ وَكَمْ

وقال آخر

نَعِقَ الْغُرَابُ بِبَيْنِ لَيْلَى غُدْوَةً ... كَمْ كَمْ وَكَمْ بِفِرَاقِ لَيْلَى يَنْعِقُ (١)

وقال آخر «هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا» وقال آخر

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ ... فَأَوْلَى لِنَفْسِيَ أَوْلَى لَهَا

قال وهذا أولى المواضع بالتأكيد لأن الكافرين أبدأوا في ذلك وأعادوا فكرر سبحانه ليؤكد اياسهم وحسم اطماعهم بالتكرير وقيل أيضا في ذلك ان المعنى لا أعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون الله الذي أنا عابده إذا أشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها تعبدونها من دونه وانما يعبد الله من اخلص العبادة له ولا انا عابد ما عبدتم اي لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية ولا انتم عابدون ما أعبد أي وما تعبدون عبادتي على نحو ما ذكرناه فأراد في الأول المعبود وفي الثاني العبادة فإن قيل اما اختلاف المعبودين فمعلوم فما معنى اختلاف العبادة (قلنا) انه يعبد الله على وجه الاخلاص وهم يشركون به في عبادته فاختلفت العبادتان ولأنه كان يتقرب إلى عبادته إلى معبوده بالافعال المشروعة الواقعة على وجه العبادة وهم لا يفعلون ذلك وانما يتقربون اليه بأفعال يعتقدونها قربة جهلا من غير شرع (لكم دينكم ولي دين) ذكر فيه وجوه ﴿احدها﴾

(١) وفي امالي الشريف (قده) «لبنى» بدل «ليلى» في الموضعين .

ان معناه لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ﴿وثانيها﴾ ان المعنى لكم كفركم بالله ولي دين التوحيد والاخلاص وهذا وان كان ظاهره اباحة فإنه وعيد وتهديد ومبالغة في النهي والزجر كقوله اعملوا ما شئتم ﴿وثالثها﴾ ان الدين الجزاء ومعناه لكم جزاؤكم ولي جزائي قال الشاعر

إذا ما لقونا لقيناهم ودناهم مثل ما يقرضونا

وقد تضمنت السورة معجزة لنبينا ﷺ من جهة الاخبار بما يكون في الأوقات المستقبلة ما لا سبيل إلى علمه إلا بوحي من قبل الله سبحانه العالم بالغيوب فكان ما أخبر به كما اخبر وفيها دلالة على ذم المداهنة في الدين ووجوب مخالفة الكفار والمبطلين والبراءة منهم وروى داود بن الحصين عن ابي عبد الله (ع) قال إذا قرأت قل يا ايها الكافرون فقل ايها الكافرون وإذا قلت لا اعبد ما تعبدون فقل اعبد الله وحده وإذا قلت لكم دينكم ولي دين فقل ربي الله ودبني الاسلام

سورة النصر

مدنية وهي ثلاث آيات بالإجماع

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي من قرأها فكأنما شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وروى كرام الخثعمي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ اذا جاء نصر الله والفتح في نافلة او فريضة نصره الله على جميع اعدائه وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق قد اخرجه الله من جوف قبره فيه امان من حرّ جهنم ومن النار ومن زفير جهنم يسمعه بأذنيه فلا يمرّ على شيء يوم القيامة إلا بشّره واخبره بكل خير حتى يدخل الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر الدين وافتتح هذه السورة بظهور الدين فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (٢) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٤) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا

﴿ الاعراب ﴾

مفعول جاء محذوف والتقدير اذا جاءك نصر الله وجواب اذا محذوف والتقدير اذا جاء نصر الله حضر اجلك وقيل جوابه الفاء في قوله فسبح وافواجا منصوب على الحال

﴿ المعنى ﴾

(إذا جاء) يا محمد (نصر الله) على من عاداك وهم قريش (والفتح) فتح مكة وهذه بشارة من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالنصر والفتح قبل وقوع الامر (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً) اي جماعة بعد جماعة وزمرة بعد زمرة والمراد بالدين الإسلام والتزام احكامه واعتقاد صحته وتوطين النفس على العمل به قال الحسن لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب اما اذا ظفر محمد بأهل الحرم وقد أجارهم الله

من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان أي طاقة فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا أي جماعات كثيرة بعد ان كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً او اثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل بأسرها في الاسلام وقيل في دين الله أي في طاعة الله وطاعتك وأصل الدين الجزاء ثم يعبّر به عن الطاعة التي يستحق بها الجزاء كما قال سبحانه في دين الملك اي في طاعته (فسبّح بحمد ربك واستغفره) هذا امر من الله سبحانه بأن ينزّه عالا يليق بـه من صفات النقص وأن يستغفره ووجه وجوب ذلك بالنصر والفتح ان النعمة تقتضي القيام بحقها وهو شكر المنعم وتعظيمه والاثتمار بأوامره والانتهاء عن معاصيه فكأنه قال قد حدث امر يقتضي الشكر والاستغفار وان لم يكن ثَمَّ ذنب فإن الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية بما ينافي الإصرار وقد يكون على وجه التسبيح والانقطاع الى الله عز وجل (انه كان تواباً) يقبل توبة من بقي كما قبل توبة من مضى قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأها ﷺ على اصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى فقال ﷺ ما يبكيك يا عم فقال أظن انه قد نعيت اليك نفسك يا رسول الله فقال انه لكما تقول فعاش بعدها سنتين ما رؤي فيهما ضاحكا مستبشراً قال وهذه السورة تسمى سورة التوديع وقال ابن عباس لما نزلت إذا جاء نصر الله قال نعيت الي نفسي بأنهـا مقبوضة في هذه السنة واختلف في انهم من اي وجه علموا ذلك وليس في ظاهره نعي فقيل لأن التقدير فسبح بحمد ربك فإنك حينئذ لاحق بالله وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل وعند الكمال يرقب الزوال كما قيل

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ ... تَوَقَّعْ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمَّ

وقيل لأنه سبحانه امره بتجديد التوحيد واستدراك الفائت بالاستغفار وذلك مما يلزم عند الانتقال من هذه الدار الى دار الابرار وعن عبد الله مسعود قال لمـا نزلت السورة كان النبي ﷺ يقول كثيراً سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وعن ام سلمة قالت كان رسول الله ﷺ بالآخرة لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فسألناه عن ذلك فقال ﷺ اني امرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح وفي رواية عائشة انه كان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك

حديث فتح مكة

لما صالح رسول الله ﷺ قريشاً عام الحديبية كان في اشراطهم انه من احبَّ ان يدخل في عهد رسول الله ﷺ دخل فيه فدخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عقد قريش وكان بين القبيلتين شرّ قديم ثم وقعت فيما بعد بين بني بكر وخزاعة مقاتلة ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً وكان ممن اعان بني بكر على خزاعة بنفسه عكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فركب عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد بين ظهراني القوم فقال

لَاهُمَّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّداً ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا (١)

إِنَّ قُرَيْشاً أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا ... وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا

وَقَتَلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا

(١) الناشد : الطالب والمذكر . والاتلد : القديم .

فقال رسول الله حسبك ياعمرو ثم قام فدخل دار ميمونة وقال اسكبي لي ماء فجعل يغتسل وهو يقول لا نصرت ان لم انصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما اصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان ﷺ قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدّد العقد ويزيد في المدة وسيلقى بديل بن ورقاء فلقوا ابا سفيان بعسفان وقد بعثته قريش الى النبي ﷺ ليشدد العقد فلما لقي ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل قال سرت في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال ماأتيت محمداً قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء من المدينة لقد عاف بها النوى فعمد الى مبرك ناقته واخذ من بعرها ففتّه فرأى فيه النوى فقال احلف بالله تعالى لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ فقال يا محمد احقن دم قومك واجر بين قريش وزدنا في المدة فقال ﷺ اغدرتم يا ابا سفيان قال لا قال ﷺ فنحن على ما كنّا عليه فخرج فلقي ابا بكر فقال اجر بين قريش قال ويحك واحد يجير على رسول الله ﷺ ثم لقي عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك ثم خرج فدخل على ام حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فأهوت الى الفراش فطوته فقال يا بنية ارغبت بهذا الفراش عني فقالت نعم هذا فراش رسول الله ﷺ ما كنت لتجلس عليه وانت رجس مشرك ثم خرج فدخل على فاطمة (ع) فقال يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش وتزيدين في المدة فتكونين اكرم سيدة في الناس فقالت جواري جوار رسول الله ﷺ قال أتأمرين ابنيك ان يجيرا بين الناس قالت والله ما بلغ ابناي ان يجيرا بين الناس وما يجير على رسول الله ﷺ احد فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت عليّ فانصحني فقال علي (ع) انك شيخ قريش فقم على باب المسجد وأجر بين قريش ثم الحق بأرضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيئاً قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال يا أيها الناس اني قد اجرت بين قريش ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك فأخبرهم بالقصة فقالوا والله ان زاد علي بن ابي طالب على ان لعب بك فما يغني عنا ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال فأمر رسول الله ﷺ بالجهاز لحرب مكة وامر الناس بالتهيئة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها وكتب حاطب بن ابي بلتعة الى قريش فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء فبعث عليا (ع) والزبير حتى اخذا كتابه من المرأة وقد مضت هذه القصة في سورة الممتحنة ثم استخلف رسول الله ﷺ ابا ذر الغفاري وخرج عامداً الى مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان في عشرة آلاف من المسلمين ونحو من اربعمائة فارس ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد وقد كان ابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن امية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فلم يأذن لهما فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لي فيهما اما ابن عمي فهتك عرضي واما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ماقال فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع ابي سفيان بُنيّ له فقال والله ليأذنَنّ لي او لآخذنّ بيد بُنيّ هذا ثم لنذهبنّ في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقّ لهما فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما فلما نزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران وقد غمت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم عن رسول الله ﷺ

(١) من البغتة .

خبر خرج في تلك الليلة ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وقد قال العباس ليلتئذ يا سوء صباح قريش والله لئن بغتها رسول الله في بلادها فدخل مكة عنوة انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فخرج على بغلة رسول الله وقال أخرج الى الاراك لعلي ارى حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فنخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه قال العباس فوالله اني لأطوف في الاراك التمس ما خرجت له إذ سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وسمعت ابا سفيان يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال ابو سفيان خزاعة ألأم من ذلك قال فعرفت صوته ففات يا اباحنظلة يعني ابا سفيان فقال ابو الفضل فقلت نعم قال لبيك فداك ابي وامي ما وراك فقلت هذا رسول الله وراءك قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال فما تأمرني فقلت تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله ﷺ فوالله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك فردفني فخرجت اركض به بغلة رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عمّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال يعني عمر يا ابا سفيان الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتدّ نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة حتى اقتحمت باب القبة وسبقت عمر بما يسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء فدخل عمر فقال يا رسول الله هذا ابوسفيان عدوّ الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم اني جلست الى رسول الله ﷺ واخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه اليوم احد دوني فلما اكثر فيه عمر قلت مهلا يا عمر فوالله ما يصنع هذا الرجل الا أنه رجل من آل بني عبد مناف ولو كان من عدي بن كعب ما قلت هذا قال مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم اسلمت كان أحبّ اليّ من اسلام الخطاب لو اسلم فقال ﷺ اذهب فقد أمناه حتى تغدو به علي في الغداة قال فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لا إله الا الله فقال بأبي انت وأمي ما اوصلك واكرمك وارحمك وأحلمك والله لقد ظننت ان لو كان معه إله لأغنى يوم بدر ويوم احد فقال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وامي اما هذه فإن في النفس منها شيئاً قال العباس فقلت له ويحك اشهد بشهادة الحق قبل ان يضرب عنقك فتشهد فقال ﷺ للعباس انصرف يا عباس فاحبسه عند مضيق الوادي حتى تمرّ عليه جنود الله قال فحبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي ومرّ عليه القبائل قبيلة قبيلة وهو يقول من هؤلاء واقول اسلم وجهينة وفلان حتى مرّ رسول الله ﷺ في الكتيبة الخضراء من المهاجرين والانصار في الحديد لا يرى منهم الا الحدق فقال من هؤلاء يا ابا الفضل قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والانصار فقال يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيماً فقلت ويحك انها النبوة فقال نعم اذاً وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء رسول الله ﷺ واسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الإسلام وقال من دخل دار أبي سفيان وهي بأعلى مكة فهو آمن ومن دخل دار حكيم وهي بأسفل مكة فهو آمن ومن اغلق بابه وكفّ يده فهو آمن ولما خرج ابو سفيان وحكيم من عند رسول الله ﷺ عامدين الى مكة بعث في اثرهما الزبير بن العوام وامره على خيل المهاجرين وامره ان يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال له لا تبرح حتى آتيك ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وضربت هناك

خيمته وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمته وبعث خالد بن الوليد فيمن كان اسلم من قضاعة وبني سليم وامره ان يدخل أسفل مكة ويغرز رايته دون البيوت وامرهم رسول الله ﷺ جميعاً أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم وامرهم بقتل أربعة نفر عبد الله بن سعد بن ابي سرح والحويرث بن نفيل وابن خطل ومقيس بن ضبابة وامرهم بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة فقتل علي (ع) الحويرث بن نفيل واحدى القينتين وافلتت الاخرى وقتل مقيس بن ضبابة في السوق وادرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً فقتله قال وسعى ابو سفيان الى رسول الله ﷺ واخذ غرزه اي ركابه فقبله ثم قال بأبي انت وامي أما تسمع مايقول سعد إنه يقول اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة فقال ﷺ لعلي (ع) ادركه فخذ الراية منه وكن أنت الذي يدخل بها وادخلها ادخالا رفيقا فأخذها علي (ع) وادخلها كما امر ولما دخل رسول الله ﷺ مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون ان السيف لا يرفع عنهم وأتى رسول الله ووقف قائماً على باب الكعبة فقال لا إله الا الله وحده وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا ان كل مال اومأثرة ودم تدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى اهليهما الا ان مكة محرمة بتحريم الله لم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي الا ساعة من نهار وهي محرمة الى ان تقوم الساعة لا يختلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد ثم قال ألا لبئس جيران النبي كنتم لقد كذبتم وطردتم واخرجتم وآذيتم ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم فكأنما انشروا من القبور ودخلوا في الاسلام وكان الله سبحانه امكنه من رقابهم عنوة فكانوا له فيأ فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء وجاء ابن الزبعرى الى رسول الله ﷺ واسلم وقال

يَا رَسُولَ الإِلَهِ إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ (١)
إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الغَيِّ ... وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ (٢)
أَمَنَ اللَّحْمُ وَالعِظَامُ لِرَبِّي ... ثُمَّ نَفْسِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ

وعن ابن مسعود قال دخل النبي ﷺ يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وعن ابن عباس قال لما قدم النبي ﷺ إلى مكة ابى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت صورة ابراهيم واسماعيل (ع) وفي ايديهما الازلام فقال ﷺ قاتلهم الله أما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط

(١) رجل بور: هالك . (٢) قوله اباري اى اجارى واعارض . والسنن : وسط الطريق . و مثبور : هالك

سورة تبت

وتسمى ايضا سورة ابي لهب وتسمى سورة المسد مكية

عدد آيها

خمس آيات بالاجماع

فضلها

في حديث ابي من قرأها رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة عن ابي عبدالله (ع) قال اذا قرأتم تبت فادعوا على ابي لهب فإنه كان من المكذبين بالنبي ﷺ وبما جاء به من عند الله

تفسيرها

ذكر سبحانه في تلك السورة وعده بالنصر والفتح ثم بيّن في هذه السورة ما كفاه الله من امر ابي لهب فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (٢) ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ (٣) سَيَصْلى نارًا ذاتَ لَهَبٍ (٤) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ (٥) في جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ

القراءة

قرأ ابن كثير ابي لَهَب ساكنة الهاء والباقون بفتحها واتفقوا في ذات لهب انها مفتوحة الهاء لوفاق الفواصل وقرأ عاصم حمالة الحطب بالنصب والباقون بالرفع وروي عن البرجمي سيصلى بضم الياء وهي قراءة اشهب العقيلي وابي رجاء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ومُرَيْئَتُهُ حمالةُ للحطب في جيدها حبل من مسد

الحجة

قال ابو علي يشبه ان يكون لَهَب ولَهْب لغتين كالشَّمَع والشَّمْع والنَّهَر والنَّهْر واتفاقهم في الثانية على الفتح يدل على انه اوجه من الإسكان وكذلك قوله ولا يغني من اللهب واما حالة الحطب فمن رفع جعله وصفا لقوله وامرأته ويدل على ان الفعل قد وقع كقولك مررت برجل ضارب عمرا امس فهذا لا يكون إلا معرفة ولا يقدر فيه الا الانفصال كما يقدر في هذا النحو اذا لم يكن الفعل واقعا واما ارتفاع امرأته فيحتمل وجهين احدهما العطف على فاعل سيصلى التقدير سيصلى ناراً هو وامرأته الا ان الاحسن أن لا يؤكد لما جرى من الفصل بينهما ويكون حمالة الحطب على هذا وصفا لها ويجوز في قوله في جيدها أن يكون في موضع حال وفيها ذكر منها ويتعلق بمحذوف ويجوز فيه وجه آخر وهو ان يرتفع امرأته بالابتداء وحمالة وصف لها وفي جيدها خبر المبتدأ واما النصب في حمالة الحطب فعلى الذم لها كأنها كانت اشتهرت بذلك فجرت الصفة عليها للذم لا للتخصيص والتخليص من موصوف غيرها وقوله حبل معناه غليظ . رجل حبل الوجه وحبل الرأس

اللغة

التب والتباب الخسران المؤدي الى الهلاك والمسدّ الحبل من الليف وجمعه امساد قال

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيانِقِ ... لَيْسَ بِأَنْيابٍ وَلا حَقائِقِ (١)

(١) قائله عمارة بن طارق وايانق جمع اينق : واينق جمع ناقة . والانياب جمع ناب وهي المسنة من الابل والحقائق جمع حقة - بالكسر - وهي التي دخلت في السنة الرابعة وليس جلدها بالقوي . يريد ليس جلدها من الصغير ولا الكبير

النزول

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه فأقبلت اليه قريش فقالوا له مالك فقال أرأيتم لو اخبرتكم ان العدوّ مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدّقوني قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبّاً لك لهذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله هذه السورة أورده البخاري في الصحيح

المعنى

(تبت يدا ابي لهب وتب) أي خسرت يداه وخسر هو عن مقاتل وانما قال خسرت يداه لأن اكثر العمل يكون باليد والمراد خسر عمله وخسرت نفسه بالوقوع في النار وقيل ان اليد هنا صلة كقولهم يد الدهر ويد السنة قال « وأيدي الرزايا بالذخائر مولع » وقيل معناه صفرت يداه من كل خير قال الفراء الاول دعاء والثاني خبر فكأنه قال اهلكه الله وقد هلك وفي حرف عبد الله وأبي وقد تبَّ وقيل ان الاول ايضاً خبر ومعناه انه لم تكتسب يداه خيراً قطّ وخسر مع ذلك هو نفسه اي تبَّ على كل حال وابو لهب هو ابن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ وكان شديد المعاداة والمناصبة له قال طارق المحاربي بينا انا بسوق ذي المجاز اذا انا بشاب يقول ايها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا واذا برجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا ايها الناس انه كذاب فلا تصدّقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد يزعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذّاب وانما ذكر سبحانه كنيته دون اسمه لأنها كانت اغلب عليه وقيل لأن اسمه عبد العزى فكره الله سبحانه ان ينسبه الى العزى وانه ليس بعبد لها وانما هو عبد الله وقيل بل اسمه كنيته وانما سمي بذلك لحسنه واشراق وجهه وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان عن مقاتل (ما اغنى عنه ماله وما كسب) اي ما نفعه ولا دفع عنه عذاب الله ما له وما كسبه ويكون ما في قوله وما كسب موصولة والضمير العائد من الصلة محذوف وقيل معناه اي شيء اغنى عنه ماله وما كسب يعني ولده لأن ولد الرجل من كسبه وذلك انه قال لما انذره النبي ﷺ بالنار ان كان ما تقول حقا فإني افتدي بمالي وولدي ثم انذره سبحانه بالنار فقال (سيصلى ناراً ذات لهب) اي سيدخل ناراً ذات قوة واشتعال تلتهب عليه وهي نار جهنم وفي هذا دلالة على صدق النبي ﷺ وصحة نبوته لأنه اخبر ان ابا لهب يموت على كفره وكان كما قال (وامرأته) وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل الشوك والعضاة فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ اذا خرج الى الصلاة ليعقره عن ابن عباس وفي رواية الضحاك قال الربيع بن انس كانت تبث وتنشر الشوك على طريق الرسول فيطأه كما يطأ احدكم الحرير وقيل انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة وتوقد نارها بالتهييج كما توقد النار الحطب فسمى النميمة حطبا عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة ومجاهد وعكرمة والسدي قالت العرب فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به قال « ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب » اي لم يمش بالنميمة وقيل حمالة الحطب معناه حمالة الخطايا عن سعيد بن جبير وابي مسلم ونظيره قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم (في جيدها حبل من مسد) اي في عنقها حبل من ليف وانما وصفها بهذه الصفة تخسيساً لها وتحقيراً وقيل حبل يكون له خشونة الليف وحرارة النار وثقل الحديد يجعل في عنقها زيادة في عذابها وقيل في عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون

ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها وتدار على عنقها في النار عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسميت السلسلة مسدا بمعنى انها ممسودة اي مفتولة وقيل انها كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت لأنفقنها في عداوة محمد فيكون عذابا يوم القيامة في عنقها عن سعيد بن المسيب. ويروى عن اسماء بنت ابي بكر قالت لما نزلت هذه السورة اقبلت العوراء ام جميل بنت حرب زلها ولولة وفي يدها فهر(١) وهي تقول « مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا » والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه ابو بكر فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله قد اقبلت وانا اخاف ان تراك قال رسول الله ﷺ انها لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجاني فقال لا ورب البيت ما هجاك فولت وهي تقول « قريش تعلم اني بنت سيدها » وروي ان النبي ﷺ قال صرف الله سبحانه عني انهم يذمون مذمما وانا محمد ومتى قيل كيف يجوز ان لا ترى النبي ﷺ وقد رأت غيره فالجواب يجوز ان يكون الله قد عكس شعاع عينيها أو صلب الهواء فلم ينفذ فيه الشعاع او فرق الشعاع فلم يتصل بالنبي ﷺ. وروي ان النبي ﷺ قال ما زال ملك يسترني عنها واذا قيل هل كان يلزم ابا لهب الايمان بعد هذه السورة وهل كان يقدر على الايمان ولو آمن لكان فيه تكذيب خبر الله سبحانه بأنه سيصلى ناراً ذات لهب فالجواب ان الايمان يلزمه لأن تكليف الايمان ثابت عليه وإنما توعده الله بشرط ان لا يؤمن الا ترى الى قوله سبحانه في قصة فرعون الآن وقد عصيت قبل وفي هذا دلالة على انه لو تاب قبل وقت اليأس لكان يقبل منه ولهذا خص رد التوبة عليه بذلك الوقت وايضاً فلو قدرنا ان ابا لهب سأل النبي ﷺ قال لو آمنت هل ادخل النار لكان ﷺ يقول له لا وذلك لعدم الشرط

سورة الاخلاص

مكية وقيل مدنية وسميت سورة التوحيد لأنه ليس فيها إلا التوحيد و كلمة التوحيد تسمى كلمة الاخلاص وقيل إنما سميت بذلك لأن من تمسك بما فيها اعتقاداً واقراراً كان مؤمناً مخلصاً وقيل لأن من قرأها على سبيل التعظيم اخلصه الله من النار اي انجاه منها وتسمى ايضاً سورة الصمد وتسمى ايضا بفاتحتها وتسمى ايضا نسبة الرب وروي في الحديث لكل شيء نسبة ونسبة الرب سورة الاخلاص وفي الحديث ايضا انه كان يقول لسورتي قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان سميتا بذلك لأنهما يبرئان من الشرك والنفاق يقال تقشقش المريض من علته اذا افاق وبرئ وقشقشه ابرأه كما يقشقش الهناء الجرب

عدد آيها

خمس آيات مكي شامي اربع في الباقين

اختلافها

آية لم باد مكي شامي

(١) الفهر : حجر على مقدار ملاء الكف . (٢) كانت قريش تسمي رسول الله (ص) مذمماً . وقلينا اي ابغضنا

فضلها

في حديث ابي من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن واعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من كفر بالله وملائكته و كتبه ورسله واليوم الآخر وعن ابي الدرداء عن النبي ﷺ قال أيعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة قلت يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال اقرأوا قل هو الله احد وعن انس عن النبي ﷺ قال من قرأ قل هو الله احد مرة بورك عليه فإن قرأها مرتين بورك عليه وعلى اهله فإن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى اهله وعلى جميع جيرانه فإن قرأها اثنتي عشر مرة بني له اثنا عشر قصراً في الجنة فتقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا فإن قرأها مائة مرة كفّر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والاموال فإن قرأها اربعمائة كفر عنه ذنوب اربعمائة سنة فإن قرأها الف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له وعن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل الى النبي ﷺ فشكا اليه الفقر وضيق المعاش فقال له رسول الله ﷺ اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فأفاض الله عليه رزقاً حتى افاض على جيرانه . السكوني عن ابي عبد الله (ع) ان رسول الله ﷺ صلى على سعد بن معاذ فلما صلى عليه قال ﷺ لقد وافى من الملائكة سبعون الف ملك وفيهم جبرائيل (ع) يصلون عليه فقلت يا جبرائيل بم استحق صلاتكم عليه قال بقراءة قل هو الله أحد قاعداً وقائماً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً . منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال من مضى به يوم واحد فصلى فيه الخمس صلوات ولم يقرأ فيها بقل هو الله احد قيل له يا عبد الله لست من المصلين . اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال من مضت عليه جمعة ولم يقرأ فيها بقل هو الله أحد ثم مات مات على دين أبي لهب . هارون بن خارجة عنه ﷺ قال من أصابه مرض أو شدة فلم يقرأ في مرضه أو شدته بقل هو الله أحد ثم مات في مرضه او في تلك الشدة التي نزلت به فهو من اهل النار . أبو بكر الحضرمي عنه ﷺ قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع ان يقرأ في دبر الفريضة بقل هو الله أحد فإنه من قرأها جمع له خير الدنيا والآخرة وغفر الله له ولوالديه وما ولدا . عبد الله بن حجر قال سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول من قرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب وارغم انف الشيطان . ابراهيم بن مهزم عمن سمع ابا الحسن (ع) يقول من قدم قل هو الله أحد بينه وبين كل جبار منعه الله منه يقرؤها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فإذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شره وقال اذا خفت امراً فاقرأ مائة آية من القرآن حيث شئت ثم قل اللهم اكشف عني البلاء ثلاث مرات . عيسى بن عبدالله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال قال رسول الله ﷺ من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة

تفسيرها

لما ذمّ سبحانه اعداء أهل التوحيد في السورة المتقدمة ذكر في هذه السورة بيان التوحيد فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (١) قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (٢) اللهُ الصَّمَدُ (٣) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٤) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو احد الله الصمد بغير تنوين الدال من أحد وروي عنه (ع) انه كان يقول قل هو الله أحد ثم يقف فإن وصل قال أحد الله وزعم ان العرب لم تكن تصل مثل هذا والباقون أحد الله بالتنوين وقرأ اسماعيل عن نافع وحمزة وخلف ورويس كُفُوًا ساكنة الفاء مهموزة وقرأ حفص كُفُوءاً مضمومة الفاء مفتوحة الواو وغير مهموزة وقرأ الباقون كُفُؤاً بالهمزة وضم الفاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ أحدٌ الله فوجهه بين وذلك ان التنوين من أحد ساكن ولام المعرفة من الاسم ساكن فلما التقى الساكنان حرك الاول منهما بالكسر كما تقول اذهب اذهب ومن قال أحد الله فحذف النون فإن النون قد شابهت حروف اللين في الآخر في أنها تزاد كما يزدن وفي أنها تدغم فيهن كما يدغم كل واحد من الواو والياء في الآخر وفي انها قد ابدلت منها الالف في الاسماء المنصوبة وفي الخفيفة فلما شابهت حروف اللين اجريت مجراها في أن حذفت ساكنة لالتقاء الساكنين كما حذف الالف والواو والياء لذلك في نحو رمى القوم ويغزو الجيش ويرمي القوم ومن ثم حذفت ساكنة في الفعل في نحو لم يك ولاتك في مرية فحذفت في أحد الله لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف في نحو هذا زيد بن عمرو حتى استمر ذلك في الكلام وأنشد ابو زيد

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ... وَلَا ذَاكِرَ اللهَ إِلَّا قَلِيلَا

وقال الشاعر

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا ... تَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةٌ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي ... عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاءِ(١)

أما كفوا و كفوا فأصله الضم فخفف مثل طنب وطنب وعنق وعنق

﴿ اللغة ﴾

أحد اصله وحد فقلبت الواو همزة ومثله اناة واصله وناة وهو على ضربين ﴿ أحدهما ﴾ أن يكون اسماً ﴿ والآخر ﴾ أن يكون صفة فالاسم نحو احد وعشرون يريد به الواحد والصفة كما في قول النابغة

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا ... بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ(٢)

و كذلك قولهم واحد يكون اسماً كالكاهل والغارب ومنه قولهم واحد اثنان ثلاثة وتكون صفة كما في قول الشاعر «فَقَدْ رَجَعُوا كَحَيِّ واحدِينا» وقد جمعوا احداً الذي هو الصفة على أُحدان قالوا احد وأُحدان شبّهوه بسلق وسُلقان ونحوه قول الشاعر

يَحْمِي الصَّرِيمَةَ أُحْدَانُ الرِّجَالِ لَهُ ... صَيْدٌ وَمُجْتَرِئٌ بِاللَّيْلِ هَمَّاسُ(٣)

فهذا جمع لأحد الذي يراد به الرفع من الموصوف والتعظيم له وانه منفرد عن الشبه والمثل وقالوا هو أحد الاحد اذا رفع منه وعظم وقالوا أحد الاحدين وواحد الآحاد وحقيقة الواحد شيء لا ينقسم في

(١) البيتان لعبيد الله بن قيس الرقيات . وغارة شعواء : متفرقة والخدام : الخلخال : وخدام ههنا في نية عن خدامها والعقيلة : الكريمة . (٢) البيت من قصيدة يمدح بها النعمان بن منذر وقد عدها بعض الادباء من المعلقات وذو الجليل : واد قرب مكة . واراد من المستانس : الثور الوحشي الذي احس بما رابه فهو يستانس اي يتبصر ويلتفت هل يرى احداً فذلك

نفسه أو في معنى صفته فإذا اطلق واحد من غير تقدم موصوف فهو واحد في نفسه وإذا أجري على موصوف فهو واحد في معنى صفته فإذا قيل الجزء الذي لا يتجزأ واحد أريد انه واحد في نفسه وإذا قيل هذا الرجل إنسان واحد فهو واحد في معنى صفته وإذا وصف الله تعالى بأنه واحد فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها أحد غيره نحو كونه قادراً لنفسه عالما حياً موجوداً كذلك والصمد السيد المعظم الذي يصمد اليه في الحوائج أي يقصد وقيل هو السيد الذي ينتهي اليه السؤدد قال الاسدي

أَلَا بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدٍ ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

وقال الزبرقان «وَلَا رهينَةَ إِلَّا السَّيِّدِ الصَّمَدِ» وقال رجل مصمد أي مقصود وكذلك بيت مصمد قال طرفة

وَإِنْ يَلْتَقِي الْحَيُّ الْجَمِيعُ تُلَاقِنِي ... إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْمُصَمَّدِ(١)

والكفو والكفيء والكفاء واحد وهو المثل والنظير قال النابغة

لَا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ ... وَلَوْ تَأَلَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرِّفَدِ(٢)

وقال حسان

وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللهِ مِنَّا ... وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

وقال آخر في الكفيء

أَمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِيئًا لِدَارِمٍ ... بَلَى وَلِأَبْيَاتٍ بِهَا الْحُجُرَاتِ

﴿ الإعراب ﴾

قال ابو علي قل هو الله احد يجوز في اعراب الله ضربان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون خبر مبتدأ وذلك على قول من ذهب الى ان هو كناية عن اسم الله تعالى ثم يجوز في قوله احد ما يجوز في قولك زيد اخوك قائم ﴿ والآخر ﴾ على قول من ذهب الى ان هو كناية عن القصة والحديث فيكون اسم الله عنده مرتفعاً بالابتداء واحد خبره ومثله قوله تعالى فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الا ان هي جاءت على التأنيث لأن في التفسير اسماً مؤنثاً وعلى هذا جاء فإنها لا تعمى الابصار واذا لم يكن في التفسير مؤنث لم يؤنث ضمير القصة وقوله الله الصمد الله مبتدأ والصمد خبره ويجوز ان يكون الصمد صفة الله والله خبر مبتدأ محذوف اي هو الله الصمد ويجوز ان يكون الله الصمد خبراً بعد خبر على قول من جعل هو ضمير الامر والحديث ولم يكن له كفواً احد قال ان له ظرف غير مستقر وهو متعلق بكان وكفواً منتصب بأنه خبر متقدم كما كان قوله تعالى وكان حقاً علينا نصر المؤمنين كذلك وزعموا ان من البغداديين من يقول ان في يكن من قوله ولم يكن له كفوا احد ضميراً مجهولا وقوله كفواً ينتصب على الحال والعامل فيها له وهذا إذا افردته عن يكن كان معناه له احد كفواً واذا حمل على هذا لم يسغ ووجه ذلك انه محمول على معنى النفي فكأنه لم يكن احد له كفواً كما كان قولهم ليس الطيب الا المسك محمولا على معنى النفي ولولا حمله على المعنى لم يجز ألا ترى انك لو قلت زيد الا منطلق لم يكن كلاما فكما ان هذا محمول على المعنى كذلك له كفوا احد محمول على المعنى وعلى هذا جاز ان يكون احد فيه الذي يقع لعموم النفي ولولا ذلك لم يجز ان يقع احد هذا في الايجاب فان قلت أيجوز ان يكون قوله تعالى له عندكم حالا على ان يكون المعنى

← اجد في عدوه وفراره . والوحد : الوحيد المنفرد . (٣) الصريمة : القطعة من النخل ومن الابل ايضا . واسد حماس . شديد الغمز بضرسه

(١) البيت من المعلقة يقول : ان اجتمع الحي للافتخار كنت في اعلى الشرف . (٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها ←

ولم يكن كفواً له احد فيكون له صفة للنكرة فلما قدم صار في موضع الحال كقوله «لِعَزَّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ قَدِيمُ»(١) فإن سيبويه قال ان ذلك يقل في الكلام وان كثر في الشعر فإن حملته على هذا على استكراه كان غير ممتنع والعامل في قوله له اذا كان حالا يجوز ان يكون احد شيئين ﴿ احدهما ﴾ يكن ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ما في معنى كفواً من معنى المماثلة فإن قلت ان العامل في الحال اذا كان معنى لم يتقدم الحال عليه فإن له لما كان على لفظ الظرف والظرف يعمل فيه المعنى وان تقدم عليه كقولك كل يوم لك ثوب كذلك يجوز في هذا الظرف وذلك من حيث كان ظرفا وفيه ضمير في الوجهين يعود الى ذي الحال وهو كفوا

﴿ النزول ﴾

قيل ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فنزلت السورة عن ابي بن كعب وجابر وقيل أتى عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخو لبيد النبي ﷺ وقال عامر الى ما تدعونا يا محمد فقال إلى الله فقال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت السورة وارسل الله الصاعقة على اربد فأحرقته وطعن عامر في خنصره فمات عن ابن عباس وقيل جاء اناس من احبار اليهود الى النبي ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله انزل نعته في التوراة فنزلت السورة وهي نسبة الله خاصة عن الضحاك وقتادة ومقاتل وروى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) قال ان اليهود سألوا النبي ﷺ فقالوا انسب لنا ربك فمكث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت السورة . وقريب منه ما ذكره القاضي في تفسيره ان عبد الله بن سلام انطلق الى رسول الله ﷺ وهو بمكة فقال له رسول الله ﷺ انشدك بالله هل تجدني في التوراة رسول الله فقال انعت لنا ربك فنزلت هذه السورة فقرأها النبي ﷺ فكانت سبب اسلامه إلاّ انه كان يكتم ذلك الى ان هاجر النبي ﷺ الى المدينة ثم اظهر الإسلام

﴿ المعنى ﴾

(قل هو الله احد) هذا امر من الله عز اسمه لنبيه ﷺ ان يقول لجميع المكلفين هو الله الذي تحق له العبادة قال الزجاج هو كناية عن ذكر الله عز وجل ومعناه الذي سألتم تبيين نسبته هو الله احد اي واحد ويجوز ان يكون المعنى الامر الله احد لا شريك له ولا نظير وقيل معناه واحد ليس كمثله شيء عن ابن عباس وقيل واحد في الآلهية والقدم وقيل واحد في صفة ذاته لا يشركه في وجوب صفاته احد فإنه يجب ان يكون موجوداً عالما قادراً حيا ولا يكون ذلك واجباً لغيره وقيل واحد في افعاله لأن افعاله كلها احسان لم يفعلها لجر نفع ولا لدفع ضرر فاختص بالوحدة من هذا الوجه إذ لا يشركه فيه سواه واحد في انه لا يستحق العبادة سواه لأنه القادر على اصول النعم من الحياة والقدرة والشهوة وغير ذلك مما لا تكون النعمة نعمة الاّ به ولا يقدر على شيء من ذلك غيره فهو احد من هذه الوجوه الثلاثة وقيل انما قال احد ولم يقل واحد لأن الواحد يدخل في الحساب ويضم اليه آخر واما الأحد فهو الذي لا يتجزأ ولا ينقسم في ذاته ولا في معنى صفاته ويجوز ان يجعل الواحد ثانيا ولا يجوز ان يجعل للأحد ثانيا لأن الاحد يستوعب جنسه بخلاف الواحد ألا ترى انك لو قلت فلان لا يقاومه واحد جاز ان يقاومه اثنان ولما قلت لا يقاومه احد لم يجز ان يقاومه اثنان ولا اكثر فهو ابلغ وقال ابو جعفر الباقر (ع) في معنى قل هو الله احد اي قل اظهر ما اوحينا اليك وما نبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها عليك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو

← النعمان ويعتذر اليه مما وشى له به المنخل من شان امرأته . يقول لاترمينى بركن اى بجانب اقوى وامرا اطيق ولا يقوم لاحد . وتأثفك الاعداء اى احتوشوك فصاروا حولك كالاثافى من القدر . والرفد : ان يرفد بعضهم بعضا فى السعى بى عندك

(١) هذا صدر بيت لكثير عزة وعجزه « عفاه كل اسحم مستديم » : وعزة : اسم امراة وبها قيل له كثير عزة . و ←

شهيد وهو اسم مكنى مشار الى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو اشارة الى الغائب عن الحواس كما ان قولك هذا اشارة الى الشاهد عند الحواس وذلك ان الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف اشارة الى المشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة بالابصار فأشر انت يا محمد الى إلهك الذي تدعو اليه حتى نراه وندركه ولا نأله فيه فأنزل الله سبحانه قل هو الله احد فالهاء تنبيت للثابت والواو اشارة الى الغائب عن درك الابصار ولمس الحواس وانه يتعالى عن ذلك بل هو مدرك الابصار ومبدع الحواس وحدثني ابي عن ابيه عن امير المؤمنين (ع) انه قال رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليلة فقلت له علمني شيئاً انتصر به على الاعداء فقال قل يا هو يا من لا هو إلا هو فلما اصبحت قصصت على رسول الله ﷺ فقال يا علي علمت الاسم الاعظم فكان على لساني يوم بدر قال وقرأ (ع) يوم بدر قل هو الله احد فلما فرغ قال يا هو يا من لا هو الا هو اغفر لي وانصرني على القوم الكافرين وكان يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد فقال له عمار بن ياسر يا امير المؤمنين ما هذه الكنايات قال اسم الله الاعظم وعماد التوحيد لله لا إله إلا هو ثم قرأ شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم وآخر الحشر ثم نزل فصلى اربع ركعات قبل الزوال قال وقال امير المؤمنين (ع) الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويوله اليه الله المستور عن ادراك الابصار المحجوب عن الاوهام والخطرات وقال الباقر (ع) الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن ادراك ماهيته والإحاطة بكيفيته وتقول العرب أله الرجل اذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علماً وله اذا فزع الى شيء قال والاحد الفرد المتفرد والاحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد والواحد المباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ومن ثم قالوا إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله الله احد اي المعبود الذي يأله الخلق عن ادراكه والاحاطة بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفات خلقه (الله الصمد) قال الباقر (ع) حدثني ابي زين العابدين (ع) عن ابيه الحسين بن علي (ع) انه قال الصمد الذي قد انتهى سؤدده والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال والصمد الذي لا جوف له والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب والصمد الذي لا ينام واقول ان المعنى في هذه الثلاثة انه سبحانه الحي الذي لا يحتاج الى الطعام والشراب والنوم قال الباقر (ع) والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر ولا ناه قال وكان محمد ابن الحنفية يقول الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره وقال غيره الصمد المتعالي عن الكون والفساد والصمد الذي لا يوصف بالنظائر قال وسئل علي بن الحسين زين العابدين (ع) عن الصمد فقال الصمد الذي لا شريك له ولا يؤده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء وقال ابو البختري وهب بن وهب القرشي قال زيد بن علي (ع) الصمد الذي اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون والصمد الذي أبدع الاشياء فخلقها اضدادا وأصنافاً وأشكالا وازواجا وتفرد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ قال وهب بن وهب وحدثني الصادق جعفر بن محمد (ع) عن ابيه الباقر (ع) عن ابيه (ع) ان اهل البصرة كتبوا الى الحسين بن علي (ع) يسألونه عن الصمد فكتب اليهم بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدّي رسول الله ﷺ يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوّء مقعده من النار وان الله قد فسّر سبحانه الصمد فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن كفواً أحد (لم يلد) لم يخرج

موحشاً من اوحش المنزل اذا اقفر وخلا من الانيس واصبح مسكناً للوحش . والطلل : ماشخص من آثار الديار . والشاهد في مجيء الحال الذى هو موحشاً من النكرة التى هى طلل وتقدمه عليه دليل على انه حال لاصفة

منه شيء كثيف كالولد ولا سائر الاشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا ينبعث منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسآمة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف (ولم يولد) أي ولم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الاشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الارض والماء من الينابيع والثمار من الاشجار ولا كما تخرج الاشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الاذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب والنار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء مبدع الاشياء وخالقها ومنشئ الاشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (ولم يكن له كفواً احد) قال وهب بن وهب سمعت الصادق (ع) يقول قدم وفد من فلسطين على الباقر (ع) فسألوه عن مسائل فأجابهم عنها ثم سألوه عن الصمد فقال تفسيره فيه الصمد خمسة احرف ﴿ فالألف ﴾ دليل على انيته وهو قوله عز وجل شهد الله انه لا إله إلا هو وذلك تنبيه واشارة الى الغائب عن درك الحواس ﴿واللام﴾ دليل على إلاهيته بأنه هو الله والالف واللام مدغمان . لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان على إلاهيته بلطفه خافية لا يدرك بالحواس ولا يقع في لسان واصف ولا اذن سامع لأن تفسير الإله هو الله الذي أله الخلق عن درك ماهيته و كيفيته بحس او بوهم لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس وإنما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على ان الله سبحانه اظهر ربوبيته في ابداع الخلق وتركيب ارواحهم اللطيفة في اجسادهم الكثيفة واذا نظر عبد الى نفسه لم ير روحه كما ان لام الصمد لا يتبين ولا يدخل في حاسة من حواسه الخمس فلما نظر الى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف فمتى تفكر العبد في ماهية الباري و كيفيته أله وتحيّر ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه تعالى خالق الصور واذا نظر الى خلقه ثبت له انه عز وجل خالقهم ومركب ارواحهم في اجسادهم وأما ﴿ الصاد ﴾ فدليل على انه سبحانه صادق وقوله صدق و كلامه صدق ودعا عباده الى اتباع الصدق بالصدق ووعدنا بالصدق وأراد الصدق وأما ﴿الميم﴾ فدليل على ملكه وانه الملك الحق المبين لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه واما ﴿الدال﴾ فدليل على دوام ملكه وانه دائم تعالى عن الكون والزوال بل هو الله عز وجل مكوّن الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن ثم قال (ع) لو وجدت لعلمي الذي اتاني الله حملة لنشرت التوحيد والإسلام والدين والشرائع من الصمد و كيف لي بذلك ولم يجد جدّي امير المؤمنين (ع) حملة لعلمه حتى كان يتنفس على الصعداء أو يقول على المنبر سلوني قبل ان تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جما هاه هاه ألا لا أجد من يحمله ألا وان عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وعن عبد خير قال سأل رجل علياً (ع) عن تفسير هذه السورة فقال قل هو الله احد بلا تأويل عدد الصمد بلا تبعيض بدد لم يلد فيكون موروثاً هالكا ولم يولد فيكون إلهاً مشاركا ولم يكن له من خلقه كفواً احد وقال ابن عباس لم يلد فيكون والداولم يولد فيكون ولداً وقيل لم يلد ولداً فيرث عنه ملكه ولم يولد فيكون قد ورث الملك عن غيره وقيل لم يلد فيدل على حاجته فإن الانسان يشتهي الولد لحاجته اليه ولم يولد فيدل

على حدوثه وذلك من صفة الاجسام وفي هذا ردّ على القائلين ان عزيراً والمسيح ابن الله وان الملائكة بنات الله ولم يكن له كفواً احد أي لم يكن له احد كفوا اي عديلا ونظيراً يماثله وفي هذا ردّ على من اثبت له مثلا في القدم وغيره من الصفات وقيل معناه ولم تكن له صاحبة وزوجة فتلد منه لأن الولد يكون من الزوجة فكنى عنها بالكفوء لأن الزوجة تكون كفواً لزوجها وقيل انه سبحانه بيّن التوحيد بقوله الله احد وبيّن العدل بقوله الله الصمد وبيّن ما يستحيل عليه من الوالد والولد بقوله لم يلد ولم يولد وبيّن ما لا يجوز عليه من الصفات بقوله ولم يكن له كفواً احد وفيه دلالة على انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو في مكان ولا جهة وقال بعض ارباب اللسان وجدنا انواع الشرك ثمانية النقص والتقلب والكثرة والعدد و كونه علة او معلولاً والاشكال والاضداد فنفى الله سبحانه عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله قل هو الله احد ونفى التقلب والنقص بقوله الله الصمد ونفي العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفى الاشكال والاضداد بقوله ولم يكن له كفواً احد فحصلت الوحدانية البحت وروى عمران بن الحصين ان النبي ﷺ بعث سرية واستعمل عليها عليا (ع) فلما رجعوا سألهم عن علي (ع) فقالوا كل خير غير انه كان يقرأ في اثناء كل صلاة بقل هو الله احد فقال لم فعلت يا علي هذا فقال لحبي قل هو الله احد فقال النبي ﷺ ما احببتها حتى احبك الله عز وجل ويروى ان النبي ﷺ كان يقف عند آخر كل آية من هذه السورة وروى الفضيل بن يسار قال امرني ابو جعفر أن اقرأ قل هو الله احد واقول اذا فرغت منها كذلك الله ربي ثلاثا

سورة الفلق

مدنية في أكثر الاقاويل وقيل مكية

عدد آيها

خمس آيات بالاجماع

فضلها

في حديث ابي ومن قرأ قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فكأنما قرأ جميع الكتب التي انزلها الله على الانبياء . وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ انزلت عليّ آيات لم ينزل مثلهن المعوذتان اورده مسلم في الصحيح . وعنه عن النبي ﷺ قال يا عقبة الا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن أو من أفضل القرآن قلت بلى يا رسول الله فعلّمني المعوذتين ثم قرأ بهما في صلاة الغداة وقال لي اقرأهما كلما قمت ونمت . ابو عبيدة الحذاء عن ابي جعفر (ع) قال من اوتر بالمعوذتين وقل هو الله أحد قيل له يا عبد الله ابشر فقد قبل الله وترك

تفسيرها

ذمّ سبحانه أعداء الرسول ﷺ في سورة تبت ثم ذكر التوحيد في سورة الإخلاص ثم ذكر سبحانه الاستعاذة في السورتين فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (٢) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٣) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٤) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٥) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

اللغة

أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق رأسه بالسيف يفلقه فلقاً ويقال ابين من فلق الصبح وفرق الصبح لأن عموده ينفلق بالضياء عن الظلام والغاسق في اللغة الهاجم بضرره وهو هاهنا الليل لأنه يخرج السباع من آجامها والهوام من مكامنها فيه يقال غسقت القرحة اذا جرى صديدها ومنه الغساق صديد أهل النار لسيلانه بالعذاب وغسقت عينه سال دمعها. الوقوب الدخول وقب يقب ومنه الوقبة النقرة لأنه يدخل فيها النفث شبيهة بالنفخ واما التفل فنفخ بريق فهذا الفرق بين النفث والتفل قال الفرزدق

هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا ... عَلَى النَّافِثِ الْغَاوِي أَشَدُّ رِجَامِ

والحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن صاحبها وان لم يردها لنفسه فالحسد مذموم والغبطة محمودة وهي ان يريد من النعمة لنفسه مثل ما لصاحبه ولم يرد زوالها عنه

النزول

قالوا ان لبيد بن اعصم اليهود سحر رسول الله ﷺ ثم دسّ ذلك في بئر لبني زريق فمرض رسول الله ﷺ فبينا هو نائم اذا أتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فأخبراه بذلك وانه في بئر دروان في جف طلعة تحت راعوفة والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر يقوم عليها الماتح فاتبه رسول الله ﷺ وبعث عليا (ع) والزبير وعمار فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأس واسنان من مشطة واذا فيه معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالأبر فنزلت هاتان السورتان فجعل كلما يقرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة فقام فكأنما انشط من عقال وجعل جبرائيل (ع) يقول باسم الله ارقيك من شرّ كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله تعالى يشفيك ورووا ذلك عن عائشة وابن عباس وهذا لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قدخبل عقله وقد ابى الله سبحانه ذلك في قوله وقال الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا ولكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته على ما روي اجتهدوا في ذلك فلم تقدروا عليه واطلع الله نبيه ﷺ على مافعلوه من التمويه حتى استخرج وكان ذلك دلالة على صدقه وكيف يجوز ان يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدة عداوتهم له

المعنى

(قل اعوذ برب الفلق) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ﷺ والمراد جميع امته ومعناه قل يا محمد اعتصم وامتنع برب الصبح وخالقه ومدبّره ومطلعه متى شاء على ما يرى من الصلاح فيه (من شر ما خلق) من الجن والانس وسائر الحيوانات وانما سمي الصبح فلقاً لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل له فجر لانفجاره بذهاب ظلامه وهذا قول ابن عباس وجابر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وقيل الفلق المواليد لأنهم ينفلقون بالخروج من اصلاب الآباء وارحام الأمهات كما ينفلق الحبّ من النبات وقيل الفلق جب في جهنم يتعوذ اهل جهنم من شدة حرّه عن السدي ورواه ابو حمزة الثمالي وعلي بن ابراهيم في تفسيريهما وقوله ما خلق عام في جميع ما خلقه الله تعالى ممن يجوز ان يحصل منه الشر وتقديره من شرّ الاشياء التي خلقها الله تعالى مثل السباع والهوام والشياطين وغيرها (ومن شر غاسق اذا وقب) اي ومن شر الليل

اذا دخل بظلامه عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعلى هذا فيكون المراد من شرّ ما يحدث في الليل من الشر والمكروه كما يقال اعوذ من شر هذه البلدة وإنما اختصّ الليل بالذكر لأنّ الغالب ان الفساق يقدمون على الفساد بالليل وكذلك الهوام والسباع تؤذي فيه اكثر واصل الغسق الجريان بالضرر وقيل ان معنى الغاسق كل هاجم بضرره كائناً ما كان (ومن شر النفاثات في العقد) معناه ومن شر النساء الساحرات اللاتي ينفثن في العقد عن الحسن وقتادة وانما امر بالتعوذ من شر السحرة لإيهامهم انهم يرضون ويصحون ويفعلون شيئا من النفع والضر والخير والشر وعامة الناس يصدّقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين ولأنهم يوهمون انهم يخدمون الجن ويعلمون الغيب وذلك فساد في الدين ظاهر فلأجل هذا الضرر أمر بالتعوذ من شرهم وقال ابو مسلم النفاثات النساء اللاتي يملن آراء الرجال ويصرفنهم عن مرادهم ويردّونهم الى آرائهن لأن العزم والرأي يعبّر عنهما بالعقد فعبّر عن حلّها بالنفث فإن العادة جرت انّ من حلّ عقد نفث فيه (ومن شر حاسد اذا حسد) فإنه يحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود فأمر بالتعوذ من شرّه وقيل انه اراد من شرّ نفس الحاسد ومن شرّ عينه فإنه ربما أصاب بها فعاب وضر وقد جاء في الحديث ان العين حق وقد مضى الكلام فيه[1] وروي ان العضباء ناقة النبي ﷺ لم تكن تسبق فجاء اعرابي على قَعود[2] له فسابق بها فسبقها فشقّ ذلك على الصحابة فقال النبي ﷺ حقّ على الله عز وجل ألّا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه وروى انس ان النبي ﷺ قال من رأى شيئاً يعجبه فقال الله الله ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضر شيئاً وروي ان النبي ﷺ كان كثيراً ما يعوذ الحسن والحسين (ع) بهاتين السورتين وقال بعضهم ان الله سبحانه جمع الشرور في هذه السورة وختمها بالحسد ليعلم أنه أخس الطبائع نعوذ بالله منه

سورة الناس

مدنية وهي مثل سورة الفلق لأنها احدى المعوذتين وهي ست آيات

فضلها

الفضيل بن يسار قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول ان رسول الله ﷺ اشتكى شكوى شديدة ووجع وجعاً شديداً فأتاه جبرائيل وميكائيل (ع) فقعد جبرائيل (ع) عند رأسه وميكائيل عند رجليه فعوّذه جبرائيل بقل أعوذ برب الفلق وعوّذه ميكائيل بقل أعوذ برب الناس . ابو خديجة عن ابي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل الى النبي ﷺ وهو شاك فرقاه بالمعوذتين وقل هو الله احد وقال باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك خذها فلتهنيك فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (٢) مَلِكِ النَّاسِ (٣) إِلٰهِ النَّاسِ (٤) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٥) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٦) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

القراءة

قرأ ابو عمرو والدوري عن الكسائي يميل الناس في موضع الجر ولا يميل في الرفع والنصب والباقون لا يميلون

(١) اى في سورة يوسف راجع صفحة ٢٤٩ من المجلد الثالث . (٢) القعود : البكر من الابل حين يركب اى يمكن ظهره من الركوب

﴿ اللغة ﴾

الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفي واصله الصوت الخفي من قول الاعشى

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاساً إِذَا انْصَرَفَتْ ... كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ (١)

قال رؤبة

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصاً رَبَّ الْفَلَقْ ... سِرّاً وَقَدْ آوَنَ تَأْوِينَ الْعُقُقْ (٢)

والوسوسة كالهمهمة ومنه قولهم فلان موسوس اذا غلب عليه ما يعتريه من المرة يقال وسوس وسواسا ووسوسة وتوسوس والخنوس الاختفاء بعد الظهور خنس يخنس ومنه الخنس في الانف لخفائه بانخفاضه عندما يظهر بنتوّه واصل الناس الأناس فحذفت الهمزة التي هي فاء ويدلّك على ذلك الأنس والأناس واما قولهم في تحقيره نويس فإن الالف لما كانت ثانية زائدة اشبهت الف فاعل فقلبت واوا

﴿ الإعراب ﴾

قيل ان قوله من الجنة بدل من قوله من شرّ الوسواس فكأنه قال اعوذ بالله من شر الجنة والناس وقيل ان من تبين للوسواس والتقدير من شر ذي الوسواس الخناس من الجنة والناس اي صاحب الوسواس الذي من الجنة والناس فيكون الناس معطوفاً على الوسواس الذي هو في معنى ذي الوسواس وان شئت لم تحذف المضاف فيكون التقدير من شر الوسواس الواقع من الجنة التي توسوسه في صدور الناس فيكون فاعل يوسوس ضمير الجنة وإنما ذكر لأن الجنة والجن واحد وجازت الكناية عنه وان كان متأخرا لأنه في نية التقديم فجرى مجرى قوله فاوجس في نفسه خيفة موسى وحذف العائد من الصلة الى الموصوف كما في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا اي بعثه الله رسولا

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد (اعوذ برب الناس) اي خالقهم ومدبّرهم ومنشئهم (ملك الناس) اي سيدهم والقادر عليهم ولم يجز هنا الا ملك وجاز في فاتحة الكتاب ملك ومالك وذلك لأن صفة ملك تدل على تدبير من يشعر بالتدبير وليس كذلك مالك وذلك لأنه يجوز ان يقال مالك الثوب ولا يجوز ملك الثوب فجرت اللفظة في فاتحة الكتاب على معنى الملك في يوم الجزاء وجرت في هذه السورة على ملك تدبير من يعقل التدبير فكان لفظ ملك أولى هنا واحسن ومعناه ملك الناس كلهم واليه مفزعهم في الحوائج (إله الناس) معناه الذي يجب على الناس ان يعبدوه لأنه الذي تحقّ له العبادة دون غيره وانما خصّ سبحانه الناس وان كان سبحانه ربّاً لجميع الخلائق لأن في الناس عظماء فاخبر بأنه ربهم وان عظموا ولأنه سبحانه امر بالاستعاذة من شرّهم فأخبر بذكرهم انه الذي يعيذه منهم وفي الناس ملوك فذكر أنه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم وانه هو المستحق للعبادة دون غيره قال جامع العلوم النحوي وليس قوله الناس تكراراً لأن المراد بالاول الاجنة ولهذا قال برب الناس لأنه يربيهم والمراد بالثاني الاطفال ولذلك قال ملك الناس لأنه يملكهم والمراد بالثالث البالغون المكلفون ولذلك قال إله الناس لأنهم يعبدونه والمراد بالرابع العلماء لأن الشيطان يوسوس اليهم ولا يريد الجهال لأن الجاهل يضل بجهله وانما تقع الوسوسة في قلب العالم كما قال فوسوس اليه الشيطان وقوله (من شر الوسواس الخناس) فيه أقوال ﴿احدها﴾

(١) البيت من معلقته الشهيرة والوسواس : جرس الحلى . واذا انصرفت اى اذا انقلبت الى فراشها . و العشرق شجيرة مقدار ذراع لها اكمام فيها حب صغار اذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب. والزجل : الصوت . شبه صوت الحلى بخشخشة العشرق (٢) هذا بيت من الرجز المشطور من ارجوزة طويلة يصف فيها حمار الوحش يقول : ان الصياد لما احس ←

ان معناه من شر الوسوسة الواقعة من الجنة وقد مرّ بيانه ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه من شر ذي الوسواس وهو الشيطان كما جاء في الاثر انه يوسوس فإذا ذكر العبد ربه خنس ثم وصفه الله تعالى بقوله (الذي يوسوس في صدور الناس) أي بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى قلوبهم من غير سماع ثم ذكر ان هذا الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس (من الجنة) وهم الشياطين كما قال سبحانه إلا ابليس كان من الجن ثم عطف بقوله (والناس) على الوسواس والمعنى من شر الوسواس ومن شر الناس كأنه امر ان يستعيذ من شر الجن والانس ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه من شر ذي الوسواس الخناس ثم فسّره بقوله من الجنة والناس كما يقال نعوذ بالله من شر كل مارد من الجن والانس وعلى هذا فيكون وسواس الجنة هو وسواس الشيطان على ما مضى وفي وسواس الانس وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه وسوسة الإنسان من نفسه ﴿ والثاني ﴾ اغواء من يغويه من الناس ويدل عليه قوله شياطين الانس والجن فشيطان الجن يوسوس وشيطان الإنس يأتي علانية ويرى انه ينصح وقصده الشر قال مجاهد الخناس الشيطان اذا ذكر اسم الله سبحانه خنس وانقبض واذا لم يذكر الله انبسط على القلب ويؤيده ما روي عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله ﷺ ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله سبحانه خنس واذا نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس وقيل الخناس معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور وهو المستتر المختفي من اعين الناس لأنه يوسوس من حيث لا يرى بالعين وقال ابراهيم التيمي اول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء وقيل ان معنى قوله يوسوس في صدور الناس يلقي الشغل في قلوبهم بوسواسه والمراد ان له رفقاء به يوصل الوسواس الى الصدر وهو اقرب من خلوصه بنفسه الى صدره وفي هذا اشارة الى ان الضرر يلحق من جهة هؤلاء وانهم قادرون على ذلك ولولاه لما حسن الامر بالاستعاذة منهم وفيه دلالة على انه لا ضرر ممن يتعوذ به وانما الضرر كله ممن يتعوذ منه ولو كان سبحانه خالقا للقبائح لكان الضرر كله منه جل وعز وفيه اشارة ايضا الى انه سبحانه يراعي حال من يتعوذ به فيكفيه شرورهم ولولا ذلك لما دعاه الى التعوذ بهمن شرورهم ولما وصف سبحانه نفسه بأنه الرب الإله الغني عن الخلق فإنّ من احتاج الى غيره لا يكون إلها ومن كان غنياً عالماً لغناه لا يختار فعل القبيح ولهذا حسنت الاستعاذة به من شرّ غيره وروى عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال اذا قرأت قل اعوذ برب الفلق فقل في نفسك اعوذ برب الفلق واذا قرأت قل أعوذ برب الناس قل في نفسك اعوذ برب الناس وروى العياشي بإسناده عن ابان بن تغلب عن جعفر ابن محمد قال قال رسول الله ﷺ ما من مؤمن الا ولقلبه في صدره اذنان اذن ينفث فيها الملك واذن ينفث فيها الوسواس الخناس فيؤيد الله المؤمن بالملك وهو قوله سبحانه وايدهم بروح منه

تم الجزء العاشر من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن

بالصيد واراد رميه وسوس نفسه بالدعاء حذرا لخيبة وقداون اى شرب الحمار الماء حتى انتفخ بطنه كالاتان العقوق و هى التى تكامل حملها وقرب ولادها . وقدمر البيتان فى صفحة ٤٠٥ من المجلد الثانى

﴿ حكاية خط المصنف رحمه الله ﴾

وهي : الحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا على تسهيله وتيسيره وتقدر الفراغ منه لمصنفه يوم الخميس منتصف ذي القعدة من سنة ست وثلاثين وخمسمائة

اللهم لك الحمد على توفيقك وتأييدك وارشادك وتسديدك حمداً استوجب به المزيد من نعمك واستحق به لطائف كرمك اللهم اجعل جدي واجتهادي في جميع ما شذ من تفسير كتابك العزيز وكدي وانكماشي في ضم ما انتشر من معانيه بالافظ الوجيز ذريعة إلى ادراك رضوانك وصلة إلى الاتصال باوليائك وأصفيائك في جنانك وقابل تقربي بذلك اليك وتوسلي إلى الاطهار الأخيار محمد ﷺ وعترته الابرار بالقبول التام واعمني وولدي واهل حزانتي بالإنعام العام واتمم يارب هذه النعمة الجسيمة التي انعمت عليّ بها وجعلتني اهلا لها بالمد في العمر والإمداد بالتوفيق واليسر لإفادة من يطلبه من اهل الدين والخير والبث لما يتضمنه من العلوم والنشر احرازا لجميل الذكر وجزيل الذخر والاجر واعتصاما بعروتك الوثقى واغتناما لشفاعة نبيك صلواتك عليه وآله يوم الزلفى إنك ولي الانعام ذو الجلال والاكرام وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله اجمعين الطيبين الطاهرين

انتقل مصنف الكتاب (ره) من المشهد الرضوي على ساكنه الصلاة والسلام وعلى آبائه وابنائه الكرام إلى سبزوار في شهور سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وانتقل بها إلى دار الخلود ليلة النحر سنة ثمان واربعين وخمسمائة ونقل ودفن على ما هو المشهور إلى مشهد الرضوي

وقد تمّ تصحيحاً وتعليقاً على يد العبد المذنب الفانى السيد

هاشم بن السيد حسين الحسينى المحلاّتى المشتهر برسولى

فى ثلاث مضين من رجب سنة ١٣٨٣ وقد وفّقنى

الله تعالى - بلطفه ومنّه - على تصحيح جميع أجزاء

الكتاب سوى الجزء التاسع واسئله تعالى

ادامة التوفيق لاحياء آثار

سيّد المرسلين وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين

فهرس المجلد الخامس من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء التاسع والعاشر حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سورة حم السجدة إلى سورة الناس

سورة حم السجدة

صفحة

٣ حم تنزيل من الرحمن الرحيم إلى قوله فاعمل إننا عاملون

٤ قل إنما انا بشر مثلكم إلى قوله سواء للسائلين

٦،٥ ثم استوى إلى السماء إلى قوله وكانوا بآياتنا يجحدون

٧ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا إلى قوله بما كانوا يعملون

٩ وقالوا لجلودهم لم شهدتم إلى قوله إنهم كانوا خاسرين

١١ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن إلى قوله كنتم توعدون

١٢ نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا إلى قوله إلا ذو حظ عظيم

١٤ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ إلى قوله تنزيل من حكيم حميد

١٦ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل إلى قوله إني شك منه مريب

١٧ من عمل صالحا فلنفسه إلى قوله ولنذيقنهم من عذاب غليظ

١٩ وإذا انعمنا على الإنسان إلى قوله إنه بكل شيء محيط

سورة حم عسق

٢١،٢٠ حم عسق إلى قوله إن الله هو الغفور الرحيم

صفحة

٢٢ والذين اتخذوا من دونه اولياء إلى قوله عليه توكلت واليه انيب

٢٣ فاطر السماوات والأرض إلى قوله واليه المصير

٢٦،٢٥ والذين يحاجون في الله إلى قوله وماله في الآخرة من نصيب

٢٧ أم لهم شركاء شرعوا لهم الى قوله ويعلم ما تفعلون

٣٠ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله ويعفو عن كثير

٣١ وما انتم بمعجزين في الأرض الى قوله ما لهم من محيص

٣٣،٣٢ فما اوتيتم من شيء إلى قوله إنه لا يحب الظالمين

٣٤ ولمن انتصر بعد ظلمه الى قوله إن الظالمين في عذاب مقيم

٣٥ وما كان لهم من اولياء الى قوله إنه عليم قدير

٣٦ وما كان لبشر أن يكلمه الله الى قوله ألا إلى الله تصير الامور

سورة الزخرف

٣٨ حم والكتاب المبين الى قوله إن كنتم قوما مسرفين

٤٠،٣٩ وكم ارسلنا من نبي في الاولين الى قوله إن الإنسان لكفور مبين

٤٢،٤١ ام اتخذ مما يخلق بنات الى قوله إن هم إلا يخرصون

صفحة

٤٣ أم آتيناهم كتابا إلى قوله فانظر كيف كان عاقبة المكذبين

٤٤ واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه الى قوله وإنا به كافرون

٤٥ وقالوا لولا نزل هذا القرآن الى قوله والآخرة عند ربك للمتقين

٤٧ ومن يعش عن ذكر الرحمن الى قوله ومن كان في ضلال مبين

٤٩ فإما نذهبن بك الى قوله آلهة يعبدون

٥٠ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى قوله إنهم كانوا قوما فاسقين

٥٢،٥١ فلما آسفونا انتقمنا منهم الى قوله في الأرض يخلفون

٥٤ وإنه لعلم للساعة الى قوله فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم

٥٥ هل ينظرون إلا الساعة الى قوله وهم فيه مبلسون

٥٦ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين الى قوله واليه ترجعون

٥٨ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الى قوله فسوف يعلمون

سورة الدخان

٦٠ حم الى قوله هذا عذاب اليم

٦٢ ربنا اكشف عنا العذاب الى قوله فارتقبون

صفحة

٦٣ فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون الى قوله وما كانوا منظرين
٦٥ ولقد نجينا بني اسرائيل الى قوله ميقاتهم اجمعين
٦٧ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا الى قوله ان هذا ما كنتم به تمترون
٦٨ إن المتقين في مقام امين الى قوله فارتقب انهم مرتقبون

﴿ سورة الجاثية ﴾

٧٠ حم الى قوله آيات لقوم يعقلون
٧٢ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق الى قوله ولهم عذاب عظيم
٧٣ هذا هدى والذين كفروا الى قوله ثم الى ربكم ترجعون
٧٥ ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب الى قوله لقوم يوقنون
٧٦ أم حسب الذين اجترحوا السيئات الى قوله إن كنتم صادقين
٧٩ قل الله يحييكم ثم يميتكم الى قوله ذلك هو الفوز المبين
٨٠ واما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم الى قوله وهو العزيز الحكيم

﴿ سورة الاحقاف ﴾

٨٢ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الى قوله وهم عن دعائهم غافلون
٨٣ إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء الى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين
٨٤ وقال الذين كفروا للذين آمنوا الى قوله واني من المسلمين

صفحة

٨٦ أولئك الذين نتقبل عنهم الى قوله وبما كنتم تفسقون
٨٩٤٨٨ واذكر اخا عاد الى قوله كذلك نجزي القوم المجرمين
٩٠ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه الى قوله والى طريق مستقيم
٩٣ ياقومنا اجيبوا داعي الله الى قوله وهل يهلك الا القوم الفاسقون

﴿ سورة محمد ﴾

وتسمى ايضا سورة القتال

٩٦٩٥ الذين كفروا الى قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم
٩٨ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم الى قوله وللكافرين امثالها
٩٩ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا الى قوله فقطع امعاءهم
١٠١ ومنهم من يستمع اليك الى قوله فأولى لهم
١٠٣ طاعة وقول معروف الى قوله وأملى لهم
١٠٥ ذلك بأنهم قالوا الى قوله والله يعلم اعمالكم
١٠٦ ولنبلونكم حتى نعلم الى قوله وان يتركم اعمالكم
١٠٧ إنما الحياة الدنيا الى قوله ثم لا يكونوا امثالكم

﴿ سورة الفتح ﴾

١٠٩ إنا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما
١١١٦١١١ ويعذب المنافقين والمنافقات الى قوله أجرا عظيما

صفحة

١١٣ سيقول المخلفون من الاعراب الى قوله بل كانوا لا يفقهون الا قليلا
١١٥ قل للمخلفين من الاعراب الى قوله ويهديكم صراطا مستقيما
١٢٢ وأخرى لن تقدروا عليها إلى قوله لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
١٢٥٦١٢٤ إذ جعل الذين كفروا إلى قوله واجرا عظيما

﴿ سورة الحجرات ﴾

١٢٨ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله إلى قوله والله غفور رحيم
١٣١ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق إلى قوله لعلكم ترحمون
١٣٤ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم إلى قوله إن الله غفور رحيم
١٣٩ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله إلى قوله والله بصير بما تعملون

﴿ سورة ق ﴾

١٤٠ ق والقرآن المجيد إلى قوله فهم في امر مريج
١٤١ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم إلى قوله كذلك الخروج
١٤٣٦١٤٢ كذبت قبلهم قوم نوح إلى قوله ذلك يوم الوعيد
١٤٥ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد إلى قوله وتقول هل من مزيد

صفحة
١٤٨ وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد إلى قوله ومن الليل فسبحه وادبار السجود
١٥٠ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب إلى قوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد

﴿ سورة الذاريات ﴾

١٥٢ والذاريات ذروا الى قوله هذا الذي كنتم به تستعجلون
١٥٤ إن المتقين في جنات وعيون الى قوله مثل ما انكم تنطقون
١٥٦ هل اتاك حديث ضيف ابراهيم الى قوله للذين يخافون العذاب الأليم
١٥٨ وفي موسى إذ ارسلناه الى قوله انهم كانوا قوما فاسقين
١٥٩ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون الى قوله من يومهم الذي يوعدون

﴿ سورة الطور ﴾

١٦٢ والطور وكتاب مسطور الى قوله ما كنتم تعملون
١٦٤ ان المتقين في جنات ونعيم الى قوله انه هو البر الرحيم
١٦٦، ١٦٧ فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن إلى قوله فهم من مغرم مثقلون
١٦٨، ١٦٩ أم عندهم الغيب الى قوله وادبار النجوم

﴿ سورة النجم ﴾

١٧١ والنجم إذا هوى الى قوله فأوحى الى عبده ما أوحى
صفحة
١٧٤ ما كذب الفؤاد ما رأى الى قوله ومناة الثالثة الاخرى
١٧٦ ألكم الذكر وله الانثى الى قوله وهو اعلم بمن اهتدى
١٧٨ ولله ما في السماوات وما في الأرض إلى قوله ثم يجزاه الجزاء الأوفى
١٨٠، ١٨١ وان الى ربك المنتهى الى قوله فاسجدوا لله واعبدوا

﴿ سورة القمر ﴾

١٨٤ اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله أني مغلوب فانتصر
١٨٨ ففتحنا أبواب السماء الى قوله فكيف كان عذابي ونذر
١٩٠ ولقد يسرنا القرآن للذكر الى قوله كهشيم المحتظر
١٩٢ ولقد يسرنا القرآن الى قوله فأخذناهم اخذ عزيز مقتدر
١٩٣ اكفاركم خير من أولئكم الى قوله عند مليك مقتدر

﴿ سورة الرحمن ﴾

١٩٦ الرحمن علم القرآن الى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
١٩٩، ٢٠٠ خلق الإنسان من صلصال الى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
٢٠٣ سنفرغ لكم ايها الثقلان الى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
٢٠٦، ٢٠٧ ولمن خاف مقام ربه الى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
٢٠٩ ومن دونهما جنتان الى قوله ذي الجلال والاكرام

﴿ سورة الواقعة ﴾

صفحة
٢١٣ إذا وقعت الواقعة الى قوله متكئين عليها متقابلين
٢١٥ يطوف عليهم ولدان مخلدون الى قوله إلا قيلا سلاما سلاما
٢١٧ وأصحاب اليمين ما اصحاب اليمين الى قوله وثلة من الآخرين
٢٢٠ واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال الى قوله هذا نزلهم يوم الدين
٢٢١، ٢٢٢ نحن خلقناكم الى قوله فسبح باسم ربك العظيم
٢٢٤ فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله ان كنتم صادقين
٢٢٧ فأما ان كان من المقربين الى قوله فسبح باسم ربك العظيم

﴿ سورة الحديد ﴾

٢٢٩ سبح لله ما في السماوات الى قوله وهو عليم بذات الصدور
٢٣١ آمنوا بالله ورسوله الى قوله والله بما تعملون خبير
٢٣٣ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات الى قوله وبئس المصير
٢٣٦ ألم يأن للذين آمنوا الى قوله إلا متاع الغرور
٢٣٩ سابقوا الى مغفرة الى قوله ان الله قوي عزيز
٢٤٢ ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم الى قوله والله ذو الفضل العظيم

﴿ سورة المجادلة ﴾

٢٤٥ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى قوله عذاب مهين

صفحة
٢٤٨ يوم يبعثهم الله جميعا الى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون
٢٥١ يا أيها الذين آمنوا الى قوله ساء ما كانوا يعملون
٢٥٣، ٢٥٤ اتخذوا أيمانهم جنة الى قوله هم المفلحون

سورة الحشر
٢٥٦ سبح لله ما في السماوات وما في الأرض الى قوله وليخزي الفاسقين
٢٥٩ وما افاء الله على رسوله الى قوله رؤوف رحيم
٢٦٢، ٢٦٣ ألم تر الى الذين نافقوا إلى قوله ولهم عذاب اليم
٢٦٤ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر إلى قوله هم الفائزون

سورة الممتحنة
٢٦٨ يا أيها الذين آمنوا الى قوله إنك انت العزيز الحكيم
٢٧١ لقد كان لكم فيهم اسوة إلى قوله فأولئك هم الظالمون
٢٧٢ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله الذي انتم به مؤمنون
٢٧٥ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات إلى قوله من اصحاب القبور

سورة الصف
٢٧٧ سبح لله ما في السماوات إلى قوله القوم الفاسقين
٢٧٩ وإذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل إلى قوله ولو كره المشركون
٢٨٠، ٢٨١ يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم إلى قوله فأصبحوا ظاهرين

الجزء العاشر

سورة الجمعة

صفحة
٢٨٣ سبح لله ما في السموات إلى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين
٢٨٥ قل يا أيها الذين هادوا إلى قوله والله خير الرازقين

سورة المنافقين
٢٩٠ إذا جاءك المنافقون إلى قوله وهم مستكبرون
٢٩٢ سواء عليهم استغفرت لهم إلى قوله والله خبير بما تعملون

سورة التغابن
٢٩٦، ٢٩٧ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض إلى قوله ولهم عذاب أليم
٢٩٨ ذلك بأنه كانت تأتيهم إلى قوله خالدين فيها وبئس المصير
٢٩٩ ما اصاب من مصيبة إلا بإذن الله إلى قوله العزيز الحكيم

سورة الطلاق
٣٠٢ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء إلى قوله ويعظم له اجرا
٣٠٧ أسكنوهن من حيث سكنتم إلى قوله قد انزل الله اليكم ذكرا
٣١٠ رسولا يتلو عليكم آيات الله إلى قوله بكل شيء علما

سورة التحريم
٣١١، ٣١٢ يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك إلى قوله ثيبات وابكارا
٣١٦، ٣١٧ يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم إلى قوله وكانت من القانتين

سورة الملك
٣٢١ تبارك الذي بيده الملك إلى قوله واعتدنا لهم عذاب السعير
٣٢٣ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم إلى قوله فسحقا لاصحاب السعير
٣٢٥ إن الذين يخشون ربهم إلى قوله بل لجوا في عتو ونفور
٣٢٨ أفمن يمشي مكبا على وجهه إلى قوله بماء معين

سورة القلم
٣٣٠، ٣٣١ ن والقلم وما يسطرون إلى قوله سنسمه على الخرطوم
٣٣٥ إنا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة إلى قوله لو كانوا يعلمون
٣٣٧، ٣٣٨ إن للمتقين عند ربهم جنات نعيم الى قوله إن كيدي متين
٣٤٠ أم تسألهم أجرا الى قوله إلا ذكر للعالمين

سورة الحاقة
٣٤٢ الحاقة ما الحاقة الى قوله فأخذهم أخذة رابية
٣٤٤ إنا لما طغا الماء الى قوله في الأيام الخالية
٣٤٧ وأما من أوتي كتابه بشماله الى قوله لا يأكله الا الخاطئون
٣٤٨ فلا أقسم بما تبصرون الى قوله فسبح باسم ربك العظيم

سورة المعارج
٣٥١ سأل سائل بعذاب واقع الى قوله ولا يسأل حميم حميما

صفحة
٣٥٤ يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي إلى قوله في جنات مكرمون
٣٥٧ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين الى قوله كانوا يوعدون

سورة نوح
٣٥٩، ٣٦٠ إنا أرسلنا نوحا الى قوله وقد خلقكم اطوارا
٣٦٢ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا الى قوله ولا تزد الظالمين إلا تبارا

سورة الجن
٣٦٥، ٣٦٦ قل أوحي إلي انه استمع نفر من الجن الى قوله أم أراد بهم ربهم رشدا
٣٦٩، ٣٧٠ وأنا منا الصالحون الى قوله ولا اشرك به احدا
٣٧٢، ٣٧٣ قل إني لا املك لكم ضراً الى قوله وأحصى كل شيء عددا

سورة المزمل
٣٧٥ يا أيها المزمل الى قوله واهجرهم هجراً جميلا
٣٧٩ وذرني والمكذبين أولي النعمة الى قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
٣٨١ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل إلى قوله إن الله غفور رحيم

سورة المدثر
٣٨٣ يا أيها المدثر الى قوله غير يسير
٣٨٦ ذرني ومن خلقت وحيداً الى قوله وما هي الا ذكرى للبشر
٣٨٩ كلا والقمر الى قوله وأهل المغفرة

سورة القيامة
صفحة
٣٩٣ لا أقسم بيوم القيامة الى قوله ولو القى معاذيره
٣٩٦ لا تحرك به لسانك الى قوله أن يفعل بها فاقرة
٣٩٩، ٤٠٠ كلا إذا بلغت التراقي الى قوله أن يحيي الموتى

سورة الإنسان
٤٠٢، ٤٠٣ هل أتى على الإنسان الى قوله عبوساً قمطريراً
٤٠٨ فوقاهم الله الى قوله سعيكم مشكورا
٤١٢ إنا نحن نزلنا عليك القرآن إلى قوله والظالمين أعد لهم عذاباً أليما

سورة المرسلات
٤١٤ والمرسلات عرفاً إلى قوله ويل يومئذ للمكذبين
٤١٦ ألم نهلك الأولين إلى قوله ويل يومئذ للمكذبين
٤١٧ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون إلى قوله ويل يومئذ للمكذبين
٤١٩ إن المتقين في ظلال وعيون إلى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون

سورة عم
٤٢٠ عم يتساءلون إلى قوله وجنات الفافا
٤٢٢ إن يوم الفصل كان ميقاتا إلى قوله إلا عذابا
٤٢٥ إن للمتقين مفازاً إلى قوله ياليتني كنت ترابا

سورة النازعات
٤٢٨ والنازعات غرقاً إلى قوله فإذا هم بالساهرة
صفحة
٤٣١ هل أتاك حديث موسى إلى قوله إن في ذلك لعبرة لمن يخشى
٤٣٢، ٤٣٣ أأنتم أشد خلقاً إلى قوله إلا عشية أو ضحاها

سورة عبس
٤٣٥، ٤٣٦ عبس وتولى إلى قوله كلا لما يقض ما أمره
٤٣٩ فلينظر الإنسان إلى طعامه إلى قوله أولئك هم الكفرة الفجرة

سورة كورت
٤٤١ إذا الشمس كورت إلى قوله علمت نفس ما أحضرت
٤٤٤، ٤٤٥ فلا اقسم بالخنس إلى قوله إلا أن يشاء الله رب العالمين

سورة انفطرت
٤٤٧ إذا السماء انفطرت إلى قوله والأمر يومئذ لله

سورة المطففين
٤٥١ ويل للمطففين إلى قوله هذا الذي كنتم به تكذبون
٤٥٤ كلا إن كتاب الابرار لفي عليين الى قوله هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون
٤٥٨ سورة انشقت
٤٦٣ سورة البروج
٤٦٩، ٤٧٠ سورة الطارق
٤٧٣ سورة الأعلى
٤٧٧ سورة الغاشية

صفحة
٤٨١ سورة الفجر
٤٩٠ سورة البلد
٤٩٦ سورة الشمس
٥٠٠ سورة الليل
٥٠٣ سورة الضحى
٥٠٧ سورة ألم نشرح
٥١٠ سورة التين
٥١٣،٥١٢ سورة العلق
٥١٧ سورة القدر
٥٢٢،٥٢١ سورة لم يكن

صفحة
٥٢٥،٥٢٤ سورة إذا زلزلت
٥٢٨،٥٢٧ سورة العاديات
٥٣١ سورة القارعة
٥٣٣ سورة التكاثر
٥٣٥ سورة العصر
٥٣٧ سورة الهمزة
٥٣٩ سورة الفيل
٥٤٤ سورة لإيلاف
٥٤٦ سورة أرأيت

صفحة
٥٤٨ سورة الكوثر
٥٥١ سورة قل يا أيها الكافرون
٥٥٣ سورة النصر
٥٥٨ سورة تبت
٥٦١ سورة الإخلاص
٥٦٧ سورة الفلق
٥٦٩ سورة الناس
٥٧٢ حكاية خط المصنف
٥٧٢ خاتمة الكتاب

١٢٧٩ - ق ١٢٣٩ - ش

ولله الحمد في البدء والختام
وعلى محمد وآله أفضل الصلاة والسلام